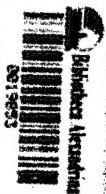


کئی لسنز

بِلْدَانِ
الْخِلاَفَةِ الشَّرْقِيَّةِ

شَرِجُمَةُ
مُؤَلَّفَاتُهَا
وَكُتُبُهَا

في شهر سنة الف



بِلْدَان الْخِلَافَةِ الشَّرْقِيَّةِ

يَتَنَاوَلُ صِفَةَ الْعِرَاقِ وَالْجَزِيرَةِ وَآيِرَانَ
وَأَقَالِيمِ آسِيَةِ الْوُسْطَى
مُنْذُ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ حَتَّى الْيَوْمِ

تَأَلَّفَ
كِي لِسْتَرَنْج
مُؤَلِّفُ كِتَابِ "فَلَسْطِينِ فِي عَهْدِ الْإِسْلَامِ"،
و"تَهْدَادُ فِي عَهْدِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ"، وَغَيْرِهَا

نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ
وَأَضَافَ إِلَيْهِ تَعْلِيلَاتٍ بِلْدَانِيَّةً وَتَارِيخِيَّةً وَأُسْرَةً،
وَوَضَعَ فِيهَا رَأْيَهُ

بَشِيرُ فَرْنَسِيْسْ
كُوْرِكِيْسْ عَوَادُ
مُضَرِّفٌ لِمَتْنِ الْعِلْمِ الْعَرَبِيِّ

مَوْسُوسَةُ الرِّسَالَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة

مؤسسة الرسالة

ولا يحق لأية جهة أن تعيد أو تنقل حق الطبع لأحد.
سواء كان مؤسسة رسمية أو أفراداً.

الطبعة الثانية

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناء صمدي وصالحه
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٣١٦٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ بريقيا، بيروت



مضامين الكتاب

٣	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	مقدمة الترجمة
٦	٠٠	٠٠	٠٠		ترجمة لسترنج مؤلف الكتاب
٩	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	مقدمة المؤلف
١٢	٠٠	٠٠			البلدانيون المسلمون بحسب زمن تصانيفهم

الفصل الاول

تمهيد

بلاد ما بين النهرين وفارس واقاليهما في أيام الخلفاء العبّاسيين - الاقاليم في
الاطراف الشمالية الغربية والشمالية الشرقية - الطرق من بغداد الى اقاصى حدود
بلاد الاسلام - البلدانيون المسلمون وتصانيفهم - المؤلفون الآخرون - اسماء
المواضع في الاقاليم العربية والتركية والفارسية *

(١٤ - ٣٩)

الفصل الثانى

العراق

تقسيم ارض ما بين النهرين الى شمالية وجنوبية - العراق اى بلاد بابل -
التغير في مجري الفرات ودجلة - أنهر الرى العظيمة - بغداد - المدائن وما فى
جنوبها من مدن على دجلة حتى قم الصلح *

(٤٠ - ٥٨)

(ج)

الفصل الثالث

العراق (تابع)

واسط - البطائح - المذار والقرنة - دجلة الموراء - البصرة وأنهارها -
الابلّة وعبادان - دجلة فوق بغداد - البردان - طسوج دجيل - عكبرا وحرى
والقادسية •

(٥٩ - ٧٥)

الفصل الرابع

العراق (تابع)

سامراء - تكريت - النهروان - باعقوبا وغيرها من المدن - مدينة جسر
النهرين وطريق خراسان - جلولا وخاتقن - البنديجين وبيات - مدن الفرات
من الحديثة الى الانبار - نهر عيسى - المحول وصرصر ونهر الملك - نهر كوثى •

(٧٦ - ٩٥)

الفصل الخامس

العراق (تنمة)

انشطار الفرات - نهر سورا - قصر ابن هبيرة - النيل ونهر النيل - نهر
الترس - نهر البداة ويمباديتا - نهر الكوفة - مدينة الكوفة - القادسية - مشهد
علي وكربلاء - استانات العراق الاثنا عشر - التجارة والصناعة - طرق العراق •

(٩٦ - ١١٣)

الفصل السادس

الجزيرة

الديار الثلاث - ديار ربيعة - الموصل ونيوى والمدن المجاورة - الزاب الكبير
والحدثة وادبل - الزاب الصغير والسن وداقوق - الجابور الصغير والحسنة

(د)

والمعادية - جزيرة ابن عمر وجبل الجودي - نصيبين ورأس العين - ماردين
ودنيسر - الهرماس والخابور - عرابان والثرثار - سنجار والحضر - بلد
واذمة •

(١١٤ - ١٣١)

الفصل السابع

الجزيرة (تمّة)

ديار مصر - الرقة والرافقة - نهر البليخ وحران - اذما وحصن مسلمة -
قرقيسياه - نهر سعيد والرجبة والدالية - رصافة الشام - عانة - بالس وجسر
منبج وسيساط - سروج - ديار بكر - آمد وحاني ومنابح دجلة - مياناوقين
وارزن - حصن كيفا وتل فافان - سمرت •

(١٣٢ - ١٤٦)

الفصل الثامن

الفرات الاعلى

الفرات الشرقي أى ارسناس - ملاسكرد وموش - شمشاط وحصن زياد
أى خربوط - الفرات الغربى - ارزن الروم أى قاليقلا - ارزنجان وكمخ -
قلعة ابريق أى تفريك (Tephrike) - ملطية وطرنده - زبطرة والحدث - حصن
منصور وبهنا وقنطرة سنجة - تجارات الجزيرة وغلاتها - المسالك •

(١٤٧ - ١٥٨)

الفصل التاسع

بلاد الروم - اى اسيه الصغرى

بلاد الروم - التنفور من ملطية الى طرسوس - الدربان الكبيران فى جبال
طودروس - طريق القسطنطينية المار بالابواب القلبيية - طرابزون - حصارات
القسطنطينية الثلاثة - غزوات المسلمين فى اسيه الصغرى - نهج عمورية بامر

(هـ)

المعصم - فتح السلاحفة آسية الصغرى - مملكة ارمينية الصغرى - الصليبيون -
أجلّ مدن السلاحفة فى بلاد الروم •

(١٥٩ - ١٧٥)

الفصل العاشر

بلاد الروم (تمة)

الامارات التركمانية العشر - ابن بطوطة والمستوفى - فيسارية وسيواس -
سلطان العراق - أمير قرمان - قونية - أمير تكة والعلايا وانطاكية - أمير حميد
واكر يدور - أمير جرميان وكوتاهية وسوري حصار - أمير منتشا وميلاس - أمير
آيدين وفسوس وازمير - أمير صاروخان ومغنيصة - أمير قراصى وبرغامس -
الولاية العثمانية وبرصى - أمير قزل احمد لى : صنوب (سينوب) •

(١٧٦ - ١٩٢)

الفصل الحادى عشر

افريجيان

بحيرة ارمية - تيريز - سراو - المراغة وأنهاها - بسوى واشنه - مدينة
ارمية وسلماس وخوى ومرند - نخجوان - القناطر على نهر أرس (Araçee)
- جبل سبلان - اردبيل وأهر - سفيدروز وروافده - الميانتج - خلخال
وفيرروز اباد - نهر شال وولاية شاهرود •

(١٩٣ - ٢٠٥)

الفصل الثانى عشر

كيلان والاقليم الشمالية الغربية

الجيلانات - اقليم الديلم وطالش - پروان ودولاب وخشم - لاهجان ورشت
وغيرهما من مدن كيلان - اقليم موغان - باجروان وبرزند - محمود اباد
- ورنان - اقليم الران - برذعة - اليلقان - كنجة وشمكور - نهر الكر ونهر

(و)

الرس - اقليم شروان - شماخي - باكويه وياب الابواب - اقليم كرجستان أو جورجيا - تفليس وقرس - اقليم ارمينية - ديل أو دوين - بحيرة وان - اخلاط وارجيش ووان وبتليس - حاصلات وتجارات الاقاليم الشمالية •
(٢١٩ - ٢٠٦)

الفصل الثالث عشر

الجيال

اقليم الجبال أو عراق العجم ، وتواجه الاربع - قريسين أي كرمان شاهان - بهستون ومنجوتاتها - كتكور - الدينور - شهرزور - حلوان - طريق خراسان العظيم - كرنند - كردستان في عهد السلاجقة - بهار - جهمجمال - الانبي والبشتر - همذان ورسايفها - دركزين - خرقاين وآوء الشمالية - نهاوند - كرج روز داود وكرج ابي دلف - فرهان •
(٢٣٤ - ٢٢٠)

الفصل الرابع عشر

الجيال (تابع)

المر الصغرى - بروجرد - خرماباد - شابر خواست - سيروان والصيمرة - اصفهان وكورها - فيروزان وفافان ونهر زندهدود - اردستان - قاشان - قم ، وكليكان ونهر قم - آوء وساوء - نهر كاوماها •
(٢٤٨ - ٢٣٥)

الفصل الخامس عشر

الجيال (تمة)

الرى - ورامين وطهران - قزوين وقلمة الموت - زنجان - السلطانية -
(ز)

شير أو ستوريق - خونج - ناحيتا الطائفان وطارم - قلعة شميران - تجارات اقليم
الجبيل وغلاته - مسالك اقليم الجبال واذربيجان واقليم الحدود الشمالية الغربية •
(٢٤٩ - ٢٦٦)

الفصل السادس عشر

خوزستان

نهر دجيل أي كارون - خوزستان والاهواز - مستر أو شوستر -
الشاذروان العظيم - نهر المسرقان - عسكر مكرم - جنديسابور - دزفول -
السوس ونهر كرخه - بهنا وموت - قرقوب ودور الراسبي - الحويضة ونهر
تيرى - الدورق وكورة سرتق - حصن مهدي - فيض دجيل - رامهرمز وكورة
الزط - بلاد اللر الكبرى - ايندج أو مال أمير - سوسن - لردكان - تجارات
خوزستان وغلاته - مسالكه •

(٢٦٧ - ٢٨٢)

الفصل السابع عشر

فارس

تقسيم الاقليم الى خمس كور - كسوة اردشير خره - شيراز - بحيرة
ماهلوية - نهر سكان - جويم - بحيرة دشت أرزن - كوار - خبر والصيكان -
كارزين وكورة قباذ خره - جهرم - جويم أبي أحمد - ماندستان - ايراهستان -
جور أو فيروز اباد - أسياف فارس - جزيرة قيس - سيزاف - نجيرم - توج -
الفندجان - خارك وسائر جزر خليج فارس •

(٢٨٣ - ٢٩٧)

الفصل الثامن عشر

فارس (تابع)

كورة شاپور خره - مدينة سابور وكهفها - نهر رتين - النونجان - القلعة

(ح)

البيضاء وشعب بوان - زموم الاكراد - كازرون وبحيرة كازرون - نهر أخشين
ونهر جرشيق - جره وقنطرة سبوك - كورة ارجان - نهر طاب - بهمان - نهر
شيرين - كبد ملقان - مهر ويان - سينيز وجنابة - نهر الشاذكان *
(٢٩٨ - ٣١٠)

الفصل التاسع عشر

فارس (تابع)

كورة اصطخر ومدينة اصطخر أي برسبوليس - نهر الكر وبلوار - بحيرة
البختكان وما حولها من مدن - سهل مرو دشت - البيضاء وماين - كوشك زود -
سرمق ويزد خواست - الطرق الثلاث من شيراز الى اصفهان - أبرقوه - يزد :
ناحيةها ومدنها - ناحية الروذان ومدنها - شهر بابك وهراة *
(٣١١ - ٣٢٤)

الفصل العشرون

فارس (تممة)

كورة دار أبجرد أو كورة شبانكاره - مدينة دار أبجرد - دركان واك -
نيريز واصطهبانات - فسا وروئيز وخسو - لار وفرج - طارم - سورو - تجاوات
فارس وصناعاتها - مسالك إقليم فارس *
(٣٢٥ - ٣٣٦)

الفصل الحادى والعشرون

كرمان

كور كرمان الخمس - قصبنا الاقليم - القصة الاولى : السيرجان ، موضعها
وتاريخها - القصة الثانية : بردير ، وهى مدينة كرمان اليوم - مامان ووليا -
خيىس - زرنند وكوه بنان وهى كوبنان (Gobinan) لدى ماركو بولو *
(٣٣٧ - ٣٤٨)

(ط)

الفصل الثاني والمشرون

كرمان (تتمة)

كورة السرجان - كورتا بم ونرماسير - ريكان - جيرفت وقمادين : كمادي (Camadi) لدى ماركو بولو - دلفريد - جبال البارز والقفص - روذكان والنسوجان - هرمز المتينة والجديدة وكمبرون - تجارات انليم كمران - مسالكها •

(٣٤٩ - ٣٥٩)

الفصل الثالث والمشرون

المقافة الكبرى ومكران

امتداد المقافة الكبرى وخواصها - الواحات الثلاث : الجرمق ونابند وسنج - أهم مسالك المقافة - إقليم مكران - فزبور وميناء التيز - مدن أخرى - السند والهند - ميناء الدبل - المنصورة والمثان - نهر مهران (Indus) - كورة طوران وقصدار - كورة البدعة وقدايل •

(٣٦٠ - ٣٧١)

الفصل الرابع والمشرون

سجستان

سجستان أي نيمروز وزابلستان - زرنج وهي القاعدة - بحيرة زره - نهر هيلند والانهار الآخذة منه - العاصمة المتينة للإقليم وهي رام شهرستان - نه - فره ونهر فره - نهر خاش ورستاق نيشك - قرين ومدن أخرى - روذبار وبست - رساتيق زمينداور - رنج وبالس أي والستان - قنهار - غزنة وكابل - مددن الفضة - المسالك في سجستان •

(٣٧٢ - ٣٩١)

(ي)

الفصل الخامس والمشرون

قوهستان

اقلیم قوهستان ، هو تونوکاین (Tunocain) لدى مارکو پولو - فاین وتون - ترشیز ورستاق بشت : سروة زرادشت العظيمة - زاوة - بوزجان واقليم زم - رستاق باخرز ومالن - خواف - زیرکوه - دشت بیاض - کناباد وبیجستان - طیس التمر - خوست أو خوسف برجشد - مومناباد - طیس سینان ، ودره •

(۴۰۳ - ۳۹۲)

الفصل السادس والمشرون

قوس وطبرستان وجرجان

اقلیم قوس - الدامغان - بسطام - یار - سمنان وخواز - طریق خراسان المار بقوس - اقلیم طبرستان أو مازندران - آمل - ساریة - جبل دماوند ورستاق فادوسبان وقارن وروبنج - فیروز کوه وغیرها من الفلاح - نائل وسالوس وناحیة رویان - حصن الطاق وناحیة رستمدر - مطیر وطمیمیة - کبود جامه وخلیج نیم مردان - اقلیم کرکان أو جرجان - نهر جرجان ونهر اُنُرک - مدینة جرجان واستراباد - میناء آبسکون - ناحیة دهستان وآخر - مسالك طبرستان وجرجان •

(۴۰۴ - ۴۲۲)

الفصل السابع والمشرون

خراسان

أرباع خراسان الاربعة - ربع نيسابور - مدینة نيسابور وشاذياخ - کورة نيسابور - طوس والمشهد - يهوق وسبزوار - جوین وجاجرم واسفراين - استنوا وکرجان - رادکان وتسا واپورد - کلات - خابرهان وسرخس •

(۴۲۳ - ۴۳۸)

(ک)

الفصل الثامن والمشرون

خراسان (تابع)

ربع مرو - نهر مرغاب - مرو الكبرى وقراها - آمل وزم على جيحون -
مرو الروذ أو مرو الصفري وقصر الاخنف •
(٤٣٩ - ٤٤٨)

الفصل التاسع والمشرون

خراسان (تابع)

ربع هراة - نهر هراة أو هري رود - مدينة هراة - مالن والمدن التي في
أعلى نهر هري رود - بوشنج - كورة اسفزار - كورة بادغيس ومدنها - كنج
وستاق - رساتيق غرجستان والنور - اليامان •
(٤٤٩ - ٤٦١)

الفصل الثلاثون

خراسان (تتمة)

ربع بلخ في إقليم خراسان - مدينة بلخ والنوبهار - ناحية الجوزجان -
الطالقان والجرزوان - ميمنة أو اليهودية - الغارياب ، شرقان ، أنبار ، واندخود -
ناحية طخارستان - خلم ، سمنجان واندراية - ورواليز والطايقان - تجارات
خراسان وغلاته - المسالك في خراسان وقوهستان •
(٤٦٢ - ٤٧٥)

الفصل الحادى والثلاثون

ما وراء النهر (نهر جيحون)

بلاد ما وراء النهر اجمالاً - اسما جيحون (Oxus) وسيجون (Jaxartes) -
روافد نهر جيحون العليا - بدخشان ووخان - المقتل والوخش - القبازيان
والصنانيان ومدنهما - قنطرة الحجارة - ترمذ - الابواب الحديد - كالف
واخيسيك وفرير - بحر آرال أى بحيرة خوارزم - انجماد ماء جيحون شتاء •
(٤٧٦ - ٤٨٨)

الفصل الثانى والثلاثون

خوارزم

أقليم خوارزم - قصباته : كاث والجرجانية - أركنج القديمة والجديدة -
 خيوه وهزاراسب - انهار خوارزم والمدن التى على يمين جيحون ويساره -
 المجرى الاسفل لجيحون الى قروين - تجارات خوارزم وغلاته •
 (٤٨٩ - ٥٠٢)

الفصل الثالث والثلاثون

الصغد

بخارا والمدن الخمس داخل أسوارها - بيكد - سمرقند - جبل البشم ونهر
 زرفشان أى نهر السغد - كرمية - دبوسية وربنجن - كش ونسف والمدن
 المجاورة لهما - غلات الصند وتجاراته - مسالك ما وراء جيحون حتى سمرقند •
 (٥٠٣ - ٥١٦)

الفصل الرابع والثلاثون

الاييم نهر سيحون

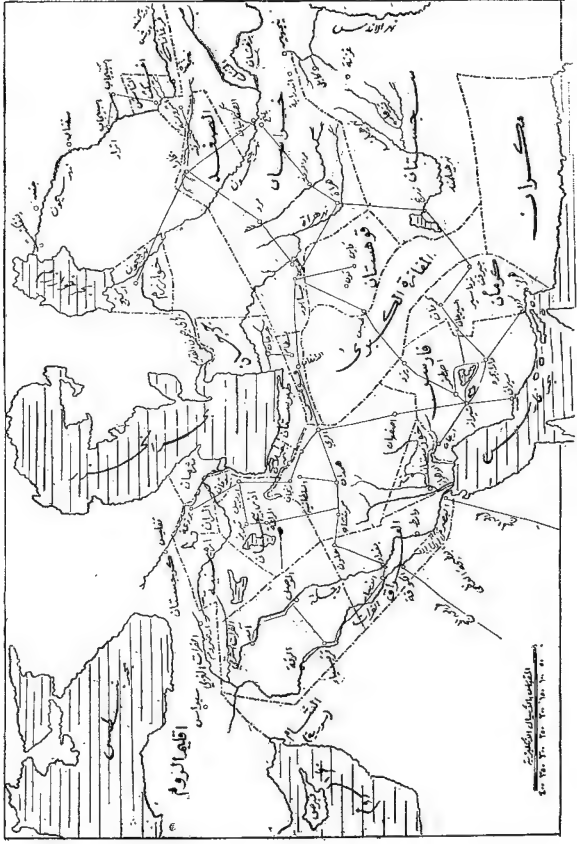
أقليم اشروسة - بونجكت دهي قصته - زامين والمدن الأخرى - أقليم
 فرغانة - نهر جكسارتس Jaxartes أى سيحون - اخسيك وانديجان -
 اوش واوزكند والمدن الأخرى - أقليم الناس أى بنك - بناكت أى شادرخية
 والمدن الأخرى - ناحية ايلاق ومدينة تونك • معادن الفضة فى خشت - ناحية
 اسيجاب - مدينة اسيجاب أى سيرام - جيمكد وقاراب أى اترار - يسى
 وصبران - جند وينفكت - طراز وميركى ومدن الترك الثانية - حاصلات أقاليم
 سيحون - المسالك التى فى شمال سمرقند •
 (٥١٧ - ٥٢٢)
 ٥٣٣
 فهرس الكتاب

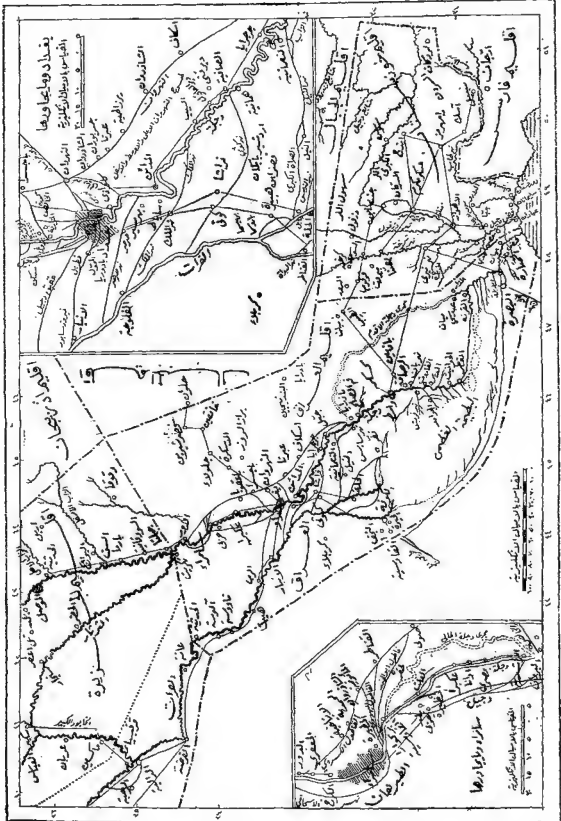
١ -	الفهرست البلداتى	٥٥	٥٥	٥٥	٥٣٥
٢ -	فهرست الاشخاص والاقوام	٥٥	٥٥	٥٥	٥٧٣
٣ -	الفهرست الممراتى	٥٥	٥٥	٥٥	٥٨٢

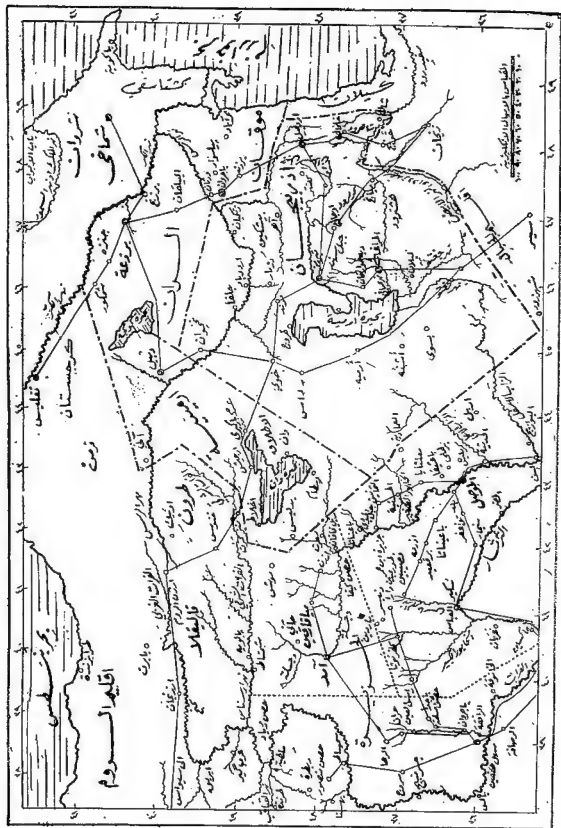
لبت الخوارط

رقم الخارطة	الصفحة
١ - أقاليم آسية الجنوبية الغربية فى أيام الخلافة	١٦
٢ - أقليم العراق وخوزستان ، مع قسم من أقليم الجزيرة	٤٠
٣ - أقليم الجزيرة واذربيجان ، مع أقاليم الحدود الشمالية الغربية	١١٦
٤ - بلاد الروم	١٦٠
٥ - أقليم الجبال وجيلان ، مع أقليم مازندران وقومس وجرجان	٢٢٤
٦ - أقليم فارس وكرمان	٢٨٨
٧ - أقليم مكران ، مع قسم من أقليم سجستان	٣٦٠
٨ - أقليم خراسان وقوهستان ، مع قسم من أقليم سجستان	٣٧٦
٩ - أقاليم نهري سيحون وجيحون	٤٨٠
١٠ - أقاليم خوارزم	٤٨٩

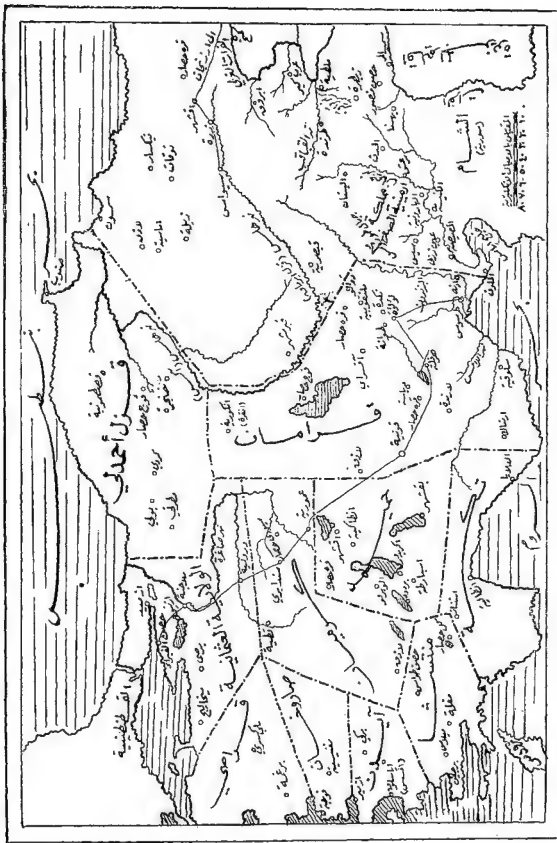
أقاليم آسيا الجنوبية الغربية في أيام الخلافة العباسية

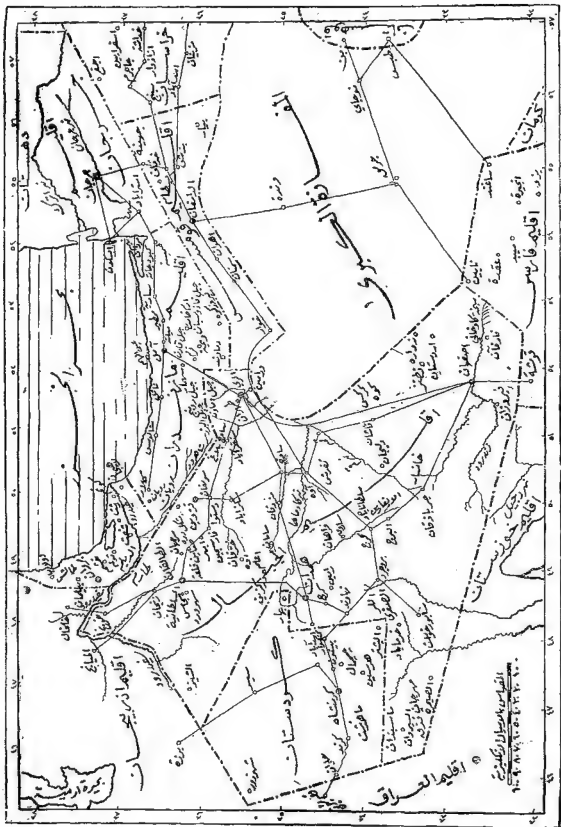


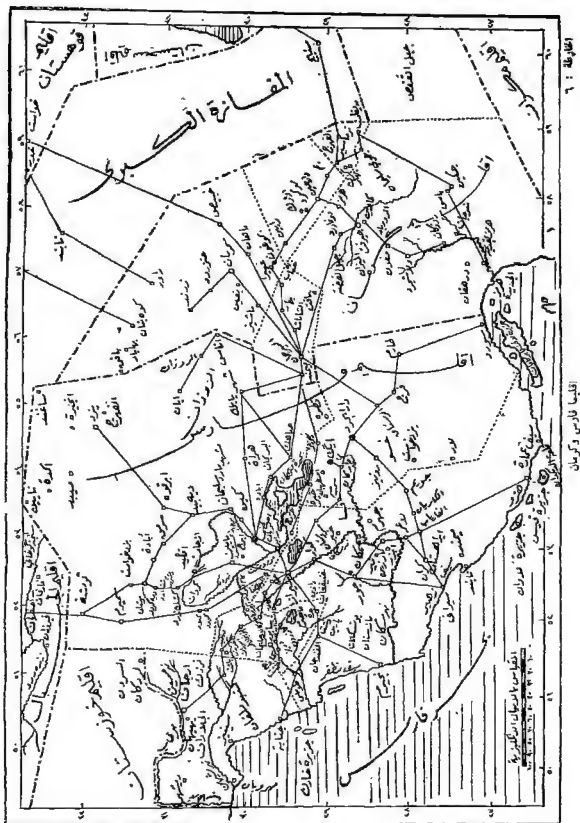


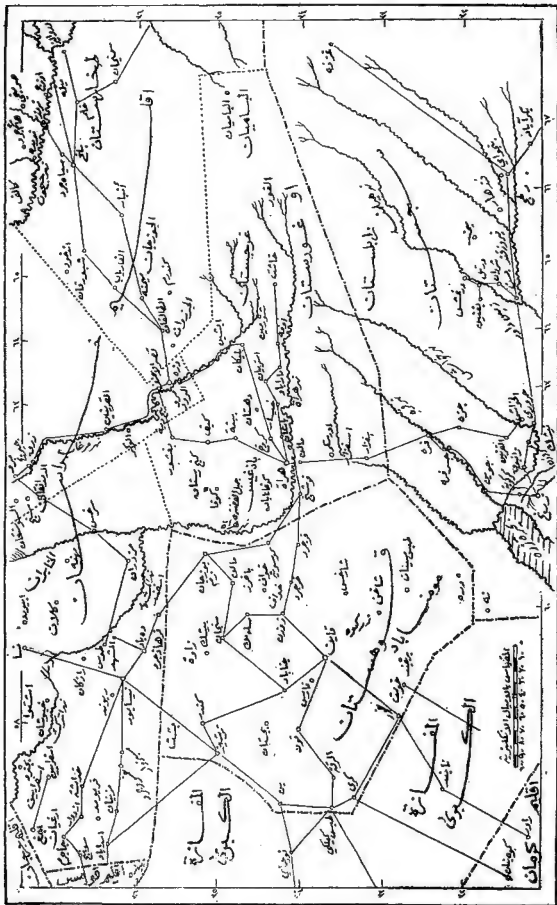


اقلية الجزيرة واذربيجان . مع اقاليم اشقوة الشمالية الغربية









اقلان شمال و جنوب و شمال و جنوب، مع قسم من اقليم سيجستان



صفحة

أقاليم الدولة العباسية

من العراق الى الماص الشرق

مقدمة الترجمة

عني المؤرخون المسلمون الأقدمون عناية كبيرة. بوضع التصنيفات البدائية : من معجمات ورحلات ومسالك وخطط وخوارط ومصورات ، تناولوا فيها بالوصف والتخطيط أقاليم العالم المعروف في أيامهم . فلم يدعوا شاردة ولا واردة وقعت اليهم بالمشاهدة والمعاينة أو بالسماع والنقل الا دونوها في أسفارهم . فخلقوا لنا بذلك ثروة علمية ثمينة صارت مرجعا أساسيا لمن يبحث في جغرافيا البلاد الاسلامية وغيرها ، من الوجهة العمرانية والتاريخية والاقتصادية والخططية . ولا ريب في أن عناية الاولين بهذه الموضوعات ، كائن حوقل وابن خردادبه والمقدسي والاصطخري وياقوت ، انما كانت صفحة من صفحات النهضة العلمية التي ازدهرت منذ صدر الدولة العباسية .

والى اولئك المصنفين الثقات الذين كتبوا بالعربية ، ولا يتعدى زمنهم في الغالب المئة التاسعة للهجرة (المئة الخامسة عشرة للميلاد) ، نجد جماعة ممن كتب بالفارسية والتركية . وبعض ما كتبه هؤلاء مستمد من المصادر العربية وبعضه من زياداتهم . وتصانيفهم هذه لا يستغنى عنها الباحث في الجغرافيا التاريخية للأقطار الاسلامية ، ولا سيما ما تأخر زمنه عن اولئك المصنفين الاولين . وأشهرهم الحاج خليفة وأبو الفاضل .

وحين بدأ اهتمام الغربيين ببلاد الشرق - وميث ذلك أسباب كثيرة مختلفة - ، رأينا منهم من قصد هذه الديار مستطلما حال بلدانها وآثارها دارسا لغاتها وتاريخها . فصنعوا في ذلك الكتب وكتبوا المقالات وشعروا الجوارط . ومنهم من وجه همه الى مخططات اولئك المصنفين الاقدمين ، فأقبلوا عليها يتدارسونها ، وكانت يومذاك مخطوطات تفرق شملها في خزائن كتب العالم ، ويحققونها وينشرونها بالطبع ويتقنون بعضها الى لغاتهم . ومنهم من انصرف الى التأليف في الجغرافيا التاريخية

للبلدان الاسلامية بقلته ، مستمدا مادة بحثه من اولئك وهؤلاء جميعا .
ولعل في طليعة من يذكر من علماء هذا الصنف الاخير ، البحاث الانكليزي
المشهور كى لسترنج ، مؤلف هذا الكتاب الذى نضع ترجمته اليوم بين ايدي قراء
العربية . فقد ألّينا كتابه أجمعها مادة وأكثرها شمولا . حوى بين دفتيه صفة
الاقاليم الاسلامية من الفرات غربا حتى أقاصى ما بقلته الدولة العباسية فى أواسط
آسية شرقا . وهو الى ذلك كثيرا ما تناول زما تقدم عصر هذه الدولة وتاخر عنه
استيفاء للموضوع الذى يخاله . وقد رجع فى كتابه هذا الى امهات التأليف
البلدانية والتاريخية التى انتهت اليها من المصنفين المسلمين الاقدمين ، ويدخل فى
ذلك المطبوع والمخطوط ، كما رجع الى ما كتبه المستشرقون والرحالون من
أبناء الغرب .

وقد جعل المؤلف لكتابه هذا خوارط عديدة استند فى وضعها الى الخوارط
الجغرافية الحديثة وأثبت فيها التسميات القديمة حسبما هداه اليه علمه ودلته عليه
بحثه . فذكر فى هذه الخوارط أشهر كور الاقاليم الاسلامية ومدنها وقراها
وأنهارها ، مبيّنا ما كان يتخللها من مسالك ، فان حصل فى تسعين بعض الموانع شئ
من الوهم ، فمردّد ذلك فى التالّب الى أن كثيرا من التسميات لا يعرف من أمره اليوم
شئ ، ومبنى تسميته على الحدس والتخمين . ولا بد من القول ان متن الكتاب وخوارطه
وحدة متناسكة يكمل بعضها بعضا .

ثم ان المؤلف ، على ما بان لنا من تتبع النصوص التى نقلها من المراجع القديمة ،
كان أميناً فى نقلها حريصاً على رجع الفضل لدوبه . ولم يتردد قط فى أن ينوّه
بالمراجع الذى استقى منه ويزنه كلما نقل منه . وانّ وهم المؤلف أحيانا فى نقل
بعض النصوص أو فهمها على غير وجهها . على ما أشرنا اليه فى موطنه . فقد سبق
هو الى الاعتذار عن ذلك فى مقدمته ، يكون معظم مراجعه مكتوبا بالعربية
والفارسية والتركية ، وهى لغات قلّ من أجادها بها .

والمؤلف ، على ما سيرى القارىء ، ملّك من موضوعه ، خبير بدقائقه .
مطلع على اصوله وفروعه ، يتنقل فيه تنقل الماروف . وليس أدلّ على ذلك من
تصانيفه الكثيرة فى هذا الباب . وسيرد ذكرها فى ترجمة حياته .

ولقد راعينا في نقل هذا الكتاب ، أن تكون الترجمة العربية مطابقة للاصل . ولما كان المؤلف قد رجع الى جملة كبيرة من المصادر العربية القديمة ، متقياً فيها ونقلها منها ما يتعلق بموضوعه ، رأينا لزاماً علينا أن تعود الى تلك الاصول أنفسنا فنقل منها النصوص بالحرف الواحد أو نوفق بين جملة نصوص أدمجها المؤلف نفسه في صفة مدنية أو موضع ما . ونتقن من الفاظ الحضارة والعمران ومن تمايز تلك المصادر ما طابق سياق البحث في الاصل الانكليزي وتمشى مع اسلوب المصنفين الاقدمين في هذه الموضوعات . ولم نغفل مراجعة ما ظهر من كتب بعد تأليف هذا السفر . فاستعنا بها في استكمال بعض جوانب الموضوع بما أضفناه من حواش حشما اقتضى الامر ، وقد ذيلناها بحرف (م) .

ولا يسمناء ونحن نقدم ترجمة هذا السفر الى قراء العربية ، الا أن نشيد بفضل المجمع العلمي العراقي ، الذي رأى ما لهذا الكتاب من جزيل الفائدة وعظيم النفع ، فهدى لنا نقله الى العربية وأقر طبعه بنفقته ، وعني بشراء خدمة للعلم . فله منا أبلغ الشكر وأطيب التناء .

بشير فرنسيس كوركيس عواد

ترجمة لسترنج

مؤلف الكتاب

ولد لسترنج Guy Le Strange في هينستن هل بانكلترا سنة ١٨٥٤ ، وتوفي في كمبرج في ٢٤ كانون الاول ١٩٣٣ ، عن عمر ناهز الثمانين سنة .

أمضى لسترنج وقتا طويلا من عمره خارج بلاده ، فعاش في باريس مع امه . وهناك اتصل بالمستشرق موهل Julius Mohl ناشر الشهامة و مترجمها الى الفرنسية . فشوته الى درس اللتين الفارسية والعربية . وحضر في باريس دروس المستشرق ستانسلاس گويارد Stanislas Guyard في اللغة العربية . فحفظه هذه الدراسات الى زيارة بلاد فارس وهو في عتفوان شبابه ، فمكث فيها ثلاث سنوات (١٨٧٧ - ١٨٨٠) توفر في أمتائها على الوقوف على تاريخ هذه البلاد وأحوالها ولنتها . وكان من ثمار ذلك أن نشر سنة ١٨٨٢ بمشاركة هكراد Haggard قصة The Vizir of Lankuran بالفارسية مع ترجمة انكليزية لها ومعجم لافاظها وتعليق عليها . وفي سنة ١٨٨٦ نشر ترجمة قصة فارسية اخرى عنوانها The Alchemist . ونشر في سنة ١٩١٥ القسم الجغرافي من كتاب « نزهة القلوب » لمداة المستوفي القزويني

(*) استخلصنا هذه الترجمة من مراجع مختلفة لاسيا بما كتبه عنه سديقه المستشرق براون ، في مجلة الجمعية الانشورية الملكية JRAS الصادرة سنة ١٩٢٤ ، وما كتبه جريدة التايمس اللندنية في عددها الصادر في ١٢-٢٧-١٩٢٣ وقد تشغل علينا البروفسور ملوان Prof. Dr. M.E.L. Mallowan فبمت البنا بما ورد في هذه الجريدة وبصورة المؤلف المنشورة في آخر ترجمته هذه . (م)

مع ترجمة له ، فى سلسلة مطبوعات لجنة ك ب . وكان لسترنج من أعضاء هذه اللجنة العاملين .

ولكن أجلّ الميادين التى برز فيها لسترنج ورفقته الى مصاف كبار المستشرقين ، كان فى ما ألفه من كتب فى الجغرافيا التاريخية للبلاد الاسلامية . فقد نشر فى سنة ١٨٨٩ ترجمة لما كتبه المقدسى عن فلسطين فى كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » . وفى سنة ١٨٩٠ ظهر كتابه « فلسطين فى عهد الاسلام » *Palestine Under the Moalems* . وفى سنة ١٨٩٥ نشر قطعة من كتاب « عجائب الاقاليم السبعة » لابن سريون (سهراب) فيها صفة أنهار العراق والجزيرة ، مع ترجمة انكليزية وتعليقات وخارطة . وفى سنة ١٩٠٠ طبع كتابه الموسوم « بغداد فى عهد الخلافة العباسية » *Baghdad During the Abbasid Caliphate* . ثم أصدر فى سنة ١٩٠٥ كتابه « بلدان الخلافة الشرقية » *The Lands of the Eastern Caliphate* وهو هذا الذى تقدم اليوم ترجمته بالعربية .

وفى سنة ١٩١٢ نقل صفة اقليم فارس من كتاب « فارسنامه » لابن البلخى ونشره فى سلسلة كتب الجمعية الآسيوية الملكية . وقد ساهم أيضا فى نشر « تجارب الامم » لمسكويه الذى طبعت بعض أجزاءه لجنة ك ب . وله مقالات عديدة فى الجغرافيا التاريخية للبلاد الاسلام ، نشرها فى مجلة الجمعية الآسيوية الملكية منذ انتخابه عضوا فيها سنة ١٨٨٠ حتى وفاته .

ولقد ائجز لسترنج جسيم هذه التأليف الجليلة وهو يعانى ضعفا شديدا فى بصره ، آل به سنة ١٩١٢ الى المعنى . ولم يحل المعنى دون مواصلة نشاطه العلمى ، فكان يلجأ الى من يقرأ ويكتب له . وانكب وهو فى هذه الحال على دراسة الابابية فأنمر ذلك نشره سنة ١٩٢٠ « كتاب الاغانى الابابية »

The Book of Spanish Ballads • وفى سنة ١٩٢٦ نقل من الإسبانية
تاريخ « دون جوان الفارسى » Don Juan of Persia وفى سنة ١٩٢٨ نشر
حوادث « سفارة كلافيخو » The Embassy of Clavijo

والثف حول لسترنج كثير من الاصدقاء والمجيين به • وكان من اقرب
اصدقائه اليه • المستشرق براون E. G. Browne الذى مهد له السبل الى العمل
فى جامعة كمبرج حيث ألقى محاضرات كثيرة فى شتى المواضيع • وقد اشتغلا معا
فى لجنة كّب التذكارية • ولم تخل أيام لسترنج من تلميذ • شيخ أو شاب • يتلقى
عنه العلم بالفارسية أو العربية أو الإسبانية •



لسترنج فى اوغز ايامه

(من صورة لعرافية زودنا بها البرونسور ملوان)

مقدمة المؤلف

حاولت في هذه الصفحات ، أن أجمع في مجلد معتدل الحجم ما تفرق من أخبار في مؤلفات جغرافيي القرون الوسطى : العرب والفرس والترك من وصف بلاد العراق والجزيرة وفارس والاصقاع الدانية من آسية الوسطى • وما نقلتُ عنه من مراجع يبدأ بمصنفات المسلمين الاقدمين وينتهي بالمؤلفين الذين وصفوا استيطان هذه البلدان فيما بعد وفاة تيمورلنك - أى بعد الفتوحات الكبرى في آسية الوسطى - ففي وسعنا القول ان بالقرن الخامس عشر للميلاد ختمت العصور الوسطى في آسية •

وما السفر الذي أضعه بين أيدي القراء الا تكملة لكتاب « بغداد في عهد الخلافة العباسية » المطبوع سنة ١٩٠٠^(١) وصلة للبحث الجغرافي الذي بدأته يكتب « فلسطين في عهد الاسلام » الصادر سنة ١٨٩٠ •

ولكى احافظ على اعتدال حجم هذا الكتاب ، ضربت صفحا عن جغرافيا جزيرة العرب ووصف المدينتين المقدستين مكة والمدينة ، مع أن معظم هذه البلاد كان تابعا لدولة بنى العباس • وقد يتناول هذا الموضوع من هو أدري به منى من الباحثين فيكتب الجغرافيا التاريخية لجزيرة العرب ولعصر الفاطمية في الجانب الثاني من البحر الاحمر • ويصف أقاليم شمالى أفريقيا المختلفة وبلدان الخلافة العربية في الاندلس البعيدة التي ازدهرت على قصر عمرها • فحينذاك يتكامل علمنا بالبلاد الاسلامية •

وان أردنا أن يكون التاريخ الاسلامى ممتعا مفيدا وأن يفهم على حقيقته فهما صحيحا ، وجب علينا أن نبحث في الجغرافيا التاريخية للشرق الأدنى خلال

(١) نقل هذا الكتاب الى العربية وعلق عليه أسدا : بشير لرسييس ، وطبعه في بغداد سنة ١٩٣٦ •

المصور الوسطى بحثا مستفيضا شاملا . وها أنذا قد بذلت أول جهد في هذا السبيل . أما ما يفترق اليه هذا الكتاب من مزيد الناية به وجعله خيرا مما هو عليه الآن فانا أول المسلمين لذلك . ومهما يكن الأمر فقد مهدت الطريق لمن يتناول الموضوع من بعدى بما أشرت اليه في الحواشي من مراجع كل قول وبما قوّته من أغلاط كتاب سالفين ، فكان ما جئت به باكورة التأليف في وصف أقاليم الخلافة العباسية وصفا كاملا خلال هذه الحقة . وما كتابي هذا الا مجمل ولست أدعي أنه وعى كل واردة وشاردة ، فقد اضطررت للمحافظة على الحجم الذى أردته له ، الى تحاشي ترجمة نصوص الرحلات المنتهية البنا من مؤلفي الاسلام ترجمة كاملة . وعلى ذكر الرحلات أقول ان الحاجة تمس الى اصدار طبعة جديدة لكتاب « طرق البريد والسفر في بلاد الشرق » *Sprengrer, Post und Reise Routen des Orients* مصححة تصحيحا وافيا بالاستناد الى المتون المنشورة حديثا . ذلك بالرغم من أن ترجمة المسالك والممالك التى ألحقها الأستاذ دى غويه بطبعته لابن خرداذبه وقدامة ، قد سدت هذه الفجوة الى حد بعيد .

وقد ألحقت بوصف كل اقليم ، ذكر تجاراته وصناعاته على ما جاء فى المصادر التى اعتمدت عليها . على أن ما أوردته ليس الا نزرا يسيرا ، ومن أراد الوقوف على تجارات وصناعات الشرق الاسلامى فى المصور الوسطى ، فليرجع الى الفصل الموسوم بـ « التجارة والصناعة » من كتاب فون كريبس « تاريخ حضارة الشرق » *Culturgeeschichte des Orients* فهو ما زال خير ما كتب فى هذا الشأن .

ويرى القارئ بعد ثبت « مضامين » الكتاب ، أسماء البلدانين المسلمين مرتبة بحسب سياق زمنهم . وقد أشرت اليهم فى الهوامش بالحروف الاولى من أسمائهم . أما غيرهم ممن رجعت اليهم فى الحواشى ، فقد ذكرت أسمائهم كاملة لدى الاشارة الاولى اليهم فقط . ومن اليسير معرفة أسماء مؤلفائهم حين النقل منهم فى ما على المرة الاولى بالرجوع الى الفهرست الهجائى للوقوف على أول ذكر لهم فى الكتاب .

وسيقف القارئ فى الفصل التمهيدى ، على وصف موجز لمؤلفات

البلدانيين العرب • وكنت قد بسطت القول فيها في كتاب « فلسطين في عهد
الاسلام » Palestine Under the Moslems •

ولقد ذكرت السنين بالتاريخ الهجرى مقرونة بما يوافقها من السنين الميلادية
(بين قوسين) • وأراني في غنى عن التطبيق على ما اتبعته في ضبط الاعلام :
فقد جريت فيه على الطريقة الشائعة الاستعمال • وحسبى أن أذكر أن حرف (و)
العربى يلفظ عادة (ث) بالفارسية وأن (ض - ظ) يلفظان بالفارسية (ز) ،
و (ث) يلفظ (س) •

ولا ريب في أن كتابا مثل هذا ، اعتمد في تأليفه على مصادر يكاد جميعها
يكون شرقيا ، قد يقع القارئ على هفوات جمة فيه • ثم انه لتعدد المراجع ،
لا مناص من الزلل • واني لأشكر فضل من يهديني الى صواب أو ينهني
الى سهو •

وأرجو أن يقدم غيرى على الناية بموضوع الجغرافيا التاريخية • فإن ظهر
كتاب غير هذا أوفى بحثا وأشمل موضوعا ، يكون كتابي قد أصاب الناية من
تمهيد الطريق الى ما هو أحسن •

لسترنج

خارج سان فرانسكو بوليفيرو رقم ٣
لدراسة - ايطالية
ايار ١٩٠٥

البلديون المسلمون

وقد رتب أسماءهم بحسب زمن تهايلهم

الاسم	السنة الهجرية	السنة الميلادية
ابن خرداذبه	٢٥٠	(٨٦٤)
قدامة	٢٦٦	(٨٨٠)
المقوي	٢٧٨	(٨٩١)
ابن سراييون	٢٩٠	(٩٠٣)
ابن رسته	٢٩٠	(٩٠٣)
ابن الفقيه	٢٩٠	(٩٠٣)
المسعودي	٣٣٢	(٩٤٣)
الاصطخري	٣٤٠	(٩٥١)
ابن حوقل	٣٦٧	(٩٧٨)
المقدسي	٣٧٥	(٩٨٣)
ناصر خسرو	٤٣٨	(١٠٤٧)
فارسنامه	٥٠٠	(١١٠٧)
الادريسي	٥٤٨	(١١٥٤)
ابن جبير	٥٨٠	(١١٨٤)
ياقوت	٦٢٣	(١٢٢٥)
التزويني	٦٧٤	(١٢٧٥)
مراسد الاطلاع	٧٠٠	(١٣٠٠)
أبو الفداء	٧٢١	(١٣٢١)
المستوفي	٧٤٠	(١٣٤٠)

الاسم	السنة الهجرية	السنة الميلادية
ابن بطوطة	٧٥٦	(١٣٥٥)
حافظ ابرو	٨٢٠	(١٤١٧)
على اليزدى	٨٢٨	(١٤٢٥)
جهان نما	١٠١٠	(١٦٠٠)
أبو القاضى	١٠١٥	(١٦٠٤)

الفصل الاول

تقديم

بلاد ما بين النهرين وفارس والبلخيا في أيام الخلفاء العباسيين - الأقاليم في
الأطراف الشمالية الغربية والشمالية الشرقية - الطريق من بغداد الى
الحاس حدود بلاد الاسلام - البلخانيون المسلمون وتضاريفهم
- المؤلفون الآخرون - أسماء الموانع في
الأقاليم العربية والتركية والفارسية .

كانت بلاد العراق والجزيرة وفارس تؤلف مملكة الأكاسرة الساسانيين التي
قضى عليها العرب قضاء مبرما حين ساروا لهداية العالم الى الاسلام بعد وفاة النبي
محمد . أما الروم البيزنطيون ، وهم الدولة السطى الثانية التي هاجمها المسلمون ،
فلم يفلحوا كل الفلبة ، بل استولوا على أقسام متفرقة من أقاليمها الغربية ، لا سيما
سواحلها المطلة على جنوب البحر المتوسط وشرقه . وأما في غير ذلك ، فقد أفلح
القيصرة في صد تقدم الخلفاء ، وظلوا على ذلك قرونا عدة . بل ان دولة الروم
عاشت حتى سنة وثمنا بعد زوال الخلافة العباسية .

على أن العرب اكتسحوا مملكة الساسانيين وأخضعوها لسلطانهم . أما
يزدجرد آخر الأكاسرة فقد اعترضه بعضهم وقتله^(١) . وانضوت بلاد فارس كلها
الى الاسلام . وكانت دولة الخلفاء الذين اضطلموا بتدبير الملكة الفارسية الماهرة
قد نهجت نهج الأكاسرة في الحكم . ولاسيما في أيام العباسيين الذين غلبوا
خصومهم الأمويين بعد وفاة النبي بقرن وثيف من الزمن ، ونقلوا قاعدة الخلافة
من الشام الى العراق ، وأسسوا بغداد على دجلة ، على بضعة أميال فوق طيسفون

(١) ولانطلاق على تفصيل ما كان من نراد يزدرجرد ومقتله . راجع : فوج البلدان للبلاندي
(ص ٣١٥ - ٣١٦ طبعة ليندن) وتاريخ الطبري (١ : ٣٨١ - ٣٩٢ طبعة ليندن) . (م)

عاصمة الساسانيين الشتوية الاولى . وسرعان ما أصبحت بغداد قاعدة الدولة الاسلامية فى الشرق . ولكن هذه الدولة منذ أيام أول خلفاء بنى العباس ، لم تحافظ على وحدتها ، ولو اسمياً . فانفصلت عنها الاندلس ، وما عثم أن قام فى قرطبة خليفة أموى زاحم خليفة بغداد العباسى . ولم يمض قرن وبعض قرن على قيام دولتهم حتى أفلتت مصر من أيديهم . فحين أعلن أمير قرطبة الاموى نفسه أميراً للمؤمنين فى الاندلس ، كانت السلطة قد انتقلت فى مصر الى الفاطميين الذين أخذوا بنظام الخلافة أيضاً ، وبنوا طاعتهم لبغداد . أما الشام فقد كانت تواكب مصر فى أغلب الاحيان . وأما جزيرة العرب فكانت تتنازعها الاثنان . أما فى الشرق البعيد ، فقد استقلت أقاليم كثيرة عن الخليفة العباسى ، بيد أنها لم تتم فيها خلافة تساوى بغداد^(١) . وبالأجمال فجميع تلك الأقاليم الواسعة التى كانت تؤلف المملكة الساسانية قبل الاسلام ، لبثت حتى الأخير خاضعة لخلفاء بنى العباس خضوعاً اسمياً ، ان لم يكن حقيقياً . فإن هاتيك البلاد المترامية الأطراف التى يحدها شرقاً صحارى آسية الوسطى وجبال أفغانستان ، وغرباً دولة الروم البيزنطيين ، كانت منقسمة الى أقاليم عديدة متبسط فى صفة أحوالها فى الفصول الآتية من الكتاب . وقد ظلت أسماء الأقاليم وحدودها فى أيام العرب على ما كانت عليه فى أيام الأكاسرة فى الغالب (على ما انتهى اليه علمنا) . فالشرق فى واقع الامر ، لم يتغير الا قليلاً بحيث ان الاسماء والحدود لم يطرأ عليها تبدل يذكر حتى يومنا هذا ، وإن كانت أحوال البلاد السياسية وأوضاعها الاقتصادية أى المادية قد تغيرت على ما هو متناظر تغيراً كبيراً فى خلال الالف والثلاثمئة سنة الأخيرة .

وقبل أن أتوغل فى هذا الموضوع ، أرى أن أوجز القول فى هذه الأقاليم المختلفة تبعاً لسياق ورودها فى الفصول الآتية .

فالأقليم السهل العظيم الذى أطلق عليه اليونان اسم « ميزوبوتامية » Mesopotamia (أى ما بين النهرين) ما هو الا هبة الرافدين : الفرات ودجلة . وهذا النهر الأخير (على ما سنين فى الفصل الثانى) لم يكن مجرىه الاسفل أيام

(١) سيأتى فى الفصل الثانى عشر ، كلام المؤلف على مدينة « خشم » وإن الدائم العلوى كان يحكم فيها حكم السلطان المستقل ولا يتصرف للخليفة بالامامة ، هذا إذا لم تذكر صاحب الزنج فى البصرة على غيرها من قاعدة الخلافة (م) .

المبشرين فيما هو عليه اليوم . ونظرة واحدة الى الخارطة ترى أن بادية العرب القاحلة ، تمتد حتى طف الفرات الغربي ، اذ ليس لهذا النهر روافد في يمينه . أما دجلة ، فحاله خلاف ذلك ؛ لأن الجبال الايرانية تبعد مسافة كبيرة عن شقيقه ، فتتحد منها جداول كثيرة تؤلف روافد عدة لدجلة تصب في يساره . وقد ورت المسلمون عن الساسانيين في العراق نظاما للرعى جعل هذا الاقليم من أخصب بلاد الدنيا^(١) . وتستبسط في ذكر هذا النظام . ولكن نكتفي الآن بالقول ان العرب كانوا يسقون أرض ما بين النهرين بتحويل الفائض من ماء الفرات الى جملة أنهر تأخذ من الفرات الى دجلة محترقة سهول ما بين هذين النهرين . أما الارض من شرقي دجلة حتى سفوح جبال ايران ، فقد كان بعضها تسقيه أنهار تتحد من هذه الجبال ، وبعضها تسقيه جملة أنهار تخرج من دجلة وتعدو اليه في جانيه اليسر . وكانت هذه الانهار تستوعب مياه فيضانات كثير من الانهار الصغيرة التي تنبع في الجبال الشرقية .

وقد قسم العرب بلاد ما بين النهرين الى اقليمين : الاسفل والاعلى . وفوام الاقليم الاسفل أرض الرسوب الحصبة وهي بلاد بابل القديمة ، وقد عرف هذا الاقليم بالعراق . وحدته الشمالي (وقد اختلف باختلاف الازمان) خط يمتد من الشرق الى الغرب مبتدئا من دجلة ومنتها بالفرات ، حيث يأخذ هذان النهران باقتراب أحدهما من الآخر في السهل الذي بينهما . ولا ريب أن أكبر مدن العراق في أيام بني العباس كانت بفساد . ولكن قبل قيام الدولة العباسية بقرن ٨ شمسا

(١) قلنا : بل ان قدماء المصريين ، منذ أمد العصور ، قد وجعوا جل عنايتهم الى مياه الرافدين . فانما السدود وحفروا الانهار لتضييق مياه الفيضان وارواء الاراضي الصالحة للزراعة - فنعسا من ذلك نظام للرعى تعاضل كل رعايته وتخصيبه السومريون والاكديون والبابليون والاشوريون . وبقيت ذلك ما يرى من معالم الانهار القديمة للمدرسة الكثيرة في جميع انحاء العراق وما يرى بجانها وبطرفها من تلك الريف القوي والمدن . ففي شمال العراق ، أوقفنا التحريات الاثرية على الانهار التي شقها الاشوريون في المناطق الجبلية وفيها لارواء عراضهم ، يذكر منها مطروح ادواء كاليج من نهر الزاب الاثلي . واروا . يبنى من نهر الكومل . وارواء اربل من مياه رادي ياستورة . وفي وسط العراق وشرقيه وجوبيه ، شقت أنهار كثيرة ، كان يأخذ بعضها من بين دجلة وفساده . مثل : الفهوان وكان يصر عند البابليين باسم ناردان ، ودجيل . وبعضها كان يأخذ من يسار الفرات الى دجلة مفتوحا اداسط وادي الرافدين لارتفاع وادي الفرات من وادي دجلة . وقد ذكر طه باقر في كتابه « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » (١ : ٢٧٢) أسماء بعضها وهي باتي انليل ، الذي عرف بنهر هيس في العصر العباسي . وناشاري أي نهر الملك وقد عرف في العصر العباسي بنهر ملكا أو نهر الملك . ونهر كروبي وكان قرب مدينة كروبي البابلية . ونهر النيل وكان يأخذ من الفرات في شمال بابل ونهر بديفة كيش . ونهر كان يأخذ من بين دجلة فيستصب في منطقة الخراف الحالية الى اراضي مسجلة لكثير وسرى حفره الى أحد ملوك مدينة لكش (تلو اليوم) في نحو سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد . (د)

المسلمون الاولون بعد فتح العراق ، ثلاث مدن كبيرة : واسط والكوفة والبصرة . ظلت هذه المدن مزدهرة بضعة قرون ، وكانت هي والانباء (والانباء مدينة من أيام الساسانيين)^(١) التي على الفرات في خط عرض بغداد ، أكبر المدن الآهلة في اقليم العراق أيام بنى الساس .

وتمتد في شمال أرض الرسوب ، السهول الصخرية في أعلى ما بين النهرين . وهناك قامت مملكة نينوى في العصور القديمة . وقد سمي العرب بلاد ما بين النهرين العليا بالجزيرة ، لأن تلك السهول العظيمة تحيط بها مياه أعلى الفرات ودجلة والأنهار التي تنصب فيها جنوبى السهول الصخرية . ويمتد اقليم الجزيرة شمالا حتى الجبال التي ينبع فيها هذان النهران العظيمان . وكانت الجزيرة تنقسم الى ثلاثة أقسام ، نسب كل قسم منها الى القبيلة العربية التي نزله أيام الاكاسرة . وأشهر مدنها : الموصل وهي على مقربة من أطلال نينوى ، وأمد في أعلى دجلة ، والرقعة على عدوة الفرات الكبرى بالقرب من طلف البادية . وفي أقصى الطرف الآخر من هذه البادية مدينة دمشق .

ويصف الفصل الذى يليه ، البلاد الجبلية التي يخرج منها النهران التومان ، وهما منبعا الفرات . وهذه البلاد قد تناوبتها أيدي العرب والروم . فقد كانت مدنها وحصونها تارة بيد المسلمين وتارة بيد النصارى ، بحسب مد الحرب وجزرها بينهم . ولم يستقر العرب في هذه الاصحاق ، ولهذا جاء وصفها في مصادرتنا الاولى مختصرا في القالب . ونظير ذلك ما كان من أمر الاقليم المعروف ببلاد الروم بل بمدى أوسع : فقد لبث هذا الاقليم حتى النصف الاخير من المئة الخامسة للهجرة (المئة الحادية عشرة للميلاد) جزءا لا يتجزأ من دولة الروم البيزنطيين ومرجع ذلك أنه كان يفصل بين هذا الاقليم وبين بلدان الخلافة ، حاجز عظيم وهو جبال طوروس . على أن المسلمين كانوا في نحو كل سنة يفتزون بلاد الاناضول عابرين دروب جبال طوروس . ولقد حاصروا القسطنطينية غير مرة

(١) يؤخذ من دراسة وارد W. H. Ward . وعلبرت Hilprecht لآلاف الانباء ان مدينة كانت قائمة في هذا الموضع قبل ان يخطه فيه الملك الساساني سابور الثاني (٣١٠ - ٣٧٧ م) مدينة سنة ٣٥٠ م باسم فيروز سابور وهي التي عرفت بالانباء . (انظر دائرة المعارف الاسلامية ، مادة « الانباء ») (م)

دون جدوى وأقاموا فى بعض الاوقات حاميات ، واستولوا على حصون فى هضبة آسية الصغرى ، أما فى ما عدا ذلك فلم يكتب لحلفاء بنى العباس الاستيلاء على تلك البلاد . فقد غزوا غزوات كثيرة فى آسية الصغرى ، دون أن يتاح لهم أخذ رقعة فيها . ولم يتوطد حكم المسلمين هناك حتى ضعفت الخلافة فحل " السلاجقة الاتراك فى هذه الهضاب التى غنموها من البزنطيين ، فصارت آسية الصغرى ، أى بلاد الروم أخيرا ، من جملة ديار المسلمين . وهى ما زالت على ذلك . وفى شرق اقليم الجزيرة العليا ، وهى بلاد ما بين النهرين ، اقليم اذربيجان . وقد عرق قديما باسم " أتروباين " Atropatene ويحدّه من أعلاه نهر أرس Araxes ومن أسفله النهر الابيض وهو " سفيد رود " ، وكلاهما يصب فى بحر قزوين . وأبرز الموارض الطبيعية فى هذا الاقليم ، البحيرة الملحة الكبرى المعروفة الآن ببحيرة أرمية ، وبقرىها تبريز ومراغة قاعدتا الاقليم . وإلى شرقها : أردبيل ، وهى من كبار مدته وأقربها الى بحر قزوين . وتناول الفصل الذى يليه ، جملة أقاليم صغيرة على الحدود الشمالية الغربية . أولها جيلان أو جيلان ، على بحر قزوين حيث يشق سفيد رود جبل البرز وهو الحاجز الجبلى فى الهضبة الايرانية . ويجرى هذا النهر فى سهل رسوبى كونه الغرين فألف دلتا صغيرة فى داخل بحر قزوين . وتناول هذا الفصل أيضا صفة اقليم موقان ، وهو عند فم نهري أرس والكر ، Cyrus المتحد . واقليم أران الى غربه ، وهو بين هذين النهرين . واقليم شروان فى شمال الكر ، وكرجستان ، وجورجية ، عند منابعه . وفى آخره : أرمينية الاسلامية عند منابع أرس وهى الاقليم الجبلى المحيط ببحيرة وان .

وفى جنوب شرقى اذربيجان ، اقليم ماذى الحصب الذى أحسن العرب فى تسميته باقليم الجبال . فان جباله تشرف على سهل ما بين النهرين الاسفل . وهذه الجبال تمتد شرقا حتى تبلغ حدود المغارة الكبرى فى أواسط ايران . ولما علا شأن الاكراد وعظم أمرهم فى الازمنة الاخيرة ، عرف القسم الغربى من اقليم الجبال بکردستان . وسيمرّ بنا أن اقليم الجبال فى القرون الوسطى غالبا ما أخطأوا فى تسميته بال عراق السجى تمييزا له عن العراق العربى الذى يراد به بلاد

ما بين النهرين السفلى . وفي اقليم الجبال ، مدن كثيرة : ففي الغرب كرمانشاه
وهمدان (وهى اكبتانا Ecbatana القديمة) . وفي الشمال الشرقى : الرى
(وهى Rhages) . وفي الجنوب الشرقى : أصفهان . ثم ابنتى مقول فارس
مدينة السلطانية فى سهول هذا الاقليم الشمالية ، وقد أخذت مكان بغداد حينما من
الزمن فأضحت قاعدة هذا القسم من دولتهم التى كانت تتألف فى أيام الابلخانيين من
بلاد ما بين النهرين وفارس . وكانت تخرج من جبال « اقليم الجبال » أنهار كثيرة ،
منها كارون ، وقد سماء العرب دجيل (تصغير دجلة) . وهذا النهر بعد أن
ينساب فى مجرى طويل متعرج يصب فى رأس خليج فارس الى شرق المصب
المشترك للفرات ودجلة .

أما اقليم خوزستان ، فهو فى جنوب ماذى وشرق العراق ، على جانبى
المجرى الأسفل لنهر كارون ، أى دجيل وفروعه المديدة . كان هذا الاقليم
عظيم الحصب وافر الخير . وأشهر مدنه كستر والاهواز . ولوفرة مياهه زكت
غلات أرضه . وفى شرق خوزستان على الخليج ، اقليم فارس العظيم . وهو بلاد
برسس Persis القديمة مهد المملكة الفارسية . وقد ظل هذا الاقليم فى
أيام الساسيين منقسما الى خمس كور على نحو ما كان عليه فى عهد الساسانيين .
وكانت فارس مكتظة بالمدن الصغيرة والكبيرة . وأجلها شيراز قاعدة الاقليم ،
واصطخر (پرسپولیس Persepolis) ويزد ، وأرجان ، ودار أبجرد .
وكانت جزر الخليج تعد من أعمال فارس . وكانت جزيرة قيس مركزا تجاريا
ذا شأن قبل نشوء مدينة هرمز . وأبرز العواض الطبيعية فى فارس بحيرة
بختيكان الكبرى الملحّة ، وربع مائة أخرى أصفر منها منتشرة فى وديان الهضبة
العريضة . وما فى هذا الاقليم من جبال ، تشعب من سلاسل اقليم الجبال ، وقد
مرت الاشارة اليه . وصارت كورة دار أبجرد فى فارس اقليما قائما بنفسه فى
أيام المغول . وكانت تسمى فى الملة السابعة (الثالثة عشرة للميلاد) شيان كاره
وفى أواخر المصور الوسطى ألحقت كورة يزّد أيضا باقليم الجبال .

وفى شرق فارس ، اقليم كرمان . وهو دون سالفه خصبا لحلوله من الانهار
تقريبا . ولتأخضه المغارة الكبرى . وكان لهذا الاقليم قصبان فى أيام الساسيين ،

وهما : السرجان وكرمان . وأشهر مدنه : هرمز على الساحل وجيرفت في الداخل ، وكانت مدينة رائجة التجارة . وأبرز العوارض الطبيعية في هضبة إيران العالية : المفازة الكبرى في وسط بلاد فارس . وهذه المفازة مقفرة ملحة مترامية الاطراف ، تنحرف باتجاه الجنوب الشرقي قاطعة بلاد فارس من الرى في لطف الجبال المشرق جانبها الشمالى على بحر قزوين . وهى تنبسط كتطابق عريض يندمج طرفه الاسفل بجبال مكران ، الاقليم المتاخم للمحيط الهندي . وفي هذه المفازة واحات قليلة وتغطى الاملاح رقعة واسعة من سطحها المجذب . على أن عبور المفازة هين شتاء ففيها مسالك كثيرة واضحة المعالم تربط بين المدن القائمة على جوانبها . ومع ذلك فإن هذه المفازة الكبرى حاجز يحول دون الاتصال الدائم بين اقليمى فارس وكرمان ، وهما في شفيرها الجنوبي الغربي والاقليمين الشرقيين فيما على حدها الآخر ، ونعنى بذلك خراسان ومعه سيستان في جنوبه الشرقي . وكان لهذا الحاجز الصحراوى أثر كبير في تاريخ بلاد فارس خلال جميع ادواره . ويبد أن ذكرنا في هذا الفصل ما انتهى اليه من أقوال البلدان المسلمين في المفازة الكبرى ، تناولنا بالبحث اقليم مكران الذى يصاحب الهند من شرقه ويصعد المرتفعات المشرقة على وادى الاندس (Indus) ويعرف قسم منه اليوم ببلوچستان . على أن مراجعنا لم تستوف صفة هذه الانحاء .

والى شمال مكران ، عبر أخيق أقسام المفازة ، بازاء كرماني ، اقليم سجنستان أى سيستان . وهو في شرق زره ، البحيرة الواسعة الضحلة . ويصب في هذه البحيرة نهر هلمند وغيره من الانهار الكثيرة المتحدرة من جبال أفغانستان الشاهقة - فوق كابل وغزنة - الى الجنوب الغربي . وفي هذا الموضع مدينة قندهار . وهى في سهل يحف به رافدان من روافد هلمند . ومدينة زرنج قاعدة سجنستان ، عند مصب هذا النهر الكبير في بحيرة زره . وفي شمال غربى بحيرة زره ، على شفير المفازة الكبرى ، الاقليم الجبلى المسمى قوهستان (أى بلاد الجبال) وأشهر مدنه : تون وقاين وقد ذكرهما ماركو بولو في رحلته معا باسم تنوكين

(Tunusain) ^(١) ويؤلف اقليمًا سجستان وقوهستان حدود خراسان الجنوبية وهو الاقليم الشرقي العظيم في بلاد فارس .

ويحسن بنا قبل أن نصف هذا الاقليم الاخير الاشارة الى الاقاليم الصغيرة الثلاثة : قوس وطبرستان وجرجان وهي موضوع الفصل المقبل . قوس وقصبة الدامغان ، يمتد بحذاء الحافة الشمالية للمفازة الكبرى شرقي الري . وفيه السفوح الجنوبية لجبال ألبرز التي تفصل هضبة ايران العالية عن بحر قزوين . وهذه الجبال ، ولاسيما جانبها الشمالي ، تتحدّر الى بحر قزوين وتؤلف اقليم طبرستان المسمى أيضًا مازندران ، الممتد من كيلان ودلتا النهر الابيض (سفيد رود) في الغرب الى الزاوية الجنوبية الشرقية من بحر قزوين . ويتصل هاهنا اقليم طبرستان بجرجان ، أي كركان ، وهو هر كانية (Hircania) القديمة ، وفيه الاودية التي يسقيها نهر اترك (Atrak) ونهر جرجان . وعلى هذا الاخير تقوم مدينة جرجان . ويمتد اقليم جرجان شرقا من بحر قزوين الى الصحراء التي تفصل خراسان عن الارض الزراعية في دلتا جيحون (Oxus) وهي التي يقال لها اقليم خوارزم .

واقليم خراسان الحالي ليس الا بقية للنصع الكبير الذي كان يعرف بهذا الاسم منذ أيام الساسيين حتى أواخر العصور الوسطى . فإن اقليم خراسان ، كان حينذاك يضم أيضًا ما هو اليوم شمال غربي أفغانستان . وكان يكتنف خراسان في العصور الوسطى نهر بدخشان من الشرق ونهر جيحون وصحراء خوارزم من الشمال . وقسم البدائيون المسلمون خراسان الى أربعة أرباع ، عرف كل ربع باسم قصته ، وهي : نيسابور ومرو وهراة وبلخ . وأبرز

(١) ماركو پولو Marco Polo سائح بندقى (ولد نحو سنة ١٢٥٤ ومات سنة ١٣٢٤م) رحل مع ابيه وعنه الى بلاد الشرق سنة ١٢٧١ م فساعد بلاد فارس وحضبة باير وصحراء غوبي . وعاش في بلاد قبلاى خان (لى بكين) منذ سنة ١٢٧٥ م وأصبح من العربى اليه . ثمعه غير مرة الى بلاد شتى ، وعلم كثيرا من لغات ولهجات الاقوام التي كان يعكها هذا الحان . وفي خلال ذلك زار يوتان قرب حدود التبت وشمال برما وكوشن شين وجنوبي الهند . وأقامه الحان حاكما على يامنجو . وفى نحو سنة ١٢٩٣م عاد الى البندقية وفيها كتب رحلته التي خشيها مشاهداته فى الصين والشرق وهي تعد من امن المصادر من العالم فى القلة الثالثة عشرة للبلاد . وقد ترجمت الى لغات كثيرة وطبعت غير مرة . (٢)

الموارد الطبيعية فى خراسان : النهران العظيمان ، نهر هراة ونهر مرو . ومخرجهما فى جبال البلاد المعروفة اليوم بأفغانستان ، وينعطفان شمالا ، ثم يفتى مأؤهما فى رمال الصحراء أمام خوارزم ، فلا يتهيان الى بحر أو بحيرة .

ويتناول الفصل الذى يليه أعلى نهر جيحون وصفة جملة أقاليم صغيرة تمتد من بدخشان فالى الغرب وتقع فى شمال هذا النهر العظيم وعلى روافد صفته اليمنى . وفى هذا الفصل أيضا وصفنا إقليم خوارزم وهو فى جنوب بحر آرال . وقوامه دلنا هذا النهر ، وقصته القديمة أركنج . وقد أفردنا بعض صفحات هذا الفصل لايضاح المجرى القديم لنهر جيحون الماد الى بحر قزوين ، وهو موضوع قد كثر حوله الجدل . ووراء هذا النهر ، فيما بينه وبين سيجون (Tasartes) ، إقليم الصفد وهو صفديانا (Soghdiana) القديم ، وفيه المدينتان الجليلتان : سمرقند وبخارى ، وهما على نهر الصفد . وهذا الفصل يسبق آخر فصول الكتاب . أما الفصل الاخير ، فيتناول بالبحث الاقاليم التى على نهر سيجون من إقليم فرغانة ، بالقرب من تخوم صحارى الصين ، وقاعدته أخسيك ، الى الشاش وهى طشقند الحديثة . كما يتناول إقليم أسيجاب فى الشمال الغربى . ووراء هذا الاقليم ينساب نهر سيجون حتى يصب فى أعلى بحر آرال مارا بالثبه الصحراوى القارس . ولم يذكر البلدانون العرب الاقدمون الا أخبارا مختصرة عن هذه الاقاليم الشمالية التى فى اقاصى الشرق فيما وراء آسية الوسطى . وتلك الاصقاع موطن الترك ولم تصبح ذات شأن الا بعد الفزو المغولى . وما يؤسف عليه أنه لم يتت الينا مما يمتد به من الاخبار عن هذه الحقبة الا النذر القليل . وفى الغالب لم يسعنا البلدانون العرب فى ذلك . وكان لنا الموض المؤلفين الفرس والترك ، ولكن ما انتهى الينا منهم مشوش لا يؤثق به .

وحين بلغت الدولة الاسلامية أقصى اتساعها فى أيام بنى العباس ، انشئ نظام محكم للطرق مركزه بغداد . فكانت الطرق الآتية من اقاصى الشرق تعبر دجلة ميمية شطر الحجاز لأداء فريضة الحج ، اذ على المسلمين الحج الى مكة ولو مرة واحدة فى العمر^(١) . وقد انتهت الينا من ذلك الزمن أوصاف وافية عن نظام

(١) وقد على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا (آل عمران : ٩٦) . (م) .

الطرق هذا (وقد وردته العرب عن مملكة الفرس القديمة)^(١) وفي وسعنا أن نجعل وصف أهم الطرق التي تخترق الأقاليم المار ذكرها في الفقرات السابقة .

وأشهر الطرق العامة : طريق خراسان العظيم الضارب إلى الشرق . وهو يربط العاصمة بمدن ما وراء النهر التي في تخوم الصين . ولعل هذا الطريق أوفر الطرق حفاظاً من وصف البلدانين له . يبدأ من باب خراسان في بغداد الشرقية ، ثم يقطع السهل عابراً أنهاراً عديدة فوق قناطر حصة البناء ، حتى يبلغ حلوان وهي أسفل الذرب المؤدى إلى جبال إيران . وهناك يدخل هذا الطريق إقليم الجبال . وبعد أن يصعد الجبال صعوداً حاداً ، يصل كرمشاه قاعدة كردستان فيجتاز إقليم الجبال من أقصاه إلى أقصاه باتجاه الشمال الشرقي ، ويمر بهمدان ، فالري . ومن الري فما بعدها يأخذ نحو الشرق في الغالب ، فيمر بقومس تاركا جبال طبرستان في يساره والمقازة الكبرى في جنوبه ، حتى يدخل إقليم خراسان قرب مدينة بسطام . ثم يتابع سيره فيأتي إلى نيسابور ، ثم إلى طوس حتى يبلغ مرو . وبعد أن يارح مرو ، يجتاز الصحراء فيبلغ حفة نهر جيحون عند آمل ، ثم إلى بخارى ، فسمرقند ، وهما في إقليم الصفد . وينشط الطريق في زامين ، وهي على مسافة قصيرة من سمرقند ، شطرين : الأيسر - يتابع سيره إلى الشاش (وهي شتقند الآن) ثم إلى معبر النهر عند أترار (Utrar) - في أسفل نهر جيحون . أما الشطر الثاني ، فلهي مبارسته زامين ، ينمطفئ بينما ثم يتجه إلى

(١) لنا : بل إن التطابقات الآرية أظهرت اتصال جنوب العراق بشماله بطرق عامة إلى أيام الإكديين والبابليين والآشوريين . وكانت طرق أخرى تربط عواصم العراق القديمة بحدوده . ويشير هذه الطرق كان يستدنيهاً تلك الحدود إلى غيره من الأنظار . وكان ملوك البابليين والآشوريين يسمون بهذه الطرق وينشؤون في نقاطها الدورية العسكرية الحصون ويقيمون الحاميات للمحافظة على سلامتها ولإمساك في الواضع القريبة من الحدود . وكانت هذه الطرق تسلكها قوافل التجار كما تسلكها الجيوش . ولاشك أن نظام الطرق هذا ، قد وجدته الفرس غالباً حين جعلهم إلى العراق وحكمهم له ، فأولوه عنايتهم لأنه يربط بين أجزاء ملكتهم ويوحدها من جهة ، ويوصلهم إلى بلاد أعدائهم في زمن الحرب من جهة ثانية . وظل هذا النظام غالباً حتى زوال الدولة العباسية في العراق بقدم العرب إليه بعد الإسلام فاستكمروا أمره ووسعوا شطوطه بما يتفق هو وسعة ملكتهم .

ولي أمهات الكتب التي رسمها علماء الآثار والباحثون في تاريخ العراق القديم ، شيء كثير من أخبار هذه الطرق وعناية القوم بها . وكذلك عنى بلغات العرب بهذا الموضوع فأفردوا له كتباً هربت بكتب المسالك . (م)

اقليم مرغانة ونهر سيحون الاعلى ، فيبلغ أخشيكت قاعدته • وينتهى أخيرا الى
أزكند على تخوم صحراء الصين •

هذا ما كان عليه طريق خراسان العظيم فى أقصى مداه • وما زال طريق
البريد فى يومنا هذا ، الذى يقطع بلاد فارس ومركزه طهران وهى قرب الرى
القديمة ، يقتضى ذياك الطريق الطويل نفسه الذى وصفه البلدانون العرب
الاولون • وبعد سقوط الخلافة العباسية ، تغير بعض نظام الطرق باتشاء مدينة
السلطانية التى أضحت قاعدة المفلول • على أن كل ما طرأ فى الواقع لم يكن الا
فتح طريق فرعى يتجه شمالا من همدان الى السلطانية التى صارت حيناً من الزمن
مركزا للطرق فى هذه الربوع بدلا من الرى •

وفى أوائل أيام الدولة العباسية ، كان يتشعب من المدن الكبرى التى على
طريق خراسان العظيم ، طرق من يسهل ويمينه ، تمتد الى سائر أنحاء بلاد
فارس • فكان يخرج من جوار كرمانشاه ، طريق يأخذ الى الشمال نحو تبريز
وغيرها من المدن التى على بحيرة أرمية • ولهذا الطريق شعب تنتهى الى اردبيل
والى مواضع على نهر أرس • ويخرج من همدان طريق نحو الجنوب الشرقى
الى أصفهان ، كما يخرج من الرى نحو الشمال الغربى الى زنجان طريق معروف
المسافات • ومنها طريق يؤدى الى اردبيل • وكانت نيلهايور فى خراسان مركز
طرق فرعية كثيرة يتجه أحدها جنوبا الى طبرس على شفير المفاضة الكبرى فى
قوهستان • وطريق آخر كان يذهب الى قاین وآخر يتجه نحو الجنوب الشرقى
الى هراة ثم الى زرنج فى سجستان • ومن مرو ، يبدأ طريق يحاذى نهر مرو
صاعدا الى نهر مرو الاصفر (أى مرد الرود) حيث يلتقى بطريق آت من هراة ،
فيصلى الى بلخ وأصقاع الحدود الشرقية فيما وراء نهر جيحون (Oxus) •
ثم أنه كان يخرج من بخارى ، طريق نحو الشمال الغربى يوصلها بأركنج فى
خوارزم • وطريق نحو الجنوب الغربى يوصلها بترمذ على نهر جيحون بأزاء بلخ •
وبهذا ، يكمل وصف نظام طريق خراسان وفروعه • ولنعهد الآن الى
مقداد ، لنجمل القول فى الطرق العامة الخارجة منها الى الجهات الأخرى •

فقد كان بانحدار دجلة ، الطريق المار بواسطة الى البصرة ، الميناء التجارى العظيم على خليج فارس ، وما فى هذا الطريق من مسافات ومراحل ، فى كسلا البر والماء ، معروف لدينا ، ومن واسط والبصرة ، كان يصل طريق الى الاهواز فى خوزستان ، ثم يشرق الى شيراز فى فارس . وكانت هذه المدينة مركزا لكثير من الطرق : طريق يذهب شمالا الى أصفهان ثم الى الرى ، وطريق نحو الشمال الشرقى يمر بيزد مخترقا المفازة الكبرى ، حتى يصل الى طبرس . وهذه تتصل بنيسابور . ويصل شيراز بالسيرجان وكرمان فى الشرق جملة طرق . ثم فى شرقيهما يصلها بزرنج فى سجستان طريق يخترق المفازة الكبرى . وكان يتفرع من شيراز طريقان : نحو الجنوب الشرقى والجنوب ، يؤدىان الى موانئ خليج فارس . أحدهما يمر بدار أبجرى الى سورو قرب هرمز ، والثانى الى سراس ، وكانت حينئذ من الزمن أجل موانئ إقليم فارس .

وإذا عدنا الى بغداد ، مركز الطرق العام ، ألفينا طريق الحج الى مكة والمدينة يبدأ من بغداد الغربية فيتجه جنوبا الى الكوفة على طيف البادية العربية ، فيقطعها بخط يكاد يكون مستقيما حتى الحجاز . وقد كان يخرج من البصرة طريق ثان للحج ، يسير فى يادى أمره فى موازاة الطريق الاول ، ويتقisan أخيرا على مرحلتين من شمال مكة . وكان يخرج من بغداد ، من شمالها الغربى ، طريق يصل الى الفرات عند الأنبار ، ومنها يصعد بحاذية النهر الى الرقة . وكان يخرج من الرقة طريق يخترق بادية الشام الى دمشق ، وطرق غيرها كثيرة تذهب شمالا الى ثغور الروم . ثم أنه كان يمتد من بغداد الى الشمال ، طرق تصعد الى الموصل فى جانبى دجلة . ومن الموصل كان هذا الطريق يصل الى آمد من جهة ، وإلى قرقيسياء على الفرات فى الجنوب الغربى من جهة ثانية . وكانت تخرج من آمد طرق تتصل بمعظم الثغور التى بازاء بلاد الروم .

هذا مجمل ما كانت عليه المسالك الخارجة من بغداد فى أيام الباسيين . وكانت تلك المسالك ، بما يتخللها من محطات للبريد ، تربط العاصمة بأقاليم الدولة الناشئة . ولقد عنى البلديون العرب بوصف هذه المسالك كل العناية وللرجوع الى ما كتبوه ، يحسن بنا أن نوجز القول فى اولئك القديمين بحسب

زمن كتابة تصنيفهم . فقل ما كتبوه كان اعتمادنا في ما أوردنا من أخبار في
فصول هذا الكتاب^(١) .

وأقدم أولئك المصنفين ، عاش في أواسط المئة الثالثة للهجرة (المئة التاسعة
للميلاد) . وأول ما دونه العرب في صفة البلدان من كتب ، كان في المسالك .
فإن هاتيك المصنفات تبسطت في ذكر مختلف الطرق ، وضمنت ذلك نبذا من
الأخبار عن المدن التي كانت تمر بها تلك الطرق ، وذكرت ما يرتفع من كل إقليم
من أقاليم الدولة من خراج وغلة . وفي طليعة ما ذكر مما في أيدينا من كتب
المسالك ، أربعة يكمل بعضها بعضاً ، لأن نصوصها في كثير من المواضع مخرومة .
ومؤلفو هذه الكتب من أهل المئة الثالثة (التاسعة) وهم : ابن خرداذبه وقدامة
واليعقوبي وابن رسته .

فلانسان الأولان يكادان يتفقان في مادتهما . فابن خرداذبه كان صاحب
البريد في إقليم الجبال ، وقدامة كان من عمال الحراج . وعلى ذلك فمسالكهما
قد ذكرت المسافات التي على طريق خراسان العظيم وغيره من الطرق الكبيرة
التي كانت تشعب من بغداد ، مرحلة مرحلة على ما يتنآه في الفقرات السابقة .
ومما يؤسف عليه ، أن كتاب اليعقوبي لم يتة إلنا كله . وقد تيسر لنا أن نصف
عاصمة العباسيين وصفا خططيا مفصلا بالاستناد إلى ما جاء عن بغداد في كتابه وفي
كتاب ابن سراييون . هذا إلى أن اليعقوبي أورد أخبارا ثمينة عن كثير من المدن
الأخرى ، وتفاصيل عن الطرق التي تخترق إقليم العراق مما لا وجود له في
غير كتابه . أما ابن سراييون ، معاصره ، فلم يصلنا من كتابه غير قسم^(٢) . وهذا

(١) وللأسف من أخبار بلدان العرب ، راجع الفصل المهيدي من كتاب فلسطين في عهد
الإسلام *Palestine under the Moslems* (لندن ١٨٩٠) وللوسع في الموضوع راجع
مقدمة الترجمة الفرنسية لتقويم البلدان لابي الفداء . يعلم رسو *M. Reinaud* (باريس ١٨٤٨) .
(٢) في سنة ١٨٩٥ طبع لسرنج في *JRAS* قطعه من هذا الكتاب نعا من نسخة خطية
فرسفة في المتحف البريطاني (رقم *Add. 23379*) تصف انهار العراق والجزيرة أي جيلة
والفرات وما يسب فيها أو يدخل منها . مع مقدمة وتلطين وترجمة إلى الانكليزية . وروسع غارطة
لانهار العراق مستعما في وضعها إلى هذا الوصف . وفي سنة ١٩٢٩ نشر المستشرق موزك في لينة
Hans V. Mzik مخطوطة المتحف البريطاني تعسا كلها بعنوان « محاليل الاقاليم السبية
إلى نهاية المسارة » لسهراب والكتاب يقوم من ١٩٢ صفحة . وما في طليعة لسرنج يرى إلى من
١١٧-١٢٨ و ١٢٩ من علم الطبعة الجديدة (م) .

القسم ، الى احتواله على صفة بغداد ، فان قيمته الكبرى في ذكر أنهار العراق والجزيرة . كما أن ابن سريون أوجز القول في صفة أنهار الاقاليم الأخرى . أما ابن رسته ، فقد صنف كتابا مماثلا لكتاب الجغوي ، وزاد عليه توبيه بالمدن ، الا أن أفضل ما جاءنا به هو تدقيقه في كلامه على طريق خراسان العظيم حتى طوس قرب المشهد ، وذكره ما تفرع منه من طرق لاسيما الذهاب من طوس الى أصفهان وهراة . ومثل ذلك وصف الطريق من بغداد فجنوبا الى الكوفة وإلى البصرة مع تمته المتجهة شرقا الى شيراز . وهو لم يقتصر على ذكر مسافات هذه الطرق ومنازلها ، بل وصف طبيعة الأرض التي تخترقها مبينا عما اذا كان الطريق في الجبال صاعدا أم هابطا ، أم كان الطريق في السهول . فوصف ابن رسته هذا كبير الشأن في تعيين الخطوط التي كانت تقطعها هذه الطرق وتبينت مواضع كثير من الاماكن الدارسة . ومن ثقات المؤلفين الآخرين : ابن الفقيه ، وهو معاصر لابن رسته فقد كتب كشكولا بلديا عجيبا جدا لم يته اليها لا لأصف غير مختصره . على أن بعض أقواله في الامكنة نافع في استكمال أخبار من تقدمه وتصحيحها^(١) .

أما البلدانون الذين نهجوا نهجا متسقا فيما كتبوا ، فكان أول ظهورهم في المئة الرابعة للهجرة (العاشرة لئيلاد) وقد وفوا القول في صفة كل إقليم من أقاليم الدولة الاسلامية ولم يذكروا شيئا عن المسالك الا عرضا . ولكنهم بوجه عام ذكروا ما في كل إقليم من طرق . ولا مراء في أن تصانيفهم أرقى من كتب المسالك ونحن مدينون لهم بالتفاصيل البدائية الواسعة التي سيقف عليها القاريء

(١) حقق البرونسور دى عويه مؤلفات ابن خردادنه ولغامة والجغوي وابن رسته وابن الفقيه ونشرها في المجلد الخامس والسادس والسابع من سلسلته الموسومة بـ « الجغرافية العربية » Bibhotheca Geographorum Arabicorum (لندن ١٨٨٥ الى ١٨٩٢) . وهو الى ذلك قد اضاف الى المجلد السادس ترجمة فرنسية الى الكتابين الاولين مع تعليقات كثيرة مهمة عليها . اما ابن سريون ، فقد لزم منه الجزء الذي يصف العراق والجزيرة في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية الصادرة سنة ١٨٩٥ ص ٩ وقد اعتمد في نشره على مخطوطة المتحف البريطاني رقم Add. 23379 . اما الجغوي فهو الى كتابه « البلدان » قد صنف كتابا في التاريخ نشره البرونسور هوتسما M. T. Houtsma ، بعنوان « تاريخ ابن واضح الحروف بالجغوي » (لندن ١٨٨٣) ونفس هذا الكتاب في الغالب اسبازا بلديا قيمة .

ولنا : كتابا الجغوي « البلدان » و « التاريخ » قد طبعا في النصف سنة ١٩٣٦ . وعنى المستشرق فييت G. Wiet ، بنقل كتاب البلدان الى الفرنسية وطبعه سنة ١٩٢٧ في لندن . (د)

فى تصانيف هذا الكتاب • وفى طليمة هؤلاء ثلاثة هم : الاصطخرى وابن حوقل
والمقدسى • فتصانيفهم زاخرة بالفوائد • وما كتاب ابن حوقل الا نسخة محدثة
موسمة منقحة لكتاب الاصطخرى • على أن الاصطخرى ، وهو من أهل اصطخر
(برسوليس) ، قد وصف فارس موطنه وصفا مسهباً فيه لا تجده فى ابن حوقل
الذى اختصر هذا الفصل عن فارس بالقياس الى سائر فصول كتابه • أما المقدسى ،
وقد عاصرهما ، فإنه كتب جغرافيته بأسلوب خاص يختلف عن سبقه • ذلك
أنه بناء على ما شاهده بنفسه فى مختلف الأقاليم • فعمل كتابه أعظم من كل ما
صنفته البلدانون العرب وأكثرها أصالة • فوصفه للأمكنة والعادات والطبائع
والتجارات والصناعات وتلخيصه لخصائص كل إقليم يمدان من خير ما كتب فى
سلسلة مصنفات العرب فى القرون الوسطى •

وبحسن بنا أن نشير الى أننا مدينون لأولئك البلدانين المهجيين الثلاثة فى
تصنيف معظم الاسماء التى ذكرت فى الحوارط الملحق بكتابنا تصنيفاً صحيحاً • فإنهم
أوردوا فى آخر كل فصل ثبناً بالمسافات ، أى منازل الطرق ومراحلها التى
وصفناها ، أو ما فى الأقليم المبحوث فيه من طرق • وهم الى ذكر الطرق ، قد
أشاروا الى عدد كبير من الطرق الفرعية التى بين المدن المجاورة • وهذه المسافات
التي سردوها ابتداء من نقاط معروفة قد أعانتنا على ملء الخارطة بشبكة من نقاط
الثلاث ، فأوفقتنا على مواضع بعض المدن التى مضى زمن طويل على اتداسها
وزوال معالمها فى معظم الأحوال ، فتسنى لنا تعيينها فى الخارطة بوجه تقريبي •
مثل ذلك مدينة توج فى بلاد فارس : فإنه لم يتحقق موضع خرائثها الى اليوم ،
وإن كنا قد تمكنا الآن من تعيين موضعها فى الخارطة ضمن أضيق نطاق • ومن
مؤلفي الملة الرابعة أيضاً (المباشرة) : المسعودى • فقد صنف كتابين : أولهما
تاريخى فى مجلته وهو « مروج الذهب » وثانيهما من التصانيف الجامعة الزاخرة
بأخبار ونوادر غريبة وهو كتاب « التنبيه والاشراف »^(١) •

(١) يؤلف كتب الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى • المجلدات الاول والثاني والثالث بالتصانيف
من السلسلة التى سبق ذكرها باسم « الخزانة الجغرافية العربية » (ليند ١٨٧٠-١٨٧٧) • أما
كتاب التنبيه والاشراف للمسعودى فقد حققه البريلفسون فى غوييه وادمره فى المجلد الثامن من السلسلة

فاذا انتهينا الى المثة الخامسة والسادسة (الحادية عشرة والثانية عشرة) ،
 أصبنا كتابين حاجيين من مشاهير الرحالين ، ووصفهما لما مر به من أماكن كبير
 الشأن . أحدهما ناصر خسرو ، وهو رجل فارسي خرج حاجاً من خراسان في
 منتصف المثة الخامسة (الحادية عشرة) الى مكة ، ثم عاد اليها بعد طوافه بمصر
 والشام واختراقه الجزيرة العربية . وبوميته التي دوتها بالفارسية من أقدم ما وقع
 لنا في هذه اللغة من تصانيف ويمده بقرن خرج ابن جبير الرحالة العربي
 إلى تدليسي حاجاً من غرناطة . ووصفه للعراق ، ولا سيما بغداد ، من ازروع
 ما انتهى اليها . ومن التصانيف الفارسية الواصلة اليها من اوائل المثة السادسة
 (الثانية عشرة) مؤلف يسمى « فارسنامه » (كتاب فارس) تناول
 مؤلفه هذا الاقليم بوصف ثمين قد أوفى على الغاية . ووصل اليها من منتصف
 هذا القرن أيضاً مصنف جغرافي علمي للادريسي الذي عاش في بلاط الملك
 النورمندی روجر الثاني ملك صقلية . دون الشرف الادريسي كتابه باللغة
 العربية ووصف العالم المعروف في زمنه بحسب الاقاليم المناخية وصفا تشقّ
 مراجعته . فقد قطع أوصل الولايات المختلفة في التالِب اعتباراً لأنه جرى في
 وصفها بحسب الاقاليم أى بحسب مناطق العرض . فبلاد العراق والجزيرة مثلاً ،
 جاء وصف بعضها في الاقليم الثالث وبعضها في الاقليم الرابع . والمؤلف الى
 ذلك لم يكن وأسفاً واقفاً بنفسه على بلاد فارس ولا على الاصقاع التي في شرق
 البحر المتوسط وهو ما نهتم له في كتابنا . الا أنه زار آسية الصغرى وقد كانت
 حتى زمنه ولاية تابعة لدولة الروم^(١) . ووصفه لهذه البلاد لا يثمن ، الا أن
 أسماء الامكنة (بسبب تصحيف المخطوط) لا تيسر قراءتها في كثير من الاحوال

معها (لين ١٨٩٤) ، ونشر الياردون كارا دو غو Carra de Vaux ترجمة فرنسية له بعنوان
 Le Livre de l'Avertissement باريس ١٨٩٦) ، ونشرت تاريخه المسمى به « مروج الذهب »
 باسمه العربي وترجمته الفرنسية : بارييه دي ميشار وباليه دي كورتي Barbier de
 Meynard, Pavet de Courteille (باريس ١٨٦١) والكتابان من منشورات الجمعية الآسيوية
 الفرنسية .

لنا . كتاب « التنبيه والإشراف » للنسعودي طبع في القاهرة سنة ١٩٣٨ ، اما مروج الذهب
 فقد طبع في القاهرة غير مرة . (م)

(١) كانت آسية الصغرى في زمن الادريسي أى أواسط المثة السادسة من حكم السلجقة .
 ويشير المؤلف الى ذلك في كلامه على بلاد الروم . (م)

اذ أن التصحيف قد بلغ فيها حدا لا يمكن معه تبيين وجه الصواب في الاصل^(١).
 ووصلنا من مصنفات المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، وفيها كان الغزو
 الفولوي وسقوط الخلافة العباسية ، « معجم البلدان » ، لياقوت الحموي - وهو سفر
 كبير كثير الاجزاء - ومع أن مصنفه استقام ممن تقدم من المؤلفين ، الا أنه زاد
 عليهم مشاهداته في رحلاته الواسعة المدى - فهو كتاب لا يقدر ضمن اذا روجع
 بقدر وتمحيص - صنف لياقوت المواد فيه على الترتيب الهجائي واقتبس ، دون
 تحقيد ، من كل ما وضعه اسلافه من بلدانيي العرب ، وبينهم مؤلفون لم يكن لنا
 أن نطلع على ما دونوه لولا مقتبسات لياقوت منهم - كالرحالة ابن مهلهل الذي
 كتب في سنة ٣٣٠ (٩٤٢) - وبعد مضي ثلاثة أرباع القرن على تأليف هذا المعجم
 الكبير ، ظهر مختصر له بعنوان « مرشد الاطلاع » لمؤلف من أهل العراق^(٢)
 له في الغالب استدراقات ثمينة موثوقة بها على الامكنة التي في أنحاء بغداد - ومن
 نشأ في نحو هذا الزمن : القزويني ، وقد دون كتابا في جزمين وصف فيهما
 الارض^(٣) - ضمنهما فوائد في تجارات مختلف المدن والاقاليم وغللتها - وانتهى
 اليانا من النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كتاب منسق في البلدان
 لأبي الفداء - وأبو الفدا أمير شامي - ومع أنه ألّف كتابه تقلا عن تقدمه في

(١) نشر شيفر G. Schéfer النص الفارسي لرسالة ناصر خسرو مع ترجمة وتعليق بالفارسية
 في سلسلة Ecole des Langues Orientales Vivantes (باريس ١٨٨١) وعني رايت
 W. Wright عناية فائقة بنشر النص العربي لرسالة ابن جبير (ليدن ١٨٥٢) - اما فارسيه ،
 مازال مخطوطا ، وقد استندنا لدى مراجعته الى مخطوطة المنسوب لبرطاني ذات الرقم
 Or. 5983 - ونشر جوبرت A. Jaubert ترجمة فرنسية لا بأس بها لكتاب الادريسي (باريس ١٨٣٦) - وقد
 قامت ما انقيست من هذه الترجمة بالاصل العربي المخطوطة مخطوطة في الحزانة الوطنية بباريس
 (Ms. Ar. No. 2221-2222)

فلما : نقل الدكتور يحيى الحجاب سفرنامه لناصر خسرو من الفارسية الى العربية (القاهرة ١٩٤٥)
 ونشر في بحوثه رسالة ابن جبير في ليدن ١٩٠٧ واهيد طبعها نفسها بالتركيز في حديثا - اما فارسيه ،
 فقد نشر معه الفارسي ، لسترنج ونيكلسون سنة ١٩٢١ ضمن « مجموعة كتب » - اما كتاب الادريسي
 بعد نشر مختصره في رومة سنة ١٥٩٢ م - كما ان المنشور من K. Miller نشر خارطة العالم
 لادريسي بالانوار ، ولكنه جبل الاسماء فيها بحروف لاتينية - ثم نشر المجسم العلمي الراي هذه
 الخارطة بعد ان اعاد الاسماء الى اصلها العربي (م)

(٢) علما : هو صفير الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق قزويني سنة ٧٢٩ هـ (١٣٢٨ م) - (م)

(٣) علما : هذان الجزآن هما « آثار البلاد وانشاء البلاد » و « صيالب المخلوقات » - وهما
 في واقع الحال كتابان وليسا بكتاب واحد - وقد طبع لايهما في مصر في مرة - (م)

الغالب ، فانه أضاف اليه مشاهداته لما زاره من بلدان^(١) .

ومما جاءنا من هذا الزمن نفسه ، أى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، رحلة ابن بطوطة . وابن بطوطة رجل مغربي قام برحلات طويلة جارى فيها ماركو بولو البندقي . وقد دَوَّن كتابه بالعربية . أما حمدانق المستوفى ، وقد عاصر ابن بطوطة ، فقد كتب بالفارسية وصفاً لمملكة ايران المغولية (بلاد العراق وفارس) اوضح فيه حال البلاد بعد أن حلَّ فيها المغول أيام الایلخانيين . وصنَّف المستوفى كتاباً في التاريخ وهو « تاريخ كزیده » (زبدة التاريخ) وهذا السفر ، الى قيمته العظيمة عن العهد المغولي ، يحتوى في الثالـث على فوائد جغرافية جلية^(٢) .

وفى طليعة ماوصلنا من مصادر عن عهد تیمور ، كتاب تاريخى للى الزدى . ثم مصنَّف جغرافى لحافظ أبرو وكلاهما بالفارسية . ويرقى عهدهما الى النصف الاول من المئة التاسعة للهجرة (الخامسة عشرة للميلاد) . ومما نذكر من المصادر أيضاً عما بعد فتوحات تیمور ، تصانيف مؤلفين تركيين أحدهما كتب بالتركية الشرقية والثانى بالتركية العثمانية ، وهما من أهل النصف الاول من المئة الحادية

(١) عنى ف . وستيفل بشر المئن العربى لمجم البلدان لياقوت (ليبيك ١٨٦٦-١٨٧٢) ودراسيمه الخاصة في البلدان الفارسية قد لعلت الى اللغة الفارسية مع اضافات من المستوفى وغيره من جاء بعده من المصنفين في كتاب « معجم بلاد فارس » Dictionnaire de la Perse باريس ١٨٦١ وقد نشره ياربه دى ميار Barbier de Meynard . ونشر جونيل « مراسد الاطلاع » وهو مختصر معجم لياقوت (ليبن ١٨٥٢) . ونشر وستيفل كتابى القزوينى (غوتجين ١٨٤٨) . ونشر دبنو Reinaud . ودى سنان De Slane تقرير البلدان لى الفداء (باريس ١٨٤٠) . وبدأ دبنو ايضاً بمل هذا الكتاب الى الفرنسية . مقدماً له مقدمة لينة عن البلدانين العرب (باريس ١٨٤٨) . واكمل الترجمة بعده س . غويارد S. Guyard . (باريس ١٨٨٢) .

فلما : طبع « المراسد » طعة حجرية في ايران سنة ١٣١٥ هـ .
(٢) نشر ديفرييرى وستيفوليتى Defrémery and Sanguinetti رحلة ابن بطوطة بتصحها العربى مع ترجمة فرنسية (باريس ١٨٧٤-١٨٧٩) . وطبع كتاب « نزعة القلوب » لمحمد المستوفى طبعة على الحجر في سنة ١٣١١ (١٨٩٤ م) . وكتابه « كزیده » الذى رجحت اليه . مطبوع في المتحف البريطانى برقم Add. 22003 . وياكته بخطوط رقه Add. 7630 . ومطبوع اكرتن برقم Add. 890 Egerton . ان نقسا من كتاب كزیده طبعه الان M. J. Gantlin بترجمة لراسية (باريس ١٩٠٣) .

فلما : نشر تاريخ كزیده بالزكوفراف مع ملخص له بالانكليزية في مجلدين من مطبوعات كب بمتايز براون وليكلسون سنة ١٩١١-١٩١٣ . اما نزعة القلوب فقد نشر القسم الجغرافى منه مع ترجمة انكليزية بمتايز لستراج في مجلدين من مطبوعات كب ايضاً سنة ١٩١٥-١٩١٨ م . اما رحلة ابن بطوطة فقد طبعت ثمر مرة في مصر ونقلت الى التركية والانكليزية (م) .

عشرة (السابعة عشرة) • وهذان السفران هما : « تاريخ الترك والمغول » لأبى الغازى أمير خوارزم ، وجغرافية العالم المسماة « جهان نما » للعلاج خليفة واضع الكشف المشهور^(١) بأسماء الكتب^(٢) .

ولا مندوحة لنا ان اثبتنا التعمق فى بعض التفاصيل ، من الرجوع الى مصنفات كثير من المؤرخين العرب • فقد كان المؤلفون الاقدمون يعالجون التاريخ والبلدان ما فى مصنفاتهم • فمن ذلك كتاب « فتوح البلدان » للبلاذرى • وقد ألقه فى الملة الثالثة للهجرة (التاسعة للميلاد) • وصف فيه فتوح المسلمين فى الشرق والغرب بحسب وقوعها • وهذا الكتاب جليل القدر لأثمه يربنا حال البلاد حين أصبح الاسلام الدين السائد فيها • ولدنيا الى كتاب « تاريخ يعقوبى » • وقد مر ذكره • كتاب آخر يرقى الى الملة الثالثة (التاسعة) صفه ابن مسكويه^(٣) ولم يطبع منه غير القسم السادس • ومما يدخل فى هذا الباب تاريخ حمزة الاصفهائى • وقد كتبه فى منتصف الملة الرابعة (العاشرة) • ومع أن هذا الكتاب مؤلف بالبرية ، الا أنه رجع فى تأليفه الى كثير من الكتب الفارسية الضائعة الآن وأورد فيه حقائق كنا على جهل بها لولاه •

على أن أكمل التواريخ العربية وأجمعها المنتهية لنا من أوائل الملة الرابعة (العاشرة) تاريخ الطبرى • والطبرى ممن عاش فى ذلك الزمن • وهذا الكتاب مرجع جغرافى أساسى • ويحسن أن يعتمد على تاريخ ابن الاثير فى تعرف أحوال العباسيين فى أواخر عهدهم • وكذلك الموجز فى التاريخ الاسلامى المعروف بـ « الفخرى » • ويفيدنا تاريخ ابن خلدون فى استكمال الاخبار البسيطة التى

(١) يريد بذلك كتاب « كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون » وقد طبع غير مرة (م)
(٢) يعرف الاصل الفارسى لتاريخ تيمور تأليف عل اليزدى بـ « ظفرنامه » وقد نشر فى مجموعة Bibliotheca Indica (مكتبة ١٨٨٧) • وسندرت له ترجمة فرنسية بعنوان Histoire de Timour Bec (باريس ١٧٢٢) ومنه بطبع Petit de la Croix • اما كتاب حافظ ابرو « صارايل مخطوطا » والنسخة التى رجعا اليها مخطوطة من المتحف البريطانى برقم Or. 1577 • وطبع ابراهيم الندى (مطبوعة) الاصل التركى لجهان لنا فى القسطنطينية سنة ١١٤٥ (١٧٢٢) • ونشر فريزج M. Norberg ترجمة لاتينية مله من هذا الكتاب (لند ١٨١٨) • ونشر البارون ديمزون Desmaisons النص التركى لتاريخ المغول لأبى الغازى مع ترجمة فرنسية (سانت بطرسبورج ١٨٧١)
(٣) والاصل منه « مسكويه » وترجمته فى معجم الادباء لياقوت (٢ : ٨٨ وما بعدها طيبة مرسلو) (م) •

تجددها فى تاريخ ابن الاثير . ويريدنا تعريفها بها كتاب « فيات الاعيان » لابن خلكان . فكل هؤلاء المؤلفين دونوا مؤلفاتهم باللغة العربية^(١) . وما يحسن ذكره من المؤلفات التاريخية باللغة الفارسية « روضة الصفا » لميرخواند و « حبيب السير » لحواند مير حفيده . وهما كتابان جليلان حوبا فوائده جغرافية ثمينة ، لاسيما ما اتصل بالاقاليم الفارسية . ولا نقوتنا الاشارة أيضا الى تاريخين فارسين آخرين يبحثان فى الدولة السلجوقية فى آسية الصغرى وكرمان وقد رجعت اليهما غير مرة فى صفحات كتابى باسم المؤرخين ابن يبي وابن ابراهيم^(٢) .

ويحسن بناء لاكمال ما بسطناه ، أن تخصص بضع صفحات نختم بها هذا الفصل النهمدى ، نذكر فيها شبا عن أسماء الامكنة التى وردت فى فصول الكتاب وثبت فى خوارطه ، فمعظم أسماء الامكنة فى اقليى العراق والجزيرة

(١) بعد أن طبع لسنسرح كتابه شرت خمسة تواريخ عربية ذات قيمة فى الجغرافية التاريخية نذكر منها ، المنظم لاس الجوزى ، والمسانة والنهابة لابن كثير ، وتاريخ الاسلام للذهبي (نشرت اجزائه الاول ومازال طبع اليه جاريا) ، والحوادث الحاسمة لابن العوسى ، وتاريخ مضمر الدول لابن العزى ، وعضرات اللعب لابن الصاد الحفلى . (م)

(٢) نشر دى غوبه « فوح البلدان » للنلاذرى (ليند ١٨٦٦) كما نشر ابن مسكويه « اى مسكويه » فى الجزء الاخير من مجموعته Fragmenta Historicorum Arabicorum Gottwaldt تاريخ حمرة الاسفهانى ونشره مع ترجمه لاتينية (ليند ١٨٧١) . وحقق كوتوالد Gottwaldt تاريخ حمرة الاسفهانى ونشره مع ترجمه لاتينية (ليبسك ١٨٤٤) . اما المجلدات الكثيرة التى يتألف منها تاريخ الطبرى فقد نشرت فى ثلاث سلاسل بناية البرونسور دى غوبه (ليند ١٨٧٩-١٩٠٠) ونشر لرنس Turnberg تاريخ ابن الاثير (ليند ١٨٦٧-١٨٧٦) . ونشر اهلرود Ahlwardt كتاب الفجر لابن المقطس (عوفه ١٨٦٠) . وطبعة ابن خلدون التى رجعت اليها فى هذا الكتاب هى المطبوعة فى تولوز سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) ونشر ويستنفيلد Wüstenfeld ابن خلكان (غوتنبرج ١٨٢٧) . وطبعة ال الانكليزية فى سلان بملقة Oriental Translation Fund (لندن ١٨٤٢) . وكان اعتيادى فى مراجعة الاصل الفارسى « روضة الصفا » تأليف « ميرخواند » أو أمير خواند و « حبيب السير » لحواند أمير على الطيحين الحيرتيني الصناديرتين من يبيى طبع الاول فى سنة ١٢٦٦ (١٨٥٠) والثاني ١٢٧٢ (١٨٥٧) ونشر البرونسور هوتسا Houtsma الكتابين الباحثين فى اخبار الدولة السلجوقية فى المجلدين الاول والرابع من سلسلة Textes relatifs a l'Histoire des Seljuicides (ليند ١٨٨٦-١٩٠٢) . واولهما كتبه ابن ابراهيم ويعرف بسحمد ابراهيم أو محمد بن ابراهيم) وقد عاش فى نحو سنة ١٠٢٥ (١٦١٦) والثاني تصنيف ابن يبيى وقد كتب فى نحو سنة ٦٨٠ (١٢٨١) . الطر ايضا بحثا للبرونسور هوتسا فى مجلة Zeit. Deutsch. Morg. Gesell., 362, p. 1889 فلما عسى لسنسرح وغيره بطبع الجزء الاول والخامس والسادس من « تجارب الامم لمسكويه » بالتركوعراف عسى مجموعة كتب . وعسى اعدريز بقصر المربين الخامس والسادس من « تاريخ التاهرة » ونيل مرجيلوت هدين الجرميى الى الانكليزية . اما كتاب حمزة الاسفهانى فهو « تاريخ سنى ملوك الاراس والانيباء » وقد طبع فى برلين ايضا . وعنى دى غوبه بوضع مهابرس الطبرى رسميم لالفاظه لتقرأها فى مجلدين فى ليند (م) .

لما أن يكون عربى التجار أو اراميا ، اذ كانت الثانية هى لغة القوم الشائعة قبل الفتح الاسلامى . ولاسماء المدن بالعربية معنى ، ومن الامثلة على ذلك الكوفة والبصرة واسط . أما الاسماء الارامية ، فمن السير تمييزها من صيتها ومن انتهائها بحرف الالف الطويلة . مثال ذلك : « جبلتا » . ومعانى هذه الاسماء أيضا لا تصب معرفتها بوجه عام . فمثلا « عبرتا » معناها (المبر ، أى موضع العبور) فهى تسمى موضعا لجسر على قواب . و « باجسرا » ومعناها فى العربية (بيت الجسر) . أما الاسماء الفارسية القديمة مثل « بندا »^(١) (أى موضع عطية الله) فنادر . وتجدر أيضا هنا وهناك اسما يونانيا ما زال حيا مثل « الابلية » وهى « ابلوغس » (Apologos).

ولم تصبح بلاد الروم فى آسية الصغرى بلادا اسلامية على ما بينا ، الا بعد الفتح السلجوقى لها فى النصف الثانى من المة الخامسة (الحادية عشرة) . ومن ثمة ، فالاسماء اليونانية فيها انتهت البنا بصيغتين : قديمة (عربية) وحديثة (تركية) . فسلوسية (Seleucia) مثلا عرفت أولا بسلوقية ثم بسلفكة (Selefkeh) . وهركليسية (Heraclea) نجدها أولا بصيفة هرقله وفى العصور الحديثة اراكلية (Arakliyah) ولا ريب أنه بعد الفتح السلجوقى للبلاد والسادة السمانية التى أعقب ذلك ، حلت التسميات التركية محل الاسماء اليونانية القديمة . ولكن ما يجب ذكره بصدد ضبط التهجئة ، أن الالفباء العربية غريبة

(١) اختلفت آراء الباحثين فى اصل اسم بندا ، فذهب بعضهم الى انه فارسي على رأى مؤلف هذا الكتاب . وقد سبغهم الى ذلك بلدانير العرب فعلاوا ان . اسمها مركب من كلمتين فارسيين « بى » و « داد » .

ورحمه بعضهم الى اصل ارامى مركب من « ب » للتقصية من كلمة « بيت » و « كداد » ومعنى ذلك بيت أو دار أو مدينة الضمان أو القصر . رايدوا رأيهم بإيراد اسماء ارامية لكن مرادية مدونة بالياء على شكلها .

وهو ايضا من الدراسات الاترية ، ان مثل هذا الاسم قد ورد فى الكتابات المسماة القديمة التى ترجع الى العصر البابلي والاشورى بصورة « بندا » و « بندا » أو « خرداد » ويرى زمن بعضها الى اوائل الألف الثانى قبل الميلاد . وأن مدينة قريبة من بندا الحالية واقليا ايضا ، كانا يعرفان بثل هذا الاسم فى العصر البابلي .

رأس . متعمدة تاريخ بندا للطبيب البندادى . ورسم البلدان لياقوت (مادة بندا) . وخرمى من الكتبة الاقدمين . وكذلك مادة « بندا » فى دائرة المعارف الاسلامية ، ومجلة لغة العرب (٤ : ٨٠ ، ٢٤٢ و ٢٨١ و ٦٠٧ ، ٦ : ٧٤٨) و « اصول معنى بندا » لتوثيق بعض (مجلة المجمع العلمى العراقى المزمع الاول من المجلد الاول الصادر سنة ١٩٥٠) .

Herzfeld, Geschichte der Stadt Samarra (p. 28-29)

و هو المجلد السادس من مجموعة « حفریات سامراء » وقد صدر فى حيدرآباد سنة ١٩٤٨ (د) .

عن التركية غرابتها عن اليونانية . ولهذا صار للكلمات التركية (كما يظهر ذلك فى كل معجم تركى) تهجستان مختلفتان . وكان حال أسماء الامكنة حال ألفاظ اللغة نفسها . فنجد اسم « قراحصار » و « قره حصار » و « قره سى » و « قرامسى » و « قرمان » و « قرامان » وغير ذلك من الامثلة الكثيرة .

وإذا ألقينا نظرة على خوارط الاقاليم الفارسية ، تبين لنا قلة الاسماء المتحددة من أصل عربى . فمن الصعب أن نجد أسماء مدن بالعربية هناك ما عدا المرافعة^(١) فى أذربيجان وبزا (البيضاء أى « البلدة البيضاء ») فى فارس . فالسلمون لم يغيروا الاسماء فى الواقع أو غيروها بعض التثنية حينما استولوا على المملكة الساسانية^(٢) . وكثيرا ما نجد قرى ومنازل ذات أسماء مأخوذة من أشياء طبيعية أو مشهورة ، كقرية الآس وقرية الجمل وقرية الملح . فقد كانت تسمى بالفارسية : ده مرد ، ده اشتران ، ده نمك . وقد أورد البلدانون العرب هذه الاسماء مترجمة دائما ، فنجد فى تصانيفهم القرى السالفة الذكر مثلا باسم قرية الآس وقرية الجمل وقرية الملح^(٣) . ولدنا ما يؤيد أن الاسم الفارسى كان هو المستعمل فى كل الاوقات فى بلاد فارس . وبعبارة اخرى ، ان الامر هنا على نحو ما هو عليه عندنا حين نقول : الغابة السوداء (Black Forest) وهى بالألمانية (Schwarz-Wald) ورأس الرجاء الصالح (Cape of Good Hope) فمثل هذه الاسماء يرد عادة بصيغ متنوعة فى الخوارط وفى الكتب على حسب لغة المتكلم .

(١) مال ياقوت فى معجم البلدان (٤ : ٤٧٦) « كانت المرافعة تدعى أنراخ مروذ ، فمسكر مروان بن محمد بن مروان بالقرب منها . وكان فيها سرجين كثير فكانت دواب ودواب اصحابه تنمرغ فيها ليجلوا يارلون : ابتوا قرية المرافعة ، وهذه قرية المرافعة ، نجف الناس القرية وقالوا مرافعة » (م) -

(٢) كما يلاحظ اننا لا نعثر فى جميع ارجاء الاندلس ، حيث تكثر المدن العمارية ، الا على مدينة واحدة ذات اسم عربى وهى ميساء « المرى » Almeria التى هو « لمرية » ومناخها « المرقب » . ونجد اسم مكان مثل كلاتايود Calatayud يمكن اتخاذه مثلا آخر لذلك . فهذا الاسم لم يطلق على مدينة بل كان اسما لقعة ليس الا وص « لقة آيوب » . لم نشأ بعد ذلك فى اسفلها بلدة . وفى كثير من الاحوال لا يعرف اصل الاسم الايبى أو الرومانى أو القوطى الغربى Visigothic لعدم وجود وثائق عنه ، على ما هو الامر فى « قرناطة » Granada . وما ذكرناه هنا يمكن القول به فى أسماء بلاد فارس .

(٣) قلنا : وقد جرى الكتابة العرب المتحدون فى ترجمة بعض الاسماء الجغرافية على هذا القرار ، فقالوا : رأس الرجاء الصالح ، وجزيرة ارض النار ، والحيث الهادى ، والبحر القوسط ، وبلاد الجبل الاسود ، وغير ذلك (م) .

ومما تحسن الإشارة إليه ، أننا قد نجد فى جداول الاسماء العربية ، اسم منزل بالعربية لم ينته اليها ما يقابله بالفارسية . فمن ذلك « رأس الكلب » وقد يكون الموضع ما صار يعرف بعد ذلك باسم « سمنان » ونمت العرب أحيانا مدينة فارسية فعرفت فى أوآن واحد باسمها وبنتها ، على نحو ما كان الامر فى كنگوار فقد سماها المسلمون الاولون « قصر اللصوص » لأن دوابهم كانت تسرق فيها . ومع ذلك فالاسم الذى عاش فى الآخر هو « كنگوار » لا النمت العربى ، حتى أنه لما أسس المسلمون الفانجون عاصمة أفليمية جديدة ، على نحو ما حصل فى شيراز التى سرعان ما حجت اصطخر القديمة « برسولس » ، كانوا قد اتخذوا للمدينة الجديدة على ما يظهر اسم القرية الفارسية الأصلية وخلّدوه لها . ولا يمكن تحقق أصل اسم شيراز واشتقاقه على ما يبدو ، شأن غيره من الاسماء الكثيرة . إذ أننا بالأسف نكاد نجهل جغرافيا المملكة الساسانية القديمة برمتها .

أما تهجئة الاسماء ، فكانت بالطبع تتغير بتغير الزمن . فان « طرثيث » أصبح « ترثيز » و « همدان » صارت تهجئتها فى الكتب الحديثة « همدان »^(١) . وقد تستعمل الى ذلك أيضا ، تهجئة عربية وتهجئة فارسية لاسم ما فى وقت واحد . مثال ذلك « فاشان » العربية فهى تكتب فى الفارسية « كاشان » ، و « صاهك » ظهرت أخيرا « جاهك » و « صفانيان » : « حفانيان » ومقتضى قواعد اللغة العربية فى الالفاظ الثلاثة ذات الحروف الصحيحة ، فان : بم الفارسية يجب أن تكتب فى العربية شديدة « بم » وقم : « قم » مجازاة لمخارج الحروف فى العربية . ولم يستعمل الحرف الصحيح الآخر المشدد فى الفارسية البتة . وقد يحصل أن يطل استعمال اسم لأَسباب مجهولة ليحل محله اسم آخر ، ولكنه فارسى كالأول ، على نحو ما حدث فى « قرمانين » أو « قرميسين » التى عرفت بعدئذ باسم « كرماتشاهان » ثم اختصرت الى « كرماتشاه » فى الوقت الحاضر . وكما أننا نجهل المنشأ الأصل لهذه الاسماء ، نجهل أيضا علة تبدلها .

(١) يحسن بنا ان نلاحظ ان « ذ » يلفظ العربى فى زمننا « ز » فيقولون « اذربيجان » ويكتبونها « اذربيجان » . وأحيانا لا يلفظون الدال زائما ، فاسم همدان يلفظونه « همدان » لا « همدان » . والحرف « و » العربى يلفظونه فى الفارسية « ف » ولكن هذا ليس دائما ، إذ يقولون « مزورين » أو « قزمين » .

أما « آل » أداة التعريف العربية التي تعرف بها أسماء الامكنة ، فاستعمالها سماعى الى حد بعيد . لأن القاعدة الصرفية تقضى بادخال « آل » التعريف على الاسماء العربية دون الاعجمية ، غير أن هذه القاعدة لا تطرد دائما . ففى العراق ، حيث معظم الاسماء من أصل سامى يطمية الحال ، نجد أن دجلة يكتب دائما بدون « آل » . أما القرات فقد دخلته « آل » التعريف وإن كان مثل صنوه اسما غير عربى^(١) . وفى تسمية الافاليم الفارسية درجوا على اسقاط « آل » التعريف العربية بمرور الزمن : فالسيرجان (بالعربية) أصبحت بالفارسية سيرجان . ومهما يكن من أمر فاستعمال هذه الاداة عرفى . فليس من تفسير لاستعمال العرب « آل » التعريف على اسم « الرى » بينما نجد أن اسم « جى » وهو الاسم القديم لتسم من أصفهان يكتب دائما بدون « آل »^(٢) .

وكان العرب مقلين فى اطلاق التسميات فكان ذلك علة كثير من الارتباك . فالقاعدة عندهم أن يسموا عاصمة اقليم باسم ذلك الاقليم ، حتى ولو كان لتلك العاصمة اسم آخر : فدمشق مثلا ما زالت تعرف عندهم بالشام وهى عاصمة الشام ، وزرنج أهم مدن سحسان كانوا يسمونها فى الغالب سجستان أو مدينة سحسان ويريدون بها مدينة ذلك الاقليم . وقد أدى هذا الاستعمال طبعاً الى ارتباك حينما يكون للاقليم عاصمتان ، كما حدث مثلا فى اقليم كرمان . فإن اسم كرمان (وتقصد المدينة) اطلق فى الكتب القديمة على العاصمة الاولى السيرجان . وفى المصور الاخيرة اطلق هذا الاسم على كرمان المدينة الحالية وهى غير تلك المدينة بالمرّة . ولم تصبح عاصمة الا بعد خراب السيرجان . وكذلك اذا قارنا بين الخوارط الموضوععة استنادا الى روايات بلدائى القرون الوسطى وبين خوارط هذه

(١) وهكذا فلدنيا « الابهة » (واصل الاسم يونانى) قد دخلها « آل » التعريف . وهما لك من الاسماء ما يتأخرهما . ويجد احيانا اسما عربية مرفوعة منها ما هي مرفوعة بال ومنها ما كان بدونها ، مثل الكوفة ويقال أن مصامها « أكراخ الصب » بينما نجد اسم واسط يكتب دائما بدون « آل » ، وكان ممكنا أن يكون مرفوعا مثل الكوفة .

(٢) اما كم تستقيم اية قاعدة من هذه القواعد ، فبتبيين من حالة « جدّة » ميناء مكة . فقد ذكرها جميع المصنفين الاقدمين بصورة « جدّة » و « الحده » . وفى صفحات هذا الكتاب حيث ورد اسم موضع اسمعلة الكتاب مسموما بـ « آل » . ماذا تذكره فى الكتاب بهذا الوجه لأول مرة فقط . لذا تكرر الاسم حينما منه « آل » عادة على سبيل الاختصار . فمصرنا على ذلك فى الخوارط توميرا للمكان . كما ان استعمال هذه الاداة أو عدم استعمالها يختلف باختلاف البلديات العرب . وهم كذلك ليسوا على عادة ثابتة فى تهجئة الاسماء الاعجمية .

الايام ، رأينا في الغالب أن اسم مدينة مدرسة قد بقي محافظا عليه في الولاية الحديثة . وهكذا الامر في بلدة السرجان المدرسة مثلا ، فان هذا الاسم نفسه ما زال مستعملا لولاية السرجان الحديثة . ونحو ذلك « بردسير » و « جيرفت » وكاتا قبالا اسمين لبلدتين جبلتين فبقيا لولايتهما فقط . ومجمل القول فالولاية وقصبتها يطلق عليهما دائما اسم واحد ، وبمرور الزمن يهجر اما اسم الولاية أو اسم المدينة . وبناء على ما تقدم من الامثلة فان اسم مقاطعة اردون القديمة سلق الآن على بلدة صغيرة تعرف باسم اردون ، وقد كان يقال لها قديما خوار (خوار الري) .

وفي الجغرافيا الطبيعية ، لم تكن التسميات العربية وافرة أيضا . نعم نجد بوجه عام أن قم جبال مشهورة لها أسماء تعرف بها (مثل دماوند وألوند) ولكنهم لم يطلقوا اسما خاصا على سلسلة من الجبال . فلسلسلة جبال طوروس العظيمة التي تحجز بلاد الروم عن غيرها ، نذكر غالبا (وخطأ) باسم جبل لكام ، غير أن هذا الاسم ليس الا جبلا واحدا من مجموعة طوروس الداخلة (اننى طوروس) . ولم يطلق البلدانون العرب اسما لسلسلة القمم الطويلة الى تتألف منها جبال البرز العظيمة الشهرة الفاصلة بين هضبة ايران وبحر قزوين . ولقد كانوا يطلقون عادة على البحيرات الكبيرة أسماء خاصة (مثل : ماهالو ، زره ، جيجست) . ولكن المؤلف أن البحيرة كانت تعرف باسم أشهر مدينة على سواحلها كبحيرة أرمية وبحيرة وان ونسبت أيضا الى مدسة أرجيش . بل أن البحار كان الامر في تسميتها أكثر غموضا . فكانت تذكر تسميات مختلفة مقبسة من الاقاليم أو المدن الكبيرة الواقعة على سواحلها . وهكذا سمي بحر قزوين بتسميات شتى ف قيل فيه : « بحر طبرستان » و « بحر گيلان » و « بحر جرجان » وكذلك « بحر ياكو » . وعرف أخيرا بحر الخزر نسبة الى مملكة الخزر التي قامت في شماله في أوائل العصور الوسطى . ومثل ذلك « آرال » فقد كان يعرف ببحر خوارزم . وعرف خليج فارس ببحر فارس .

وفي الختام أود أن أجمل القارىء يحيط علما بأننى لم أذكر في فصول الكتاب الا منتخبات مما بيدنا من مصادر اذ أن المدن والقرى التي وردت أسماءها

فى هذا الاقليم أو ذاك ، كثيرة جدا . وهى ولا شك أكثر من ضعف الاسماء المثبتة فى فهرست هذا الكتاب . وقد أغفلت ذكر أسماء المواضع التى لم يكن فى الامكان تعيينها تعيينا تقريبا . أما الحوارط ، فهى على ما يرى ليست الا رسوما يائسة لايضاح المتن ، وهى لا تبين عما كان عليه أى قطر فى حقبة ما من الزمن . وهكذا فالدين التى تعاقبت الواحدة بعد الاخرى اشير اليها غالبا فى الحوارط كأنها كانت كلها فى وقت واحد . والمتن كقبل يايضاح ما اذا كانت هذه المدن تعزى الى زمن واحد أم لا^(١) .

(١) لا مندوحة من تبيان علة اكتطاط الحواشى فى صفحات هذا الكتاب بعدد كبير من المراجع وان كان الباحث الرابع فى التحقيق عن امر ما ، لا يعد ذلك نقصا ولا ريب . فلم يكن لى الا احد امرين . اما ذكرها جملة او انفالها جيمعا . والمعروف ان المصنفين المسلمين من عرب وفرنس وترك اعظم من التحل آثار غيرهم ، وهم بل ان نوهوا بفضل من نقلوا عنه . ومن جهة ثانية اصاف كل بلدالى أو مؤرخ شيئا من عنده الى ما نقله عن سلفه (دون التنويه بذلك) . وهو فى الغالب ، بتوجيه كثيرا من المقبيسات ، يتوصل الى جمع اشبار مختلفة لكفى فى البات حقيقة أو تعيين موضع . ولايصاح ذلك اشير الى بلدة خرمان فى اقليم موسى ، فهى ليست مدينة جليظة الشان ولا يعرف عنها شىء كثير ، على انه يبدو من الملبد ان يقول ان خرمان موسى هذه ، وان كانت قد زالت من الحارطة ، يبلى ان تشير عن الاسم الذى يكتب بالعربية على شاكلتها وهو بلدة خرمان فى اقليم الجبال . مكل ما يعرف عن البلدة القومسية هذه هو موضعها ، ولكن لتعيينها ، علينا ١ - مراجعة القزوينى الذى قال ان البلدة على اربعة اراسخ من مسطام . و ٢ - اضافة ياموت الى هذا القول انها تقع على الطريق. الناهب الى استراماد . و ٣ - مع ان المستوفى قال ان خرمان كالب فى ايامه قرية ذات شان فيها جب . ول وهى ذات مياه وامرة . وعليه ماها لم تكن محطة بريد فقط . ومع هذا كان علينا ، لكى ندون كل ما دولاه عنها وهو شىء ضئيل ، ان نرجع الى ثلاثة مؤلفين ونشير الى تصانيفهم فى الحاشية .

الفصل الثاني

العراق

تقسيم أرض ما بين النهرين الى شمالية وجنوبية - العراق اى بلاد بابل -
التي تقع في مجرى الفرات ودجلة - النهر الى القطيعة - بغداد -
المكان وما في جنوبها من مدن على دجلة حتى فم الصالح

قسمت الطبيعة سهل ما بين النهرين العظيم الذي اتخذ الفرات ودجلة فيه مجريهما الى قسمين : الشمالى (وهو مملكة آشور القديمة) وعظمه مراعى تنطى سهلا حجرى التكوين . والجنوبى (وهو بلاد بابل القديمة) وأرضه رسوبية خصبة يكثر فيها التخليل وتسقيها أنهار الرى . وعد أهل الشرق هذه البلاد من جنات الدنيا الأربع لوفرة خصبها . وقد سمي العرب ما بين النهرين الشمالى بالجزيرة ، والجنوبى بالعراق . ومعنى العراق « الجرف » أو « الساحل »^(١) وأما

(١) جاء تسمية اسم « العراق » في معاجم اللغة وكتب البلدان العربية . وقد اخبرنا ما قاله « تاج المروس » (مادة عرق ٩٠٧) في هذا الاسم : « المرق جمع عراق ، بالكسر : لشاطئ البحر على طولها ، قلعة اللبث . وهو كتاب وكتب . وقال وبه سمي العراق عراقا والعراق شاطئ الماء أو شاطئ البحر خاصة . زاد اللبث طولاً ، أى على طول البحر قال أبو زيد - كل ما اتصل بالبحر من مرمى فهو عراق لأن العراق بين الريف والبر أى لانه على عراق دجلة والفرات ، أى شاطئهما ، أى (أى العراق) مصرية إيران شهر ومعناه كثيرة النخل والشجر ، فسميت قليل عراق . مكداً تفلوه . وتعنى لى معناه نظر . وقال الأزهري - قال أبو الهيثم ، رغم الاسمى ان تسميتهم العراق اسم أعجمى معرب . إنما هو إيران شهر فأعربته العرب لقالت عراق « أهـ » وفى معجم البلدان ليسافوت (مادة - عراق) فسوله « قال فطرب : الساسمى العراق عراقاً ، لأن دجلة من البحر ونفيسه ينباع وشجر . وقال الخليل - العراق شاطئ البحر ويسمى العراق عراقاً لأنه على شاطئ دجلة والفرات مدا حتى يتصل بالبحر على طولها . قال الأصمعى هو معرب من إيران شهر وفيه بعد من لفظه ، وأن كانت العرب تتلفظ فى التثنية بسا هو مثل ذلك . وقال أبو عمرو : سميت العراق عراقاً لقربها من البحر . قال وأهل الحجاز يسمون ما كان قريباً من البحر عراقاً . وقال جرزة . الساحل بالفارسية اسمه إيزراه . ولذلك سموا كورة اودشير غره من

كيف جرى استعمال هذا الاسم في اليهود السالفة فأمر يترتب الشك ، فلعلمه يمثل اسما قديما شاع الآن ، أو أنه اريد به في الاصل غير هذا المعنى وكان العرب يسمون السهل الرسوبي بأرض السواد أى الأرض السوداء ، واتسع مدلول كلمة السواد حتى صارت هى والعراق لفظين مترادفين في الفالب . وأصبح يراد بها إقليم بلاد بابل جميعه^(١) .

وقد تغيرت الحدود بين العراق والجزيرة في أزمنة مختلفة فكان الحد بينهما لدى البدائيين العرب الاولين يطابق بوجه عام خطا يذهب شمالا من الانبار على الفرات الى تكريت على دجلة ، وكانت كلتا هاتين المدينتين تمد من أعمال العراق . أما من أعقبهم من اللدانيين ، فقد جعلوا الخط يذهب من تكريت باتجاه الغرب تقريبا ، فادخلوا في العراق كثيرا من المدن التى على الفرات في شمال الانبار . وهذا الخط ، بالنظر الى الجغرافيا الطبيعية ، أقرب الى التقسيم الطبيعي بين الاقليمين . وهو يقطع الفرات أسفل من عانة حيث ينحطف النهر انعطافه الكبير نحو الجنوب . وقد سمي العرب نهر « يفراتس » (Euphrates) بالفرات كما سموه « تايجرس » (Tigris) بدجلة حاليا من « آل » التعريف . وهذا الاسم الاخير ورد في الترجمون بصورة « ديكلات » التى تقابل الشطر الاخير من كلمة « حدائق » (Hiddekal) وهى الصيغة التى ذكر بها دجلة في سفر التكوين^(٢) .

أرض فارس - إيراهستان لقربها من البحر - ضربت العرب لفظ إيراه بالحق الفاف فقالوا إيراق . وعال حمزة والعراق ترميز إيراق بالفاء ومعناه مفيض الماء وحدود المياه ، وذلك ان حمزة والفرات وتامرا ، تصب من نواحي ارمينية وبه من بنود الروم الى أرض العراق وبها يقر قرارها لتسمى بقامها . ا - ا -

وللاثرى هرسفند ، رأى في أصل كلمة العراق ومعناها نشره في مجلة لغة العرب (٤ : ٤٤٣-٤٤٤) رأيا ان لجملة استكمالا للفاصلة - ان العراق مغرب لفظ ايراق الايراني ومعناه البلاد السهل او الجنوب . وكانت انحاء واسط الى خليج فارس عائلت الى هذا القسم من ديار الدولة الساسانية . وفي مناقيب الملوك للخوازمي وتاريخ حمزة الاصمغاني : ايران العراق . ولا جرم انها غلط . والصواب - ايراق (بالكاف الفارسية) ولكنهم لم يعرفوا معنى ايراق والقوا لفظ ايران . فصحبوا ايراق بايران ، كما ان ابدال الهجزة من العين امر شائع . وجاء في بعض الامثلة كلمة « ايراهستان » وهو اسم كورة واحدة بين بيروزياد وخليج فارس . وكان يجب ان تقرأ ايراهستان (بالكاف الفارسية) وما ايراهستان الا العراق . (م)

(١) اللفظة « سواد » معني تان هو « القفار » الذى يكتنف المدينة . فليل سواد بقداد وسواد الكوفة وسواد البصرة . ويراد بذلك ما يحيط بهذه المدن من اراض زراعية .
(٢) لا يعرف اصل اسم الفرات بالصيغ وقد ورد اسمه في الكتابات المسارية بالعلامات لفسا التى يكتب بها اسم مدينة (سبار) القديسة وهى ارض حبة اليوم . ويرجع ان اسمه سومري . ومعناه البابليون يكتنفهم الساسانية باسم « بركم » و « بوزاني » ولعل الاسم البابلي ومعناه الاسم العربى « الفرات »

ولما فتح المسلمون العراق في خلال النصف الاول من المئة الاولى للهجرة (السابعة للميلاد) ، كانت طيسفون ، وهي على دجلة ، وقد سموها المدائن ، أجل مدن هذا الاقليم والعاصمة الثنائية للملوك الساسانيين . ولرغبة العرب في مدن يسكنونها ويسكرون فيها ، أسسوا في زمن قصير مدناً ثلاثاً : الكوفة والبصرة واسط سرعان ما نمت وصارت أهم مدن هذا الاقليم الاسلامي الجديد . وكانت الكوفة والبصرة بوجه خاص عاصمتي العراق الشقيقتين في أيام بني أمية^(١) .

ولما انتقل الامر من الامويين الى العباسيين ، اقتضى الحال اتخاذ عاصمة جديدة لدولتهم الجديدة . فأسس ثاني خلفاء بني العباس بغداد على دجلة فوق طيسفون (المدائن) بضعة أميال . وما عنت بغداد أن غطت على ما انصقت به دمشق من مفاخر في العهد الاموي وأصبحت قاعدة الخلافة العباسية وعاصمة العراق أيضاً بطبيعة الحال . وعلا شأن اقليم العراق فصار قلب الدولة الاسلامية ومركزها في الشرق .

وكانت أحوال العراق الطبيعية في القرون الوسطى تختلف اختلافاً يائساً عما نعهده الآن ، لما طرأ من تغير عظيم في مجرى الفرات ودجلة ، وما نجم عن ذلك من خراب في أنهر الرى العديدة التي جعلت من العراق في زمن الخلفاء الاولين جنة عدن لحسب أرضه . ينساب دجلة اليوم في مجرى مترج متعرج يأخذ الى الجنوب الشرقي ويلتقي على نحو ٢٥٠ ميلاً (بخط مستقيم) أسفل من بغداد هو ومياه الفرات في القرنة . ومن اقتران النهرين يتكون نهر يعرف بشط العرب ، كان يجري حينذاك في مجرى عريض أى في فيض يصب في خليج فارس .

مشتق من كلمة الفرج ، أما دجلة فقد ورد اسمه بصورة « ادلات » أو « ادكلات » . ومن معاني اسمه الاصل . « الجارى » أو « الراوى » . وعرف الآشوريون منبع دجلة وعسوه في اربنية . فقد ذكر الملك الآشوري تبتلنصر الثالث (المئة السابعة قبل الميلاد) أنه أمام في عام حكمه الخامس عشر ، صعباً عند منبع دجلة ، وأنه سار من بعد ذلك الى منابع الفرات . راجع - مقدمة في تاريخ الحضارات العديدة للسيد طه باهر (٦ ، ٣٧٧) . أما الاسم الحالي فقد ورد في سفر التكوين ٢ - ١٤٠ - (م) .

(١) عرفت الكوفة والبصرة بالترابن ، ومعنى ذلك « عاصمتا العراق » . على انه حين فُتحت الكوفة والبصرة من قبلهما بعد زمن ، صار اسم « الرابن » يستعمل في غير وجهه الصحيح . فكان يسمى « الفليس » العراق وهما العراق العربي والعراق المجسى ، ويراد بالآخر اقليم الجبال وسمنوشن ذلك في موضعه من الفصل الثالث عشر .

وكان يبلغ طوله زهاء مئة ميل فى أعدل الخلووط • وهذا ما يرى فى الحارطة الحديثة • ويطلب على الفن أن دجلة كان منذ صدر الاسلام حتى منتصف المئة لاشترى (السادسة عشرة) اذا تجاوز أسفل بغداد بمئة ميل انحرف عن اتجاهه الجنوبي ، حيث مجراه الحالى ، فانساب الى واسط فى مجرى يعرف اليوم بشط الحى (أى شط الحية)^(١) على ما سيأتى بيانه • وكانت مدينة واسط على جانبى النهر • وعلى نحو ستين ميلا أسفل من واسط كان دجلة يوزع معظم مائه على أنهار الرى ، وكانت بقيته تتشعب ثم تفتى فى البطيحة العظمى •

وكانت البطيحة العظمى طوال القرون الوسطى ، تتبطل فى رقعة يبلغ عرضها خمسين ميلا وطولها قرابة مئى ميل ، وتمتد جنوبا حتى تانوح البصرة • وكانت البطيحة يأتها الماء من الفرات عند موضع فى شمالها الغربى ، يمد بضعة أميال عن جنوب الكوفة ، اذ كان عمود الفرات فى تلك الايام شط الكوفة • ولم يكن شط الحلة حينذاك (وهو عموده الآن) الا نهرا عظيما للرى يعرف بنهر سررا • وكان على الحافة الشمالية من أسفل البطيحة العظمى ، أهوار يوصل ما بينها أزقة لسير السفن • وقد كان دجلة يدخل البطائح عند القطر ، وكانت السفن تخرج منها الى موضع (قرب القرنة الحالية) تجتمع فيه مياه الفرات ودجلة فتجرى فى نهر أبى الأسد الى رأس فيض شط العرب^(٢) ، وكانت سفن النهر تتحدر فى هذا الطريق المائى دون أن تلتقى صوبية من بغداد حتى البصرة • والبصرة فرصة

(١) لا ترى رأى المؤلف فى تفسير شط الحى بشط الحية فالحى صا سمنى صلالة القرم وربهم ، رسة حى واسط وهى بلدة الى اليوم ، وبها عرف هذا النهر لولوعها عليه ، ويقال له ابها نهر الفراف ، وهو غير النهر الذى تقوم عليه اطلال واسط ، فان تعليق هذا النهر يعرف فى نوما بالدجلة وهو دجلة قبل رجوعه الى مجراه الشرقى الحالى (م) •

(٢) هذا ما قاله البلاذرى فى هذا الصدد • وكانت دجلة تصب الى دجلة البصرة التى تنسب الى البصرة ، فى انهار مششية ومن عمود مجراها الذى كان ياتى مائها بجرى ابيه وهو كمنص تلك الانهار • (فتوح البلدان • ص ٢٩٠ طبعة مصر) •

ومال ابن رسته • • ويخرج من هذه البطائح انهار • من ذلك - نهر الرنة ويصب هذا النهر فى دجلة المورا • ومن ذلك نهر يقال له نهر أبى الاسد وهو قريب من نهر الرنة ويصب فى دجلة المورا • ومنذ هذا الماء يجرى البحر الذى يشغل فى دجلة المورا من ماء المد • ومن ذلك نهر فى أسفل البطائح مما على قصر انس بن مالك يقال له نهر ابن صمر ، وهو عينه بين صمر بن عبد العزيز • حفره فى ولاية بنى أمية ليصحب ماء اهل البصرة • وطوله اربعة فراسخ من أسفل البطائح الى فيض البصرة • ونهر ابن صمر يصب فى نهر البصرة • وما صار فى فيض البصرة وقع فى نهر الابلة حتى يخرج الى دجلة المورا • ثم نبع فى بحر الهند • (الاطلاق الكيسة • ص ٩٤) • (م) •

بغداد . وقد كانت عند منتهى نهر قصير يحمل من الفيض الى الغرب - والفيض هو دجلة الموراء على ما كان يعرف به شط العرب في الغالب حينذاك .

ودجلة الحالى على ما يرى في الحارطة الحديثة ، يجرى في شرق شط الحلى مسلا من عند قرية يقال لها اليوم كوت العمارة^(١) ، وهي في موضع بلدة ماذرايا القرون الوسطى . ومجرى دجلة الحالى هذا الى القرنة هو المجرى نفسه الذى كان أيام الساسانيين على ما يبدو ، حين لم تكن البطيخة العظمى التى وصفها البلدانون العرب قد تبلطحت . وقد ذهب المؤرخ البلاذرى الى أن نشأة البطيخة كانت في أيام قباذ الاول^(٢) الملك الساساني ، وقد تولى العرش في أواخر المئة الخامسة للميلاد . ففي أيامه أغفل أمر السدود في دجلة اغفالا دام سنين كثيرة . وارتفعت المياه فجأة فدقت من جملة بثوق ، فغلب الماء على ما كان من الارضين منخفضا في جنوبه وجنوبه الغربي . وفي عهد أنوشروان العادل ابن قباذ وخليفته، رمت السدود بعض الترميم حتى عادت تلك الارضين الى عمارتها وزراعتها . الا أنه في عهد كسرى أبرويز ، وقد عاصر النبي محمد ، زاد الفترات ودجلة ثانية في نحو السنة السابعة أو الثامنة للهجرة (٦٢٩م)^(٣) زيادة عظيمة لم ير مثلا قبلها . وابتقت بثوق عظام في مواضع لا تحصى ، وغلب الماء على الارضين . وعلى ما جاء في البلاذرى ، ان كسرى أبرويز ، ركب بنفسه لسد تلك البثوق بعد فوات الاوان و « ثر الاموال على الانطاع وقتل الفعلة بالكفاية وصلب على بعض البثوق فيما يقال أربعين جسارا في يوم ، فلم يقدر للماء على حيلة » . ولما لم تمد المياه الى حالها الاولى ، أصبحت ما غمرته من بقاع بطيخة دائمة . إذ أنه

(١) راجع من كوت السامرة كتاب « مباحث عراقية » ليعقوب سركيس (ص ٢٦٤ - ٢٨٣ و ٣١٢ - ٣١٤) بنسب ١٩٤٨ (م) .

(٢) سكم مباد الاول من سنة ٥٣٦-٥٨٨ للميلاد . وكسرى انوشروان من ٥٢١-٥٧٩ للميلاد (م) .

(٣) وهم المؤلف في قوله ان زيادة الفترات ودجلة كانت في سنة سبع أو ثمان من الهجرة . فقد قال البلاذرى في هذا الشأن : « ثم لما كانت السنة التى يثبت فيها رسول الله (ص) عيادته بن ساذلة السيسى الى كسرى أبرويز وهي سنة سبع من الهجرة ويقال « سنة ست » زاد الفترات ودجلة زيادة عظيمة لم ير مثلا قبلها ولا بعدها » . ويؤخذ من ذلك ان سنة ٦٢٩ م التى ذكرها المؤلف اعلاه لا تتفق هي دسنى سكم كسرى أبرويز . إذ أنه سكم من سنة ٥٦٠ الى سنة ٦٢٨ للميلاد . فزيادة الانهار حصلت في آخر سنة من حكمه وهي ٦٢٨ المتعاقبة لسنة ٦ و٧ للهجرة (م) .

للقوضى التي سادت السنوات التالية ، ولقيام الجيوش الاسلامية باكساح بلاد ما بين النهرين ، ولاتحلال المملكة الساسانية ، بقى حال السدود على ما آلت اليه مخفلة بطبيعة الحال . « فكانت البثوق تفجر فلا يلتفت اليها ، ويسجز الدهاقين (أى النبلاء أفرس الذين كانوا يملكون تلك الارض) عن سد عظمها فاستمرت البطيحة وعرضت » .

والاخبار المارة الذكر عن تكون البطيحة الكبرى واشارة ابن رسته الى هذه الحقبة من آخر عهد الساسانيين ، تبين أول تحول كبير لدجلة من مجراه الشرقى ، فيما وراء ماذرايا ، الى مجراه الغربى (أى شط الحى)^(١) . ثم أن دجلة « خرقت الارض حتى مرت بين يدي واسط قبل أن تكون واسط » . فلما تحولت دجلة على ما ذكر ابن رسته - صارت الارضين المتاخمة للمجرى الشرقى القديم صحارى ومفاوز ، وقد كانت على هذه الحال فى المئة الثالثة (التاسعة) حين كتب كتابه . ثم وصف ابن رسته ما بقى من دجلة - وكان طوله ستة فراسخ (فوق القرنة) - الصاعد شمالا الى عديمى والمذار حيث سكرت دجلة^(٢) . وواضح أن هذا النهر هو أسفل مجرى دجلة الشرقى القديم والحديث . وقال ابن رسته ان هذا السكر ، وقد كان فى أيامه يقرقل الملاحه فيما فوق هذا الموضع ، لم يكن موجودا فى أيام الساسانيين . فكانت السفن تجرى الى شمال عديمى والمذار حتى ملتقاها بدجلة (أى دجلة أيامه) ثانية فى كورة فى شمال واسط (فى ماذرايا) حتى تسمى المذار ، فلا عائق فى النهر يحول دون سير السفن . ثم يوالى ابن رسته قوله : « فكانت سفن البحر قبل الاسلام تجرى من بلاد الهند ، فتدخل دجلة البصرة (أى فىض دجلة) حتى تسمى المذار (طيسفون) فتمر حتى تخرج فوق فم

(١) سبق لنا القول ان دجلة تحول مجراه الى ما يعرف اليوم بالدجلة لا الى شط الحى أى المذار وهو غير الدبيلة (م) .

(٢) قال ابن رسته فى ذلك ما يأتى .
« ثم ان دجلة هذه التي هي اليوم سكرت من عند الجزيرة الى يوم الماء الى دجلة العوداء وبطلت الى المذار ليسير الى بقية دجلة العوداء ، فخرقت وانفق عليها كسرى ابريز مالا عظيما فاعيا ذلك وجرت دجلة فى موضعها الذى هو اليوم بين يدي واسط ، فصارت البطائح هذه التي تكون اليوم فاعورت دجلة من ذلك الموضع المكسور الى مذار وبطلت تلك البطائح التي كانت يجوش لبقى من دجلة دجلة العوداء من المذار الى بحر الهند وذلك فى مقدار ثلاثين فرسسا . وهي دجلة البصرة ، واليه ينتهى مد البحر ومنه يجر اذا رجع الماء الى البحر » (الاعلاق النفيسة . ص ٩٥) (م) .

الصلح نصير الى دجلة (أى موضع دجلة السفلى فى الازمنة المتأخرة) بغداد •
 فأسفل دجلة الحالية ، ينساب فى المجرى الاصلى الذى كان يتبعه بوجه عام
 فى أيام الساسانيين • ولكنه كان طوال العصر العباسى ، يتحدّر الى البطيحة فى
 مجراء الغربى المار بواسط • ولسائل أن يسأل : متى تحول النهر ثانية الى مجراه
 الشرقى الحالى ؟ والجواب عن هذا ، ان التحول حصل ولا شك تدريجاً من ترسّب
 الطمي فى المجرى الغربى • ومهما يكن من أمر فإن مراجعنا الاسلامية حتى عهد
 تیمور وبده المئة التاسعة (الخامسة عشرة) أجمعت على أن دجلة الأسفل كان ما
 زال يمر بواسط • وقد أيد حافظ ابرو هذا الامر ، حين كتب فى سنة ٨٢٠
 (١٤١٢م) • وفى طليعة الرحالين الذين نوهوا بالفرع الشرقى وذكروا أنه
 نهر صالح لسير السفن هو جون نيوبرى (John Newberie) فإنه يصد أن
 زار بغداد أطلع فى سنة ١٥٨١م بسفينة الى البصرة فبلغها فى سنة أيام ، وكان قد
 مر فى اليوم الخامس بالقرنة ، فقال انها « قلعة تقوم عند ملتقى نهر فرّو (الفرات)
 بنهر بغداد (دجلة) » • وفى القرن الذى يليه انحدر تافرنيه الفرنسى برحلة فى
 دجلة كسلفه • فقد غادر بغداد فى شباط سنة ١٦٥٢م • وذكر أنه على مسافة
 غير قليلة أسفل من هذه المدينة ، يتفرع دجلة الى فرعين ، كان الفرع الغربى
 (وهو المار بواسط) فى أيامه قد أصبح غير صالح لسير السفن ، وكان يجرى فى
 ناحية ما بين النهرين - على حد قوله - فاتبع الرحالة الفرنسى فى سفينته النهر
 الشرقى الحالى الذى كان يجرى فى ناحية « كلدبة القديمة » بعد مغادرته (كوت)
 العمارة • وقبل وصوله البصرة بشيء يسير مر بالقرنة فقال : ان دجلة والفرات
 يلتقيان هناك ^(١) وبعد نشوء البطيحة العظمى وما تلا ذلك من تبدل فى مجرى الفرات

(١) السلاوى ٢٩٢ / ابن رسته ٩٤ : بالغوت ١٠٦٦٩ • وفى سنة ١٥٨٢ م ، انحدر جون
 Eldred John فى النهر من بغداد الى البصرة ووصف كيف « يلتقى قبل بلوغ البصرة
 بنهر يرم - نهر دجلة والفرات وتقوم هناك قلعة يقال لها القرنة » (انظر رحلته فى
 Hakiuyt's Principle Navigations (Glasgow, 1804 Vol. VI, p. 6)
 وانظر ايضا Vol. V., p. 371 فبعها ان سيزار فروديك Caesar Fredrick قد قام بما يشبه
 هذه الرحلة فى سنة ١٥٦٢ م وذكر بشكل ذلك قلعة القرنة • وانظر عن رجسلة جون نيوبرى
 Purchas, His Pilgrimes (Fol. 1625-1626) Vol. 5, p. 1411-1412
 وانظر Six Voyages en Turquie de J-B. Tavernier (Utrecht, 1712, 1.240).
 اما الرحالة الاثنيون فلم ياتوا بأشغال والية - ويظهر ان القدم من ذلك صلاح فرع دجلة الغربى

ودجلة أهم ما يلفت النظر للحالة الطبيعية لأرض ما بين النهرين السفلى فى أيام
الحلابة . ولا يقل عن ذلك شأنًا ما كان عليه نظام الرى الذى ورثه العرب بعد
الفتح بانتقال البلاد اليهم من الفرس . وبوجيز القول نجد أن العراق جميعا ،
مما كان فى شمال البطيحة وواقعا بين النهرين ، كانت تشقه على ما قد يتَّ
أنهار تلو أنهار ، تأخذ من الفرات وتجه نحو الشرق فصب فى دجلة . بينما كان
فى شرق دجلة ، نهر طوله مئتا ميل يعرف بالنهر وان^(١) يبدأ أسفل من
تكريت^(٢) وينتهى فى دجلة على نحو من خمسين ميلا من شمال واسط وكان
بروي ما فى الجانب الأبد من دجلة ، أى ما تآخم ايران . وسنسط القول فى هذا
النظام المائى العظيم فى موضعه من الكتاب . على أننا ان ألقينا نظرة الى الحارطة
الرفقة الموضوعية بالاستناد الى ما كتبه المؤلفون المعاصرون ، بان أن مرجع حصب
العراق الحبيب فى أيام المباسين كان نظامهم الدقيق فى استغلال مصادر المياه كل
الاستغلال . فبينما كانت الاراضى الممتدة بين الفرات ودجلة تكاد تسقيها كلها
الانهار الآخذة من الفرات الى ناحية الشرق ، كانت الاراضى التى فى يسار
دجلة وأمام سفوح الجبال الايرانية ، تسقيها أنهار تأخذ من النهروان . فقد
كانت توزع مياه دجلة الفائضة على الاراضى الشرقية توزيعا فنيا اقتصاديا ، وتجر
مياه فيضان الانهار الكثيرة المنحدرة من جبال كردستان .

(اى المائى) لسير السمن ، الرحالة البرتغال الجيول ، ولسغة رحله المعطولة لدى ميچر م . ميوم
(النظر The Athenaeum عدد ٢٣ الصادر فى آذار ١٩٠١ من ٣٧٣) وقد بره فيها بالقلمة
(مراد العرلة) وهى على سنة فرائسج قون البصره حيث يفتقر الفرات بدجلة . ويؤخذ مما جاء فى
كلامه ، انه قام برحله فى نحو سنة ١٥٥٥ م - وصغوه القول ان وصلة على ما يظهر ، كان منذ صدر
الاسلام حتى نهاية المئة التاسعة للهجرة ، يجرى فى الفرع الغربى متحدرا الى البطيحة . ثم انه فى
اوائل القرن السادس عشر للسلطان ، عاد ثانية الى مجراه الشرقى حيث كان يجرى فى النهر الأساسى
قبل ظهور الاسلام وجر مجراه الى ايلنا .

(١) الظاهر ان المؤلف يمد الماطول الكسرى نفسا من النهروان ، وهذا مخالف لما ذكره البلدانون
كياضوت وغيره . (م)

(٢) تقوم تكريت فى غربى دجلة . ومراد المؤلف ان النهروان يخرج من اسفل تكريت فى الجانب
الغربى (م) .

وقد عُتيت في أحد تأليفي السابقة ، بوصف خطط بشار^(١) وغاية ما تنوخوا الآن هو أن نلخص أهم الأخبار عن هذه المدينة اظهارا لمترلة العاصمة العباسية بين مدن العراق وايضا لنظام الطرق (وقد نوهنا به في الفصل الاول) الذي كانت بغداد مركزه .

فأول الأنهار الكبيرة التي كانت تحل من الفرات الى دجلة ، نهر عيسى^(٢) . وفي نحو سنة ١٤٥ (٧٦٢) ابتنى المنصور فوق مصب نهر عيسى في دجلة المدينة المدورة وهي نواة مدينة بغداد . وكان للمدينة المدورة أربعة أبواب متساوية الأبعاد بعضها عن بعض ، بين الباب والباب ميل عربي . ويخرج من كل باب طريق . ثم نشأت مع الأيام أرباض واسعة على هذه الطرق الأربعة . ولم يمض وقت طويل عليها حتى اندمجت في نطاق المدينة وقام منها مدينة بغداد الكبرى . وكانت أبواب المدينة المدورة الأربعة :

- (١) باب البصرة في الجنوب الشرقي ، وهو يقضى الى الأرباض المسندة على ضفة دجلة حيث تصب فروع نهر عيسى المختلفة .
- (٢) باب الكوفة في الجنوب الغربي من بغداد ، ويخرج منه طريق الى الجنوب وهو طريق الحج الى مكة .
- (٣) باب الشام في الشمال الغربي ، حيث ينفرع الطريق يسارا الى الأنبار على الفرات ويمينا الى المدن الواقعة على ضفة دجلة الغربية شمال بغداد .
- (٤) باب خراسان المؤدى الى الجسر الكبير لمن أراد عبور النهر . وهذا الجسر كان يقضى الى بغداد الشرقية ، وهي التي عرفت بصكر المهدي أولا ، والمهدي هو ابن المنصور وخليفته . وقد بنى المهدي هاهنا قصرا ، وأنشأ أيضا المسجد الجامع في بغداد الشرقية .

(١) انظر (بغداد في عهد الخلافة العباسية) أكسفورد ١٩٠٠ . وينبغي ان يلاحظ ان عدد كور العراق ومدنه وقرى التي انتهت اليها اشبارها كبير جدا ، ونحتاج الى مسند للذكر كل ما عرف من هذا الاقليم الذي كان قلب الدولة العباسية - والحارطة التي وضعتها لان سراييون JRAS, 1896, p. 32 .

تبين جميع المرافض التي على النهر والترح - الا ان هذه الحارطة لم تستوعبها جميعا - وللوسع ينبغي للناظر ان يرجع الى كتاب البروفيسور م. شسترك الموسوم : Die Alle Landschaft Babylonien (Leyden, 1901) للمجال يفتق من ذكرها كلها في هذا الفصل .

(٢) أطلق العرب لفظة « نهر » على ما كان نهرا طبيعيا أو صناعيا - و « عيسى » اسم الامير العباسي الذي شق هذا النهر .

وكان في الجانب الشرقي ثلاث محلات : المحلة التي بالقرب من رأس الجسر ، وقد عرفت بالرصافة ، ومحلة الشمسية فوقها على النهر ، ومحلة المخرم تحتها . وكان يطفئ بهذه المحلات الثلاث من بغداد الشرقية سور نصف دائري يبدأ من ضفة النهر فوق الشمسية وينتهي بالنهر أيضا تحت المخرم . وكان يخترق القسم الوسطى الضيق من بغداد الشرقية ، أول طريق خراسان الذي يبدأ من باب خراسان في المدينة المدورة ، ويسمى الجسر الكبير الى باب خراسان (الثاني) في بغداد الشرقية . ومنه - على ما بينا في الفصل السابق - يتابع سيره شرقا حتى يبلغ اقصى ديار الاسلام .

وكان يخرج من باب الكوفة في المدينة المدورة ، طريق الكوفة ، أي طريق الحج - على ما بينا - فينتجه جنوبا . وكان الرض المظيم الممتد من هذا الباب الى نحو فرسخ من أسوار المدينة المدورة يعرف بالكرخ . وفي غربي المدينة المدورة رض باب المحول ، وكان الوصول اليه من باب الكوفة وباب الشام . وفيه مجتمع الطرق التي تتصل بالطريق الغربي الكبير الذاهب الى الانبار مارا ببلدة المحول . وكان في شمال باب الشام محلة الحريرة (تناظر الكرخ في جنوب المدينة المدورة) . وكانت المقابر الشمالية في بغداد الغربية فيما وراء محلة الحريرة ، يكتنف دجلة جانين منها . وعرفت هذه المقابر بعدئذ بالكاطنين وسميت بذلك نسبة الى ضريحي امامين من أئمة الشيعة^(١) .

ومدينة بغداد ، تتوسط اربعة طلسايج : كل طسوجين منها في جانب من دجلة وفي الجانب الغربي طسوج قطريل في شمال نهر عيسى ، وطسوج بادوريا في جنوبه . وفي الجانب الشرقي طسوج نهر بوق وهو في شمال طريق خراسان ، وطسوج كلواذي في الجنوب . وكانت بلدة كلواذي قائمة على ضفة دجلة على

(١) والكاطنية اليوم إحدى المدن المنقسمة في العراق لدى الشيعة ، على بعد خمسة كيلومترات من خسبال بغداد وهي اليوم مركز قضاء الكاطنية التابع للواء بغداد ولماست الى موضع مقبرة قريش الكبرى . وقد دفن فيها الامام موسى بن جعفر الملقب بالكاظم في سنة ١٨٣ هـ (٧٩٩) لتسبب اليه لقليل لها الكاطنية . ولما مات عليه الامام محمد بن علي الملقب بالمراد في سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥) دفن الى جواره . لئلا يشيعها عبارة حول القهرين ثم وسعوا فيها فصارت المشهد الكاظمي (م) .

شيء يسير تحت أقصى ابواب بندگان الشرقية الى الجنوب^(١) . ويخرج من بندگان ،
وهي المركز الذي تتفرع منه طرق الدولة جميعها ، طريقان - على ما ذكرنا -
يذهب احدهما الى الجنوب والآخر الى الغرب ، وكانا ينصلان عند باب الكوفة في
المدينة المدورة . وطريقان يذهبان الى الشمال والى الشرق يخترقان بندگان الشرقية
ويبدآن من منتهى الجسر الكبير . فالطريق الجنوبي وهو الذاهب الى الكوفة (ومكة)
كان بعد ان يغادر ربض الكرخ ، يصل الى بلدة حصر وهو على نهر صرصر
ثاني الانهار الكبيرة الاتخذة من الفرات الى دجلة ، ويجرى بموازاة نهر عيسى
في جنوبه . ويبدأ الطريق الغربي ، أى طريق الابار ، من باب الكوفة فيخترق
ربض براتا ، وبعد نحو فرسخ يصل الى بلدة المحول على نهر عيسى . والطريق
الشرقي ، أى طريق خراسان ، يترك بندگان الشرقية ، على ما بينا الآن ، عند
باب خراسان شمال محلة المخرم . واول مدينة يلغها : جسر النهروان وعندها
مجر النهر العظيم : النهروان . وآخر الطرق : الطريق الشمالي ، وكان يخترق
محلة الشمسية فباب البردان في بندگان الشرقية ، وما يتم ان يصل الى بلدة البردان
وهي على شفاة دجلة الشرقية . ثم يتابع سيره يسار النهر فيبلغ سامراء ومدن ما بين
النهرين الشمالي (إقليم الجزيرة) .

وفي غضون القرون الخمسة التي عاشت فيها الخلافة العباسية ، تميزت خطط
بندگان وارياضها تميزا كبيرا ، لاتساع المدينة من جهة وخراب بعض اقسامها من
جهة اخرى ، وما صورناه في الفقرات السابقة ان هو الا صورة المدينة على ما
كانت عليه في خلافة هرون الرشيد . وكانت الحروب الداخلية التي نشبت بعد
وفاته ، قد اوقعت الحراب في المدينة المدورة . وفي سنة ٢٢١ (٨٣٦) ، نقل مقام
الخلافة الى سامراء فضول شأن بندگان في عهد سبعة من الخلفاء ، وامست مدينة
إقليم لا غير . ولما هجرت سامراء سنة ٢٧٩ (٨٩٢) وعاد الخليفة الى العاصمة

(١) كان يحيط بالمخالب الشرقي من بندگان ، سور عظيم يكتنفه خندق وفي السور أربعة ابواب -
الباب الشمال : باب السلطان ، وهو باب المظم الآن - ويليهِ « باب القفريه » (الباب الوسطاني
الحال وفيه اليوم متحف الانسنة) . ويليهِ باب الحلية (باب الطلسم وقد تسفه الانراق سنة ١٩١٧
حين خرجهم من بندگان) اما أقصى الابواب جنوبا فهو باب كلوازي وعرف ايضا بباب البصلية لقربه من
محلة التي بهذا الاسم وسمى في الأمانة الحديثة بالباب الغربي . وقد نقض قبل سنوات (م) .

بالقديمة ، كانت بئداد الشرقية ، وقد استجد فيها الكثير من القصور ، قد خلفت
معبد المدينة المدورة التي ازدادت خراباً على خراب ، وأقام الحلفاء في الجانب
الشرقي خلال القرون الأربعة التالية حتى الفتح المغولي دون أن يتحولوا عنه .

وقد ابتنى الحلفاء في أواخر العصر العباسي قصورهم هذه في جنوب المخرم .
والمخرم سفلى المحلات الثلاث التي في داخل أسوار بئداد الشرقية على ما كانت
عليه في أيام هرون الرشيد . وكانت هذه المحلات الثلاث في الزمن الذي تكلم
عليه ، قد استولى عليها الخراب ، إلا أنه ما عثم أن نشأ حول القصور المحدثنة
أراضي جديدة ، ما كاد يعضى عليها وقت طويل حتى أحيطت هي أيضاً بسور عظيم
نصف دائري . وقد كان سور بئداد الشرقية الجديد يشتمل قسمًا من محلة المخرم
التيقة ، ويدوّء من ضفة النهر فوق القصور ، واتهاؤء في ضفة النهر تحتها
(أي أنه يصانق طسوج كلواذي) . وكان المستظهر^(١) قد بنى السور في سنة
٤٨٨ (١٠٩٥) ثم رمّم غير مرة . إلا أنه في سنة ٦٥٦ (١٢٥٨) لم يبق على صد
هجوم المغول فانهى الأمر بسقوط الحلقة العباسية . ومازال هذا السور المتشعث
قائماً حتى اليوم يحتضن ما تبقى من مدينة الحلفاء ، ويعمى بئداد الحديثة عاصمة
العراق اليوم مثلاً كانت بالأمس ومقام إليها التركي^(٢) .

وعلى سبعة فراسخ أسفل من بئداد : الملائن ، على جانبي دجلة . والملائن

(١) التحقيق أنه شرع في بناء السور على عهد الخليفة المستظهر بالله وبنتت منه مئة قلعة ،
ولكنه بعد ما شاهده المسترشد بالله سنة ٥١٧ . راجع المنتظم ج ٦ : ٢٤٢ ومطالب بئداد ص ١٧
(الدكتور مصطفى جواد) .

(٢) زالت اليوم معالم هذا السور ولم يبق منه سوى باب واحد يقال له الآن « الباب الواسطي »
وسر باب الضيقة قديماً . وقد رمت دائرة الآثار العراقية هذا الباب وأتلفت منه متصلاً للإسلة
القديمة . أما بئداد فأنها بعد إعلان استقلال العراق سنة ١٩٢١م صارت عاصمة الملكية العراقية
الحديثة . واتسمت همارتها في السنوات الأخيرة ، تامتت خارج حدود أسوارها القديمة مسافة بعيدة .
فاتصلت البنايات من جهة باب المظفر حتى بلغت الاطرافية فالصليبخ ، أي أنها شملت ما كان يعرف قديماً
بمحلة المخرم وسوق المطر رحلة الرسافة والنسابة . ومن الجنوب اتصلت من الباب الشرقي حتى
الزوية والسببة قصور وامتدت شرقاً إلى بئداد الجديدة أي أنها شملت ما كان يعرف قديماً بطسوج
كلواذي أما في الجانب الغربي ، ولد كانت إلى سنوات قليلة تقتصر على ما كان يعرف بمحلة الكرخ ،
لقد امتدت المباني حوله إلى الكاظمية شمالاً وكرادة مرم جنوباً والحارثية ونهر الفرس غرباً . أي شملت
ما كان يعرف قديماً بمدينة المتصور المدورة وما حولها من محال وكسماً من طسوجي بادوردا وقطربلج .
فأصبح طول بئداد اليوم من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها نحو من عشرين كيلومتراً . فلم يبلغ
بئداد إلى أي عصر من عصورها ما بلغته اليوم من سعة وعمران (٣) .

هو الاسم الذي أطلقه العرب على اطلال العاصمة التوأمين : قطيسفون وسلوقية التي اسماها السلوقيون الاولون قبل الميلاد بثلاثة قرون . وسلوقية ، وهي في الجانب الغربي ، قد سميت باسم سلوقس تقطور . اما « قطيسفون » ، وقد اختصر العرب اسمها فقالوا طيسفون ، فلا يعرف اصل اشتقاقه . وهو وان بدا غريباً ، فقد يكون صحيحاً لاسم المدينة الفارسي القديم ، اذ لسنا نعلم ما كان يسمى به الساسانيون عاصمة دولتهم هذه^(١) . وفي سنة ٥٤٠ للميلاد ، استولى انوشروان العادل على انطاكية الشام وسلوقية نهر الكلب ، واجل اهل سلوقية هذه الى عاصمته طيسفون على عادة ملوك الفرس ، فانزلهم فيها في ريش جديد في جانب دجلة الشرفى ، أى بازاء موضع سلوقية العراق . وكان هذا الرىض باقيا حين فتح العرب العراق بعد ذلك بقرن . وكان ما زال يعرف بـ « رومية » أى المدينة الرومية « اليونانية » وقد ذكر بعضهم انها بنيت على غرار انطاكية .

وكانت المدائن على ما ذكر المصنفون المسلمون تتألف من سبع مدن ذات اسماء معروفة على اختلاف في قراءتها . والظاهر ان خمسا من هذه المدن فقط كانت قائمة عامرة حينما كتب القويى في المئة الثالثة (التاسعة) ، وهي : المدينة الشقيقة أى طيسفون . وعلى ميل من جنوبها اسابنر . وبجوارها رومية وهذه المدن في الجانب الشرقى . وفي الجانب الآخر من دجلة كانت بهرسيرو وهي « صخيف » به - اردشير - (أى بلدة الملك اردشير الطيبة) - وعلى فرسخ من اسفلها : ساباط ، وكان الفرس على ما ذكر ياقوت يسمونها بلاس أباز .

والقصر الساساني الفخم الذي مازالت بقاياه قائمة في الجانب الشرقى من

(١) من الآثار المنيولة في هذا السند ان قطيسفون تطلق كسبياً الوارد ذكرها في سفر عزرا (١٧ : ٨) بانها بين بابل والقدس وقد ترجمت في الترجمة السبعينية للثورة بـ « المدينة الطيبة » اما المدائن لمي مدينة الجبل بالعربية للفظ « المدينة » . ر - كسبياً « مدينة كلدانية للاسم الفارسي المفقود في وقتنا لعاصمة الاكاسرة » اه -

قلنا : وللمال الاثرى مرتسميلد راي في اسماها ذكره في كتابه Herzfeld, Geschichte der Stadt Samarra, p. 29-32 وعلمه خلاصته : اسمها المادى القديم كسبياً او كسبيانام (أى حمن الفريزيين وهم قوم سكنوا في شمال ايران دنهم عرف بحر فزدين) وبلفظ بالارامية « كسفرن » . وعرفه اليونان بصرونة « كتيسفون » . وسمارت منذ نحو سنة ١٥٠ ق.م مرأ للفريين . ومسكر بوليوسوس الى كتيسفون سنة ٢٢ ق.م . ثم اتخذها الساسانيون عاصمة شغالية لدولتهم ، وعزلت الى العنودة الارامي باسم (ماحوزي) ومعناها المدائن . ومن بقاياها الشاهصة اليوم طاق كسرى (م) .

دجلة ، سماء العرب : ايوان كسرى . وكان هذا الايوان ، على ما جاء فى الميعوى
يقوم فى اسبابير . وهناك بناء فخم آخر يعرف بالقصر الابيض ، كان يرى فى المدينة
المتبقية على ميل من شمالها . الا ان هذا الاخير قد اندرس وعفت آثاره منذ
ابتداء الملة الرابعة (العاشرة) . فان جميع المصنفين المتأخرين ، اطلقوا اسم
« القصر الابيض » و « ايوان كسرى » دون تفريق على البناء المقود الكبير وهو
الاثر الوحيد القائم حتى اليوم فى هذا الموضع من أبنية الملوك الساسانيين . وقد
كاد هذا البناء بمحق عن آخره فى اواسط الملة الثانية (الثامنة) حين كان المنصور
يبنى بغداد . فان هذا الخليفة امر بتقضى القصر الساسانى واستعمال أجره فى بناء
مدينته الجديدة ، وحاول وزيره الفارسى ، خالد الرمكى ، دون جدوى ، اقتناعه
بالمدول عن تقضه ، فقد اصر الخليفة على ذلك ولكن الوزير تحقق رأيه حين
بدى بالنقض وتبين ان ذلك يكلف اكثر من صنع الآجر الجديد للبناء . فترك
ايوان كسرى ، على ما سماء به ياقوت ، قائما فى مكانه . وبعد ذلك بزمان نقل
شئ كثير من أجره ل بناء اسوار قصر التاج ، الجديد فى بغداد الشرقية . وقد
فهرج الخليفة علي الكنكى من بنائه فى سنة ٢٩٠ (٩٠٣) .

والمدائن ، وقد عمها الحراب اليوم ، كانت فى الملة الرابعة (العاشرة) بلدة
صغيرة أهلة ذات مسجد جامع عامر بنى فى زمن الفتح الاسلامى . وبالتقرب منه
ضريح سلمان الفارسى^(١) من اشهر صحابة النبى محمد . وكانت اسواق المدائن
من الآجر ، عامرة . وقد عقد الخليفة المنصور مجلسه حينما من الزمان فى رومية
المجاورة لها . كما اقام المأمون ايضا فى ساباط ، وهى فى الجانب الثانى من النهر .
وكانت فخامة قصر الاكاسرة العتيق وروعة موضوعا تحدث به البلدانون العرب
وافاضوا فى الكلام عليه . فقد ذكر الميعوى ان علو قمة الطاق عن الارض ثمانون
ذراعا . وأشار ياقوت الى عظم أجره : فطول كل آجرة نحو ذراع فى عرض اقل
من شبر^(٢) . وروى المستوفى ، وقد سرد حديثا خرافيا عن المدائن وقصرها ،

(١) وحول هذا الجناح اليوم يلبه صهيبة تنسى « سلمان ياك » مركز ناحية بهذا الاسم لى
لواء بغداد (د) .

(٢) يند هذا الطاق ، اعرض طاق لى العالم مقود بالآجر دون استعمال السنت فى تقوته .
عرضه خمسة وعشرون مترا وبض المتر ، وعلوه عن مستوى التلبيط سبعة وثلاثون مترا (د) .

ان في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) سارت المدائن ورومية خرابا يابلدان بقيت القرى التي بازلها في الجانب الغربي أهلة * وكان من اعمر تلك القرى على قوله بهر سير ، وقد مر ذكرها ، سماها ياقوت حين زارها : الرومقان * والى جنوبها : زيرران ، وهي على مرحلة في طريق الحاج ، وفي غربها صرصر ، وقد مر ذكرها ، وهي على نهر صرصر وهو يصب في دجلة على شئ يسير فوق المدائن * والفسوج الذي حول المدائن المتمد شرقا من دجلة الى الهروان ، كان يعرف بالراذان (الاعلى والاسفل) * وقد سرد ياقوت اسماء قرى عديدة فيه ، واحرى المستوفى وفرة غلامه^(١) .

ودير الماقول (أى عقلة « النهر » وعوجنه) ، ما زالت الخارطة الحديثة تشير اليه ، وهو في الجانب الشرقي على عشرة فراسخ أسفل المدائن * واسمه يدل على شكل مجرى دجلة في هذا الموضع . وقد كان ديرا للتصاري حوله مدينة كبيرة كانت من اجل مدن طسوج الهروان الاوسط * وكان في المدينة مسجد جامع^(٢) لا يبعد كثيرا عن السوق * وذكر ابن رسته في نهاية المئة الثالثة (التاسعة) المأصر على دجلة في هذا الموضع * وبها اصحاب السيارة والمأصر من قبل السلطان * قال : « والمأصر ان تشد سفيتان من احد جانبي دجلة وسفيتان من الجانب الآخر ، وتشد السفن على شطرين ثم تؤخذ قلوبس (حبال) على عرض دجلة وتشد رؤوسها الى السفن لئلا تجوز السفن بالليل » * وذكر المقدسي في المئة الرابعة (العاشرة) ان « ليس على دجلة من نحو واسط مدينة اجل من دير الماقول ، كبيرة عامرة أهلة » * ثم ان دجلة حول مجراه * فذكر ياقوت في المئة السابعة (الثالثة عشرة)

(١) البيهقي ٣٢٠ و ٣٢١ ، ابن سريون ٦ ، ابن حوقل ١٦٧ ، المقدمي ١٢٢ ، ياقوت ١ : ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٤٢٨ و ٨٠٩ ، ٢ : ٧٢٩ و ٩٢٩ ، ٣ : ٢ ، المستوفي ١٣٩ و ١٤٠ .

(٢) في اول هذه الحاشية كلام للمؤلف فيما جرى عليه في ترجمة لفظة « الجامع » الى الانكليزية ثم قال : « للمسلمين نوعان من المساجد : الاول ما كان صغيرا ويعرف بـ « المسج » وفيه يصل الناس الى وقت اذانها ، والمسجد نظير « القام » و « المسجد » * و « المصل » تمام فيه الصلاة بوجه خاص في الامصار الكبيرة ، والثاني المسجد الجامع وفيه تمام صلاة الجمعة وتلقى « الخطبة » - وهو يتبرم في الغالب بالانكليزية بلفظة « كنديتية » ويقاس كبر المدينة او القرية بما فيها من جوامع او منابر * وهذا ما جرى عليه غالباً البلدانون العرب لدى وصفهم المدن * فالاستغفرى مثلا سرد بيتا طويلا لمواضع في لارس منها ما كان ذا منبر ومنها ما ليس كذلك * وهذا ينبغي ما يقال من ان في القرية الفلانية في بلد نصراي كنيسة اسقفية * وقد تبينت تسمية المسجد الجامع في الازمنة المتأخرة الى مسجد الجمعة على ان هذه التسمية لم تعرف في صدر الاسلام .

ان دير الماقول كان على شاطئ دجلة ، فاما الآن فينه وبين دجلة مقدار ميل ، وهو بمفرده في وسط البرية . على ان المستوفى بعد ياقوت بقرن كان يد دير الماقول مدينة كبيرة ذات هواء رطب لتوسطها بساتين التخليل .

وفي الضفة الشرقية ايضا على ثلاثة فراسخ فوق دير الماقول ، بلدة السيب الصغيرة ، وسيت بسبب بنى قوما تفرقا لها عن غيرها . وكانت تكثر فيها بساتين الزيتون ، واشتهر امرها في التاريخ بالوقعة التي جرت فيها سنة ٢٩٢ (٨٧٩) حين تغلب جيوش الخليفة المتتمد على يعقوب الصفار . وعلى بعد قليل اسفل من دير الماقول ، دير مر ماري الملقب بالسليح ، ويعرف أيضا بدبرموشى أو (قه) ، وهو في الجانب الشرقي ، بينه وبين دجلة ميل ، على ستة عشر فرسخا من بغداد . وصفه الشافعى^(١) المؤرخ في المئة الرابعة (العاشرة) ، (وعنه نقل ياقوت) ، بانه دير عظيم شبيه بالحصن المنيع وعليه سور عظيم عال محكم البناء ، وفيه مئة قلابة لربانته ، وهم يتابعون هذه القلابل بينهم من الف دينار الى مائتى دينار (١٠٠-٥٠٠ باون) . وحول كل قلابة بستان ، وتباع غلة البستان منها من مائتى دينار الى خمسين ديناراً (١٠٠-٢٥ باونا) وفي وسطه نهر جار .

وبالقرب من دير قتي على نهر دجلة : الصافية . وهى بلدة قال ياقوت انها كانت في ايامه خراباً ، وبازاتها في الجانب الغربى : حمانيه (أو هينيا) ومازالت ترى في الحارطة الحديثة وهى على فرسخين جنوب شرقى دير الماقول . وفي بدء المئة الثالثة (التاسعة) كانت حمانيه بلدة قليلة الشأن ، وبعد وفاة الخليفة الامين حجر فيها المأمون حيناً من الزمن : ابني الامين وامه زبيدة ارملة هرون الرشيد^(٢) . ووصف ياقوت في المئة السابعة (الثالثة عشرة) حمانيه بقوله : انها قرية كبيرة

(١) راجع كتاب الديارات للشافعى ، وقد عني بتحقيقه ونشره احدنا كوركيس حواد (بغداد ١٩٥١ ص ١٧١) (٢)

(٢) قال الطبرى في حوادث سنة ١٩٨ هـ امر (المأمون) بتحويل زبيدة وموسى وعبدالله ابني محمد (الامين) معها من قصر امى جسر الى قصر بغداد ، فعزلوا ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول ثم مضى بهم من ليثهم الى حراة الى/مينيا (وهى حمانيه) على الجانب الغربى من الزابح الايمن . ثم امر بجعل موسى وعبدالله الى عملهما بخراسان ، (م) .

حولها مزارع^(١) حنة^(٢) .

وعلى اربعة فراسخ جنوب شرقى دير العاقول ، جرجرايا أو جرجراى ومازالت باقية^(٣) ، ووصفها المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) بانها « بلدة عظيمة ، الجامع بقرب الساحل عامر ، ولهم ماء يدور حول قطعة من المدينة » . وذكر يعقوبى ، وقد سبقه بقرن ، انها « ديار اشراف الفرس » وهى مدينة النهروان الاسفل . « وكانت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) » على ما جاء فى ياقوت ، قد « خربت مع ما خرب من النهروانات » . وفى جانب دجلة الغربى ، على اربعة فراسخ اسفل من جرجرايا ، حيث الخراب المروقة اليوم بتل نعمان ، تقوم بلدة النعمانية . وقد ذكر ياقوت انها « بلدة بين واسط وبغداد فى نصف الطريق » وهى مدينة الزاب الاعلى ومسجدها الجامع فى السوق وزاد يعقوبى على ذلك ان فى مدينة النعمانية دير هزقل ، وفيه يعالج المجانين . واشتهرت النعمانية ، على ما ذكر ابن رسته ، لان « بها تتخذ الطنافس الحرير » . وفى المثة الثالثة (الرابعة عشرة) ذكر المستوفى النعمانية انها بلدة زاهرة حولها يساتين النخيل^(٤) . وكانت جبل بلدة فى الجانب الشرقى على تسعة فراسخ اسفل من جرجرايا . وذكر ابن رسته فى المثة الثالثة (التاسعة) ان بها « دار طبخ للسلطان » وهى مدينة كبيرة . وبها مسجد جامع فى السوق . وقال المقدسى ان جبل تلى دير

(١) قال ياقوت : انها « فى وسط البرية ليس بجزءها شىء من المسارات » (معجم البلدان ٤ : ٩٨٠) . حال زال نرى على يسار مجرى دجلة الخلال على مقربة من جنوب الموزينة مجبوعة من الفلول تعرف حتى اليوم بخراب مدينة يبلغ محيطها نحو ٣ كيلومترات وارتفاعها نحو عشرة امتار . وقد درست مديرية الآثار العراقية سنة ١٩٤٢ الملاحا وأثارها السطحية فوجدت انها ترقى الى الزمن الساساني والاسلامي . ويلاحظ ان حسانية القديمة كانت على يمين دجلة اما الحالية فقد صارت فى الجانب الآخر لتبدل مجرى دجلة ومازال يرى عين المجرى القديم فى الجانب الغربى (م) .

(٢) ابن رسته ١٨٥ و ١٨٦ ، يعقوبى ٣٢١ ، قدامة ١٩٣ ، المقدسى ١٢٢ ، المسعودى : التنبية ١٤٩ ، ياقوت ٢ : ٦٧٦ و ٦٨٧ ، ٣ : ٣٦٢ ، ٤ : ٩٨٠ ، المستوفى ١٣٩ ، ابن الاثير ٦ : ٢٠٧ - (٣) عين فيلكس جونس فى خارطته المصونة « الطاولون الكسرى والفوران » الملصقة بكتابه ، عرض « جرجرايا » لقطعة من سفلة دجلة الشرقية عند مصدر نهر الشاعورة الحديث (م) .

(٤) على نحو خمسة كيلومترات من شمال بلدة النعمانية الحالية قرب سفلة دجلة اليمنى . تل النعمان . وهو تل واسع محيطه نحو كيلوسر وارتفاعه نحو ثمانية امتار . وقد درست مديرية الآثار العراقية العامة آثاره السطحية سنة ١٩٣٧ فان لها من ذلك ان اعمار سكانها ترقى الى العصر البابلي الحديث والفرنى والاسلامي . والنعمانية الحديثة كانت تعرف الى وقت قريب باسم « البشيلة » بالتصغير فسميت بالنعمانية اسماء لاسم المدينة القديمة التى كانت قائمة قريبا (م) .

الماحول فى الكبر • الا انها صارت فى ايام ياقوت قرية كبيرة^(١) •

وكانت بلدة مازدايا حيث تقوم اليوم كسوت العمارة^(٢) عند مخرج نسط الحى من مجرى دجلة الشرقى وهو دجلة الخالى المنحدر اليوم باتجاه الجنوب الشرقى الى القرنة • وكانت مازدايا فى ضفته الشرقية • وكان يسكنها فى المئة الثالثة (التاسعة) اشراف الفرس ، وعندنا كان مصب النهر وان فى دجلة • وعلى مازدايا سفلاً : المبارك ، وهى بلدة يازاء نهر سايس الذى هو فى الجانب الغربى من دجلة وبلدة نهر سايس كانت عند فم النهر الذى بهذا الاسم • وسأثنى الكلام على ذلك • وكانت هذه البلدة قصة طسوج الزاب الاسفل ، وقيل انها كانت على خمسة فراسخ من جبل^(٣) وفى الضفة المقابلة ، على خمسة فراسخ بانحدار دجلة : نهر الصلح وبلدة فم الصلح عند فم أى مخرجه • وكانت على سبعة فراسخ فوق واسط • وفم الصلح ، على ما جاء فى ابن رسته ، « مدينة على شرقى دجلة • وبها مسجد جامع وأسواق » • وقد اشتهر أمرها فى التاريخ الاسلامى بالقصر الفخم الذى أنشأه فيها الحسن بن سهل وزير المأمون • وفيه بنى المأمون بيوتان ابنته • فأنفق فى ذلك المرس على المطايا والهبات أموال جسام تفوق حدود التصديق ، على ما فصله المسعودى فى كتابه^(٤) • ثم خربت فم الصلح •

(١) لقائمة ١١٣ ، البقوى ٣٢١ ، ابن رسته ١٨٦ و١٨٧ ، المقدسى ١٢٢ ، ناصب ٢ : ٢٢ و٥٤ ، ٤ : ٧٩٦ ، ابر اللقاء ٣٠٥ ، المستوفى ١٤١ •

(٢) بلدة الكوت على يسار دجلة تبعد عن جنوب بغداد نحو ١٨٠ كيلومترا ، وهى اليوم مركز لواء بابسها • وفى سنة ١٩٣٦ اقيم على دجلة سددا « سد الكوت » لتضيق مياه دجلة وولع بضمونها للسفلى اراضى الجانب الغربى من دجلة • ومن المرجح ان موضعها باسم « الكوت » لشاهاك فى اواخر المئة الثانية عشرة (اوائل المئة الثالثة عشرة للسيلاد) •

جاء فى دائرة المعارف الاسلامية ، ان « الكوت » كلمة عديدة معناها القلعة • وهرت هذه البلدة بكوت العمارة • ثم تغير اسمها من كوت العمارة الى كوت الامارة الى رسميات الحكومة العثمانية فى المدة الواقعة بين سنة ١٢٨٧ الى ١٢٩٩ هـ (١٨٧٠-١٨٨١ م) • واهم سبب لقلب الاسم : قرب لفظ « العمارة » من « الامارة » ، ونزول « امارة ربيعة » فى الكوت قبل استعمال هذه التسمية الرسمية • اى كوت الامارة ، فى السجلات التركية التى كانت تصدرها الحكومة العثمانية عن احوال العراق • وفى كتاب « مباحث عراقية » (ص ٣٦٤-٣٨٣) فصل طويل فى تاريخ قيام الكوت وبابسها (م) •

(٣) ما زالت اطلال بلدة نهر سايس • ترى فى الضفة الغربية من شط النسيعة (وهو مجرى دجلة فى ايام العباسيين) • ويقال لها اليوم كل سايس على نحو ١٥ كيلومترا من غرب بلدة الكوت •

ووورد فى مذكرات تحسين العسكري اسم كل سايس فى اشبار حصار الكوت فى الحرب المالية الاولى (م) •

(٤) ومن وصف هذا المرس من المؤلفين الاقنصين : الطبرى (٣ : ١٠٨١-١٠٨٤) ، الشافعى (الديارات ص ١٠١-١٠٢) ، الصالى (نوار القلوب ص ١٢٠-١٢١) ، ابن خلكان (١ : ١٣٧-١٣٨) •

فلما زارها^(١) يافوت في المئة السابعة (الثالثة عشرة) وجد البلدة وما جاورها
من قرى على امتداد النهر خرابا الا قليلا^(٢) ومن بلدة قم الصلح كان المسجد
الجامع في واسط يرى في الأفق الجنوبي .

(١) لم نجد في رسف يافوت لها انه قد زارها (م) .

(٢) البقراين ٣٤١ ، قلعة ١٩٤ ، زين رسته ١٨٧ ، يافوت ٣ : ٩-٢ ، ٣ : ٩١٧ ، ٤ : ٣٨١ .
المسردى ٧ : ٦٥ .

الفصل الثالث

العراق

واسط - البتاليج - المذار والقرنة - دجلة (الغوراء - البصرة وانهارها - الابللة
وعبادان - دجلة فوق بغداد - البريدان - طسوج دجيل -
عكبرا وحريبي والقاسمية -

سميت واسط واسطا ، لتوسطها بين الكوفة والبصرة والاهواز . فهي على
خمسين فرسخا من كل واحدة منها . وقد كانت اعظم مدن طسوج كسكر ، بل
كانت على ما ذكرنا احدى مدن العراق الكبرى الثلاث قبل بناء بغداد .
ابنى الحجاج ، والي العراق المشهور في أيام الخليفة عبد الملك الاموي ، مدينة
واسط في نحو سنة ٨٤ (٧٠٣) . وكانت واسط على جانبي دجلة ، بينهما جسر
سفن . لها جامعان ، في كل جانب جامع . وذكر اليعقوبي ان الجانب الشرقي من
واسط كان مدينة قبل زمن الحجاج . والغلبة على سكان هذا الجانب ، حتى المثة
الثالثة (التاسعة) ، للحجم . وبنى الحجاج في المدينة القريبة القصر الاخضر ويقال
له القبة الخضراء ، وهو المشهور بقبته العظيمة فقد كانت ترى من اعلاها تم الصلح ،
وهي على سبعة فراسخ في شمالها . كانت ارض واسط ويرة الحصب ، وبها قوام
مدينة السلام اذا استنت^(١) نواحيها أو عييت^(٢) ، وكان خراجها في العام ألف

(١) استنتت بمعنى اسماها الجنب والقطب . وعييت اسمايتها عامة (م) .

(٢) صورة الارض لاين حول (١ : ٢٢٦ طبعة كريمرز) (م) .

ألف درهم (٤٠ ألف دينار) على ما ذكر ابن حوقل . وقد كان في واسط سنة ٣٥٨هـ (٩٦٩م)^(١) . وروى المقدسي ، ان جامع الجانب الشرقي قد بناه الحجاج كذلك^(٢) وكانت أسواقها حسنة عامرة ، وقد جعل في طرفي الجسر موضعان تدخل فيهما السفن لتفريغ وسقها .

وبقيت واسط طوال عصور الخلافة من أشهر مدن العراق . ويظهر ان جانبها الشرقي كان اول ما اتياه الحراب منها . فالفروزي ، وكان قاضيا في واسط في النصف الاخير من المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، ذكر ان المدينة بمفردها في جانب دجلة الغربي . واشاد ابن بطوطة ، وكان فيها في اوائل المئة التالية ، بمبانيها الفضة ، وقال ان فيها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاثمئة خلوّة ينزلها القادمون للتعلم . ونوه المستوفي ، وهو ممن عاصر ابن بطوطة ، بما حولها من بساتين التخليل المكتشفة التي ترطب هواها كثيرا . وفي نهاية المئة الثامنة للهجرة (الرابعة عشرة) ورد ذكر واسط غير مرة بكونها موضعا ذا شأن في حروب تيمور الذي أقام فيها حامية قوية . ولكن بعد ذلك بنحو قرن ، اُتُمد مجرى دجلة عن واسط - على ما بنا في مطلع الفصل السابق - وتحوّل الى مجرى الشرقي المنحدر الى القرنة . فاستولى الحراب على سائر المدينة . فلما كتب الحاج خليفة في مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ، قال انها بمفردها في وسط البرية وان النهر قد كان مشهورا بقصبه الذي تتخذ منه الاقلام^(٣) .

(١) ما في ابن حوقل (١ : ٢٢٩) ستة آلاف درهم (م) .
(٢) هذا ما قاله المقدسي بصدد الجامع : « واسط ٠٠٠٠ ذات جابين وجامعين ٠٠٠٠ جامع الحجاج وقيته في الغرب في طرف الاسواق يبعد عن الشط مشتمت عامر بالكران » (أحسن التقاسيم - ص ١١٨) - ولم نلق في المقدسي على إشارة الى ان الحجاج قد بنى أيضا جامع الجانب الشرقي (م) -
(٣) اليقطيني ٢٢٢ : ان رستك ١٨٧ : الاستطهرى ٨٢ : ابن حوقل ١٦٢ : المقدسي ١١٨ : الفروزي ٢ : ٢٢٠ : ابن بطوطة ٢ : ٢ : المستوفي ١٤١ : هل يزيدى ١ : ٦٤٠ و ٦٥٧ : ٥١٧ : ٥١٧ : ٤٦٣ .

يظهر ان حراب واسط لم يتلفعا احد من الرحالة للحدائق - الا ان من كتب من الرحالة العرب عنها ، عند موضع خرابها في مكان على مقربة من شط النهر - روى جسنى في كتابه : Chesney, Report of the Euphrates and Tigris Expedition. (Vol. I, p. 37). ان اورشليم والبرت زارا هذه الخراب في سنة ١٨٣١ - ١٨٣٢ ، ولكنها لم يشيخا الى موضعها .
(انظر حاشية المؤلف) .

لنا : تعرف خراب واسط اليوم بالثارة أيضا لان منارة قديمة ما زالت قائمة في مسجد الجانب الشرقي منها . والحلال مدينة واسط واسعة فسيحة تمتد على جانبي عقين دجلة القديم المعروف اليوم

وعلى ما ذكر ياقوت ، كان دجلة أسفل من واسط ، اذا انفصل عنها ، انقسم الى خمسة أنهر عظام تحمل السفن ، ذكرها باسمائها^(١) . ثم تصب في البطائح . وهذا القول يوافق ما ذكره المصنفون الاولون . فقد ذكر ابن سرايوني ، جملة مدن على دجلة أسفل من واسط وفوق القطر ، وهي قم البطيحة في المثة الرابعة (العاشرة) . وأولى هذه المدن : الرصافة في الجانب الايسر على عشرة فراسخ من واسط . وبالقرب منها نهر يحمل من دجلة شرقا ويصب في البطيحة ، يقال له نهر بان . وفي مصب بلدة بهذا الاسم . ويلفقت ايضا نهر أبان . واسفله : الفاروث ، فدير العمال . وهذه المواضع في الجانب الشرقي ، وبازائها ثلاثة أنهر تجرى غربا وتصب في البطائح ، هي اولاً نهر قرش وعليه قرية كبيرة بهذا الاسم ، فنه السب وعليه بلدتا الجوامد والمقر ، فنه بردوي اوله عند قرية الشديدية . وكلها كانت مدناً ذات شأن في البطيحة حول الجامعة وقرىها ، ويقال لها ايضا « الجوامد » (بمصنف الجمع) . والى ذلك فقد وصف المقدسي مدينة كبيرة في هذه البقعة تعرف بالصليق على بحيرة حولها ضياح ومزارع حنة . وكان تجاه هذه الامكنة على الجانب الشرقي من دجلة : الحوائيت^(٢) وبها المأصر يشد جانبي دجلة كالمأصر الذي قد وصفناه في دير العاقول (ص ٥٤) . وكان هذا المأصر

بالدجلة على نحو ٢٥ كيلومترا من جنوب شرقي الحى التي على نهر الفراف . ولد. نعت مديرية الآثار العراقية العامة في اطلال واسط منذ سنة ١٩٣٦ حتى ١٩٤٢ وكان مما هنر عليه في الجانب الغربي . بقايا من جامع الحجاج ، وقصره الذى كانت ترى فيه الخضراء من قم الصلح ، اى من مسافة ٣٠ كيلو مترا ، وثلاث طبقات بنائية لثلاثة جوامع القيت فوق جامع الحجاج منذ خرابه . وعثر بين الغلى الجامع على اسطوانة من الحجر مكمورة ، جاء فيها « صلوا بالواسطيين » (كذا) واكتشف على شفتى النهر بقايا الجسر الذى كان يربط جانبي واسط . وعثر في مكان آخر على مئات من دمن الطين ترمى الى العصر الايلخاني .
على الجانب الشرقي من واسط كشفت عن بقايا جامع ما زال بابو واحدى متارفيه وبعض جدرانه قائمة حتى اليوم . وعثر في مواضع منه على قبور لها شواهد مؤرخة بسفوات من المثة السابعة للهجرة راجع . لثمة خريات « واسط » لمديرية الآثار القديمة العامة في العراق . بطم فؤاد سفر (طبع المهد الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩٥٢) . (م) .
(١) اسماء هذه الأنهار ، على ما في معجم البلدان (٢ : ٥٠٣) ، هي « نهر ساسي ، ونهر الفراف ، ونهر دجلة ، ونهر جعفر ، ونهر ميسان » (م) .
(٢) ترى بقايا مدينة الرصافة على نحو ٣٠ كيلومترا من شرق قلعة سكر على نهر الدجيلية المندرس . وتعرف بالرصافة . وترى بقايا مدينة الحوائيت على ٢٥ كيلومترا من جنوب شرقي المنطرة وتعرف بالحوائيت ايضا . انظر موضعيهما في « خارطة العراق الانقرة » لمديرية الآثار العراقية . (م) .

عند القطر على التى عشر فرسخا أسفل الرصافة حيث كان دجلة فى المثة الثالثة (التاسعة) ، على ما ذكر ابن رسته ، يشعب ثلاث شعب وينصب ماؤه فى البطائح^(١) . والبطائح جمع البطيحة وقد وصفناها فى صفحة ٤٣ • والرقمة التى تبطحت فيها هذه البطائح ، تنتشر فيها المدن والقرى ، وكل واحدة منها تنوسد نهرها • ومع ان هوامها وخم ، فان تربتها كانت حين تجف غابة فى الحصب • فابن رسته ، وقد كتب فى نهاية المثة الثالثة (التاسعة) ، وصف البطائح بقوله ينبت فيها القصب ، ويخرج من هذه البطائح أنهار منها سمكهم من الطرى والمالح ، كان يحمل الى النواحي المجاورة • اما مياه دجلة فالظاهر انها من قطر فشرقا - ولعلها كانت تتبع مجرى الفرات الحالى بوجه التقريب - تشق طريقها بين احوار متصلة الى نهر ابي الاسد ، وتصب مياه البطائح من هذا النهر الى فيض البصرة • والبطائح ان خلت من القصب ، سماها العرب الهور أو الهول • ويصل فيما بينها أزقة تسير فيها الزواريق • اما السفن النهرية الكبيرة فانها تجنح أسفل القطر على ما جاء فى ابن رسته : • ويحمل بعض ما فيها فى الزواريق فتمر فى شبه أزقة قصب تصل ما بين الاهوار • وبين هذه الازقة مواضع - متخذة من قصب - أشباه الدكاكين - عليها اكواخ من قصب يكتنون بها من البق • وفيها مسالح يعمل رجالها على تطهير المجرى وحماية الملاحين ، لان فى البطائح مكان طيعة يختبئ فيها اللصوص^(٢) • وقد سرد ابن سرايون أسماء اربعة من هذه الاهوار التى تحمل الماء الى البصرة : الاول هور بحصى ، والثانى هور بكمصى ، والثالث هور بصريانا ، والهور الرابع المحمدية وهو اعظم الاهوار ، وفيه كانت المارة المسماة منارة حسان •

(١) ابن سرايون ٩ و ٢٠ : قداسة ١٩٤ : ابن رسته ١٨٤ و ١٨٥ : المقدس ١١٩ : ياقوت ٢ : ١٠ و ٥٢ : ٣ : ٢٠٦ و ٤١٥ : ٤ : ٨٤٠ : ٢١٧ و ٧٥٨ •
لنا : ومن المآثر ، راجع : « المآثر فى بلاد الروم والاسلام » لبيضايل عواد (بغداد ١٩٤٨) •
(م)

(٢) لعل غير ما كتب عن متعلقة البطائح (أى الاهوار) فى المراجع الحديثة • مقالات الفصحى على القرطبي ، فى مجلة « لغة العرب » للاب انستاس الكرملى ٤ : [١٩٦٦] ٣٧٥ و ١٧٤ و ٢٦ و ٥٧٥ •
• : [١٩٢٧] من ١٤٣ و ٢٢٥ و ٦ : [١٩٢٨] من ٢٧٥ • وكما
Haji Rikhan Marsh Arab, by Fulanain (London, 1927).

و « للاثين » اسم مستعار لـ Helchook وكان من الموظفين الإنكليز الذين اشتغلوا فى لواء الصارة • (م) •

وانما عرفت بذلك نسبة الى حسان البطي الذي كان فى خدمة الحجاج عامل بني امية ، فاعاد بعض تلك الارضين الى عمارة . وعلى الهور الاخير زقاق قصب وهو ماء الى نهر ابى الاسد ، ويمر النهر بالحالة وقرية الكوايين ، وهو بحمل ماء البطيحة الى رأس فيض دجلة . وابو الاسد هذا ، ونهره يتفق هو ومجرى الفرات الحالى فوق القرنة ، كان من موالى الخليفة المنصور . وحين كان قائدا للجيش فى البصرة ، حفر بها الهر على ما ذكر ياقوت ، وقيل ان السفن لم تدخله لضيقه ، فوسعه حتى دخلته فنسب اليه . وكان على ما ذكر ياقوت ، محفورا قبله منذ ايام الساسانيين . اما القرنة ، وهى حيث يقترب اليوم الفرات بدجلة ، فلم يذكرها احد من البلدان العرب^(١) . واول اشارة الى قلعة القرنة ، وردت فى جهان نما التركية فى مطلع الملة الحادية عشرة (السابعة عشرة) .

وكان القسم الاسفل من مجرى دجلة الشرقى - وهو دجلة الزمن الساساني وزمننا ايضا - فى المصور الوسطى ، على ما قد ذكرنا ، تصعد اليه المياه المرتدة وفد سكر فى نهايته الشمالية . وكانت هذه المياه المرتدة تسمى نهر المذار . وكان طوله سنة فراسخ ويؤدى الى مدينتى عبادسى (أو عبادسى) والمذار اللتين لا يعرف موضعهما الصحيح . وكان ما يحف بجانيه من اراض - أعنى بامتداد عقيق دجلة الشرقى حينذاك - يعرف بجوخى ، وهى تمتد الى الشمال الغربى حتى كسكر ، كورة واسط . وكانت المذار فى ايام الفتح الاسلامى بلدة جليلة ، وهى قصبة ميسان وعرفت ايضا بدستيسان . وبينهما وبين البصرة اربعة ايام ، وبها مشهد عامر عظيم فيه ضريح عبد الله بن علي بن أبي طالب . اما مدينة عبادسى ، القريبة منها فانها على ما ذكر ياقوت ، فارسية الأصل ، واسمها تمرب اقداسهى اسمها القديم ، وكانت مصنعة فى كورة كسكر قبل الفتح . وكانت كسكر وميسان كورتى القسم الشرقى من البطائح . وعلى ما ذكر القزوينى ، كان يجلب من كسكر الرز الجيد ، وتمربى فى مراعيها الجواميس والبقر والجداء . وتكثر فى احوار القصب : البطوط والفراريج التى تصاد بالشباك وتحمل الى اسواق المدن المجاورة . وكان يصاد فى انهاها كثير من الشبوط فيملح ويحمل الى غيرها . وفى ميسان مشهد العزيز

(١) راجع ما كتبناه من القرنة فى مجلة « سمر » ٨ ، [١٦٥٢] ص (٢٧١ - ٢٧٢) (م) .

التي^(١) ويسمى عزرا . وقد ذكر القزويني انه « مصور يقوم بخدمة اليهود »
وعليه وقوف وثأية النذور « فقد كان مشهوراً في تلك الاتجاه ان الصلاة فيه
مقبولة مستجابة^(٢) » .

والفيض المريع المتكون من اقتران مياه دجلة والفرات ، يبلغ مئة ميل
طولا ، وهو يبدأ من قم نهر ابي الاسد ويصب في خليج فارس عند عبادان . وقد
عرف هذا الفيض ايضا بدجلة الموراء وبيض البصرة . وسماه الفرس بهمن
شير وهو يعرف اليوم بشط العرب . ويدرك المد وانهار البصرة المدينة وانهار الري
رأسه عند المذار وعيدي شمالا . ويدرك المد انهار البصرة المدينة وانهار الري
في شرق الفيض وفي غربه ثم يجزر منها . وتقع البصرة ، نهر العراق التجاري
الكبير ، على طرف البادية على بعد قليل من غرب الفيض . وكانت السفن تملئه
من البصرة بنهرين . وفي شمال البصرة وجنوبها انهار كثيرة تحمل مياه البطائح
السطلى الى دجلة الموراء . وكان يصب في الجانب الشرقي من الفيض انهار اخرى
كثيرة . هذا الى نهر محفور يقال له نهر بيان على نحو من ثلاثين ميلا فوق عبادان ،
يصل فيض دجلة بفيض دجيل (نهر كارون) ، ودجيل ينحدر من افليم خوزستان
ويصب في خليج فارس عند سليمانان^(٣) .

والبصرة - وقد اشتق اسمها من الحجارة السود^(٤) - أنشئت في أيام عمر في
سنة ١٧ (٦٣٨) ، وأقطع سوادها القبائل العربية التي نزلت فيها بعد تقويض
الدولة الساسانية . وسرعان ما اتسمت هذه المدينة فاذا هي والكوفة تصبحان من
عواصم العراق الجديدة . وفي سنة ٣٦ (٦٥٦) ، جرت قرب البصرة وقعة الجمل

(١) ما زال مشهد الامام عبيد الله من علي ، قائما في هذه البقعة . وهو يزار ، والقبور منه تلوى
يخال لها (البقعة) ترمى اكلوها الى الصرين الساساني والاسلامي ويظن انها تمثل مدينة (المذار)
القدسية . ما قبر المميز ما زال قائما في موضعها القديم (م) .

(٢) ابن رسته ٦٤ و ١٨٥ ؛ ابن سريون ٢٨ ؛ فداية ٢٤٠ ؛ السلاوي ٢٩٣ و ٢٤٢ ؛ القزويني
٢ ، ٢٩٦ و ٣١٠ ؛ ياقوت ١ ؛ ٦٦٩ ؛ ٣ ؛ ٦٠٣ ؛ ٤ ؛ ٤٦٨ ؛ ٨٣٠ ؛ جهان نما ٤٥٥ .

(٣) ابن سريون ٢٨ . تطلق لفظة « الموراء » على الانهار التي يسيرها الفرس ، وعلى الطرق التي
لا تنفذ . ويبدو ان اسم دجلة الموراء اطلق أولا على نهر عيدي ولم يتم اسفل النهر الا في زمن
متأخر . المسعودي : (التبيين ٢ : ياقوت ١ : ٧٧٠ ؛ جهان نما ٤٥٤ . وقد ذكر المرجع الاخير فيض
دجلة باسم شط العرب .

(٤) راجع الى أصل اسم البصرة : المقدسي ص ١١٨ ؛ ياقوت ١ ؛ ٦٣٦ ؛ وسومر ٤ : [١٩٤٨]
(ص ١٣٦ - ١٤١) (م) .

المشهورة ومع ان الامام عليا قد تغلب على من سبب موت الخليفة عثمان ، فذلك لم يؤثر في مجرى الامور . وفي هذه الوقعة قتل طلحة والزبير الصحابيان المشهوران . والبصرة ، على نحو اثنى عشر ميلا من فيض دجلة في خط مستقيم . وقد شق اليها من دجلة نهران : نهر مقل^(١) من الشمال الشرقي وثانيه السفن النازلة من بندا ، ونهر الابلثة وتسير فيه السفن من البصرة نحو الجنوب الشرقي فتخرج الى خليج فارس عند عبادان . ويتألف مما توسط بين هذين النهرين وبين مياه الفيض في الشرق ، الجزيرة الكبرى ، على ما كانت تسمى به . وبلدة الابلثة في الزاوية الجنوبية الشرقية لهذه الجزيرة ، فوق مصب نهر الابلثة في الفيض . وكانت البصرة تقوم على امتداد النهر الموصل بين نهري مقل والابلثة . وكانت دورها من ناحية البر غربا تطيق بها البادية بشكل قوس . وللبصرة في هذه الجهة باب يقال له باب البادية . وفي المئة الرابعة (الماشرة) كان امتدادها من النهر الى هذا الباب نحو ثلاثة أميال . أما طولها فيزيد على ذلك بكثير . وأكثر دورها بالآجر . وحول اسوارها ارض خصبة تسقيها انهار صغار كثيرة ، ويلبها بساتين التخييل الواسعة . وذكر المقدسي ان بالبصرة ثلاثة جوامع : احدها على الباب الغربي في وجه البادية وهو القديم ، وجامع ثان في الاسواق . بهي جليل عامر أهل ليس بالمرآق مثله ، على أساطين مبنية . وجامع ثالث على طرف البلدة . وفي البصرة ثلاث اسواق فيها الدكاكين والحانات ، وهذه الاسواق كاسواق بندا سعة . وكان المريد من اشهر محالها في الباب الغربي ، وفيه تحط القوافل الآتية من البادية . وهو أكثر أقسام المدينة اكتظاظا^(٢) ، وبها قبر طلحة والزبير .

(١) قامت في مصرنا في تلك الجهة مبان واسعة كالطائر الحوى والماء ومطعة القطار ودور الموظفين والصال القالبي يشؤون هذه المصالح . وقد جرف الانكليز اسم « المقل » حين احتلالهم البصرة في اول الحرب المالية الاولى فملطوا به « ماركيل » وجازاهم في ذلك من كان يشتغل عندهم ، لشاعت هذه التسمية للملوط فيها وقتنا ما . ثم رجع القوم اليوم الي استعمال الاسم الصحيح أي « المقل » . (م)

(٢) كان المريد قبل ان تخطط البصرة ، بل كان قبل الاسلام . واجباره في الجاهلية منقطعة أو معزومة مما يدل على فلة أهميته اذا داف . اما كانت له أهمية سد فتح العرب الرماق وسكنوه وخطفوا البصرة . فقد انشئت فيه المساكن بعد ان كان مريدا للابل فقط ، لان المريد في اللغة كل شيء حبست فيه الابل والغنم . وانصلت المارة بينه وبين البصرة . وصار المريد في الاسلام صورة مدلة لمكاف . كان موقعا للتجارة وكان موقعا للمصنوعات السياسية وكان موقعا للآداب . فكان يجتمع العرب من

وكان كثير من محال البصرة حين كتب المقدسي قد آل الى الخراب^(١) . وذكر المقدسي فيما ذكر من دور العلم : دار كتب كانت في المئة الرابعة (العاشرة) ، أنشأها ابن سوار ووقفها . وأنشأ أيضا دار كتب مثلها في مدينة رامهرمز بخوزستان . وأجرى في الدارين على من قصدهما ولزم القراءة والنسخ . وكانت دار الكتب في البصرة حافلة بجمهرة كبيرة من الاسفار .

وقد عانت البصرة كثيرا من جراء الحروب والفنن المذكورة في تاريخ الدولة العباسية . ففي سنة ٢٥٢ (٨٧١) حين كانت ثورة الزنج على أشدها ، خرب صاحب الزنج - وكان يدعي انه من سلالة الامام علي - البصرة وأحرق معظم أبنائها . وكان الجامع مما خرب . وانهب جنده المدينة ثلاثة أيام^(٢) . وفي سنة ٣١١ (٩٢٣) نهب زعيم القرامطة مدينة البصرة ، ودام النهب في هذه المرة سبعة عشر يوما . ولكن المدينة استرجعت بعض رعاياها السابقين . فلما زارها الرحالة الفارسي ناصر خسرو في سنة ٤٤٣ (١٠٥٢) قال : بها خلق كثير . ولها سور عظيم يحيط بها ، وكان معظم البصرة خزابا . وكان بيت الخليفة علي ، قرب المسجد الجامع . وكان فيها ثلاثة عشر مزارا تشير الى الاحداث المختلفة التي جرت حين مقام علي فيها . وسرد ناصر خسرو أيضا أسماء المشركين ناحية المحيطة بالمدينة . وفي سنة ٥١٢^(٣) (١١٢٣) استحدث القاضي عبد السلام سورا للمدينة كان يمتد نصف فرسخ في داخل حدودها القديمة . وكانت البصرة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين زارها ابن بطوطة بعد الفتح المولوي ، مدينة آهلة . وقد تكلم ابن بطوطة على مسجد علي بن ابي طالب فقال : انه « بناء عال مثل الحصن

الافطار ، ينشأون فيه الاسفار ويبيعون ويشترون . واجب : فيض الخاطر لاحمد أمين (٤ : ٢٧٨ - ٢٨٧) . (م) .

(١) تعني مير الزبير الآل ، الخراب المرولة بهذا الاسم ، وهي في موضع البصرة القديمة . اما البصرة الحديثة لعلوم على فيص دجلة (أي شط العرب) وهي في موضع الأيلة عند نهر الأيلة . قلنا : والربيع اليوم ، بلدة صغيرة عامرة ولها جامع فيه قبر الزبير . تقوم على جزء صغير من شرايب البصرة القديمة (م) .

(٢) من أحدث المراجع في هذا الموضوع ، كتاب « ثورة الزنج » للدكتور فيصل السامر (م) . (٣) أي كتاب صورة الارض لابن حوقل (١ : ٢٢٧ طبعة كريمرز) ان القاضي عبد السلام الجليل سور ما بين من البصرة سنة ٥١٦ هـ .

وهذا الكلام ليس لابن حوقل بل للسلطان الجوهول في ابن حوقل ، وكان من أهل المئة السادسة (م) .

وله سبع صوامع وهم يصلون الجمعة فيه فلا يأتونه الا فى الجمعة ، • وبينه الآن وبين أحيائها العامرة ميلان وحوله الخرائب ، وكذلك بينه (أى بين الجامع) وبين السور الاول ميلان • وبالقرب من السور قبر طلحة^(١) وقبر الزبير • اما البلدة نفسها فلم يبق فيها غير ثلاثة أحياء أهلة • وسرد المستوفى ، وقد كتب فى ذلك الزمن نفسه ، اخبارا طويلة عن البصرة ، فذكر ان جامعها لم يجدده الا الخليفة علي ، وكان أعظم جامع فى الاسلام - ولم بين جامع أوسع منه - وعين علي قبله هذا الجامع فى اتجاهها الصحيح • وكان فيه منارة تتحرك أو تبقى ساكنة وفقا للقسم الذى يحلف به فى وجهها ان كان صدقا أو كذبا وهى كرامة تعزى الى الامام علي بن ابي طالب وكان رافعا • وللمستوفى كلام آخر فى مشاهد البصرة • وأطرى بسائنها النخيل ونخلها الذى يحف بالمدينة حتى انه لالتفاف اشجارها لا يكاد يرى الراى أبعد من مئة خطوة • وترها من أجود التمور وتجارتها رابحة فى الهند والصين •

واشتهرت البصرة فى كل الازمنة بانهارها • وقد عدت ، على ما ذكر ابن حوقل فى المثة الرابعة (الماشرة) ، فزادت على مئة الف نهر تجرى فى أكثرها الزواريق • ونهر معقل ، وقد بينا انه هو النهر الكبير الذى من جهة بغداد ، حفره معقل بن يسار الصحابى فى أيام عمر • وهذا النهر ونهر الابله وهما يتدان من البصرة نحو الجنوب الشرقى ، كان طول كل منهما أربعة فراسخ • وكانت بساين نهر الابله بامتداد الجانب الجنوبى للجزيرة الكبرى ، إحدى جنان الدنيا الاربع^(٢) •

(١) يرى قبر طلحة فى خرائب البصرة القديمة فى جنوب شرمى المنارة الاثرية • عليه قبعة مقلوبة مربعة الشكل • وهو يزداد (م) •
(٢) والحان الثلاث الأخرى المشهورة هى : فوطنة دمشق ، رشيب بيران فى فارس وسفصفه فى الفسل الثامن عشر ، وروادى الصفد بين سمرقند وبخارى وسباني ذكره فى الفصل الثالث والمشرين •
الاسطرى ٨٠ : ابن حوقل ١٥٩ و ١٦٠ والعاصية Q : القدس ١١٧ و ١٢٠ و ١٢٣ :
ناصر شمر ٨٥ = ٨٩ : ياقوت ١ : ١٦٦ : ٤ : ٨٤٥ : ابن بطوطة ٢ : ٨ و ١٣ و ١٤ :
المستوفى ٣٧ •

ملنا : وراجع ما كتب حديثا عن البصرة - شطط البصرة للدكتور صالح احمد المل (سوسر ٨ [١٩٥٢] من ٧٢ - ٨٣) وكتابه • التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة من القرن الاول للهجرة • (بغداد ١٩٥٣) • (م) •

والأُبلة ، وهى تعريب اسمها اليونانى (Apologos) ، يرجع تاريخها الى العهد الساساني بل الى أقدم من ذلك^(١) ، وهى على الفيض ، ذات هواء حار . ولما ابتنى المسلمون البصرة مدينتهم الجديدة ، جعلوها فى الداخل عند طَرف البادية . وكانت الأبلّة على ما بينا ، عند فم نهر الأُبلة من قبل الشمال فى الجزيرة الكبرى وبازائها من نحو الجنوب البلدة المسماة شقّ عثمان (ويقال ان عثمان هذا حفيد سميح الخليفة الثالث) وكانت فوق فم نهر الأبلّة وتجاهه فى الجانب الشرقى من الفيض ، مرحلة ينزل فيها من يبر دجلة ويريد خوزستان . وكان يقال لهذا الموضع عسكر ابي جعفر ، أى عسكر الخليفة المنصور . وكانت الأبلّة فى المئة الرابعة (المباشرة) بلدة كبيرة ذات مسجد جامع . وكان شق عثمان مثل ذلك . وهما على ما روى المقدسى عامرتان . وذكر ناصر خسرو ، وقد زارها بعد ذلك بنصف قرن ، ان قصور هاتين المدينتين وأسواقهما وجامعتهما فى حال حسنة . ولكن المغول بعد ذلك بقربين خرّبوا هذه الجهات . ولما كتب القزوينى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) قال ان هذه المواضع قد آلت الى الخراب . وبقي شق عثمان مشهورا بسدوده العظيمة . وبعد ذلك بقرن وصف ابن بطوطة الأُبلة فقال هى الآن قرية . وقد نهضت فى العصر الحديث من حالتها هذه التى آلت بها حين قامت البصرة الحديثة فى موضعها القديم^(٢) .

• وكان على ركن الأُبلة فى دجلة بين يدي نهرها ، خور عظيم الخطر جسيم الضرر ، وكانت أكثر السفن تفرق فيه . • وعلى ما جاء فى ابن حوقل • احتالت له بعض نساء بنى العباس - ذكر بعضهم انها زبيدة - بمراكب أوسقتها بالحجارة المطام وبلّغتها ذلك المكان فأبتلها ، وقد توافقت على مقدار فأفسد المكان

(١) كان اسم الأبلّة باسمها اليونانى Apologos معروفا فى المئة الرابعة قبل الميلاد - فقد ذكره نيارخس Nearchus البحار الإريطى وقد كان قائدا لاسطول الاسكندر الكبير . واشتهر برسلته البحرية التى طالت خمسة اشهر . وقال فيها ان هذه المدينة مستودع تجارات خليج فارس . واسم هذه المدينة ظهر فى الحارثة الثانية المرفقة برسلته المأبلة لصفحة ٢٨٥ منها . وعنوان الرسلّة فى طبعها الانكليزية :

The Voyage of Nearchus from the Indus to the Euphrates (ed. W. Vincent; London 1797). (م) •

(٢) غربت بلدة الأبلّة ولم يصل النبطيون الى البسات انها البصرة الحديثة وبمعا المشار - وأنظر سوبر ٦ [١٩٥٢] (من ١٦٢ - ١٦٦) • (الدكتور مصطفى جواد) •

وزال الضرر ، وذكر ابن سرايون الانهار التسمة وكلها يصب الى فيض البصرة في جانبه الغربي وهي : نهر مقل وثلاثة فوقه وأربعة جنوب البصرة بين نهر الابلّة ونهر الفيض^(١) على ان أهم هذه الانهار هو نهر ابي الخصب - وانما سمي بذلك نسبة الى مولى من موالى الخليفة المنصور - فقد بني عليه في أواسط المئة الثالثة (التاسعة) ، حصن عظيم للثوار من الزنج . وهذه المدينة التي سماها الزنج « المختارة » كانت حصينة مكيّة فامتنت زمناً طويلاً على جيوش الخليفة العباسي التي جردها عليها ولم يقض بعد ذلك على قنّة الزنج القضاء النهائي الا بعد حروب دامت خمس عشرة سنة^(٢) .

وكانت أهم الانهار في شرقي فيض دجلة ، على ما ذكر ابن سرايون ، نهر الرّبان وعليه أو على مقربة منه مدينتا الفتح والسكرتة ولايسلم موضعهما الصحيح ، وان كانت الاولى ذات شأن بحيث غلب اسمها على الفيض فسمي دجلة المفتح . وأسفل هذا النهر ، نهر بيان وعند فمه بلدة بيان على خمسة فراسخ من الابلّة بازائها على الفيض . وفي موضعها اليوم ميناء المحمرة على نهر الحفار وهذا النهر يصل أعالي فيض دجلة بفيض دجيل (كارون) . قال المقدسي ، وقد كتب بعد ابن سرايون بثلاثة أرباع القرن ، ان هذا النهر ، وطوله أربعة فراسخ ، قد شقه عقد الدولة البويهية . وقبل ذلك يقرن ذكره قدامة باسم « النهر الجديد » وكانت تسير فيه السفن الآتية من البصرة الى الأهواز وكانت السفن قبل ان يشق النهر المضدى (على ما سماه المقدسي) تذهب في النهر الى البحر ثم تعود فتدخل من البحر الى فيض دجلة مارة ببيان الى الابلّة^(٣) .

والجزيرة الكبرى التي بين الفيضين (أى فيض دجلة ودجيل) ، سماها ياقوت ميان رودان (وهو فارسي معناه وسط الأنهار) وقد وصفها المقدسي بأنها

(١) حله الانهار التسمة ، على ما في ابن سرايون (ص ٢٩) ، من : (١) نهر المرأة (٢) نهر الدبر (٣) بنى هيرين (٤) نهر مقل (٥) نهر الابلّة (٦) نهر اليهودى (٧) نهر ابي الخصب (٨) نهر الامير (٩) نهر العندل (م) .

(٢) الاسطخري ٨١ : البلاذرى ٣٦٢ ، ابن حوقل ١٦٠ و ١٦٦ : المقدسي ١١٨ و ١٣٥ ، ابن سرايون ٢٩ و ٣٠ : فاضل خسرو ٨٩ : الفروني ٢ : ١٩٠ : ياقوت ٣ : ٦٧٥ : ابن بطوطة ٢ : ١٧ : الطبري ٣ : ١٩٨٢ .

(٣) ابن سرايون ٣٠ : ابن خردادبه ١٢ : قدامة ١٦٦ : الاسطخري ٩٥ : ابن حوقل ١٧١ : المقدسي ١٤٩ : المسعودي : التنبية ٢ : ياقوت ٤ : ٨٦ .

سبخة في زاوية منها على ساحل البحر مدينة عبادان ، وفي زاوية أخرى عند فيض دجيل سليمانان . وما زالت عبادان قائمة^(١) ولكنها الآن على فيض دجيل تبعد عن ساحل خليج فارس الحالي أكثر من عشرين ميلا ، إذ أن البحر قد انحصر الى هذا المدى بفعل دلتا النهر العظيم . ومع ذلك فالقديس في المئة الرابعة (المباشرة) وصف عبادان بأن ليس ورامها بلد ولا قرية غير البحر ، فيها صنّاع الحصر من الطلقاء التي تنبت في الجزيرة وحولها مسالحي عظيمة لحراسة فم القبض . وقال ناصر خسرو ، وقد حل فيها سنة ٤٣٨ (١٠٤٧) ، أن البحر في زمنه كان يمتد عنها أقل من فرسخين في أثناء الجزر . وقد أقاموا فيه ما عرف بالخشّاب^(٢) وهو بمثابة منار ، يتكون من أربعة أعمدة كبيرة من خشب الساج على هيئة المتحنيق وهو مربع قاعدته متسعة وقمته ضيقة ويرتفع عن سطح البحر أربعين ذراعا وعلى قمته حجارة وقواعد مقامة على عمد من خشب كأنها سقف ومن فوقها أربعة عقود يقف بها الحراس ففي الليل يشعلون سراجاً في زجاجة بحيث لا تطفؤ الرياح وذلك حتى يراه الملاحون من بعيد فيحطون وينجون .^(٣) وكانت عبادان كثيرة الجوامع والرباطات ولكنها حين مر بها ابن بطوطة في المئة الثامنة كانت قد صارت قرية كبيرة بينها وبين الساحل ثلاثة أميال . ومع ذلك فإن المستوفى ، معاصر ابن بطوطة ، قال في عبادان أنها ميناء كبير وروى أن جبايتها بلغت أربعة مائة وواحداً

(١) اشتهرت عبادان في العصر الحديث بكونها تنتمي إليها الناييب اللطيف الايراني المشتهر من مسجد سليمانان اليها مسافة ١٢٧ ميلا . ويبدو أن كانت عبادان قرية أصبحت بلدة أهلة بمسجد صفائي النقط المشقة فيها . وصارت ميناء كبيرا تؤمه السفن والاسيما حاملات النفط . (م) .

(٢) أن « الخشّاب » تعريف « الخشبات » . فقد ذكرها المسعودي في المروج (١ : ٨٧) من الطبعة المصرية الجديدة بصورة « الخشبات » وقال « وتسير المرفق الحروف المدارة وهي دخلت من البحر الى البر من نهر بلاد الابلّة ، ولهذه المدارة اتفخت الاخشاب في فم البحر مما على الابلّة وعبادان . عليها أناس يؤفدون النار بالليل على « خشبات » ثلاث كالكرسي في جوف الليل خوفاً على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرهما أن تقع الى تلك المدارة فلا يكون لها خلاص . » وقال ابن مسعود المغربي في جغرافيته « دار الكتب الوطنية بباريس ٢٢٢٤ ورمه ٧٥ » في وصفها « الخشبات وهي علامات الى البحر للمراكب ولي تسمى الخشبات دجلة الامواز » . وقال ابن الوردي في شجرة الجنائب « ومن عبادان الى الخشبات - وهي خشبات منصوبة في نهر البحر باسماء ومهندسة وعليها ألواح مهندسة يجلس عليها احراس البحر » . وجاء في حوادث سنة ٦٤٤ من كتاب الحوادث الباقية - ص ١٢ - « وفي هذه السنة وصلت الطيور الحسام من عبادان وخصبات » . وهذه المعروض لا تدع شكاً الى حدوث التصنيف فيها لقل منه المحقق لسترايج (الدكتور مسطفي جواد) .

(٣) سفرنامه لناصر خسرو الترجمة العربية ليجي الخشّاب ص ١٠٠ (م) .

وإدبعين ألف دينار بصرف زمنه تدفع الى بيت مال البصرة • وكانت ميناء سليمانان على بضعة فراسخ شرق عبادان ، وهي تعد في الغالب من أعمال خوزستان • وما نعرفه عنها ان مؤسسها رجل يقال له سليمان بن جابر الملقب بالزاهد^(١) •

ولتعد الى سمت بغداد لتصف المدن التي على امتداد دجلة في شمال العاصمة حتى حدود العراق والمدن القريبة من شفاف النهر • ولقد تكلما قبلًا (انظر الصفحة ٥٠) على الطريق العام من بغداد الى الموصل والمدن الشمالية التي على دجلة الشرقية أي اليسرى • فهذا الطريق كان يبدأ في شرقي بغداد من باب البردان بمحلة الشماسية • وبعد نحو أربعة فراسخ يبلغ بلدة البردان وهي ما زالت قائمة باسم تحترف الى بدران^(٢) • وعند البردان قريتان أخريان جليتا الشأن هما بزوغى والزرقة • والمزرقة على ثلاثة فراسخ فوق بغداد^(٣) • ويلتقى نهر الخالص ودجلة عند الراشدية قرب البردان ، على ما سيأتى بيانه ، وينتهى فوق ملتقاها منطف دجلة الكبير المتجه شرقاً وهو المنطف الذى يبدأ من القادسية على ستين ميلاً شمال بغداد • وقد كان مجرى النهر في القرون الوسطى يتابع في الغالب خطاً مستقيماً من القادسية الى البردان • وإطلال ما كان على شرقي عقيقه

(١) البلاذرى ٣٦٤ ؛ الاسطرخى ٩٠ ؛ ابن حوقل ١٧٣ ؛ القنسى ١١٨ ؛ اللزدينى ٢٨٠ ؛ كاسر خسرو ٨٩ و ٩٠ ؛ ياقوت ٤ : ٧٠٨ ؛ ابن بطوطة ٢ : ١٨ ؛ المستوفى ١٢٧ ؛ المسعودى ١ : ٢٢٠ •

وأشار ياقوت (١ : ٦٤٥) الى ان من اصطلاح أهل البصرة ان يزيدرا في اسم الرجل الذى تنسب اليه القرية الفا ونونا ، نحو قولهم طلحان د نهر تسب الى طلحة • • وهذا يفسر صيغة اسم سليمانان وعبادان وهذه الأخيرة تنسب الى عباد -

وقد امتد الساحل من قم ليش دجلة بمعدل نحو ٧٢ كم في السنة أو نحو ميل ونصف ميل في القرن • وهذا هو السبب في ابتعاد عبادان الآن عن النهر -

لنا : هناك نظرية جديدة في هذا الموضوع ، قامت على نتائج التحريات الجيولوجية التي أجرتها شركات النفط في جنوبي العراق وخوزستان بإيران - ريجسن بالقارىء مراجعة ما كتبه

G. M. Leas و N. L. Falcon في المجلة الجغرافية (The Geographical Journal, Vol. 118, Part 1; March, 1952, pp. 24 ff). Geographical History of the Mesopotamian Plains.

وعنوان البحث : (٢) يبعد كل بدران عن الضفة الشرقية لدجلة الحال نحو ستة كيلومترات وهو في شرق قرية الداودية التي على النهر • ويبعد من شمال بغداد نحو ١٨ كيلومترا (م) •

(٣) في الجانب الغربي من دجلة ، شمال قرية محلة التايي ، أراض تحرف اليوم بالمزرقة في ناحية القادسية • وهي تقابل كل بدران الذى في الجانب الشرقي • وقد وهم المؤلف في لوله ان بزوغى والمزرقة في الجانب الشرقي (م) •

من مدن قد أشير إليها في المخارطة ، وذكرها ابن سراجيون وغيره من المصنفين الأولين .

والظاهر ان مجرى دجلة قد تحول هنا غير مرة ، فالمجرى الحالي (الشرقي) لدجلة سماء مؤلف المراسد ، وقد كتب كتابه في نحو سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) ، الشطبة^(١) ومن أعظم التبدلات في مجراه ، ما حصل أيام الخليفة المستعصر ، أعني بين سنتي ٦٢٣ و ٦٤٠ (١٢٢٦ - ١٢٤٢) فقد روت الأخبار ان الخليفة شق كثيرا من الانهار لسقي ما أجذب من أراض يتحول المجرى الأصلي عنها . وقد تكلم المسعودي منذ أوائل المئة الرابعة (العاشرة) على تسوية شرعية لمطالبات بالاراضي بين أهل الجانب الغربي والجانب الشرقي فوق بحداد ، نشأت من هذا التحول الأخير لمجرى دجلة . فما كان من مدن في الجانب الشرقي (وترى اطلالها الآن على عقيق دجلة وهو يعد كثيرا عن غرب المجرى الحالي) : عكبرا وهي أشهرها ويجاورها أوانا ويلها بانحدار النهر بصرى . وهذه المدن الثلاث على نحو عشرة فراسخ من بحداد . وكانت تكتنفها البساتين التي يقصدها أصحاب اللهو والطرب . وقد أطرى المقدسي أعقاب عكبرا بوجه خاص وقال انها مدينة كبيرة عامرة . وفوق عكبرا بشي يسير ، بلدة علك أو الملت وما زالت تسمى في خوارطنا ولكن في الجانب الغربي . ووصفها المقدسي بقوله انها مدينة كبيرة أهلة على نهر مجرى إليها من دجلة . وفي شمال غربي الملت حيث ينسطف النهر اليوم الى ناحية الشرق انعطافه العظيم : قادية دجلة ، فلا يخلطن بين هذه القادية وقادية القررات التي كانت في غرب هذا النهر^(٢) . وكانت قادية دجلة مشهورة بعمل

(١) الذي يلهم من كلام المراسد ، وهو المصدر الوحيد ، في مادة « عكبرا » و « الملت » و « سرجيون » . ان المراسد هو المكس . أي ان المجرى العتيق (الغربي) هو الذي كان يسمى الشطبة (الدكتور مصطفى جواد) .

(٢) يقوم سور القادية في جنوب اطلال سامرا . بين الضفة اليسرى لنهر الكاظم المقدس وضفة دجلة اليسرى . وهو سور معين من اللبن طول كل ضلع من اضلاعه ٦٢٠ مترا تقسمه من الخارج ١٧ دعابة نصف دائرية وفي كل ركن من أركان السور برج مدور كبير قطره نحو ٨ أمتار . وتحت السور أربعة أعتار وعلمه نحو خمسة أمتار . وتبلغ مساحة الارض التي يكتنفها السور نحو ٧٤ هكتار (الدول = ٢٥٠٠ متر مربع) . في هذا السور فتحات تدل على انها كانت أبوابا له . والسور من الداخل مؤلف من أربعة كل دراق بين دعائمتين من دعائمه بعض هذه الابواب آتخذ حجرات . وتتشاهد في داخل القادية ، في وسطها ، معام إينية من اللبن - وقد جرى بإلقاء ال للقادية من النهر الماء من الفاطول الكسرى الى نهر الكاظم ، ثم يعبه فوق قنطرة من الحجر لئلا

الزجاج^(١) . وبازائها يأخذ نهر دجيل من دجلة ماداً صوب الجنوب^(٢) . ونهر دجيل (وهو غير نهر دجيل المعروف بنهر كاردون) ، كان في أصله ، على ما سنبينه في الفصل الآتي ، يحمل من الفرات الى دجلة . غير انه في مطلع المئة الرابعة (العاشرة) انظر قسمه الغربي وبقي الماء في مجراه الأسفل وهو قسمه الشرقي ، يشقُّ نهر جديد يأخذ من دجلة أسفل القادسية . وكان دجيل يسقى طسوج مسكن الخصب في شمال بغداد الغربية مما يلي طسوج قطرل . فنهري دجيل الأخير هذا ، على ذلك ، كان يأخذ من دجلة ثم يصب فيه بازاء عكبرا وينفرع منه أنهار كثيرة ، منها ما يمد الى الجنوب فيسقى الحرية البرية الشمالي الكبير في بغداد الغربية (أنظر ص ٤٩) . وكان في طسوج دجيل ، ويسمى أيضا مسكن ، كثير من القرى والمدن في غرب عكبرا ودجلة وأهمها : حرابي وقد زارها ابن جبير في سنة ٥٨٠ (١١٨٤) وكانت حينذاك قائمة . وفي هذا الموضع اليوم بقايا قنطرة كبيرة فوق النهر شيدها ، على ما جاء في (الفخري) ، الخليفة المستنصر بالله في سنة ٦٢٩ (١٢٣٢) وهو ما تؤيده الكتابة التي ما زالت فيها^(٣) .

الدرست . وعند وصول النهر الى سور القادسية ينشأها من أحد أروابها وينفرع في داخلها . راجع : « سامراء » لدار الآثار العراقية (ص ٧٢) ؛ سور (٢ ١٦٧) ؛ رى سامراء .

١ . ٢٤٨ . (م) .

(١) يلاحظ الآن في شرقي سور القادسية خرابي عياضية قرب شعبة دجلة تكثر فوق سطحها كل من الزجاج المنصهر وكسر كثيرة من الأواني الزجاجية . وقد نلت دائرة الآثار العراقية هذا الموضع سنة ١٩٤٠ وعرفت فيه على مقادير كبيرة من هذه المواد الزجاجية وعلى نقايا آنية وأكواب من زجاج . (م) .

(٢) قديمة ٢١٤ : المندى ١٢٢ و ١٢٣ : المسعودي ١ : ٢٢٣ : ياقوت ١ : ٣٩٥ و ٥٥٢ و ٦٠٦ و ٦٥٤ : ٣ : ٧٠٥ : ٤ : ٦ : ٢٠ : المراسد ٢ : ٢٧٠ و ٤٢٩ .

(٣) في أعلى جهتي هذه القنطرة كتابة منقوشة بالآجر وهذا نص كتابة الجهة الغربية . « بسم الله الرحمن الرحيم وافيها الصلوة وآتوا الزكاة وادعوا الله مرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تحبوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله أن الله غفور رحيم . الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . أمر بأشياء هذه القنطرة المباركة تقريبا الى الله تعالى الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا وعلينا للقول بجات الفردوس التي آمدها للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلا ، سيدنا ومولانا الإمام أمام المسلمين ودارت الابواب والقراسين وخليفة رب العالمين وسجنه في الحلائل أجسدين » .

ونص الجهة الشرقية :

« الذي أيد الله تعالى وأعزاز نصره الدين واقتضت طاعته على الحاضرين والبادين (واختصه من جليل ما) سيجر عنه حشر الماديين أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين مكن الله له في أرضه

وقرب حربي كانت الحظيرة • ينسج فيها الثياب الكرياس الصفيق ويحملها التجار الى البلاد • • وسرد ياقوت • الى ذلك • أسماء قرى كثيرة وهي مئة قرية ونيف كانت في هذا الطسوج • وما زال كثير منها يرى في الخارطة كـ • بلد • قرب الحظيرة • وظل طسوج دجيل ومدينته حربي حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) في غاية الخصب على ما وصفه به المستوفي • وكان رمانه أجود ما يرى في أسواق بغداد •

وكان في هذا الطسوج مدن كثيرة غيرها • فمئة عشرة أميال فوق القادسية مدينة سامراء وسباني وصفها في الفصل الآتي • وتتوسط المسافة بينهما : المطيرة وهي فوق موضع تفرع ثلاثة أنهار صغيرة من يسار (شرق) دجلة • وفي منتصف الطريق بين المطيرة والقادسية وأفضل صدور هذه الأنهر يقوم بركوار ويقال له أيضا بلكوار وبزكوار • وقرية المطيرة على ما جاء في ياقوت • نسبت الى مطر التيساني • وكان يرى رأي الخوارج • وانما هي المطيرة فقيرت وقيل المطيرة (١) • وكان أيضا على عشرة أميال شمال سامراء • كرخ فيروز ويقال له أيضا كرخ سامراء تميزا له عن الكرخ • المحلة الجنوبية في الجانب الغربي من بغداد • ثم الى شماله «الدور» وبالقرب منها يحمل النهر وان (٢) من يسار دجلة • وبازائها يأخذ

تسكين الروائي ربيع مقدس أصله الصالحات الى ملتين ولحق بمدائنه الزاهرة في آلال الارضين وأوضح للملحق يولايه سبيل الرشاد ومنهج الحق المبين ابن الامام السيد البر القتي ابن نصر محمد الطاهر بأمر الله بن الامام السيد الزكي الطاهر الولي ابن المياس الناسر لدين الله بن الامام السيد الزكي ابن الحسن محمد (كلاهما) والصواب ابن محمد الحسن المستطفي بأمر الله أمير المؤمنين وروايت العلماء الراشدين الذين لقنوا بالحق وبه كانوا يعدلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وذلك في سنة تسع وعشرين وستمئة ومثل الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلامه • - (م) •

(١) المجلد ٣٦٥ : ابن سراجيون ١٤ : ابن جبير ٧٢٣ : ياقوت ١ : ١٧٨ و ٦٠٥ : ٢ : ٢٢٥ و ٢٩٢ و ٥٥٥ و ٤ : ٢٩٦ و ٥٦٨ : المستوفي ١٧٨ : الفخرى : ٢٨٠ : وفي كتاب جيس فلكس جونس

J. F. Jones, Records of the Bombay Government (New Series No. XLIII, 1857, P. 252).

صورة لنقطة حربي • وفي ص ٤٧ منه كتب اسم بركوار بصورة بركوارا •

قلنا : لمديرية الآثار القديمة في العراق نسخة مصورة بالعربية والانكليزية عنوانها • حربي • صدرت سنة ١٩٢٥ ولها نص الكتابة على النقطة حربي مع صورة لها • (م) • (٢) يريده به الطاهر الكردي (م) •

من ضفة دجلة الغربية ، أي اليمنى ، نهر الاسحاقى وهو نهر يأخذ من دجلة ثم يعود اليه ثانية بازاء المطيرة . ومواقع هذه الأماكن جميعا تبينها الانهار وهى وان كان بعضها خرائب ، الا انها ما زالت موجودة ، ولكن علمنا بها لا يتجاوز اسمائها .

الفصل الرابع

المِراق «تم»

سامراء - تكريت - النهروان - باغقوبا وغيرها من المدن - مدينة
جسر النهروان وطريق خراسان - جلولا وخافتين - البندليجين
وبيات - مدن الفرات من المدينة الى الانبار - نهر
عيسى - الحول وسرسر ونهر الملك -
نهر كوي

كانت مدينة سامراء التي اتخذها سبعة من خلفاء بني العباس عاصمة لهم مدى نصف
قرن ونصف ، أي من سنة ٢٢١ الى ٢٧٩ هـ (٨٣٦ - ٨٩٢) ، معروفة قبل الفتح
العربي ، ثم بقيت بعد أن تهاوت من ذروة عزها الذي لم يدم كثيرا مدينة ذات شأن
ودعا طويلا من الزمن ، واسمها بالارامية سامرا ، فأمر الخليفة المتوكل ، حين
أقام فيها ، أن تسمى سر من رأى . وبهذه الصيغة الأخيرة وجد اسمها في النقود
العباسية المضروبة فيها . وكانت التسمية مع ذلك تلفظ بصور مختلفة ، ذكر ابن
خلكان سقا منها أشهرها « سامراء » وهو الاسم الذي اختاره ياقوت عنوانا لجنته
عن هذه المدينة (١) .

(١) اثبتت النقفيات الاثرية في اطلال سامراء ، أن موضع سامراء ، كان أهلا منذ أديار
ما قبل التاريخ . فقد اكتشف فيها البروليسور هرتسفلد المقبب الاثاني ، مقبرة من تلك الأديار بين
عابا العصر العباسي والسن الصخري الذي بليت عليه المدينة العباسية على نحو ميل واحد من جنوب
دار الحليفة . وقد عثر فيها على ضرب من الفخار المصنوع المطلق عليه اسم فخار سامراء ، وهو يمثل
دورا من أديار ما قبل التاريخ في العراق سقى يد « دور ثقافة سامراء » نسبة الى الموضع الأثري الذي
اكتشف فيه هذا الفخار لأول مرة . كما عثرت مديرية الآثار العراقية على موضعين آخرين في

وانتهى البناء من القفوي ، وقد كتب في آخر المثة الثالثة (التاسعة) ، حديث طويل مفصل لسامراء وقصورها . فالخلفاء السبعة الذين أقاموا فيها ، وكانوا في القالب أسرى جندهم من الترك ، قد شغلوا وقت فراغهم المقروض عليهم فرساً ، بالبناء وتنظيم الأحياء وميادين اللعب . قامت المدينة نفسها على ضفة دجلة الشرقية فأمتدت قصورها سبعة فراسخ بمحاذاة النهر وقام في الجانب الغربي كثير من القصور وأنفق الخلفاء ، الواحد تلو الآخر أموالاً طائلة لا يكاد العقل يصدقها ، على إنشاء ميادين جديدة للصيد واللعب ، وكانت الأرض التي بنى عليها الخليفة المتصم (وهو أصغر أبناء هرون الرشيد) أول قصر له حين قدم إلى سامراء في سنة ٢٢١ (٨٣٦) ، دبراً للتصايد اشترى من أصحابه بأربعة آلاف دينار^(١) (٢٠٠٠ باون) وكانت أرضه تعرف بالطيرهان . وأقطع جند الانراك قطائع في الكرخ وما نوقها حتى الدور ، وقطائع أخرى في جنوبي سامراء في جهة المطيرة . وبنى الخليفة أول مسجد جامع قرب ضفة دجلة الشرقية . وحفظ قصره . وكتب في اشخاص الفعلة والبنائين وأهل المهن من سائر أنحاء الدولة ، وفي حمل الساج وسائر الخشب والجذوع من البصرة ، وفرش الرخام من انطاكية والاذقية . واخط الشارع المسمى بالشارع الأعظم ، بموازاة دجلة . وقامت على يمين الشارع ويساره القصور الجديدة والقطائع . وكان الشارع الأعظم متدا من المطيرة إلى الكرخ وفي جانبيه دروب وأسواق . وإنشأ أيضاً بيت المال الجديد

سامراء برقيان إلى هذا الزمن ، أحدهما في شمال المقبرة المارة الذكر والآخر في جنوبي سامراء على ضفة دجلة شمال حشد القام يسمى « بلي صوان » . ولد جاء اسم هذا الموضع من الكتابات الآشورية بصورة « سمارانا » Su-ur-mar-ka وكان لهذا الوطن في أيام الفرس شأن كبير ولا سيما في حروبهم مع الرومان ولقرية من القاطول الكسروي . ثم ادهر هذا الموضع حين انتقل إليه المتصم وأقام فيه مقره .

راجع « سامراء » لدار الآثار العراقية ؛ وكتاب هرتسفلد :

Geschichte der Stadt Samarra- P. 1-3.

أما ما قاله ابن خلكان في أسماء سامراء فهو : « وسر من رأى فيها ست لغات ، حكاهما الجهرى في كتاب الصحاح ، في فصل رأى ، وهي (سر من رأى) بضم السين المهملة وتحتها و (سر من راء) بضم السين وتحتها وتقدم الألف على الهزة في اللغتين و (ساء من رأى) و (سامراء) . واستعمله الجعري مندوداً في قوله (وتسميته علماء لسامراء) . وفيات الامين ١ : ١٠ يولاي : في ترجمة ابراهيم بن المهدي (م) .

(١) هذا المبلغ يوافق ما ذكره اليعقوبي في البلدان (ص ٢٥٨) . اما ياقوت (معجم البلدان ٣ : ١٦) فقال ان المتصم دلى خمسة آلاف دينار . (م) .

وداوين الدولة ودار العامة التي يجلس فيها الخليفة يوم الاثنين والخميس •
ولما فرغ المتصم من المخطط ووضع الأساس للبناء في جانب سامراء ، عقد
جسرا الى الجانب الغربى من دجلة • فأنشأ هناك البساتين والأجنحة وحمل النخل
اليها من البصرة وحملت الفروس من الشام وخراسان وسائر الاقاليم • وكان
يسقى الجانب الغربى أنهار تحمل من الاسحاقي ، وقد مر ذكره ، حفرة اسحق
بن ابراهيم صاحب شرطة المتصم • فهذه كانت الارض المسماة بالطيرهان ، وفيها
قال يعقوبى ان سامراء صحراء من أرض الطيرهان • ولما توفى المتصم فى سنة
٢٢٧ (٨٤٢) كانت سامراء قد أخذت تنافس بغداد فى فخامة قصورها وجمال
مبانيها • واكمل ابناء الواثق والمتوكل اللذان تاقبا على الخلافة من بعده ، ما بدأ
به أبوهما • فقد بنى هرون الواثق القصر المعروف بالهارونى ، نسبة اليه ، على
دجلة وجعل فيه مجالس فى دكة شرقية ودكة غربية • وحفر الواثق فرصة من
النهر تصلح لدخول السفن التي تردا من بغداد • وخلفه أخوه جعفر المتوكل
على الله فى سنة ٢٣٢ (٨٤٧) فنزل الهارونى أولا ، الا انه فى سنة ٢٤٥ (٨٥٩)
ابتدأ ببناء قصر جديد له على ثلاثة فرائخ شمال الكرخ ، ومدّ الشارع الاعظم ،
وعرف قصره والمدينة الجديدة التي قامت حوله بالمتوكلية أو القصر الجعفرى ،
وما زالت أطلال القصر الجعفرى فى الزاوية التي يؤلفها تفرّع النهر وان هناك ،
واندمجت به الماحوزة وهى المدينة القديمة •
وبنى المتوكل أيضا جامعا جديدا واسعا فى مكان الجامع الذى بناه أبوه ،
اذ شاق على أهل العاصمة الجديدة • وامتدت القصور والبساتين من المطيرة الى
الدور واتصلت • وفى سنة ٢٤٧ (٨٦١) قتل المنتصر أباه المتوكل فى قصره
المعروف بالجعفرى فى المتوكلية • وأقام الخلفاء الاربعة الذين أعقبوه فى ذلك
العهد المضطرب ، فى قصر الجوسق فى غربى دجلة قبالة سامراء ، وهو من أبنية
المتصم • وقد أقام المتتدين المتوكل وآخر الخلفاء ، فى سامراء فى الجوسق
أولا ، ثم إبنى له قصرا جديدا فى الجانب الشرقى وهو القصر المعروف
بالمشوق^(١) •

(١) المعروف ان قصر « الجوسق » لى سر من داي فى جانبها الغربى ولعله كان حيث بلدة

ومن هذا القصر انتقل مركز الدولة الى بغداد قبل وفاة المتصد في سنة ٢٧٩ (٨٩٢) * وقد نوهت مراجعنا باسماء كثير من القصور الأخرى * فذكر ابن سراييون قصر الجص المشهور وهو من أبنية المتصم على الاسحافي (١) * وسرد ياقوت أسماء جملة كبيرة من القصور ، وزاد على غيره شيئاً ما أنفق الخلفاء عليها من أموال خيالية * فكان مجموع تلك الثقات مئتي مليون وأربعة ملايين درهم أي ما يبادل نحواً من ثمانية ملايين باون استرليني *

وكان طبيعياً ان يزول عز سامراء ويضع مجدها بمودة الخلفاء منها الى بغداد وان تؤول قصورها الكثيرة الى الخراب (٢) * ولقد اطلب ابن حوقل ، وهو من أهل المئة الرابعة (الماشرة) ، في وصف بساتينها الزاهرة العامرة لاسيما ما كان منها في الجانب الغربي * ولكن المقدسي قال ان الكرخ في الشمال أصبح في أيامه أعمر منها (أي من سامراء) وكان المسجد الجامع في سامراء ما زال قائماً ، قال فيه المقدسي : « بها جامع كبير يختار على جامع دمشق قد ليست حيطانه بالمينا وجعلت فيه اساطين الرخام وفرش به ، وله منارة طويلة » * وقال ياقوت : انها منارة الجامع الاول الذي بناه المتصم فقد دأمر برفع منارة لتلو أصوات المؤذنين فيها * * وكانت هذه المنارة تشاهد من مسافة فرسخ من كل جهة (٣) *

سامراء الحالية * اما المقدسي ويسمى اليوم قصر الماشق فهو في الجانب الغربي * راجع بمجم البلدان (مادة المقدسي ٤ ٥٧٦) ولعل ما في البيهقي (ص ٦٦٨) من وهم الناسخ * وما زالت اطلال الماشق شاخصة (م) *

(١) اكتشفت دائرة الآثار العراقية موشياً من العصر العباسي قرب ساحة نهر الاسحافي المقدسي في غرب دجلة على ١٧ كيلومترا شمال محطة قطار سامراء يعرف اليوم بالحوصلات * وقد تبين من نتائج تنقيباتها وفي مقارنتها بالآراء البلدياتيين الاقدمين في عصر الجص * ان توسع الحوصلات هو لعصر الجص نفسه (م) *

(٢) أقام في سامراء بعد المتصم سبعة خلفاء هم : الواثق ، المتوكل ، المتصم ، المستعصم ، المستنصر ، والمعتز ، والمعتز وآخرهم المعتز الذي حضر سامراء وعاد الى بغداد سنة ٢٧٩ (٨٩٢) (م) *

(٣) ما زالت هذه المنارة قائمة الى اليوم تعرف بـ « المنارة » * وهي على بعد قليل من شمال شرقي سامراء (الحديثة) على نحو ٢٥ مترا من الجدار الشمالي لجانها القديم - وكانت « المنارة » قد نال الخراب من بعض أقسامها ولاسيما على قاعدتها وفي مئذنتها الاولى ، حتى ان سالم قاعدتها شطبت عن الانظار بما تراكم عليها من القاص ، فظل كثير من مراقبتها تبدأ من سطح الأرض - الا ان مديرية الآثار العراقية منيت بصيانة هذه المنارة فازاحت عنها تلك الانقاض وأظهرت أسس القاعدة وأعادتها بناسا وحسرت مراقبتها حتى الآن * وهذه المنارة مخروطية الشكل تقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها ٣٢ مترا يصعد الى قسها بمرقاة سلزوية تدرج سورها من خارجها خمس مرات وعرضها ٢/٥٠ مترا - وتبدأ المرقاة من وسط القطع الجنوبية للقاعدة المقابلة لباب المسجد الجامع وتنتهي في

والظاهر ان هذه المنارة القديمة ، وهى ما زالت شاخصة تعرف بـ « الملوية » كانت ذات مرقاة حلزونية تدور حولها من خارج يُصعد بها الى قمته . والملوية الآن على نحو نصف ميل من شمال سامراء الحالية . وهذا ما رآه المستوفى فى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقد قال ان المنارة القائمة فى المسجد الجامع يومذاك يبلغ طولها مئة وسبعين ذراعاً ولها مرقاة من خارجها لا يرى مثلها فى مكان آخر وزاد على ذلك ان قد بناها الخليفة المتصم^(١) .

اما ما هو أحدث من ذلك من مراجع ، فلم يزدنا علماً بسامراء الا قليلاً . ثم صار جل اهل سامراء من الشيعة ، اذ ان فيها ضريحى الامامين العاشر والحادى عشر : على الهادى وابنه الحسن العسكري . وفى جامعها سرداب الفية يقولون ان الامام الثانى عشر غاب فيه فى سنة ٢٦٤ (٨٧٨) وهو القاتم المهدي المنتظر الذى سيعود فى آخر الزمان^(٢) . ويقوم هذان الضريحان فى الموضع المعروف بعسكر المتصم . والى هذا الموضع نسب الامام العاشر فعرف بالعسكري . وفى اوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين كتب المستوفى ، وهو شيعي ، ذكر هذه المرافد بوجه خاص وقال ان فى المسجد الجامع القريب من هذه المرافد ، فضلاً عن منارته العظيمة التى أشرنا اليها ، حوضاً مشهوراً من حجر ، يعرف بقصعة فرعون^(٣) ، محيطها ثلاث وعشرون خطوة وارتفاعها سبع اذرع ويختها نصف ذراع ، قائمة فى صحن

القة برملة صغيرة مستديرة علر سطحها سنة امتار ، بابها من الجهة الجنوبية ويبلغ ارتفاع المروة من سطح الارض ٥٢ متراً . (راجع سامراء لادارة الاكار العراقية من ٤٣ - ٤٥) (م) .
(١) اشار أبو منصور اللطائى (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) الى المنارة الملوية فى سر من رأى فى كتابه لىار القلوب فى المسالك والمنسوب ، فقال (من ٤٢١) ان المخولك « كان يصعد منارة سر من رأى على حمار حريص ، ودرج تلك المنارة من خارجها واساسها على جريب من الارض ، ودخلها تسع وتسعون ذراعاً ، ويمس قرية يصعد » (م) .

(٢) راجع لى صفة هذا السرداب وما فيه من نقوش وزخارف وكتابات رسالة « باب الشيعة لى سامراء » لادارة الاكار القديمة ، وقد طُبعت سنة ١٩٣٨ . (م) .

(٣) جاء فى الحواشي الجامعة (من ٣٠٦) : « وفيها (سنة ٦٥٣ هـ) : « حلت القصعة الحجر المرفوعة بقصعة فرعون من سر من رأى الى بغداد فى تلك ، ودخلت تحت دار الخليفة ، وكانت عظيمة جدا ، فلم تزل الى سنة سبع وخمسين وستمئة ، ثم كسرت » وهذا يدل على ان المستوفى نقل خبرهاده وعل انها لم تكن لى زمانه باقية (الدكتور مصطفى جواد) .

الجامع للوضوء • وقد امر الخليفة المتصم بعملها • وزاد المستوفي على ذلك ان معملاً
سامراء في ايامه قد استولى الحراب عليه ولم يبق من المدينة الا قليل • وايد هذا
القول وصف ابن بطوطة لها • وقد زار سامراء سنة ٧٣٠ (١٣٣٠)^(١) •

وعلى ثلاثين ميلاً من شمال سامراء • مدينة تكريت على ضفة دجلة الغربية •
وكانت تعد آخر مدينة في حد العراق • وهي مشهورة بقلعتها الحصينة المظلة على
دجلة • وذكر ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) ان أكثر أهلها نصارى وان لهم
ديرا هناك • وكانت هذه المدينة • على ما ذكر المقدسي • معروفة بصنّاع الصوف
وانها معدن السمس • وزاد المستوفي على ذلك ما يقال من ان البليخ يزرع فيها
ثلاث مرات في السنة بالرغم من برودة هوائها • وذكر ابن جبير حين مر في تكريت
سنة ٥٨٠ (١١٨٤) انه يطيف بالبلد سور محيطه ستة آلاف خطوة وابراجها مكنية •
وقد اطرى ابن بطوطة اسواقها وجوامعها الكثيرة^(٢) •

والنهران يحمل من دجلة • وأوله أسفل الدور يشي • يسير على ما قد ينشأ •
وكان يعرف في اعلاء بالقاطول الكسروي لأن الأكاسرة أول من أحدثه •
وكان يسقى الارضين التي في شرقي دجلة من فوق سامراء الى نحو مئة ميل جنوب
بشاد • وذكر ابن سرايون عدداً كبيراً مما على ضفافه من مدن • وأشار الى الجسور
والشاذروانات • غير ان جلّها قد زال الآن • وان كانت معالم النهر ما زالت ترى

(١) البلاذري ٢٩٧ و ٢٩٨ : السعدي ٢٥٥ - ٢٦٨ : ابن خردادبه ٩٤ : ابن سرايون ١٨
الاصطخري ٨٥ : ابن حوقل ١٦٦ : المقدسي ١٢٢ و ١٢٣ : ابو العلاء ٢٨٦ : ياقوت ٣ ، ١٤ ، ٢٢
و ٨٢ و ٦٧٥ : ٤ : ١١٠ : ابن خلكان (رقم ٨ ص ١٥) : المستوفي ١٣٩ : ابن بطوطة ٢ : ١٣٢ •
فلما • بعد ان سنّف المؤلف كتابه • ظهرت جيلة تاليف عن • سامراء • • • • • و باب الغيبة •
في سامراء • ومقالات في مجلة سومر • وكتاب ري سامراء للدكتور احمد سوسة • وكتاب بحريات
سامراء للبرودسور هرتسمند Herzfeld, Ausgrabungen von Samarra وهو في ستة
مجلدات الخمسة الاول نصف البحريات • والسادس في تاريخ سامراء ونشاطها ولد صدر اشيرا
بمسوان Geschichte der Stadt Samarra • ورسله بيل Beylie بالفرنسية •
وكتاب فيوليه Viollet بالفرنسية في بحريات سامراء • وما كتبه البرودسور كرسويل عن عمارات
سامراء في كتابه : Early Moslem Architecture (م) •

(٢) الاصطخري ٧٧ : ابن حوقل ١٥٦ : المقدسي ١٢٣ : ابن جبير ٢٢٤ : المستوفي
١٣٨ : ابن بطوطة ٢ : ١٣٢ •

فى الخارطة . وبعد ان يتجاوز النهر وان الدور^(١) التى سميت دور عربايا أو دور الحارث تميزا لها عن غيرها من المدن الكثيرة التى عرفت بهذا الاسم ، يمر مماسا لقصر التوكية وغيره مما فى ظاهر شمالى سامراء من احياء ، وعليه هناك قنطرة حجارة^(٢) . ثم يمر الى الايتاخية وهى قرية وقطعة منسوبة الى ايتاخ التركى ، وقد كان صاحب حرس الخليفة المتصم ، وكانت أولا تعرف بدير أبى صفرة ، وعليه هناك قنطرة كسروية . وانما سعى الدير بهذا الاسم نسبة الى ابى صفرة وهم قوم من الخوارج . ثم يمر النهر وان الى المحمدية وهى بلدة صغيرة وعليه هناك جسر زواريق^(٣) . والمحمدية هذه على ما قال ياقوت اسم حديث للايتاخية ، سماها المتوكل المحمدية باسم ابنه محمد المتصم وقد تولى الخلافة بعد مصرع أبيه . وعلى بعد قليل أسفل من هذه المواضع ، يلتقى بالنهر وان القواطيل الثلاثة وهى : اليهودي فالأموني فأبو الجند ، وأوتلها كلها موضع واحد فى جانب دجلة الأيسر قرب المطيرة أسفل من سامراء ، وكانت تسقى البقاع الخصبة فى جنوب المدينة . وأقيم فى النهر وان ، فوق مصاب هذه القواطيل فيه ، أول سد من السدود الكثيرة (الشاذروانات) ، ثم يمر الى المأمونية وهى قرية كبيرة عند مصب أول قاطول . وكان على قاطول اليهودي بين المطيرة والمأمونية قنطرة تعرف بقنطرة وصيف ، نسبة الى وصيف القائد التركى فى أيام المتصم . والقناطول الثانى وهو المأموني ، يصب فى النهر وان أسفل من قرية القناطول . والقناطول الثالث وهو أبو

(١) الدور جمع الدارة . والدارة : المحل والقبيلة وكل أرض واسعة بين جبال .

قلنا . ان دور عربايا هى شمال كرخ سامراء حيث قطعة اشناس وسوره ، بينها وبين التوكية ، وبالقرى منها القاطول (الكسرى) ، وهى مع مدينة الدور الحالية . الى يقال ان فيها شريح الامام محمد النورى (م) .

(٢) يريد المؤلف بها قنطرة الرصاص . ولا اثر لها الآن وان كان موضعها مذكورا (م) .

(٣) يحسن بنا ان نشير الى ان لفظة « حرس » تطلق على جسر سفن أو رواقين . و « قنطرة » على ما بين البحارة ، والشاذرون يطلق على لسان من نهر أو ناع نهر قد وصلت الى أرضه البحارة ويبيت جوانبه بها لحيث الماء فى النهر . وقد تطلق لفظة الجسر أيضا على القنطرة المشيدة بالحجارة كما هو الاسم فى جسر الوليد المشهور وهو اسم القنطرة التى على نهر سررس بين ادفه والخصبة وقد بنىها يسطغان . وتطلق لفظة قنطرة على أى بناء ذو عقود كالأروقة التى تعلل بعض الدروب أو القناطر التى يبرر فوقها . والقنطرة لفظ مأخوذ من اليونانيين وكانوا يستعملون كلمة Kentrom وفى اللاتينية Centrum . وهى الطاق الاوسط من الجسر لم صارت تطلق على البهاء كله .

الجند ، وسمي أبا الجند لكثرة ما كان يسقي من الأرضين وهي التي جعلت أزرافاً للجند . وكان أبو الجند أجلاً القواطيل وأعرها شاطئاً حفرة هرون الرشيد وبني له فيه قصراً يوم أقام هناك إبان حفرة . وكانت على جانبيه مدينة ططش^(١) وعليه هناك جسر زواريق . ووصف ياقوت طفر ، وقد زارها في المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، أنها قاع موحش ليس به ماء ولا مرعى بين باعقوبا ودوققا^(٢) . وقد سلكه ياقوت مرة من بغداد إلى اربل فلم ير فيه أثر ساكن ولا أثر طارق . وقال إن دليله كان يستقبل الجدي حتى أصبح وقد قطعه .

وعلى أربعة فراسخ أسفل من التقاء آخر هذه القواطيل الثلاثة والنهروان ، مدينة صولى (أو صلوى) وتسمى أيضاً باب صلوى أو باصلوى . وأصل منها مدينة باعقوبا ، على عشرة فراسخ شمال بغداد . وهي مدينة طسوج النهروان الأعلى . وعند باعقوبا يعرف القاطول الكبير بـ « تامرا » ، ويقتى بهذا الاسم حتى يصل إلى باجسرا^(٣) ، ومنها إلى البلدة المسماة جسر النهروان . وبالتقرب من باجسرا (وهي الصيغة الآرامية لبيت الجسر) ، وهي وسط طسوج عامر تحف به التخييل يحمل من يمين تامرا ، نهر يقال له نهر الخالص ويصب في دجلة عند البردان شمال بغداد . ويحمل من الخالص أنهار كثيرة تسقى بغداد الشرقية . أما جسر النهروان ، ويقطعه طريق خراسان الذهاب من بغداد ، فسيأتي الكلام عليه في سياق بحثنا هذا . ويحمل هنا من يمين النهروان نهر يقال له نهر بين يصب في دجلة عند كلواذى ، ويتفرع من هذا النهر أنهار كثيرة تسقى المحلات السفلى في بغداد الشرقية . ويحمل من النهروان نهر يقال له نهر دبال أوله أسفل الجسر بميل ، يمر بقرى وضياح ويصب في دجلة أسفل بغداد بثلاثة أميال^(٤) .

(١) لم يذكر في المراجع البلديات على ما يشير إلى أن طفر كانت مدينة ويؤخذ من وصف ياقوت لها أنها اسم لأرض واسعة بين باعقوبا ودوققا . (م) .

(٢) تعرف اليوم باسم داقوق وطاووق وهي مركز ناحية داقوق في لواء كركوك (م) .

(٣) اسمها اليوم ابر جسر ، وهي من القرى السامرية في قضاء القادسية (شنهريان) ، ولديها محطة للقطار الذهاب من بغداد إلى كركوك ، وهي فوق باعقوبا لا أسفل منها كما ذكر المؤلف (م) .

(٤) الصواب : ثلاثة فراسخ ، على ما في ابن سريون (ص ٢٠ من طبعة لسترنج) فالمسافة اليوم بين الباب الشرقي ببغداد ومصب دبال في دجلة نحو عشرين كيلومترا (م) .

ومن جنوب مدينة جسر النهروان ، يعرف النهر باسم النهروان . ثم يمر الى الشاذروان الأعلى ، ثم يمر الى جسر بوران ، وانما سمي بذلك نسبة الى زوجة الخليفة المأمون . وأسفل من جسر بوران : يرزاطية (لعلها يرزاطية) ثم يمر الى مدينة عبرتا ، وقد ذكر ياقوت انها اسم أعجمي^(١) وفيها سوق عامر ، ثم الى الشاذروان الأسفل ، ثم يمر الى اسكاف بنى الجند ، وهى مدينة فى جانين والنهر يشقها . ويؤخذ مما ذكره ياقوت ، ان بنى الجند كانوا رؤساء هذه الناحية وكان فيهم كرم ، وزاد على ذلك قوله : وهاتان الناحيتان الآن (المثة السابعة = الثالثة عشرة) خراب ، بخراب النهروان منذ أيام الملوك السلجوقية ، كان قد انسد نهر النهروان ، واشتغل الملوك عن اصلاحه وحفره باختلافهم ، وتطرقها عساكرهم ، فخربت الكورة بأجمعها .

ويمر النهروان بمد اسكاف بنى الجند ، بنحو مئتين ميلا ، بين قرى متصلة وضياع مائة الى ان يصب فى دجلة أسفل ماذرايا بشىء يسير . وماذرايا ، على ما قد بينا ، فى جنوب جبل وفوق المبارك التى بازاء مدينة نهر سايس ، وكانت فى زمن ياقوت خرابا ولم يبق لاسمها أثر فى الخارطة الآن . على انها قد كانت أسفل كوت العمارة حيث يتعلم دجلة عن شط الحي على ما تقدم بيانه^(٢) .

وهذه الأقسام الثلاثة للنهروان (واعني بها القاطول وتامرا والنهروان) مع فروعه الثلاثة (الخالص ونهر بين وديالى) التى تعود مياهها الى دجلة بعد ان تسقى نواحي بندا الشرفية ، توضح ما أورده ابن سراييون عن الشبكة المائية المقددة . فالأسماء التى أطلقها عليها لا توافق ما صارت اليه بعد زمنه . فان نفرة واحدة الى الخارطة الحديثة ترى ان النهروان البالغ طوله مئتين ميل ، كانت تجتمع فيه مياه الجداول ومخارجها فى الجبال الفارسية . ولولا ان النهروان قد حفر ، لظفت مياهها (فى أيام الفيضان) على الجانب الايسر لدجلة . فقسم تامرا

(١) لعلها انه ارامى (م) .

(٢) لعل يرزاطية من رزطية أو زطرية الحالية دعى فوق عبرتا . اليعقوبى ٣٢١ : ابن سراييون ١٩ و ٢٠ : البلاذرى ٢٩٧ : ابن رسته ٩٠ : ابن خردادبه ١٧٥ : المسعودى : التنبية ٥٢ : ياقوت ١ : ٢٥٢ : ١٤٤ : ٣ : ٥٣٩ : ٦٠٤ : ٤ : ١٦ : ٣٨١ و ٤٣٠ .

من النهر وان كان في مبدئه جدولاً من هذه الجداول . فقد ذكر ياقوت انه « خيف ان ينزل من الأرض الصخرية الى الترابية فيحفرها ، ففرش سبعة فراش وسبق على ذلك الفرش سبعة أنهار كل نهر منها لكورة من كور بغداد . الشرقية . وكان الخالص وديالى ، على ما ذكر ، فرعين لثامرا (وعلى كل حال فان الخالص الذي ذكره البلدانون العرب ليس بالنهر المعروف بالخالص اليوم ، اذ ان النهر الحالي يجري على مقربة من شمال غربي باعقوبا) . والخالص في أيام ياقوت اسم كورة في شمال طريق خراسان ، وينتهي أحد أطرافها الى أسوار بغداد الشرقية . وفي المئة الثالثة (التاسعة) جعل ابن رسته وابن خردادبه النهر وان اسم نهر يأتي من الجبال ويصب في القاطول عند صلوى . وذكر المستوفي في المئة الثانية (الرابعة عشرة) ان النهر وان كان اسماً لنهر دياي الذي يخرج من جبال كردستان ويتألف من اقتران نهريين هما شروان وبسبي في أسفله تيمرا ونهر حلوان وهو يمر الى قصر شيرين وخاقين ويصيران فوق باعقوبا نهراً واحداً يصب في النهر وان^(١) .

اما بلدة النهر وان المعروفة أيضاً بجسر النهر وان ، فهي أول مرحلة في طريق خراسان من بغداد . وكانت في القديم موضعاً جليل الشأن وقد حل محلها الآن دسكرة سفوة الصغيرة . وقد وصف ابن رسته في المئة الثالثة (التاسعة) بلدة النهر وان بأنها مدينة يشقها نهر النهر وان بتصنيف في وسطها وقال : « في الجانب الغربي أسواق ومسجد جامع ونواحي تسقي أراضيها . وفي الجانب الشرقي مسجد جامع وسوق وحول المسجد خانات ينزلها الحاج والمارة » . ونوه ابن حوقل في المئة الاربعة بكثرة غلاتها وخيراتها . وزاد المقدسي على ذلك ان الجانب الشرقي كان في يومه أعمر وفيه المسجد الجامع ، ولما كتب المستوفي في المئة الثانية (الرابعة عشرة) كانت بلدة النهر وان خراباً لأن طريق خراسان قد عدل عنها واتجه شمالاً ماراً بباعقوبا^(٢) وظلت تلك البقعة الحصينة هناك حتى أيامه تعرف بطوسج

(١) راجع من النهر وان لفيكس جونسون وكتاب « دى سامراء » للدكتور أحمد سوسة (م) .

(٢) قلنا : وما زال هذا الطريق مستعملاً حتى اليوم وهو لما من بغداد الى خاقين ومنها الى

إيران (م) .

طريق خراسان وكانت باعقوبا^(١) على ما ذكر المستوفي أولى مدته ، وهى ذات بائق ونخيل متصلة تؤتى أجود أنواع التارنج والأترج^(٢) .

وتعرف بلدة براز الروز الآن ببلدة الروز (أو بلد روز) وهى فى شمال شرقى بلدة النهروان . وذكرها ياقوت غير مرة . وكان الخليفة المعتضد قد بنى فيها قصرا^(٣) . وتمد من طسوج تامرا . وهى من شرقى طريق خراسان ، وقد أشار إليها المستوفي أيضا . والمرحلة التى تلى مدينة النهروان فى طريق خراسان دسكرة الملك وقد وصفها ابن رسته بقوله « هى مدينة كبيرة وبها قصر من بناء الأكسرة حوله سور مشرف وليس داخله شئ من البناء له باب واحد مما على القرب » . ويتبين من موضع هذه الدسكرة انه يطلق موضع دستجرد المشهورة حيث انتهى خسرو برويز قصرا عظيما جاء فى التاريخ ان هرقل نهبه وأحرقه عن آخره فى سنة ٦٢٨ للميلاد . وهذا القصر ، وبقيت خرابته على ما يظهر الى المثة الرابعة (العاشرة) يعرف بدستجرد كسروية . قد رآه الرحالة ابن مهلهل (وقد تقل عنه ياقوت) فقال « فيها أبنية عجيبة من جواسق وإيوانات ، كلها من الصخر المتمد ، لا يشك الناظر اليها انها من صخرة واحدة منقورة »^(٤) اما الدسكرة ،

(١) باعقوبا ، مدينة عامرة على نهر خريسان من اليوم مركز لواء ديالى . تبعد من شمال شرقى بغداد لحو ٦٠ كيلومترا . وتتصل بها بالطارات والسيارات . ولعل اسمها الحالى من الارامية « باعقوبا » (بيت عاقوبا) ومنها موضع القاسم أو القفس أو المشب لانها على طريق القوالب الذهبية شرقا الى ايران ولانها تتوسط انهارا للرى تنفرح من ديالى . وقد جرى الناس هل كتابة اسمها اليوم بصورة « بقوبة » ر ف يقربا . وهذه الصورة الانشيرة مستصلحة قى الملة السابعة للهجرة فقد وجدت بها فى الموائد الجامعة (ص ٢٢٨) ومجم البلدان (مادة بقوبا) (م) .
(٢) ابن رسته ٩٠ و ١٦٣ : ابن خردادبه ١٧٥ : الاسطرلابى ٨٦ : ابن حوقل ١٦٧ : القفص ١٢١ : ياقوت ١ : ٨١٢ : ٢ : ٣٩٠ : ٥٧٨ : المستوفي ١٣٩ : ١٤٦ و ٢١٦ .
(٣) قال ياقوت (مجم البلدان مادة « براز الروز ») : كان للمعتضد به (أى بطسوج براز الروز) ابنية جليلة .

وبلد روز اليوم بلدة على نهر روز من الفروع اليسرى لنهر ديالى ، وهى مركز ناحية باسمها تامة الى قضاء مندلي ، قبل اسمها مركب من « براز الروز » واسمه الفارسي براز - روز (روز = نهر براز = خنزير) ليكون معناه النهر الخنزير . وقيل فى تفسير معناها أيضا انه « خيلاء النهار » أو « بهاء النهار » (راجع : القصد والاستفراد فى اصول معنى بغداد لتوليت وهيب ص ٣٠ - ٢١ : ولقد العرب ١ : ٣٧) (م) .

(٤) ظهر لنا من مراجعة ياقوت (٢ : ٧٣ : ٢ : ٣) انه ابن المهلهل قال « تسير من قنطرة النصارى قرب نهاوند الى قرية تعرف بدستجرد كسروية فيها أبنية عجيبة من جواسق الخ » على ما هو منقول فى متن الكتاب اعلاه . فهذا الوصف يرد الى دستجرد فى بلاد فارس وهى غير دستجرد التى كانت دسكرة الملك فى العراق . (م) .

البلدة العربية ، فإن ابن حوقل ذكر في المثة الرابعة (العاشرة) ان في الدسكرة حصنا قويا بناه المسلمون^(١) . وقال المقدسي في هذه المدينة انها « مدينة صغيرة سوقها واحد طويل ، الجامع أسفله ، غام بأزواج » . وعلى مقربة من الدسكرة ، قرية شهربان ، ذكرها ياقوت والمستوفى وأشار الأخير الى ان من أعمال هذه البلدة نمائين ضيعة انشأها الأميرة گلبان من بنات الاكاسرة .

وكانت المرحلة التالية في طريق خراسان ، مدينة جلولا ، تحف بها الاشجار ولا سور لها . وعلى مقربة من هذه المدينة قنطرة من بناء الاكاسرة من حجر مرصعة ، وهناك قرية يقال لها الهارونية . وعلى ما في ياقوت ، انها كانت فوق النهر الذي تسير فيه السفن من ياقوتيا الى باجسرا . وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ (٦٣٧) فاستباحهم المسلمون وفر الملك يزدرجرد . وسمى المستوفى هذا الموضع رباط جلولا ، لان فيه رباطا بناه ملكشاه السلجوقي . وموضع جلولا في وقتنا هذا هو مرحلة قزلباط^(٢) (أى الرباط الاحمر) الحديثة . وكان في شرق جلولا ، مدينة خاتقين وقد أشار المقدسي الى انها مدينة « على جادة حلوان » . وذكرها ابن رسته فقال : « بها واد عظيم قد بنيت عليه قنطرة عظيمة ببجس وأجر وطيقان » . وبالتقرب من خاتقين عين للفت^(٣) عظيمة كثيرة الدخل . وقال ياقوت : « بها قنطرة عظيمة على واد تكون ٢٤ طاقا ، في أيامه أى في المثة السابعة (الثالثة عشرة) عليها جادة خراسان . ولما كتب المستوفى في القرن التالي ، ذكر ان خاتقين قد آلت الى الحراب فلا تدو قرية كبيرة الا ان ناحيتها لبثت وافترة الغلات^(٤) » .

(١) ما في ابن حوقل : ١ : ٢٤٦ من الطبعة الثانية = ١٦٨ من الطبعة الاولى (« وبالدمسكرة شبل وزدوخ كثيرة وبخارجها حصن من طين داخله فارغ » (م) .

(٢) عبرت السكوة العراقية اسم بلدة قزلباط وجبلته « السندية » نسبة الى القائد العربي المشهور « سعد بن ابي وقاص » . وفي اليوم مركز ناحية السندية في قضاء خاتقين - لواء ديالى (م) .

(٣) وتسمى اليوم « نطفخانة » وبها آبار للسطح تستفيد به حركة لعل خاتقين ورياح في اسواق العراق (م) .

(٤) اما خاتقين اليوم لانها بلدة عامرة ، وفي مركز قضاء خاتقين في لواء ديالى . وبها كنيسة سكة الحديده المشتهة من بغداد ، ومعها يسر الطريق من بغداد الى ايران مارا بقرى خسرين الى كرامتشاه (م) .

وعلى ستة فراسخ مما على خاتقين ، فى وسط الطريق الى حلوان ، وهى أول بلدة فى اقليم الجبال ، تقوم قصر شيرين . وكانت شيرين مشوقة الملك كسرى ابرويز . وهناك قرية كبيرة ذات أسوار واطلال قصر ساسانى ، وصفه ابن رسته فى المثة الثالثة (التاسعة) بقوله : « فيه ايوان عظيم كبير مبني بالجص والاجر ، وحول الايوان حُجَر ينفذ بعضها الى بعض ومنها أبواب تؤدي الى الايوان والدكان بالبلاد والمرمر . » وليأتوت والمستوفى وصف طويل لقصر شيرين التى ما زالت أطلالها باقية . ومما يتوه به ان حكاية فرهاد ، عشيق الملكة شيرين وبلهد الفتى والمواد وشديد فرس الملك ابرويز المشهور ، قد صارت من الحكايات المحلية فى كثير من البقاع فى تلك الارزاء^(١) وتطل على قصر شيرين الجبال العظيمة التى عند بداية هضبة فارس . وحلوان ، المرحلة التالية فى فى طريق خراسان ، وهى وان كانت تمد من أعمال العراق فى الغالب ، الا انها لوقوعها فى المضيق الجبلى ، سنأتى على وصفها فى فصل آخر .

وفى جنوب طريق خراسان عند حدود خوزستان ، مدينتان مهمتان تحسن الاشارة اليهما ، هما : البندنجين ويات . والبندنجين اسم لم يبق له ذكر فى الحارطة ، الا ان هذه المدينة كانت أهم مدن طسوچى يادرايا وياكسايا ، وما زالت قرية باكسايا قائمة ولا بد ان يكون موضع البندنجين على مقربة منها^(٢) . وهذان الطسوچان مما على شمال شرقى النهروان ، فهما عدد كبير من القرى الحصنة . وكانت البندنجين مركز هذين الطسوچين ، عرفت بالفارسية على ما رواه ياقوت وندنيكان . وذكر المستوفى ان الاسم فى أيامه كان يلفظ بندنيكان وانها فى ناحية لحف جبال كردستان ، وينحدر نهرها من أرجان . والبندنجين ، على ما ذكر ابن

(١) ابن رسته ١٦٤ ، الاسطرخى ٨٧ ، ان حوقل ١٦٨ : القنسى ١٢١ : القزوینى ٢ ٢٩٥ : ياقوت ١ : ٥٢٤ : ٢ : ١٠٧ و ٣٩٢ و ٥٧٣ و ٥٧٥ و ٨١٣ : ٤ : ١١٢ : السنوفى ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٩٣ .

(٢) قلنا : ان البندنجين تعرف اليوم باسم « عفل » - وعفل على نهر ٩٤ كيلو مترا من شرقى باقربا ، قرب الحدود العراقية الإيرانية - وهى اليوم مركز قضاء باسمها فى لواء ديال بال عراق ، واسم هذه المدينة بالآشورية « اردليكا » أو « اردنيكا » - وفى الفارسية القديمة « وردنيكا » ودرهما ميروتنس باسم « اردنيكا » وقال ان فيها ميون بعد . والظاهر ان الاسم « عفل » تطور من وردنيكا أو اردنيكا أو اردنيكا الى دندنيكان وندنيكان نالى بندنيج والبندنجين لبندليج لبندليج لبندليج وهو الاسم الصالح اليوم « واجع سورمر : ٨ (١٩٥٢) ص ٢٧٧ - ٢٧٨ (م) .

خرذابه ، كانت هي وبراز الروز في كورة واحدة . اما بيات ، وما زالت خرائبها ظاهرة ، فقد ذكرها المستوفى بقوله : ان مخرج نهرها جبال كردستان وبقي في المفاوز فلا يصل دجلة ومع ان مائه كان على شيء من الملوحة ، فان كثيرا من النواحي كانت تسمى منه . والظاهر ، ان بيات كانت حيث بلدة الطيب التي ذكرها ابن حوقل بقوله : « يتخذ بالطيب تلك شبه الارمنى »^(١) . وكانت الطيب بلدة قليلة الشأن في أيام الباسيين . وتجاور خرائبها بقايا بلدة بيات الحادثة بعدها . وروى ياقوت ان أهل الطيب « نبط ولقبتهم نبطية »^(٢) ، ويرجعون نسبهم الى شيث بن آدم^(٣) .

ولنصف الآن مدن المراق التي على الفرات وعلى الانهزام الحاملة من الفرات الى دجلة . فقد يتنا قلا ، ان الخط الذي يبدأ من دجلة عند تكرت ويتجه غربا الى الفرات ثم يمرر أسفل من عانة يشي . يسير عند انعطاف النهر جنوبا ، هو الحد الطبيعي بين اقليمى الجزيرة والمراق ، على ما قال المستوفى . ومن جنوب هذا الخط يبدأ السواد ، وهو أرض بلاد بابل الرسوبية . وفي شماله السهول الحجرية فيما بين النهرين الأعلى . وتمتد « حديثة » الفرات وهي على خمسة وثلاثين ميلا أسفل من عانة ، أقصى مدينة في شمال هذا القسم . وعرفت بحديثة النورة تميزا لها عن حديثة دجلة . وذكر ياقوت ان فيها قلعة حصينة في وسط الفرات ، والماء يحيط بها ، أنشئت في أيام عمر بعد الفتح العربي بوقت يسير . ووصفها المستوفى بأنها مقابل تكرت موشما وهواء . وبين الحديثة وهي ، للمنحدر ، بلدتا ألوسة وناووسة وهما على الفرات بين الواحدة والأخرى سعة فراسخ ، وألوسة ، على ما ذكر ياقوت ، بلدة صغيرة وما زالت قائمة الى اليوم

(١) اشتهرت مدن ارمينية بمعل الملايس ونحوها من حالي العزيز تسمى « الارمنى » وهي تسمى جدا لا نظير لها في باقي البلدان بالسنن والجودة . نوه بالارمنى كثير من الكتبة الاقدمين . انظر الاسطرخى ٦٤ و ١٥٣ و ١٨٨ ؛ ابن حوقل ٧٩ و ١٧٦ و ٢١٤ و ٢٤٤ و ٢٤٦ ؛ مجمع البلدان ١ : ٢٧٢ ؛ الاغانى ٥ : ١٧٣ ؛ برلاق ؛ والتيسير بالتجارة للجاسط ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ ؛ تبار القلوب للصفالي ٤٢٨ ؛ ولطائف المعارف للصفالي ١٢٨ (م) .
(٢) النبطية هي اللغة الارامية التي كان يتكلم بها في العراق حتى أيام الصويع (م) .
(٣) ابن خردلايه ٦ ؛ الاسطرخى ٦٤ ؛ ابن حوقل ١٧٦ ؛ ياقوت ١ : ٢٣٠ و ٤٥٩ و ٤٧٧ و ٧٤٥ ؛ ابن خردلايه ٣ : ٥٦٦ ؛ ٤ : ٣٥٣ ؛ المستوفى ١٢٧ و ١٢٨ و ٢٢٠ ؛ زبادرايا لمسوح في البندليجيت فلا يغفلان امرنا ببادرايا لمسوح الجنوبي في بغداد الغربية .

ويقترن ذكر هاتين البلدتين في أخبار الفتح الاسلامي . وكانت النواووسة تحسب من قرى هيت . وكانت هيت مدينة عليها سور ولها قلعة حصينة وفيها نخيل كثير وهي على جانب الفرات الغربي . وذكر ابن حوقل ان هيت مدينة عامرة . وقال المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ان من أعمالها تبعا وثلاثين قرية منها قرية جبة (جبتى) وكانت تكثر فيها فاكهة البلاد الباردة والحارة كالجوز واللوز والنمر والتاريخ ، غير ان المدينة نفسها لم تكن طيبة السكنى لما يخالط هوداها من ورائع كريهة تنبت من عيون القير المجاورة لها^(١) .

وفي أيام الفتح الاسلامي ، كان خندق سابور (وهو الملك سابور الثاني) موجودا . وقد حفر هذا الخندق في المئة الرابعة للميلاد ، سابور ذو الاكتاف على ما أسماه العرب . يبدأ هذا الخندق من هيت ويمتد جنوبا الى الأبلقة (قرب البصرة الحديثة) حتى ينفذ الى البحر . وكان الماء يجري فيه أول أمره . وجعل عليه المناظر والمسالك ليكون مانعا لمن أراد السواد من أهل النادية . وما زالت ترى بعض أقسامه الجافة . وعين التمر ، وهي في جنوب هيت في البادية ، قال فيها المقدسي انها بلدة حصينة ، ويخرج من عين التمر نهر يمر بأرضها ويصب في الفرات أسفل من مدينة هيت . ومنها يحمل القصب والتمر الى سائر البلاد ومن موضع يقال له شقفاً بقريها . على ان موضع هذين

(١) بلدة « هيت » اليوم مركز ناحية باسمها في لواء الدليم . تكثر بعربها عيون القار وعيون معدنية شاذية لبعض الأرامس . وهي مدينة مدنية ، جاء اسمها في السومرية بصورة دلدل Dul-Dul-ī اما اسمها « هيت » فمن البابلية . البابليون يسمون القار في لغتهم « ادو » . وكانوا يسمون هذه البلدة باسم « اد » (ID) و « ات » (IT) ومعناها (مدينة) القار . وأشار جيروم في تاريخه الى بلدة « ار » (IS) على مسيرة ثمانية أيام من بابل . وكان يمر من هذه البلدة نهر صغير يقال له « ار » . أيضا كان يقضى بالفرات وكانت سامحه تحمل فيها مثل الفير الذي أخذ في تصنيبات نابل . وذكر ايزيدور الكرخي (Isidore of Charax) منزلا في كلامه على « ايداكل الفرتية » باسم « ايدوليس » (Isopolis) وجاء في جغرافية سطرلاب بلدة « ايدارا » (Idikura) على بين الفرات . وهو اسم مركب من « اد » البابلية و « ارا » باللغة النبطية العربية للقار .

وذكر أميائس مرشليس ان الجيش الروماني دخل في سنة ٢٦٣ م مدينة « دي اثيرا » (Diacira) وكذلك ذكرها زوسيمس بهذه المناسبة باسم « داكيرا » (Dakira) وهي « دقيرا » بالسرانية و « ذو قير » بالدرية . وفي تصدوس السلوك - وهو مكتوب بالأرامية ذكر مدينة « ادي » (ار) « ايد قيرا » (Ihidacira) وهي النبطية عرفت هيت باسم « هيد » (ار) « هد » - وحرف « الهاء » يشير الى أداة التعريف في هذه اللغة . وهي كذلك في اللغة العبرية . وعليه ، فاسم هذه المدينة قد تطور من « اد » (ار) « ات » البابلية بمعنى القار الى « ايد قيرا » العبرية (ار) « هد » و « هيد » النبطية ثم صار « هيت » وهو الاسم الحالي لهذه البلدة . وبه عرفها الكتبة العرب القدماء (راجع سومر ٨ [١٩٥٢] ص ٢٧٩ - ٢٨٠) (م) .

غير معروف^(١) .

وكان على اثني عشر فرسخا أسفل من هيت ، قرية الرب حيث كان يحمل نهر دجيل القديم من يسار العرات قبل المئة الرابعة (العاشرة) ويشرق فسقى طسوحى مسكين وفطريل ثم يصل الى الارياض الشمالية لنداد الغربية . وقد انطمر هذا القسم الغربى من دجيل على ما قد بنا . وحين كتب الاصطخرى فى سنة ٣٤٠ (٩٥٩) كان دجيل يأخذ مائه من دجلة بازاء القادسية ، وقد أوضحنا ذلك فى كلامنا على طسوج مسكن . أما الأنبار ، وهى على يسار الفرات ، فقد كانت من مدن العراق العظيمة أيام العباسيين . ويرتقى زمنها الى ما قبل الفتح الاسلامى . وقد سماها الفرس فيروز سابور (وباليونانية بيرسابور Perisabor) وكان أول من عمرها شايبور^(٢) . وصار اسم فيروز سابور يطلق فى أيام العرب على الطسوج الذى يكتنفها . وبغال ان هذه المدينة انما سميت بالانبار . لانه كان يجمع بها أنابيب الحنطة والشعير والقتّ والتبن ، وكانت الأكاسرة تترك أصحابها منها ثم جدها أبو العباس السعاح أول خلفاء بنى العباس وبني بها قصورا وأقام بها الى ان مات . . وأقام بها أيضا أخوه المنصور حيناً من الزمن ثم انتقل منها^(٣) الى بغداد عاصمة بنى العباس الجديدة الى أخذ المنصور بنتاتها . وحكى المسوقى ، ان اليهود الذين سباهم بئوخذ نصر من بيت المقدس الى بابل كانوا قد حصوا فى الانبار . وقال ان دور أسوارها كان فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) خمسة آلاف خطوة^(٤) .

ومنزلة الانبار فى انها عند مخرج أول نهر كبير صالح لسير السفن يحمل

(١) ابن سريبرون ١٠ و ١٣ : ابن ريسه ١٠٧ قدامة ٢١٧ ؛ البلاذرى ١٧٩ ؛ الاصطخرى ٧٧ ؛ ابن حوقل ١٥٥ ؛ القندسى ١١٧ و ١٢٣ و ١٣٥ ؛ ياقوت ١ : ٣٥٢ . ٢ : ٢٢٣ ؛ ٣ : ٧٥٩ ؛ ٤ : ٧٣٤ و ٩٦٧ ؛ المسوقى ١٣٥ و ١٤١ .
(٢) أطلق العرب اسم سايبور على الاسم العارسى « شايبور » ار « شامبور » . وكبه اليونان سايور Sapor .

قلنا . وهو الملك الساسانى المعروف بسايور دى الاكتاف .
(٣) الذى ذكرته الواربع انه انتقل الى بغداد من هاتسبة الكوفة . (م) .
(٤) تكون اطوال الانبار على يسار الفرات دون الفلوجة بخمسة كيلومترات ، بينها وبب سمة الفرات اليوم مراد يعرف بالفياض . ولقطة الاسار جميع ببر مشفى من اللغة الابراتية (لى اللارسية القديمة هم - بارا) وفى العارسية الحديثة « البر » . وكان فى موضع مدينة الانبار مدينة مدية لعلها هى مدينة « مسكينة » (بلنج الميم والسنج) (سومر ٨ . [١٩٥٢] ص ٢٥٢ - ٢٥٣) (م) .

من الفرات الى دجلة ويصب في الفرثة جنوبي المدينة المدورة في الجانب الغربي . وهذا النهر هو نهر عيسى ، وانما عرف بذلك نسبة الى عيسى الامير العباسي ، وهو اما ان يكون عيسى بن موسى ابن عم المصور ، أو عيسى بن علي عم الخليفة (واليه ينسب النهر في الاغلب) . ومهما يكن الامر ، فان الامير عيسى اطلق اسمه على النهر اذ جدد حفره وجعله صالحا لسير السفن من الفرات حتى بغداد . وكان على هذا النهر بعد خروجه من الفرات أسفل الانبار بشيء قليل ، قطرة مهولة يقال لها قطرة دمما نسبة الى قرية دمما^(١) وكانت على ضفة الفرات عند القلوجة . ثم يمر فبستق قرى طسوج فيروز سابور وضباعه حتى ينتهي الى المحول على فرسخ واحد من ارباض الجانب الغربي من بغداد . فاذا صار الى المحول تفرع من يساره نهر الصرارة وهو النهر الذي يؤلف الحد الفاصل بين طسوج قطريل في شمال بغداد الغربية وطسوج يادوريا في جنوبها ، ونهر الصرارة الذي كان يجري غالبا بموازاة نهر عيسى يصب في دجلة أسفل من باب البصرة أحد أبواب المدينة المدورة . وكانت تفرع من هذين النهرين جميع أنهار بغداد الغربية الا ما تفرع من نهر دجيل وهو قليل .

أما المحول ، فقد سميت بذلك لان عندها يحول ما يكون في السفن الآتية من مدن الفرات الى بغداد الى سفن اصغر منها تمر من تحت القناطر المدينة التي تطل نهر عيسى فيما يلي المحول الى ربض الكرخ . وكانت المحول بلدة حسنة طيبة زهرة كثيرة السائين والفواكه والاسواق والمياه ، وكان فيها حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قليل من البساتين الفخمة . ذكر المستوفي منها قصرا بناه الخليفة المنتمص فوق تل لا يقربه البعوض بقمل رقية . ولا يعرف الآن موضع المحول الصحيح ، بيد انه يجب ان يكون في شمال شرقي التل البالي القديم المعروف بعقروق الذي ذكره البلدانون العرب كثيرا^(٢) . وقد ربط المستوفي بين هذا

(١) قال هلال الصائير (تحفة الامراء في تاريخ الوزراء من ٢٥٧) : « وكان على نهر عيسى عند خروجه من الفرات قطرة تسمى قطرة دمما ، لها خمسة أبواب واحد كبير واربعة صغار ، وفي اواخر القرن الثالث للهجرة جعل عرض الباب الاكبر اثني وعشرين ذراعا وعرش الابواب الصغيرة ثمانية اذرع وذلك بعد الاستيلاء من ان اكبر السمن تستطيع ان تمر منها (انظر متر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ٢ : ٣٤٥ - ٣٤٦ من الترجمة العربية) - وقد اختلف الالفونون في ضبط اسم دمما (م) »

(٢) تقع الحلال عقروق على نحو ٣٠ كيلو مترا من غرب بغداد . فوق زمرة ابي غريب

الثل وأسطورة نمرود الجبار الذى ألقى بإبراهيم فى نار تتور حامية^(١) .
وعلى ثلاثة فراسخ أسفل من قرية دمعاً يحمل من الفرات ، النهر الثانى
الكبير الى دجلة ، وهو نهر صرصر ومصبه فوق المدائن بأربعة فراسخ . وكانت
أسافل هذا النهر تسقى طسوج بادوريا فى جنوب بغداد القريبة . وذكر ابن
سرايون انه يُسقى منه بالدوالى والشواديخ . وفوق مصب هذا النهر فى دجلة
يشى يسير عند زيران وحيث يمكن رؤية قصر الاكاسرة الابيض فى المدائن ،
كانت مدينة صرصر العامرة وعليه فيها جسر من مراكب يعبر عليه طريق الكوفة .
ومدينه صرصر على فرسخين من الكرخ ، الرض الجنوبى الكبير فى جانب بغداد
الغربي . وكان نهر صرصر على ما ذكر ابن حوقل تجرى فيه السفن . ومدينة
صرصر عامرة بالخيل والزروع . وشبهها المقدسى بعض فرى فلسطين فى طراز
بناؤها . وظلت صرصر مدينة ذات شأن حتى ختام الملة الثالثة (الرابعة عشرة)
حينما استولى تيمور على بغداد وعسكر فى الارياض المجاورة لها .

اما النهر الثالث الذى يحمل من الفرات الى دجلة فكان نهر الملك . وأوله
عند قرية الفلوجة^(٢) أسفل من فوهة نهر صرصر بخمسة فراسخ ، ومصبه فى

الحكومية . وقد عرف هذا الموضع باسم « عرقوت » منذ أيام نبوذة . وذكره البلاذيرى العرب به .
وزاره كثير من السلاج منذ منتصف القرن السادس عشر للميلاد . وطس بعضهم خطأ ان برجاً ، أى
زفورة ، هو برج نابل المذكور فى النوراة- الا انه فى منتصف القرن التاسع عشر لبت انه مرشح المدينة
الكثيرة المعروفة بدور كوركيزلور . وقد اجرت مديرية الآثار العامة تحريات معسودة فيه سنة ١٩٤٢ ، لم
تلق فيه ثلاث سنوات (١٩٤٢-١٩٤٥) . فظهرت هذه التنقيبات معلومات قيمة عن أسس الزقورة وهيئة
قاعاتها وكسنت عن مبادئ المدينة وقصورها فى مكان يبعد نحو كيلو متر عن شمال البرج . من تل
يعرف بالنبل الأبيض .

وقد تبين من حله الكشوف ، ان مدينة « دور كوركيزلور » قد أسسها الملك الكسى كوركيزلور
الاول فى بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد واتخذها عاصمة له بعد انقائه من مدينة نابل وطلت
كذلك حتى سقوط الدولة الكسبية فى سنة ١١٧٠ ق م .

راجع سومر (١) [١٩٤٥] ص ٣٦ - ٧٥ - (م) .
(١) ابن سرايون ١٠ و ١٤ : ان خرافة ٧ و ٧٢ و ٧٤ : دامة ٢١٧ : الاسطخرى
٧٧ : ابن حوقل ١٥٥ و ١٦٦ : المقدسى ١٢٢ و ١٢٤ : ياقوت ١ : ٣١٧ ٢ : ٦٠٠ ٣ : ٦٦٧ .
٤ : ٤٢٢ : المستوفى ١٢٦ و ١٢٨ و ١٤٠ و ١٤١ .

واسافل نهر عيسى ونهر الصراة تعد من ضمن شطوط بغداد . وقد اشتهرتا وصفا فى مصنف
لنا لقراء سابقاً وسند ان موضع الاثبات هو الخراب التى ضد سفيرة (بالتصديق) ولعله الخراب التى لى
لها هذه القرية وهى التى وضع المستر بيرتر J. P. Peters . مخطوط لها فى كتابه « نهر »
(Nippur 1, 177) .

(٢) الفلوجة هى لوجية Feluchia (Felugia Feluge) التى ذكرها سيزار فردريك وغيره
من تجار عصر الملكة إليزابيث الذين ، بالصدارهم فى الفرات ، ابقوا سلطانهم فيها وسافروا برا الى

دجلة أسفل من المدائن بثلاثة فراسخ • وكان نهر الملك معروفا منذ الازمنة القديمة فقد ذكره اليونان باسم نهر ملخا (Malcha) • وعلى ما فى ياقوت • قبل ان أول من حفره سليمان بن داود (عم) ، وقيل انه حفره الاسكندر الكبير • وكانت على ضفافه مدينة يقال لها نهر الملك ، عليه فيها جسر من سفن يمر عليه طريق الكوفة ، وهى على سبعة أميال جنوبا من صرصر • ومدينة نهر الملك ، كانت على ما ذكر ابن حوقل • أكبر من صرصر ، عامرة بأهلها وهى أكثر تخلاّ وزرعا وثمرأ وشجرا منها • • وزاد المستوفى على ذلك ان قد كان فى كورتها نيف وثلاثمائة قرية (١) •

والنهر الرابع الذى كان يحمل من الفرات الى دجلة هو نهر كوثى • أوله أسفل من نهر الملك بثلاثة فراسخ • ويصب فى دجلة أسفل المدائن بمشربة فراسخ • وكان هذا النهر يسقى طسوج كوثى من كورة اردشبر بابلان (نسبة الى الملك الساساني الاول) ويسقى فرع آخر منه طسوج نهر جوبر • وكانت مدينة كوثى ربّا ، وفيها جسر من سفن ، على هذا النهر ، ويقال انها تطابق كوثى الوارد ذكرها فى التوراة فى سفر الملك الثانى (١٧ : ٣٤) وكانت مدينة ذات شأن فى ناحية بابل • وكوثى ، على ما جاء فى الروايات الاسلامية • • يزعمون انها تار التمرد بن كتمان النى طرح فيها ابراهيم واسمها من كوثى جد ابراهيم الخليل • • وقال ابن حوقل فى الملة الرابعة (العاشرة) : • كوثى بلدان وتاجيتان تعرف احدهما بكوثى الطريق والاخرى بكوثى ربّا • • يزعم قوم ان كوثى ربّا مدينة كانت أكبر من بابل • وبها تلال رماذ عظيمة قالوا هى رماذ تار نمرود • • وزاد المقدسى على ذلك • بقرب كوثى الطريق شبه منارة • قديمة ، لهم فيها كلام • • وروى كتب الرحلات ان مدينة كوثى وموضعها على ما تشير اليه الخوارط هو تل

يهداد على ما جاء فى مجسرة هكلويت

Hakluyt, Principal Navigations (Glasgow, 1904) V. 367, 455, 466; VI 4.

لنا : واللحظة اليوم على يمين الفرات قرب شراب الاببار • وهى مركز قضاء الفلوجة فى لواء البليد ، وهى من المواقف المسورة قديما • فقد جاء هذا الاسم فى اللغة الاكديّة بمسورة « بلوكاتو » Pallukatu وعرفها الإراميون باسم « بلوكا » Pallugtha واسمها بنى الانتشار والانتلاخ اذ انها فى موضع تتلجج ليه شفة الفرات (م) •

(١) رجاى فى ياقوت (٤ : ٨٤٦) وقد سبق المستوفى ينحو متى سنة • نهر الملك كورة واسمة يهداد بعد نهر هيس يقال انه يشتمل على ثلاثة وسبعين قرية على عدد ايام السنة • (م) •

إبراهيم على ما يظهر ، وكانت على أربعة أميال جنوب مدينة نهر الملك^(١) .
وعلى بضعة أميال من شمال كوثي ، قرية فراشا الكبيرة وهي مرحلة تتوسط
بين بغداد والحلة في طريق الحاج الذاهب الى الكوفة على ما كان عليه في نهاية
الثة السادسة (الثانية عشرة) . وصفها ابن جبير وكان فيها سنة ٥٨٠ (١١٨٤)
فقال « قرية كثيرة العمارة يشقها الماء ... وفيها خان كبير يحذق به جدار عال
له شرفات صفار » ، وذكر المستوفي فراشا أيضا في وصفه للمسالك فقال انها
على سبعة فراسخ جنوب صرصر^(٢) .

(١) قرى الحلال مدينة كوثي ، هي نهر منتصف الطريق بين المحاول والصورة ، وهي على ٢٦ كيلومترا
من الاول . وتعرف اليوم بقل إبراهيم وقل سبيل إبراهيم ، لوجود مرقده عليه نية في أهل القل ينسب
الى إبراهيم . وهو اليوم في أرض لا ماء فيها . وهذه الاطلال واسمة عالية وتبين من لمس مديرة
الانوار العراقية لها ، انها من الازمة العرقية والاسلامية (م) .
(٢) ابن سراييون ١٥ : ابن رسته ١٨٢ : الاضطري ٨٥ و ٨٦ : ابن حوقل ١٦٦ و ١٦٨ :
القدس ١٢١ : ابن سبيل ٢١٧ : ياقوت ١ : ٧٦٨ : ٤ : ٣١٧ و ٨٤٦ ، المرصد ٢ : ٣٦٣ : على
اليزدي ١ : ٦٣٣ : المستوفي ١٤١ و ١٩٣ .
نهر نهر هيسي هو مجرى الصفلاوية الحال مع ذي من التفات - اما نهر صرصر فكان يماشي
نهر (ابن غريب) ، ونهر الملك هو الرضوانية ، ونهر كوثي هو سبيل إبراهيم الذي في الخوارق
الحدسية . وهذه التفتقات تقريبية على كل حال اذ ان سطح ارض السواد قد تغير طبعا في خلال
ذلك سنة وليست هناك كانت عليه في العصر الميامي .

فلنا : ويحسن بالنتيج لموضوع هذه الانهار وتاريخها ان يرجع الى تحقيقات موسيل في كتابه
« الفرات الاوسط » الصفحة ٢٥٨ - ٢٨٣ .
Musil (Alois), The Middle Euphrates (pp. 258-283; New York 1927).

الفصل الخامس

العراق «تمة»

النشاط الفرات - نهر سورا - قصر ابن هيرة - التيل ونهر التيل - نهر
الفرات - نهر البصرة وبمبادنة - نهر الكوفة - مدينة الكوفة -
القادسية - مشهد عل وكربلاء - استنانات العراق
الاثنا عشر - التجارة والصناعة - طرق العراق

كان نهر الفرات في المئة الرابعة (الماشرة) « اذا جاوز نهر كوثى بستة
فراسخ » انقسم الى قسمين : الغربي ، وهو النهر الايمن ، عمود الفرات .
وكان يماس مدينة الكوفة وينتهي الى البطائح . والشرقي ، وهو النهر الايسر ،
عمود الفرات الحالي . ساء ابن سراييون وغيره من البلدانين العرب نهر سورا أو
سوران . ثم كان يتشعب الى انهار تعصب في البطائح . وذكر ابن سراييون ان
نهر سورا (وهو الفرات الحالي) ، كان في ايامه نهرا عظيما أعظم من نهر الكوفة
وأعرض منه . وكان نهر سورا الاعلى ، حيث ينقسم الفرات ، يستقى طسوج
سورا وبريسا وباروسا ، وكانت هذه الطسايج قسما من استنات بهتقباد
الاوسط . ثم يمر بفرب مدينة يقال لها قصر ابن هيرة وبينهما ميلان . وعندها ،
على النهر ، جسر سورا وعليه يمر طريق الحج من قصر ابن هيرة الى الكوفة .
ومدينة القصر ، وسميت بذلك اختصارا ، هي قصر ابن هيرة ينسب الى
مؤسسه ابن هيرة^(١) عامل العراق من قبل مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية .

(١) هو يزيد بن عمر بن هيرة الغزالي النبطي (م) .

ولم يشأ ابن هيرة ليستمه • وبعد زوال بنى أمية • نزل السفاح أول خلفاء بنى العباس • واستم تسقيف مقاصير فيه • وزاد فى بنائه وساء الهاشمية • تخليدا لاسم جده هاشم • وظل الناس يسمون المدينة التى نشأت حول قصر الخليفة باسم العامل الاموي • وبقي الامر كذلك حتى نزول المنصور فى الهاشمية قبل بنائه بغداد • فكانوا يسمونها قصر ابن هيرة أو مدينة ابن هيرة على العادة الاولى • وكان قصر ابن هيرة فى المثة الرابعة (العاشرة) أكبر مدينة بين بغداد والكوفة • وهو على نهر يخرج من نهر سورا يقال له نهر ابى رضى • أوله من فوق القصر ويسبب الى سورا أسفل من القصر • وكانت المدينة • على ما ذكر المقدسى • كبيرة جيدة الاسواق كثيرة اليهود • والجامع فى السوق • • على انه فى مطلع المثة السادسة (الثانية عشرة) انحطت وقل شأنها على ما يظهر بارتفاع شأن الحلة حتى ان موضعها اليوم أصبح غير معروف وان اشارت اليها الخوارط بإحدى الاخرية الكثيرة التى على بضعة أميال شمال الاطلال الواسعة لبابل القديمة •

اما مدينة الحلة • وهى على بضعة أميال من اطلال بابل على الفرات أى نهر سورا على ما كان يسمى به فى المثة الرابعة (العاشرة) • فقد عرفت فى هذا الزمن بالجامعين • وكان معظمها فى أول أمرها فى الجانب الشرقى • وكانت موضعا عامرا كثير الخصب • ثم بنى سيف الدولة رئيس بنى مزيد فى نحو سنة ٤٩٥ (١١٠٣) الحلة بازائها • أى فى الجانب الايمن • وسرعان ما علا شأنها لوجود جسر عظيم فيها معقود على مراكب متصلة • وصار طريق الحج من بغداد الى الكوفة يعبر الفرات عليه لما يطل الطريق المار بقصر ابن هيرة (وكان قد آل حينذاك الى الخراب) الذى كان يعبر جسر سورا • وما ان حلت المثة السادسة (الثانية عشرة) حتى صار نهر سورا عمودا للفرات شأنه اليوم وبطل مع الزمن استعمال اسم نهر سورا • وفى سنة ٥٨٠ (١١٨٤) عبر ابن جبير جسرا فى الحلة على الفرات • وكان هذا الجسر « غليظا معقودا على مراكب كبار تحف بها من جانبها سلاسل من حديد » • وكانت الحلة آنذاك مدينة كبيرة على جانب الفرات الغربى ممتدة مع الفرات • ولابن بطوطة • وقد اقتضى خطوات سلفه فى أوائل المثة الثامنة (الرابعة عشرة) • وصف طويل لجسر السفن المشهور هذا

فى الحلة ، فقد كان على جانبى هذا الجسر سلاسل من حديد مربوطة فى كلا الشطرين الى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل . وقد اطرى أسواق المدينة . وما ذكره ابن بطوطة أورده محاصره المستوفى بكماله فقال ان الحلة أخذت تمتد فى جانب الفرات الشرقى على نحو ما هى عليه فى جانبه الغربى . وكان النخيل يكثر فى داخلها وخارجها فكان ذلك سببا لرطوبة هوائها . و اضاف المستوفى الى ذلك ان أهل الحلة كلهم امانة اثنا عشرية ولهم بها مقام يسمونه مشهد صاحب الزمان المهدي المنتظر الذى اختفى فى سامراء سنة ٢٦٤ (٨٧٨) وسيخرج لهداية الناس الى الايمان (أنظر ص ٨٠ أعلاه) (٢) .

واذا ما عدنا ثانية الى وصف ابن سرايون فى المثة الرابعة (العاشرة) لنهر سورا ، فنقناه يقول ان هذا النهر كان على ما قد بينا ، يمر فى غرب اطلال بابل . وذكر المقدسى ان فى هذه الاطلال قرية قريبة من جسر . وللمستوفى حديث طويل عن الكهنة العظام الذين عاشوا فى بابل وعن الجب الذى فى قمة التل ، وقد حيس فيه الملاك السافطان هاروت وماروت الى يوم الدين (٣) .

وفوق بابل يأخذ من سورا آخر الانهار الكثيرة التى تحمل من الفرات الى دجلة . وهذا النهر ، ويعرف اليوم بشط النيل ، قد سماه ابن سرايون فى قسمه الاعلى غرب مدينة النيل بـ « الصراة الكبيرة » . وشبه هذا الاسم اسم

(٢) ابن سرايون ١٠ و ١٦ : المقنوى ٣٠٩ : الاسطخرى ٨٥ و ٨٦ : ابن حوقل ١٦٦ و ١٦٨ : المقدسى ١٢١ : ياقوت ٢ : ٣٢٢ : ٣ : ٨٦١ : ٤ : ١٢٢ : ابن جبير ٢١٤ : ابن بطوطة ٢ : ٦٧ : للمستوفى ١٢٨ .

(٣) تمع اطلال مدينة بابل على نحو تسمي كيلو مترا جنوب بغداد على نهر الفرات . وقد لقيت فيها بقية المانية قبل الحرب العالمية الاولى وكشفت من اهم بقاياها ، على ما يرى ذلك مفصلا فى الكتاب الذى وضعه كولدهوى رئيس تلك البقعة وقد نقل الى الانكليزية وطبع بعنوان **Koldewey, Excavations at Babylon (London, 1914).**

ومما اظهرته التنفصات : بقايا معبد ايساكلا ، اكبر معابد بابل المخصص بعبادة الاله مردوخ كبير الالهة البابلية ، وبقرة المعبد اى برج المدح ، ومعابد اخرى منها المعبد المخصص بعبادة الالهة عشتار ، وباب عشتار الذى يمر منه شارع المراكب . وتصر بونخاتصر وعينه من القصور ، والمبنى الاغريقى ، وبعض دور السكنى .

ومع ان هناك ما يدل على استيطان موضع بابل فى عصور ما قبل التاريخ (نحو ٤٠٠٠ ق م -) فان اقدم اشارة تاريخية الى المدينة باسمها المعروف قد جاءت من عصر السلالة الاكدية (فى حدود ٢٣٥٠ ق م -) . وذكرت المدينة كذلك فى اشعار سلالة اربو الثالثة .

ولما بنماها البابليون القدامى ، سموها باب ايلو ، اى باب الاله . وقد صارت بابل عاصمة للعولة البابلية واشتهرت فى ايام حمورابى سادس ملوكها وكذلك فى ايام نبوخذ نصر ملك الكلدانيين . (م) .

نهر آخر اشهر منه في بغداد الغربية (أنظر ص ٩٢) ونهر الصراة الكبيرة ،
يجرى الى الشرق ابتداء من مخرجه ويمر بقرى عامرة كثيرة ، وتتفرع منه أنهار
صغيرة متعددة . وقبل ان يصل مدينة النيل بشىء يسير ، يتفرع من يساره نهر
صراة جاماسب ثم يعود فيصب فيه أسفل المدينة . وكان الحجاج ، عامل بنى أمية
المشهور على العراق ، قد اعاد حفر صراة جاماسب . ولكن اسمه ، على ما انتهى
الناس ، بقى ينسب الى جاماسب ، كبير المواينة الذى عاون الملك كشتاسب فى توطيد
دين زرادشت فى بلاد فارس فى قديم الزمان . كما بنى الحجاج مدينة النيل
وصارت أجمل مدينة فى هذا الطسوج كله . واطلالها ما زال يشار إليها فى
المخاطرة باسم التيلة^(٤) . وقد سعى هذا النهر باسم نيل مصر على ما يقال . ويمر
الصراة الكبيرة بمدينة النيل ، وعليه هناك قنطرة عظيمة يقال لها قنطرة الماسى .
وما كان من النهر فى غربى المدينة ، وهو الذى سماه ابن سرايون الصراة الكبيرة ،
عرف فى أيام أبى الفداء بنهر النيل أيضا . اما ابن سرايون فقد اطلق هذا الاسم
على ما جاوز منه شرق مدينة النيل فقط .

ويمر هذا النهر بقرى ورساتيق على جانبيه فيسقيها حتى يصل هورا يقال
له الهول قرب دجلة بازاء التعانبة (أنظر ص ٥٦) . ومنه يتفرع نهر
يقال له الزاب الاعلى يحمل الى دجلة رأسا . اما نهر النيل نفسه فانه من الهول
ينساب فى طريقه جنوبا فيسير بموازية دجلة مسافة قليلة حتى يصير فى أسفل
مدينة نهر سايس . ومدينة سايس على مسيرة يوم فوق واسط ، وعندها يصب النهر
فى دجلة . وربما ينساب بعض مائه فى الزاب الاسفل الى دجلة . وما يحسن

(٤) على نهر النيل المندرس وفى ما يعرف بالبريرة بين المسحية (قرب الغرات) والصلابية
(على دجلة) ، الحلال واسمة تعرف ببل النيل والنبليات والنيلية . فى موضع مطابق سفلة موصع مدينة
النيل التى بناها الحجاج . وقد مصحتها دائرة الآثار العراقية سنة ١٩٤٥ . وباستداده حائى هذا النهر
القديم لملول أثرية وبغايا أدبية هى معالم القرى التى كانت تقوم على هذا النهر ، وفى اليوم أبهى
وملحة . ولكن أكبر هذه الملول وأعلامها هو المنسى بالنيلية أو النبليات . ويشق النهر هذه المدينة ،
وعرضه نحو ثلاثين مترا . وفيه بقايا دعائم من الآجر والتورة كانت تقوم عليها ولا شك قنطرة
الماسى . وعند ضلته الجنوبية بناء فخم قد تدامى يتألف من سور فيه بقايا اساطيل من مدينة النيل
كان مبنيا بالآجر . وبين من لخص كسر الفخار التى حل سلع التل إنها من الفة السابعة للهجرة .
كما هنر فيها على نفوذ لحاس من العصر الإيلخانى . والحرف ان مدينة النيل كانت دار ضرب من
الصهر المباسى أيضا (م) .

بيانه أيضا ان ما كان من النيل أسفل الهول يقال له نهر سايس واليه نسبت المدينة التي على عين دجلة ، على ما بينا في (ص ٥٧) • ولقد تبدلت تسميات هذه الانهار في أزمنة مختلفة : ففي الملة السابعة (الثالثة عشرة) ذكر ياقوت ان مجرى النهر من مدينة النيل الى النعمانية كان يسمى نهر الزاب الاعلى ، بينما يظهر ان زابه الاسفل يطابق نهر سايس لدى ابن سرايون • وعلى كل فان معظم أقسام هذين النهرين قد جفت في الملة السابعة (الثالثة عشرة) وان بقي عامرا ما كان على جانبيهما من رساتيق •

فإذا عدنا الى اطلال بابل على الفرات ، وجدنا أسفل منها على نهر سورا قنطرة يقال لها قنطرة القامغان • والماء فيها منصب عظيم • ، على ما ذكر ابن سرايون • وعلى ستة فراسخ أسفل من هذه القنطرة ، بالقرب من الجامعين - الحلة الحديثة - ، ينقسم نهر سورا الى قسمين : يتجه الايمن جنوبا فيمر بالجامعين ، واليسر ويقال له نهر الترس يجرى نحو الجنوب الشرقي فيسقى حمام عمر وغيرها من القرى وينتهي الى مدينة نهر • وقد سمي هذا النهر بذلك نسبة الى نرسى (نريس) الملك الساساني الذي اعتلى العرش في سنة ٢٩٢ للميلاد وقد كان أمر يحفر • وبعد ان يجرى جنوبا بشيء يسير ، يصب نهر الترس ونهر سورا مائعا في نهر البداة الذي يخترق حافة البطائح الشمالية • ونهر البداة أو البداة هذا كان مفيضاً يأخذ من يسار فرات الكوفة على مسيرة يوم شمال مدينة الكوفة وربما من قرب بلدة قنطرة الكوفة ويقال لها أيضا القناطير • ولعل الطريق العام كان يمر نهر البداة عليها • ومدينة القناطير هذه على سبعة وعشرين ميلا جنوب جسر السفن العظيم الذي على سورا • وهذا الجسر على ثمانية وعشرين ميلا شمال الكوفة ولعل القناطير تجاوز أو انطابق موضع فوميدية (Fombedita) البرية (وبالبرية فهم البداة) وكانت ، على ما ذكر بنيامين التطيلي في الملة السادسة (الثانية عشرة) ، مركزا علميا عظيما لليهود في بلاد بابل • وبعد ان يجرى نهر البداة نيفا وخمسين ميلا ويستقبل في يساره مياه نهر سورا الاسفل ونهر الترس ، يصب أخيرا في البطائح قرب مدينة نهر (٥) •

(٥) ابن سرايون ١٦ : البلاذري ٢٥٤ و ٢٩٠ : ابن رسته ١٨٨ : ابن حوقل ١٦٧ : القندس.

وكان الطسوجان اللذان بين منقسم الفرات الاسفل ، ونهر سورا الى شرفهما وعمود الفرات الى غربيهما ، يرفان بطسوج الفلوجة العليا والسفلى ، وفي اسفلهما يمر النهر بمدينة القنطرة ويغم نهر البداة ثم يتجه الى الكوفة في الجانب الغربي من الفرات تجاه الجسر . وفي جنوب الكوفة كانت مياه هذا النهر تنصب في البطائح من فروع صغيرة له . والنهر القديم سماء قدامة والمسعودي نهر الملقى ، وهو على ما يظهر يطابق نهر الهندية الحالي الذي ينشط اليوم من الفرات في أسفل المسبب . وكان يمر بخرائب الكوفة القديمة ثم يلتقي بعمود الفرات الحالي بعد ان يجري بين أهوار البطائح التي كانت في العصر العباسي .

وأسس المسلمون مدينة الكوفة عقيب فتحهم بلاد العراق بعد ان بدأوا ببناء البصرة ، أي في نحو سنة ١٧ (٦٣٨) أيام الخليفة عمر . واختلت الكوفة لتكون معسكرا للجيش في الجانب الغربي من الفرات أي جانب البادية . وقامت على بسيط واسع من الارض على ضفة النهر جوار الحيرة المدينة الفارسية القديمة^(١) . ثم تكاثر الناس في الكوفة . وحين قدم إليها علي (بن أبي طالب) في سنة ٣٦ (٦٥٧) وأقام فيها ، صارت مدى اربع سنين عاصمة المسلمين الذين والوا علياً وياحموه بالخلافة . وقد أختل الإمام علي سنة ٤٠ (٦٦١) في جامع الكوفة . ووصف الاصطخري مدينة الكوفة في المثة الرابعة (الماشرة) فقال : « انها قريبة من البصرة في الكبر وهوؤها اصح وبنائها مثل بناء البصرة » . وكانت أسواقها عامرة ، الا انها دون أسواق البصرة شأنًا ، وكان المسجد الجامع^(٢) الذي فيه أصيب الإمام علي بضربة قاتلة ، في شرقي المدينة . وفيه

١٢١ : أبو الفداء ٥٣ : ياقوت ١ : ٧٧٠ : ٢ : ٣١ : ٩٠٣ : ٤ : ٣٧٩ : ٤ : ٧٧٣ : ٧٩٨
ر ٨٤٠ : ٨٦١ : المستوفى ١٣٦ : رحلة بنيامين الطويل (طبعة المبر) ١ : ١١٢ . انظر أيضا دي هويو
في ZDMG لسنة ١٨٨٥ ص ١٠ .
لنا : نقل عزرا حداد « رحلة بنيامين التطيلي » من المبرية الى العربية وطبعها في بغداد سنة

١٩٤٥ (م) .

(١) كانت الحيرة من المدن العربية قبل الاسلام ، قامت فيها دولة المانذرة العربية . (م) .
(٢) ترى خرائب الكوفة القديمة اليوم بين الكوفة الحديثة والنجف . وهي تتألف من أكام ومرتمعات واسعة . وقد بقيت مديرية الآثار العراقية في سنة ١٩٣٦ مرمش « قصر الكوفة » وطلعت « المسجد الجامع » للاساسة له وتمكنت من وضع مخطط لبقايا القصر والمسجد الجامع المجاور له . ويظهر لها ان القصر كان مربع الشكل تقريباً يتراوح طول اضلاعه بين ١٦٦ و ١٧٢ متراً . وتلحق الجدران ٢٦٠ متر . وقد أصاب هذه البقايا تدمير وتخريب بسبب اقتلاع سجارته منذ عشرات او مئات السنين لاستعمالها

السواري من صم الحجارة المنحوتة التي نقلت من مدينة الحيرة المجاورة وكانت قد خلت عن الامل بناء الكوفة . ومن محلات الكوفة الكبيرة : الكناسة ، في طلف البادية وحولها بساين النخيل وتمرها أحود الثمور . ولما مر ابن جبير بالكوفة في سنة ٥٨٠ (١١٨٤) كانت لا سور لها فقد استولى الخوارج على أكثرها ، والجامع العتيق آخرها . وذكر ابن بطوطة في الملة الثامنة (الرابعة عشرة) ان سقف جامع الكوفة يقوم على سواري حجارة ضخمة منحوتة ود صنعت قطما ووضع بعضها على بعض وأفرغت برصاص . وبهذا المسجد محراب يعين موضع مقتل علي . وسرد المسنوني حديثا طويلا عن الكوفة فقال ان ذرع أسوارها ١٨٠٠٠ خطوة ، وقد بناها الخليفة المنصور . وكان نصب السكر فيها أجود ما في سائر العراق ، وبكرت فيها القطن . وكان في سارية من سواري الجامع علامة كف علي وفيه أيضا الموضع الذي فار منه النور حين طوفان نوح ،^(٨) .

وعلى دون الفرسخ من جنوب الكوفة ، اطلال الحيرة . وكانت مدينة عظيمة في أيام الساسانيين وبالقرب منها القصران المشهوران : الخورنق والسدير . وقد بنى النعمان ملك الحيرة قصر الخورنق ، على ما قبل ، للملك بهرام جور الصيد العظيم . وحين استولى المسلمون على الحيرة في أثناء فتح العراق ، هالهم قصر الخورنق بما كان فيه من ابهاء فسحة . واتخذ الخلفاء بعد ذلك موضعا ينزلون فيه أثناء خروجهم للمصيد . ومع انه لم يبق من هذا القصر شيء الآن على ما يظهر ، الا ان بقايا قبابه الضخمة وبعض عمارته كان ما زال شاخصا حين مر به ابن بطوطة في مطلع الملة الثامنة (الرابعة عشرة)^(٩) . وكانت القادسية مدينة على سيف البادية ، على خمسة فراسخ غرب الكوفة ، وهي أول مرحلة في طريق

في مبانى الكوفة الحديثة . راجع مسجد الكوفة ، وهو من منشورات دار الآثار العراقية . (م) .
(٨) للمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون . رسالة في « سخط الكوفة » نقلها الى العربية تقى الدين الحصبي . وما طبع عن الكوفة « تاريخ الكوفة » للعراقي ، و « مسجد الكوفة » لدار الآثار العراقية . (م) .

(٩) ترى اطلال الحيرة على نحو سبعة كيلومترات من جنوب الكوفة . وقد تلب فيها سنة ١٩٣١ لـ Talbot Rice وريتشلر Reitlinger وعفرا لهما على مبان ربيع وذخارف جدارية من الجص وغير ذلك من الآثار . ويرسلف فنية كتاب « الحيرة » طبع سنة ١٩٣٦ .
اما الخورنق فقد بقيت مديرية الآثار العراقية في بعض اطلاله . راجع سوسر ٢ [١٩٤٦] ص ٢٩ - ٣٢ (م) .

الحج الى مكة . وكان حولها نخيل وبساتين . وبالرب منها احرز المسلمون سنة ١٤ (٦٣٥) نصرا عظيما في أول وقعة كبيرة جرت لهم مع الفرس ، أسفر عن استيلائهم على العراق . ووصف المقدسي القادسية - وتسمى قادمة الكوفة تميزا لها عن قادية سامراء على دجلة (أنظر ص ٧٣) - بأنها « مدينة تسمى أيام الحج » ولها بابان وحصن طين . وقد شق لهم نهر من الفرات الى حوض على باب بغداد . وعند باب النادية ، الجامع . وإمامه كانت تقام السوق في أيام الحج^(١) . ولما اجتاز ابن بطوطة بالقادسية في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت قد أضحت قرية كبيرة . وذكر المستوفي ان معظمها في أيامه خراب^(٢) .

والنجف ، وفيها مشهد علي الذي بكرمه الشيعة ويقدمونه ، على نحو أربعة أميال من غرب خرائب الكوفة . وهي مدينة عامرة الى يومنا هذا . والمناظر لدى الشيعة ، على ما ذكر المستوفي ، ان الامام عليا لما ضرب في جامع الكوفة وحضرته الوفاة أوصى بان يوضع جثمانه على جمل ثم يطلق على رسله وحشما يترك تدفن جثته هناك ، ففعل بهذه الوصية . ولكن في أيام بنى أمة لم يشيد له قبر ، اذ كان الموضع قد أخفى . على انه في سنة ١٧٥ (٧٩١) اهتدى الى موضعه الشريف ، الخليفة هرون الرشيد المباسي . فانه خرج راكبا ذات يوم الى ظاهر الكوفة يصيد ، ولطارد صيده الى كتيب فلما لحق به توقف فرسه عنده . فطلب من له علم بذلك فأخبره بعض شيوخ أهل الكوفة انه قبر علي ابن ابي طالب تلجأ اليه حتى وحوش البر فلا ينالها اذى . ثم ان الرشيد أمر بحفر الموضع واظهر قبر علي ، وعلى ما ذكر المستوفي بنى عليه قبة . وأخذ الناس في زيارته . وبدء تاريخ هذا المقام مبهم ، وما أوردناه انما هو ما اتفق عليه الشيعة . على ان هرون

(١٠) ما كاله المقدسي بسند الجامع (ص ١١٧) - في القادسية و ماء آخر يجريه عند بابها

البادية أيام الحج . وهي سوق واسع الجامع فيه « (م) »

(١١) ابن سراييون ١٠ و ١٦ : لقائمة ٢٢٣ : المسعودي : التنبيه ٥٢ : الاستطرى ٨٢ : ابن حوقل

١٦٢ و ١٦٣ : المقدسي ١١٦ و ١١٧ : ياقوت ٢ : ٤٦٢ : ٣ : ٥٩ : ٤ : ٣٢٢ : ابن جبير ٢١٣ :

ابن بطوطة ١ : ٤١٤ : ٢ : ١ : ٦٤ : المستوفي ١٣٣ و ١٣٨ و ١٤٠ .

لم تكن البصرة الواسعة المتسلسلة - المرولة ببس النجف - المتعدة الآن غرب بقايا الكوفة القديمة ومشهد النجف ، في المصور الوسطى . وكان طريق الحج من الكوفة الى مكة يجتاز ما عد سائر قرا لها الآن .

الرشيد وان قربت اليه العلويين حبة من عهده ، فان توازيه العرب لم تذكر انه هو الذي وقع على قبر علي .

وأقدم من أطال القول في مشهد علي ، ابن حوقل ، في منتصف المئة الرابعة (العاشرة) + فقد أخبرنا ان الأمير الحمداني ابا الهيجاء - وكان أمير الموصل في سنة ٢٩٢ (٩٠٤) وتوفي في سنة ٣١٧ (٩٢٩) - ابني على القبر قبة عظيمة مرتفعة الاركان من كل جانب لها أبواب وسترها بفاخر الستور وفرشها بشمين الحصر الساماني . وجعل عليها حصارا متينا . على ان الاصطخرى وابن حوقل ذكرا ان قبر علي في ايامهما كان في زاوية جامع الكوفة الكبير . وقد أيد ذلك كثير من الثقات وعززه غيرهم من المصنفين (١٢) . وزاد المستوفى على ذلك قوله : ان في سنة ٣٩٦ (٩٧٧) شيد عضد الدولة البويهى الضريح الذى ظل قائما حتى أيامه (أى في أيام المستوفى) . واصبح الموضع حينذاك مدينة صغيرة محيطها ٢٥٠٠ خطوة . وجاء في تاريخ ابن الاثير ، ان عضد الدولة دفن فيها عملا بوسيته . ودفن فيها أيضا ابنه شرف الدولة وبهاء الدولة . واقتفى أثره بعده كثير من أعيان القوم . وفي سنة ٤٤٣ (١٠٥١) أحرق أهل بغداد الضريح وأزالوا أثره (١٣) . وكانوا يشتدون في اضطهاد الشيعة . على انه سرعان ما أعيد بناؤه فقد زاره ملكشاه ووزيره نظام الملك في سنة ٤٧٩ (١٠٨٦) .

وحينما كتب المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قال ان غازان اليلخاني ، كان استحدث في مشهد علي دارا للسادة سميت بدار السيادة وأنشأ خانقاه (تكية للصوفية) . وذكر ياقوت قبل المستوفى بقرن ان « النجف بظهر

(١٢) جاء في الاصطخرى (ص ٨٢) :

« وروى من الكوفة قبر علي (ع) وقد استعمل في مكانه القليل انه في رواية على باب جامع الكوفة ، انتهى من اصل بني أمية . ورويت في هذا الموضع مكان خلاف . وعنه من زعم انه من الكوفة على لرسنتين وعليه قنطرة (وهي نسخة ثانية . منقولة) وأثار القابر . - وقال ابن حوقل (ص ١٦٣) في غريبه = ٢٤٠ كريسز) :

« وبالكوفة قبر أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه ، ويقال انه بموضع على زارية جامعها وانتهى من أجل بني أمية شرقا عليه . وفي هذا الموضع مكان خلاف . ويؤمن أكثر ولده ان قبره بالمكان الذى ظهر فيه قبره على لرسنتين من الكوفة » (م) -

(١٣) حادثة الاسرائي جرت على قبر الامام موسى بن جعفر ، كما في كامل ابن الاثير والمنعظم لابن الجوزي وكما ذكره المؤلف نفسه في كتابه عن بغداد (الدكتور مصطفى جواد) .

الكوفة كالمناسة تمنع مسيل الماء أن يملو الكوفة ، • ولكنه لم يشر إلى المشهد •
وقدم الرحالة ابن بطوطة إلى التحف في سنة ٧٢٦ (١٣٢٦) فقال في مشهد
علي أنه • مدينة حسنة • ودخله من باب الحضرة الفضة المؤدى رأسا إلى
الضريح • وأطلب في وصف أسواقها ومدارسها الجليلة كما أشاد بجامعها وفيه
ضريح الامام علي وكانت حيطانه بالقاشاني • وذكر ان المقعدين كانوا يبرأون من
عاهاتهم في الروضة • وسرد كشفا بكثير من فتايل الذهب والفضة التي نذرت
لها ، وذكر أيضا انها مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه^(١٤) • ووصف
الضريح نفسه فقال : • في وسط القبة مصطبة مربعة مكسوة بالخشب عليها صمائع
الذهب المتقوشة والمحكمة العمل مسطرة بمسامير الفضة • • ويغضى إلى الضريح
أربعة أبواب • على كل باب ستار وعنبره من الفضة وعليه ستور من الحرير
الملون • وختم ابن بطوطة حديثه بذكر الكرامات التي يصفها الامام علي على
المؤمنين الصادقين^(١٥) •

اما كربلاء ، أي مشهد الحسين ، فعل ثمانية فراسخ من شمال غربي
الكوفة • وهي تعين موضع الوقعة التي استشهد فيها الحسين بن علي حفيد الرسول
مع جميع آله وذويه تقريبا في سنة ٦١ (٦٨٠) • ويزور الشيعة اليوم مشهد
الحسين أكثر مما يزورون مشهد علي • ولا علم لنا بأول من بنى هذا المشهد •
الا ان هناك ما يدل على وجود بنائية فيه • منذ المئة الثالثة (التاسعة) • فان
الخليفة المتوكل ، وهو الذي يمقتة الشيعة مقتا لم يصف على مرور الزمن ، أمر
في سنة ٢٣٦ (٨٥٠) بهدم قبر الحسين ويسقى موضع قبره • ومنع الناس من

(١٤) في الروسة الجديدة في النجف ، خزانة حافلة بكنوز ثنية وذخائر ندية ، احتضمت
من النذور المهداة اليها تبركا وتقربا • وهي محفوظة في موصع حرير • وقد نظم لهذه الدشائر
كبت في صفيها ، ولقدنا على نسخة منه (مكتوبة بالآلة الكاتبة) في دار الآثار العراقية • كما
ان الأستاذ محمد اعا اوعلو ، دار النجف والطلع على ما في الحضرة من سجايد ومنسوجات •
ورصفها في كتابه الموسوم :

Safawid Rugs and Textiles, The Collection of the Shrine of Imam
Ali at al-Najaf, (New York, 1941). (م)

(١٥) الاسطرخى ٨٢ : ابن حوئل ١٦٣ : القدس ١٣٠ : ابن الاثير ٩ : ١٢ و ٢٢ و ١٦٩
و ١٩٤ : ١٠٣ : المسولى ١٢٤ : ياقوت ٤ : ٧٦٠ : ابن بطوطة ١ : ٤١٤ - ٤١٦ •
لقنا : ومن التأليف الحديثة في النجف ، كتاب • مامى الحلف وحاضرها • للشيخ جعفر
محبوبه (ميديا ١٩٢٤) • (م ٤)

ايتانه ، وتهددهم بالمقاب الشديد ان زادوه . وذكر المستوفى فى وصفه قصور سامراء ، ان هذه الاساءة التى أوقعها المنوكل قد جوزى عليها فلم ينجز بناء قصر واحد من قصوره التى ابتناها فى سامراء ، بل اصابها ما أصاب قبر الحسين على يده . ولا يعلم كم بقى هذا الموضع خرابا ، الا ان عضد الدولة البويهى ، بنى فيه سنة ٣٩٨ (٩٧٩) حضرة جليلة ، ولا ريب ان اتساع هذا البناء قد تنبه اليه الاصطخرى وابن حوقل ، البلدانبان اللذان كتبوا قبل هذا التاريخ بمدة قصيرة .

وفى سنة ٤٠٧ (١٠١٦) احترقت قبة مشهد الحسين ، ولكنها جددت بعد فترة وجيزة على ما يظهر . فان ملكشاه ، زار مشهد الحسين فى سنة ٤٧٩ (١٠٨٦) حين خرج متعبدا فى تلك الاتجاه . ومما يؤسف عليه ، أن ياقوتا الحموى لم يصف الضريحين فى كربلاء ، بل انه ذكر عرشا « الحائر » ، وهو السور الذى يحف بضريح الحسين ، وتكلم المستوفى فى المثة الثالثة (الرابعة عشرة) على مدينة صغيرة كانت قد نشأت حول الروضة . وقال ان محيطها نحو ٢٤٠٠ خطوة . ووصف معاصره ابن بطوطة المدرسة « التفليحة » التى زارها هنا وقال : « على باب الروضة الحجاب والقومة » لا يدخل احد الا عن اذنهم فيقبل العتبة الشريفة ، وهى من الفضة . وعلى الضريح المقدس ، قناديل الذهب والفضة ، وعلى الابواب أستار الحرير . « وزاد ابن بطوطة على ذلك ان أهل هذه المدينة فى قتال ايدا ، ولأجل قتلهم تخربت هذه المدينة . على انها كانت تحف بها بساتين النخيل وتسقيها أنهار تأخذ من الفرات » (١٦) .

ولما وصف ابن خرداذبه وقدامة اقليم العراق فى المثة الثالثة (التاسعة) ، قال ان هذا الاقليم كان اثنتى عشرة كورة كل كورة اسنان ، وطلساسجة ستون طسوجا . وهذا التقسيم ، ولعل الاصل فيه كان لغايات مالية ، قد أعاد القديس

(١٦) الاصطخرى ٨٥ ؛ ابن حوقل ١٦٦ ؛ المقدس ١٣٠ ؛ ياقوت ٢ ؛ ١٨٦ ؛ المسولى ١٣٤ ؛ ١٣٦ ؛ ابن بطوطة ٢ ؛ ٩٩ ؛ ابن الاثير ٧ ؛ ٣٦ ؛ ٨ ؛ ٥١٨ ؛ ٦ ؛ ٢٠٩ ؛ ١٠ ؛ ١٠٣ . قلنا : وقد عني بعض المؤلفين العراقيين الحديثين بوضع تأليف عن كربلاء ، منها :
١ - كربلاء فى التاريخ - للسيد هيد الرزاق آل وهاب .
٢ - مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلاء - للسيد محمد حسن مصطلح آل كليدار (جزأه) .
٣ - تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام : للدكتور عبد الجواد الكليدار (م) .

سرد شيء منه في القرن الذي يليه . وعليه يحسن بنا ان نذكر الاستانات الاتية عشر واشهر طساسيجها . بتألف ثبت الاستانات ، من ثلاث مجموعات ، بما يوافق الانهار التي تسقيها وماخذ تلك المياه .

فالمجموعة الاولى ، تألف من أربعة استانات ، وهى التى فى جانب دجلة الشرقى . وسقيها من هذا النهر ومن تامرا وهى : (١) كورة استان شاد فيروز : وهى حلوان (ويقال لها أيضا شاذ فيروز) وفيه طسوج تامرا وطسوج خاتقين وثلاثة طساسيج أخرى^(١٧) . فمجموعها خمسة طساسيج . و (٢) كورة استان شاذ هرمز حول بغداد ، وطساسيج : طسوج نهر بوق وطسوج كلواذى ونهر بين وطسوج المدينة المتينة (أى المدائن) وطسوج راذان الاعلى وطسوج راذان الاسفل وطسوجان آخران^(١٨) وكلها سبعة طساسيج . و (٣) كورة استان شاذ قباز وطساسيج طسوج جلولا وطسوج البنديجين وطسوج براز الروز وطسوج الدسكرة وأربعة طساسيج أخرى^(١٩) وكلها ثمانية طساسيج . وتسميات الاستاتين الاخيرين أوردناها على ما جاءت فى ابن خرداذبه وقد خالفه قدامة بإيداله الاسمين ، فجعل استان شاذ قباز : استان بغداد . واطلق اسم خسرو شاذ هرمز على طسوج جلولا مع الطساسيج السعة المجاورة له . وآخر الاستانات فى شرقى دجلة كان (٤) كورة استان بازيجان خسرو ويقال له النهروان ، وقد سماه قدامة اردنين كرد ، وفيه خمسة طساسيج وهى : طسوج النهروان الاعلى وطسوج النهروان الاوسط وطسوج النهروان الاسفل (وبمع اسكاف بنى جنيد وجرجرايا ونحوها) وطسوج يادرايا وأخيرا طسوج باكسايا .

والمجموعة الثانية ، استانان وكان سقيهما من دجلة ومن الفرات وهما (٥) كورة استان كسكر وهى شاذ سابور أربعة طساسيج حول واسط^(٢٠) و (٦)

(١٧) هذه الطساسيج الثلاثة التى افعل المزلت ذكرها ، هى طسوج فيروز قباز ، وطسوج الجبل ، وطسوج اربل (المسالك والممالك لابن خرداذبه ص ٦) . (م) .
(١٨) وهما طسوج بزرچساپور وطسوج جازد (ابن خرداذبه ص ٦) (م) .
(١٩) وهى طسوج رستقباد وطسوج مهرود وطسوج سلسل وطسوج الدينج (ابن خرداذبه ص ٦) . (م) .
(٢٠) وهى طسوج الزندرد وطسوج الترتود وطسوج الاستان وطسوج الجواز (ابن خرداذبه ص ٧) . (م) .

كورة استان شاذ بهمن وهى كورة دجلة على دجلة الاسفل وفيها أربعة طساسبج
هى طسوج ميسان وطسوج دستميسان وطسوجان آخران^(٢١) ويقع دستميسان
حول الابله .

اما الاستانات الستة الباقية فكلها الى غربى دجلة وكان سقيها من نهر دجيل
القديم ، وقد مر ذكره . ومن الانهار الكبيرة الآخذة من الفرات والمادة شرقا الى
دجلة . وأول هذه الاستانات كان (٧) كورة استان العالى وطساسبجه الاربعة
يامتداد نهر عيسى وهى : طسوج فيروز سابور وهو الانبار وطسوج مسكن
وطسوج قطريل وطسوج بادوريا . يليه اسفله (٨) كورة استان اردشير بابكان
وهى على امتداد نهر كوئى والتبل وفيها طسوج بهرسبر وطسوج الرومقان
بازاء المدائن وطسوج كوئى وطسوج نهر درقيط وطسوج نهر جوبر . والى
شرق هذا الاستان كان (٩) كورة استان الزوابى وهى به ذيوملسان وطساسبجه :
طسوج الزاب الاعلى وطسوج الزاب الاوسط وطسوج الزاب الاسفل .

اما الاستانات الثلاثة الاخيرة فكانت بالتتابع : استان بهقباد الاعلى والاوسط
والاسفل . وأول هذه الثلاثة (١٠) كورة استان بهقباد الاعلى وهى ستة
طساسبج : طسوج بابل (حول خراب بابل) وطسوج الفلوجة العليا وطسوج
الفلوجة السفلى وطسوجان آخران^(٢٢) . وطسوج عين النمر على بعد يسير من
غرب الفرات . و (١١) كورة استان بهقباد الاوسط وفيه اربعة طساسبج هى
طسوج نهر البداة وطسوج سورا وبريسما وطسوج باروسما وطسوج نهر الملك .
وأخيرا (١٢) كورة استان بهقباد الاسفل وفيها خمسة طساسبج^(٢٣) كانت على
الفرات الاسفل حيث يدخل الطالع . ويتبين لنا من هذه الاسماء تقسيمات
الاقليم التى أخذها العرب عن الساسانيين . فقد كان اردشير بابكان مؤسس الدولة
الساسانية وشاذ فيروز أو شاذ فيروز مضاهيا بالفارسية الطالع السعيد . وبهقباد

(٢١) ربما طسوج بهمن اردشير وطسوج ابرقباد (ابن خردادبه ٧) . (م) .

(٢٢) هما طسوج خطرنية وطسوج النهرين (ابن خردادبه ص ٨) . (م) .

(٢٣) هى طسوج لرات يادلى وطسوج السيلين وطسوج نسر وطسوج رودستان وطسوج
هرمز جرد . ويقال ان رودستان وهرمز جرد شياع متفرقة من طساسبج عدة . (ابن خردادبه
ص ٨) . (م) .

ومعناها أرض قبّاذ الطيبة ، وشاذ معناها مجد . فشاذ هرمز وشاذ قبّاذ وشاذ سابور وشاذ بهمن بنوّه كلها بأسماء أربعة من أشهر ملوك الفرس (٢٤) .
وكانت تجارات العراق أكثرها مما يُحمل إليها من سائر البلدان وكانت عاصمة الأقليم تستهلك محصول غيره من الأقطار . ومع ذلك فقد سرد المقدسي ثبّتا بالسلم والصناعات التي اشتهرت بها جملة من المدن ، وهذا الثبّت ، وإن لم يكن قد أوفى على الغاية ، إلا أنه حريّ بالنظر .

كانت أسواق بغداد حافلة مشهورة بغرائب السلع التي تحمل إليها من سائر البلدان وكان يسج فيها ألوان ثياب الحر - النسيج الصّافي المشهور وجلبه من الحرير . وإنما سمي بذلك نسبة إلى إحدى محلات بغداد (٢٥) - وبغداد أزر وستور وعصائم رفيعة وألوان المناديل السامانية الرفيعة . واشتهرت البصرة بالخز ، وأسواقها بناعة اللاكء والطرائف . والبصرة إلى ذلك معدن الجواهر . وبها يصنع الراسخت والزنجفر والزنجار والمرداسنج (٢٦) . ومنها تحصل

(٢٤) ابن خردادذه ٥ - ٨ : فندامة ٢٣٥ و ٢٣٦ ، المقدسي ١٣٣ .
(٢٥) للفظ الصّافي عبر طويل ذكره المؤلف في كتابه (بغداد في عهد الخلافة العبّاسية ١٢٢ - ١٢٣ من الترجمة العربية) قال صدد كلامه على مجلة الصّافية ، ومن من محلات الجانب الغربي من بغداد . « فاعت شهر - الحرير الصّافي في جميع أطراف العالم الإسلامي ، ولقبت صنعة مدن أخرى . فقد روى الأديبي في سنة ٥٤٨ (١١٥٣) أن الحريرة في حوضي الأندلس كان فيها في أيامه ثمانية منزل للنج الحرير ، منها الثياب الصّافية - واستعمل هذا الاسم في اللغة الإسبانية بلفظه Attabi ومنها التعلت إلى الإيطالية والعربية بصورة Tabis .
واستعمل الإنكليز لفظ Tabby للدلالة على نوع جيد من المنسوجات الحرير ، ثم أصبحت اسماً عاماً في القرنين السابع عشر والثامن عشر . ولا استعملت اليزات ملكة الكثرة السمر البغدادي في شباط سنة ١٦٠٣ كانت عليها حلة من الفضّة وال Tabby (الحرير) الأبيض . وجاء في تومبات صموئيل بيبس ، أنه لس في ١٣ تشرين الأول ١٦٦١ منقوبة حرير Tabby وشرطاً ذهباً . كما أن المس برني ، ظهرت في حلة جميلة من ال Tabby النفسي متناسبة حلة ولادة أميرة في قصر ونسور . ورد لفظ Tabbi في مجمع جونسون وإمامه هذا التصغير : وشرطاً ذهباً . كما أن المس برني ، ظهرت في حلة جميلة من ال Tabby إذا كانت ذات مور مام منقط . ومن الغريب أن سم لفظ Tabby بهذا الوجه وهو في الأصل اسم صحابي كان عاملاً على مكة في المئة السابعة للميلاد .
ونظر ما كتبه الأب السناس الكرمل من الثاني إلى مجلة غرفة تجارة بغداد ٤ : ٢٢ - ٢٤) - (م) .
(٢٦) الراسخت - الكحل -

الزنجفر - معدن عقلت بصباس يعمل منه الجبر الأحمر . تعريب شنعرف وقال عنه لي البرهان الفلح ، أنه معدني ومنصافي ، للمعدني يصل إلى صناديق النحاس والذهب والزيق ، وهو نادر الوجود . والصناعات يستعمل من الزايق والكبريت وهو سم قتال « (الألفاظ الفارسية العربية لأدي شير - ص ٨٠) ، والنظر تاج العروس ٣ : ٣٤٤ ، وصحيف المحيط لبطرس البستاني

التمود والحناء والخز والماورد والنفسيج * * وبالأبلة تعمل ثياب الكتان الرفيعة على عمل القصب * * واشتهرت الكوفة بالمواد والبنفسج وعمائم الخز * واشتهرت واسط بالسلك البني وبسلك مقدد يقال له « شيم » وأخيرا كان يصنع في النمامية اكسية وألوان ثياب الصوف (٢٧) .

وقد بينا في الفصل المنهجي ، ان بغداد كانت في أيام الخلافة العباسية ، المركز الذي تخرج منه جميع الطرق * فمنها كان يخرج خمسة طرق كبيرة - الى البصرة والكوفة والانباء وتكريت وحلوان - تصلها بأقاصى الدولة * ولا مراد في ان يسر الطرق من بغداد الى البصرة ، كان بالسفن المتحدثة في دجلة * وقد ذكر ابن رسته والبقوي ما في هذا الطريق من مدن على يمين النهر ويساره * فكانت السفن تتحد في عمود دجلة حتى القسطن ثم تدخل البطائح فتجتازها من أرتة تتخلل الهول (أنظر ص ٦٢) ثم يقضى نهر ابي الاسد الى رأس فيض دجلة ومنه الى البصرة في نهر مقفل * فاذا ارادت السفن عبادان فخليج فارس ، عادت الى الفيض بنهر الأبلة * اما الطريق البرى من بغداد الى واسط في شرقي دجلة المار بالمداين ، فقد وصفه ابن رسته وصفا ساعدنا على تعيين المدن التي على النهر في الخارطة لانه ذكر ما بينها من مسافات بالفراسخ * ووصف قدامة هذا الطريق أيضا وصفا مطولا ، واستكملنا وصفه الطريق في موضع أو موضعين من ابي الفداء * وانتهى بنا من قدامة ، وصف الطريق البري من واسط الى البصرة بامتداد الحافة الشمالية للبطائح * وهذا الطريق هو الذي سلكه ابن بطوطة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) * ولابن رسته وقدامة وصف للطريق من واسط باتجاه الشرق الى الاهواز عاصمة خوزستان * وعند محطة بأذين ، وهي على مرحلة شرق واسط في هذا الطريق ، يشتغل منه فرع كان يذهب نحو الشمال الشرقي الى الطيب ومنها الى السوس (سوسا) في

١ : ٨٨٨ . الزيجار - هو المتولد في ممان النحاس (التاج ٣ . ٢٤٤)
المدارس - يسئل من الرسائل - ومنه ما يسل من الفضة ومنه ما لونه احمر وهو صمبل *
ويقال له الذهبي وهو أجود اصنائه * وهو دواء يصف كما تجفف جميع الادوية المعدنية والمجربة والارضية الا ان جميعه قليل جدا (للمغرب للجزائري من ٢١٧ ح ٢ طبعة اسد محمد شاكور)
وانظر محيط المحيط (٢ : ١٩٦٤) - (م) *
(٢٧) لقدمي ١٢٨ .

خوزستان (٢٨) .

وطريق الحج من بغداد الى الكوفة ، يخرج من باب الكوفة في المدينة المدورة متجها نحو الجنوب ومجتازا محلة الكرخ الى صرصر ومنها الى قصر ابن هيرة . فاذا جاوز هذه المدينة ، عبر نهر الفرات الشرقي (وهو عمود الفرات الآن) وكان يقال له في المئة الرابعة (العاشرة) نهر سورا ، على جسر السفن في سورا ، ومنها يتجه الى الكوفة . وبازائها يمر نهر الفرات الغربي على جسر سفن يفضي الى الارياض الشرقية في الكوفة . ومن الكوفة يتجه طريق الحج نحو الجنوب الغربي الى القادسية . فاذا خرج من القادسية وقع في البادية . وقد أورد جميع البلدانين القدماء وصف هذا الطريق . وكان أكثرهم تفصيلا له : ابن رسته . فقد ذكر لبعض اقسام الطريق من بغداد الى الكوفة مسالك أخرى مع ذكر المسافات بالامبال والفراخ . وبعد مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) خرجت مدينة قصر ابن هيرة ، وهي مرحلة في نصف الطريق بين بغداد والكوفة ، وقامت مقامها الحلة (أنظر ص ٩٧) . فكان الطريق ينحدر اليها من صرصر مارا بفراسا . وكان الطريق يعبر نهر الفرات الشرقي في الحلة على جسر سفن عظيم على غرار الجسر الذي كان قبله في سورا . وهذا هو الطريق الذي سلكه ابن جبير ومن جاء بعده من الرحالين . وكان المعروف ان طول الطريق من الكوفة الى البصرة ، بمحاذاة حافة البطائح الجنوبية ، بين ثمانين وخمسة وثمانين فرسخا . وهذا الطريق الذي يتفرع الى اليسار عند المرحلة الثانية من مراحل البادية في جنوب القادسية ، قد وصفه ابن رسته وابن خردادبه (٢٩) .

وقد مر بنا انه كان يقطع البادية العربية من العراق الى الحجاز طريقان

(٢٨) ابن رسته ١٨٤ و ١٨٦ - ١٨٨ : الطبري ٣٢٠ ، قدامة ١٦٢ و ٢٢٥ و ٢٢٦ ؛ المستوفي ١٩٥ ؛ أبو الفداء ٣٠٥ ؛ ابن بطرقة ٤ : ٨ .
(٢٩) ابن رسته ١٧٤ و ١٧٥ و ١٨٠ و ١٨٢ ؛ البقوي ٣٠٨ ؛ ابن خردادبه ١٢٥ و ١٢٥ .
قدمة ١٨٥ ؛ أبو الفداء ٣٠٣ ؛ ابن جبير ٢١٤ - ٢١٩ ؛ المستوفي ١٩٣ .
قدر المستوفي (ص ٢٥٢) المسافة بين البصرة والكوفة بمسافة حافة البادية بشر مراحل وهي أكثر من مئتين وخمسين ميلا على أقل تقدير . والمشهور في التاريخ ان بلاد ابن أبي بردة تطل هذا الطريق من البصرة الى الكوفة في ليلة ويومها على حذائه - وهي القالة السريعة - في أمر خضير صنتعيل له مع خالد القسري عامل الكوفة في سنة ١٢٠ (٧٣٨) أيام الحليفة عقلم الاموي (الطبري ٣ : ١٦٥٧) . وهذا يذكرنا بركوب دك ترين Dick Turpin من لندن الى يورك ، وبيعهما نحو مئتي ميل بـ ١٨ ساعة وهي نحو سرعة نلال .

للحج : اولهما يبدأ من الكوفة والاخر من البصرة ويلتقيان عند مرحلة يقال لها « ذات عرق » • وكانت على مسيرة يومين من شمال شرقي مكة • وقد وصفت كتب المسالك في الملة الثالثة (التاسعة) وكذلك المقدسي ، هذين الطريقين المشهورين مرحلة مرحلة مع ذكر المنازل التي فيها المتنقى ، بين مرحلة وأخرى ، وما بينها من المسافات بالاميال • كان الطريق من الكوفة يمر بـقيد على بعد قليل جنوب الحائل ، اجل مدينة في جبل شمر اليوم • اما طريق البصرة فيمر الى ضربة ، العاصمة القديمة للبلاد التي اصبحت فيما بعد دولة للوهانيين ، وما زالت خرائطها ظاهرة على بضعة اميال غرب الرياض أكبر مدن نجد الآن • وكان يتفرع من طريقى الحج الآخزين من الكوفة والبصرة طرق فرعية تخرج من بينهما وتفضي رأسا الى المدينة (٣٠) •

(٣٠) ساء وصف طريق الكوفة الى مكة والمدينة في ابن خردادبه ١٢٥ : قدامة ١٨٥ : ابن رسته ١٧٥ : اليعقوبي ٣١١ : المقدسي ١٠٧ و ٢٥١ • وجاء وصف طريق البصرة في ابن خردادبه ١٤٦ : قدامة ١٩٠ : ابن رسته ١٨٠ و ١٨٢ : المقدسي ١٠٦ و ٢٥١ •

ويحسن بنا ان نشير هنا الى ان اكبر مدينة قديمة في نجد مد كبها البلديون العرب بصورة ضربة • ولكي الحاج خليفة (جهان لنا ٢٧٧) كان اول من اورد اسمها بالتهجئة الحديثة فقال - درعية • وان كتب اسمها مرة او مرتين في رسلته (جهان لنا ٢٧٧ و ٥٤٢) بصورة ضربة او حصن ضربة • وعد عس البروفسور وستفيلد بوصف جمرانية الحجاز وبلاد العرب عامة ما هو في شمال الدهناء • بالاستناد الى المراجع العربية في سلسلة من المقالات نشرها في

Abhandlungen der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaft zu Göttingen.

وعده النحوت الى رودها كيبرت Kiepert بخوارط ذات فهارس حسنة قد اخذت على ما ياتي بهانه من البحوث ومنازلها الكاملة - ونظهر ان الجغرافيين الانكليز ليسوا على ونوف تام عليها : Die von Medina aus laufenden Hauptstrassen (Vol. XI, 1882).

Die Wohnsitze und Wanderungen der Arabischen Stämme (Vol. XIV, 1889).

Die Strasse von Basra nach Mekka mit der Landschaft Dharija (Vol. XVI, 1871).

Das Gebiet von Medina (Vol. XVIII, 1873).

وهو يبين طريق الحج بين الكوفة ومكة •

Bahrain und Jamama (Vol. XIX, 1874).

ثم Geschichte der Stadt Medina (Vol. IX, 1880) وقد طبع هذا البحث على انفراد وكذلك المجلد الرابع من : Chroniken der Stadt Mekka (Leipzig, 1861)

وقد كتبه باللاتينية ويحتوي على حلالة لتاريخ مكة مع تعليل خطي • (انتمت سائبة المؤلف) • قلنا : ومن كتب في سعة هذه البلاد ، بعد ان الف لسفره كتابه ، جماعة من الباحثين والرحالة •

نخص بالذكر منهم برتن Burton ودوتي Doughty وهوكارت Hogarth وموسيل Musil وچيسمان Cheesman ولفبي Philby وأبي الرضائي ولؤاد حمزة (م) •

ويخرج من بغداد عند باب الكوفة في المدينة المدورة ، طريق ثان يتجه غربا ويذهب الى المحول أولا ثم يتابع ضفة نهر عيسى الى الانبار على الفرات ، ومنها يصعد مع النهر فيمر بالحديثة أعلى مدينة في إقليم العراق ، ومنها يبلغ عانة في إقليم الجزيرة . وهذا الطريق هو القسم الاول لاحد الطرق (المحاذية للفرات) الذاهبة من بغداد الى الشام ، وقد وصفها ابن خرداذبه وقدامة . اما الطريق الآخر الى الشام ، فينتجه شمالا بمحاذاة دجلة الى الموصل ، ويكون في إقليم العراق حتى مدينة تكريت . وهذا الطريق ، وكان طريق البريد ، يخرج من باب البردان في بغداد الشرقية ويسير يسار النهر مارا بعكبرا وسامراء حتى يبلغ تكريت . وعند هذه المدينة كان يلتقي هو وطريق القوافل البادية من محلة الحرية في بغداد الغربية والصاعد مع نهر دجيل الى حرابي . ثم يمر بالقصر الذي بازاء سامراء^(٣١) . ثم يسير نهر الاسحاقى الى تكريت . والطريق الاخير هذا ، هو الذى سلكه ابن جبير وابن بطوطة^(٣٢) .

وأخيرا كان يشرع من باب خراسان في بغداد الشرقية ، طريق خراسان . وكان يجتاز بلاد فارس ويتجه ، على ما قد بينا ، الى حدود الصين مخترقا بلاد ما وراء النهر . وقد اسهب ابن رسته في وصف هذا الطريق مرحلة مرحلة ، بل ان اغلب البلدانين الآخرين ، ان لم نقل كلهم ، قد ذكروا المسافات بين اقسام هذا الطريق المختلفة . فصار علمنا به يفوق ما سواء من الطرق^(٣٣) .

(٣١) لعله يريد به قصر العائيق ، وقد مر ذكره . (م) .
 (٣٢) ابن خرداذبه ٧٢ و ٩٣ ؛ قداسة ٢١٤ و ٢١٦ و ٢١٧ ؛ القسسى ١٢٤ ؛ ابن جبير .
 ٣٣٢ ، ابن بطوطة ٢ ، ١٣٢ ؛ المسعودى ١٩٥ .
 (٣٣) ابن رسته ١٦٢ ؛ اليعقوبى ٢٦٩ ؛ ابن خرداذبه ١٨ ؛ قداسة ١١٧ ؛ القسسى ١٣٥ ؛
 المسعودى ١٩٣ .

الفصل السادس

الجزيرة

الديار الثلاث - ديار ربيعة - الموصل وليثوى والمدن المجاورة - الزاب الكبير
والحدبة وادبل - الزاب الصغير والسن وداقوق - الخابور الصغير
والصنينة والمصادية - جزيرة ابن عمر وجبل الجودي -
تصبيين ورأس العين - ماردين وديسر - الهرامس
والخابور - قربان والشرار - مستجار
والطفر - بلد والدمه .

كان العرب يسمون بلاد ما بين النهرين العليا بالجزيرة ، على ما قد بينا ،
لان أعالي دجلة والفرات كانت تكتنف سهولها . وكان هذا الاقليم ينقسم الى
ديار ثلاث وهى : ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر ، نسبة الى القبائل العربية :
ربيعة ومضر وبكر التى نزلت هذا الاقليم قبل الاسلام ، وكان يحكمه الساسانيون ،
فعرف كل من هذه الديار بقبيلته . وكانت الموصل على دجلة اجل مدن ديار
ربيعة . والرقعة على الفرات قاعدة ديار مضر . وآمد فى أعالي دجلة أكبر مدن
ديار بكر . وديار بكر ، هى أقصى هذه الديار الثلاث شمالا . على ان المقدسى ،
وصف اقليم الجزيرة تحت اسم « اقليم اقور » . واصل اقور غير واضح ، ولكن
يخال لنا انه كان حينئذ من الزمن اسم السهل العظيم فى شمالى ما بين النهرين .
واذا رجعنا الى الخارطة ، تبين لنا ان دجلة والفرات فى بلاد ما بين النهرين
العليا ، يستقبلان روافدهما كلها من يسارهما . فقد كانت هذه الروافد ، تحدد
اليهما من شمالهما الشرقى أو من الشمال ، وقد شذت عن هذه القاعدة فى القرون
الوسطى ، انصرف ماء نهر الهرامس الاتى من نصيبين ، والهرامس رافد الخابور

(الكبير) • فمياه الهرماس قد سُكرت فوق موضع اجتماعه بالخابور بسُكير العباس • فبينما كان قسم من مائه يجرى فيلتقى هو والخابور الذى يصب فى الفرات عند قرقيسياء ، كانت مياه نهر الهرماس نفسه تنصب فى يمين دجلة عند تكريت بعد ان تجرى فى واد يقال له الرُثار^(١) • والى ذلك فحدود هذه الديار الثلاث قد عيّنتها الفواصل المائية ، على ما سيستبين لنا • فقد كانت ديار بكر ، وهى سقي دجلة من منبعه الى منطفة العظيم فى الجنوب أسفل من تل فافان مع ما فى شمالها من ارض ، تسقيها روافد دجلة الكثيرة التى تنصب فى يساره غرب تل فافان • وكانت ديار مصر ، الى الجنوب الغربى ، هى الاراضى المحاذية للفرات من سيساط حيث يفادر سلاسل الجبال منحدرًا الى عانة مع السهول التى يسقيها نهر البليخ رافد الفرات الاتى من حران • اما ديار ربيعة ، فقد كانت فى شرق ديار مصر ، وتتألف من الاراضى التى فى شرق الخابور (الكبير) المنحدر من رأس العين ومن الاراضى التى فى شرق الهرماس وهو النهر المنساب فى وادى الرُثار نحو الشرق الى دجلة ، على ما قد بنا • وكذلك مما على سفلى دجلة من اراض تمتد بانحدار النهر من تل فافان الى تكريت ، أى الاراضى التى فى غرب دجلة حتى نصيبين والتى فى شرقه المشتملة على السهول التى يسقيها الزابان الاسفل والاعلى ونهر الخابور الصغير •

وكانت الموصل ، قاعدة ديار ربيعة ، على ضفة دجلة الغربية ، حيث تصل عواقل النهر فتؤلف مجرى كبيرًا واحدًا • ويقال ان الموصل انما جاء اسمها من هذا الاتصال • وكان يقوم فى موضعها ايام الساسانيين مدينة يقال لها بوذ اردشير • وعلا شأن الموصل فى ايام بنى أمية • ونصب فيها على دجلة جسر سفن يربط المدينة التى فى الجانب الغربى بخرائب نينوى فى الجانب الشرقى • وصارت الموصل فى عهد مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية ، قاعدة اقليم الجزيرة وبنى فيها ايضا الجامع الذى عرف بعدئذ بالجامع المتين^(٢) • ووصف ابن حوقل ،

(١) دلى ابن سرايون (ص ١٢) : • ويخرج من الهرماس ايضا نهر يقال له الفرات ، ذلك من عند سُكير العباس ، يمر فى وسط البرية ويصب فى دجلة اسفل من تكريت بعد ان يمر بالحضر ويصلح جبل بارما • (م) •

(٢) القندى ١٣٦ - ١٣٨ : ابن خردادبه ١٧ : ياقوت ٤ : ٦٨٢ - ٦٨٤ : المرامدة ١ : ٨٤ • وجاء فى ياقوت الاسم الغامض للموصل بصورة بر اردشير أو نو اردشير • ولا شك ان الصيغة

وقد كان في الموصل سنة ٣٥٨ (٩٦٩) ، هذه المدينة بانها بلدة طيبة عامرة الأسواق ، نواحيها ورسايقها كثيرة الخيرات . أشهرها الرستاق المحيط بنيوى حيث دفن النبي يونس . وكان جل أهلها في المئة الرابعة (العاشرة) من الأكراد^(٣) . وقد عني ابن حوقل بسرد ما حول الموصل من كور ورسايق كثيرة تؤلف ديار ربيعة . واطرى المقدسى حسن فادق الموصل الكثيرة . وكانت المدينة حسنة البناء ودورها بهيمة . والبلد نصف مستدير نحو ثلث البصرة^(٤) كبرا وفيها حصن يسمى المربعة على نهر زبدية ، في داخله سوق تعرف بسوق الاربعاء ، وكان يعرف الحصن باسم السوق أيضا . والجامع (جامع مروان الثاني) على رمية سهم من الشط على تشرة يصعد اليه بدرج كله آراجات من الحجاره . ومداخله المؤدية من مصلى الجامع الى صحته لا أبواب لها . وأكثر الأسواق مغطاة . وذكر المقدسى اسما ثمانية من دروبها الكبيرة^(٥) . وكانت دور المدينة تمتد بامداد الشط مسافة كبيرة . وقال ان اسم الموصل كان خولان ، وان قصر الخليفة في الجانب الآخر على نصف فرسخ من المدينة يشرف على نينوى القديمة . ولهذا القصر قديما حصون قوية تحمي ، أمّله الريح ، ويشق خرابها الآن نهر يقال له نهر الخوسر . وحين كتب المقدسى ، كانت تلك الخرائب مزارع^(٦) .

الاجية تصحيف الساج .

(٣) ما في ابن حوقل (١ : ٢١٥) ، « وللموصل بواد واحياء كثيرة تصيف لى مصالها وتكتنر في مشايخها من اضاء العرب وبنائى ربيعة وسفر واليمن وضاء الأكراد كالهديانية والحديدية واللاية » . (م) .

(٤) جاء في المقدسى بهذا العدد ما يأتى « والبلد شبه طبلسان مثل البصرة لى بالكبير لى ثلاثة شبه حصن يسمى المربعة » . (م) .

(٥) اسما هذه الدروب ، على ما في المقدسى (ص ١٢٨) ، هي - درب الدار الاعلى ، ودرب ناصلوت ، درب الجصاصين ، درب ننى ميفة ، درب الجصاصمة ، درب رضى امير المؤمنين ، درب الدباغين ، درب جليل . (م) .

(٦) ترى الملال ينفوى بإزاء الموصل في الجانب الشرقى من دجلة على نحو كيلومترين من ضفته . وقد كان هذا النهر يحاذى سورها الغربى في أيام عمرائها . ريش نهر الحوسر بقاياها ، لما كان في يمينه يسمى « تل بويجى » . وما كان في يساره « تل النوى يولى » . وكانت لينوى من عواصم الآشوريين . وفيها كان معبد الاله عشار . وعظم شأنها في زمن الملك الآشورى منتحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق . م) اذ وسعها وشيد فيها قصورا ومعابد وتكنات وصروحها بسور وشندق . وظلت عاصمة للآشوريين الى (وال ملكهم بيد الكلدانيين والماديين عام ٦١٢ ق . م) .

وبد لقب في تل بويجى ، وهو من القسام هذه المدينة ، متقبرون الكليز منذ أواسط القرن التاسع عشر ، وعثر ليه على بقايا تصورها ومبانيها وكثير من آثارها ، منها مكتبة آشور بانيبال التي

وفى سنة ٥٨٠ (١١٨٤) زار ابن جبير مدينة الموصل ووصفها • وقبل هذا الزمن يسير ، كان نور الدين المشهور ، وهو الذى تحت لوائه عمل صلاح الدين (الايوبي) فى أول أمره ، قد بنى جامعا جديدا^(٧) فى وسط السوق ولكن الجامع القتيق الذى بابه مروان الثانى كان ما زال قائما على النهر^(٨) بسميره المزوق الجميل وشبابكه الجديدة • وفى أعلى البلد قلعة عظيمة ينتظمها سور مشيد البروج وقد فصل بينهما وبين البلد شارع متسع يمتد من أعلى البلد الى اسفله • ودجلة شرقى البلد وهى متصلة بالسور وإبراجه فى مائها^(٩) وللبدة ريش كبير فيه المساجد والحمامات والخانات والاسواق وهى مارستان حافل • ، وسوق يقال له القيسارية^(١٠) • وفى المدينة مدارس للمسلم كثيرة • وورد القزوينى اسماء الديارات المختلفة المجاورة للموصل ، وأشار بوجه خاص الى خندق الموصل

استخرج منها نحو ٣٠٠٠٠ رقيم طين نعلت الى القصب البريطانى • وآخر سحر جرى فى هذا القل كان سنة ١٩٣١ •

وعد عرلت نينوى بهذا الاسم لانها كانت موضع عبادة الالهة • نينا • منذ اقدم الازمنة • وكانت السكة تعد من الحيوانات المحربة لهذه الالهة • ويحتل ان اللفظة (نون) التى كانت تسمى فى الآشورية • مسكة • صلة بهذا الاسم على نحو ما فى العربية واللفظ السامية الاخرى • وقد اثنى من اللفظة نون الاسم العلم باشتكاه : يونان ويونس وعد النون • ولصحة يونان والصوت • على ما يبدو ، جلدو فى القليلة الخاصة بعبادة الالهة • نينا • التى صادرت أيضا لدى الآشوريين الالهة عشتار وعمدت فى غير نينوى من المدن الآشورية (م) •

(٧) وهو الجامع المعروف اليوم بالجامع الكبير أو الجامع النورى نسبة الى ياقبه نور الدين محمود ونكى الخوفا سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) • ومن الجامع النورى فى الموصل رابع سور (٥) [١٩٤٩] من ٢٧٦ - ٢٩٠ (م) •

(٨) سبق للؤلئ ان قال ان هذا الجامع كان على رمية سهم من دجلة وهو الصواب • فالجامع اليوم قد زال وناست فى ارضه دور مولوفة • وفى قسم صغير من ارضه شيد جامع صغير يعرف اليوم بجامع المصطفى نسبة الى الحاج محمد مصطفى الذهب • كان قد حصد بنام سنة ١٢٢٥ هـ وما زالت منارة الجامع الاموى اللدنية شاهقة فى صحن اسدى الدور وهى المنارة المرفوعة بالقطوعة لان اطلعا عد سلسط • وانتشر من الجامع الاموى فى الموصل : سور (٦) [١٩٥٠] من ٢١١ (م) •

(٩) ما زالت قلعة من هذا السور ترى على النهر اليوم بين • قره سراي • (بنيا مصر بدر الدين لؤلؤ) وبانطابية وهو البرج الكبير المظل على النهر جنوب عين كمرية • (م)

(١٠) سسمى العرب ، لانسبا من كان مهم من الانصاف الغربية (ويريد بلاد الشام وما فى شمالها) ، الايبية الكبيرة لسوق ما للفتحة فى الغالب خانات أو منازل : بالقيسارية أو القيسارية • ولا شك انهم القيسوا هذه التسمية من اليونان • وان كانت اللفظة اليونانية لم ترد على ما يظهر عند المؤرخين العربيين بمعنى السوق المملوكة فى المدينة Caesarian وعلى كل حال يبدو ان يكون المسلمون قد اخذوا هذه الكلمة من اسم سيزاريون Caesarian المحلة المشهورة فى الاسكندرية ، مع ان اكثرهم يؤولونه به •

العميق وقلعتها العالية • وكان حوالها بساين كثيرة تسقيها التواعير على ما قال^(١١) •
اما تلؤلؤ نينوى فقد كان يقال لها منذ ايام المقدسي تل توبة وهو الموضع الذي
خرج اليه النبي يونس لدعوة أهل نينوى الى التوبة^(١٢) وفي هذا الموضع جامع
حوله دور للزوار بناها ناصر الدولة الحمداني • وعلى نصف فرسخ منه ، عين
يستشفى بآثارها يقال لها عين يونس نسبة الى النبي يونس ، بجوارها جامع ويرى
هناك شجرة البطلين التي غرسها هذا النبي^(١٣) • وذكر ياقوت ان معظم دور
الموصل كان مبني بالرخام وكلها آراج • وفي المدينة قبر النبي جرجيس • وممر
ابن بطوطة بالموصل في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقال : على البلد سوران
اثان وثيقان ابراجهما كثيرة عالية • مثل السور الذي على مدينة دهلي • وكانت
قلعتها تعرف بالحدباء • وكان في جامعها الحديث (جامع نور الدين) • خصه
رخام مشته يخرج منها الماء بقوة وانزعاج فيرتفع مقدار القامة • وبها مسجد جامع
ثالث على شط دجلة ، ولعل هذا الجامع هو الذي نوه به المستوفي وقال ان منبره
من حجارة محفورة حفرا جميلا متفن الصنع كأنه حفر في الخشب • وكان قو
للموصل في ايامه الف خطوة^(١٤) • وأشار الى « مشهد يونس » ، في الجانب
الآخر من دجلة ، المشيد فوق خراب نينوى^(١٥) •

وعلى بضعة أميال من شرقي الموصل ، بلدتان صغيرتان ، هما : برطلى
وكرمليس وقد ذكرهما ياقوت والمستوفي • وإلى شمالهما بقليل ياغشيقا • وهذه
البلدان الثلاثة من أعمال الموصل • وذكر المقدسي ياغشيقا بقوله « بها بُنيت من

(١١) الموصل اليوم من أجل بلد العراق وأشهرها - وفي بغداد مئة • كان لها نيسا نهي سور
مكثن مال مبني بالمحجر والجص ، محيطه تسعة آلاف متر ، تشغله عشرة أبواب • ولكن
فلسا كثيرا من ذلك السور وأبوابه وأبراجه قد هدم سنة ١٩١٥ • وفي سنة ١٩٢٤ هدم باقيه ، إلا
قطعة صغيرة منه في أهل المدينة ، مانها ما زالت شائخة تعرف بـ « باشاوية » • وكان يصدق
بجها السور خندق هريض • وبما ان زالت معالم السور دهم الخندق فحصلت الأرض التي كان فيها
السور والخندق شوارع وحدائق (م) •

(١٢) ما يسمى مثل توبة ، هو جزء من التل المعروف بالنبي يونس ، وهو قسم صغير من
مدينة نينوى الاثرية (م) •

(١٣) جاء في المقدسي (ص ١٤٦) : « تل توبة على رأسه مسجد ودور للجوارين ، وبنته
جديدة سنة ناصر الدولة (الحمداني) وأولقت عليه اركاناً جديدة » (م) •

(١٤) ما في نسخة القلوب (ص ١٠٢ طبعة لسترنج) ان دورها ٨٠٠٠ قدم (م) •
(١٥) ابن حنبل ١٤٣ هـ = ٧٤٥ : المقدسي ١٢٨ و ١٢٩ و ١٢٦ : ابن جبير ٢٣٤ = ٢٣٨ ؟
ياقوت ٤ : ٦٨٤ : ابن بطوطة ٢ : ١٣٥ : القزويني ٢ : ٢٤٧ و ٣٠٩ : المستوفي ١٦٥ و ١٦٧ •

قلعه وبه بواشير أو سنانير سقطت عنه ، • وزاد ياقوت على ذلك ان باعشيقا • من قرى الموصل ••• لها نهر جار يسقى بساتينها وتدار به عدة ارجاء ، والغالب على شجر بساتينها الزيتون والتخل والنانج ، ولها سوق كبير ، وفيه حمامات وقيسارية ••• وبها جامع كبير حسن له منارة ••• وأكثر أهلها نصارى ، فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) • وكانت برطلى على بضعة أميال جنوب باعشيقا • وهى مثلها من أعمال نينوى • وقال ياقوت انها • قرية كالدنية كثيرة الخيرات والاسواق والبيع والشراء والغالب على أهلها النصرانية • وبها جامع للمسلمين • ولهم بقول وخس جيد يضرب به المثل • • وأطرى المستوفى جودة قطنها • والى الجنوب بضعة أميال : كرمليس وكان بها سوق عامر على ما فى ياقوت • وهى قرية شبيهة بالمدينة وبها تجار • وكان بالقرب من هذه الامكنة ايضا : مرجعينة أو مرج جهينة • بيد انها على ضفة دجلة وهى أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل وذكر المقدسى • انها كثيرة ابراج الحمام • والحصن من جص وحجر ، والجامع وسط البلد • (١٦) •

وبين الموصل وتكريت ، يستقبل دجلة فى ضفته الشرقية مياه الزابين • ويصب احدهما على نحو مئة ميل فوق الآخر • وقد اطرى ابن حوقل المراضى والمزارع الخصبة الواسعة فى ما بين هذين النهرين • ومبدأ الزاب الاعلى ، أى الكبير ، فى الجبال بين ارمينية واذريجان ، ومعصبه فى دجلة عند الحديثة • اما الزاب الاسفل أى الصغير ، ويسمى المجنون ايضا لحدة جريه ، فانه ينحدر من بلاد شهرزور وينصب فى دجلة عند السن • وتعرف البلاد التى يمر بها الزاب الكبير على ما ذكر ياقوت ، باسم مشتكر وبابيش • ويكون ماؤه فى أوله شديد الحمرة ، وكلما جرى صفا قليلا • اما الحديثة ، وهى على فرسخ فوق ملتقاها بدجلة (وتسمى حديثة الموصل تمييزا لها عن حديثة الفرات وقد مر ذكرها فى الصفحة ٨٩) ، فقد اعادها الى العمارة مروان الثانى آخر خلفاء بني أمية على

(١٦) ما زالت برطلى وباعشيقا ذكرمليس ، من عصر مرى شرقى الموصل • اما مرجعينة ، وهى فى غربى دجلة ، جنوب الموصل قرب القيارة ، فقد حريت ، وتعرف غالبا اليوم بهذا الاسم ايضا • وهى على طريق السيارات القاصد بغداد ، وامامها « سار » (أى شاملى) واسع ينتهى بضعة دجلة وهو ما كان يقال له قديما مرج جهينة • (م) •

جرف يشرف على منافع ، وهى كثيرة الحصيد ذات يساتين واشجار ، وقد بنيت على شبه دائرة ويصمد اليها من دجلة بدرج . وجامعها مبنى بالحجر قرب الشط . وكانت تعرف فى أيام السامانيين باسم نوكرود ومعنى ذلك بالفارسية (البلدة الحديثة) ايضا (١٧) . وقد كانت قصبة الكورة قبل قيام الموصل (١٨) .

وبلدة السن على ميل تحت ملتقى الزاب الاسفل بدجلة ، على ما فى المسودى . ولكنها ، على ما فى المقدسى ، فوقه ، والزاب الاصفر فى شرقها . وكان منظم اهله فى الصور الوسطى نصارى . وفيها ، على ما ذكر ياقوت بيع لهم . وكان يقال لها سن بارشا تميزا لها عن غيرها من المدن المعروفة بالسن . وكان دجلة يقطع جبال بارما قرب السن . وجامع السن فى الاسواق بناؤه بالحجارة . وللمدينة سور ، والى شرقها ياربعة فراسخ ، على ضفة الزاب الاسفل : مدينة البوازيج (حسب تسمية ابن حوقل) والظاهر انها لا اثر لها اليوم فى الخارطة . وكذلك الحال فى السن والحديثة . وتعليل ذلك ان اسفل الزابين قد تبدلت كثيرا منذ المة الرابعة (العاشرة) . وأشار ياقوت الى هذه المدينة باسم بوازيج الملك ، وغلت قائمة حتى المة الثامنة (الرابعة عشرة) فقد ذكر المستوفى انها كانت تؤدى الى بيت مال الابلخانيين ١٤٠٠٠ دينار .

ومن جنوب السن ، كان طريق الريد الى سامراء وبغداد ، يساير ضفة دجلة اليسرى مارا أولا ببارما وهى بلدة فى لحف جبل بارما ، ويعرف أيضا بجبل حميرين . ومنها الى السوفاقية ، وينتهى أخيرا الى جيبلتا أو جيللتا ، وقد كانت على ما يظهر دارا للضرب فى سنة ٣٠٤ (٩١٦) ، وكانت على ضفة دجلة الشرقية شمالي تكريت بقليل ولا اثر لهذه البلدان الصغيرة الآن فى الخارطة الا ان كتب المسالك قد ذكرت مواضعها بوجه دقيق .

وعلى نيف ومئة ميل من شرق السن ، مدينة دقوقاء أو دقوق ... وأورد علي الزيدى هذا الاسم بصورة طاووق وطاووق وهى التسمية الشائعة الآن - وقد

(١٧) لا اثر للحديثة اليوم . وقد سماها العرب « الحديثة » لما نزلوها بعد الاسلام واستحدثوها .
وعلمها الاربينون « سدتا » وسماها الحديثة . وسماها اليونان « كينى (KAINAI) » وهى بالمعنى كانه . (م) .

(١٨) الاسطغر ٧٥ : ان حوقل ١٤٧ و ١٥٥ : المقدسى ١٣٩ و ١٤٦ : ياقوت ١ : ٤٤٦ و ٤٧٣ : ٥٦٧ : ٢ : ١٦٨ و ٢٤٢ و ٥٥٤ : ٩٠٢ : ٤ : ٢٦٧ : المستوفى ١٦٥ و ١٦٦ و ٢١٤ .

أكثر ياقوت ومن بعده من البلدانين من ذكرها . وتكلم المستوفى على نهر دقوق (على ما ضبطه) ومخرجه في جبال كردستان قرب دربند خليفة ، ويبنى ماءه أسفل مدينة دقوق في الأرض الرملية حيث ، على ما جاء في المستوفى ، مواضع شديدة الخطر يسوخ فيها من يحاول اجتيازها . ويصل نهر دقوق الى دجلة في موسم الفيضان على قوله ، ومجره الأسفل هو ما يصف اليوم بنهر العظيم^(١٩) ولكن في الأزمنة القديمة ، حين كان النهر وان حيا بأجمعه ، قد كانت مياه نهر دقوق في فيضان الربيع تنصب في النهر وان . ووصف المستوفى مدينة دقوق بأنها بلدة وسطية وهواؤها أصح من هواء بغداد وبالتقرب منها عيون تطف . وما تحسن الإشارة اليه ان البلدانين العرب الاولين لم يذكروا هذا الموضع^(٢٠) . اما اربل ، وهي اربلا القديمة ، ففي فضاء من الأرض واسع بسيط بين الزابين الكبير والصغير . وقد وصفها ياقوت بأنها مدينة يقصدها التجار ، وقلعتها على تل عال من التراب عظيم ولها خندق عميق ، وسور المدينة يقطع في نصفها وفيها سوق عظيمة . وبها مسجد يسمى مسجد الكف فيه حجر عليه كف إنسان . وفي المئة السابعة (الثالثة عشرة) قامت في ريفها خارج السور مدينة

(١٩) ينصب في العظيم ، الفاضل من مياه نهر دقوق وغيره . وما زالت شأيا يبنى انهار كانت تحبل هذه المياه الى العظيم وتقع فيه موق البند (أي سد العظيم) نسحو كيلوسرين عند جبل حمرين . وكان يخرج من العظيم انهار تنساب الى الجنوب ، تسقي الاراضي المروثة بالقرية في قضاء الخالص . ونهر يقال له الب ، كان ينساب الى الجنوب الغربي يسقى ما يمرق بالعيت . وادامى القرية والعيث اليوم حامة مفرقة لغراب سد العظيم وانقطاع الماء عن الانهار التي كانت تسقيها . (م) .
(٢٠) الاسطخري ٧٥ ، ابن حوقل ١٥٣ ، المسعودي ، الشيبه ٥٢ ، فخر الدين ٢١٤ ، القنص ١٣٣ ، ياقوت ١ : ٤٦٤ و ٧٥٠ ، ٢ : ٥٨١ ، ٣ : ١٦٩ ، المستوفي ١٣٩ و ١٦٥ و ٢٢٠ .
على اليزدي ١ : ٦٦٠ .

لم يذكر ياقوت ومن سبيله من البلدانين مدينة كركوك التي قال فيها على اليزدي (١ : ٦٦١) انها درب طروق . وما تلاحظ ان حيلنا (نفتح أوله وكسر ثانيه) أو جيلنا (يفتح أوله وضم ثانيه) وهي على دجلة بازاء تكريت كثيرا ما جاء اسمها خطأ بصورة حيلنا (على نحو ما جاء في المقدسي ص ١٣٥ وهو من تصحيف النسخ أو الباطنين) . فالجواب الأول من هذا الاسم هو « الجيب » حسا اذ انه اسمها كثيرا ما ورد بالسريانية بصورة كلسا . ولي خط هذه اللفظ لا تتشابه صورة حرف الجيب وحرف الجاء . (انظر كلام المؤلف) .
لنا : كركوك اليوم من أجل مدن العراق ، وهي مركز لواء كركوك . وقد اشتهرت بمزارع فلها الذي تستخرجه بكنيات والرثة شركة النفط العراقية . ولهذه الشركة مقر بالقرب من كركوك .

والحرف ، ان التل الاثري الذي تقوم عليه قلعة كركوك ، كان مدينة في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، تعرف باسم « أربنا » (Arrapkha) (الذي حرف حديثا الى صورة « أربلا » والمطلق على حي الشمال الجديد في شركة النفط في كركوك . (م) .

كثيرة عمرت فيها أسواق وقساريات • واطرى المستوفى جودة غلتها لاسيما القطن^(٢١) • وإلى شمال الموصل ، مدينة العمادية • وهى بالتقريب من منابع الزاب الأعلى • وعلى ما ذكر المستوفى ، نسبت العمادية الى مؤسسها عماد الدولة الأمير الدليمى المتوفى سنة ٣٣٨ (٩٤٩) إلا ان غيره من المؤلفين يزورون انشاء العمادية أو تجديدها فى سنة ٥٣٧ (١١٤٢) الى عماد الدين زنكى أبى امير الجزيرة المشهور نور الدين وكان صلاح الدين (الايوبي) من أشهر رجاله • وروى ياقوت ان حصنا للكراد كان هناك قبلها يعرف بأشـب^(٢٢) • ووصف المستوفى العمادية فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) بأنها مدينة كبيرة^(٢٣) •

وفى الجبال المجاورة للعمادية ، منابع نهر خابور الحسنية وهو ينصب فى دجلة شمال مدينة فساـبور^(٢٤) على نحو مئة وخمسين ميلا فوق الموصل • ومخرج هذا النهر (وهو غير خابور رأس العين) على ما جاء فى ياقوت ، من أرض الزوزان • وكان عليه عند بلدة الحسنية قنطرة عظيمة وما زالت يقاهاها

؛ (٢١) ترمى مدينة اربل الى قدم الجبل الاكسورية بل لعلها الموضع الاكسورى الوحيد الذى على هامرا أعلا ويحفظا بأسسه حتى اليوم • واسم اربل الاكسورى القديم هو « اربا - ايلو » ومعناه : أرضة آلهة • ولعل « اربا ايلو » من اسماء الالهة عشتار ايضا • فان مدينة اربل كانت موطناً لعبادة هذه الالهة • وقد ذكرها السلدانيون العرب باسم « اربل » على ما لوه به المؤلف أعلاه • وهى اليوم مدينة كبيرة عامرة تقوم احيائها السيفنة على النمل الاثرى العال المعروف بقلعة اربيل وهى ارباسه امتدت احيائها الحديثة • ونسبها الناس اليوم « اربيل وادربيل وادربيل واولير وهولير » والصحيح الثلاث الاخرى • هي حسب نطق الكراد لاسمها • ومدينة اربيل اليوم مركز لواء اربيل من ألوية المراقب الفسالية •

وفى سهل اربيل ، جرت الوعدة الفارنضة الحاسية بين الاسكندر الكبير ودارا ملك الفرس عام ٣٣١ ق م • وهى الموقعة المعروفة باسم « كركمبلا » • وكانت اربل فى العهد الفرسى عاصمة لمملكة حداب الارامية الى امتد لقوقها فى وقت ما الى الفرات غربا وشميين شمالا - (م) •

(٢٢) العمادية اليوم بلدة فوق جبل منبج على ١٦٨ كيلومترا من شمال الموصل • وهى مركز قضاء باسمها فى لواء الموصل •

جاء فى الكتابات الاكسورية اسم مدينة فى هذا الموضع أو بالقرب منه وهى « أمات » أماتى^(٢٥) وأقدم ذكر لها انتهى اليها ، فى مسألة وجدت فى القصر الجنوبي الرمى فى نمرود ، فيها اشار شمسى اداد الخامس الملك الاكسورى (٨٢٣ - ٨١٠ ق م) وهو ابن شلتنصر الثالث • وذكرها الملك اداد بيارى الثالث (٨٠٥ - ٧٨٢ ق م) ابن شمسى اداد الخامس فى مسألة وجدت فى نمرود ايضا • وبقيت « أمات » مدينة مرفقة حتى العصر البابلي الحديث (م) •

(٢٣) المقدسى ١٢٦ : القرويين ٢ : ١٩٢ ؛ ياقوت ١ : ١٨٦ . ٢ : ٣٨٤ . ٣ : ٧١٧ و ٩٢١ ؛ المستوفى ١٦٥ و ١٦٦ •

(٢٤) وجاءت فى ياقوت بصورة فيشاور بالكتن الحسنة - اما اليوم عتدرف باسم فيشاوربور وهى الآن فى قضاء زاجر على الحدود العراقية التركية - (م) •

قرية حسنة انحاء ولعل هذه القرية تمثل البلدة القديمة . وكان في الحسنية جامع . وقد وصفها المقدسي بأنها موضع ذو شأن^(٢٥) . وعلى مرحلة يوم من جنوبها في طريق الموصل ، بلدة مملتايا الصغيرة وفيها جامع على تل وهي كثيرة البساتين .

وفي شمال فيسابور ، الجزيرة وهي مدينة ذات شأن وتعرف بجزيرة ابن عمر نسبة الى الحسن بن عمر التغلبي بأنها . وكانت دجلة ، على ما ذكر ياقوت ، تحيط بهذه الجزيرة الا من ناحية واحدة شبه الهلال ثم عمل هناك خندق أجري فيه الماء . وفي المئة الرابعة (العاشرة) ، وصف ابن حوقل الجزيرة بقوله : « عليها سور وهي فرضة لأرمينية وكانت مشهورة بالجبن والسل » وزاد المقدسي على ذلك ان بنائها من الحجارة ، وهي وحلة في الشتاء . وشاهدها ابن بطوطة وكان فيها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وقال : ان « أكثرها خراب . ولها سوق حسنة ومسجد عتيق مبني بالحجارة محكم العمل وسورها مبني بالحجارة أيضا » . وذكر المستوفي انه كان من أعمالها مئة قرية ونيف . وكان قبالة جزيرة ابن عمر : بازبدى وهي قرية في كسورة باقردي^(٢٦) . وبازبدى تقوم مقام الحصن الروماني المشهور المسمى بزبدى (Bezabda) غير انه لم يتنه اليها وصف لهذا الموضع .

ويرى من جزيرة ابن عمر ، من شريقها ، جبل الجودي . وفي قمته مسجد نوح ، وتحت الجبل قرية الثمانين . وقد جاء في القرآن (السورة ١١ الآية ٤٣) ان فلك نوح ، استوت على الجودي . وهو الجبل الذي يتفق موضعه في الجزيرة وما عتته الروايات الاسلامية . ويقال ان ثمانين من رجال نوح بنوا قرية هناك سميت ثمانين بسددهم . وأشار المقدسي في المئة الرابعة (العاشرة) الى هذه القرية فقال هي مدينة على مرحلة شمال الحسنية . وسماها المستوفي بسوق

(٢٥) من رأى جرتروند بل G. L. Bell ان زائر من الموضع المعروف لدى البلديين العرب بالحسنية نفسه . ولعل قرية حسنة الغالية بارائها في الجبابب الآخر من الخابور قد حالت على اسم الحسنية القديم . انظر كتابها Amurath to Amurath المطبوع في سنة ١٩١١ الصفحة ٢٨٧ الحاشية ٢ - (م) .

(٢٦) قلنا : بازبدى قرية سميت كورتها باسمها بها وهي في غرب دجلة . وباقردى كورة اخرى في شرقيها فهما كورتان متقابلتان (راجع معجم البلدان ١ : ٤٦٦) لقرية بازبدى ليست من كورة باقردي (م) .

ثمانين ، وقال ان الخراب كان مستحوذا عليها فى ايامه . وينصب فى يسار دجلة ، قرب جزيرة ابن عمر ، روافد كثيرة سرد يافوت اسماءها وهى : ىرنى وباعينا (وهو باسانفا فى ابن سراييون) وعليه قرية كبيرة بهذا الاسم فوق الجزيرة . واسفل هذه المدينة فى شمال خابور الحسنية يتحدر نهر البويار ودوشا من ارض الروزان (٢٧) .

وفى جانب دجلة الغربى فى سمت جزيرة ابن عمر ، كسوة طور عبيدين الجبلية ، وأهلها يعاقبة ، وفيها مخرج نهري الهرماس وخابور نصيين . وكانت نصيين وهى نسييس (Nisibis) الرومانية وقد ذكر يافوت انها مشهورة بوردها الابيض (٢٨) وبساتينها الاربعين الفا . تقوم فى اعلى نهر الهرماس وقد سماه جغرافيو اليونان سوكورس (Socors) أو مكدونيس (Mygdonius) وما زالت نصيين من أعظم مدن الجزيرة شأنا ، وصفها ابن حوقل ، وكان فيها سنة ٣٥٨ (٩٥٩) ، فقال : هى اجل بقاع الجزيرة واحسنها ، الى سمة غلات من الحبوب والقمح والشعير . ومخرج مائها عن رُشعب جبل يعرف بالوسا . وهى من ألجب المدن لولا الخوف من عقاربها . وعلى ما فى المقدسى انها ارحب من الموصل . وأطرى . حماماتها الحسنة وفصورها المثينة وسوقها من الباب الى الباب ، والجامع وسط البلد ، وبها حصن من حجر وكلس . . وقد زار ابن جبير نصيين فى سنة ٥٨٠ (١١٨٤) وأطرى بساتينها . وذكر ان فى جامعها صهريجين ، وعلى نهر الهرماس جسر مقنود من صم الحجارة . وفيها مارستان ومدارس وغير ذلك من العمارات الحسنة . ووصف ابن بطوطة نصيين ، وقد زارها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، فقال ان أكثرها قد خرب اما جامعها فكان قائما فى ايامه وفيه صهريجاه الكثيران . وتحف بها البساتين المثينة وبها يصنع ماء الورد الذى لا نظير له فى العطاراة والطيب (٢٩) . وذكر المستوفى ان دور سورها نحو

(٢٧) الاصطخرى ٧٨ : ابن حوقل ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٧ : المقدسى ١٣٩ : ابن سراييون ١٨ : ابن اللدائى ٥٥ و ٢٧٥ : يافوت ١ : ٤٦٦ و ٤٧٢ : ٢ : ٧٩ و ١٤٤ و ٥٥٢ و ٩٥٧ : ٤ : ١٠١٧ : ابن بطوطة ٢ : ١٣٩ : المستوفى ١٦٥ و ١٦٦ .

(٢٨) لم نجد فى يافوت ذكرا للورد الابيض فى نصيين . (م) .

(٢٩) هذا قوله فيها : « وتحف بها من بين وشمال بساتين مختلفة الاجناس ياملة القمار ينساب بين يديها نهر قد انقلب عليها السوار والحدائق لتنظم بحالتيه وتلى ظلالها الواردة عليه » . (م) .

٦٥٠٠ خطوة وأطرى كرومها الفاخرة وفواكهها الحسنة وخمورها الجيدة .
ولكنه قال انها وخمة وبثة . وتكلم كذلك على جودة وردها وشر عقاربها الميتة
وهي سامة مؤذية وكالبعوض كثرة^(٣٠) .

وكانت رأس العين قرب منابع الخابور ، وهي رأس اينسا (Resaina)
الرومانية على نهر خابوراس (Chaboras) مشهورة بكثرة عينها البالغة ٣٦٠
عينا على ما يقال . وتجتمع هذه العيون فتسقى بساتينها وتجعلها كأنها بستان
واحد . وقيل ان عينا منها ، وهي عين الزاهرية ، لا يعرف لها قرار . والماء الماد
منها يسب في الخابور . وكانت الزواريق الصفار تدخل الى عين الزاهرية والناس
يركبون فيها الى بساتينهم والى قرقيسياء على الفرات ان شاءوا . ووصف ابن حوقل
رأس العين ، فقال انها مدينة ذات سور من حجارة وكان داخل السور بساتين
وطواحين ، وكان لاهل المدينة نحو عشرين فرسخا قرى ومزارع مسا على
دورها . وذكر المقدسي ان بها بحيرة صغيرة رأس الماء نحو من قامتين زلال ،
يطرح الدرهم فلا يخفى في اسفله . . والبتيان في رأس العين حجارة وجص
وقد مر بها ابن جبير سنة ٥٨٠ (١١٨٤) وقال : لها جلعان ومدرسة وحمام على
الخابور . ولم يكن للمدينة في أيامه سور يحصنها وان كان في المئة الثالثة
(الرابعة عشرة) قد عمر ثانية ، لان المستوفى ذكر ان محيطه نحو ٥٠٠٠ خطوة
وقال انها كثيرة القطن والقمح والكروم .

وعلى نحو نصف المسافة بين رأس العين ونصيبين ، في شمالهما ، القلعة
الصخرية العظيمة : مارددين المشرفة على دنيسر التي هي تحتها في السهل على
نحو ثلاثة فرامخ جنوبها وكانت قلعة مارددين في المئة الرابعة (العاشرة) يقال
لها الباز . وهي معقل امرأ بنى حمدان . وهذه القلعة على قمة جبل وفي جانبها
الجنوبي نشأ ريف عظيم كان أهلا في المئة السادسة (الثانية عشرة) . وقامت في
أسواق كثيرة وخانات ومدارس وريط . ودور اهلها كالدرج كل دار فوق

(٣٠) ابن حوقل ١٢٠ و ١٤٢ و ١٤٣ : ابن سرايون ١٢ : المقدسي ١٤٠ : ابن جبير ٢٤٠
ياقوت ٣ ، ٥٥٩ : ٤ : ٧٨٧ : ابن بطوطة ٤ : ١٤٠ : المستوفى ١٦٧ .

الأخرى وكل درب منها يشرف على ما تحته من الدور ليس دون سطوحهم مانع .
وجبل شربهم من صهاريج معدة في دورهم ، ووصف ابن بطوطة ماردین وقد
زارها في المائة الثامنة (الرابعة عشرة) بأنها مدينة عظيمة بها تصنع الثياب
المنسوبة اليها من الصوف المعروف بالمرعز . ولها قلعة شماء تسمى الشهباء .
ويقال لها أيضا قلعة كوه . أي قلعة الجبل ، ووصف المستوفي ماردین فقال :
يسقيها نهر صور الاتي من جبل باسمه في طور عبيدین ويصب هذا النهر في
الخابور ، وزاد على ذلك ان ناحيتها كثيرة الغلات والقطن والفواكه .

ودنيسر ، على بقعة فراسخ منها (تفاوت القول في ذلك ما بين فرسخين
الى اربعة ويظهر ان موضعها الحقيقي غير معروف) . وكانت في المئة السابعة
(الثالثة عشرة) مدينة ذات أسواق عظيمة ويقال لها أيضا فوج حصار . وذكر
ياقوت انه حين زارها في صباه في نهاية المئة السادسة (الثانية عشرة) وآها قرية
ولكنها في سنة ٦٦٣ (١٢٢٥) صارت مصرا لا نظير لها كبرا وكثرة أهل وعظم
أسواق . ووصفها ابن جبير ، حين مرّ بها في سنة ٥٨٠ (١١٨٤) ، بأنها مدينة
لا سور لها وهي مخطر للقوافل . وخارجها مدرسة جديدة وحمامات . ودارا ،
على بضعة أميال شرقا . وكانت في أيام الرومان قلعة عظيمة . ذكر ابن حوقل
انها مدينة صغيرة (٣١) . ووصف المقدسي قلعة تم البلد وتجري فوق السطوح
وتقر في الجامع ثم تتحد الى واد . وبنائهم حجارة سود وكلس . وقال ياقوت
انها بلدة في لحف جبل . ومن أعمالها يجلب المحلب الذي تنطيب به الاعراب .
وهي ذات بساتين . وحين مرّ ابن بطوطة بدارا في المئة الثامنة (الرابعة
عشرة) كانت قلعتها خرابا لا عمارة بها . وكفرتونا في جنوب غربى ماردین على
نهرها الصغير . وذكر ابن حوقل انها صارت في المئة الرابعة (العاشرة) بلدة
قليلة الشأن وكانت عند ملتقى الطريق المتحد من آمد . وكانت حينذاك أوسع
من دارا ، الا ان ياقوت الحموي أشار في المئة السابعة (الثالثة عشرة) الى انها

(٣١) تبين من مراجعة الاسفل ان هذا القول للمقدسي لا لآلئ سويل . (م) .

قرية كبيرة (٣٢) *

كان الخابور الكبير يستقبل في يساره مياه نهر ماردين الآتي من رأس العين ، ويصب فيه أسفل من ذلك نهر الهرماس الآتي من نصيبين . على ان أكثر مياه هذا النهر كانت - على ما بنا - تنساب من سكير العاس وكان على شيء يسير فوق ملتقى الهرماس بالخابور الى وادى الثرار . فجتمع من ذلك فى الخابور مياه ثلاثة أنهار كبيرة ، هذا الى ما ينصب فيه من مياه ثلاثئة جدول على ما ذكر المستوفى . ثم يتحدر الخابور جنوبا الى قريسيه على الفرات وهى أكبر مدينة فى ديار مصر ، وسيجيء وصفها . وقبل ان يصل النهر الى هذه المدينة يمر بمدينة قرابان وماكسين ، وهما فى أراضي الخابور من أعمال ديار ربيعة . وعربان أو عرابان ، وما زالت خرابها موجودة ، كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة عليها سور منيع وتعمل فيها الثياب القطن ، وهى كثيرة الاقطان التى تنمي فى جاني الخابور . وتكلم المقدسى على عرابان وقال انها تل رفيع حولها بساتين ، وإلى جنوبها فى نصف الطريق بينها وبين قريسيه : ماكسين (أو ميكسين) حيث كان جسر سفن يقطع الخابور . وكان القطن يكثر فيها أيضا . وعلى مقربة منها بحيرة صغيرة تسمى المنخوق ، استدارتها مساحة جريب أو أزيد وفيها ماء ازرق غلب كالزجاج الملوح ولا يعرف قراها ولا يعلم كمية ماؤها . *

ويقال ان مخرج الهرماس من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ (شمالا) سدودة بالحجارة والرصاص . * ويقال ان الروم بنت هذه الحجارة عليها لثلا تفرق هذه المدينة . وكان المنوكل لما دخل هذه المدينة سار اليها وأمر بفتحها ففتح منها شيء يسير . . . فنلب عليه الماء غلبة شديدة حتى أمر بإسكائه واعادته الى ما كان عليه بالحجارة والرصاص . * وعلى مئة ميل أو يزيد جنوب نصيبين ، السكر المعروف بسكير العباس وكان هناك فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة كبيرة

(٣٢) البلاذرى ١٧٦ : الاسطخرى ٧٣ و ٧٤ : ابن حوقل ١٤٣ و ١٤٩ و ١٥٢ : القسسى ١٤٠ : ابن جبير ٢٤٢ و ٢٤٤ : الفريرى ١٧٢٠ ٢ : ياقوت ٢ : ١٦٦ و ١٦٢ و ٧٢٣ و ١١١ : ٣ : ٤٣٥ : ٤ : ٢٨٧ و ٣٩٠ : المستوفى ١٦٦ و ٢٠٥ و ٢١٩ : ابن بطوطة ٢ : ١٤٢ : على البرزى ١ : ٦٧٧ . *

لها جامع / واسواق + وسكير المباس^(٣٣) فى رأس نهر الترنار ، وقد كان يصب فى دجلة على ما بنا . اما اليوم فقد قل ماء الترنار وانقطع جريه . وكان ماؤه منذ المئة السابعة (الثالثة عشرة) ضئيلا فحين كتب ياقوت معجمه ذكر انه « يمد اذا كرت الامطار . فأما فى الصيف فليس فيه الا منافع ومياه حامية وعيون قليلة ملحة » . وقد ارتاد ياقوت مجراه غير مرة وزاد على ما تقدم : « يقال ان السفن كانت تجرى فيه (من المخابور الى دجلة) وكانت عليه قرى كثيرة وعمارة » . اما حين كتب ياقوت فلم تكن تلك البقاع غير برية مقفرة^(٣٤) .

وفى برية سنجار ، كان نهر الترنار يجرى بين مرتفعات يقال لها جبل حميرين ، وهو جبل بارما ، وكان الترنار يستقبل من الشمال نهرا صغيرا ينحدر اليه من مدينة سنجار . وكان على سنجار فى المئة الرابعة (الماشرة) سور من حجر ، ونواحها عامرة كثيرة الخيرات . واثار المقدسى الى شهرة اسماقتها وترنجها وازرنجها وقال « بها نخل كثير » والجامع فى وسط البلدة . وتقول الروايات الاسلامية ان سفينة نوح نطحت فى جبل سنجار فى زمن الطوفان ، ثم استوت على جبل الجودى فى الجانب الشرقى من دجلة . وزاد ياقوت على ذلك ان فى مدينة سنجار ، على ما قيل ، ولد آخر سلاطين السلاجقة سنجار أو سجر بن ملكشاه . وكانت سنجار ، على ما ذكر القزوينى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، مشهورة بحماماتها : فرشها فصوص وسقوفها جامات ملونة . ونو ابن بطوطة ، وقد مر بها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، بمسجدها الجامع الفخم . وكان دائر سورها على ما ذكر المستوفى ٣٧٠٠٠ خطوة وهو من حجارة ويصعد الى دورها بدرجات فى سفح الجبل . وتكثر فى بساينها الكروم والزيتون

(٣٣) ترى اليوم على الهرماس (نهر حنفيج ، ويسمى بقايا سكر على شئ يسير من معلقاه بالقصور ، كما يرى بقايا حصون رومانية على جانبيه النهر . راجع : الخريطة ١٤٠ من المجلس كتاب .

A. Poidebard, La Trace de Rome dans le Désert de Syrie, (Paris, 1934). وكذلك ص ١٢٩ - ١٤٤ من المص . (م)

(٣٤) الترنار اليوم ما زال حاله على ما وصفه به ياقوت فى المئة السابعة للهجرة (الثالثة عشرة للهجرة) ملأه لا يجرى فيه الا فى موسم الامطار وترى فى جهات من الوادى ميون قليلة للماء تغلب عليه اللوحة . والبرية التى يشتمها حاليا قاحلة الا فى ايام الربيع تائها تصبح الى مراتع حضر ينتقل اليها الرعاة بأصنامهم من النواحي المجاورة . وترى فى جانبى الترنار معاين مدينة الحضر ، بقايا قنطرة من الحجارة . (م)

والسماق^(٣٥) . والحضر وهى حترا (Hatra) عند الرومان . ذكر ابن سريون ان التراتر يمر بها عند نصف المسافة بين سنجار وملقاه بدجلة قرب تكريت . وما زال يرى في الحضر بقايا قصر فري كبير^(٣٦) . روى ياقوت ان بانيه الساطرون شيده من حجارة مربعة ، وفيه يسوت كثيرة بنيت سقفوها وأبوابها بالحجارة المهندمة وذكر انه يقال كان فيها ستون برجا كبارا وبين البرج والبرج تسعة أبراج صفار بازاء كل برج قصر^(٣٧) . وكان الطريق من الموصل الى تيسين في جانب دجلة الايمن . وهذا الطريق ينقسم عند بلد (الموضع المروف اليوم باسكى موصل)^(٣٨) وهى على اربعة فراسخ من الموصل

(٣٥) ما زالت سنجار من المدن الصامرة في شمالي العراق وهى اليوم مركز قضاء سنجار في لواء الموصل . جاء في الكتابات المسارية ما يدل على انها كانت منذ الصور الآشورية . واستولى عليها الرومان في القرون الاول لليلاد . وذكرت كثيرا في اخبار الحروب بينهم وبين الفرس . وظلت على شىء من الاستقلال في عهدهم ما لم يملكها غريرو المود باسمائهم ومن تلك المود ما يرى في دور الآثار (م) .

(٣٦) ترى خرائب المنظر ، من قصور ومساكن وحصون وكلها مشيد بالحجارة المهندمة على اربعة كيلومترات من غرب رادى التراتر وعلى نحو ٧٠ كيلومترا غرب السرفاقل وعلى ١٥٠ كيلو مترا جنوب غربى الموصل . وتاريخ هذه المدينة غامض غير معروف . لنا زلنا بجعل زمن بانيها ومن بناها وسبب قيامها بمرمها من البرية الواسعة التي بين نهري دجلة والفرات . ولكنها تعرف انها وصلت الى اوج عزها في اواخر المائة الاول لليلاد وبنيت امام جيوش الرومان في الحق الثانية لليلاد . ولكنها لم تفر على الوقوف بوجه محرم ساير الاول الساساني فقد منحتها بعد ان حاصرها واعمل السيف في أهلها ونهب قصورها ومبانيها في نحو منتصف الحق الثالثة لليلاد . وظهور ان الحضر لم تبق بعد ذلك وحجوها من كبرى من أهلها .

وبعد سميت دار الآثار العراقية الى فترة العصر الاثرية فايندت في التنقيب فيها منذ عام ١٩٥١ وتوصلت في موسمين من التنقيبات الى نتائج عظيمة القيمة كشفت عن شىء ما فخص من احوال هذه المدينة وتاريخها . وعثرت في بعض المباد على عدد من السابيل الرخام وغيرها وعلى كتابات ارامية . وما زالت دار الآثار ماضية في الكشف عن خفايا هذه المدينة . راجع من العفريات في الحضر مجلة « سوسر » (٧ : [١٩٥١] ص ١٧٠ - ١٨٤ : ٨ : [١٩٥٢] ص ٣٧ - ٥٢ و ١٨٣ - ١٩٥) (م) .

(٣٧) يكتب اسم البلدة سنجار بالالف قبل الراء . واسم السلطان سنجر من دولها . ابن سريون ١٢ و ١٨ : الاصطحسرى ٧٣ و ٧٤ ابن حوقل ١٣٦ و ١٤٨ و ١٥٠ : القفصى ١٤٠ و ١٤١ : ياقوت ١ : ٤٦٤ و ١٢١ : ٤ : ٢٨١ و ١٠٦ : ١٠٨ : ٤ : ٦٦٢ : المستوفى ١٦٦ و ٢١٩ : ابن بطوطة ٣ : ١٤٦ : القزوينى ٢ : ٢٦٢ .

(٣٨) اسكى موصل قرية على نحو ارسين كيلومترا شمال عرس الموصل على مسافة دجلة اليسى . تقوم عند الخراب الخراب المرفوعة اليوم بهذا الاسم . وهى غايا مدينة « بلط » الآشورية التي ورد اسمها في كتابات سنحاريب الملك الآشورى (٧٥٥ - ٦٨١ ق م) وقامت هناك مدينة في العصر الاسلامى . سماها البلديون العرب باسم « بلط » و « بلط » . وقد عثر في بعض اطلالها على مستوكلات اتيابية اسماها تعود الى فطى الدين مودود ، مما قد يؤيد ان هذا القسم من الاطلال والصور الذى حولها لوق التل القديم من المنشآت الايبكية . وعلى مقربة من اسكى موصل ،

الى طريقين : طريق يتجه الى اليسار ذاهبا الى سنجار مارا ببل اعفر . ذكر ياقوت انه كان في بلد مشهد علوى . وبلد في موضع المدينة الفارسية القديمة شهباز . وقال ان مدينة « بلد » ربما قبل لها بلط . وأشار ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) الى بلد فقال هي مدينة كبيرة . وقال المقدسي في قصورها انها حسنة البناء من جص وحجر فرجة الاسواق والجامع وسط البلدة وينمى في نواحيها قصب السكر وهي خصبة . وفوق تل « تل اعفر » (٣٩) المنفرد ، وهو على مرحلة واحدة من غريها ، قلعة حصينة تشرف على ربض كبير فيه نهر جار . وذكر ياقوت ان النخل كان ينمى في ناحية منها يقال لها المحلية . نسبة الى المحلب وهو شئ من الطير ، يعمل فيها (٤٠) .

اما الطريق الايمن ، فانه يبدأ من منقسمه ، مما على مدينة بلد وينهب الى مدينة باعيتا وقد وصفها المقدسي بقوله « زهرة طيبة وهي خمس وعشرون محلة ، يتخللها البساتين والماء ، ليس مثلها بالعراق مع رفق وخص » . وينبى ان لا تخلط بينها وبين « قرية كبيرة كاللدينة » تعرف أيضا باعيتا على النهر الذي يلتقى بدجلة شمال جزيرة ابن عمر ، على ما يبين في الصفحة ١٧٤ وعلى طريق تعيين ما على باعيتا : برقيد ، وهي بلدة يضرب المثل باهلها في اللصوصية . فكانت القوافل اذا نزلت بهم لقيت منهم الامرين . وكانت في المئة الثالثة (التاسعة) بلدة كبيرة عليها سور ولها ثلاثة أبواب وفيها مئذنة حاثوت وبها آبار كثيرة عذبة . وما حلت

قطرة ذات طاق واحد تعرف بهذا الاسم أيضا . اولها ١٢ مترا الى الوقت الحاضر وعرضها ٢٢٥٠ مترا مربعة بالصجارة الكبيرة المهندسة على بعضها حروف يحتمل انها يردانية . وفي وجه الطاق كتابة عربية منقورة في الحجر مثلها بصيا « صلح » ١٠٠٠ بن محمد الجزرى رحمه الله . ويرجح انها كتبت بعد قضاء القنطرة التي يدعى من طرازها انها رومانية . (م) .

(٣٩) تل اعفر ، بلدة في غربي الموصل ، على طريق سنجار ، وهي مركز قضاء تل اعفر ويقال في اسمها أيضا : تل يعسر وتليسر وتل يعفور وتلفسر . وهذا الأخير هو الاسم الدارج اليوم وتل اعفر اما أصله « التل الاعفر » لونه قهقر لكثرة الاستعمال وطلب الخفة . وكان اسمها عند الآشوريين نشت عشتار . (م) .

(٤٠) المحلية (كتلمية) من قرى ناحية حبيبات في لواء الموصل . قرب الحد الفاصل بين هذه الناحية وقضاء تلفسر . وهي اليوم قرية كبيرة كالبلدة فيها عين والارز الماء تعرف بـ « سرب المحلية » (سرب . وذا سبب) تفيض فيها اسماك وتسقى مياهها بساتين القرية التي تكثر فيها الاشجار المثمرة كالزيتون واللبن والحب والحبوب وغيرها . وفي اطرافها بقاليا بلدة اسلامية وتل عال يعرف بـ تل باليز على سطحه كسر فخار من ادوار ما قبل التاريخ والدور الآشوري . ولعل أقدم من اشاد اليها من البلديين العرب البشارى المقدسي فقد ذكرها مرتين في كتابه . (م) .

المئة السابعة (الثالثة عشرة) حتى تجئتها أكثر النوافل لكثرة أفاعيل أهلها
فأصبحت قرية صغيرة حقيرة .

وأذمة في نحو نصف المسافة بين برقيد وتصيلين ، وكانت مدينة مثل
برقيد كبرا وهي من كورة تعرف بين النهرين . وانتهى النسا من المئة الثالثة
(التاسعة) انه كان بها قصر حسن ونهر يشقها وعليه في وسط المدينة قنطرة
معقودة بالصخر والجص . وفيها سوران أحدهما دون الآخر ومن خارج السور
خندق يحيط بالمدينة . وهذا ما انتهى النسا على كل حال مما وصفها به طبيب^(٤١)
الخليفة المنصور ، وقد مرّ بها حين كان في خدمة الخليفة . وفي المئة الرابعة
(العاشرة) وصف المقدسي أذمة فقال « صغيرة في البرية ، شربهم من آبار
وبنيانهم قباب »^(٤٢) .

(٤١) في معجم البلدان (١ : ١٧٧) هو : أحمد بن الطبيب المروسي العيسوي (م) .
(٤٢) قدامة ٢١٤ : الأسطوري ٧٣ : ابن حوقل ١٤٨ و ١٤٩ : المقدسي ١٣٦ و ١٤٠ :
جافوت ١ : ١٧٧ و ٤٧٢ و ٧١٠ و ٨٦٣ : ٤ : ٤٢٨ : اللزويني ٢ : ٢٠٤ .

الفصل السابع

الجزيرة «تتم»

ديار مصر - الرقة والرافقة - نهر البليخ وحران - اذسا وحصن مسلمة - فرطيسيا - نهر
سعيد والرحبة والندالية - رصافة الشام - عانة - بلس وجسر منبج
وسميساط - سروج - ديار بكر - آمد وحاتي ومنايع دجلة -
ميلافدين وارلن - حصن كيلا وتل فالحان -
سرت

كانت ديار مصر ، على ما قد بينا ، تحف بصفاف الفرات • واجل مدنها
الرقة ، وهي فوق مصب نهر البليخ المنحدر من الشمال الى الفرات • وقامت في
موضع المدينة اليونانية القديمة كلتيكس (Callinicus) وهي تقفودوم
(Nicephorium) • وما اسم « الرقة » العربي الا نعت لها ، فالرقة كل ارض الى
جنب واد ينسبط عليها الماء • وقت الفيضان • ومن ثمة فالرقة توجد في مواضع
أخرى كسمية لمكان • وهذه الرقة التي على الفرات عرفت بالرقة السوداء بميزا
لها عن غيرها •

وحين انتقلت الخلافة الى بني العباس في المئة الثانية (الثامنة) ، كانت الرقة
من أهم مدن ما بين النهرين الاعلى ، وتسبطر على تخوم الشام • فكان عليهم
الاحتفاظ بها فشرع الخليفة المنصور في سنة ١٥٥ (٧٢٢) ببناء مدينة الرافقة على
نحو ثلاثئة ذراع من الرقة ورتب بها جندا من أهل خراسان المواليين للدولة
الجديدة • ويقال ان الرافقة بنيت على غرار مدينة السلام • فكانت مدينة مدورة •

ثم ان الرشيد بنى قصورها وبنى له فيها قصرا سماه قصر السلام ، لانه كان يقيم فى الرقة أو الرافقة كلما اشتد الحر فى بغداد . وسرعان ما خربت الرقة القديمة وشيدت أبنية جديدة فى الأرض الفضاء بين الرقة والرافقة ، وحول رقتها وكانت بحيرة ضحلة . وغلب اسم الرقة على الرافقة ، وقد كانت الأخيرة حيناً من الزمن ريفاً لها ، وبطل اسمها بمرور الأيام . على ان ابن حوقل تكلم فى المسلة الرابعة (العاشرة) على مدينتى الرقة والرافقة فقال هما « مدينتان كالتلاصقتين وفى كل واحدة منهما مسجد جامع » . وكثرتا كثيرى الأشجار ، اما المقدسى فلم يصف الا الرقة وقال « الرقة قصبة ديار مضر ، بحصن عريض ولها بابان ، حسنة الأسواق كثيرة القرى والبساتين والخيرات ، ومدن الصابون الجيدة^(١) والزيتون . وجامع الرقة فى البرازين وبها حمامات طيبة » . ثم قال : كان لكل بيت كبير فى الرقة دكة . وبالقرب منها خرائب مدينة قديمة يقال لها الرقة المحترقة . على ان المستوفى تكلم على الرافقة وقال هى ريف الرقة ، الجامع فى الصافة فيه شجر عتاب وبالقرب منها مسجد يطل على الفرات^(٢) .

وفى جانب الفرات الايمن ، بازاء الرقة فيما فوقها ، ارض صفين المشهورة وفيها كان القتال بين اصحاب الخليفة علي ومعاوية وقبور من استشهد فى هذه الواقعة من اصحاب علي معروفة فيها . وروى ابن حوقل ، وقد تابعه فيه المستوفى ، ان من كان بعيداً عن القبور يرى عجباً ذلك انه يرى تجورا ويصعد الى المكان فلا يرى لذلك أثرا ولا يحس منه خيرا . ومقابل ارض وقعة صفين على ضفة الفرات الشمالية (اليسرى) قلعة يقال لها قلعة جعبر نسبة الى مالكها الاول وكان عربياً من بنى نعيم وكانت هذه القلعة تعرف فى بدء امرها بدوسر وكثيرا ما تردد ذكرها فى آخر أدوار تاريخ الخلافة . وفى سنة ٤٩٧ (١١٠٤) استولى الفرنج

(١) اشار المقدسى (احسن التقاسيم ص ١٤٥) الى اشهر الرقة بسمل الصابون . وللصابون الرقى وهو منسوب الى مدينة الرقة شهرة معينة . وقد نوه به بعض الكتبة الاندلسيين (انظر شرح اسماء البحار لموسى بن يعقوب ص ٣٥ ، وعيون الاباء فى طبقات الانباء ١ ٢٦٥٠ ، ونخلة الدرر فى معاليب البحر والبحر للشمس الدين المقدسى ص ٢٠٠) . (م) .
(٢) عرفت الرقة باسم تقفريوم . بناها الاسكندر الكبير فى زحفه على دجلة . ورد لآلها الاثرى أثناء الحروب العارسية الرومانية والمارسية البيزنطية لوقوعها على مسر الجيوش حتى كان الفتح العربى لها سنة ٦٢٨ م . (م) .

عليها من انسا في الحملة الصليبية الاولى . ويستقبل الفرات من يساره اسفل الرقة نهر البليخ ، وقد عرفه اليونان باسم بليخا (Bilecha) ومنبعه من عين تسمى عين الذهبية في شمال حران . وورد اسم هذه العين ايضا في المراجع التي بيدنا بصورة الدهمانية والذهبية وكتبه المستوفي (بالفارسية) بصورة حشمة دهانة أي عين دهانة^(٣) .

وبجري البليخ نحو الجنوب ثم يلتقي بالفرات تحت الرقة ويمر بمدن جليلة كان سقها من هذا النهر وروافده . ف قرب منبعه حران (كرها Carrhae) وكانت مدينة الصاشيين (وهم الصابئة الحرامية فينبغي الا يخلط بينهم وبين صابئة الرقاق اليوم) وهم على دين ابراهيم . ويقال ان حران كانت أول مدينة بنيت في الارض بعد الطوفان . وقال المقدسي في حران انها « مدينة تزينة عليها حصن من حجارة على عمل ابله^(٤) » في حسن البناء ، وفيها جامع . وذكر ابن جبير ، وقد مر بحرّان سنة ٥٨٠ (١١٨٤) ، ان لها سوراً مبنيّاً بالحجارة ووصف الجامع فقال : له صحن كبير ذو تسعة عشر باباً وفيه قبة قد قامت على سوار من الرخام . ولها اسواق مسقفة كلها بالخشب . ولهذه البلدة مدرسة ومارسان . وزاد المستوفي على ذلك ان محيط سور الصحن كان ١٣٥٠ خطوة . وعلى ثلاثة فراسخ من جنوبها ، مشهد ابراهيم ، وما حوله من اراض تسقيه انهار لا عدّها لها^(٥) .

اما ادساً وقد سماها العرب الرها (وهو تحريف للاسم اليوناني كلرهو Callirhoe) ، فهي عند منابع احد روافد البليخ . ولم يسهب البلدانيون

(٣) البلاذري ١٧٦ و ٢٦٧ : الاصطخرى ٧٥ و ٧٦ : ابن حوقل ١٥٣ و ١٥٤ : اللطفي ١٤١ : ابن سراييون ١٢ ، ابن رستم ٩٠ : ابن خردادب ١٧٣ : ياقوت ١ : ٧٢٤ : ٢ : ٦٢١ و ٧٢٤ : ٤ : ١١٢ : ١٦٤ : المستوفي ١٦٦ و ٢١٩ ، ابن الاثير ١٠ : ٢٥٣ .

(٤) قال ياقوت (١ : ٤٢٣) : ابله : اسم مدينة بيت المقدس . (م) .

(٥) تقوم حران عند ملتقى الطرق التجارية في شرق الفرات ولا سيما طريق الشام وطريق الجزيرة . وكانت حران منذ الالف الثاني قبل الميلاد ، قاعدة اقليم كبير وطلت عامرة حتى المئة السابعة (الثالثة عشرة) . سكنها الآشوريون وحكمها اليونان والرومان والفرس قبل ان يات عليها العرب صلحا سنة ١٨ (٦٣٩) . ونزلها مروان الثاني آخر خلفاء بني امية .

بلغ مساحة املاكها نحو ميل مربع يحيط بها سور خرب . وقد لقب الآشوريون حديثا في بقايا مسجدها الجامع وتلقبها ، راجع عن الحفريات في حران :

Anatolian Studies (Vol. I, 1954; pp. 77-III); Illustrated London News (Sep. 20, 1952 p. 466). - (م) -

المسلمون في أخبار هذه المدينة ، لأن أغلب سكانها أقاموا على نصرانيتهم . وأكثر ما اشتهرت به هذه المدينة كنائسها الكثيرة فقد ذكر ابن حوقل « بها زيادة على ثلاثمائة بيعة ودير » وكان بها منديل لبسبي ، أعطاه المسلمون للروم في سنة ٣٣٧ (٩٤٤) اتفاقا للرها من هجوم الروم عليها ونهبها . وقال المقدسي في النصف الثاني من المئة الرابعة (الماثرة) بعد كلامه على جامعها ان « بها كنيسة عجيبة بأزاح ملبسة بالفلسافس هي إحدى عجائب الدنيا » الأربع . وقال أيضا ان المسجد الأقصى في بيت المقدس قد بني على غرارها .

وزاد على ذلك انها كانت مدينة محصنة . ولم تثبت الحامية العربية بوجه الحملة الصليبية الأولى في سنة ٤٩٢ (١٠٩٨) . فاستولى بلدوين على ادسا وقيمت نصف قرن ولاية لاثنية . ولكن في سنة ٥٤٠ (١١٤٥) استعادها زنكي^(٦) من جوسلين الثاني (Jocelin II) . ومنذ هذا الزمن صارت الرها بأيدي المسلمين . وكانت خراب كثير من مبانيها الجميلة شاحصة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . ووصف المستوفي قبة عظيمة حسة البناء بالحجارة تقوم وراء صحن ستة مئة ذراع وثيق في مثلها . وذكر علي اليزدي مدينة الرها غير مرة في حديثه عن حروب تيمور . وظلت الرها تعرف بهذا الاسم حتى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) فانها بعد انتقالها الى ايدي التتار عرفت باسم « اورفا » وقيل ان هذا الاسم تحريف « الرها » العربي . وما زالت تسمى بأورفا حتى اليوم^(٧) .

(٦) هو هاد الدين زنكي وقد حكم سنة ٥٢١ - ٥٤١ هـ (م) .

(٧) الاصطخرى ٧٦ : ابن حوقل ١٥٤ : المقدسي ١٤١ و ١٤٧ : ابن جبير ٢٤٦ : ياقوت ٢٣١ و ٢٣٢ : علي اليزدي ١ : ٦٦٢ : المستوفي ١٦٦ : جهان نما ٤٤٣ .

أما منديل عيسى المشهور الذي كان في ادسا وقتنا ما ، فانه اسم المذنبيل الكثيرة من نوعه (Veronica) ولا تنطبق المصادر الوثيقة على ما اذا كان كان منديل ادسا هو ذاك المذنبيل المخلوط في رومة الآن أم انه المذنبيل الذي يشاهد في جنوة . وهناك ساديل أخرى غيرها . وأقدم مرجع إسلامي ذكر هذا الموضوع هو كتاب المسعودي الذي ألفه سنة تسليخ المذنبيل المشهور الى السراطير الروم قال فيه ان « يشعور الناصري حين خرج من ماء المعمودية تتسلف به » . وذكر المسعودي ان في سنة ٣٣٢ (٩٤٤) أدخل هذا المذنبيل للروم فجنحوا الى الهدنة وكان للروم عند تسليمهم هذا المذنبيل لرج عظيم . اما ابن حوقل ، وقد كتب في تلك المئة نفسها ، لسماه « منديل عيسى بن مريم عليه السلام » . وقال ابن الاثير في تاريخه في اخبار سنة ٣٣١ (٩٤٣) ان « منديلا زعم ان المسيح مسح به وجهه

وفى جنوب حران على مقربة من شرق نهر البليخ ، مدينة باجدا الصغيرة على الطريق الى رأس العين . وكان فيها بساتين ، وهى قرب حصن مسلمة الذى هو أقرب الى البليخ منه الى باجدا وقد نسب هذا الحصن الى مسلمة بن عبد الملك الخليفة الاموى . وهو على تسعة فراسخ جنوب حران وعلى نحو ميل ونصف الميل عن ضفة النهر الحالية . « وشرب أهله من مصنع فيه طوله مئتا ذراع فى عرض مثله ، وعمقه نحو عشرين ذراعا معقود بالحجارة . وكان مسلمة قد اصلحه ، والماء يجرى فيه من البليخ فى نهر مفرد فى كل سنة مرة حتى يملأ . فيكفى أهله بقية عام . ويسقى هذا النهر بساتين حصن مسلمة » . وكان الحصن « قد بني على قدر جرب من الارض (وهو ما يعادل ثلث ايكبر) وارتفاعه فى الهواء أكثر من خمسين ذراعا » . وكان فى جنوب حصن مسلمة فى طريق الرقة على ثلاثة فراسخ منها : باجروان . وقد وصفها ابن حوقل فقال : « كانت منزلا خصباً نزها واسما » . وقد عراها الاختلال فى المئة الرابعة (العاشرة) . اما ياقوت ، وقد قدما وصفه لحصن مسلمة ، فذكر ان باجروان قرية من ديار مصر (٨) .

وعلى نحو مئى مبل اسفل من الرقة ، قريسياء وهى كركيسيوم (Circesium) القديمة على ضفة دجلة (٩) اليسرى حيث يصب الخابور فضلة مياهه فيه على ما قد بينا فى الصفحة (١٢٧) ، ووصف ابن حوقل قريسياء بأنها « مدينة لها بساتين وأشجار كثيرة وهى فى نفسها نزهة » . اما ياقوت والمستوفى فقد ذكرا انها بلد أصفر من الرقة المجاورة لها على ستة فراسخ منها فى الجانب الغربى من القرات . والرحبة هذه سميت برحبة مالك بن طوق مؤسسها ، تميزا

فصارت سرورة وجهه فيه . « وتابع حديثه مبينا ان الخليفة المتقي وافق على تسليم هذا التنديل الى ملك الروم لكن يطلق كثيرا من أسرى المسلمين وببعض الروم من الرها - اما الرواية النصرانية بشأن متنديل ادسا لهى على ما ذكر موسى القزوينى Moses of Chorene انه كان فى التنديل صورة للسبح مطبوعة باصورة وقد ارسلها السبح الى ايجر ملك الرها - المسعودى ٢ : ٣٣١ / ابن الاثير ٣٠٢ : ٨ .

(٨) ابن حوقل ١٥٦ : ٢١٥ ؛ ياقوت ١ : ٤٥٣ و ١٥٤ و ٧٣٤ : ٢ : ٢٧٨ .
(٩) لا شك ان ذلك من خطأ الطبع فان المؤلف يريد القرات . فعد البتةا على القرات فى خواطره . (م) .

لها عن غيرها من الرحاب . وقد عاش مالك في خلافة المأمون . وكان بالقرب منها : الدالية وهي بلدة صغيرة . والرجبة والدالية قرب نهر يقال له نهر سيد ، كان يخرج من بين الفرات على شيء قليل فوق قرقيسياء ويمود فيصب فيه فوق الدالية . وهي مثل الرجبة تعرف بدالية مالك ابن طوق تميزاً لها عن غيرها . وكان قد أمر بحفر هذا النهر الأمير سعيد ابن الخليفة عبد الملك الأموي ، وكان رجلاً قتيلاً يلقب بسعيد الخير ، وقد تولى الموصل حيناً من الزمن . وقد وصف المقدسي مدينة الرجبة فقال هي أجل مدن ناحية الفرات ، في الجزيرة ، وكانت دورها « من نحو البادية طيلسان » ولها حصن منيع وريض كبير . أما الدالية فكانت أصغر منها حسنة فوق شرف من الأرض على شاطئ الفرات في غربيه .

وفي البادية ، بين الرجبة والركة : الرصافة - وما زالت بقاياها على أريسة فراسخ جنوب الركة وكانت تسمى رصافة الشام أو رصافة هشام نسبة إلى أبائها^(١) . فقد بنى الخليفة هشام أحد أبناء عبد الملك هذا القصر له في البادية لما وقع الطاعون بالشام اتقاء شره . وكان يسكن في هذا الموضع ملوك غسان قبل الاسلام . وذكر ياقوت ان في الرصافة آباراً طول رشاء كل يثر مئة وعشرون ذراعاً وأكثر . وذكرها ابن بطران الطيب في رسالة له كتبها سنة ٤٤٣ (١٠٥١) بقوله : فيها « بمة عظيمة أنشأها تسطنطين الملك ، طاهرها بالفص المذهب . وتحت البعة صهريج في الأرض على مثل بناء الكنيسة معقود على أساطين الرخام . وسكان هذا الحصن أكثرهم نصارى (في المئة الخامسة = الحادية عشرة) معاشهم تخفيف القوافل وجلب المتاع والصعاليك مع القصوص ، فكانوا يرافقون القوافل في اجنابها البادية إلى حلب . وكان في شرقي الفرات ، بين الركة وقرقيسياء ، على يمين فوق قرقيسياء ، الخاتوقة . وهي على ما ذكر ابن حوقل مدينة « رزحة الحال » . وزاد ياقوت عليه ان بالقرب منها أرض « المنيق » .

(١٠) تلوم اطلال رصافة الشام . وتعرف برصافة هشام ، على نحو عشى كيلو متر من شرق حلب . وقد ورد ذكرها في النصوص الآشورية . وفي سفر الملوك الرابع (١٩ : ١١ - ١٢) . ولم يبق من علم المدينة الا اطلال في صحراء معقرة (م) .

ولم يكن في إقليم الجزيرة اسفل من قرقيسياء ، مدينة ذات شأن غير عانة
وهي اناتو Anatho القديمة وما زالت ترى في الخارطة المصرية^(١١) .
وقد ذكرها ابن سريون فقال ان الفرات يدور بها وتصير جزيرة فيها مدينة . اما ابن
حوقل فقال ان عانة « في وسط الفرات ويطوف بها خليج من الفرات » . وزاد
ياقوت على ذلك ان « بها قلعة حصينة مشرفة على الفرات » والها التجأ القائم
بأمر الله في سنة ٤٥٠ (١٠٥٨) حين استولى البساسيري الدليمي على بغداد^(١٢) .
وأمر بأقامة الخطبة في غيبتها باسم خليفة مصر الفاطمي . وقال المستوفي ان عانة
كانت حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) مدينة حسنة ذات نخيل وفرضها تعرف
بفرصة نعم وهي الى غرب عانة على الفرات في وسط المسافة بين عانة وقرقيسياء
ولعلها عند المنطلع الشرقي للفرات ولكنها لا ترى اليوم بالخارطة . وكانت هذه
الفرصة محطة مهمة عند منقسم الطريق ، فيقطع ايسره البادية مارا بالرصافة ثم
الى الرقة رأسا ويصعد الطريق الايمن مع النهر^(١٣) .

(١١) قلنا : ما زالت عانة قلعة عامرة على الفرات وهي مركز قضاء عانة في لواء الدليم على
٢١٢ كيلومترا شمال الرضائي . وقد ورد اسمها في الكتابات المسبارية بصورة (انات) وفي
المراجع الاخرية بصورة « اناتا » وفي الكتابات المصرية باسم « عانة » وسماها الارامون « عانات » .
قال المستفي موسى في كتابه الفرات الاوسط Musil, The Middle Euphrates
(ص ٢٤٥ - ٢٤٩) كانت عانة المحسكر السابع والشرقي في الطريق الذي انشاء الملك الاشوري
توكلتي نينورتا الثاني (٨٨٩ - ٨٨٤ ق م) . لقد كان محصنة قلعة جزيرة « عانات » في ارض
سوشي وهي « عانة » الوقت الحاضر . وكانت عانة من الاصل تقوم في الجرد الخصبة ولم تكن
في الارض الساقطة على ما هي عليه من امتداد ولم يكن أهلها في مامن من غزوات البدو فقط بل
ان مركزها ساعدتهم على احتياض الجهات المجاورة . ولهذا كان الاشوريون عاده يزلون سادة عانة
مكافأ على ملائمة سوشي . وكان الملك توكلتي نينورتا الثاني قد تسلم الجزيرة من ابلو ايلي
رئيس سوشي الذي كان من بلدة « انات » في وسط الفرات .

ومن اسطول تراسان الروماني بجزيرة « اناتا » في عام ١١٤ م . وفي سنة ٣٦٣ م حاصرها
الاسطول الروماني فاحرقها وحرب أهلها مها . وفي اليوم التالي غرقت عدة سفن من هذا الاسطول
لصحتها سدودا في النهر . وفي أوائل سنة ٥٩٦ م ارسل وراص جيشا الى قرية عانة لصد
كسرى من الرجوع الى بلاد فارس . وفي كتاب الفراج لابي يوسف (ص ١٨٥) من حاله في الوليد
يبدأ عانات فتخرج اليه « بطريقها » فطلب الصلح فصالحه واعطاه ما اراده وقد ورد ذكر عانة في
مؤلفات البلاطين والمؤرخين العرب وغيرهم (م) .

(١٢) الخروفي في التواريخ ان الخليفة نفى الى حدقة الموزة ، وتعرف أيضا بحدقة عانة .
داج مثلا المنظم ٨ : ٩٤ (الدكتور مصطفى جواد) .

(١٣) الاسطوري ٧٧ و ٧٨ : ابن حوقل ١٥٥ و ١٥٦ : المقدسي ١٤٢ : البلاذري ١٧٩ و ١٨٠
و ٣٢٢ : ابن سريون ١٠ و ١٤ : ياقوت ٢ . ٣٤٩ و ٣٨٨ و ٧٦٤ و ٧٨٤ و ٩٥٥ : ٣ : ٥٩٥
و ٨٧٦ : ٤ : ٦٥ و ٩٠ و ٨٤٠ : المستوفي ١٣٩ و ١٦٦ .

وكان على الفرات فوق الرقة ، ثلاث مدن وهى : بالس ، وجسر منبج
وسيساط . وقد كانت تحسب جميعا من أعمال الشام فى الغالب ، لوقوعها فى
يمين الفرات ، أى فى جانبه الغربى . وإن عدّها أكثر المؤلفين من أعمال الجزيرة .
وكانت بالس فى غرب الرقة عند حد ارض صفين حيث يتجه الفرات شرقا بعد
جريانه الى الجنوب . وهى بربلسس (Barbalissus) عند الرومان ، وكانت
فرصة عظيمة لأهل الشام على الفرات ، ومن ثم كانت مركزا لكثير من طرق
القوافل . وقد وصف ابن حوقل مدينة بالس فقال « عليها سور ازلي ولها بساتين
فيما بينها وبين الفرات . وأكثر غلاتها الفصح والشعير » . وهى وإن كان الخراب
قد امد إليها ، فقد قال المقدسي فى الملة الرابعة (العاشرة) انها ما زالت
عامرة . على ان ياقوت الحموي ذكر ان الفرات فى الملة السابعة (الثالثة عشرة)
« لم يزل يشترق عنها قليلا قليلا حتى صارت بينهما فى أياما هذه أربعة أميال » .
ولمّح ابو الفداء الى بالس فقال انها « بلدة كانت مسكونة » .

وجسر منبج ، على الفرات ومنه يصمد طريق يفرّج الى منبج « هيرابوليس »
(Hierapolis) من أعمال حلب وكانت موصفا ذا شأن فى القرون الوسطى .
وعند الجسر « قلعة حصينة تحتها بضع عامر مطلة على الفرات » . ويقال لهذه
القلعة قلعة النجم لأنها على جبل وكانت تسمى أيضا حصن منبج . ولما مرّ ابن
جبير بقلعة النجم وهو آت من حران فى سنة ٥٨٠ (١١٨٤) قال « حولها ديار بادية
وفيها سوق » . وقال ابو الفداء ان بناء القلعة « صار يعرف بقلعة نجم وهو من
بناء السلطان (نور الدين) محمود بن زنكى وكانت مسلحة تشدد النكير على ما
فى يد الصليبيين من مدن » . وذكر القزويني ، وقد كتب فى النصف الاخير من
المة السابعة (الثالثة عشرة) ، حكاية طويلة عن « طائفة يتعمنون أنواع القمار .
فاذا راوا غربيا أظهروا انهم مرمدين (كذا) ويلميون دونيا ليظن الغرب انهم
فى طبقة نازلة يطمع فيهم ويخرجون المال اذا تمرروا من غير اكرات فتتوق نفس
الغريب ان يلعب معهم فكلما جلس لا يتركونه يقوم ومعه شيء حتى سراويله .
وربما استرهنوا نفسه ومنموه من الذهب حتى يأتى أصحابه ويؤدّون عنه
ويخلصونه » .

وسيساط ، وهى سموساطا (Samosata) عند الرومان ، أعلى هذه المدن على الفرات فى صفته اليمنى أى الشمالية ، وعند هذه المدينة ينحرف النهر الى الغرب . وقد كانت قلعة حصينة مكيئة . وذكر المسعودى ان سميساط كانت تعرف أيضا بقلعة الطين . وروى ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ان « شقا من قلعها يسكنه الارمن » . ويحسن بنا أخيرا ان نذكر مدينة سروج استكمالاً ، وصفنا من مدن ديار مصر . فقد كانت فى نحو نصف الطريق الضارب شمالاً من الرقة ، قاطعا البرية الى سميساط . ويكون هذا الطريق وترا لصف الدائرة المغلقة الى يؤلفها محرى الفرات . وكانت سروج أيضا على طريق القوافل من حران والرها الى جسر منبج . وقد قال فيها ابن حوقل انها مدينة عامرة خصبة ، وأبدى ياقوت فى ذلك دون ان يزيد شيئاً^(١٤) .

اما مدن ديار بكر ، وهى اصغر الديار الثلاث التى يتألف منها اقليم الجزيرة ، فان كلها على دجلة الأعلى أو فى شماليه . وكانت فصبة هذه الديار : آمد ونكتب أحيانا حامد وهى آمد (Amîdā) عند الرومان . وتم اشتهرت بعد تلك الازمان باسم ديار بكر ، وهو ما تعرف به اليوم أيضا . وقيل لها أيضا قره آمد (أى آمد السوداء) لان حجارة بنائها سود .

ومدينة آمد ، فى غربى دجلة أى بينه ، ويطل عليها جبل علوه مشة فامة^(١٥) . قال ابن حوقل « عليها سور اسود من حجارة الارحية » . ووصف المقدسى آمد فقال « بلد حصين حسن عجيب البناء على عمل انطاكية ... له أبواب وعليه شرف بنه وبين الحصن قضاء ، نشأت فيه أرباض بعد ذلك . وفى آمد عيون . وأشار المقدسى أيضا الى انها بنيت « بحجارة سود صلبة وكذلك أساسات الدور . وفى وسط البلد : الجامع . ولأسوارها خمسة أبواب : باب الماء وباب الجبل وباب الروم وباب التل وباب السر يحتاج اليه وقت الحرب » . وكان بعض

(١٤) الاستغفرى ٦٤ و ٧٦ : ٧٨ : ابن حوقل ١١٩ و ١٢٠ و ١٥٤ و ١٥٧ : المقدسى ١٥٥ : المسعودى ٢١٥٠ : ابن جبير ٢٥٠ : ياقوت ١ : ٤٧٧ : ٣ : ٨٥ و ١٥٦ : ٤ : ١٦٥ : ابن الفداء ٢٣٣ و ٢٦٩ : الغزوينى ٢ : ١٦٠ .
(١٥) هذا ما هو طبعة ابن حوقل الاول . وفى طبعته الثالثة (ص ٢٢٢) ان علوه نحو خمسين غامة (م) .

الحصن - على ما أشار المقدسي في الملة الرابعة (العاشرية) - على الجبل ثم قال : لا أعرف للمسلمين اليوم بلدا أحصن ولا ثغرا أجل منها * في تخوم المسلمين بوجه الروم .
وفي سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) مرّ ناصر خسرو الحاج الفارسي بآمد ودون وصفا دقيقا للمدينة حسبما رآها بنفسه ، فكان طول المدينة ألفي خطوة وعرضها مثل ذلك . وسورها من الحجارة السود يحيط بالبلد المشرف عليه . وعلو هذا السور عشرون ذراعا وتحتة عشر أذرع وأكثر حجارتها ملتصقة ببعضه بعض من غير طين أو جص ، إذ كل حجر منه على قول ناصر خسرو يزن ألف من (١٦)
(وبعادل ذلك نحو ثلاثة أطنان) . وعلى بعد كل مئة ذراع من السور بني برج نصف دائري تنتهي قمته بشرفات من الحجارة السود أنفسها . وقد شيد في عدة أماكن داخل السور مراق من الحجر يصعد بها إلى أعلى السور ، وكان فيه أربعة أبواب حديد تقابل الجهات الاصلية ، يسمى الباب الشرقي باب دجلة ، والشمالى باب الارمن ، والغربي باب الروم ، والجنوبي باب التل . وخارج هذا السور سور آخر من الحجر نفسه علوه عشر أذرع . وفي الفصل بينهما روض كالحلقة عرضه ١٥ ذراعا . وكان من فوق هذا السور شرفات ورفقة للدفاع . وكان له أيضا أربعة أبواب حديد تناظر أبواب السور الداخل . وزاد ناصر خسرو على ذلك انه لم ير امنع من آمد .

وفي وسط المدينة عين يتفجر ماؤها من الحجر الاصم . وهذا الماء من الفزارة بحيث يكفى في إدارة خمس أرحاء ، وهو غاية في المذوبة ، وتسقى البساتين المجاورة من هذا الماء . ومسجدها الجامع جميل البناء وهو من الحجر الاسود كسائر المدينة . وقد أقيم في وسطه أكثر من مئتي سارية من الحجر كل سارية قطعة واحدة . ويعلو هذه السوراء عقود من الحجر نصبت فوقها سوار أقصر من تلك . وجميع سقوف المسجد من الخشب المحفور والمنقوش والدهون . وفي صحن الجامع حوض مستدير من الحجر في وسطه أبواب من النحاس ينفر منه ماء صاف . يبقى الماء في الحوض على مستوى واحد في كل الاوقات . وبالقرب من الجامع كنيسة عظيمة مبني كلها من الحجر وقد فرشت أرضها

(١٦) وفي الترجمة العربية للغصناب (ص ٨) ان كل حجر منه يزن ما بين مئة واثلاث مائة (٢) .

بالرخام • وجدرانها غنية بالزخارف • ورأى ناصر خسرو فيها بابا جميلا من الحديد المشبك يؤدي الى مذبحها لا نظير له •

وقد أيد الملقق المجهول على مخطوطة باريس من كتاب ابن حوقل ما ذكرناه عن روعة مدينة آمد وجلالها في تطبيقاته أيضا • فقد كان هذا الملقق في آمد سنة ٥٣٤ (١١٤٠) وذكر ان أسواقها حسنة عامرة (١٧) • وفي المئة السابعة (الثالثة عشرة) أعاد ياقوت والقزويني أكثر الوصف المتقدم • فقال القزويني في آمد ان دجلة في أيامه « ... محيط بها من جوانبها الا من جهة واحدة على شكل الهلال وانها كثيرة الاشجار والبساتين » وكتب المستوفي بعد ذلك بقرن فقال انها بلدة وسط وكان ما تؤديه لحكومة الإيلخانيين ثلاثة آلاف دينار (١٨) • واستولى تیمور عليها في ختام هذا القرن (١٩) •

وفي شمال آمد على مقربة من أحد السواحد الشرقية في أعالي دجلة • مدينة حائي • ذكر ياقوت ان • فيها معدن الحديد ومنها يجلب الى سائر البلاد • • وذكر المستوفي مدينة حائي أيضا • وعلى بعد قليل من غربها • اصل دجلة العراق فانها تخرج من تحت كهف الظلمات ماء أخضر • على حسب وصف المقدسي • وقال « أول مدها - أي دجلة - لا تدير أكثر من رحى واحدة • أول ما يختلط بها نهر الذئب • وهو نهر الكلاب عند ياقوت على ما يظهر • وكان يخرج من الجبال قرب شمشاط شمالي حائي • وأول مخرج دجلة فيما قال ياقوت • على مسيرة يومين ونصف من آمد • من موضع يعرف بهلورس • وهو الموضع الذي استشهد فيه علي الارمني • • وتكلم أيضا على الكهف المظلم الذي يخرج منه ماءه • وذكر المقدسي وياقوت اسماء سواقي ورواض وانهار كثيرة ليس من الهين التوفيق بين اسمائها التي سردها المقدسي وسردها ياقوت في كلاميهما عليها • ولعل هذه الاسماء تبدلت تبدا كبيرا فيما بين المئة الرابعة والمئة السابعة (العاشرة والثالثة عشرة) •

(١٧) من التليق المذكور خلاف ذلك • في الصفحة ٢٢٣ من الطبعة الثانية لابن حوقل ما يأتي : « لم يبق بانوارها حانوت فضلا ان يقال مسكون » (م) •

(١٨) في الاصل الفارسي لفظة القلوب (م) ١٠٣ من طبعة لسترنج • • في هزار دينار • وعندما ثلاثون الف دينار (م) •

(١٩) الاسطخري ٧٥ : ابن حوقل ١٥٠ و ١٥١ : المقدسي ١٤٠ : ناصر خسرو ٨ : ياقوت ١ : القزويني ٣٣١ : المستوفي ١٦٥ : علي اليزدي ١ : ٦٨٢ •

وعلى شيء يسير أسفل من آمد ، يشرق نهر دجلة فيكون على هيئة زاوية قائمة ثم ينصب فيه من شماله نهر يقال له نهر الرمس أو نهر الصلب ، غير أن أعظم الانهار المنصبه فيه : النهر المنحدر من شمال ميفارقين ، وينفج منه نهر يسقى هذه المدينة وهو نهر سائيدا أو سائيدما وكان أحد فروعه يسمى وادى الزور الاخذ من اتجاه كلك . اما نهر سائيدا ، فأول مائه من دهب الكلاب . وانما سمي بذلك ، على ما ذكر ياقوت ، لأن الروم قتلهم انوشروان ، قتل الكلاب ، وقد وقعت هذه الحادثة قبيل مولد النبي محمد . ونهر سائيدا هذا الذى ذكره ابن سراييون هو ما سماه المقدسى بنهر المسويلات وهو المعروف اليوم باسم بلمان صر وأحد روافده على ما بيننا يتحدر من ميفارقين^(٢٠) .

والظاهر ان ميفارقين العربية تحريف لاسم مفركت (Maypharkath) الارامى أو موفركن (Moufargin) الارمنى . وسماها اليونان مرتيروبولس (Martyropolis) . وقد ذكرها المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) فقال : بلد طيب حصين له شرف وفصيل بحجارة وخذق بها ريش فيه الجامع . . ولكن المقدسى لمح الى انها : قلعة البسائين . . وزار ناصر خسرو ميفارقين فى سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) وتكلم على المدينة قائلا ان عليها سورا عظيما من الحجر الابيض الذى يزن الحجر منه خمسة من (نحو طن ونصف طن) . وبينما كانت آمد مبنية بالحجر الاسود ، على ما قد بينا ، كانت مباني ميفارقين كلها من الحجر الابيض . وكان سورها فى أيامه كأنه بني اليوم . وفى أعلاه شرفات . وعلى يمد كل خمسين ذراعا منه برج عظيم من الحجر الابيض نفسه . ولهذه المدينة باب من ناحية الغرب ركب فيه باب من حديد لا خشب فيه . وكان فيها على ما ذكر ناصر خسرو مسجد جامع حسن البناء ومسجد ثان فى الرضى ظاهر المدينة يقوم فى وسط الاسواق ويليه بساكن كثيرة . وزاد على ذلك ان فى ناحية الشمال ، على شيء يسير من ميفارقين ، مدينة أخرى تسمى المحدثه ، بها مسجدها الجامع وحماماتها وأسواقها . وعلى اربعة فراسخ من ميفارقين مدينة النصرية بناها مرداس

(٢٠) ابن سراييون ١٧ و ١٨ ، المقدسى ١٤٤ ، ياقوت ٢ : ١٨٨ و ٥٥١ و ٥٥٢ و ٦٣ ج ٩٥٦ : ٣ : ٧ و ٤١٣ : ٤ : ٣٠٠ و ٩٧٦ ، المستوفى ١٦٥ .

أمير نصر الملقب بسبل الدولة^(٢١) .

واسهب ياقوت والقزويني في حديثهما عما كان في ميفارقين قديما من مختلف البيع وعن أبراجها الثلاثة وأبوابها الثمانية . وقال ياقوت ان اسمها عند الروم مدور صالا ومناه بالعربية مدينة الشهداء . ويرجع تاريخ هذه المباني الى ايام الملك ثيوديسيوس . وكان بها من بقايا هذه البيع حتى المئة السابعة (الثالثة عشرة) بيعة « من عهد المسيح » . وفي برج في الركن الغربي القبل في أعلاء صليب منقور كبير يقال انه مقابل البيت المقدس . وعلى بيعة القيامة في البيت المقدس صليب مثل هذا مقابله ويقال ان صائهما واحد . . والى ذلك فقد « كان في المحلة المعروفة بزقاق اليهود في ميفارقين قرب كنيسة اليهود جرن من رخام اسود فيه منطقة زجاج من دم يوشع بن نون وهو شفاء من كل داء جني به من روبة الكبرى » . ولما انتقلت ميفارقين في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) الى يد المغول كانت ما زالت موضعا ذا شأن . وقد أطرى المستوفى طيب هوالها ووفرة فأكبتها^(٢٢) .

وارزن ، على شيء يسير من ميفارقين ، على الضفة الغربية لنهر أو واد يقال له سربط . ولأرزن حصن عظيم منع . وقد زارها ناصر خسرو في سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) فقال انها مدينة عامرة فيها أسواق حسنة وتحف بها بساطين ياتمة كثيرة الماء . وذكر ياقوت مدينة أرزن (ولا يخلط بينها وبين أرزن الروم أو ارشروم التي منصفها في الفصل الآتي) بقوله : « بلئنئ ان الخراب ظاهر فيها الآن » . غير ان المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) - وقد كتبها بصورة ارزنه - تكلم عليها بما يستدل منه على انها ما زالت بلدا مزدهرا عامرا .

وعلى الضفة الفرات الجنوبية ، بين مصبي النهرين الآتين من شمال ميفارقين وارزن ، حصن يعرف بحصن كيافا . وسماه الروم كيفس (Kiphas) أو كيافي

(٢١) ما في الترجمة العربية لسفرنامه ان الامير الذي يسى النصرة (وجأت في الترجمة : الناصرية) هو « الامير الاعظم عز الاسلام محمد الدين نصر الدولة وشرف الملة ابو نصر احمد » (م) .
(٢٢) ابن جوفل ١٥١ : للمدني ١٤٠ : ناصر خسرو ٧ : ياقوت ٤ : ٧٠٣ - ٧٠٧ : القزويني ٣٧٩ : المستوفى ١٦٧ .

(Gephe) • ووصف المقدسي حصن كيفا بأنها « كثيرة الخبز وبها قلعة حصينة وكنايس كثيرة » • وتكلم الملق المجبول على مخطوطة ابن حوقل الذي أشرنا اليه قبل ، وقد كتب تعليقاته في المثة السادسة (الثانية عشرة) على قطرة كانت • بين يديها على دجلة ، استحدثها الأمير قنبر الدين قرا ارسلان في سنة ٥١٠هـ (١١١٦) وتحتها ريف عامر فيه الاسواق والقنادق والمساكن الحسنة وبنائهم بالحجر والجص • ولها رساتق كثيرة وضياح عامرة وهي وخمة الهواء وبينة لاسيا في الصيف • وذكر ياقوت حصن كيفا وقد زارها فقال : « بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة وهي كانت ذات حائنين ، وعلى دجلة قطرة لم أر في انبلاد التي رأيتها أعظم منها » وهي طاق كبير فوقه طاقان صغيران ، وعلى ما يظن انها كانا يتومان على دعامة في وسط النهر قسمت دجلة الى قسمين^(٢٢) • ووصف المستوفي حصن كيفا بعد ذلك بقرن بأنها مدينة عظيمة ولكن الخراب ظاهر فيها وان كانت أهلة بالناس حينذاك •

اما التل المعروف بتل فافان ، ففي أسفله مدينة بهذا الاسم على ضفة دجلة الشمالية أي اليسرى ، على نحو خمسين ميلا شرق حصن كيفا حيث ينمطف النهر انعطافا عظيما نحو الجنوب • وكان حول المدينة ، على ما ذكر المقدسي ، في المثة الرابعة (العاشرة) ، سياتين • وأسواقها عامرة وبنائوها وان كان من طين الا ان اسواقها كانت مغطاة ، والنهر الذي يلتقي بدجلة عند تل فافان ينحدر من بدليس (بتلس) ومخرجه في جبال ارمينية جنوب غربى بحيرة وان • ويقترن بهذا النهر رافد عظيم ينبع من جنوب البحيرة سماء المقدسي وياقوت : وادى الرزم • ويصير دجلة اسفل اقترانهما في مجرى واحد صالحا لسير السفن • وعلى ضفاف نهر الرزم شمال تل فافان وفوق مصب نهر بدليس فيه ، مدينة سمرت أو سمرد أو اسمرت • وكانت تمتد في الغالب من أعمال ارمينية • أشار اليها ياقوت غير مرة ولكنه لم يصفها • على ان المستوفي قال في سمرت انها مدينة

(٢٢) اما وصف ياقوت لهذه القطرة (٢ : ٢٧٧) بهذا تصه • وهي طاق واحد يكنته طاقان مصيران • (م) •

عظيمة مشهورة بآتيها النحاس الفاخرة التي يستعها الصغارون هناك ، وبإدراج
الشرب التي تجلب منها . وكان يقرب اسعرت ، على ما ذكر القزويني ، ببلدة
يقال لها حيزان ، وبها الشاه بلوط وليس الشاه بلوط في شيء من بلاد
الجزيرة . . . والمراق الا بها (٢٤) .

(٢٤) الاسطرخ ٧٦ / زين سويل ١٥٢ / المندبي ١٤١ و ١٤٥ ، ناصر خسرو ٧ / ياقوت
١ : ٢٠٥ ؛ ٢ : ٢٧٧ و ٥٥٢ و ٧٧٦ ؛ ٣ : ٦٨ و ٨٥٤ ؛ القزويني ٢ : ٢٤١ ؛ المستوفى ١٦٥ و ١٦٦ .
جاء اسم نهر رزم بصور مختلفة في المخطوطات فكيف فيه : رزم و رزب او رزب ولا يعرف
الوجه الصحيح في تهجئته .

الفصل الثامن

الفراتُ الأعلى

الفرات الشرقي أي ارسناس - ملايكرد وموش - شمشات وحسن زياد أي غروب -
الفرات الغربي - ارنج الروم أي القلعة - اذتيجان وكنج - قلعة ابريق أي
تلوك (Tephrike) - مطبقة وطرفة - ذبيرة والعدث -
حسن منصور وبهنا وطرفة سنجة - تجاراة الجزيرة
وغلانها - السالك

كانت المدن والكور التي تحفّـ صفاف الفرات الاعلى ، الشرقى والغربى
 (فان لنهر الفرات متعين) تعد بوجه عام تايمة لشمالى ما بين النهرين ، بل كانت
 فى الغالب تضاف الى اقليم الجزيرة . والفرات الشرقى هو اقصى الاتيين
 جنوبا ، ويرى بعض اللدانيين انه متع الفرات الاصلى وقد ذكره تاليتس
 (Tacitus) وبلى (Pliny) باسم نهر ارسانياس فلوم (Arsaniyas Flumen)
 وسمى ابن سرايون هذا النهر فى المئة الرابعة (العاشرة) بنهر ارسانس .
 وذكروا ياقوت ايضا بهذا الاسم حتى لكأنه ظل مستعملا حتى المئة السابعة (الثالثة
 عشرة) وقال انه « يوصف ببرودة مائه » . ويعرف هذا النهر اليوم عند الترك
 باسم مراد حو وسمى بذلك ، على ما يقال ، اكراما للسلفان مراد الرابع الذى
 استولى بغداد فى سنة ١٠٤٨ (١٦٣٨) .

ومخرج نهر ارسناس في بلاد طرون ، ويكتب الارمن هذا الاسم بصورة درون (Daron) وعرفها الروم باسم ترونيش (Taronites) وفيها الجبال التي الى شمال بحيرة وان . وأول موضع ذى شأن على نهر ارسناس : مدينة ملازكرد ، وتعرف أيضا حسب لسان هذه الانحاء باسم منازجرود ومنزكرت وملازكرد^(١) . ووصف المقدس ملازكرد في المثة الرابعة (العاشرة) بأنها « حصينة ، الجامع على حافة السوق ، كثيرة البساتين » . وفي منزكرت ، على ما سماها به الروم ، وقمت سنة ٤٦٣ (١٠٧١) وقعة فاصلة بين الروم والمسلمين ، أسر فيها السلاجقة الملك رومانس الرابع (ديوجينس) ، وأدت هذه الوقعة الى فتحهم آسية الصغرى وقرارهم فيها . وأشار ياقوت غير مرة الى منازجرود أو منازكرد . وأطرى المسنوفى ، وقد كتب اسمها بصورة ملازجرود ، حصنها المنيع وهواءها الطيب وأرضها الخصبة . وكانت مدينة موش في جنوب ارسناس في السهل العظيم غرب بحيرة وان ، وتحصن في الغالب من أعمال ارمينية . وقد ذكرها ياقوت ووصفها المسنوفى فقال : فيها مراعى غنية تسقيها انهار تجري شمال الفرات الشرقى وجنوب دجلة ، وكانت المدينة في أيامه خرابا^(٢) .

ويصب في بين نهر ارسناس رافدان ينحدران من الشمال من بلاد قالقلا . وهذان الرافدان مهمان لأنهما يمكناننا من تعيين الموضع التفرعى لشمشاط وهي مدينة ذات شأن قد اختفت من الخارطة . وكثيرا ما يلتبس أمرها بسيشاط التي على الفرات وقد مر ذكرها (ص ١٤٠) وروى ابن سراييون أن الرافد الاول كان نهر الذئب ومخرجه في قالقلا ويصب في ارسناس فوق مدينة شمشاط بشى يسير . والثانى نهر يقال له السلقيط . مخرجه من جبل مرور (أو مزور) ويصب في ارسناس أسفل مدينة شمشاط بميل . وإذا رجعا الى الخارطة رأينا ان هذين النهرين يعرف أحدهما الآن باسم كونك صو (Gunek Su) والثانى بىري جاي

(١) سيذكر المؤلف في الفصل التاسع ، سورة خامسة لاسم هذه المدينة وهي « منسجود » (م) .

(٢) ابن سراييون ١١ : مقدمة ٢٤٦ و ٢٥١ : للمقدس ٣٦٦ : ياقوت ١ : ٢٠٧ : ٤ : ٦٤٨ و ٦٨٢ : المسنوفى ١٦٥ و ١٦٧ .

ويظهر ان الحاج خليفة مؤلف جهان نما ، وقد كتبه في سنة ١٠١٠ (١٦٠٠) ، هو اندم مرانجا الذى سمى الفرات الشرقى مراد صو (ص ٤٢٦) . ولا كان قد كتب كتابه قبل عهد السلطان مراد الرابع ، فان ذلك يثبت ان النهر لم يسم باسم ذلك السلطان على ما هو الشائع .

(Peri Ohay) وبلاد قاليبلا هي منطقة الجبال ، ما بين ارسناس والفرات الغربي ،
والى غربها بلاد طرون .

وكانت شمشاط (شمشاط) اجل مدينة على ارسناس وهو النهر الذي سماه
ابن سراييون نهر شمشاط أيضا . ويبدو ان المدينة كانت على الضفة الجنوبية اى
اليسرى للنهر . ولا ريب ان شمشاط هي ارساموساطا Arsamosata عند الروم .
وذكر ياقوت - وقد نبّه بوجه خاص الى انها غير سمبساط - ان شمشاط بين
بالوبة (بالو الحديثة) وحسن زياد (خربوط الحديثة) وكانت شمشاط فى المئة
السابعة (الثالثة عشرة) حين كتب ياقوت ، قد خربت . وما افادنا به ابن سراييون
وياقوت مكننا من حصر موضعها فى أضيق نطاق . وكان حصن زياد ، وقد ذكر
ابن خرداذبه انه على بعد غير كبير من شمشاط ، الاسم العربى لخربتت المدينة
الارمنية على رأى ياقوت ، وتعرف اليوم باسم خربوط . وأورد المسنوفى هذا الاسم
بصورة خربت ولم يزد على ذلك . وإشارته لا تمدو كونها مدينة كبيرة طيبة
الهواء . وذكر اللاذرى وغيره من المصنفين الاوائل ان فى هذه الارض جسر
يفرا فوق نهر لعله من روافد ارسناس ، وهو من شمشاط على نحو من عشرة
أميال . على ان موضع الجسر الحقيقى غير معروف . ثم ان ارسناس ، اى الفرات
الشرقى ، يحتل بالفرات الغربى على نحو مئة ميل غرب شمشاط^(٢) .

وكان الفرات الغربى يمدّ بوجه عام اصل هذا النهر العظيم ، ويعرف الآن
عند الترك باسم فره صو ، الماء الاسود ، وهو نفسه نهر الفرات عند ابن سراييون .
ذكر ابن سراييون ان اوله من جبل يقال له جبل أقر دُخَس (والظاهر ان هذا
الاسم كتبه المسعودى بصورة افر دُخَس كما وردت صور أخرى له) فى بلاد
قاليبلا شمال ارزروم . وارزروم مدينة جبلية سماها العرب ارض الروم أو
ارض الروم وقد عرفها الارمن باسم كرن Karin والروم باسم ثود سيوبوليس
(Theodosiopolis) وهي المدينة الاسلامية فى بلاد قاليبلا وأكبر مدنها .
والظاهر ان اصل اسم قاليبلا ، وهو ما أكثر البلدان اليونان العرب القدماء من ذكره .

(٢) ابن سراييون ١٠ و ١٣ و ٣٠ : ابن خرداذبه ١٢٢ : البلاذرى ١٨٦ : ياقوت ٢ : ٢٧٦
و ٤١٧ : ٣ : ٣٩٩ : المسنوفى ٢٦٢ .

غير معروف • الا انهم يجمعون على انها كانت البلاد التي يخرج منها الفرات الغربي ونهر الرس (Araxes) وروافد ارسناس • ولم يأت البلدانون العرب الاّول بشيء من التفصيل عن مدينة ارزروم ما عدا قولهم انها كانت مدينة عظيمة • وقال المستوفى ان فيها كثيرا من البيع الحسنة • كان لاحداها برج خاص بقبة قطر دائرتها خمسون ذراعا • وكان يازاه هذه الكنيسة جامع شيد على غرار الكعبة في مكة • ووصفها ابن بطوطة • وكان في ارز الروم (حسبما كتب الاسم) • في سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) • بانها • مدينة كبيرة الساحة من بلاد ملك الراق • خرب أكثرها • وفي أكثر دورها يسائين ويسقيها ثلاثة انهار • • وعلى ثمانية فراسخ شرق ارزن الروم : أونيك وهي قلعة عظيمة فوق قبة جبل بالقرب من أحد منابع نهر الرس • وقال المستوفى ان المدينة التي في لطفه كانت تسمى ايسخود (أو ايشخود) وكانت من أعمال ارزن الروم • وزاد ياقوت على ذلك ان كورتها كانت تسمى ياسين • وفي ختام الملة الثالثة (الرابعة عشرة) استولى تيمور على اونيك بعد حصار مديد • وقد ذكرها في أخبار حروبه •

وعلى نحو شى ميل غرب ارزن الروم • في ضفة الفرات اليمنى • أى الشمالية • مدينة ارزنجان • قال ياقوت انها غالبا ما تسمى ارزنكان • وتكلم عليها قائلا • هى بلدة طيبة مشهورة نزهة كثيرة الغيرات وغالب أهلها أرمن • وشرب الخمر بها ظاهر وفيها مسلمون • • وزاد المستوفى عليه ان السلطان علاء الدين كيقباد السلاجوقى قد جدد عمارة أسوارها في ختام^(٤) الملة السابعة (الثالثة عشرة) فبناها من حجارة مهندمة متلاحمة • وارزنجان ذات هواء طيب ويكثر فيها القمح والقطن والنب • وأشار ابن بطوطة • وقد مرّ بها في سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) • الى ان • أكثر سكانها الارمن والمسلمون يتكلمون بها بالتركية • وفيها معادن النحاس ويصنعون منه الاواني وغيرها • ولها أسواق حسنة الترتيب ويصنع بها ثياب حسان • تنسب لها • • وذكر ياقوت بابر في شمال ارزنجان وقال انها مدينة حسنة أكثر أهلها أرمن • وقد زاد المستوفى عليه ان شأنها ضؤل في أيامه • وقلعة كشمخ

(٤) ملا السلطان تولى سنة ٦١٦ وتوفى سنة ٦٣٤ • فيجب ان يكون قد جدد الأسوار في أيام سلطنته • فهو لم يبلغ منتصف القرن السابع فضلا عن ختامه (الدكتور مصطفى جواد) •

(كَمْشَح) على الفرات الغربى على مسيرة يوم أسفل من اوزتجان فى يسار النهر
أى فى ضفته الجنوبية • وقد أكثر ذكرها ابن سراييون وغيره من البلدانين العرب
الاقدمين • وهى كمخا (Kamoha) عند الروم • وقال المستوفى انها قلعة عظيمة
فى أسفلها مدينة على ضفة النهر • وكان من أعمالها كثير من القرى الخصبة^(٥) •
وعلى ستين ميلاً أو أكثر غرب كمخ يزور الفرات جنوباً بعد ان كانت
وجهة مجراه من ازرورم نحو الغرب • ويصب فى ضفته اليمنى هنا نهر سماه
ابن سراييون نهر ابريق نسبة الى قلعة ابريق القائمة فى أعاليه • وهذا هو النهر
المعروف الآن بنهر جلته ايرقى الآتى من دوريك أى دوبريكى • وجاء الاسم
فى المستوفى وابن بيسى بصورة دفرىكى • وقد كتبه الروم بصورة تفريك
(Tephrike) (وذكر الاسم أيضاً فى المخطوطات اليونانية بصورة افريك
(Aphrike) وقد اختصر البلدانون العرب القدماء هذا الاسم فجعلوه بصورة
ابريق • واشتهر هذا الموضع فى ختام المئة الثالثة (التاسعة) بكونه معقلاً عظيماً
للبائفة (Paulicians) وهم فرقة غريبة من فرق نصارى الشرق ومذهبهم
بين النصرانية والمجوسية • فاضطهدهم بسبب ذلك ملوك القسطنطينية الارثوذكس
اضطهاداً شديداً • وكانوا على المذهب الذى أحدثه بولس الشمشاطى • وعرفهم العرب
بالبائفة • وقد استولى البائفة على تفريك وحصنها • وكان الخلفاء يؤازرونهم
ويصونهم فتمكنوا من رد جنود القسطنطينية بضع سنين • وذكر قدامة والمسعودى
وهما من زمن واحد تقريباً ان « البلقانى صاحب مدينة ابريق » • وانتهى اليها
من علي الهروي^(٦) (وقد نقل منه ياقوت) وهو من كتبه المئة السابعة (الثالثة

(٥) ابن سراييون ١٠ : ابن رسته ٨٩ • ابن خردادبه ١٧٤ : للمسعودى ١ : ٢١٤ : السنييه
٥٢ : ياقوت ١ : ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٤٠٨ و ٤٤٤ : ٣ : ٨٦٠ : ٤ : ١٩ و ٣٠٤ : القزوينى
٢ : ٣٧٠ : المستوفى ١٦٢ و ١٦٣ : فى الزيدى ١ : ٦٩١ : ٢ : ٢٥٢ و ٤٠٣ : ابن بطوطة
٢ : ٢٩٣ و ٢٩٤ •

(٦) هو على بن بكر بن على • الهروي الاسم • ولد فى الموصل وعاف الى اتجاه الشرق
الاسلامى وفى الهند وفى القسطنطينية والمغرب وصقلية وغيرها من جرائر البحر المتوسط • وقد عرف
بالمسلح الهروي • ألف كتاب « الانشادات الى معرفة الزيارات » وقد طبع سنة ١٩٥٣ • وله غير
ذلك من المؤلفات الهلالية وقد نقلت - مات سنة ٦١١ للهجرة • وعنه نقل ياقوت فى جملة مواطن
من معجم البلدان • (م) •

عشرة) حديث غريب عن كهف عظيم وكنيسة قرب الابروق (بحسب تسمية ياقوت) فيه جثث جماعة من الشهداء ، وهم على زعمه اصحاب الكهف السبعة فى افسوس .

وعلى شئ يسير من جنوب جلته ايرمق وديوريك ، يلتقى نهر صادي جيبيك هو والفرات ، وعليه قلعة عرب كير . والظاهر ان هذا الموضع لم يشر اليه أحد من البلدانين العرب القدماء ، وان كان ابن يبيى قد ذكره غير مرة فى تاريخه عن السلاجقة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . ويرى الاسم أيضا فى التواريخ البيزنطية بصورة (Arabracas) . وعلى كل حال فان عرب كير لا تمثل ابريق وتفريك كما توهم فى ذلك بعضهم . والظاهر ان اقدم ذكر لاسم عرب كير أو عرب كير عند بلدانى مسلم ، فى جهان نما التركية للحاج خليفة ، فى مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) . وقد ذكر أيضا ديوريكى (على ما تسمى المدينة اليوم) . وما يؤسف عليه انه لم يتت البنا وصف ما عن حصن الباقلة القديم (٧) .

وملطية ، وقد سماها الروم ملتين (Melitene) كانت فى الازمنة الخالية من اجل الثور الاسلامية امام الروم . روى البلاذرى انه كان لها مسلحة تحمى الجسر الذى على ثلاثة أميال منها ، وهناك يقطع الطريق العام نهر القباقيب بالقرب من ملتقاها بالفرات . والقباقيب هو النهر المعروف عند الروم باسم ملاس (Melas) ويسميه الترك اليوم طوخمه صو . ومنبعه فى غرب ملطية بعيدا عنها فى الجبل الذى منه يخرج نهر جيحان . وهو نهر بيرامس (Pyramus) القديم وينحدر نحو الجنوب الغربى (على ما سنبينه فى الفصل الآتى) الى البحر المتوسط فى خليج اسكندرون . ونهر القباقيب أهم روافد أعالي الفرات بعد ارسناس . ولنهر القباقيب نفسه روافد كثيرة ذكر ابن سراجيون اسماءها . وقد أمر الخليفة المنصور فى سنة

(٧) ابن سراجيون ١١ و ٣١ : مقدمة ٢٥٤ : المسعودى ٨ : ٧٤ : التنبيه ١٥١ و ١٨٣ : ياقوت ١ : ٨٧ : ابن يبيى ٢١٠ و ٣١٨ : المستوفى ١٦٢ : جهان نما ٦٢٤ .
انظر أيضا JRAS لسنة ١٨٩٠ ص ٧٤٠ والتصحيحات فى JRAS لسنة ١٨٩٦ ص ٧٣٣ .

١٣٩ (٧٥٦) بتجديد بناء ملطية وبناء مسجد حسن فيها وبنى لها مسلحة اسكنها اربعة آلاف مقاتل . ووصفها الاصطخرى^(٨) فى المثة الرابعة (العاشرة) بقوله :
 • مدينة كبيرة وتحف بها جبال كثيرة بها ملح الجوز واللوز والكروم وسائر الثمار الشتوية والصيفية • وقد تعاورتها غير مرة ايدى الروم والمسلمين • وعدتها ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشر) من بلاد الروم • وتكلم المستوفى بعده بقرن على ملطية فقال انها مدينة حسنة ذات حصن منع • وكانت مراعيها مشهورة ويكثر فيها القمح والبطن والفواكه • وكان على قمة جبل قرب ملطية دير يسمى دير برصوما ، وصفه القزوينى فقال انه دير معتبر عند النصارى وفيه كثير من الرهبان •

وحسن طرنده ، درنده الحديثة - وجاء فى جهان نما بهذه الصورة -
 فى أعلى نهر القباب على مسيرة ثلاث مراحل فوق ملطية • وكانت فيه مسلحة اسلامية لحماية الدرب منذ سنة ٨٣ (٧٠٢) ولكن المسلمين تخلوا عن هذا الحصن فى سنة ١٠٠ (٧١٩) بأمر الخليفة عمر الثانى (عمر بن عبد العزيز) وذكرت النوارخ الزنطية هذا الموضع غير مرة باسم ترنة (Taranta) وقد كان فى المثة الثالثة (التاسعة) من أقوى حصون البيلاقة^(٩) •

ولهر قباب راند كبير هو نهر قراقيس ويصب فيه من جنوبه • وفى أعالي قراقيس حصن زبطرة العظيم ويقال له عند الروم سوزبطرة (Sozopetra) أو زبطرة (Zapetra) ولعل أطلاله هى ويران شهر على بضعة فراسخ جنوب ملطية على نهر سلطان صو وهو الاسم الحديث لقراقيس • وتكلم البلاذرى والاصطخرى على زبطرة فذكرا انها حصن عظيم • من أقرب الثغور الى بلد الروم • خربة الروم غير مرة ثم بناء الخليفة المنصور وبعده المأمون • وقد جمع

(٨) ما نسبته المؤلف للاصطخرى انما هو لاين حوقل من ١٨١ من الطبعة الثانية • (م)
 (٩) ابن سرايورد ١٠ و ١٢ و ١٣ ؛ البلاذرى ١٨٥ و ١٨٧ ؛ الاصطخرى ٦٢ ؛ ابن حوقل ١٢٠ ؛ ياقوت ٤ و ٢٦ و ٢٦٣ ؛ المستوفى ١٦٣ ؛ القزوينى ٢ و ٣٥٦ ؛ جوهان سا ٦٢٤ •
 اما ملطية المدينة فهى على فرسخين من جنوب الحصن الذى كان فى المنصور الوسطى •
 واطلال المدينة القديمة فى اسنى شهر على فرسخ من الجسر القديم المسى مرقز ، وهو يطلو نهر طرخنه صو فوق ملتاه بالقرات بقليل •

ياقوت وغيره من الثقات بين اسمي زبطرة وقلمة الحدث التي سذكرها قريبا .
 واشتهرت زبطرة أو سوزبطرة في التواريخ العربية والبرزطية باستيلاء الملك
 ثيوفيلس (Theophilus) عليها واستعادة الخليفة المتصم لها في حملته على
 عمورية ، على ما سيأتي ذكره في الفصل القادم . وظلت زبطرة وقتا طويلا موضعا
 ذا شأن . الا ان ابا الفداء حين زارها في سنة ٧١٥ (١٣١٥) قال : ان زبطرة
 اليوم خراب خالية من الزرع والسكان ولم يبق منها غير رسم سورها وليس
 بالكثير ، . حتى ان ابا الفداء اصطاد « من ارض زبطرة بين شجر البلوط سيوداً
 كثيراً وهي أرناب كبار الى الغاية لا يوجد في الشام أرناب تفاريهن في القدر » .
 وقال : هي في الجنوب من ملطية على نحو مرحلتين وهي في جهة الغرب عن
 حصن منصور ، الذي سنصفه فيما يأتي (١٠) .

وقلمة ألدت وهي اداثا (Adatha) عند الروم ، قد اسنولى عليها المسلمون في
 أيام الخليفة عمر ولها ذكر كثير في الاخبار . ومعنى « الحدث » في العربية
 « الخبر » ، ولا سيما « الخبر المحزن » . وقال البلاذري ان الدرب ، وكان يقال
 له درب الحدث ، قد سمي بدرب السلامة بعد استيلاء المسلمين على هذا الحصن .
 وعلى كل فان اسم درب السلامة على ما سنبينه في الفصل الآتي يطلق في الغالب
 على طريق القسطنطينية الذي يجتاز الابواب القليقية . وكان في الحدث جامع .
 وقد جدد الخليفة المهدي عمارة الحدث في سنة ١٦٢ (٧٧٩) ثم أعاد هرون
 الرشيد عمارتها واسكنها الذي مقاتل من جنده . ونوه الاصطخري بكثرة خيراتها .
 وروى ان الروم والمسلمين قد تناوبوا الاستيلاء عليها غير مرة . وعلى ما ذكر ياقوت
 وغيره كان يقال للحدث : الحمراء ، لاحمرار تربتها وقلمتها على جبل يقال له
 الاحديب . وفي سنة ٣٤٣ (٩٥٤) بعد ان تآورتها أيدي المسلمين والروم ،
 استعادها سيف الدولة الحمداني نهائيا فجدد عمارتها ، ثم انتقلت الى يد سمعود
 بن قلع ارسلان السلجوقي في سنة ٥٤٥ (١١٥٠) .

(١٠) ابن سرايرون : البلاذري : ١٦١ : الاصطخري ٦٣ ياقوت ٢ : ٩١٤ : أبا الفداء ٢٣٤
 لقد بحث في تحقيق موقع زبطرة والحدث : المسير جي . جي . س . الدرمن .
 J.G.C. Anderson في مجلة Classical Review نيسان ١٨٧٦ لي بحثه عن صلة
 باسيل الاول على الببالمة في سنة ٨٧٢ م .

وكان النهر الذى تقوم الحدث بالقرب منه يسمى جوريت أو حوريت ، وهو النهر الذى حمله ابن سراييون وهما رافداً من روافد الشافب (نهر ملطبة) • ولكن ياقوتا الحموى وقد كتب اسمه بصورة حوريت اصاب فى قوله انه « يصب فى نهر جيحان » وهو برامس • وأفاد ابن سراييون ان اول نهر الحدث عين يقال لها عين زينا ، يصب الى بحيرات ويسمى بالقرب من مدينة الحدث • وقال أيضا « انه يصب الى حوريت نهر يقال له نهر العرجان أوله من جبل الرمش ومن العرجان قناة الحدث واليه تصب » • وتكمل هذا الكلام بقول ابى الفداء : « بين الحدث وبين مخاض الملوى على نهر جيحان انا عشر ميلا » • ولستنا على يقين من موضع الحدث ولعلها كانت تحمى الدرب من مرعش (جرمانيقية Germanicia) الى البسان (عرسوس Arabissus) وهى على ضفاف آق صو الحالى قرب انكلى • وآق صو أحد منابع جيحان^(١١)

وكان كل من حصن منصور وقلعة بهستا (وهى ما زالت) على نهر له • وهذان النهران من الروافد البنى للفرات ويصان فيه أسفل سميحاط • ويقال لحصن منصور اليوم فى الغالب أديمان وكان يسميه الروم برها (Perrha) وقد نسب هذا الحصن الى بانيه منصور القيسى وكان تولى بناء عمارته ومرمته • وهو من قادة الجند فى خلافة مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية وقد قتل فى سنة ١٤١ (٧٥٨) • ثم ان هرون الرشيد بنى حصن منصور وأحكمه وشجته بالرجال فى أيام ابيه المهدي • وقال فيه ابن حوقل انه « مدينة صغيرة حصنة فيها منبر ولها رستاق وقرى برسمها اعزاء »^(١٢) • وذكر ابن حوقل انه قد اصاب هذه المدينة ما اصاب غيرها من الثغور من نهب وتخريب لتعاور ايدى الروم والمسلمين لها • وزاد ياقوت على ذلك ان حصن منصور كان « مدينة عليها سور وخندق وثلاثة أبواب وفى وسطها حصن وقلعة عليها سوران » • وذكر ابو الفداء فى الملة الثامنة (الرابعة عشرة) حصن منصور فقال « هو الآن خراب ولكن به مزدرع » •

(١١) البلاذرى ١٨٩ - ١٩١ : ابن سراييون ١٤ : الاصطخرى ٦٢ • ابن حوقل ١٢٠ : ياقوت ٢ : ٢١٨ : ٤ : ٨٢٨ : أبو الفداء ٢٦٣ •
(١٢) المذنب بالكسر ويفتح : الزرك الذى لا يسبقه الا لطر (تاج العروس ١٠ : ٢٢٨) • (م) •

وينحدر النهر الازرق الى شمال غربي حصن منصور وهذا الحصن « في مسو من الارض » فوق الفرات والفرات يحاذي حده الجنوبي « اما قلعة بهسنا » وجاء ذكرها في أخبار الحرب الصليبية باسم بهسندن (Behesdin) « فهي في غرب حصن منصور ورستانها هو رستان كيسوم » وكانت بهسنا على سن جبل عال « وبالبلدة التي تحتها » مسجد جامع ولها أسواق عامرة وما حولها ارض واسعة الخبز والخصب « وتكلم ياقوت عليها فقال انها قلعة حصينة عجيبة « وعلى نهر سنجة القريب منها » وهو ما اسماء الروم سنكر Singar كانت سنجة وهي مدينة صغيرة بقريةا خطيرة مشهورة على هذا النهر متخذة بحجر مهديم وهي طاق واحد « ليس أعجب ولا أعظم منها ويشرب بها المثل » هي احدى عجائب الدنيا « على قول ابن حوقل « وقد تكلم ياقوت على نهرى سنجة وكيسوم وقال انهما من روافد الفرات » وأورد وصفا لهذه القنطرة المتطلة جاء به انها « طاق واحد من الشط الى الشط والطاق يشتمل على مئتي خطوة وهو متخذ من حجر مهديم طول الحجر عشر أذرع في ارتفاع خمس أذرع « ولم يذكر تخنها « وقال أيضا انه استعين في بنائها بطلمس^(١٣) »

(١٣) البلاذرى ١١٢ ' الاصطخرى ٦٢ ؛ ابن حوقل ١٢٠ ' ياقوت ١ : ٧٧٠ ، ٢ : ٢٧٨ ، ٣ : ١٦٢ و ٨٦٠ ؛ أبو الفداء ٣٦٥ و ٢٦٩ .

تذكر قنطرة سنجة دائما بانها احدى عجائب الدنيا الاربعة « اما الثلاث الاخرى فهي كسبة الرها ، وقد مر ذكرها ، ومناورة الاسكندرية ، ومسجد دمشق (ياقوت ٢ : ٥٩١) « ومن القريب ان القنطرة قد وهم في موضعها في هذه القنطرة الى على سنجة وهو نهر من روافد الفضة اليمى للفرات ويصب فيه قرب مسيساط بحسب حجب الروايات فخلط بينها وبين قنطرة الصنعية ، وهي دوما شاملا وكانت على الحايوز الصغير اسم روالد دجلة (القنطرة ١٣٦ و ١٤٧ وانظر الصفحة ١٢٢ من كتابا) « ولور سنجة تسمى الآن بلم [بسم اوله وفتح لايه] صو بعد ان بنى كاخته جاي بسم في الفرات من الشمال على بعد قليل فوق مسيساط وهو على ما يظهر نهر سلمة نفسه عند المداين العرب - وقنطرتة العظيمة التي تعد من عجائب الدنيا ما زالت قائمة ، ساهما فيفساد Vespasian وهي طاق واحد مداه (١١٢) قداما تملو بلم صو فوق مدقلى كاخته جاي به « ووصفت بانها من أعجب ما رأى من مبانى الهند الروماني وترى صورتها في المجلة الجغرافية Geographical Journal لشهر تشرين الاول ١٨٩٦ ص ٣٢٢ . وكذلك في بحث مستفيض كتبه هومان Humann وبنخشين Puchstein في كتابها : رحلة في آسيا الصغرى Reisen in Kleinasien راجع الاطراح ٤١ و ٤٢ و ٤٣ قه « (انبت ساشية المؤلف) «

فتنا : اما الطلمس الذي اشار اليه ياقوت (٣ : ١٦٢) بهذا قوله فيه « وسكنت عه « (أى عن الطاق) المعجزة - والمعونة على روابها - ان منهم طلمس على شيء كاللوح مائل عاب من القنطرة

وفي إقليم الجزيرة أى إقليم ما بين النهرين الأعلى ، تجارات سرد المقدسي صنوفها وأكثرها من حاصلات أرضه . فقال : ترتفع من الموصل - وهي قاعدة الجزيرة - الجيوب والسل والقحم والجبن والشحوم والسماق وحب الرمان والمن^{١٤} والنمكسود والطريخ الفائق وكذلك الحديد . ومن المصنوعات السكاكين والنشاب والسلاسل والاسطال . ومن سنجار اللوز وحب الرمان والسماق والقصب . ومن نصيين الشام بلوط . ومن الرقة الزيت والصابون والأفلام . ومن الرقة السفرجل الفائق الرائق . ومن حران غسل التحل في آد^{١٥} والقيط^(١٦) . ومن حزيرة ابن عمر الجوز واللوز والسمن والخل الجياد وتربى في مراعيها . ومن الحسنة ، وهي على الخابور الأصفر (في ضفة دجلة الشرفية) ، الجبن والقصع وفراخ الدجاج والفواكه المقددة . ومن مثلثايا المجاورة لها الفحم والاعناب والفواكه الرطبة والنمكسود وبزر القنب وتسبيج القنب . ومن آمد في ديار بكر ثياب الصوف والكتان^(١٧) .

أما مسالك الجزيرة فأنها بكلمة وصلة لمسالك العراق . فطريق البريد من بغداد إلى الموصل يصعد في شرفى دجلة نحو إقليم الجزيرة فيدخله عند تكريت ويظل في يسار الهر فيصل إلى جبلنا رأساً ثم ينتهى إلى الموصل عن طريق السن والحديثة . وقد جاء وصف هذا الطريق في مصنفات السرب القدماء وفي المستوفي^(١٨) .

ومن الموصل يعبر طريق البريد إلى يمين دجلة أى إلى الجانب الغربى فيتجه صاعداً إلى بلد ، وعندها ينقسم إلى طريقين ينتهى إيسرهما إلى قرقيسياء على الفرات ماراً بسنجار ويتجه الأيمن صوب كفروتاً ماراً بنصيين وهناك ينقسم أيضاً إلى

موضع دل ذلك اللوح على الموضع الخيب فيعزل عنه الماء حتى يصلح ويربع اللوح ليعود الماء إلى مجراه . (م) .

(١٤) النمكسود ووردت أيضاً بصورة النمكسود - نوع من اللحم المالح وما زال مل « كسد » مستعملاً في بعض أنحاء شمال العراق يسمى ملح اللحم وسفقه في برينة أو خابية في فصل الشتاء . الطريخ (يكسر أوله ولأنه مع التشديد) - سمك صغير نالح بالمح .

القيط - نوع من الحلويات (م) .

(١٥) الفمسي ١٤٥ و ١٤٦ -

(١٦) ابن خرداذبه ٩٣ / غداة ٢١٤ / الفمسي ١٣٥ و ١٤٨ و ١٤٩ / المستوفي ١٩٥ .

طريقين ينتهي الايمن الى آمد واليسر الى الرقة على الفرات ماراً برأس العين . وقد جاء وصف هذا الطريق اعني من الموصل الى آمد في ابن خردادبه وقدامة ، ووصفه المقدسي أيضاً مع ذكر المراحل . وورد في هذه المصنفات نفسها ذكر الطرق التي تخرج منه الى الفرات . وسرد المقدسي كذلك مراحل الطريق من الموصل الى جزيرة ابن عمر ماراً بالحصنية . وذكر الطريق من آمد الى بدليس قرب بحيرة وان ماراً بأرزن^(١٧) .

اما طريق الريد الصاعد بحذاء ضفة الفرات اليمنى ، أي الغربية ، فإنه يبدأ من آلوسة ماراً بعانة الى الفرسة على النهر . وعندها ينقسم الى طريقين : احدهما يحاذي الفرات صاعداً الى فاش بازاء فرقيسيه ثم يظل في الجانِب الغربي من النهر حتى الرقة . والطريق الايسر البادئ من الفرسة كان يتجه الى الرقة فيقطع البادية ويمر بالرصافة فكان بذلك يجانب تصاريح الفرات . وكانت الرصافة محطة ذات شأن اذ يخرج منها طريقان الى الغرب يقطعان بادية الشام احدهما الى دمشق فحمص (Emessa) . وكان ينتهي الى فرقيسيه والرقة ، على ما قد بينا ، طرق : واحد يأتي من الموصل ماراً بسنحار ، وآخر من تسيين ماراً برأس العين وباجروان وثالث من الرقة ماراً بـاجروان وحران والرها (اذمسا) الى آمد . وأخيراً كان يخرج طريق من الرقة فبمر بسروج وينتهي الى سميساط مجانباً في سيرة الزورار الفرات العظيم . وورد في كتب المسالك ذكر المسافات من سميساط الى حصن منصور وملطية وكمخ وغيرها من الثنور . على ان ما يؤسف عليه ان هذه المسافات لم تذكر بتدقيق يساعدنا على تعيين مكاني الحدث وزبطه ، اذ ما زال ذلك موضع النظر ، مع ان المقدسي أورد بعض الفوائد حتى المتعلقة منها بهذه الثنور البعيدة^(١٨) .

(١٧) ابن خردادبه ٩٥ و ٩٦ : قدامة ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ : المقدسي ١٤٩ و ١٥٠ .
(١٨) ابن خردادبه ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ : قدامة ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧ : المقدسي ١٤٩ و ١٥٠ .

الفصل التاسع

بلاد الروم

أى آسيا الصغرى

بلاد الروم - الثغور من ملطية الى طرسوس - الدربان الكبيران فى جبال طوروس -
طريق القسطنطينية السار بالابواب القليبية - طرابزون - حصانات
القسطنطينية الثلاثة - غزوات المسلمين فى آسيا الصغرى -
نهب عمورية بأمر المعتصم - فتح السلاجقة آسيا
الصغرى - مملكة ارمينية الصغرى -
الصليبيون - اجل مدن السلاجقة
فى بلاد الروم .

كان المسلمون يسمون أقاليم الدولة البيزنطية فى جملتها : بلاد الروم . ولفظها
الرومى أى الرومانى فى العصور الاسلامية الاولى كانت تترادف عندهم « النصرانى »
سواء أكان من اليونان أم اللاتين . وكانوا يعرفون البحر المتوسط باسم بحر
الروم أيضا ثم اختصر اسم « بلاد الروم » الى « الروم » فقط . وصارت لفظة
« الروم » بمرور الأيام اسما لاقرب الأقاليم النصرانية من بلاد الاسلام . ومن
ثمّة صار « الروم » اسما لآسيا الصغرى عند العرب وهى البلاد المنظمة التى
انتقلت نهائيا فى ختام المئة الخامسة (الحادية عشرة) الى ايدى المسلمين باستيلاء
السلاجقة عليها .
ولقطة بما يأتينا من مراجع عن ذلك الزمن لم يتوفر لدينا - يا أسفا -

من وثيق الاخبار ما يمتد به عن تاريخ آسية الصغرى وجغرافيتها التاريخية في القرون الوسطى ، سواء في عهدها النصراني أم في أيام المسلمين^(١) . ولا غربة في قلة ما عرفة البلدانون العرب القدماء عن هذه البلاد : فقد كانت في أيامهم اقلية من أهلهم دولة الروم ، وبعد انتقال هذا الاقليم الى سلطان السلاجقة الترك لم ين - يا للأسف - مصنفونا المسلمون بهذا الاقليم الاسلامي البعيد ، فلم يتتبعه البنا وصف دقيق له يشبه ما خلفوه عن غيره من الاقاليم . وأول وصف كامل لآسية الصغرى الاسلامية ، كتبه الحاج خليفة ، غير ان هذا لا يرقى الى الا مطلع المثة الحادية عشرة (السابعة عشرة) أى بعد أن مضى نحو مئتي سنة على دخول هذا الاقليم في جملة أجزاء الدولة العثمانية^(٢) .

كانت الحدود بين بلاد المسلمين والروم في أيام بنى أمية وبنى العباس بل حتى قبل ان يقضى المفول الفضاء المبرم على العباسيين بما ينيف على قرن ونصف قرن ، تكلف من سلسلتى جبال طوروس وطوروس الداخلة (انتي طوروس) Anti Taurus . وكان يمين هذه الحدود ويحدها خط طويل من القلاع (تصرف بالعرية بالثغور) يمتد من ملطية على الفرات الاعلى الى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط . وكان الروم يحتلون هذه القلاع تارة والمسلمون تارة أخرى . فكان الفريقان فيها بين كر وفر . وينقسم خط القلاع هذا عادة الى مجموعتين : احدهما تحمى الجزيرة (وتسمى ثغور الجزيرة) وهى الشمالية الشرقية ، والثانية تحمى الشام (وتسمى ثغور الشام) وهى الجنوبية الغربية . وكان من ثغور الجزيرة : ملطية وزبطرة وحصن منصور وبهسنا والحدث ، وقد مر

(١) يحتوى كتاب الجغرافية التاريخية لآسية الصغرى Historical Geography of Asia Minor مؤلفه البروفسور دى N. M. Ramsay (واستشير اليه بحروف HGAM) على خلاصة رائعة لكل ما يعرف الآن من هذا الموضوع . ولا غنى عنه اليه أن يبتغى تكميم هذه المصلحة المعقدة فيها صحيحا ، والفصل في كتابه هذا الفصل يعود الى هذا الكتاب اكثر من أى مرجع آخر مذکور في الحواشى . ويحسن الرجوع أيضا الى مقالات البروفسور دى الميخنة في المجلة الجغرافية (G.A.) لشهر ايلول ١٩٠٢ ص ٢٥٧ - ولتشرين الاول ١٩٠٣ ص ٣٥٧ .

(٢) اما في القسم الشرقى من بحر الروم لقد ايجاد العرب في معرفة جزيرتى قبرص ودروس - مان المسلمين غرورا الجزيرة الاولى منذ سنة ٢٨ (٦٤٨) بقيادة معاوية الذى صار خليفة ليما بعد على انه لم ينته اليها وصف جغرافى لاهاتى الجزيرتين . البلادى ١٥٣ و ٢٣٦ : يافوت ٢ : ٨٢٢ : ٢٩ : ٤

وصفها في الفصل السابق • ثم مرعش والهارونية والكنيسة وعين زربي • ومن الثغور التي تحمي الشام ، وكانت بالقرب من الساحل الشمالى لخليج اسكندرية (اسكندرونه) : المصبية وأذنة وطرطوس •

اما مرعش ، وسماها الروم مراسيون (Marasion) فيقال انها قامت في موضع جرمانيقية • وقد جدد بنائها الخليفة معاوية في المثة الاولى (السابعة) • وفي عهد أواخر خلفاء بنى أمية حصنها المسلمون وانتقلوا اليها وبنوا لهم فيها مسجدا جامعاً • ثم حصنها هرون الرشيد • وكان لها سوران وخندق وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمروانى ، على ما جاء في ياقوت • وانما سمي بذلك نسبة الى بانيه مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية • وفي سنة ٤٩٠ (١٠٩٧) استولى الصليبيون على مرعش بقيادة غودفري دى بويون (Godfrey de Bouillon) ثم صارت مدينة ذات شأن من مدن مملكة ارمينية الصغرى (وسبأى الكلام عليها) • ولبت أعطب الوقت فى ايدى النصارى حتى سقطت هذه المملكة • وما زال ثغر عين زربي ، وعرفه الصليبيون باسم انازربس (Anazarbus)، قائما • وقد كان هرون الرشيد جده وأحكم تحصينه فى سنة ١٨٠ (٧٩٦) • ووصف الاصطخرى عين زربي بقوله انها « بلد يشبه مدن القور • بها نخيل وهى خصبة واسعة الثمار والزروع والمراعى » • وكان لها سور مكين ، كثيرة الخيرات جبلية الشأن فى المثة الرابعة (العاشرة) • وفى نحو منتصف هذه المثة اتفق سيف الدولة الحمداني على ما يقال ثلاثة آلاف ألف درهم (نحو ١٢٠٠٠٠ باون) حتى أعاد عمارتها • ثم استولى الروم عليها غير مرة ، وفى ختام المثة الثالثة استولى الصليبيون عليها وخرّبوها • ثم صارت جزءا من دولة ملك ارمينية الصغرى • ووصف أبو الفداء هذه المدينة بقوله : بلد فى جبل ذات قلعة مستعلة عنها • وهى على مسيرة يوم جنوب سيس • وزاد ابو الفداء على ذلك ان فى جنوبها نهر جيحان • وفى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) « غيّر الناس اسمها وسموها ناورزا •

وموضعا الهارونية والكنيسة ، لا يعرفان على وجه الصحة ، الا انهما تقعان فى الجبال بين مرعش وعين زربي • والهارونية ، وهى على مرحلة غرب مرعش ، وحصونها نسبت الى هرون الرشيد ، بناها سنة ١٨٣ (٧٩٩) • وكان هذا الثغر غربى

جبل اللكام في بعض شعابه . وجبل اللكام اسم أطلقه البلاديون المسلمون على سلسلة جبال اتبي طوروس . والظاهر أن ابن حوقل زار الهارونية فقد قال فيها انها « في غاية السارة » وقلعتها حصينة وقد خربها الروم « ففي سنة ٣٤٨ (٩٥٩) سبوا من أهلها ألفا وخمسة مسلم ما بين امرأة ورجل وصبي » على ما ذكر ياقوت . ثم أن سيف الدولة الحمداني جدد عمارة الهارونية « واستعادها التصاري ثانية » وظلت بعد ذلك في يد ملك ارمينية الصغرى . اما الكنيسة « ويقال لها الكنيسة السوداء » فهي حصن منيع قديم . بناها الروم بحجارة سود على ما قال البلاذري . وزاد على ذلك ان هرون الرشيد « أمر ببنائها واعادتها الى ما كانت عليه وتحصينها » وندب اليها المقاتلة . « فيها منبر والظاهر انها كانت الى جنوب جيحان . فذكر الاصطخرى انها « ثغر في منزل من شط البحر » . وقال ابو الفداء : « كان بينها وبين الهارونية اثنا عشر ميلا » . وكانت في أيامه من جملة بلاد ارمينية الصغرى « حالها حال الهارونية » .

وأما الثغر الآخر في هذه الجهات ، فهو المعروف عند العرب بالثقب ، وسمي بذلك على ما جاء في ياقوت « لانه في جبال كلها متقبه » فيه كوى « كبار » . والظاهر ان موضعها الحقيقي غير معروف الا انها لا تبعد كثيرا عن الكنيسة فانها كانت عند لحف جبل اللكام على ساحل البحر قرب المصيصة . وأول من بنى حصن الثقب هشام الحليفة الاموي . وقال ياقوت ان الذي استحدثه عمر الثاني و عمر بن عبد العزيز « وكان فيه على ما ذكر ابن حوقل مصحفه بخطه (أى بخط عمر بن عبد العزيز) أتقى خلفاء بني أمية وأكثرهم ورعا » وروى البلاذري الى ذلك انه لما ورد المهندسون لبنائها « حفرها أولا الخندق في حصن الثقب فوجد في خندقه حين حفر ، عظم ساق مفرط الطول فبست به الى هشام لطرافته^(٣) » .

اما المدن الثلاث : المصيصة (Mopsuestia) واذنة طرسوس ، وكلها من بناء الروم ، فما زالت قائمة . فالمصيصة على نهر جيحان (نهر بيرامس) فتحها عبدالله بن

(٣) الاصطخرى ٥٥ و ٦٣ : ابن حوقل ١٠٨ و ١٢١ : البلاذري ١٦٦ و ١٧١ و ١٨٨ : المسعودي ١ : ٢٦ : ٨ : ٢٩٥ : ياقوت ١ : ٩٢٧ : ٣ : ٧٦١ : ٤ : ٣١٤ و ٢٩٨ و ٦٤٥ . أبو الفداء ٢٣٥ و ٢٥١ .

الخليفة عبد الملك الاموي في المئة الاولى (السابعة) وبنى حصنها على أساسه القديم ووضع بها سكانا من الجند من أرباب الأيس والتخوة • وبنى فيها مسجدا فوق تل الحصن • وكان في الحصن كنيسة جمعت ممرها • وبعد وقت قصير نشأ في الجانب الآخر من جيحان روض أو مدينة ثانية سميت كقرية ، بنى فيها الخليفة عمر الثاني مسجدا جامعا اتخذ فيه صهريجا • ثم إن مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية أنشأ روضا ثالثا في شرقي جيحان يقال له الخصوص • وبنى عليه حائطا وأقام عليه باب خشب وخندق خندقا • وفي زمن الخلفاء المايين ، بنى المنصور في المصيبة مسجدا جامعا في موضع هيكلي قديم كان بها وجعله مثل مسجد عمر (الثاني) ثلاث مرات • واستحدث هرون الرشيد كقرية • وزاد المأمون في مسجدتها • وكان بين كقرية والمصيبة قطرة على نهر جيحان • ثم لما استخلف المنصور ودخلت سنة ١٣٩ (٧٥٦) أمر بمسارعة مدينة المصيبة وكان حائطها مشتملا من الزلازل وسماها الممورة • وبعد ذلك انتقلت المصيبة كسائر البلدان المجاورة لها الى ايدي ملوك ارمينية الصغرى •

ومدينة اذنة ، وهي قرب المصيبة ، تقع على نهر سيحان (نهر سارس Sarus) وكان في الطريق على شئ يسير من المصيبة قطرة ترقى الى أيام إسطيناس (Justinian) رمت في سنة ١٢٥ (٧٤٣) وسميت بجسر الوليد نسبة الى الوليد الخليفة الاموي • ثم رمم المتصم الخليفة العباسي هذا الجسر ثانية في سنة ٢٢٥ (٨٤٠) • وأعاد المنصور بناء قسم من اذنة في سنة ١٤١ (٧٥٨) • وصفها الاصلطخرى بقوله انها مدينة خصبة عامرة في غربي نهر سيحان حصينة وكان حصنها في شفة النهر الشرقية بينه وبين المدينة • قطرة معقودة عليه على طاق واحد • ، على ما جاء في ياقوت • ولاذنة ثمانية أبواب وسور يليه خندق •

واطلق المسلمون على نهري سارس وبرامس اسم نهر سيحان ونهر جيحان • وكانا في صدر الاسلام حدا مائيا بين بلاد المسلمين وبلاد الروم • وقد سمى البلدان يون العرب نهري برامس وسارس باسم جيحان وسيحان ، على غرار تسميتهم نهري أوكسس (Oxus) وجكسارتمس (Jaxartes) في آسية الوسطى

وهما أكثر شهرة ، باسم جيحون وسيحون ، على ما سنسط القول فيه . ومنايع هذين النهرين في المرتعات شمال ارمينية الصغرى . وكان نهر جيحان - وقد ذكر ابو الفداء انه « بقارب نهر الفرات في الكبر ، وتسميه العامة جهان » - بعد مروره بالمصبصة يصب في بحر الروم في خليج ايلس الى شمال ميناء اكلأون (ملس Mallus) ثم صار ملو (Malo) . لما نهر سيحان فاصغر منه ، ولم يكن على ضفافه مدن جليلة غير اذنة . وعلى هذا النهر كانت قنطرة الحجر وقد مر ذكرها . وجيحان وسيحان على ما روى المسعودى من انهار الجنة^(٤) .

ومهما يكن من أمر ، فان أجل الثغور مدينة طرسوس . وكان مقاتلتها من الفرسان والمشاة . وهى تشرف على المدخل الجنوبي للدرب المشهور عبر طودروس المعروف بآبواب قلبية ذكر ابن حوقل ان على طرسوس سورين من حجارة وبها مئة الف فارس . ثم قال « وكان بينها وبين حد الروم جبال منيعة متشعبة من اللكام كالحاجز بين الصينين » ويقصد بها عالمي الاسلام والصراينة . وقال ابن حوقل ان الحامية العظيمة التى أدركها وشاهدها فيها سنة ٣٩٧ (٩٧٨) « كانت من الفزاة الوافدين بها من البلدان الاسلامية لقتال الروم » . وسبب ذلك - فيما ذكر - « ان ليس مدينة عظيمة من حد بلاد فارس والجزيرة والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب الا وبها لاؤها دار ورباط في طرسوس ينزله غزاة تلك البلدة ويرابطون بها اذا وردوها . وترد عليها الجرايات والصلات وتدر عليهم الانزال والحملان العظيمة الجسيمة الى ما كان السلاطين يتكفونونه ويفذونه متطوعين ويحتظرون عليه متبرعين » .

(٤) التلادى ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٨ - الاسطرى ٦٣ و ٦٤ : اين جول ١٢٢ : المسعودى ٣ : ٣٥٨ : ٨ : ٢٩٥ : ياقوت ١ : ١٧٩ : ٢ : ٨٢ : ٤ : ٥٥٨ و ٥٧٩ . ابن الفداء . ٥ .

جاء اسما هذين النهرين في بعض الاوقات خطأ بصورة سيحون وجيخون ، على نحو ما يسمى به متفوعا لها اسمية الوسطى . اما فيما يتصل بالقم القديم لنهر سارس ، فيجسب بنا ان لاحظ ان ابن سراجيون (المخطوطة : الورقة ٢٤٤) ذكر ان نهر سيحان (سارس) كان في ايامه (اى في بداية المئة الرابعة) « المائتة » يصب في جيحان (بيراس) على خمسة فراسخ فوق المصبصة . وبهذا يشترك هو وجيخان في مصب واحد في البحر . اما اليوم ، فلنهر سيحان دم في الجهة الغربية قرب مرسينة . ومن الممكن تتبع معالم المجرى القديم - انظر : المحلة الجغرافية - Geog. Jour. لنهر تشرين الاول ١٩٠٣ ص ٤١٠ .

وعني الخلفاء العباسيون الاولون ، ولا سيما المهدي وهرون الرشيد ، بتحسين طرسوس وشحنها في أول الأمر بشماتة آلاف من المقاتلة . وكانت الندبات السنوية على النصارى نجتاز من باب الجهاد المشهور لمقاتلتهم . وفي الجهة اليسرى من جامع طرسوس ، دفن الحليفة المأمون ، فقد ادركه منيته وهو في بدندون (بدندس (Podandos) القرية مها . وكان يشق المدينة نهر الردان (نهر كودنس (Cydnus) . وفي سور المدينة ستة أبواب وخنق عميق . ولبت طرسوس ، على ما قال ياقوت ، نفراً اسلامياً حتى كانت سنة ٣٥٤ (٩٦٥) فان تقفور ملك الروم Nicephorus Phocas استولى على الثغور وتزل على طرسوس فسلمها اليه من كان بها على الامان والصلح . فخرج منها من المسلمين من أراد بلاد الاسلام وأقام نقر سبر على الجزية . وخرت المساجد وأحرق تقفور المصاحف وأخذ من خزائن السلاح ما لم يسمع بمثله ، ولم تزل طرسوس بيد النصارى الى هذه الغاية أي سنة ٦٢٣ (١٢٢٦) .

وكان نهر كودنس القديم يعرف على ما بينا ، بنهر البردان أو بردى . وذكر ابن الفقيه انه كان يسمى ايضاً نهر الضبان . ومخرجه من أصل جبل في شمال طرسوس يعرف بالاقارع ويصب في بحر الروم غير بعيد عن المصب الحديث لهر سيحان . وفي ناحية الغرب ، على مرحلة من طرسوس ، نهر كان يؤلف حداً مائياً في الازمة الاولى ، وهو نهر لموس Lamos سماء العرب نهر اللامس . « وعلبه يكون العدا اذا فودي بين المسلمين والروم » . ومما يلي هذا النهر بلدة للروم تعرف بسلوفا أو سلوقية قليقية Seleucia of Cilicia وقد صار اسمها في أيام الترك في العهد الاخير سلفكة Sefekeli^(٥) .

ويطعم جبال طوروس دروب كثيرة سلك المسلمون اثنين منها بوجه حاص في غزواتهم السنوية لبلاد الروم : اولهما درب الحدث وهو في الشمال الشرقي وكان من مرعش فشمالاً الى البستين وقد عرفت هذه المدينة في الازمة الاخيرة

(٥) ابن حوقل ١٢٢ ، ان القس ١١٦ : البلاذري ١٦٩ : المسعودي ١ : ٢٦٤ :
٧ ٢ ٨ ٧٢ : ياقوت ١ : ٥٥٣ ر ٥٥٨ ٣ ٥٢٦ : الطبري ٣ : ١٢٢٧ .

بالستان (وهي أبلسا الزنطية Ablastha وعريسوس اليونانية Arabiasus) وكان يحصى هذا الدرب حصن الحدث Adata وقد مر ذكره في الفصل السابق . وثاني الدروب ، وكثيرا ما كان يسلك في الأزمنة القديمة ، هو درب الأبواب القليبية الضارب شمالا من طرسوس ، ومنه يأخذ الطريق العام الى القسطنطينة . كان هذا الطريق هو الذي يسلكه سعاة البريد وبرز منه وفود قيصر والخليفة ، كما انه الطريق الذي تبته نديات الغزو الجديدة من الاسلام والنصارى . وقد عني ابن خرداذبه في سنة ٢٥٠ (٨٦٤) بوصف هذا الطريق ، وعنه نقل غير واحد من المصنفين بعده . كان هذا الدرب يعرف في قسمه الجنوبي بدرب السلامة وينصل بما يسمى بيليّة قليبية Pylae Ciliciae وهي الأبواب القليبية المشهورة .

ودونك هذا الوصف ، على ان كثيرا من المواضع المذكورة فيه لا يمكن تعيينها في يومنا ، وقد وضعنا بين قوسين ما تبسرت معرفته عن اسماء بعضها . قال ابن خرداذبه : « من طرسوس الى الميثيق اثنا عشر ميلا ، ثم الى الرهوة (أى المكان المنخفض ولها ميسكرية Mopsukrene القديمة) ، ثم الى الجوزات اثنا عشر ميلا ، ثم الى الجردقوب سبعة أميال ، ثم الى البذندون (Podandos وهي يزنتى الحديثة) سبعة أميال وفيها عين تسمى عين رفة مات عندها المأمون (٦) . ثم الى ميسكر الملك على حمة لؤلؤة (لولون Loulon) والصفصاف عشرة أميال (قرب فوستنوبولس Faustinopolis) وكذلك حصن الصقالبة عشرة أميال ، وتصير الى ميسكر الملك وقد قطعت الدرب (النهاية الشمالية من درب الأبواب القليبية) وأصحرت ، ومن ميسكر الملك (حيث نهاية الأبواب القليبية) الى وادى الطرفاء اثنا عشر ميلا ، ثم الى منى عشرون ميلا ، ثم الى نهر هرقله (وهرقله هي اراكليه الحديثة وهركلية Heraclia عند الروم وهي المدينة التي استولى عليها هرون الرشيد سنة ١٠٠٠) اثنا عشر ميلا ، ثم الى مدينة اللبن ثمانية أميال ، ثم الى رأس الغابة خمسة عشر ميلا . ثم الى المسكين ستة عشر ميلا ، ثم الى عين برغوث اثنا

(٦) انظر خبر ذلك في مروج الذهب (٧ : ٩٦) وتاريخ السلطان للسلطان من ٢٠٩ طيبة المدينة . (م) .

عشر ميلا ، ثم الى نهر الاحساء (أى النهر الذى تحت الارض) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى رضى قونية (ايكونيوم Ieonium) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى العلمين خمسة عشر ميلا ، ثم الى ابروسماتة عشرون ميلا ، ثم الى وادى الجوز اثنا عشر ميلا ، ثم الى عمورية (آموريون Amorion) اثنا عشر ميلا . وطريق آخر من العلمين الى عمورية يبدأ من العلمين الى قرى نصر الاقريطشى خمسة عشر ميلا ، ثم الى رأس بحيرة الباسليون (بحيرة الاربعين شهيدا) عشرة أميال ، ثم الى السند عشرة أميال ، ثم الى حصن سادة (وهى حصن سادس Synades) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى متفل خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى غابة عمورية ثلاثون ميلا . ومن عمورية الى قرى الحراب خمسة عشر ميلا ، ثم الى صاغري (وهو Sangarius) نهر عمورية ميلان ، ثم الى الملح اثنا عشر ميلا ، ثم الى فلامى الغابة خمسة عشر ميلا ، ثم الى حصن اليهود اثنا عشر ميلا ، ثم الى سدابري (ستابريس Santabaris) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى مرج حمر الملك فى درولية (دوريلوم Dorylaeum) خمسة وثلاثون ميلا ، ثم الى حصن قمرمبلي خمسة عشر ميلا ، ثم الى كنائس الملك Basilica of Anna Comnena ثلاثة أميال ، ثم الى النلول خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى الاكواد خمسة عشر ميلا ، ثم الى ملاجة Malagina خمسة عشر ميلا ، ثم الى اصطبل الملك خمسة أميال ، ثم الى حصن الفراء (وهى كيبوس Kibotos) حيث معدية تصل الى Aigialos (ثلاثون ميلا ثم الى الخليج (وهو بوسفور القسطنطينية Bosphorus) اربعة وعشرون ميلا ، وثيقية Nicæa باراء (أى جنوب) الفراء . . . وبهذا يختم ابن خرداذبه كلامه على طريق القسطنطينية^(٧) .

(٧) ابن خرداذبه ١٠٠ - ١٠٢ و ١١٠ و ١١٣ وقد جاء فى ابن خرداذبه (ص ١٠٢ - ١٠٣) وصف طريق تجلب بعض النسخ . عن هذا الطريق - وزاد الإدريسي على ذلك ذكر المسافات (طبعة جوبرت Jaubert ٣٠٨ : ٢ و ٣٠٩) وقارن ذلك بما كتبه راسى Ramsay فى HGAM (ص ٢٣٦ و ٢٤٥) . وقد عثر البروسور راسى (أطر المخططة الجغرافية GJ لشهر تشرين الاول ١٩٠٣ ص ٢٨٢) حصن الصقالبة المشهور بكونه خرابئ الحصن الزسطى المبني بالرخام الاسود المسى الآن انشاء فلهى من الجامعة فى أعمال الحبل المثل جنوباً على مدينة برطلى (يدبون أى بودونس) أما حصن لزلون Loulon الزسطى ، وقد ساء العرب للؤلؤة ، فقد عثره ايضا (أطر لنس

اما ما كان يعرفه المصنفون العرب القدماء عن جغرافية آسية الصغرى ، فليس الا لمعان خاطئة لا تمت الى الواقع بصلة الا وصفهم الطريق العام الى القسطنطينية . مصداق ذلك ما نراه من خلط عد ابن حوقل بين النهرين المختلفين : آلس وصافره وهلس وسنكارديوس . ونجد أيضا في الواريخ القديمة اسماء جملة من مدن الروم بصورتها العربية ولكن منظم هذه الاسماء قد انتهى بنا على غير هذه الصور بعد الفتح التركي . على ان ما يؤسف له ، هو ان المصنفين العرب لم يخلفوا لنا وصفا لهذه المدن . ونذكر هنا شيئا منها مما لا شهة في صحته :

الطراونة (Tyana) دباسة (Thebasa) ملقوبية (Malacopia) هرقلية (Herculia) لاذق (Laodicea) قيصرية (Caesarea Mazaka of Cappadocia) انطاكية (Antioch of Pisidia) قطنة (Cotyaenm) انقره (Angora) أفسوس (Ephesus) أيدوس (Abydos) نيقومذية (Nicomedia) وغيرها من المدن .

أما طرابزون (Trebizond) وكتب اسمها طرابزنده أو اطرابزنده ، فهي على ما جاء في ابن حوقل أجل ميناء كان تجلب اليها السلع من القسطنطينية في صدر الدولة البليبة وتحمل منها الى بلاد الاسلام . فكان الحجار العرب ووكلاؤهم ينقلون السلع منها عبر الجبال الى ملطية وغيرها من مدن الفرات الاعلى . وكانت هذه التجارة بد الامن على ما في ابن حوقل . على ان كثيرا من التجار المسلمين ، حسبما ذكر ، كانوا يقيمون في اطرابزنده . وأخص هذه السلع : ثياب الكتان اليوناني وثياب الصوف والدباج والاكسية الرومية وكلها كان يجلب بحرا من الخليج الى البوسفور . ومما يدل على شهرة طرابزون وعظم شأنها في ذلك الزمن ، ان البحر الاسود كان يعرف باسم بحر طرابزنده . على ان اسمه الرسمي كان بحر بنطس أو بنطش . وهو بنطس Pontos

المصدر من ٤٠١ و ٤٠٢ فقه حواره لهذا الموضوع (واللؤلؤة ترمي الى الشمال دول الصلصاف)
وتدل الصلصاف على المسمون الذي في الوادي أسفلها حيث كانت المدينة اليونانية فوستينوبوليس
. Faustynopolis

عند الروم الذى كان لتصحيف اسمه (من جرّاء إعجاب الحروف العربية) قد كتب ولفظ منذ الأزمنة الأولى خطأ بصورة نيطس ونيطش ، وغالباً ما اقتبس المصنفون الفرس والترك الاسم بهذه الصورة المصحفة ، وانتقل هذا التصحيف الى المطبعة فلا سبيل الى رجعه الى سابق اسمه (٨) .

ومع ان ما دونّه مصنفو العرب عن طبرغرافية مدن آسية الصغرى فيما قبل الفتح السلجوقى ، أى فى النصف الاخير من المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، قبل غاية الفلة ، فقد كان المسلمون يعرفون معظم هذه البلاد ، فانهم كانوا فى أيام نى امية وصدر الدولة العباسية يقومون فى كل سنة تقريباً بل غالباً مرتين فى السنة ، فى الربيع والخريف بنزوات يحتارون فيها دروب جبل طوروس الى بلاد الروم . وكانت غاية الغايات عندهم الاستيلاء على القسطنطينية . وفى الواقع لقد ضرب المسلمون الحصار على القسطنطينية ثلاث مرات فى أيام بنى امية ولكن نهاية كل حصار كانت وخيمة على المهاجمين . وليس ذلك بمستغرب اذا ما علمنا ان البوسفور يمد عن طرسوس قاعدة الهجوم العربى نيقا واربعمئة وخمسين ميلاً فى خط مستقيم يقطع هضبة آسية الصغرى الجبلية .

واول هذه الحصارات الثلاثة المشهورة كان فى سنة ٣٢ (٦٥٢) فى ايام عثمان ، حين غزا معاوية . وقد تولى الخلافة فيما بعد - آسية الصغرى واجتاهاها يريد القسطنطينية . فهاجمها اولاً ثم ضرب عليها الحصار ولكنه اضطر الى رفع الحصار عنها لما بلغه مقتل الخليفة عثمان . واعتقب ذلك أحداث انتهت بقياسام الدولة الاموية . وكان الحصار الثانى فى سنة ٤٩ (٦٦٩) حين بحث معاوية - وكان قد اصبح خليفة - ابنه وولى عهده يزيد لقتال الملك قسطنطين الرابع . بيد ان عجز قادة الجيش اوقع بالجيش الاسلامى هزيمة منكرة . فلما توفي ابوه صارت اليه الخلافة معاد الى بلاده . أما الحصار الثالث وهو اشهر حصار وقع على القسطنطينية فقد دام سنين فى عهد الخليفة سليمان الذى بحث اخاه مسلمة فى سنة ٩٦ (٧١٥)

(٨) ابن حنبل ١٢٩ و ١٣٢ و ٢٤٥ و ٢٤٦ ؛ ابن خردادبه ١٠٣ ؛ البلاذرى ١٦١ ؛ الطبرى ٣ : ٧٠٩ و ٧١٠ ؛ ابر اللقاء ٣٤ ؛ ياقوت ١ : ٤٠١ و ٤٩٩ ؛ المسعودى ١ : ٢٦٠ .
وله يسمى البحر الاسود بحر الخزر وهو اسم يطلق فى العادة على بحر كزوين (ابن خردادبه ١٠٣) .

لقتال ليو الايزورى Leo the Isaurian وقد انتهى البناء عن هذه الحملة التى بادت ايضا بهزيمة المسلمين اخبار كاملة من التواريخ العربية والرومية . وفى هذه الحروب اشتهر عبادة الملقب بالبطل الذى اعتبره الترك بعد زمن طويل. بطلهم القومى والجدى المسلم الذى لا يقهر .

ولم تحل هذه الخسائر والهزائم دون مضي المسلمين فى غزواتهم سنة بعد أخرى ما خلا فترة قصيرة انصرف فيها الباسيون الى توطيد أركان دولتهم ، ثم حلوا فى ذلك محل بنى أمية بعد قرن أو أكثر من قرن على توليهم الخلافة . والباسيون وإن صعب عليهم ضرب الحصار على القسطنطينية ، فانهم غزوا ارجاء آسية الصغرى مرة تلو أخرى وأعملوا فيها النهب والحرق . وأشهر هذه الغزوات : ندبة الخليفة المتصم بن هرون الرشيد فى سنة ٢٢٣ (٨٣٨) على عمورية . وهى الموصوفة بانها اجل مدينة فى الشرق ، وامنح واحسن بلاد الروم وهى عين النصرانية ، فأمر الخليفة بنهبها وهدمها وحرقها وعاد الخليفة راضيا ومعه المغانم^(٩) . وقد عني ابن خرداذبه بوصف أعمال آسية الصغرى فى أيام ملوك الروم . وبيدنا وصفه فى تصحيح التفاصيل المشوشة التى دوتها قسطنطين بورفيروجينيس

(٩) اناس المستر بروكس E. W. Brooks فى سرد غزوات المسلمين فى آسية الصغرى مستنفا ذلك من المراجع العربية مع التعليل عليها فى بحثه الموسوم « العرب فى آسية الصغرى من سنة ٦٤١ الى ٧٥٠ » The Arabs in Asia Minor, 641 to 750 المنشور فى مجله الدراسات الهلنكية (Journal of Hellenic Studies) المجلد ١٨ سنة ١٨٩٨ . وفى بحثه الموسوم « البيزنطيين والعرب فى صدر الدولة العباسية : ٧٥٠ - ٨١٣ » Byzantines and Arabs in the time of early Abbasid, 750 to 813 المنشور فى المجلة الانكليزية التاريخية English Historical Review القسم الاول منه فى عدد تشرين الاول ١٩٠٠ وقسمه الثانى فى عدد كانون الثانى ١٩٠١ . وقد عالج موضوع حصار القسطنطينية العظيم فى امام سلالة سليمان فى معال بفره فى مجلة الدراسات الهلنكية ايضا (المجلد ١٩ لسنة ١٨٩٩) بعنوان « حملة سنة ٧١٦ الى ٧١٨ بحسب المراجع العربية » The Campaign of 716 to 718 from Arabic (Sources) وتتناول هذا الموضوع من الجانب الغربى البروقسور سى . بى . بورى J. B. Bury فى كتابه History of the Later Roman Empire المجلد الثانى من ٤٠٩ . رئيسي لسلطون Constantinople بالقسطنطينية . اما فيما يخص ناسمها البيزنطى الذى يقال ان منه اشترى لفظ « استانبول » الاسم التركى الحديث لقسطنطين بنا ان لاحظ ان المسعودى فى النصف الاول من الملة الرابعة (العاشرة) كتب (التنبيه من ١٣٨) ان الروم فى أيامه كانوا يسمون عاصمتهم بولن Bulin (اى بولن Polin ومنعما : للمدينة) . « واذ ارادوا عنها انها دار الملك . عظمتا قالوا استن بولن ولا يدعونها القسطنطينية وانما العرب تسم عنها بذلك » .

Constantine Porphyrogenitus ونحن على كل حال في غنى عن بحث ذلك ها هنا إذ أن هذا الموضوع يدخل في جغرافية بلاد الروم . أما عدا ما وصفنا من مدن ، فإن المصنفين العرب حين تحدثوا عن الحملات الإسلامية على ما وراء الحدود ، أشاروا إلى جملة مواضع يصعب تعيينها الآن إما لغموض ما ذكروه عنها وإما لبس في الاسم . وعليه فإن مرجع الاستقف ، وكثيرا ما ذكروه ، جاء عنه في أحد مسالك ابن خرداذبه انه على شئ يسير غرب يندنس (البذندون) . والمطورة^(١٠) أو المطاير (بصيغة الجمع) تردد ذكرها كذلك ، وعلينا ان نبحث عنها في ما جاور ملقورية . وذو الكلاع وتكتب أيضا ذو القلاع كانت قلعة مشهورة . قال البلاذري ان اسمها عند الروم تفسيره « الحصن الذي مع الكواكب » . ويبدو انها تطابق سيدروبوليس Hideropolis في بلاد القباذق Cappadocia .

ومدينة لؤلؤة وهي لولون عند البزنطيين سماها العرب بذلك ليصفوا على اسمها معنى ، وهي على ما ذكرنا في النهاية الشمالية لدرب الابواب القليقية وإلى شمالها كانت تيانا (طوانة أو طوانة) وقد كان هرون الرشيد شحنها بالمقاتلة وبنى فيها جامعا . وكانت مدينة أو حصن الصفصاف في طريق القسطنطينية قرب لؤلؤة ولها موضع فوستينوبوليس على ما قد مر^(١١) (ص ١٦٦) ، وفي جنوب البذندون حصن الصقالبة وفيه عسكر ، على ما ذكر البلاذري ، قوم من الصقالبة كانوا فروا من البزنطيين . وكان مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية قد جعلهم فيها لحراسة الدرب^(١٢) .

وبعد عام ٢٢٣ (٨٣٨) وهو تاريخ حملة الخليفة المتصم المشهورة على عمورية ، قُلت الغزوات الإسلامية لبلاد الروم . فإن تواتر الفتن في بغداد صرف خلفاء بني

(١٠) ان Mazmorra باللغة الإسبانية تسمى الديباس وهي Massamora بالإسكندنافية (انظر The Antiquary المجلد ٣٣ في الحاشية) .

(١١) انظر عن أعمال بلاد الروم . البحث الموسوم بـ « الاليات العربية لأعمال بلاد الروم » E. W. Brooks بقلم بروكس Arabic Lists of the Byzantine Themes في مجلة الدراسات الهلنستية المجلد ٢١ لسنة ١٩٠١ . ابن خرداذبه ١٠٢ و ١٠٥ البلاذري ١٥٠ و ١٧٠ الطبري: ٣ : ٧١٠ و ١٢٢٧ . ابن الأثير ٦ : ٣٤١ . رمسي Ramsay في HGAM ص ٣٤٠ و ٣٥٤ و ٣٥٦ .

العباس عن التفكير في غزو بلاد الروم • ومع ذلك فإنه منذ منتصف المئة الثالثة (التاسعة) حتى المئة الخامسة (الحادية عشرة) كان كثير من الجيوش الاسلامية المجتدة من ممالك عدة نابعة للخليفة قد عبر الدروب • ولم تثبت الحدود على حال واحدة بل كانت في تقدم وتراجع وأقبال وادبار وفي وسعنا القول ان المسلمين لم يحتفظوا بجزء من الارض مما وراء طوروس احتفاظا مسددا •

ولكن بقيام الاتراك السلاجقة في المئة الخامسة (الحادية عشرة) بعد [كذا • والصواب : قبل] الحروب الصليبية ، تغير وجه الامور في آسية الصغرى كل التغير • ففي ربيع سنة ٤٦٣ (١٠٧١) أحرز الب ارسلان السلجوقي نصرا ميئا في وقعة ملسجورد (منزكرت) فأباد جيش الروم على بكر- أبيه وأسر ملكهم رومانس ديوجينس (Romanus Diogenes) • وإلى ذلك • كان الب ارسلان قد اسنولى سنة ٤٥٦ (١٠٦٤) على آنى عاصمة ارمينية النصرية ، فتقوضت بذلك مملكة بئر وتدد الارمنة القديمة فكان من ذلك ان أسس روين (Rupen) أحد أقاربهم مملكة ارمينية الصغرى في طوروس • وعلى أثر وقعة ملسجورد انفذ اب ارسلان ابن عمه سليمان بن قلمش الى آسية الصغرى • ثم ان السلاجقة سد ما كانوا عليه من بداوة ، أقاموا في الهضبة العالية التي تؤلف قلب هذا الافليم وصارت مملكة الروم منذ ذلك الحين من ديار الاسلام •

وقد أوغل السلاجقة غربا وحلبهم النصر ، فامتدت غزواتهم حتى نيفية ، وبقت في أيديهم زمنا قصيرا متخذينها عاصمة لهم • ولكنهم ردوا على أعقابهم في الحملة الصليبية الاولى وتراجعوا الى الهضبة الوسطى واصبحت ايكونيوم (Iconium) وهي فونة التي فتحوها في سنة ٤٧٧ (١٠٨٤) دار ملكهم ولبثت كذلك (١) •

(١٧) ابن الاثير ١٠ : ٢٥ و ٤٤ : جهان لما ٦٢١ • وانظر تاريخ فن العرب History of the Art of War بقلم اومان G. Oman ص ٢١٦ - ٢٢١ عن وقعة منزكرت •

وتاريخ السلاجقة الى بلاد الروم وخلفائهم الامراء التركمان العشرة المنتهى بتمام سلطان آل عثمان • اعطى دور في جميع التواريخ الاسلامية يا لالاسف • ولم تكن للمؤرخين العارفين ميرغواند وضوايح مير ما يستفاد الى الحوز الذي كتبه المستوفى عن سلاجقة الروم في كتابه « تاريخ كزنده » • ولعل اكمل تاريخ لهذه الدولة ما في كتاب « المير » لابن حلدون (: ١٦٢ - ١٧٥) غير ان ذلك

دامت سلالة سلاطين قوتية السلجوقية أكثر من قرنين أى من سنة ٤٧٠ (١٠٧٧) حتى سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) غير أن سلطانهم الحقيقي كان قد انتهى بفتح المغول لقوتية فى سنة ٦٥٥ (١٢٥٧) وذلك قبل سقوط بغداد بسنة واحدة • واقرن قيام السلاجقة فى هضبة آسية الصغرى بنشوء مملكة ارمينية الصغرى النصرانية فى بلاد طوروس • وبعد سنة ٤٧٣ (١٠٨٠) اتخذ روبن مؤسس الدولة الجديدة مدينة سيس ويقال لها أيضا سسية قاعدة للملكة • وبعد ذلك بمرن آى فى سنة ٥٩٤ (١١٩٨) لقب ليو بالملك • ولم ينه حكم ملوك ارمينية الصغرى الذين فاقموا الفتح المغولى الا فى سنة ٧٤٣ (١٣٤٢) • وكانت هذه المملكة قد اتصمت برقمتها من سيس فشملت البلاد الجبلية التى يسقيها نهرا سيجان وجيجان • وامتدت جنوبا الى بحر الروم وضمت مدينة المصيصة واذنة وطرسوس ومعظم مدن الساحل الى غرب طرسوس • وكانت سيس (أى سيسة) وهى فلانيوبوليس Flaviopolis القديمة حصن عين زربى البعد فى صدر الدولة الباسية • وقد جدد أسوارها الخليفة المتوكل حميد هرون الرشيد • واستولى عليه الروم بعد ذلك • وحين كتب ابو الفداء فى سنة ٧٢١ (١٣٢١) نوّه بان ليو الثانى (ابن لاون) الملقب بالعظيم ملك ارمينية الصغرى قد احدثها • وهى ذات قلعة بأسوار ثلاثة على جبل مسنطيل ولها بساتين ونهر صغير من روافد جيجان • وذكر ياقوت • ان عاصمة أهلها يقولون سبس • فى أيامه •

وفى غرب مملكة ارمينية الصغرى وشمالها تمتد بلاد سلاطين السلاجقة • ولم تمض مئة سنة على استيلائهم على هضبة آسية الصغرى حتى كانت جيوش الصليبيين قد اخترقت هذا الاقليم ثلاث مرات • وقد انتهت الحرب الصليبية الاولى

لا يبدو فى الحقيقة ان يكون ثبتا بالاسماء والتواريخ • اما تاريخ ابن بيبى • وقد نشره اشيرا البروفسور هوتسا • فانه وأسماء لا تبدأ الا بعد ملج ارسلان الثانى فى سنة ٥٥١ (١١٦٦) • اما النسيمون سنة الاولى من حكم السلاجقة حين كانوا يفتخون آسية الصغرى ويوطدون حكمهم فيها • فلا تعرف عنها شيئا مع • ولم ينهوا الا بالنصر العظيم الذى اصابهرو فى ومة ميزكرت • اما الممارك التى أسفرت عن طرد الروم من هضبات آسية الصغرى فلم ندون عنها شيء كما لم يفر الى معاهده بغفرى عقلمما - بوجه ديمسى أو غير ديمسى - بين الروم والسلاجقة بعد ولة مذركرت • وللإطلاع على خلاصة ما يعرف عن أمراء التركمان الذين غلوا سلاطين بلاد الروم • انظر بحث البروفسور لين بول • اختلاف السلاجقة من آسية الصغرى • The Successors of the Saljuks in Asia Minor فى مجلة JRS لسنة ١٨٨٢ ص ٧٧٢ •

سنة ٤٩٠ (١٠٩٧) بهزيمة قلعج ارسلان الأول (ابن وخليفة سليمان ، أول سلطان على بلاد الروم) من نيقية . ومرّت شرذمة من الصليبين بقونية وعادت الى البحر عند طرسوس وركبت السفن الى فلسطين . وفي الحرب الصليبية الثانية تغلب لويس السابع ملك فرنسا على السلطان مسعود (ابن قلعج ارسلان) عند خفاف مياندر (Meander) سنة ٥٤٢ (١١٤٧) ولكن الفرنج في في سيرهم الى ميناء أنطالية كاندوا خسرانا فادحا في المنطقة الجبلية . وفي الحرب الصليبية الثالثة يقال ان الملك فردريك بربروسة انتزع في سنة ٥٨٦ (١١٩٠) قونية عاصمة السلاجقة من قلعج ارسلان الثاني (ابن مسعود) . ولكن بربروسة في متابعته السير غرق في نهر قرب سلوقية (سلوقية قليقية) لعله نهر لاموس أو نهر اللمس المار ذكره (ص ١٦٥) حيث كان يجري في أيام الباسيين الاوائل تبادل الاسرى بين المسلمين والنصارى أى فداؤهم .

ولا ريب في ان رقعة البلاد التي حكمها سلاجقة الروم قد اختلفت باختلاف الأزمنة والاحوال . فقد كان لتضاؤل شأن الروم أو ازدياد قوتهم ، ونشوء مملكة ارمنية الصغرى النصرانية ، وما كانت عليه حال الدويلات الاسلامية المجاورة التي اكتسح الصليبيون بعضها وحكم بعض الوقت امراء الفرنج رعايا من المسلمين ، أثره في ذلك . وقد عرفنا أهم المدن التابعة لسلاجقة بلاد الروم على نحو ما كانت عليه في سنة ٥٨٧ (١١٩١) من توزيع قلعج ارسلان الثاني أملاكه في تلك السنة بين أولاده الاحد عشر . فقد كانت قونية (إيكونيوم) ، على ما بينا ، عاصمة السلاجقة . وكانت قيصريّة (Caesarea Mazaka) ثاني مدن سلطنتهم . وملطية (Melitene) أهم مدن الولاية الشرقية على حدود الفرات . وفي الشمال سيواس (Sebastia) ونكيسار (أو نيكسار وهي نوسيزارية (Neo-Caesarea) القديمة) . وتوفات واماسية (Amasia) وقد أقطع كل منها أميراً مسلحاً . ومثل ذلك انكوربة (Angora) في الشمال الغربي وُبرُغُلُو في الحد الغربي ولعلها ألو برلو الحديثة وهي غرب بحيرة اكردور . وعلى الحدود الجنوبية شرقي قونية المدن

المهمة : اراكلية Heraclia ونكيدة أو نكدية والبستين التي عرفت بعدئذ
بالبستان (Arabissus).

وقد مدّ السلطان علاء الدين ، الذي احتل العرش في سنة ٦١٦ (١٢١٩) وهو حفيد قلع ارسلان الثاني ، سلطانه شمالا وجنوبا من سواحل البحر الاسود الى بحر الروم . فاستولى على سينوب (Sinope) على البحر الاسود وأشأ على الساحل الجنوبي ميناء عظيما في الملايا - وقد نسب اليه - وما زالت ترى فيه بقايا أخشاب لبناء السفن وغير ذلك من المنشآت الخاصة بحرية السلاجقة العظيمة . ومدّ سلطانه في الشمال الشرقي الى مدينة صاري بولي . وقد كان لكتابات جلال الدين الرومي الشاعر الصوفي العظيم الذي عاش ومات في قونية أبلغ الاثر في اشتهار عهده . وبعد ان مضت ثلاثون سنة على موت علاء الدين أي في سنة ٦٣٤ (١٢٣٧) فوض الجيش المغولي سلطان السلاجقة ولم يكن السلاطين الاربعة الاخيرون في الحقيقة غير ولاء خاضعين لایلخاني فارس . وفي سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) قسمت ولاية الروم بين الامراء التركمان العشرة وهم في الاصل من اتباع السلاطين السلاجقة^(١٣) .

(١٣) البلاذري ١٧٠ : ياقوت ٣ : ٢١٧ : أبو الفداء ٢٢٧ : ابن بيبس : جهان نسا ٦٢١ و ٦٢٢ .

ولاكر الادبتي ، وقد كتب في سنة ٥٤٨ (١١٥٣) ، انه زار عمورية (جوهرت : ٢ : ٣٠٠) ورأى سنة ٥١٠ (١١١٦) كهف أسعاب الكهف السنية . وهو السداني المسلم الوحيد الذي وصف آسية الصغرى في أيام السلاجقة . ربما يؤسف عليه ان كتابه وصل اليها مصححا تصحيحا عظيما علق ذكر عددا من المسالك التي تخترق آسية الصغرى في كل جهة ولكن من المصعب جدا التصحيح منها . فان أسماء الموانع التي تمر بها هذه المسالك لا يميز بينها وإن كان لا يشك في أسماء المراحل الختامية . الادريسي ٢ : ٣٠٥ - ٣١٨ .

وفد عين البرولسور رمسي (MGAM من ٧٨ و ٢٨٢ و ٢٨٤) حدود منطقة السلاجقة بوصرح وزيرى وصف الجوامع وغيرها من ابنية السلاجقة في سلسلة مقالات كتبها موار M. G. Haurt موسومة بـ : الكتابات العربية في آسية الصغرى Epigraphie Arabe d'Asie Mineur في مجلة الساميات Rêvus Sémitique سنة ١٨٩٤ من ٦١ و ١٢٠ و ٢٢٥ و ٢٢٤ وسنة ١٨٩٥ من ٧٣ و ١٧٥ و ٢١٤ و ٢٤٤ . وفي المجلة الآسيوية Journal Asiatique لسنة ١٩٠٦ المجلد الاول من ٣٤٣ وكذلك في المقال الموسوم Monuments Seljoukides de Sivas etc.

الآثار السلجوقية في سيبارس لكتابه كرنار M.F. Grenard المنشور في المجلة الآسيوية لسنة ١٩٠٠ العدد الثاني من ٤٥٦ وانظر أيضا بحث البرولسور رمسي مع ملاحظات فيه للرمسي . وكلمن C. Wilson وغيره في المجلة الجغرافية Geographical Journal لسنهر ايلول ١٩٠٢ من ٢٠٧/٢

الفصل المأثر

بلاد الروم «تمة»

الامارات التركمانية العشر - اين بطوطة والمنطولى - قيسارية وسيواس - سلطان
العراق - امير قرمان - لونية - امير لكة والملايا وانطالية - امير حميد
واكريندور - امير جرميان وكوتاهية وصورى حصار - امير منتشا
وميلاس - امير آيدين والفسوس وازير - امير صاروخان
وملتيهسية - امير قرامس وبرعاس - الولاية
العثمانية وبرمى - امير قزل اجدل :
صنوب (سينوب) *

تتفق حدود الامارات التركمانية العشر فى الملة الثامنة (الرابعة عشرة)
وحدود المقاطعات اليونانية القديمة فى آسية الصغرى • وهذه الامارات هى :
قرامان أو قرمان أكبرها وهى ليقونية القديمة (Lycæonia) • وعلى ساحل بحر
الروم : لكة وتشتمل على لقية (Lycia) وبمفيلية (Pamphylia) • وفى
الداخل : حميد وتضم بسيدية (Pisidia) وايزورية (Isauria) • معا • وكرميان
أو جرميان وتطابق فريجية (Phrygia) • وعلى ساحل البحر الاسود : قزل
احمد لى ويقال لها أيضا اسفنديار وكانت بفلفونية (Paphlagonia) • وعلى
السواحل الايجية : منتشا وهى كاريه (Caria) القديمة • وآيدين وصاروخان

مما تسابقان مملكة ليدية (Lydia) • وفراصى كانت ميسية (Mysia) وأخيرا الولاية الشمانية (وهى للشمانين الذين سيطروا بعدئذ على الامارات التسع الاخرى) وكانت فى أول أمرها مقاطعة فريجية ايبكتس (Phrygia Epiotetus) وفى طهرها أراضى بشية (Bythia) العالية التى انتزعها الشمانيون أخيرا من يد الروم •

وفد انتهى الينا عن حال آسية الصغرى فى أيام الامراء التركمانين أخشار غربية جدا دوتها ابن بطوطة المغربى فى رحلته ، وكان قد نزل فى العالاي فى مصرفه من الشام وزار فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) كثيرا من الامراء الصغار فى طريقه الى صنوب (Sinope) • ومنها قطع البحر الاسود الى القرم ، ويبدو ان قسما من وصفه قد ضاع يا للأسف • سافر ابن بطوطة من العالاي محاذيا ساحل البحر الى أنطالية ثم ضرب شمالا فاجتاز الجبال الى اكريدور فى حميد على بحيرة اكريدور ومنها توجه الى لاذق (Laodicea ad Lycum) فوصل ميلاس فى منتشا • ثم قطع آسية الصغرى بطريق منحرف الى قونية وقيسارية فسراس وارزن الروم • ومن بعد ذلك يعترى حديث رحلته نقص : اذ ان المدينة التالية التى ذكرها كانت يركي فى أيدين • ومنها زار ايسلوق (افسوس Ephesus) • وأخيرا اتجه ابن بطوطة صوب الشمال فالشرق فمرّ فى طريقه بمدينة برسى وغيرها من المدن حتى انتهى الى صنوب فى ساحل البحر الاسود • وقد زاد معاصره المستوفى ، فى ما كتبه عن جغرافية بلاد الروم ، بعض التفصيل على ما وصفه من مدن • على ان المستوفى ، وان كتب فى سنة ٧٤٠ (١٣٤٠) ، فقد اعتمد على مراجع قديمة • فكانت أخباره تصف حال بلاد الروم فى أواخر عهد السلاجقة أكثر مما تصف حال تلك البلاد حين ولد الامراء السشرة سلطانهم فيها •

وفى مطلع الملة التاسعة (الخامسة عشرة) كانت غارة تيمسور على آسية الصغرى قد قلبت مجرى الامور رأسا على عقب الى أجل ما ، وردت الدولة الشمانية الحديثة النشأة على أعقابها زهاء ربع قرن ، وما أورده علي اليزدى عن حروب تيمور وسع علمنا بهذه البلاد • وهناك تفاصيل أخرى فى كتاب جهان نما

التركي . وهذا السفر وإن دَوَّنَ في مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ، حيث كانت الدولة العثمانية قد وطدت أركانها في آسية الصغرى منذ عهد بعيد ، فإنه ذكر أهم ما خلقه سلاطين آل سلجوق من آثار .

وقبل أن نصف الامارات العشر التركمانية ، وقد نوهنا باسمائها آنفاً ، يحسن بنا أن نذكر شيئاً عن المدن التي في شرقي قرمان ، وهي التي قد يمينها المجرى الاسفل لنهر هلس (فزل ايرماق عند الترك) وبكملها خط يتجه جنوباً الى جبجان . كانت آسية الصغرى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) مما يلي شرق هذا الحد من مملكة الالبخانيين ، وهم الامراء المغول الذين تولوا حكم العراق وفارس . وكانوا يولون عمالهم على هذه القلاع لينشروا السلام بين قبائل التركمان البدوية الصغيرة التي حلت في هذه البلاد بعد الفتح المغولي العظيم . وكانت أهم المدن في شرق حدود قرمان : قيصرية (وتكتب أيضاً قيسارية وهي *Gaesarea Mazaka* في القاناق) وقد كانت في زمن بني سلجوق ثمانية مدن الروم ، وعدّها القزويني قاعدة ملكهم . ويرى فيها فيما يرى من المقامات : جامع (ابي محمد) البطال ، بطل العهد الاموى . ووصف المستوفى قيصرية بأن حولها شورا من حجر بناء السلطان علاء الدين السلجوقي . وكانت مدينة عظيمة محصنة عند لحف جبل ارجاست (*Argaeus*) . وذكر المسنوفى ان ارجاست كان جبلاً شامخاً لا يفارق الثلج قمه . وينحدر منه أنهار كثيرة . وفي لحفه : دولو (*Davlû*) . وهو موضع سيئ ذكره . وفوق قمة الجبل بعة عظيمة . وفي قيصرية « موضع يقولون انه حبس محمد ابن الحنفية » من ابناء الامام علي . ولما زار ابن بطوطة قيسارية (وقد كتب اسمها بهذا الوجه) « كان بها عسكر اهل العراق » من عساكر السلطان المغولى . وكانت قيصرية في مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) أولى المدن الكبرى التي استولى عليها جيش تيمور في آسية الصغرى .

وابلستين (ارابيسوس *Arabisus*) في شرق قيصرية . وهي من مدن الثغور في أيام الروم . وقد ذكرت أيضاً في فتوح تيمور . قال المستوفى ان ابلستين مدينة لا كبيرة ولا صغيرة . وذكرها صاحب جهان نما بالتهجئة الحديثة

« البستان » • وكانت قبر شهر (وهي جستانيوبوليس موكيسوس Justinianopolis Mokissus) الرومية على نحو ثمانين ميلاً غرب قيصرية • وكانت ذات شأن • وكثيرا ما ورد ذكرها في أخبار حروب تيمور • ووصف المستوفى قبر شهر بأنها مدينة كبيرة ذات مبان جميلة • وعدها صاحب جهان نما من مدن قرامل • وكانت اماسية أو اماسية (Amasia) في عهد السلاجقة من مراكز حكوماتهم • وروى المستوفى ان السلطان علاء الدين قد احدها • ووصفها ابن بطوطة • وقد مر بها • بقوله انها « مدينة كبيرة حسنة وهي فسيحة الشوارع والاسواق ذات أنهار وبساتين وعلى أنهارها التواعير تسقى حاناتها ودورها • ومملكتها لصاحب العراق • • ويقرب منها بلدة سوتسى (كتبها جهان نما بصورة صونيا) وبها سكنى أولاد ولى الله تعالى ابنى الباس احمد الرفاعى • • وفي شمال اماسية : لاذق (Laodicea Pontica) وهي موضع ذو شأن بيد السلاجقة • وكثيرا ما ذكرها ابن بيسى في تاريخه • ووصف المستوفى ميناء سمسون (أو صامصون وهي اميسوس Amysos عند الروم) بأنه مرفأ عظيم للسفن • ويحلل النصف الاخير من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تمت ثروتها بانتقال تجارة سنوب (أو صنوب Sinope) اليها وهي المباء الذى كان قبلها^(١) •

وكانت نيكسار (أو نيكسار وهي Neo-Caesarea اليونانية) مدينة جليلة خاضعة للسلاجقة • وكثيرا ما ورد ذكرها في ابن بيسى • وقد وصفها المستوفى بأنها مدينة وسطة حولها بساتين تكثر فيها الفواكه • وكانت توفات (وتكتب أيضا دوقاط) في غرب نيكسار على طريق اماسية • وكانت من الحكومات العظيمة التابعة لبسى سلجوق • وبلغها في الغرب : زيلة وقد ذكرها ابن بيسى ومن جاء بعده من المصنفين • وأحدث السلطان علاء الدين مدينة سواس (Sebastia) على نزل ايرماى (هلس Halys) وقد شيد أبنائها الجديدة كلها بالحجارة المهندمة • وروى المستوفى ان الموضع كان مشهورا بشباب الصوف الى تحمل

(١) البرزبى ٢ : ٣٧١ • ابن بطوطة ٢ : ٢٨٧ و ٢٨٩ و ٢٩٢ : ابن بيسى ٢٦ و ٣٠٨ : المستوفى ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ٢٠٢ : على البرزى ٢ : ٢٧٠ و ٤١٦ و ٤١٧ : جهان نما ٥٩٦ و ٦١٥ و ٦٢٠ و ٦٢٢ و ٦٢٣ •

منها • وهى ذات هواء بارد يكثر فيها القطن والقمح • وتكلم ابن بطوطة على سيواس فقال هى « من بلاد ملك العراق وأعظم ما له بهذا الاقليم من البلاد » وبها منزل أمرائه وعماله • مدينة حسنة الصمارة واسعة الشوارع أسواقها غاصة بالناس وبها دار مثل المدرسة تسمى دار السيادة •

ووصف المستوفى الطريق الضارب غرباً^(٢) من سيواس الى بلاد فارس وهو كما يأتى : مرحلتان الى زاده • وهى مدينة قليلة الشأن • ثم مرحلتان الى آق شهر (المدينة البيضاء) وقد تردد ذكرها كثيراً فى أخبار السلاجقة • وفى شمال غربى آق شهر قره حصار (الحصن الاسود) وقد أكثر ابن بيبى من الإشارة اليه وسماه قره حصار دولة تميزا لهذا الحصن - الذى أشار اليه أيضاً المستوفى - عن حصن آخر بالاسم ذاته • وسماه جهان نما قره حصار شيين نسبة الى مدمن الشعب على مقربة منه • ومن آق شهر يتجه الطريق الى بلاد فارس فيبلغ اربنجان فى ثلاث مراحل • ومنها مثل ذلك الى اربن الروم • ثم يتجه جنوباً الى ختوس (خونس كما كتبه ابن بيبى • وخنس اسمها الحالى) وهو ثلاث مراحل • ومنها عشر مراحل الى ملاسجرد (منزكرت) وهذه على ثمانى مراحل من اربجيش القائمة على بحيرة وان^(٣) •

كانت امانة قرمان أو قرامان • أكبر الامارات العشر • وإنما سميت بذلك نسبة الى القبيلة التركمانية التى حلت فى هذه الارزاء • وكانت فاعدها لارندة وقيل لها قرمان أيضاً نسبة الى الامارة • ويرقى زمن لارندة الى أيام الروم • وصفها ابن بطوطة • وقد زارها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • وكتب اسمها بصورة اللارندة فقال « مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين » • وفى ختام هذا القرن استولت عليها جيوش تيمور ونهبتها • الا أنها استعادت بعد ذلك ازدهارها الاول • وإلى جنوب لارندة مدينة ارمناك • وقد تكلم عليها المستوفى وقال انها كانت فيما مضى مدينة كبيرة ولكنها انحطت فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فصارت مدينة

(٢) الصواب « شرقاً » على ما هو راجح (م) •

(٣) ابن بيبى ٢٦ و ٢٩٢ و ٣٠٨ : ابن بطوطة ٤٨ و ٢٨٩ : المستوفى ١٦١ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٩٩ : جهان لما ٤٢٤ و ٦٢٢ و ٦٢٣ •

أقلية • ونوّ بها جهان تما حين ذكره سلفكة وكان العرب يسمونها قبل سلوقية (Seleucia of Cilicia) • ودخلت هذه المدينة في أيام السامانيين ضمن الولاية المسماة إيج اليي ومنها بالتركية « الأرض الداخلة » • ولما كان هذا الوصف لا يتفق هو ووضع الولاية المبحوث عنها ، إذ أنها تحاذي الساحل ، « ظنّ أن إيج الى ليس الا تصحيفا منفعلما من الاسم اليوناني القديم قلبية Cilicia .

وكانت قونية (Iconium) على ما بينا دار ملك السلاجقة • ولكنها في عهد امراء قرامان تضال شأنها فصارت مدينة في المرتبة الثانية وروى المستوفى انه كان فيها ايوان عظيم في القصر الذي بناه السلطان قلعج ارسلان وهو بانى الحصن أيضا • ثم بنى علاء الدين ، أو استحدث ، أسوار المدينة بالحجارة المقدودة وجعل علوها ثلاثين ذراعا واطاف بها خندقا عمقه عشرون ذراعا • وكان محيط الاسوار عشرة آلاف خطوة وفيها اثنا عشر بابا جعل فوقها أبراجا عظيمة • ومدّ الماء الوافر اليها من الجبل القريب منها • واختزنه في صهريج عظيم تملؤه قبة عند أحد أبواب المدينة • ومنه كان يخرج ثلثثة قناة ونيف توزع الماء بين سائر احياء المدينة • واشتهرت قونية بسائيتها التي يكثر فيها الشمس الاصفر وينمو في مزارعها القطن والقمح •

وذكر المستوفى ، الى ما تقدم ، ان الخراب كان غالبا على قونية في أيامه وان بقي الربض الذي في أسفل الحصن أهلا بالسكان • وكان في المدينة تربة الشاعر الصوفي العظيم جلال الدين الرومي ، وقد مرّ ذكره • ويوزورها كثيرون • ورأى ابن بطوطة هذه التربة • وأشاد بقونية فقال انها « مدينة عظيمة حسنة الصارة كثيرة المياه والأنهار والساتين والعواكه وبها الشمس المسمى بقمر الدين ويحمل منها أيضا الى الشام • وشوارعها متسمة جدا وأسواقها بديعة الترتيب وأهل كل ساعة على حدة » • وذكر ابن بيبي في تاريخه عن السلاجقة اسماء ثلاثة من أبواب قونية ، هي : باب سوق الخيل (دروازه اسب بازار) وباب دار الفحص (دروازه جاشني گیر) وباب جسر احمد (دروازه بول احمد) • وقلمة قره حصار التابعة لقونية ، لا تبعد كثيرا عن شرق قونية • وقال

المستوفى ان بهرام شاء قد بناها . ويلها هرقة (Heraclea) وهو اسم نحرف في الازمنة المتأخرة الى اراكلية . وكثيرا ما تردد ذكرها في جهان نما . وفي شمال قونية : لاديق مـوخنه أى لاديق المحسروقة (Laodicea Combusta) وهى Katakelaumena اليونانية) وقد أطلق عليها ابن بيسى قرية لاديق تميزا لها عن غيرها من المدن التى تسمى (Laodicea (Ad Lycum, Pontica) وأشار جهان نما الى لوديكية كمبوستة باسم يورغان لاديق وتسمى أيضا لاذقية قرمان^(٤) .

وفي شمال ولاية قرمان : انكورة (Angora) (انقرا Ancyra اليونانية) وقد كتبها البلدانون العرب القداماء بصورة انقره والمؤلفون الفرس والتürk المحدثون إنكورية^(٥) . وصفها المستوفى بقوله انها مدينة ذات هواء بارد يكثر فيها القمح والقطن والفواكه . وقد اشتهرت فى التاريخ لان فيها تغلب تيمور سنة ٨٠٤ (١٤٠٢) على السلطان بايزيد الثمانى وأسره بعد موقعة حامية . وقوصحصار أو كوج حصار على الحافة الشرقية للبحيرة الملحة الكبرى ، ذكرها المستوفى وقال انها مدينة وسطية . وقد ورد ذكرها أيضا فى جهان نما . وعلى شىء يسير من شرق الطرف الجنوبي للبحيرة : آقصر (القصر الابيض) . بناها السلطان قلعج ارسلان الثانى فى سنة ٥٦٦ (١١٧١) . وصفها المستوفى بانها مدينة فى ارض كثيرة المخرات . وآقصر (بحسب تسمية ابن بطوطة لها) يشقها ثلاثة انهار . وداخلها بساتين كثيرة وفيها الاشجار ودوالى العنب وتصنع فيها (فى المئة الثانية = الرابعة عشرة) البسط المنسوبة اليها من صوف الغنم لا مثل لها فى بلد من البلاد . ومنها تحمل الى الشام ومصر وال عراق . . وزاد ابن بطوطة على ذلك ، ان آقصر فى أيامه كانت « فى طاعة ملك العراق » .

وعلى نحو خمسين ميلا شرق آقصر : ملتقوية (ملكوبية Malacopia)

(٤) ابن بطوطة ٢ : ٢٨١ و ٣٨٤ ؛ المستوفى ١٦٢ : ١٦٣ ؛ على اليزيدى ٢ : ٤٥٨ ؛ جهان نما ٦١١ و ٦١٥ و ٦١٦ ؛ ابن بيسى ٨ و ٩ : ٢٨٧ و ٣٢٤ .
(٥) فى معجم البلدان (مادة انقره) انقره : هو فيما يلى اسم للبلدية المسماة انكورية (م) .

ذكر المستوفى أنها موضع ذو شأن في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • وإلى شمال هذه المدينة : قرا حصار أخرى • وصفا المستوفى بأنها من أعمال نيكدة • وإلى شرق هذه المدينة أيضا : دولو (وجاء أسمها في جهان نما بصورة دوهلو) • وهي على ما بينا تقوم عند لحف جبل ارجاست وقد ورد ذكرها غير مرة في تاريخ ابن بيبى في كلامه على قيسرية • ووصف المستوفى دولو بأنها مدينة وسطة ، جدد السلطان علاء الدين السلجوقي بناء أسوارها • وفي جنوب ملقوية : نيكدة (وكتبها ابن بيبى نيكدة) وقد قامت في موضع طوالة القديمة (تيانة Tyana) بناها السلطان علاء الدين • وصف المستوفى نيكدة بأنها مدينة لا كبيرة ولا صغيرة • وقد مر ابن بطوطة بمدينة نكد (على ما سماها به) وقال ان بعضها قد خرب وانها من بلاد ملك العراق ويشغها النهر المعروف بالنهر الاسود وعليه ثلاث قنطرة ، وعليه الواوير ومنها تسقى البساتين والفواكه بها كثيرة ، وفي جنوب نكد : لؤلؤة (لولون Loulon) وكثيرا ما ذكرها ابن بيبى • وقد بينا انها قلعة عظيمة في الطرف الشمالي من درب أبواب قليقة • وفي المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وصف المسنوفى لؤلؤة فقال هي مدينة صغيرة حولها أرض خصبة وهواؤها بارد وفيها مواطن للصيد مشهورة^(١) •

والظاهر ان أهم المدن في بلاد امير تكة : مدنتا الملايا وانطالية وهما ميناءان مشهوران • فالاولى على ما بينا ، اسمها السلطان علاء الدين السلجوقي فوق كوراكسيوم (Coracesium) وقد نزلها ابن بطوطة حين حاه من الشام سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) فوصف الملايا بأنها مدينة كبيرة على ساحل الحر ولها تجارة مع الاسكندرية ولها قلعة صعد اليها ابن بطوطة ووصفها بقوله • لها قلعة باعلاها عجيبة منيعة بناها السلطان المعظم علاء الدين • وكانت الملايا في أيامه على ما يظهر من بلاد سلطان قرمان •

أما أنطالية ، وهي الميناء الثاني ، فكانت على نحو مئة ميل من غرب الملايا عند رأس الخليج • وقد اشتهرت بان الصليبيين كانوا يحشرون منها الى فلسطين •

(١) ابن بيبى ٥ و ٣٤ و ٤٤ و ٢٧٩ و ٣١٤ : ابن بطوطة ٢ ، ٢٨٥ و ٢٨٦ : المسعودي ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ٢٠٢ : ياقوت ٤ ، ٦٤٥ ، عل البربري ٢ ، ٤٢٩ : جهان سا ٦١٧ و ٦٢٠ •

وهى بلد كبير عده ياقوت * من مشاهير بلاد الروم وهى حصن على شط البحر واسع الرستاق كثير الامل * وفيها بنى السلطان قلج ارسلان السلجوقى قصرا له فوق تنز من الارض يطل على البحر * ووجد فيها ابن بطوطة أيضا ان * كل فرقة من سكانه منفردة بأنفسها عن الفرقة الاخرى : فتجار التصارى مأكثون منها بالوضع المعروف بالميناء وعلهم سور * واليهود فى موضع آخر وعلهم سور * وسائر الناس من المسلمين يسكنون المدينة العظمى وبها مسجد جامع ومدرسة * وانطاكية ، وهى التى ورد اسمها فى أخبار الحروب الصليبية بصورة ستالية (Satalia) أو اتاليية (Attaleia) ، قد جاء ذكرها مرارا فى حروب تيمور لك باسم عدالية * وفى غربها ، على ما ذكر علي اليزدى ، استانوس * وهى مدينة ذكرت فى جهان نما بصورة استاناز (٧) .

وفى شمال تكة كان لامير امارة حميد البلاد التى حول البحيرات الاربع : اكريدور وبردور وبقشهر وآقشهر * وكانت دار المملكة فى أيام السلاجقة ، على ما جاء فى ابن يسي ، فى مدينة برغلو وهى تطابق الوبرلو الحديثة على ما يظهر (فى غرب اكريدور) وهى سوزوبوليس (Sozopolia) أو ابولونية (Apollonia) عند الروم . وانطاكية (Antioch of Pisidia) ، وكثيرا ما ذكرتها التواريخ الاسلامية القديمة ، قد اضمح اسمها فى العهد التركى يلاواج . وكانت فى البرية بين بحيرتى اكريدور وآقشهر * والظاهر ان أهم مدن هذه الولاية فى الملة الثامنة (الرابعة عشرة) ، على ما جاء فى المستوفى ، اكريدور وهى مدينة بروسته Prostanna القديمة (فى جنوب بحيرة اكريدور . ووصف ابن بطوطة مدينة اكريدور بقوله * مدينة عظيمة كثيرة العمارة حسنة الاسواق ذات أنهار وأشجار وبساتين (ثم قال :) ولها بحيرة عذبة الماء يسافر المركب فيها الى آقشهر وبقشهر وغيرها من البلاد والقرى ، التى على شطآن هاتين البحيرتين * وكانت مدينة بقشهر أو بى شهر (وهى كرية Karallia عند الروم)

(٧) ورد فى العهد الفيليدى من الكتاب المقدس ذكر اتالية فى سفر الامثال ١٤ : ٢٥ . ياقوت ١ : ٣٨٨ : ابن بطوطة ٢ : ٢٥٧ و ٢٥٨ : جهان نما ٦١١ و ٦٣٨ و ٦٣٩ : على اليزدى ٢ : ٤٤٦ و ٤٤٧ .

عند طرف بجيرتها وقد بناها السلطان علاء الدين السلجوقي على ما جاء في جهان نغا . ولها سور من حجر فيه بابان وفيها مسجد جامع وحمامات حسنة وسوقها في موضع يسمى آلرغة . وإلى غرب اكريدور مدينة بردور على بحيرة بردور وهي بلدة صغيرة . قال ابن بطوطة انها كثيرة البساتين والانهار ولها قلعة في رأس جبل شاهق . وجاء في جهان نما ان اسباطة وهي في جنوب اكريدور كانت قاعدة حديد في الازمنة الماضية . وكتب ابن بطوطة هذا الاسم بصورة سبرتا . وقال انها ه بلدة حسنة العمارة كثيرة البساتين والانهار لها قلعة في جبل شاهق . ه وتمثل هذه المدينة مدينة برس (Baris) البرنطية وتعرف اليوم باسم سبارتا^(٨) .

أما بحيرة آقشهر فهي التي سماها ابن خرداذبه (أنظر الصفحة ١٦٧ أعلاه) الباسليون وقد عرفها الروم بحيرة الادبيين شهيدا . وإلى غربها الحصن العظيم قرا حصار . وكثيرا ما جاء اسمه مرتبطا بأقشهر في حروب تيمور لك . وفي آقشهر ، على ما ذكر علي الزدي ، كان السلطان يابزيد ايلدمر العشاني المتكود الحظ قد مات كمدا في سنة ٨٠٥ (١٤٠٣) وكان تيمور لك قد قهره في اقتره . وذكر المستوفي هاتين المدينتين : آقشهر وقرا حصار في جملة ما عرف من أمكنة بهذين الاسمين . وقرا حصار هذه تعرف اليوم بافيون قرا حصار لكثرة ما يزرع فيها من الافيون وهي تبين موضع مدينة بريمنوس (Prumneshon) أو اكرويس (Akroenos) اليونانية . وتؤكد الروايات المحلية ان البطال ، وهو بطل عهد بنى امية الاول ، في حروبهم مع الروم قد قتل في وقعة جرت بالقرب منها . على ان الطبري ، وهو أقدم مرجع لدينا ، روى في حوادث سنة ١٧٢ (٧٤٠) ان عبدالله البطال « قتل في أرض الروم » ولم يشر إلى موضع مقتله^(٩) .

(٨) سبرتا أو اسبارته هو تصنيف الاسم اليوناني (eis Bápion) انظر الحاشية في ص ١٩٠ عن ارميد واذيني (نيقوميديا ونيجية Nicaea , Nicomedia) .
(٩) ابن نبتس ه و ٢١٢ و ٢٥١ و ٢٨٣ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٦٥ و ٢٦٦ ؛ المستوفي ١٦٢ و ١٦٣ ؛ جهان نما ٦١٨ و ٦٣٦ و ٦٤٠ و ٦٤١ ؛ علي الزدي ٢ : ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٨٩ ؛ و ١٩٢ و ٨٧ و ١٢٩ و ٣٩٦ و ٤٠١ و ٤٠٦ ؛ الطبري ٢ : ١٧١٦ .
ورد في جهان نما (ص ٦٤٢) ان قبر البطال كان غالبا في القلة العادية عشرة (السابعة عشرة) في سيمي عاوى على ليف وخصين ، ميلا شمال قرا حصار وشرق كوتامية . أما اليوم فانه

وفى شمال اماره حميد وغربها ، البلاد التى كان يحكمها أمير كرميان أو جرميان وكانت دار حكومته كوتاهية (كوتيوم Colyaeum) * وكتب المؤرخون العرب هذا الاسم ، على ما يبتأ ، قطيعة ولا مراة ان المدينة البرنطية قد خربت منذ زمن بعد . وجاء فى جهان نما ان الذى بنى كوتاهية مدينة القرون الوسطى هو سلطان جرميان . وأشار ابن بطوطة الى ان فيها طائفة من قطاع الطرق . وفى ختام الملة الثامنة (الرابعة عشرة) ذكر هذا الموضع كثيرا فى حروب تيمورلنك وكان قد جملة مقر قيادته بعض الوقت . وفى شرق كوتاهية بمئة ميل قرب رواند سنكاريوس (Sangarius) الملا حصن عظيم يقال له سورى حصار اتخذه تيمور أيضا مركزا لقيادته وقاما . ومعنى اسمه فى التركية « الحصن المدب » ، (وكتبها القزوينى بصورة سبرى حصار) ، وكان فوق موضع بسينوس (Pessinus) الرومانى الذى سقى بمعدن جاستيانوبوليس بالبسا (Justinianopolis Palia) * وروى القزوينى انه كان فيه فى الملة السابعة (الثالثة عشرة) بعة مشهورة تسمى بعة كمناتوس * ، وان الدابة اذا احبس ماؤها يطاف بها حول هذه البعة سبعة نفثح ماؤها * .

والى جنوب سورى حصار : مدينة عمورية (Amorion) وهى عند أسار قلعة الحديثة) وقد تكلما عليها قبلا (ص ١٧٠) . وفى الملة الثامنة (الرابعة عشرة) أشار المستوفى اليها بقوله انها موضع ذو شأن وان عامة الناس كانوا يسمونها ، لسبب مبهم ، أنكورية أو انكوره (Angora). وكرر جهان نما هذه التسمية الغربية المخلوط فيها وقال ان انكورية هى التى يقال لها عمورية . وفى جنوب شرقى جرميان ، مدينة لاذق (Laodicea ad Lyonm) التى سماها الاتراك دنزلو (المياه الوفرة) لكثرة انهارها ويعرف هذا الموضع اليوم باسم اسكى حصار (القلعة القديمة) وقد وصفها ابن بطوطة فقال « هى من أيدح المدن وأضخمها

يرى فى مير شمر . اما الطالكية بسيدية (Antioch of Pisidia) فيظهر ان الوارينج العربية القديمة تبديل فى كل وقت الى خلطها بمواقع أخرى بالاسم ذاته ولا سيما بالطالكية الشام . وقد أشار البغويى فى تاريخه (١٧٧٠١) الى الطالكية المحترقة التى تسمى على ما سطور معنى الطالكية بسيدية . وتكلم المؤلف لصف (٢٠٢) على غزوة وقعت فى سنة ٤٦ (٦٦٦) . ثم ذكر « الطالكية السوداء » ولعله أراد بهذا الاسم Antioch of Isauria الطالكية ايزورية .

فيها سبعة من المساجد لاقامة الجمعة وأسواقها حسان • وتفتح بها ثياب قطن معلقة بالذهب لا مثل لها وأكثر الصناعات بها نساء الروم • وقد ذكر جهان نما ان اسمها القديم : لاذقية^(١٠) •

وفي امانة أمير المنتشا ، زار ابن بطوطة المدن المتجاورة الثلاث : مغلة وميلاس وبرجين وكان مقام الامير في مغلة (مبله Mobolla القديمة) وهي دار حكمه على ما جاء في جهان نما • وقد أشار ابن بطوطة الى انها مدينة حسنة • وكانت ميلاس (Mylasa أو Melisso) أيضا مدينة من أحسن بلاد الروم واضخمها ، كثيرة الفواكه والبساتين والمياه • وكانت برجين (Bergylia وتعرف اليوم أسارلك) على بضعة أميال من ميلاس • وهي جديدة على تل هالك بها العمارات الحسان والمساجد • وزار ابن بطوطة في القسم الشرقي من المنتشا مدينة قل حصار وقد ذكرها المستوفي باسم « گل » وقال فيها انها مدينة وسطية • وأشير اليها أيضا في حروب تيمور • ووصفها ابن بطوطة فقال « بها المياه من كل جانب قد بنت فيها القصب فلا طريق لها الا طريق كالجسر منها ما بين القصب والمياه ، والمدينة على تل في وسط الماء منعة لا يقدر عليها » • وكان في شمال المنتشا حصن طواس ويسى في وقتنا هذا دوناس (Donas) وهو على مسيرة يوم ونصف من لاذق (Troadicea and Iygenum) . وصف ابن بطوطة طواس بأنه حصن كبير في اسفله ربض • ويقال ان صهيسا الصحابي من أهل هذا الحصن^(١١) •

والى شمال المنتشا بلاد امير آيدين وكانت قاعدتها تيرة (Tein) • وحكى ابن بطوطة وقد زار امير آيدين فيها انها « مدينة حسنة ذات انهار وبساتين » • وقد مر أيضا بمدينة بركي (برگيون Pyrgion) على مرحلة من شمال تيرة • وقد أطرى أشجارها الباسقة • وتقوم مدينة آيدين أو كزل حصار في موضع

(١٠) التوريس ٢ : ٣٥٦ ، ابن بطوطة ٢ : ٢٧٠ و ٢٧١ و ٤٥٧ ، المسنولى ١٦٢ ، عل البردى ٢ : ٤٤٨ و ٤٤٩ ، جهان سا ٦٢١ و ٦٣٢ و ٦٣٤ و ٦٤٣ •
(١١) ابن بطوطة ٢ : ٢٦٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٨٠ ، المسنولى ١٦٣ ، جهان سا ٦٢٨ ، عل البردى ٢ : ٤٤٨ •

ترليس (Tralleis) البرنلية وكانت مدينة قليلة الشأن. وكانت أنفس على الساحل، وقد عرفها البلدانون العرب باسم افسوس أو أبسوس. واشتهرت لان فيها كهف اصحاب الكهف الذين جاء ذكرهم فى القرآن (السورة ١٨ ، الآية ٨) . وقد عرفت هذه المدينة بعد ذلك باسم ايا سلوق (وتكتب أيضا اياثلوخ أو اياسلخ) وهو تصحيف الاسم اليونانى (Agriou Theologou) وسميت بذلك لان فيها كنيسة كبيرة للقديس يوحنا اللاهوتى بناها الملك يسطيناس . وقد زار ابن بطوطة هذه الكنيسة حين كان هاك سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) ووصفها بقوله « مبنية بالحجارة الضخمة ويكون طول الحجر منها عشر أذرع فما دونها ، منحوتة أبدع تحت . والمسجد الجامع بهذه المدينة من أبدع مساحد الدنيا لا نظير له فى الحسن وكان كنيسة للروم . فلما فتحت هذه المدينة جعلها المسلمون مسجدا جامعا ، وحيطانه من الرخام الملون ، وفرشه الرخام الأبيض ، وهو مستقف بالرخاص ، وفيه احدى عشرة قبة منوعة . وزاد ابن بطوطة على ما تقدم انه كان لا يسلوق فى أيامه خمسة عشر بابا ، ونهرها يشقها الى البحر . » وعن جانبي النهر الاشجار المختلفة الاحناس ودوالي العنب وممرشات اليلمين . »

وكان فى آيدىن ماء عظيم آخر هو سمرنة (Smyrna) وسمّاه التترك أزمير أو يزمر وهى التى ظفر بها تيمور من الفرسان الاسبالية فى مطلع السنة التاسعة (الخامسة عشرة) . وصفها ابن بطوطة ، وكان فيها سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) ، فقال « معظمها خراب ولها قلعة متصلة بأعلاها . » وزاد على ذلك ان امير آيدىن « كان كبر الجهاد ، له احفان غزوية^(١٢) يضرب بها على مدن نصرانية فى سواحل البحر قرب نهر آيدىن يسمى ويشم . » ومن هذه المدن : فوجة « أو فوجة وهى فوجية (Phocia) على ساحل امارة صاروخان ، فقد ذكرت بعد ذلك فى أيام تيمور لك بانها حصن اسلامى . وذكر ابن بطوطة فى رحلته انها كانت حيثئذ فى ايدى الكفار ، والمراد بهم الجنوبيين (أهل جنوة) . وكانت قاعدة صاروخان مدينة مغنيسية (منبسيا وهى Magnesia) قال ابن بطوطة فيها « هى مدينة كبيرة حسنة فى سفح جبل وبسيطها كثير الانهار والعيون والبساتين والفواكه . »

(١٢) الاسان ضرب من السفن (م) .

وفيهما يقيم أمير صاروخان • وفي حروب تيمور اطلق على البلاد التي حول مقني
سياء (بحسب تهجئة ذلك الزمن) اسم سروهان الى (١٣) •

وفي شمال صاروخان بلاد امير قراصى (أو قره سى) وله داران للحكم
فى بلي كسرى وبرغسة (برگامس Pergamus) • ووصف ابن بطوطة برغسة
وقد زارها فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) بقوله انها « مدينة خربة لها قلعة عظيمة منيعة
بأعلى جبل » • اما بلي كسرى ، وقد زارها أيضا ، فكانت « مدينة حسنة كثير العمارة
مليحة الاسواق ولا جامع لها بجمع فيه » وان كان سلطان قراصى ديمور (أو تيمور)
خان يبش فيها • وأبوه هو الذى بنى بلي كسرى • وكثر ذكر هذه المدينة فيما
بعد أيام حروب تيمور •

ومن بلي كسرى سار ابن بطوطة الى برصى وقد كانت فى أيامه قاعدة
الدولة الشمانية حين أخذ نجمها يتألق وسطوتها تقوى وبدأت تبغ الامارات
التركمانية الأخرى • وكانت برصى أو بروسة (Prusa) فى ذلك
الزمن « مدينة كبيرة عظيمة حسنة الاسواق فسيحة الشوارع تحفها البساتين من
جميع جهاتها واليون الجارية • وبخارجها نهر ماء شديد الحرارة يصب فى بركة
عظيمة وقد بني عليها بيتان احدهما للرجال والآخر للنساء • والمرضى يستشفون بهذه
الحمة ويأتون اليها من أقاصى البلاد » • وقد زار ابن بطوطة سلطانها الشمانى
اورخان (وهو جد بايزيد ايلدرم) وقد مرت الاشارة الى تغلب تيمور عليه فى مطلع
القرن التالى) • وفى عاصته من المائى قبر ابيه السلطان عثمان بسجدها • وكان
مسجدها كنيسة للصارى •

وكانت ميخاليج (ميتوبوليس Miletopolis) وقد سُمِّعوا الروم
(Michaelitze) على نحو خمسين ميلا غرب برصى • وقد ورد ذكرها كثيرا
فى حروب تيمور وفى جهان نسا • على ان أهم بلاد الشمانيين سنة ٧٣٣ (١٣٣٣)

(١٢) ابن بطوطة ٢ : ٢٩٥ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣١١ : على البزق ٢ : ٤٦٦ و ٤٦٨ و ٤٧٠
و ٤٨٠ : جهان نسا ٦٤٤ و ٦٣٦ و ٦٣٧ : روسى HGAM ١١٠ و ٢٢٨ : ياقوت ١ : ٩١ و ٢ : ٨٠٦ •
لقد تكلست على حكاية اصحاب الكهف فى انفسهم فى كتاب
Palestine under the Moslems من ٢٧٤ •

هي نيقية التي أخذها السلطان اورخان من الروم وكان البلديون العرب الاولون بسمون Nicaea : نيقية ، وعرفها الترك باسم يزنيق أو اذنيق . ووصف ابن بطوطة بحيرة يزنيق فقال انها « تنبت القصب » . وفي طرفها الشرقي مدينة يزنيك « لا يستطيع دخولها الا على طريق واحد مثل الحسر لا يسلك عليها الا فارس واحد » . والمدينة على قوله « خاوية على عروشها لا يسكن بها الا اناس قليلون ويدخل المدينة البساتين » . وعليها أسوار أربعة بين كل سورين خندق وفيه الماء ويدخل اليها على جسور خشب » . وإلى شمال نيقية : نيقوميدية (Nicomedia) وقد عرفها البلديون العرب الاولون باسم نيقومدية ، وسماها الترك ازنكيد . وبهذه الصورة ورد اسمها في جهان نما ثم اختصر الى ازنيد وهو ما تعرف به اليوم ولم يصف هذه المدينة ابن بطوطة ولا غيره من المصنفين^(١٤) .

وكانت امانة قزل احمد لى تشرق على ساحل البحر الاسود مما يجاور البوسفور الى سبوب . وأول مدينة كبيرة بلغها ابن بطوطة في رحلته من يزنيق بعد عبوره نهر سنكاربوس الذي يسميه الترك سقري كانت : مطرني أو مدرنى (مدرلو الحديثة وهي Modrene القديمة) وقد ذكر انها بلدة كبيرة . وجاء ذكرها في جهان نما أيضا . ووصف ابن بطوطة مدينة بولي (كلوديوبوليس Claudiopolis) وهي في شمال شرقي مطرني فقال : « بالقرب منها واد ليس بالصغير » . وكانت كردي بولي على مرحلة من شرقها ، وهي مدينة كبيرة في بسيط من الارض حسنة متسعة الشوارع والاسواق وهي محلات متفرقة كل محلة تسكنها طائفة لا يخالطهم غيرهم » . وكانت كردي بولي في سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) مقام الأمير ، والظاهر انها كانت حينذاك أولى مدن قزل احمد لى .

(١٤) ازنكيد تصحيف للاسم اليوناني eis Nikomeesian وارتبق تصحيف eis Nikaian ابن بطوطة ٢ : ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣٢٢ ؛ على اليزدي ٢ : ٤٦٦ ؛ جهان نما ٦٥٦ و ٦٦١ و ٦٦٢ ؛ رمي HGAM ١٧٩ .

والصورة التي وصف بها ابن بطوطة السلطان اورخان مؤسس الفرقة المشهورة بالتيجارة عربية جدا فقد مال ابن بطوطة « هذا السلطان اكبر ملوك التركمان واكثرهم مالا وبلادا وفسكرا له من الحصون ما يقارب مئة حصن وهو من اكثر اوقافه لا يزال يطوف عليها زعيم بكل حصن منها اناما » ويقال انه لم يعم قط شهرا كاملا ببلد وماعلى الكفار ويصارعهم » .

وفى القسم الشرقى من الولاية : قسطنطينية (أو قسطنطيني وأصله قسطنطين) وقد ذكر المستوفى انها مدينة وسطية • وذكرها ابن بطوطة فقال انها « من أعظم المدن » التي زارها فى آسية الصغرى • • وهى كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار • • وفى شمال شرقها ميناء صنوب الكبير (سينوب وهو سينوپ Sinope). ومنها ابهر الى القرم • وقد علمنا من وصفه لصنوب انه • يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا واحدة وهى جهة الشرق • ولها هنالك باب واحد • وهى مدينة حافلة جمعت بين التحصين والتحصين • والمسجد الجامع بمدينة صنوب من احسن المساجد فيه قبة تعلوها ارجل من الرخام • وبها قبر الولي الصالح بلال الحشى • اول من أذن للصلاة فى الاسلام •

وعلى خمسين ميلاً جنوب قسطنطيني : المدينة البزنطية كنگرة جرمانيكوبوليس (Gangra Germanicopolis) وقد سماها الترك كاتسرى • وورد اسمها فى النوايرخ العربية القديمة بصورة خنجرة • وغزا المسلمون فى أيام الخليفة هشام الاموي بلاد الروم وتوغلوا فيها حتى بلغوا مدينة خنجرة • وقال القزويني • وقد أورد الاسم بصورة غنجرة : • بها نهر يسمى المقلوب لانه آخذ من الجنوب الى الشمال بخلاف سائر الانهار • • وزاد على ذلك ان فى سنة ٤٤٢ (١٠٥٠) « وقعت زلزلة هائلة سقط منها أبنية كثيرة • ولم يبق لها أثر^(١٥) • وللإحاطة فى ذكر مدن امارة قزل أحمد لى • بحسن بنا ان نذكر ما سماه صاحب جهان نما بد • كوج حصار • وهى فى نحو نصف الطريق بين قسطنطيني وكاتسرى • ولعلها هى قوشحصار نفسها عند المستوفى • وقد مرت الاشارة اليها (ص ١٨٢) • ويعينها هناك المدينة التى بالاسم ذاته على البحيرة الملحة المنظمى^(١٦) •

فاذا استثنينا الطريق من طرسوس الى القسطنطينية (وجاء وصفه فى ص ١٦٦) والطريق من شرق سيواس الى تبريز (ووصف فى ص ١٨٠) ألفينا ان ما

(١٥) مامى القزويني (ص ٣٦٨) : « سقط منها أبنية كثيرة وحسب هناك حصن وكعبة حتى لم يبق لها أثر » • (م)
(١٦) المسوفى ١٦٣ و ١٦٤ : ابن بطوطة ٢ • ٣٢٥ و ٣٢٢ و ٣٢٦ و ٣٢٨ و ٣٤١ و ٣٤٨ •
جهان نما ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥١ و ٦٥٢ : ياقوت ٢ • ٤٧٥ : القزويني ٢ : ٣٦٨ : الطبرى ٢ • ١٢٢٦ •

دونه اصحاب كتب المسالك عما يخترق آسية الصغرى من طرق لا طائل تحنه •
على ان جهان نما^(١٧) ذكر عددا من المسالك التي تنفرع من سبواس وذكر اسماء
ما عليها من قرى ومنازل •
وما زال كثير منها يرى فى الخارطة • وما يؤسف عليه ان ما بينها من
مسافات لم تذكر فى معظم الاحوال • ومن ثم فان ما يمكن استخلاصه من وصف
هذه الطرق قليل الجدوى •

الفصل الحادي عشر

أذربيجان

بحيرة ارمية - تبريز - سراو - المرافة وانسارها - يسموى واشسته -
مدينة ارمية وسلماس وخوى ودرند - نخبوان - الفانغر عل
نهر ارس Araxes - جبل سبلان - اردبيل واهر -
سفيدرود وروافده - البايغ - خلخال
ولسروزاباد - نهر شمال وولاية
شاهرود .

كان اقليم اذربيجان الجبلى ، ويلفظ اذربيجان بالفارسية الحديثة^(١) ، فى أيام
الخلافة اقل شأنًا مما صار اليه فى أواخر العصور الوسطى بعد الغزو المغولى ، وكان
فى أقدم أدواره مبعدًا عن طريق خراسان الذى تسلكه القوافل قاطعا اقليم الجبال
(ماذى) . وما امكن فى انزال اذربيجان أيضا ، ما ذكر المقدسى من انه

(١) انظر المارطة ٣ (صفحة ١١٤) وصورة الاسم العديدة فى الفارسية اذرباذاكان لصفحة
اليونان الى اثيوبيا (Atropatene) - وذكر القندى (ص ٢٧٢) ان اذربيجان والران وارمينية
تؤلف اقليما كبيرا واحدا قد ساء اقليم الرحاب تميزا له عن اقليم الجبال الى ماذى واهليم الفور
(الارض المظلمة) الى وادى ما بين النهرين . (النهى) .
فلما . وراجع ايضا الى اصل اسم اذربيجان ومناه . القصد والاستطراد الى اصول معنى
بنداد لولوى وهى (تابع الملحق ١ مقابل ص ٢٨ وكذلك الصفحة ٣٠) وقد نشر هذا البحث فى
الجزء الاول من مجلة المجمع الطبي الترامى الصادر فى سنة ١٩٥٠ ص ٤٦ - ١٤ . ومن تكلم على
اصل هذا الاسم ايضا J. M. Kinnear فى كتابه A Geographical Memoir of the
Persian Empire, p. 148 (London 1813) (م) .

« يقال ان به سبعين لسانا » يتكلم بها أهل جباله وهضابه • وليس بين مدنه مدينة عظيمة الكر •

ويتأقب الأزمان ، علا شأن بعض مدنه فصارت الواحدة بعد الأخرى قصة الأقليم • فقد كانت قاعدة الأقليم فى صدر العهد الميالى اردبيل أولا ، ثم تواتت تيريز المقام الاول فى أواخر عهد الخلفاء • ولكن بعد الغزو المغولى أخذت المراغة مكانها ثم استعادت تيريز سابق عزها فى أيام الأيلخانيين • ولكن تجمعا اقل فى أيام الملوك الصفويين الاولين ينهوض اردبيل ثانية • وبعد ذلك الزمن أى فى المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) حين اتخذ الشاه عباس اصفهان عاصمة لبلاد فارس جميعا وانحطت اردبيل ، استعادت تيريز مقامها السابق واضحت المدينة الاولى فى اذربيجان • وما زال على ذلك الى يومنا هذا • فهى الآن أجل مدينة فى القسم الشمالى الغربى من بلاد فارس •

وابرز العوارض الطبيعية فى هذا الأقليم بحيرة ارمية • وهى أوسع رقعة دائمة الماء فى بلاد فارس • اذ يربو طولها على ثمانين ميلا من الشمال الى الجنوب وتحولت ذلك فى أعرض اقسامها • وهى فى غرب نرير • وقد سميت بذلك نسبة الى مدينة ارمية التى على ساحلها الغربى • وتطلق مراجعنا على هذه البحيرة اسماء مختلفة : ففى زند آفستا سميت جيجستا • واحتفظت الفارسية القديمة بهذا الاسم بصورة جيجست وهو الاسم الذى عرفت به فى الشاهنامه • وقد ظل شائعا حتى أيام المستوفى • وسماها المسعودى وابن حوفل فى المئة الرابعة (العاشرة) بحيرة كبودان وهو اسم مشتق من الارمنية ومعناه « البحيرة الزرقاء » (گابويده معناه : ازرق فى تلك اللغة) • واطلق عليها الاصطخرى اسم بحيرة ارمية (وتابعة فى ذلك المقدسى) • وكذلك بحيرة الشراة ، والشراة فرقة من الخوارج كانت تقيم فى شطائها • وقال ان هذه البحيرة مالحة الماء وزاد على ذلك ان فيها مراكب كثيرة تختلف بالتجارة بين ارمية والمراغة وحواليها كلها عمارة وقرى ورساتيق •

وفى وسط البحيرة جزيرة سماها ابن سرايون جزيرة كبودان ، فيها مدينة صغيرة يسكنها الملاحون ، وفى البحيرة سمك كثير على ما ذكر الاصطخرى • (وخالفه

فى ذلك ابن حوقل فقد قال « ليس فيها دابة ولا سمك » . وفيها دابة غريبة تسمى كلب الماء . وفى الشتاء « يكون أمواج عظام » وتصير الملاحاة محسوفة بالاختطار . وذكر ابو الفداء هذه البحيرة باسم بحيرة تلا - غير ان هذا الاسم لا يدل على شئ معروف . ووصف القزوينى هذه البحيرة فقال « يخرج منها ملح يجلو ، شبه التوتيا » ويحمل منها الى سائر الانحاء . اما المستوفى فقد بينا انه سماها بحيرة جيجست ووصفها أيضا بلفظة « دريا شور » (أى البحيرة الملحة) . وذكرها أيضا باسم بحيرة طروج أو طسوج نسبة الى مدينة ذات شأن على ساحلها الشمالى . وأشار المستوفى وحافظ ابرو الى جزيرة شاها أو شاهى التى « تصير شبه جزيرة حين يضل الماء » . وفيها قلعة حصينة على جبل ، وبها مدافن هولاكو وغيره من أمراء المغول . وجاء ذكر حصن شاها فى المثة الثالثة (التاسعة) بأن مسكويه حين سرد حوادث الخليفة المتوكل حفيد هرون الرشيد تكلم على شاها ويكدر وهما قلعتان كانتا حينذاك بيد رؤساء الشراة فى تلك الانحاء . وفى المثة السابعة (الثالثة عشرة) جدد هولاكو قلعة شاها - وقد سماها حافظ ابرو قلعة تلا فى بحيرة أرمية - وجعل فيها أمواله مما نهبه من بغداد وأقاليم الخلافة . ثم صارت هذه القلعة مدقنا له . وكانت تعرف بالفارسية باسم گور قلعة « قلعة القبر » . وحين دون حافظ ابرو تاريخه فى أيام تيمور كانت خالية خاوية (٢) .

ومدينة تبريز على نحو ثلاثين ميلا من شرق البحيرة على نهر يصب فيها قرب جزيرة أو شبه جزيرة شاها . ويبدو ان تبريز كانت قرية حتى نزولها فى المثة الثالثة (التاسعة) الرواد الازدى فى أيام المتوكل وبنى بها هو وأخوه وابنه

(٢) نلاحظ اسم ارمية اليوم عانة ارميه وكذلك جاء فى ابن سرايون (المخطوطة - الورقة ١٢٥) :
الاسطخرى ١٨١ و ١٨٩ ' ابن حوقل ٢٣٩ و ٢٤٧ : القنسى ٣٧٥ و ٣٨٠ ' المسعودى ٩٧ : ابو الفداء ٤٢ ' ياقوت ١ : ٥١٣ ' القزوينى ٢ : ١٩٤ ' المستوفى ٢٣٦ : حافظ ابرو ٢٧ : مسكويه ٥٣٩ .

وفى الشاهنامة (ترترميكان - كلكتا ١٨٢٩) ص ١٨٦٠ السطر ٤ وص ١٩٢٧ السطر ٦ من الاسفل ينبغي قراءة جيجست بدلا من شنجست (وهو تصحيح) فالنصحيح حصل من الاجماع .

قصورا ، وحصنها بسور فنزلها الناس معه . وأشارت رواية متأخرة الى ان باني تبريز : زبيدة زوجة هرون الرشيد ، غير ان التواريخ القديمة لا تؤيد هذا القول . هذا الى انه لم يرد ما يشير الى ان هذه الاميرة قد رأت اذربيجان . ووصف المقدسي مدينة تبريز في المئة الرابعة (العاشرة) فقال « مدينة حسنة والجامع وسط البلد تجرى خلالها الانهار وتميد في سوادها الاشجار » . وذكرها ياقوت ، وكان فيها سنة ٦١٠ (١٢١٣) ، فقال انها في ايامه أشهر مدن اذربيجان . وزاد الفروزي على ذلك انه « تحمل منها الثياب العتاي والسقلاطون^(٣) والاطلس والنسيج الى الآفاق » . واتدى الناس مدينتهم حال استيلاء المغول عليها في سنة ٦١٨ (١٢٢١) فنجت بذلك ما أحاق بالمدن التي اكسحها المغول من نهب وسلب . ثم أصبحت بعدهم في أيام الدولة الايلخانية على ما بينا أوسع مدن تلك الاتحاد .

وقد اسهب المستوفي في كلامه على تبريز فقال : ان الزلازل دمرتها مرتين ثم أعيد بناؤها بعد كل تدمير وكان ذلك في سنة ٢٤٤ (٨٥٨) و ٤٣٤ (١٠٤٣) وهلك من سكانها في هذه الزلازل اربعون الفا . وبعد أن بنيت حصنت بسور محيطه ستة آلاف خطوة له عشرة أبواب . وظلت على ذلك حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين شرع غازان خان ببناء ارباض كبيرة في ما على سورها القديم ، وحوط هذه الأرباض بسور جديد . ولهذا السور ستة أبواب وفي داخله جبل وليكان . وكان محيط السور خمسة وعشرين ألف خطوة . وذكر المستوفي أسماء أبواب تبريز الداخلة والخارجة (والمخطوطات متضاربة في هذه الاسماء) وقال ان غازان خان كان قد دفن في سنة ٧٠٣ (١٣٠٣) في ربض الشام العظيم الذي أنشأ هو . وزاد خلفاؤه على ابنه كثيرا من المساجد الكبيرة وغيرها من الابنية في داخل المدينة وفي الربض الرشيدى في منحدرات جبل وليان . وكان يسمى بستان تبريز نهر مهران رود ومخرجه في جبل سهند في جنوب المدينة . وكان حول تبريز سج نواح سمي معظمها باسم النهر الذي يشقه . وسرد المستوفي أسماء

(٣) السقلاطون أو السقلاطوني : شرب من الثياب . والكلمة روسية من سقلاطون Sigillaton . وكان ثيبه مبرور منقوشة عليه . وقد اشتهرت بمداد يصنعه - وانظر « مجلة غرفة تجارة بغداد » [١٩٤١] ٨٥٧ - ٨٦٠ ، لما العتاي ، لقد مر ذكره في الصفحة ١٠٩ من هذا الكتاب (م) .

هذه النواحي وما جاورها من قرى إلا أن قراءة كثير من تلك الأسماء غير موثوق بها . وتكلم ابن بطوطة ، وقد زار تبريز في سنة ٧٣٠ (١٣٣٠) ، فقال : « نزّلنا بخارجها في موضع يعرف بالشام » . وزاد أن فيه مدرسة حسنة من بناء قازان خان «زراوية» . إلى أن قال «دخلت المدينة على باب يعرف بباب بغداد . ووصلنا إلى سوق عظيمة تعرف بسوق قازان واجتازت بسوق الجوهريين فحار بصري مما رأيته من أنواع الجواهر ويعرضون الجواهر على الناس ودخلنا سوق الخبز والمسك ثم وصلنا إلى المسجد الجامع الذي عمره الوزير علي شاه المعروف بجبلان ، وصحنه مقروش بالمرمر ، ويشقه نهر جار ، وحيطاته بالقاشاني ، وكان بخارجها عن يمين القبة مدرسة وعن يساره زاوية »^(٤) .

وفي تبريز نهران : أولهما مهران رود وهو يشق أرباض تبريز والثاني سرد رود (النهر البارد) ويجري إلى الجنوب الغربي وهو كصاحبه منبه في جبل سهند جنوب تبريز ، ويلتقي النهران بنهر سراو على بعد قليل شمال المدينة . وسراو رود وكان يسمى أيضا نهر سرخاب ينبع في جبال سبلان كوه ، وهي على مئتي ميل شرقي تبريز وتشرف على اردبيل . وبعد أن يجري نهر سراو متمججا مسافة طويلة مارا بمستنقعات ملحة يأخذ بعضها برقاب بعض ويستقبل كثيرا من الروافد ، يصب في بحيرة ارمية على نحو اربعين ميلا غرب مدينة تبريز . وقد اسهب المستوفي في وصف جلي سهند وسبلان والنهرين اللذين يتحدان منهما وقال ان مدينة سراو أو سراب ، واليها ينسب النهر الذي بهذا الاسم ، على الطريق من تبريز إلى اردبيل . وكان في ظاهرها اربع نواح ، وهي على ما جاء في المستوفي : ورزند^(٥) ودزند وبراغوش وسقهر . وسماها البلدانون السرب الاولون باسم سرا (عوض سراب) . ووصفها ابن حوقل بأنها « مدينة طيبة كثيرة الخير والمير والبساتين والمياه والفواكه والزرورع والطواحين ولها أسواق حسنة

(٤) الهدى ٣٧٨ : ياقرت ١ : ٨٢٢ : القزويني ٢ : ٢٢٧ : المستوفى ١٥٢ - ١٥٥ : جهان لما ٢٨٠ : ابن بطوطة ٢ : ١٢٩ .

(٥) في طبعة لسترنج لنزعة القلوب (ص ٨٦) : دوند . وقد ذكر سقهر عوسا عن سقهر - (ص ٢) .

وفنادق نظيفة » • وذكرها ياقوت باسم سراو أو سرو وقال خربتها التتر في سنة ٩١٧ (١٧٢٠) وقتلوا كل من وجدوه فيها • على انها استمادت سابق حالها حين كتب المستوفى بعد ذلك بقرن وقال ان بينها وبين تبريز ثلاثة أيام وبينها وبين اردبيل يومان •

وعلى رافد في الجانب الايسر (الجنوبي) لنهر سراو : مدينة آوْجان أو أْجان وكانت على عشرة فراسخ من تبريز في طريق مِيَّاتَه • وصف ياقوت أْجان وكان فيها في المئة السابعة (الثالثة عشرة) بانها مدينة • عليها سور وبها سوق الا ان الخراب غالب عليها • من قمل المغول فيها • وقد أعاد غازان بنامها في أيام المستوفى وأقام فيها زمنا ما • وأطلق عليها اسما جديدا هو شهر اسلام (أى مدينة الاسلام) ولها سور ذرعه ٣٠٠٠ خطوة من حجارة وجص • وكانت تواجبها وافرّة الحيرت يكثر فيها القطن والقمح والفواكه • ويسمى نهرها آب أْجان • ويتبع في قمة جبل سهند الشرقية • الى جنوب غربي هذا الجبل • على نحو ستين ميلا من تبريز واربعة فراسخ من شاطئ البحيرة • القرية الكبيرة داخل قان يحسب تسمة ابن حوقل والبلداتين العرب لها • وقد كتبها الفرس ديه خوارقان • وأورد ياقوت اسما آخر لها وهو ده تخرجان وتفسيره « ده : قرية وتخرجان : صاحب بيت مال (كسرى ملك فارس) • ووصفها المستوفى بانها بلدة صغيرة حولها ضباع ومائى قرى تكثر فيها الفاكهة والقمح (١) •

ومدينة المراغة على سبعين ميلا جنوب تبريز على « نهر صافى » وهو ينحدر نحو الجنوب من جبل سهند اليها ثم ينحرف غربا حتى يصل البحيرة • واسم المراغة • من قرية المراغة (قرية المراعي) فحذف الناس القرية وقالوا مراغة • وكان الفرس يسمونها افراز هرود • وفي المئة الرابعة (العاشرة) وصف ابن حوقل المراغة بقوله « المراغة تلى اردبيل فى الكبر » • وقد كانت فى أيامه مدينة اقليم اذربيجان • وزاد على ما تقدم انها كانت فى قديم الايام المسكر ودار الامارة وخزانة دواوين الناحية بها فنقلت الى اردبيل • وكانت المراغة مدينة تزدهر عليها

(١) الاسطخرى ١٩٠ : ابن حوقل ٢٤٨ و ٢٥٣ : ياقوت ١ : ١٣٦ و ١٩٨ : ٢ : ٤٢٥ و ٦٣٦ : ٣ : ٦٤ : المستوفى ١٥٥ و ١٥٨ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢١٧ و ٢١٨ •

سور كثيرة البساتين والانهار والفواكه واشتهرت بضرب من البطيخ « مستطيل الخلق قبيح المنتثر غاية في الحلاوة وطيب الطعم » . وقال المقدسي : « لهذه حصن وبها قلعة ولها روض » . وقال ياقوت ان هرون الرشيد امر ببناء سورها وتحصينها وقد كُرم سورها في أيام الخليفة المأمون .

واضحت المرافعة في أيام المنول الاولين ، على ما رأينا ، قصة اذريجان . وصفها المستوفي بانها مدينة عظيمة حولها نواح كثيرة الخيرات ذكر اسماء بعضها . وكانت تسقىها انهار كثيرة . وفي ظاهر المرافعة الرسد العظيم الذي بناه الفلكي نصير الدين الطوسي بأمر هولاء وفيه وضع كتابه « الزيج الايلخاني » المشهور . وهذا الرسد ، وما زالت اطلاله ترى هناك ، كان خرابا حين كتب المستوفي في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . وذكر القزويني القلعة المسماة روين دز فقال انها « على ثلاثة فراسخ من المرافعة وهي بين رياض على بعينها نهر وعلى يسارها نهر وعلى القلعة بستان يسمى عميد اياذ ومصنع بئر الماء من تحنها » . وعلى فرسخ منها قرية جنبدق فيها فوارات يحكي عنها عجائب كثيرة .

ونهر صافي يصب في البحيرة قرب المرافعة ، وتختلط مياهه أيام الفيضان بمياه نهر جفتسو ورافده تنسو . وذكر المستوفي ان كليهما ينبع في جبال كردستان . وكان شاطئ البحيرة الجنوبي عدد مصب هذه الانهار مستقما كبيرا . وفي هذا الموضع ليلان (أو نيلان) وهي مدينة صغيرة تلف حولها الانهار وتحف بها البساتين المثمرة . وكانت أهلة بالمنول في أيام المسنوفي . وعلى شئ من جنوب ليلان يحسب المسافات الواردة في كتب المسالك قرية برزة ، وفيها ينقسم الطريق الصاعد من سيسار (نى اقليم الجبال) . فالايمن يتجه نحو الشمال الشرقي الى المرافعة واليسر الطريق الناهب الى ارمية مصافيا غرب البحيرة .

وعلى خمسين ميلا من شاطئ البحيرة الجنوبي بَسَوَى ، وينطق بها العرس بَسَوَى . وقد زارها ياقوت فقال « رأيتها ، أكثر أهلها حرامية » . واطرى المستوفي بساتينها المثمرة . وإلى شمالها الغربي مدينة أَسْنَهْ وكان بها في أيام ابن حوقل أكرداد . وفي المئة الرابعة (العاشرة) كان « يجلب منها ومن سوادها الاغننام والدواب الى بلد الموصل ونواحي بلد الجزيرة » . وهي أيضا مدينة كثيرة الشجر

والخضر والخيرات * ولما راعىها ينتجع اصحاب الاغنام * وقال ياقوت * وقد زارها *
انها ذات بساتين * ووصفها المسنوفى * وأورد اسمها * بصورة أشنويه فقال انها
فى المنطقة الجبلية التى سماها ده كباهان^(٧) .

ومدينة ارمية * وبها عرفت البحيرة التى باسمها * على شىء يسير من شاطئها
الغربى * وهى فى ما يزعمون مدينة زرادشت * وكانت هذه المدينة على ما ذكر
ابن حوقل فى المثة الرابعة (الماشرة) * تلى المراغة فى الكبر * وهى مدينة
نزهة كثيرة الكروم وافرة الحظ من التجارات * * والجامع فى البرازين^(٨) .
وكانت ارمية * بقلمة عامرة ولها حصن وبها نهر * ينحدر الى البحيرة وهى على
نحو فرسخ منها * وفى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) اوضحت مدينة كبيرة ذرع
سورها عشرة آلاف خطوة * ومن أعمالها عشرون قرية * وعلى الطريق فى شمال
أرمية * على بعد قليل من زاوية البحيرة الشمالية الغربية * مدينة سلماس وقد
وصفها المقدسى بانها بلدة طيبة ذات أسواق حسنة والمسجد الجامع منى بالحجارة
* وقد أحاط بها الاكراد * فى المثة الرابعة (العاشرة) وقال ياقوت ان معظم
سلماس قد خرب فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) * ولكن الوزير علي شاه *
على ما روى المستوفى * كان فى القرن التالى * فى حكم غازان خان المولى * قد جدد
بناء أسوارها * ومحطها ٨٠٠٠ خطوة * فلستأدت المدينة شأنها الاول * وهى
باردة الهواء * ولها نهر ينبع فى الجبال التى فى غربها ويصب فى البحيرة * .

وعلى شاطئ البحيرة الشمالى مدينة يقال لها طروج أو طسوج وللمها ترسة
الحديثة * والمستوفى * على ما بينا * كثيرا ما ذكر بحيرة طسوج أو طروج الملحة
وعلى هذا فمدينة طسوج مثل ارمية قد انتقل اسمها الى هذه الرقعة من الماء * وفى
المثة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت طسوج * على ما يبدو * موضعا ذا شأن * وكانت
أدفا هواء من تبريز وأكثر رطوبة لشدة اقترابها من البحيرة * وحولها البساتين
والكروم * وإلى شمال شرقى سلماس * مدينة خوي وتلفظ خوي على نهر يحرى

(٧) الاصل خوى ١٨١ * ابن حوقل ٢٢٨ و ٢٢٩ * المقدسى ٣٧٧ : ياقوت ١ و ٢٨٤ و ٥٦٤ و ٦٢٦ ؛
٤ : القريهين ٣٠٠ و ٣٠٨ * المستوفى ١٥٨ و ١٥٩ و ٢١٨ *
(٨) هذا القول للمقدسى (احسن التأسيس من ٢٧٧) (م) .

شمالاً فيصب في نهر ارس (Araxes) ، وخوي ، على ما ذكر باقوت والقزويني ، ذات سور حصين ومياه وأشجار كثيرة الخيرات يعمل بها الديباج ، بها عين ينبع منها ماء كبير جداً بارد في الصيف حار في الشتاء ، وقال المستوفي ان دائر أسوار المدينة ٦٥٠٠ خطوة وان أهلها من قوم بيض الاجسام كأهل الخطا (وهم من الصين) ولها ثمانون قرية .

وفي الملة الراصة (الماشرة) وصف المقدسي مدينة مرند وهي في شرق خوي على ضفاف نهر من روافد الجانب الايمن لنهر خوي بقوله : « مرند : حصينة لها ريف عامر والجامع في الاسواق تحدد بها الساتين » ، وقال ياقوت فيها : « قد تسمت الآن وبدا فيها الخراب مذ نهى الكرخ^(٩) وأخذوا جميع أهلها » . وكان نهرها على ما جاء في المسوفي سمي زولو (أو زكوير) ويقال ان قسماً منه كان يجري مدى أربعة فراسخ تحت الارض . وروى المسوفي ان مرند كانت في أيامه على نصف سمنها الاولى الا انها بقيت مشهورة بربية دود القرمز وكان يستخرج منها صمغ أحمر . وحول المدينة ستون قرية كانت من أعمالها^(١٠) .

وكانت نخجوان أو نخجوان الى شمال نهر ارس وتحسب عادة من أعمال اذربيجان . وهي تشوّى لدى اللدانيين العرب . وذكرتها كتب المسالك كثيراً دون ان تنطرق الى وصفها . وقد علا شأن نخجوان في أيام المغول . ووصفها المسوفي بأنها بلدة كبيرة بناؤها من الآجر وبالتقرب منها في ناحية الشرق فلعة السّجّيق وفي شمالها جبل ضارب في الفضاء تغطي الثلوج يقال له ماست كوه . وفي نخجوان القبة التي بناها ضياء الملك ابن نظام الملك وزير ملكناه السلجوقي العظيم . ووصف علي اليزدي قطرة ضياء الملك المشهورة (وما زالت بقاياها قائمة) فوق نهر ارس عند قلعة كركر على طريق مرند على نحو ١٥ ميلاً من نخجوان .

وعلى نهر ارس ، اسفل منها بشي يسير ، مدينة مجلفا وقد تكتب جولاهها . دمرها الشاه عباس ملك فارس في سنة ١٠١٤ (١٦٠٥) حين نقل أهلها الارمن

(٩) هذا يعني يابوت (٤ : ٥٠٣) - اما المؤلف فقد ذكر الكرخ بدلا من « الكرخ » (م) .

(١٠) الاسطخري ١٨١ : ابن حوقل ٢٣٩ : الهنسي ٢٧٧ : السزويني ١ : ١٨٠ :

٢ : ٣٥٤ : ياقوت ١ : ٢١٨ : ٣ : ٥٠٢ : ٣ : ١٢٠ : ٤ : ٥٠٣ : فلسطيني ١٥٦ - ١٥٦ : ٢١٨ :

الى ديبس جديد ابتناه فى جنوب اصفهان وسماه جلفا نسبة الى جلفا القديمة التى على نهر ارس . ومما ذكره المستوفى من مدن نهر ارس : اردوباد (وما زالت قائمة) وهى قرب ملتقى نهر بارس من الجنوب . تقوم على شفاfe قلعة دزمار وقد ذكرها ياقوت أيضا . وأسفل منها على نهر ارس أيضا مدينة زنكيان فى كورة مردان نعيم . وهناك قنطرة ثانية ما زالت قائمة على نهر ارس يقال لها بالفارسية بلخ خدا آفرين (جسر خلقه الله) وقد بناها على ما ذكر المستوفى أحد الصحابة فى سنة ١٥ (٦٣٩) وتشتمل ارض مردان (أو مراد) نعيم على ثيف وثلاثين قرية^(١١) .

ومدينة اردبيل فى أعالي نهر سماء المستوفى اندراب ، واسفل منها يقع نهر آهر فى بشار نهر اردبيل وهذا يسبب فى نهر ارس على شئ يسير أسفل من قنطرة خدا آفرين . ومخرج نهري اردبيل وأهر من منحدرات سبلان كوه الشرقية والغربية (على التوالى) وهو الجبل العظيم المطل على اردبيل . ومن منحدراته الجنوبية يخرج نهر سراء على ما قد بينا ، فيجربى غربا الى بحيرة ارمية . وذكر ابن حوقل جبل سبلان فى المئة الرابعة (العاشرة) ولكنه أخطأ فى قوله انه اعظم من دماوند^(١٢) . وهو على بضعة أميال من شمال طهران ، وتكسو الاشجار سفوحه وعليه قرى ومدن كثيرة أحصاها المسنوي . وقال ان الجبل كان يرى من بعد خمسين فرسخا ولا يفارقه الثلج شتاء ولا صيفا . وبالقرب من قمته عين كان سطحها دائم الجمود . وعلى مقربة من جبل سبلان ، قمتان أخريان هما كوه سراء هند شمال أهر وسياه كوه (الجبل الاسود) وهو يطل على كلتر وهى مدينة صغيرة فيها قلعة تحف بها الاشجار ويسقى مزارعها نهر .

وكانت اردبيل ، على ما بينا ، قصبة آذربيجان فى المئة الرابعة (العاشرة) . قال فيها الاصطخرى « عليها سور وهى مدينة تكون ثلثي فرسخ فى مثلها . والغالب على ائمتها الطين والآجر وبها المسكر . وبها رساتيق وكور جبلية وهى خصبة

(١١) تاريخ ٤ : ٦٢٢ و ٧٦٧ و ٧٨٤ المسنوي ١٥٧ و ١٥٩ و ٢٠٦ ، على اليزدى ١ : ٣٩٨ و ٣٩٩ : ٢ : ٥٧٣ .

(١٢) ما من ابن حوقل (ص ٣٧٢) : دماوند (م) .

واسماها رخيصة * وعسل اردبيل مشهور * وتكلم المقدسي على الحصن وقال ان أسواق اردبيل * مصلبة الى اربعة دروب والجامع وسط الصليب وحلف الحصن ريش عامر * * وفي سنة ٦١٧ (١٢٢٠) نهب المغول اردبيل وتركوها قاعا صفصفا ولكنها قبل ذلك كانت آهلة بالسكان حين زارها ياقوت * وكانت اردبيل معروفة لدى الفرس قديما باسم باذان فيروز وهي حين كتب المستوفي في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وان لم تعد أولى مدن اذربيجان الا انها استعادت كثيرا من سالف عزها * وفي المئة العاشرة (السادسة عشرة) اصبحت * على ما قد بينا * عاصمة بلاد الفرس كلها في أيام الدولة الصفوية الجديدة قبل ان يتقلوا قاعدة ملكهم الى تبريز أولا ثم الى اصفهان *

وأهر * وهي على مئة وخمسين ميلا غرب اردبيل * على نهر اهر * وقد ذكرها البلدانون العرب القدماء * وصفها ياقوت بأنها * مدينة عامرة كثيرة الخيرات * * والى شمالها جبل سراهند وحولها كثير من البلدان الصغيرة القائمة على سفوح الجبل * وقد ذكر ياقوت والمستوفي اسماءها الا انه يصعب الآن تمييز تلك الاسماء أو تعيين مواضعها * وكانت الناحية المحيطة بها تعرف باسم يشكين (وهي يشكين في الوقت الحاضر) نسبة الى اسرة أميرها التي حكمت فيها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) * ومدينة يشكين على مرحلة من اهر وكانت تعرف في الاصل باسم وراوي وكان على نهر اندراب * فوق ملتقى نهر اهر به على ما ذكر المستوفي * قنطرة حسنة بناها علي شاه وزير غازان خان المغولي (١٣) *

ونهر سفدرود * أي النهر الابيض * وروافده الكثيرة تسقى نواحي اذربيجان الجنوبية الشرقية * ويؤلف معظم مجرى هذا النهر الحدود الفاصلة بين اذربيجان وأقليم الجبال ويصب هذا النهر أخيرا في بحيرة فزوين بعد مروره بأقليم كيلان * وسماه الاصطخرى وغيره من المصغين العرب باسم سيذرود * وقال المستوفي ان المغول كانوا يلقون عليه اسم هولان مولان (والاصح : آلان مردان) ونسبى بالمغولية * النهر الاحمر * * ويعرف اليوم قسم من سفيدرود باسم قزل اوزن

(١٣) الاصطخرى ١٨١ : ابن سويل ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٤٠ و ٢٦٦ : المقدسي ٣٧٤ و ٣٧٧ : ياقوت ١ : ١٩٧ و ٣٩٧ و ٤٠٩ و ٤٦١ : ٤ : ٦١٨ : للمستوفي ١٥٦ و ١٥٧ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢١٧ *

وهي بالتركية « النهر الاحمر » أيضا . وكعب المستوفى ان مخرج سفيدرود من جبال كردستان في جبل يسمى بالفارسية پنج انگشت وبالتركية بش يرماق ومعنى السبعين ، الاصابع الخمس » . وفي انحدار سفيدرود شمالا يستقبل أولا نهر زنجان في ضفته اليمنى وهو النهر الآتى من مدينة زنجان التى سنصفها فى فصل قادم . ثم يصب فى ضفته اليسرى نهر ميانج الذى يآلف من اجتماع عدة انهار تنحدر من الغرب . وشمال ميانج ينقطع سفيدرود غربا ويستقبل فى ضفته اليسرى النهرين المتحدين سنجد وكدليو المنحدرين من خلخال الى جنوب أردبيل . وبلى ذلك نهر شال من ناحية شاهرود التابعة لخلخال . وأسفل ذلك ، على ضفته اليمنى ، يلتقى نهر طارم الآتى من افليم الجبال (على ما سنسنة فى الفصل الخامس عشر) بنهر سفيدرود ثم يلتقى به نهر شاهرود (ويجب ان لا يلبس بناحية شاهرود المارة الذكر) الآتى من بلاد الحشيشين (الحشاشين) . وأخيرا فان سفيدرود بعد ان يخترق الحاجز الجبلى يصل الى بحر قزوين عند كوتهم فى افليم كيلان .

وكان نهر ميانج كما يتأ أهم الروافد اليسرى لسفدردود . وهو يأتى من الغرب وينبع من البلاد التى فى جنوب أوجان (أنظر ص ١٩٨) . ويستقبل فى ولاية كرمود فى ضفته اليسرى مياه نهر كرمود (النهر الحار) وهو نهر ينبع فى الجبال التى فى جنوب سراو . وأسفل مدينة ميانج يستقبل النهر الاصلى فى يمانه مياه هشترو (الانهار الثمانية) ومخرجها فى الجبال شرق المرافعة . وكان فى أيام المستوفى عند ملتقى هشترو بنهر ميانج قطرة حجر عظيمة ذات اثنين وثلاثين طاقا .

وكانت ميانج أو ميانه « الموضع الوسط » التى تقوم عند ملتقى كل هذه الانهار مدينة ذات مركز خطير منذ الازمنة القديمة . ذكر ابن حوقل فى الملة الرابعة (العاشرة) انها منعمة بالخيرات كثيرة الثمار ومثلها كورتها التى عرفت فى الازمنة المتأخرة باسم كرمود . والمقدسى ، وقد أورد اسمها بصورته الحديثة احدى ميانه ، قال انها كثيرة الخير ، وتؤب بها ياقوت وقد زارها فى الملة السادسة (الثانية عشرة) . وفى القرن التالى ذكر المستوفى انها قد ضلّت وأمسّت قرية

كبيرة الا انها بقيت من المراحل المهمة فى شبكة الطرق التى انشأها المنول • وهى حارة الهواء كثيرة الحشرات (وبغوض مياته مؤذ للمسافرين اليوم) • وكان فى ولاية كرمروود نيف ومئة قرية خصبة يكثر فيها القمح •

والانهار الثلاثة المسماة سنجيده وكديو (أو كديو فى جهان نما) وشال تلتقى بنهر سفيدروود من الشمال متحددة اليه من ناحية خلخال • وكانت خلخال أيضا أولى مدن هذه الناحية وقد وصفت كتب المسالك موضعها بأنه على اثني عشر فرسخا جنوب اردبيل • وكانت فيروز اباد فوق قمة الدرب حيث هنالك حمة يظلي ماؤها ويفور فى وسط القمم المغطاة بالثلوج • وعلى ما فى المستوفى قد كانت فى الازمنة السابقة دار الملك • ولما آلت الى الخراب حلت محلها مدينة خلخال • ولا يمكن الآن معرفة الموضع الصحيح لفيزوز اباد • وكانت اللدتان كدور وشال ، وما زالت الخوارط تذكرهما ، من أعمال شاهرود وتقومان على نهر شال • يسمى الآن شاهرود الصغير • ومخرجه فى جبل شال • وذكر المستوفى جملة مواضع أخرى فى خلخال غير انه لا يمكن تعيينها فى الوقت الحاضر^(١٤) •

اما غلات اذربيجان فقليلة وسئى على ذكرها فى آخر الفصل القادم • وفى ختام الفصل الخامس عشر لحصنا القول فى مسالك هذا الاقليم بعد ان وصفا اقليم الجبال لان كل هذه المسالك تخرج من مواضع عديدة فى طريق خراسان الذى يخترق اقليم الجبال •

(١٤) الاصطخرى ١٨٩ : ابن حوقل ٢٤٦ و ٢٥٣ : المندسى ٣٧٨ : ياقوت ١ : ٢٣٩ :
٤ : ٧١٠ : المستوفى ١٥٦ و ١٥٨ و ١٦٨ و ٢١٥ و ٢١٨ : جهان نما ٣٨٤ و ٣٨٨ •

الفصل الثاني عشر

كيلان

والاقليم الشمالية القريبة

الجبال - القلعة الدائم وقلائس - برون ودولاب وغشم - لاهجان ورشت ولهرهما من مدن كيلان -
القليم موغان - بانجروان ويزدانه - محمود اباد - وركان - القليم الران - برذعة - البيلقان -
كنجه وشمكور - لهر الكر ولهر الرس - القليم شروان - شماني - ياكويه
وباب الايواب - القليم كرجهستان او جورجيسا - قلقيس وقرص
- القليم ايمينييه - ديبيل او دوين - بعيه وان -
الخلاب وارجيش ووان وتبليس - حاصلات
وتجارات الاقاليم الشمالية *

اوضحنا في الفصل السابق ان نهر سيفدود بعد ان يشترق مجراه المتعرج
جبال ألبرز ، يصب في بحر قزوين في النهاية الغربية من ساحله الجنوبي *
وتكون في هذا الموضع * دلنا * ومناقع على شئ * من السعة وورادها الجبال * ودلنا
سيفدود هذه التي تحف بها من الجنوب والترب سفوح الجبال المتدرجة المكسوة
بالغابات ، هي اقليم كيلان الصغير الذي سماه العرب الجبل أو جيلان ، وفيه ثلاث
نواح^(١) *

واراضي الدلتا الرسوية هي التي اطلق عليها البلدانون العرب اسم الجبل
أو جيلان بوجه خاص * وهم اذا أرادوا الإشارة الى الاقليم باجمعه ، أطلقوا عليه

(١) انظر كيلان في العارضة رقم ٥ في اول الفصل القادم *

اسما بصيغة الجمع فقالوا جيلانات « كيلانات » ، وقد يشمل هذا الاسم أيضا الاصقاع الجبلية . وفي جنوب هذا الاقليم وغربه ، مما يحاذي جبال ناحيتي الطالقان وتارم من اقليم الجبال ، كانت بلاد الديلم ، وقد جاء اسمها بصيغة الجمع فقيل الديلمان . واشتهرت هذه البلاد في التاريخ بكونها موطن بنى بويه اى بالدلالة . فقد كان رؤساؤهم في المئة الرابعة (العاشرة) سادة بغداد وذوى النفوذ على الخلافة في أكثر تلك الحقبة . اما الشقة الساحلية الضيقة والمنحدرات الجبلية الممتدة شمالا من جنوب غربى بحر قزوين والمواجهة من شرقها ذلك البحر فهى بلاد طالش وقد ذكر ياقوت هذا الاسم بصيغة الجمع فقال طالشان أو طلشان . وإلى الشرق ، على حدود طبرستان ، جبال روينج ، ويلها الناحية الجبلية العائدة الى اسرة قارن المنظمة وكان رؤساؤها منذ أزمنة غير معروفة سادة هذه البقاع النسيجة على ما سيثنيه أيضا فى الفصل السادس والعشرين .

وحين كتب المقدسى كتابه فى المئة الرابعة (العاشرة) ، وهو الوقت الذى بلغت فيه سيادة البويهيين ذروتها ، كانت جميع جيلان وأقاليم الجبل التى فى شرقها المحاذية لبحر قزوين ، وهى طبرستان وجرجان وقومس ، فى ضمن اقليم الديلم . ثم صار ينظر الى هذه الاقاليم الشرقية فى الأزمنة المتأخرة كأنها مستقلة عنه . وبعد ذلك بطل استعمال اسم الديلم نفسه فى الغالب . وانتقل اسم المنافع فى دلتا سفيدرود الى جميع الجهات المجاورة فعرفت باتقليم جيلان . على ان جيلان ، بوجه اصح ، لم تكن غير البقاع الساحلية بينا الديلم كان الصقع الجبلى المطل عليها . وجرى اطلاق احد هذين الاسمين فى بعض الاحيان على جميع الاقليم الذى يكتنف جنوب غربى بحر قزوين (٢) .

وكانت قصبة بلاد الديلم تسمى ، على ما يقال ، روذبار . الا ان موضعها غير معروف . اما المقدسى فقد قال ان « قصبة الديلم : برون » . وما يؤسف له ان لا أثر لها اليوم ، ولم تذكر كتب المسالك موضعها الحقيقى . وزاد المقدسى

(٢) الاصطخرى ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ : ابن حوقل ٣٦٧ و ٣٦٨ : المقدسى ٢٥٢ ياقوت ١ : ١٧٤ و ٨١٢ : ٢ : ١٧٩ و ١٧١ : ٣ : ٥٧١ : المستوفى ١٤٧ و ١٩١ : ابو الفداء ٤٣٦ .
اسم طالش يكتب اما بالهاء او بالطاء . ويالمنع بالالفان أو طالشان . وذكره المستوفى أيضا على التثنية .

على ذلك قوله انه لم يكن فى بروان « منازل رشيقة انيقة ولا أسواقها بالواسعة
عطيفة ولا جوامع ... » وحيث مستقر السلطان يسمى شهرستان « » وقد كان
فيها تجار من أهل الثراء فكثير خيرها « وذكر المقدسى ان « دولاب : قصبة
الجبلى » وقال فيها : « بلد طيب ، بناؤهم من حصن وحجر ، وسوق حسن ،
والجامع وسط السوق « وعلى ما فى ابى الفداء ان « دولاب تسمى كبسكر « .
ولم ينته الناشر عن مسائل هذه البلاد غير ما ذكره المقدسى من ان دولاب على
اربع مراحل من بيلمان ، وهى قرية على ما جاء فى ابى الفداء « والظاهر انها كانت
من أهم المواضع فى بلاد طالش « وعلى مرحلتين من سفيدرود واربعة مراحل من
بيلمان ، مدينة خشم وهى مدينة الداعى (العلوى) فى النصف الاخير من المئة
الثالثة (التاسعة) وكان يحكم هذه الانحاء حكم السلطان المستقل وخلق الطاعة
للخليفة « ووصف المقدسى خشم فقال « لها سوق عامر وعلى طرف الاسواق جامع
ثم دار الامير « والنهر منها على جانب عليه جسر هائل « « ويحسن ان نبين ان
مواضع هذه المدن القديمة غير متحقق منها^(٢٤) .

وكانت أكبر مدن كيلان فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) على ما فى المستوفى :-
لاهبجان وفومن « وذكر ابو الفداء لاهجان أيضا وقال انها فى شرق مصب
سفيدرود « وكانت حينذاك مدينة وسطية يجلب الحرير منها وينسج فى ناحيتها
الرز والقمح والتارنج والارنج وغير ذلك من فواكه المنطقة الحارة « وكوتم
أو كوتم وهى أقرب الى قم سفيدرود ، كانت ميناء تقصدها السفن من سائر انحاء
بحر قزوين « ذكرها ياقوت وابو الفداء « وكانت مدينة تجارية كبيرة فى المئة
الثامنة (الرابعة عشرة) « وقال ابو الفداء « انها نافذة عن البحر (بحر قزوين)
مسيرة يوم « « وفومن ، وناحيها داخلية أكثر من كوتم ، فى غرب نهر سفيدرود «
وكانت أكبر مدن القسم الجبلى فى بلاد الديلم « وذكر المستوفى انها مدينة كبيرة...
فى بقعة خصبة يكثر فيها القمح والرز والحرير وهو ينسج فيها أيضا «

(٢٤) الاسطرخى ٢٠٤ و ٢٠٥ : المقدسى ٣٥٥ و ٣٦٠ و ٣٧٣ : ابو الفداء ٤٢٦ (طبع فيه خطأ اسم
بيلمان بصورة بيسان) : ياقوت ٢ : ٨٢٦ - وللوقوف على اسرة الداعى (العلوى (الحنلى) انظر :
G. Meignot, Das südliche Ufer des Caspischen Meeres, P. 53.

والمستوفى من أقدم مراجعنا التي وصفت رشت ، وهي الآن قصبة كيلان والظاهر ان بلدانيين العرب لم يتكلموا عليها بل لم يذكروا اسمها . فلقد أشار المستوفى الى ان هوامها شديد الحر عفن . ويكثر فيها القطن والحرير ومنها يحملان الى سائر الانحاء . وكانت هذه المدينة في أيامه موضعاً على شيء من السعة والشان . وفي غربي رشت اليوم بكورة تولم . ووردت تولم في المستوفى اسما لمدينة ذات شأن في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . وعلى ما في ابى الفداء ، كانت تولم اولى مدن القسم السهلي في جيلان . ونواحها ذات خيرات فيها القمح والقطن والرز والتارنج والاترنج والليمون . وشفت ، أو شفته ، ذكرها المستوفى اسما لمدينة ولم يبق اليوم من هاتين التسميتين غير ناحية تعرف بشفت وهي في جنوب رشت . وأخيرا ذكر المستوفى من مدن كيلان : اصفهيد وهي مدينة صغيرة كتبها ياقوت اصبهذان . وزاد على ذلك فقال . بينها وبين البحر (قزوین) ميلان . . ولم يشر الى موضعها . وفيها القمح والرز وبعض الفاكهة . وفي ناحيتها نحو مشة قرية^(٤) . وقد اشتق اسم المدينة ، من الاصبهذان وكانوا ملوكا لهذه البلاد خاضعين للساسانيين اعتنقوا الاسلام ظاهرا وظلوا امراء في طبرستان في صدر الخلافة^(٥) .

موغان

موغان ومفكان أو موقان^(٦) اسم يطلق على سهل عظيم فيه منابع يمتد من جبل سبلان حتى ساحل بحر قزوین الشرقي . وهذه البلاد في جنوب مصب نهر ارس وشمال جبال طالش . وكانت تمتد أحيانا من اقليم اذربيجان ولكنها في الغالب كانت تؤلف اقليبا بنفسه .

وقصبة موغان في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة موغان ، ويصعب تعيين موضعها . ذكر المقدسي مدينة موغان فقال إنها « مدينة قد احاط بها نهران وحولها حدائق حسان كأنها في رحبها جنسان هي مع تبريز وروستان » . ومن وصفه

(٤) الكلام على هذه الثلاث مقول من المستوفى (ص ١٦٢) (م ك)

(٥) ياقوت ١ : ٢٩٨ ؛ ٤ : ٣١٦ ؛ ابى الفداء ٤٢٦ ؛ ٤٢٩ : المستوفى ١٦١ و ١١٢ ؛ جهان لما

٣٤٣ و ٣٤٤ .

(٦) لمرة موغان والليم الخوم الشمالية الغربية انظر الخارطة رقم ٣ ص ١١٤ .

لا يستبعد ان تكون مدينة موغان هذه مطابقة لباجروان التي عدها المستوفي قسبة الاقليم في القديم وكانت في أيامه قد آلت الى الخراب . وفي وصفه للمساكن عيّن موضع باجروان على اربعة فراسخ شمال برزند ، وهذا الاسم ما زال يرى في الخارطة . وفي الروايات الاسلامية ان عند باجروان « عين الحياة التي وجدها الخضر عليه السلام » وهو النبي الياس . والى جنوب باجروان ، على ما بينا ، برزند وقد وصفها ابن حوقل بانها مدينة كبيرة . وأشار المقدسي بأسواقها التي تأتي اليها السلع من الانحاء المجاورة لها وتحمل الى سائر الانحاء ، فهي موئل التجارة في هذه البلاد . وأشار المستوفي الى ان كلاً من باجروان وبرزند كان قرية في أيامه . وهواء نواحيها حار ويكثر فيها القمح^(٧) .

وذكر المستوفي ثلاث مدن في سهل موغان ، هي : بيلسوار ومحمود اباد وهمشرة . وبيلسوار كانت على نهر يتحد من باجروان على مسافة ثمانية فراسخ من باجروان ويقال انها سميت بذلك نسبة الى الامير يله سوار الذي ولاه بنو بويه عليها ومعنى اسمه « الفارس أو الجندي الصنيد » . ومحمود اباد في مقالة كاوياري قرب بحر قزوين وكانت على اثني عشر فرسخا ما على بيلسوار . ذكر المستوفي ان بانيها غازان خان المغولي وكانت همشرة المجاورة لها على فرسخين من الساحل وتعرف في الاصل باسم ابرشهر أو بوشهرة وقد أسسها ، على ما في المستوفي ، فرهاد بن كودرز . ويؤمنون انه بنوخذ نصر . وكان في الازمنة القديمة في شمال باجروان : بلدة بلخاب قيل انها « قرية آهلة فيها رباطات وفنادق للسبل تنزلها السيارة » . ووراء هذه المرحلة في الطريق الشمالي على ضفة نهر الرس الجنوبية مدينة ورتان . وهي عند المبرر المؤدى الى بلاد الران . وكانت ورتان في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة عليها سور وبها أسواق عامرة ولها برض خارج السور . وكانت آهلة وهي في سهلة عامرة على فرسخين من ضفة النهر ومسجدها الجامع في الرض . ويقال ان ورتان بنيت بأمر زبيدة زوجة

هرون الرشيد^(٨) .

(٧) ابن حوقل ٢٥١ : المقدسي ٣٧٦ و ٣٧٨ : ياقوت ١ : ٤٥٤ و ٥٦٢ : ٤ : ٦٨٦ : المستوفي

١٥٩ و ١٦٠ : ١٦٨ : جهان نسا ٣٩٢ .

(٨) ابن حوقل ٢٥١ : المقدسي ٣٧٦ : ياقوت ٤ : ٩١٩ : المستوفي ٣٦٠ و ٢٩٨ : جهان نسا

أَرَاَن (الرمان)^(٩)

أما إقليم الران وشروان وجورجيا^(١٠) وارسية ، وهى فى جعلتها شمال نهر ارس ، فقد كان يصب عددا من ديار الاسلام . ولهذا لم يتبسط البلديون العرب فى وصفها . لقد أقام المسلمون فيها منذ صدر الاسلام وولى الخلفاء عليها عاملهم فى أوقات مختلفة ، غير ان أغلب أهلها بقوا على نصرانيتهم حتى اوشكت العصور الوسطى ان تنتهى ، وما زالت هذه البلاد على ذلك حتى حل فيها المسلمون ثانية عقب الفتح المولى ، ولاسيما بعد الحروب الكثيرة التى شنها تيمور على جورجيا فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، اذ استقر فيها الترك فصار الاسلام الدين السائد فيها .

واقليم الران فى الثلث العظيم غرب اقتران سيرس واراكسس - وهما نهرا الكر والرس - فهو اقليم « بين النهرين » على ما سبناه به المستوفى . وكتب البلديون العرب القدماء هذا الاسم بصورة الران (وتطقوا به أَرَاَن) وما ذلك الا ليجعلوا منه اسما عربيا . وكانت قصبة هذا الاقليم فى المئة الرابعة (العاشرة) برذعة - وما زالت خرابها باقية . ووصف ابن حوقل مدينة برذعة - وكتب بعدئذ بصورة برذعة - فى المئة الرابعة (العاشرة) بانها نحو فرسخ طولاً فى أقل منه عرضا وكانت أكبر مدن هذه الديار مربعة الشكل لها قلعة وهى من نهر الكر على نحو ثلاثة فراسخ على ضفة احد روافده المعروف بالثرثور . وقربها فى نهر الكر السمك المعروف بالسرماعى (وشورماهى بالفارسية تعنى السمك الملتح) ويحمل منها الى سائر البلاد ويكون من هذا السمك أيضا فى نهر الرس يودثان . « وكان من برذعة على أقل من فرسخ ، ناحية بموضع يدعى الاندراب ، وأقطاره أكثر من مسيرة يوم فى مثله ، مشبكة البساتين والعمارات ، طيبة المتزهات

(٩) فى المراجع المصلفة تسعينتان منشأهتان وهما « الران » و « ارا » . ويلاحظ ان بعض البلديين كآين حوقل والمندى وابى الفداء استعملوا تسمية « الران » فى كلامهم على هذا الاقليم . اما ياقوت فقد أشار اليهما (٧٣٩٠٢) قائلا « والذي عندى ان الران واران واحد . وهى ولاية واسعة من بواحي ارمينية » .

اما المستوفى فقد ذكر هذا الاقليم بصورة « أَرَاَن » (م) .

(١٠) سماها العرب بلاد الكرچ . (م) .

والبلغات ، ولها فواكه كثيرة ، وتشتمل اجنتها على البندق والشاه بلوط وبها
تين ، ويربى فيها دود القز .

وفى ظاهر برذعة عند باب الاكراد ، سوق يجتمع فيها الناس كل يوم أحد ،
مقدارها فرسخ ، تصرف بسوق الكركى (من قرياقوس (Kuriakos) اليونانى .
وتسمى « يوم الرب ») . ويسمون يوم الاحد هناك يوم الكركى . وفى برذعة
مسجد جامع حسن فمسح يرتفع سقفه على اساطين خشب وحيطانه من الاتجر
مكسوة بزخارف الجص . وفيها حمامات كثيرة . وكان بيت مال الاقليم فى أيام
بنى أمية فى برذعة . وفى الملة السابعة (الثالثة عشرة) كانت برذعة حين كتب
ياقوت قد استولى الخراب عليها اما السنوفى فقد ذكر فى القرن التالى انها مدينة
كبيرة على نهر الترتور . وعند المبر الذى على نهر الكر ، ولعله اسفل من اقتران
الترتور به على ثمانية عشر فرسخا أى مسيرة يوم واحد فى الطريق من برذعة الى
شماخي فى شروان ، مدينة برزنج ، ويقصدها التجار وتحمل السلع الكثيرة اليها
ومنها^(١١) .

واضحت مدينة البلقان وتعرف بالارمنية باسم فيداكران (Phaidagaran)
قصة الران بعد خراب برذعة . ومعالم هذه المدنة ، وان زالت الآن على ما
يبدو ، الا ان كتب المسالك العربية قد عرفتنا بموضعها تقريبا . والبلقان على
أربعة عشر فرسخا من جنوب برذعة ، وعلى سبعة أو تسعة فراسخ من شمال الرس
فى الطريق الصاعد من برزند . وقد كانت موضعا عظيما حتى الملة التاسعة (الحاسية
عشرة) . وصفها ابن حوقل فى الملة الرابعة (العاشرة) بانها « مدينة طيبة كثيرة
المياه والاجنة والاشجار والطواحين الواسعة على انهارها » . « وبها ناطف^(١٢)
موصوف » . وفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) « فصدتها الترو وأوا حصانة سورها ،
أرادوا خرابه بالمتجنيق ، فما وجدوا حجرا يرمى به الحائط وأوا أشجارا من الدلب
عظاما قطعوها بالناشير ونركها قطعاعها فى المتجنيق ورموا بها السور حتى خربوا
سورها ونهبوا ٥٥٠ ثم احرقوها . فلما انفصلوا عنها تراجع اليها قوم كانوا هربوا

(١١) الاسطرى ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٧ و ١٨٨ : ابن حوقل ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٤ و ٢٥١ ؛
لندسى ٣٧٤ و ٣٧٥ ؛ ياقوت ١ : ٥٥٨ و ٥٦٢ ؛ المستوفى ١٦٠ : القزوينى ٢ : ٣٤٤ .
(١٢) الناطف : ضرب من الحنوط . (م) .

عنها وهي الآن متماصكة ... وعادت الى عمارتها ، وفي ختام المة الثامنة (الرابعة عشرة) ، حاصرها تيمور واستولى عليها . ثم أمر باعادة بنائها وحضر نهر تحمل اليه الماء من نهر ارس كان طوله ستة فراسخ وعرضه خمس عشرة ذراعا ومنه كان ماء المدينة الجديدة . وكان يقال لهذا النهر برلاسي نسبة الى برلاسي قبيلة تيمور .

وحاء ذكر مدينتين أخريين في الران الى شمال غربي برذعة في طريق تفليس . أولاهما مدينة كنجة (والاشهر في تسميتها اليوم اليزابيت بول (Elizabetpol) وقد كتبها البدانيون العرب بصورة جنزة وسمى القزويني نهرها باسم قردقاس . والى شمالها الغربي شمكور وخرائبها ما زالت موجودة . وكانت هذه المدينة تعرف في المة الثالثة (التاسعة) بالثوكلبة لان الخليفة التوكل احدثها في سنة ٢٤٠ (٨٥٤) (١٣) .

والنهران اللذان يحدان افليم الران المعروفان لدى اليونان باسم اراكسس وسيرس ، ساهما العرب بنهر الرس (أو ارس) ونهر الكر (أو كر) . وينبع نهر ارس في بلاد فالقلا في غربي ارمينية . وبعد ان يجري بمحاذاة حدود اذربيجان الشمالية يلفى بنهر كر (على ما ذكر المستوفي) في بلاد قراباغ في شرقي الران . ومخرج نهر الكر في الجبال غرب تفليس ببلاد جورجيا ، أي في بلاد الخزر التي تتألف من ولايتي أياخاز واللان . وبعد أن يمر نهر الكر بتفليس ينحدر الى شمكور وفيها ، على ما ذكر المستوفي ، يتفرع منه نهر يصب في بحيرة شمكور العظيمة وبعد ان يلتقي الكر بنهر ارس على بعد قليل أسفل من برذعة يصب في بحر قزوين بولاية كشتافسي (١٤) .

(١٣) ليس في الحارطة العسكرية الروسية اثر لخرائب البيلقان .
ابن خردادبه ١٢٢ : مقدمة ٢١٣ : الاستطرى ١٨٧ و ١٨٩ : ابن حوقل ٢٤٤ و ٢٥١ : المفص
٣٧٦ : باقوت ١ : ٧٩٧ : ٣ : ٣٢٢ : القزويني ٢ : ٣٤٥ و ٣٥١ : علي البزدي ٢ : ٥٤٢ و ٥٤٥ .
المستوفي ١٦٠ .
(١٤) جاء في جهان لنا (٣٩٦ و ٣٩٧) وصف طويل لنهر ارس والكر مع وراعيها المخلقة -
وفيه هذا الوصف في تصحيح المستوفي وفي توضيح حروب تيمور في جورجيا . وان كانت مواضع
كثير من هذه المدن غير معروفة -
الاستطرى ١٨٩ : ابن حوقل ٢٤٦ : المفص ٣٧٦ : القزويني ١ : ١٨٤ : ٢ : ٣٣١ :
المسعودي ٢١٣ و ٢١٥ .

شروان

وفى ما على نهر الكر على بحر قزوين ، حيث تفتى جبال القفقاس فيه ، إقليم شروان وقصته الشماخية وهى اليوم شماخي أو شماخي . وفى المئة الرابعة (العاشرة) وصف المقدسي هذه المدينة بقوله « الشماخية على أسفل جبل ، بنيانهم حجارة وجص ولها ماء جار وبساتين وُزْرَة . وكان ولاتها ، وهم خواقين الولاية ، يلقبون بشروان شاه . ويكثر فيها القمع . » وبالقرب منها ، بحسب الروايات الاسلامية ، على ما قال المستوفى ، صخرة موسى (وقد أشار اليها القرآن فى السورة ١٨ الآية ٦٢) وعين الحياة على ما قد بيتاً فى باجروان . وذكر المقدسي وغيره من المؤلفين مدينتين أخريين فى إقليم شروان لم يبين موضعهما ، هما شابران و « النلة فيها للنصارى » وهى على ما يقال على عشرين فرسخاً من دربند . وشروان وهى « فى سهلة والجامع فى الاسواق » على مسيرة ثلاثة أيام من شماخي قصبة الاقليم فى طريق دربند .

وكان فى اقصى شمالى بلاد شروان ، باب الايواب وهى تسمية العرب لدربند أجل موانئ بحر قزوين . وفى ابن حوقل أن المدينة كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) أكبر من اردبيل التى كانت قصبة اذربيجان « فى وسطها مرسى للسفن . وفى هذا المرسى الخارج من البحر اليها بناء قد بني كالسد بين جبلين مطلين على هذا المرسى الخارج مأؤه من بحر الخزر . وفى هذا السد باب مفلق على الماء قد استحكم من وصيده بقصد قد عقد على الماء نفسه والماء من تحته وعلى قم المدخل الذى تدخل فيه السفن ، سلسلة ممدودة وعليها قفل لمن ينظر فى أمر البحر فلا يخرج المركب ولا يدخل الا بأمر صاحب القفل . والسد من صخر ورصاص وهذه المدينة عليها سور منيع من حجارة » (١٥) . وفيه بابان : الباب الكبير والباب الصغير غير الباب الثالث المازى الذكر وهو نحو البحر . وعلى الاسوار أبرجة (١٦) . وتختص فى دربند ثياب الكتان تجلب منها الى سائر البلاد . وبها زعفران كثير .

(١٥) هذا النص من ابن حوقل (٢ : ٣٣٩) (م) .

(١٦) هذا القول للمقدسي (ص ٣٧٦) (م) .

وفى سوق باب الابواب مسجد جامع . فقد كانت ثغرا من ثغور الاسلام لان اهل الكفر كانوا يحيطون بها من كل جانب فى أول العهد . واسهب ياقوت فى ذكر الامم التى فى أعلى جبال القفقاس وهضابها فى ناحية الغرب فان فيها على ما قال « نيفا وسعين أمة » لكل أمة لغة لا يعرفها مجاورهم » . وأول تلك الامم الخزر واليهم نسب بحر قزوين فعرف ببحر الخزر . ووصف ياقوت السور العظيم الذى على المدينة وكان يمتد من دربند حتى الغرب ليعده عنها شر الاعداء ويقال انه من بناء انوشروان ملك فارس فى المئة السادسة للميلاد . ونهر السور^(١٧) وهو يصب فى بحر قزوين على شىء يسير من جنوب دربند قد ذكره المقدسى باسم نهر الملك ، وكان على نهر السور جسر ، بينه وبين الدربند عشرون فرسخا ، وكان على الطريق الماد من شماخي .

وميناء باكوه أو باكويه (باكو الحالية) فى جنوب دربند وقد اشار الاصطخرى الى نفلها . وتبسط ياقوت وغيره فى الكلام على هذا النفط . قال ياقوت : فيها « عين نفط عثمة تبلغ قبالتها فى كل يوم الف درهم (٤٠ باونا) » . والى جانبها عين أخرى تسبل يعط ابيض لا تقطع ليلا ولا نهارا وهناك ارض لا تزال تضطرم نارا وتكلم المسوفى على قلعة باكوية التى كانت تطل على المدينة فنشر عليها ظلها فى وسط النهار . والى جنوب باكو ولاية كشتاسفي قرب نهر الكر وسقيها من نهر يحمل منه . ويكثر فيها القمح والقطن . وأخيرا كان فى الجبال القريبة من دربند قلعة يقال لها قَبَلَة وجامعها « ناه على تل » على ما فى المقدسى . وقد ورد ذكر قبلة غير مرة فى حروب تيمور . وزاد المسوفى انه يكثر فيها الحرير والقمح^(١٨) .

(١٧) ورد ذكره بهذا الاسم فى البلاذرى (ص ٢٠٦ و ٢٠٨) (م) .

(١٨) الاصطخرى ١٨٤ و ١٩٠ ؛ ابن حوقل ٢٤١ و ٢٥١ ؛ المقدسى ٣٧٦ و ٣٧٩ و ٣٨١ ؛ ياقوت ١ . ٤٣٧ و ٤٧٧ ؛ ٣ : ٢٢٥ و ٢٨٢ و ٣١٧ ؛ ٤ : ٣٢ ؛ المسوفى ١٥٩ - ١٦١ ؛ القزويني ٢ : ٣٨٩ ؛ على البزدي ١ : ٤٠٦ .

كرجستان

وكرجستان ، هي التي نسميها جورجيا الآن ، وابخاز ويقال لها ابخازية ، لم تدخل في عداد الولايات الإسلامية إلا بعد أن فتح تيمور هذه النواحي في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • وتغليس قبة كرجستان وهي في أعلى نهر الكر وقد عرفها البدائيون مع ذلك في المئة الرابعة (الماشرة) فوصفها ابن حوقل بقوله : « عليها سوران وهي حصينة لها ثلاثة أبواب » وبها حمامات ماءها سخين من غير نار ، وهي خصبة كثيرة الخضرات • ويحرق المدينة نهر الكر ، وهي جانبان بجسر على ما في المقدسي •

أما إقليم ابخاس أو ابخاز المجاور لها فكان ، على ما في المقدسي ، يده من جبل القيق أي القوقاس • وفيه قرية يونس وبها مسلمون وحولها قبائل من الكرج (أهل جورجيا) واللان وغيرهم • وتحد من جبل البرز انهار كثيرة على ما ذكر المستوفي الذي زاد على ذلك أن قرص من المدن الكبيرة بجورجيا^(١٩) •

أرمينية

كانت أرمينية الكررى تنقسم الى أرمينية الداخلة وأرمينية الخارجة وهي وإن كان أكثر أهلها نصارى ، إلا أن خضوعها لحكم المسلمين كان منذ زمن بعيد • وفي هذه البلاد جبال عظيمة تمتد بين بحيرة وإن وبحيرة گوگجة • ومن هذه الجبال مخرج نهر ارس ورافدى الفرات • وكانت قبة أرمينية الإسلامية في الأئمة الأولى ديل ، وتسمى أيضا دوين أو توين ، وتدل عليها الآن قرية صغيرة في جنوب أريفان أو أريوان قرب نهر ارس • وكانت ديل في المئة الرابعة (الماشرة) أكبر من اردبيل وهي اجل ناحية وبلدة بأرمينية الداخلة ، وعليها

(١٩) الأسطخري ١٨٥ ، ابن حوقل ٢٤٢ ؛ المقدسي ٣٧٥ - ٣٧٧ ؛ المستوفي ١٦١ و ٢٠٢ ؛ ياقوت ١ ، ٧٨ و ٣٥٠ و ٨٥٧ •

كتب المستوفي جبال البرز بصيغة الجمع وأراد بذلك سلسلة الجبال • على أنه أطلق هذه اللفظة دون تدقيق ، إذ أن لفظاً من هذه السلسلة هو جبل القوقاس • ويلفظ اليوم البرز بصيغة البرز أو البروز [بكسر الهمزة] كليهما • وهو اسم أهل فيه في القوقاس • ومن فارس يطلق اسم الفيرز اليوم على سلسلة جبال كبيرة (وأهل قبة فيها دمارند) في شمال طهران •

سور له ثلاثة أبواب^(٢٠) ، وجامعها الى جنب اليمعة ، ويطلّ جبل اراراط بمقته على ديبيل وهي في جنوبه وراء نهر الرس . وقد اشرنا (ص ١٢٣) الى ان الروايات الاسلاميّة تقول ان جبل الجودي في الجزيرة هو الجبل الذي استوت عليه سفينة نوح . ويقال لاراراط في ارمينية جبل الحارث (اما ان يكون الاسم مشتقا من الحارث واما ان الحارث كان علما لرجل فيما قبل الاسلام حلّ في هذه الديار) . وكانت قمة اراراط الصغرى تسمى الحويرث (تصغير الحارث) ، وقال الاصطخري ان الثلوج على هذين الجبلين دائمة ولا يُرتقى الى اعلاهما من الارتفاع وصعوبة المسلك . ومحط اهل ديبيل ومنصبتهم في هذه الجبال . وزاد المقدسي على ذلك انه كان بين شباب هذه الجبال « ألف مدينة » . ويرتفع (في ديبيل) ثياب مرعزي وصوف مصبوغ بالقرمز وهو صبغ احمر اصله من دود كدود القز ووصف المقدسي في المثة الرابعة (العاشرة) بلد ديبيل فقال : « الاكراد به الا ان الغالب عليه المصاري » ذات ربض عتيق قد حُفّ به البساتين » . وآتى ، وهي قصة ارمينية النصرانية قديما ، وقد استولى عليها الب ارسلان السجولقي وأمر بتبنيها سنة ٤٥٦ (١٠٦٤) وقد قال فيها المستوفي ، انها بلد في الجبال تكثر فيه الفواكه . وعلى بعد يسير من شمال شرقي ديبيل بحيرة عذبة المياه سماها علي اليزدي كوكجة تنكيز (البحيرة الزرقاء) . ويبدو انه لم يطلق عليها هذا الاسم من المصنفين المسلمين الاوائل غير المستوفي^(٢١) .

وبحيرة وان أو ارغيش ، على ما سماها به المصنفون الاولون ، كانت ولا مراء اشهر بحيرات ارمينية . فقد كان على شطآنها مدينة اخلاط وارغيش ووان ووسطان وفد وصفها الاصطخري ، وطولها عشرون فرسخا يخرج منها سمك صفار يعرف بالطريخ (وهو ضرب من الشبوط ما زال يصاد فيها بوفرة) فيملح ويحمل الى كير من الاقطار كالموصل ونواحي الجزيرة بل الى اقصى بلاد خراسان . فقد ذكر ياقوت في المثة السابعة (الثالثة عشرة) انه ابتاع في بلخ شيئا

(٢٠) في المقدسي (ص : ٣٧٧) ان للسور أبوابا عدة ذكر منها ثلاثة فقط . (م)
(٢١) الاصطخري ١٨٨ و ١٨٩ : ابن حوقل ٢٤٤ : المقدسي ٣٧٤ و ٣٧٧ و ٣٨٠ : ياقوت ١٨٣ و ٥٤٩ : المستوفي ١٢٦ و ١٦١ و ١٦٤ : علي اليزدي ١ : ٤١٥ و ٤١٥ : ٢ : ٣٧٨ : ابن الاثير ١٠ : ٢٥ .

من هذا السمك الملعق • وماء البحيرة ملتح مر • وكانت اخلاط أو خلات وهي في طرف البحيرة الغربي من اجل مدن ارمينية • وصفها المستوفى^(٢٢) بانها مدينة في سهلة تحف بها البساتين وعليها حصن • والجامع في الاسواق • والبرد فيها قارس في الشتاء • وهي آهلة جدا • والنهر يخرقها ويصل جانبيها جسر • ونسوة المستوفى بالبساتين المجاورة لها • ويطل على اخلاط الجبل العظيم المسمى كوه سيمان وكان على ما في المستوفى يرى من بعد خمسين فرسخا ولا تفارق الثلوج قمته •

وارجيش • وهي على الساحل الشمالي للبحيرة • وكثيرا ما عرفت البحيرة باسمها • كانت على ما ذكر المستوفى قد احكم تحصينها الوزير علي شاه بامر غازان خان في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • ويكثر الفصح في نواحيها • وتبعد عنها من شرقها مدينة بارگيري أو بهرگري قرب بندماهي (سد السمك) وهي على الطريق من ارجيش الى خوي في اذربيجان • ذكر المستوفى ان فيها قلعة حصينة في رأس الجبل • وكان نهرها ينحدر من مروج الاطلاق حيث ابتنى ارغون الايلخاني قصرا عظيما يصطاف فيه في وسط حجر للصيد عليه سور • ومدينة وان وقد عرفت البحيرة بها اليوم • قرب شاطئها الشرقي • ولم يتنه البناء وصف لها • وكانت قلعة وسطام أو سلطان في ساحل البحيرة الجنوبي وقد تكلم عليها المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وقال ان بالقرب منها مدينة كبيرة • وأخيرا كان في جنوب غربي بحيرة وان مدينة بدليس (بتلس) • وصفها المقدسي بانها • في واد عميق يجري فيه نهران في المدينة يجتمعان وهي جانبان فيها قلعة من حجارة • وعلى ما جاء في ياقوت ان « تفاحها يضرب به المثل في الجودة والكثرة والرخس ويحمل الى بلدان كثيرة »^(٢٣) •

وكانت حاصلات وتجارات هذه الاقاليم الشمالية قليلة • فكان يصنع فيها اصناف من الثياب المصبوغة بالقرمز واصله من دود يربي على شجر البلوط الذي يكثر في انحاء اذربيجان • والى القرمز ينسب الحرير القرمزي (Oramoisie)

(٢٢) هذا الوصف في الاسفل للقدس (ص ٣٧٧) وعنه نقل المستوفى • (م) •

(٢٣) الاستغفرى ١٨٨ و ١٩٠ : ابن حوقل ٢٤٥ و ٢٤٨ : المقدسي ٣٧٧ : ياقوت ١ : ٥٢٦ : ٢ : ٤٥٧ : القزويني ٢ : ٣٥٢ : المستوفى ١٦٤ و ١٦٥ و ٢٠٥ و ٢٢٦ : جهان نسا ٤١١ و ٤١٢ : على البيهقي ١ : ٦٨٥ و ٦٨٨ •

ومنه جاءت اللفظتان (Crimson) و (Carmine)^(٢٤) • ووصف ابن حوقل
والمقدس القرمز فقال الاول : « اصله من دود ينسج على نفسه كدودة القز اذا
نسجت على نفسها القز » • وقال المقدس ان القرمز « دودة تظهر في الارض
وتخرج البها النسوان يقرنها بنحامة معهن ثم يجعلنها في فرن » • ويصنع به
المرعزي والحريير والصوف وكان هذا الصبغ معروفا في كل مكان • وما اشتهرت
به ارمينية ايضا : « الانماط والتكك الرقيقة والبسط والمحפורيات والوسائد
والستور » وكذلك الثين والشاء بلوط وسحك يقال له الطريخ من بحيرة وان
- على ما اشرنا اليه - وكل ما يعرف من عملهم هذا لا نظير له في شيء من
الارض » • وكانت تجلب منها هذه السلع وتحمل كلها من دبل • وكان يحمل
الابريسم من يرذعة ومن سائر النواحي المجاورة • ومن باب الابواب تحمل
البغال الجياد • واخيرا يقع الى هذا الميناء الذي يقال له الدرند رقيق كثير من
سائر البلدان الشمالية المصافة له^(٢٥) .

(٢٤) جاء في تاج العروس (٤ : ٦٩) :

« القرمز بالكسر هو صبغ ارمني احمر يقال انه يكون من عصارة دود يكون في اجامهم -
فارسي معرب - - - - - ودبل هو احمر كالمحمر محبب يلق على بوع من الباطل في شهر آذار فان غل عليه
ولم يبع سار طائرا ومطار • وهذا الحب منه شيء يسمى القرمز من خاصيته صبغ ما كان حيوانيا
كالصوف والقز دون القطن » - (م) -

(٢٥) ابن حوقل ٢٤٤ ! المقدس ٣٨٠ و ٣٨١ •

الفصل الثالث عشر

الجبـال

أقليم الجبال أي عراق العجم ، ونواحيه الأربع - قريسين أي كرمان شاهان - بهستون
ومتحولاتها - كنگور - الدينور - شهرزور - حلوان - طريق خراسان العظيم -
كرند - كردستان في عهد السلاجقة - بهار - جيمجال - الأني
واليشتر - همدان ورسايقها - دزكزين - خرقاين
وأوه الشمالية - نهاوند - مروج رودراود
ومرج أبي دلف - فراهان *

إن البلاد الجبلية الواسعة التي سماها اليونان ميديا (Media) الممتدة
من سهول العراق والجزيرة في الغرب إلى مفازة فارس الملحمة الكبرى في الشرق،
قد سماها البلدان يون العرب أقليم الجبال * ثم بطل استعمال هذا الاسم ، وصار
الأقليم أيام ملوك السلجوقية في المئة السادسة (الثانية عشرة) يعرف غلطا بعراق
العجم ، وقد سمي بذلك تميزا له عن عراق العرب ، وهو ما يعرف به القسم
الأسفل من ما بين النهرين ^(١) *

وقد حصل هذا التغير في اسم هذا الأقليم على الوجه الآتي حسبما يظهر :

(١) أطلق العرب بالاسم « عجم » و « اعجمي » على الآشوري ، أي من لم يكن عربيا كاستعمال
اليونان للفظة « بربري » . وسأ أن الفرس كانوا أول أجانب مبارات للفرس خلافة بهم . أصبحت عجم
واعجمي مختصة بالأجانب من الفرس ، وهي تقابل الآن في الاستعمال لفظة فارسي . وجبال بالعربية
جمع جبل ، ولد استعمال أبو الفداء (ص ٤٠٨) « بلاد الجبل » فقال « ذكر بلاد الجبل وهي عراق
العجم » -

فالعراق ، على ما قد بينّا (الفصل الثاني من ٤٧ الحاشية ١) ، اسم أطلقه المسلمون على النصف الاسفل لما بين النهرين ، كما أطلق العرب هذا الاسم بعيفة التي على المدينتين الكبيرتين : الكوفة والبصرة فقالوا « العراقيين » أى « عاصمتي العراق » . وكانت هذه التسمية هي التسمية القديمة الواردة ذكرها في الادب العربي . غير ان السلاجقة ، وقد تولوا حكم بلاد فارس الغربية في النصف الثاني من الملة الخامسة (الحادية عشرة) ، جعلوا دار حكومتهم في همدان ، ويسلطوا نفوذهم أيضا على ما بين النهرين حيث مقام الخليفة العباسي . واحرز السلاجقة من الخليفة لقب سلطان العراقيين ، فكان اسم عراق المعجم يتفق هو ووضعهم هذا على ما يظهر . وسرعان ما اصحح ثاني هذين العراقيين يراد به اقليم الجبال حيث كان السلطان السلجوقي يمضي أكثر وقته . وهكذا صار يعرف لدى العامة بعراق المعجم تمييزا له عن الآخر . وليأتوا رأي بصدق هذه التسمية . فقد أشار الى ان تسمية المعجم لهذا الاقليم بالعراق في ايامه غلط ، وهو اصطلاح محدث . وقد استعمل ياقوت نفسه الاسم القديم فقال الجبال . ولكن القزويني معاصره ، وقد كتب بالعربية أيضا ، أطلق على هذا الاقليم ما يرادفه بالفارسية فسماه قوهستان (أى اقليم الجبل) . ومهما يكن من أمر فان لفظ « الجبال » بطل استعماله على ما يظهر بعد الفتح المغولي . ولم يستعمله المستوفى البتة في الملة الثامنة (الرابعة عشرة) . وينقسم اقليم الجبال القديم الى قسمين : الصغير ، وهو كردستان في الغرب ، والكبير وهو عراق المعجم في الشرق . وما زال اسم « العراق » يطلق عليه حتى اليوم . وما زال ذلك القسم من البلاد الذي كان اقليم الجبال قديما في جنوب غربي طهران ، يعرفه أهله اليوم باسم « ولاية عراق »^(٢) . وكانت المدن الاربعة القديمة - قرميسين (كرمانشاه الحديثة) و همدان والري واصفهان - أجل مدن التواحي الاربعة لهذا الاقليم منذ القدم . ففي أيام بني بويه أى في الملة الرابعة (العاشرة) ، كانت دواوين الدولة في الري ، على ما في ابن حوقل ، ثم اصبحت همدان في ختام القرن التالي قاعدة سلاجقة بلاد فارس . ولكن اصفهان كانت في جميع الاوقات على ما يظهر اوسع بلاد الجبال

واخصبها وأكثرها مالا . وفي بحثنا هذا يحسن أن نصف الاقليم بحسب ولايات مدنه العظيمة الأربع . وبدأ بالولاية الفرية التي تتبع كرمانشاه فقد كانت منذ أيام السلاجقة تعرف عادة بكرمستان ويراد بذلك بلاد الكرد .

وقصة كرمان شاهان ، ويختصر اسمها عادة الى كرمانشاه ، قد عرفها العرب قديما باسم فرميسين (وتكتب أيضا فرماسين وقرماشين) . وصفها ابن حوقل في المئة الرابعة (المباشرة) فقال : « مدينة لطيفة فيها مياه جارية وشجر وثمر وروخص وعيون متدفقة وخيرات وتجارات » . وكان المقدسي أول من ذكرها باسمها الفارسي كرمان شاهان وقال أن « الجامع في الاسواق ، وقد بنى عضد الدولة (البويهى) ثم دارا حسنة ، وهى على الجادة » . وتكلم القزوينى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) على فرميسين وقال انها « يقرب كرمانشاهان فكانهما بلدة واحدة » . واما ياقوت فقد ذكر الاسمين ، ولم يطل فى الكلام على المدينة بل قصر وصفه على الصور المنحوتة والخرائب وما فى جبل بهستان المجاور من آثار . وكان من أثر الفتح المغولى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) أن خربت كرمانشاه ، فقال المسنوفى فى المئة التالية ان هذه المدينة ضوّلت فى أيامه وصارت كالقرية وقال ان اسمها فى الكتب ما زال يكتب فرماسين (وقد يطل منذ أيامه) . وهو الآخر قد قصر وصفه على منحوتات بهستان أو بستان .

وهذه الصور كانت منحوتة فى سفح الجبل العظيم وقاعدته ، على حجر اسود . وهى على مسيرة يوم من شرق كرمانشاه قرب طريق خراسان . وتحتوى هذه الصور على بقايا يرقى تاريخها الى الملوك الاخمينيين (المئة الخامسة قبل الميلاد) والساسانيين (السابعة للميلاد) وقد وصفها الاصطخرى وابن حوقل فى المئة الرابعة (المباشرة) فذكرا ان اسم الجبل بهستون وبستان ، وقالوا انه كانت هناك قرية تدعى ساسانيان^(٣) . ولا ريب فى انها هى القرية التى سماها المسنوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وسطام أو بسطام وتعرف اليوم باسم طاق بستان . فيها صورة دارا المشهور يستقبل الملوك لتأبين له . وفيها كتابة مسمارية بثلاث لغات.

(٣) فى المخطوط من ابن حوقل (ص ٣٥٩) : « ساسانيان » ولعله من اوعام النسخ والطبع (م) .

أشار إليها ابن حوقل وقد وصفها بقوله ان فيه « صورة مكتب ومعلم صبيان من حجارة ، وبيد معلمهم كالسير يومي به لضرب الصبيان ، وإن هناك قدورا منصوبة على اثفاف ، كل ذلك من حجارة » . وأما المتحولات الساسانية التي أضيفت الى الأولى بعد ما يربو على الف سنة فقد كانت « فى مكان يشبه النار فيه عين ماء تجرى » . وفيه على ما جاء فى ابن حوقل وتناقله من جاء بعده من مؤلفي الفرس « صورة دابة كسرى المسمى شبداز (شديز) وعليه صورة كسرى من حجر وصورة امرأته شيرين فى سقف هذا النار » . وهذه الصور وإن نالها بعض التشويه ، ما زالت ترى الى يومنا هذا ، وقد صورت ووصفت غير مرة . وروى ياقوت ، نقلا عن رحلة ابن مهمل فى المثة الرابعة (العاشرة) ، والمستوفى كثيرا مما كان يحكى فى زمنها بشأن هذه الصور . فقصه خسرو وشيرين وعشيقها اللحات فراه الذى انحر يأسا ، تسمح محوطة تحويرا محليا فى كثير من الامكنة المجاورة . وحوادث القصة معروفة جيدا من الشاهنامة للفردوسى ومن شعر نظامى الشاعر المظلم (وعنه نقل المستوفى) بعنوان « عشق خسرو وشيرين »^(٤).

ويطل على كرمانشاه من ناحية الشمال ، فى يسار الذهاب بطريق خراسان ، الجبل الفرد المسمى سن سميعة ومنه يبدأ الطريق الشمالى الى الدينور وإقليم اذربيجان . وإنما سعى هذا الجبل بسن سميعة نسبة الى امرأة عربية بهذا الاسم كانت لها سن مشرقة على اسمائها فسمى المسلمون الجبل بسنها حين مرت جيوشهم به تريد نهاوند . وما يلى يستون فى الناحية الشرقية على طريق خراسان العظيم قرية 'صحنة' وقد ذكرها الاصطخرى ، وما زالت قائمة فلا يلتبس أمرها بمدينة سحنة الحديثة التى سبأتى الكلام عليها . وبلى قرية صحنة مدينة ككوار وقد سماها العرب بقصر اللصوص لأن أهلها سرقوا دواب المسلمين لما سار جيشهم الى نهاوند فى أول الفتح الاسلامى . وكان فى هذه المدينة على ما فى ابن رسته

(٤) ابن رسته ١٦٦ ؛ البقوى ٢٧٠ ؛ الاصطخرى ١٦٥ و ٢٠٣ ؛ ابن حوقل ٢٥٦ و ٢٦٥ و ٢٦٦ ، القندى ٢٨٤ و ٢٩٣ ؛ اللزيسى ٢ : ٢٩٠ ؛ ياقوت ٣ : ٢٥٠ ؛ ٤ : ٦٩ ؛ المستوفى ١٦٨ و ٢٠٣ ؛ جهان ١ : ٤٥١ . نهستان هى الصورة القديمة للاسم . ويستون ومعناها بالمعربية « بدون عمد » أى غير المسندة . ولعل هذا الاسم جاء من تسمية الناس لحال هذه الصور .

وغيره ، ايوان على دكة من حجر وهو لكسرى ابرويز ، مبني بالبحص والحجارة على اساطين . وكانت مدينة كنگوار جليلة القدر وفيها منبر ، استحدثها مؤسس المظفر حاجب الخليفة المتصدر . وقال ياقوت ان الدكة التي عليها القصور الساسانية ، ارتفاعها عن وجه الارض نحو عشرين ذراعاً . وزاد المستوفى على ذلك قوله ان الحجارة العظيمة التي بنيت بها القصور جئ بها من جبل يستون^(٥) .

وعلى نحو خمسة وعشرين ميلاً من غربى كنگوار ، اطلال الدينور وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) قصبة للإمارة المستقلة الصغيرة المنسوبة الى حسنويه أو حسنويه رئيس القبيلة الكردية الغالبة على هذه الانحاء . وفى أيام الفتح الاسلامى لبلاد فارس ، سميت الدينور ماء الكوفة لأن (على ما فى البقوى) ، مالها كان يحصل فى اعطيات أهل الكوفة . وسميت المدينة وما جاورها ماء الكوفة زماناً ما . ووصف ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) الدينور فقال هى « كئلى همدان وتريد على همدان من جهة آداب أهلها وتصرفهم فى العلم » . وزاد المقدسى على ذلك انها « حسنة الاسواق وقد احدث بها يساتين » . وكان الجامع ، وهو من بناء حسنويه فى السوق^(٦) ، على المنبر قبة حسنة ومقصورة ما رأيت أحسن منها . وكانت الدينور مدينة أهله حين كتب المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، طيبة الهواء ووفرة المياه يكثر فيها القمح والاعناب . ولعل ما يرى فى هذا الموضع من خراب الآن ، قد حل به بعد فتح تيمور ، فقد ذكر علي اليزدى ان تيمور ابقى بعض جنده فى حامية هناك .

ولعله كانت فى جوار الدينور قلعة سراج العظيمة ، ولا يعرف حتى الآن موضعها على ما يظهر . وصفها ياقوت بأنها حصينة من أحصن القلاع وأشدّها امتناعاً . بناها حسنويه بالصخور المهندمة وتوفى فيها سنة ٣٦٩ (٩٧٩) بعد ان حكم حكماً حافلاً ، على ما فى ابن الاثير ، زهاء خمسين سنة . وفى المئة التالية استولى طغرل بك

(٥) الاستبصارى ١٦٦ : ابن حوقل ٢٥٦ : ابن رسته ١٦٧ : المقدسى ٣٩٣ : ياقوت ٣ : ٥٠ .
و ١٦٩ : ٤ : ١٢٠ و ٣٨١ .
وكتب اسم القرية محطة وسحرة (المستوفى ١٦٨) .
(٦) فى المقدسى (من ٣٦٤) : « والجامع ناء من الاسواق » (م) .

السلجوقي على سراج في سنة ٤٤١ (١٠٤٩) بعد ان ضرب الحصار عليها اربع سنين (٧) ولم يستول على هذه القلعة الا بعد ان افذ جيشا من مئة الف رجل واستنزل (ينال) من هذه القلعة المنظمة مقهورا (٨) .

وعلى ستين ميلا شمال خرائب الديور تقوم مدينة سحنة الجبلية ، وهي القاعدة الحديثة لاقليم كردستان الفارسي ، وان لم يذكرها بهذا الاسم بلدانيو القرون الوسطى من عرب و فرس . وكان في موضع سحنة الحديثة في القرون الوسطى ، على ما جاء في كتابي المسالك لابن خرداذبه وقدماء ، مدينة سيتر ومعنى الاسم بالفارسية «ثلاثون رأسا» بحسب تفسير ياقوت الصحيح له . وفي سبسر عيون كثيرة لا تحصى وكانت تدعى صد خاتية (أى البيوت المثة) أو منابع المياه لكثرة عيونها و منابعها . وقد بنى الخليفة الامين حصنها ونزله المأمون يسكره ، بينهم جند من القبائل الكردية التي كانت في المراعي المجاورة وقد استخدمهم في محاربة اخيه وخلعه من الخلافة . وكانت سيتر رستاقا من الرساتيق الاربعة والمشرين التابعة لههذان . ولعل اسم سحنة الحديث تصحيف صد خاتية اختصرت الى سيخانة (أى ثلاثين بيتا) الا انه لا دليل على ذلك .

وعلى مسيرة اربع مراحل شمال غربي الديور ، مدينة شهر زور في كورة شهر روز . وقد ذكر ابن حوقل في المثة الرابعة (العاشرة) شهر زور بأنها مدينة حصينة عليها سور يسكنها الاكراد ، وقد سرد اسماء قبائلهم المنشة في تلك الارزاء . وكانت « من رغد العيش وكثرة الرخص وخصب الناحية بحالة واسعة وصورة رائمة » . ووصفها الرحالة ابن مهلهل في المثة الرابعة (العاشرة) ، على ما اقتبس منه ياقوت بقوله « شهرزور مدنات وقرى ، فيها مدينة كبيرة وهي قصبتها في

(٧) في الكامل لابن الاثير (حوادث سنة ٤٤١ هـ) « ولحقن ابراهيم ينال بقلعة سراج وامتنع على اخيه محصره لحمل بله فيها وكانت عساكره قد بلغت مئة الف من انواع العسكر ولقاتله - فملكها في اربعة ايام » - (م) .

(٨) البيهقي ٢٧١ : ابن حوقل ٢٦٠ : المقدسي ٣٩٤ : المستوفي ١٧٦ : ياقوت ٣ : ٨٢ . على اليزدي ٢ : ٥٣٠ : ابن الاثير ٨ : ١٨٠ و ٥١٩ : ٩ : ٣٨٠ . وعلى ما في ياقوت (٤ : ٤٠٥) الكلمة الفارسية « ماء » معناه « مصبة البلد » بالفرسية « ولغة » ماء « التي ترى في الاسمين القديمين لادنور ونهاوند هي (مادا) بالفارسية القديمة - وقد اتفقت اليها الكلمة بمعناها عن طريق اليونان بمسورة ميديا والميديين لانها اسم مكان - وقد زار اطال دنيور اخيرا دى موركن De Morgan ورسومها في كتابه Mission en Perse (٢ : ٩٥ و ٩٦) .

وقتا هذا . • يقال لها نيم راه^(١) عند الفرس . • (ومناه منزل نصف الطريق) لانها تقوم في نصف الطريق بين المدائن (طيسفون) والشيزء وفيها بيتا النار المظلمان في أيام الساسانيين . • ويقرب من هذه المدينة جبل يعرف بشعران وآخر يعرف بالزلم ، على ما ذكر القزويني . • بنيت حب الزلم الذي يصلح لأدوية الباء ، وكان أكراد هذه الكورة حين زارها ابن مهلهل تنشيء مئتين الف بيت . • وحين كتب المستوفى في الملة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت شهرزور مدينة زاهرة وأهلها أكراد^(٢) . • كان طريق خراسان وقد مرّ وصفه في الفصل الاول ، يأخذ من بغداد فيشرق الى اقصى حدود بلاد الاسلام . • فبعد ان يخترق سهل ما بين النهرين ، يدخل في منطقة جبال فارس عند حلوان وهي من مدن اقليم الجبال . • وقد عدّها بعضهم في ضمن العراق العربي . • وقال ابن حوقل في الملة الرابعة (الماشرة) ان « حلوان نحو نصف الدينور وبنائها من طين وحجارة » . • وهي وان كانت مدينة حارة فيها نخيل ورمان وشجر تين كثير موصوف ، فان الثلج يكون منها على فرسخين في الصيف غير منقطع ابدا . • وقال المقدسي ان لها حصنا عتيقا فيه الجامع والسورها ثمانية أبواب سرد اسماعها وقال « ثم كنيسة اليهود يظلمونها خارج البلد » من الحصن والحجارة المربعة المتلاحكة . • وكانت حلوان حين كتب القزويني في الملة السابعة (الثالثة عشرة) خرابا . • « وفي حوالها عدة عيون كبريتية ينتفع بها من عدة ادواء » . • وفي الملة التالية نوه المستوفى بضمحها ، ولكنه قال ان المدينة كانت خالية خاوية ما خلا مزارات الاولياء وكان في ناحيتها ثلاثون قرية .

وعلى طريق خراسان ، على اربعة فراسخ فوق حلوان من ناحية كرند ، مدينة مادستان على ما في ياقوت ، كان فيها ايوان عظيم وبين يديه دكة عظيمة وأثر بستان خراب بناء بهرام جور ، الملك الساساني وقد آل في أيام ياقوت الى الخراب .

(١) هي ياقوت (٣ : ٢٤٠) ان « شهرزور يقال له نيم اذ راي » (م) .
(٢) ابن حرداذيه ١٢٠ ، قدمه ٢١٢ ؛ ابن حوقل ٢٦٣ و ٢٦٥ ؛ ياقوت ٣ . ٢١٦ و ٢٤٠ ، ٤ : ٩٨٨ ؛ القزويني ٢ : ٢٦٦ / المستوفى ١٦٧ .
ان كورة شهرزور ما زالت محظفة باسمها ، اما المدينة القديمة فهي حيث الخراب المسماة « لان ياستن به » .
لقنا : ولا يمكن الجرم بهذا الرأي . اذ يرى بعضهم ان مدينة شهرزور قد ينشأها تل بكارآه (قرب سلمه) . اذ الخراب العربية من خورمال . اما كورة شهرزور فهي اليوم جزء من لواء السليمانية . (م) .

وعلى ستة فراسخ مما على مازدرستان ، مدينة كرنند ويبدو أن أول من ذكرها المستوفى
فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وقد جمع اسم كرنند الى قرية مجاورة لها يقال
لها خوشان ولا أثر لها اليوم . مع ان المستوفى قال انها فى أيامه آهلة أكثر من كرنند .
وهذان الموضعان عند رأس درب حلوان فى سهل خصب ويتفق موضعهما - اذ كما
يشأ لم يذكر البلدانون العرب القدماء موضع كليهما - مع المرج المعروف بمرج
القلعة . ووصفها ابن حوقل فقال انها مدينة عليها سور لطيف وحولها رساتيق أهلة
كثيرة الخضيرات . وروى البيهقي ان « بهذا الموضع دواب الخلفاء فى المروج » .
وعلى أربعة فراسخ مما على هذه المروج يمر الطريق بطنزر ، فيها على ما فى المقدسى
بقايا ايوان للاكسرة ، بناء خسرو جرد بن شاهان على ما ذكر ياقوت . وعلى طر
أسواق حسنة . ولعلها قصر يزيد الذى ذكره غير ياقوت من المصنفين . وعلى ستة
فراسخ مما على طر أيضا ، الزبيدية . وهى « منزل صالح » على ما فى ابن حوقل .
ويستدل من وجودها على الطريق العام انها قد تكون فى موضع قرية هرون اباد
الحديثة . وينطف طريق خراسان هنا نحو الشرق فيخسر سبل مايدشت
(او ماهدشت) قاصدا كرمانشاه . وذكر المستوفى ان فى سهل مايدشت فى أيامه
خمسین قرية ذات مروج خضر ياتمة كثيرة المياه المتحددة اليها من الجبال المجاورة
لها . وفى هذه الارزاء قلعة هرسين وعند قاعدتها مدينة صغيرة ما زالت قائمة على
نحو عشرين ميلا جنوب شرقى كرمانشاه (١١) .

لما ما يقال فى أصل إقليم كردستان ، فيروى انه فى نحو منتصف المثة السادسة
(الثانية عشرة) اقتطع السلطان سنجر السلجوقى القسم الغربى من إقليم الجبال ، أى
ما كان منه من اصال كرمانشاه وسماه كردستان وولى عليه ابن أخيه سليمان شاه
الملقب بأبوه (أو آبيو) وهو الذى صار فيما بعد - أى من سنة ٥٥٤-٥٥٦ (١١٥٩) -

(١١) ابن حوقل ١٦٨ و ٢٥٦ و ٢٦٢ و ابن رسته ١٦٥ : البيهقى ٢٧٠ : المقدسى ١٢٣ و ١٣٥
و ٢٩٣ : القزوينى ٢ : ٢٢٩ و ٣٠٢ : المصنفون ١٢٨ و ١٦٨ : ياقوت ٣ : ٥٣٧ :
٤ : ٣٨٢ : جهان نما ٤٥٠ .

ما دالت تخاراب حلوان ترى عند القرية المسماة الآن سربل (رأس الجسر) وعلى النهر هناك
تنطرية .

(١١٦١) - خلفا لعمه في رئاسة البيت السلجوقي وسلطنة العراقيين . وهذه هي رواية المستوفي الذي قال ان كردستان في أيام سليمان شاه ازدهر ازدهارا عظيما وبلغ ارتفاعه مليوني دينار ذهبيا (ما يعادل نحو مليون استرليني) . وهو عشرة أضعاف ما كان يدره هذا الاقليم في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) أيام الحكم الممولى حين كان المستوفي نفسه مستوفيا أموال الدولة . واتخذ سليمان شاه بهار - وهي مدينة ما زالت قائمة على نحو ثمانية أميال شمال همدان - قاعدة له . وكان فيها قلعة منيعة . وفي أيام الممولى بنى السلطان الجانيو عاصمة ثانية في سلطان آباد جمجمال (جمجمال) قرب خافة جبل بيستون . وقد وصف المستوفي هذه المدينة فقال هي وسط صقع وافر الخيرات كثير القمح . وأشار في وصف المسالك الى موضع جمجمال أو جمجمال - وهي على اربعة فراسخ من قرية سحنة وستة من كرما نشاه - وما زالت أطلالها قائمة منيعة في الخارطة في الموضع المنوه به . وقد ذكر على اليزدي هذه المدينة غير مرة حين وصفه زحف تيمور الى كردستان .

ومن المدن التي يقع ذكرها في أخبار حروب تيمور ، وأشار إليها المستوفي ، مدينة دربند تاج خاتون ، مدينة متوسطة السعة أكثرها قد استولى عليه الخراب الآن ، ودر بند زنكي وهي دونها . وكانت فيها مراتع حسنة وهواؤها طيب معتدل ، والظاهر انه لم يبق لهاتين المدينتين أثر في الخارطة . وبما ان دربند تعني الدرب الجبلي ، وان علي اليزدي ذكر اسم الاولى بصورة دربند تاجي خاتون ، فان هاتين المدينتين المشتركتين باسم دربند كانتا في الحدود الغربية لبلاد كردستان على ما يظهر ، (بين شهرزور وحلوان) في الجبال التي تهيم على سهول ما بين النهرين .

وذكر المستوفي أيضا اربع مدن أخرى في كردستان هي : ألاني واليشتر وخفتيان ودربيل . وقال ان هذه المدن كانت في أيامه جليلة ، اما اليوم فليس من اليسر تعيين مواضعها . وكانت ألاني ، وقد ورد ذكرها في بعض المخطوطات بصورة ألاني ، في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قصبة الاقليم المتبرة على ما يظهر وان لم يذكرها غير المستوفي على ما نعلم . ويكثر فيها القمح وهواؤها طيب ومروجها وافر المياه ويكثر الصيد في انحائها . وفي اليشتر أيضا بيت للدار قديم

يسمى اردحش (اروحش أو ارخش) بيد ان كتب المسالك لم تعين موضعها •
الا ان سهل اليشتر ما زال معروفا ولعل من مواضع القديسة المدينة التي ذكرها
المستوفى وهى بلا رب مطابقة لمدينة ليشر أو لاشتر التي ذكر ابن حوقل وغيره
بانها على عشرة فراسخ جنوب غربى نهاوند واثنى عشر فرسخا شمال
شابرخواست^(١٢) • ويحسن بنا ان نعين من الجهة الثانية انه يشك كل الشك فى
قراءة اسم اليشتر ، فان كثيرا من اوثق المخطوطات واصحها وكذلك جهان نما
التركية ، وأوردته بصورة الشر كما وقعت فيها صور أخرى مختلفة لهذا الاسم •
ولا يعلم شئ عن خفتيان^(١٣) (وأوردها جهان نما حقتشان ، والمخطوطات بصور
أخرى) سوى انها كانت قلعة محكمة البناء حولها القرى على ضفاف نهر الزاب •
وغير واضح ما اذا كان هذا الزاب هو الزاب الاعلى أم الاسفل • فموضعها غير
معلوم والامر كذلك فى دريل (أو دزويل) وهى • مدينة وسط ذات هواء
طيب • • ولم يشر المسنوفى الى موضعها ولو يوجه التقريب • وبهذا يختم المستوفى
كلامه فى إقليم كردستان^(١٤) •

وهذان (وقد كتبها العرب بصورة همدان)^(١٥) وهى اكبتانا القديسة
قاعدة إقليم ماذى • وصف ابن حوقل فى الملة الرابعة (العاشرة) همدان بأنها
« مدينة كبيرة حسنة مقدارها فرسخ فى مثله ، محدثة ، اسلامية • ولها سور
وربض • وللمدينة أربعة أبواب • كثيرة التجارات والمبر ، ولها مياه وبساتين كثيرة
وزروع خصبة • وغللات وافرة ولاسيما الزعفران • وقال المقدسى ان اسواق
المدينة ثلاثة صفوف • والجامع فى السوق وبنانه عتيق • وقال ياقوت ، وله فى
همدان فوائد كتبها قيل ان يقوضها الفتح المغولى ويحليها أرضا يابا فى سنة ٦١٧

(١٢) هذه تسمية ابن حوقل لها (ص ٣٦٠) - ولى المسنوفى « شابر خواست » (ص ١٧٢) • (م) •

(١٣) ذكرها ابن خلكان من رليات الاصبهان (١ : ٥٦٩ و ٥٧٠) (م) •

(١٤) ابن حوقل ٢٥٩ و ٢٦٨ ؛ ياقوت ١ : ٢٧٦ ؛ ٣ : ٥٠٣ • المسنوفى ١٦٧ و ١٦٢ ؛
على البردى ١ : ٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٩٦ و ٦٤٠ ؛ جهان نما ٤٥٠ -

ولم يذكر البلدانيون العرب القدماء هذه بهار والامى وخفتيان ودرييل ولا المدينتين المعروفتين
بالدريين •

(١٥) همدان من حكتانا فى الكتابات الاخمينية وقد كتبها اليونان بصورة اكبتانا (Eobatana)

(١٢٢٠) ، انها اربعة وعشرون رستاقا لكل رستاق قصبة ، وقد سرد اسماءها . ثم اورد المستوفى هذه الاسماء فى المثة التالية وقد زاد عليها اسماء القرى التى فى كل رستاق . على ان اكثرها لا يمكن تعيين موضعه الآن . ووصف المستوفى هذه المدينة فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) بانها فرسخان فى مثلها وفى وسطها تقوم القلعة المتينة وقد بنيت بالطين ، يقال لها شهرستان . وقلعة همدان الشيفة هذه كمنظيرتها التى فى اسفهان . وسيأتى ذكرها - سماها ابن الفقيه ساروق^(١٦٦) ولكنه لم يفسر معنى الاسم . وكان سوق الصاغة فى همدان مشهورا ، أنشئ فى موضع قرية قديمة يقال لها زمين ديه . وكان محيط أسوار المدينة ١٢٠٠٠ خطوة . وقوام همدان فى أول ايامها ، على ما ذكر المستوفى ، خمس مدن وهى : قلعة كبريت وقلعة ماكين^(١٦٧) وكرد لاخ وخورشيد وكورشت . وزاد على ذلك ، ان الاخيرة وهى مدينة كانت واسعة فى القديم قد آلت الى الخراب ، . ومن أعمال همدان أيضا النواحي الخمس العظيمة الآتية مع قراها وهى : فريوار قرب المدينة ثم ازمدين وشرامين وأعلم . وأخيرا يلحق بها كورة سردرود وبرهندرود . ويحسن بنا ان نقول انه لا يركن الى قراءة هذه الاسماء ، فان مخطوطات الكتاب المختلفة متباينة فى ذلك كثيرا^(١٦٨) .

وعلى ثلاثة فراسخ من همدان ، قرية يقال لها جوهسته (ولم تذكر المراجع فى أية جهة من همدان هى ، كما لم تذكر الخوارط اسمها) فيها اطلال قصر الملك بهرام جور . وصفه ابن الفقيه فقال ان القصر كله حجير واحد منثور فيه الحجير والدروب والغرف . وفى كل ركن من اركانه صورة جارية وفيه كتابة بالفارسية من أوله الى آخره ، تشيد بفنوحات الاكاسرة . وعلى مقدار نصف فرسخ من هذا القصر ، تل مشرف عليه « ناووس الفلية » . وروى ابن الفقيه حكاية الملك بهرام جور وجاريته المحبوبة - جاء فيها خبر صيده كثيرا من الظباء فى البرية القريبة

(١٦٦) فى هامش ابن الفقيه (ص ٢١٩) : الشاروق (م) -

(١٦٧) فى سائنية المطبع من المستوفى (ص ٧١) : قلعة ماكين او مالكرة . (م) -

(١٦٨) ابن حوالى ٢٥٦ و ٣٦٠ : المدنى ٣٩٢ : ابن الفقيه ٢١٩ : ياقوت ٤ : ٩٨٨ : المستوفى ١٥١ و ١٥٢ .

وقد كرر جهان نسا التركية (ص ٣٠٠) ما فى المستوفى من اسماء الرساتيق والقرى .

من ذلك الموضع ، ثم قله جاريته جزاء أقوالها المهينة التي انتقصت فيها من قدرته على العبد .

والى جنوب غربى همدان يشمخ جبل ألوند العظيم أو أروند ، على ما كتبه ياقوت . وهذا الاسم يرى فى دراهم الفضة التي ضربها فيها أبو سعيد الابلخاني فى سنة ٧٢٩ (١٣٢٩)^(١٩) . وسرد المستوفى حديثا طويلا عن كوه الوند فقال فيه ان محيطه ثلاثون فرسخا وقمته لا تقارقها الثلوج شتاء وصيفا . وكان فى ذروة الجبل عين يخرج ماؤها من شق فى صخرة . وزاد على ذلك انه ينبع من ذواد أيضا اثنان واربسون نهرا . فاذا سرنا غربا من همدان وعبرنا درب الوند فى الطريق الى كنگوار الفينا اسداباد ، وقد وصفها ابن حوقل بانها مدينة آهلة . وذكر المقدسى ان على مقدار فرسخ منها ايوانا فى بناء سماه ياقوت مطابخ كسرى . وكان فى اسداباد جامع وأسواق عامرة وهى كثيرة الخير والسل . وقال المستوفى انه كان من أعمالها خمس وثلاثون ضيعة^(٢٠) .

والسهل الذى تقوم فيه همدان تصرف مياهه الى الشمال والشرق ، فتحد مجاريه المدينة لتؤلف أوائل نهر كاوماها (كاوماسا) وسنذكره فى كلامنا على نهر قم . والى شمال همدان ناحية دركزين وفى شمالها أيضا ناحية خرقان . وقد كتب المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) عن دركزين وقال انها مدينة جليلة كانت قبلا قرية وهى قصبة ناحية أعلم وقد مر بنا فى الصفحة السابقة انها واحدة من خمس نواح من أعمال همدان . وقال ان ناحية أعلم - وذكرها ياقوت قبله أيضا - سماها الفرس خطأ باسم آلكر ، وكانت هضبة عالية بين همدان وزنجان . وتكثر فيها الاعتاب والقطن والقمح . أما خرقان وتسمى فى الغالب خرقاين فهى الى شمال أعلم وفيها كثير من القرى سرد المستوفى اسمائها (ولكن قرادها فى مخطوطات كتابه لا يوثق بها) . وقصبتها : آو - أو آبه همدان وما زالت قائمة . وانما سميت بذلك تميزا لها عن آو ساوه وسايى ذكرها . وقد تكتب آو

(١٩) هو ابو سعيد بهادر خان تاسع الابلخانيين - روى المتعب الرامى عدد من هذه القرد
 بينها نقد باسمه ضرب فى اروند سنة ٧٣٣ ايلخانية وتمادل سنة ٧٣٥ للهجرة . (م)
 (٢٠) ابن حوقل ٢٥٦ * ابن اللعيه ٢٥٥ * المقدسى ٣٩٣ : ياقوت ١ : ٢٢٥ و ٢٤٥ :
 ٤ : ١١٠ و ٧٢٣ : القردى ٢ : ٢٣٦ و ٣١١ : المستوفى ١٥٢ و ٢٠٢ .

الشمالية هذه أحيانا بصورة آوا على ما ذكر ياقوت . وجاء ذكرها منذ الملة الرابعة (العاشرة) فقد نوه بها المقدسي . وكان نهر خرّقان ، على ما فى المستوفى ، يفيض فى الربيع ويسيل مأؤه فى نهر كوشك رود ثم يفضى فى المفاوز الكبيرة فى نواحي الرى . ولا يتجاوز ماء نهر خرّقان فى الصيف حدود هذه الناحية فإن السقى يستفد مياهه (٢١) .

ومدينة نهاوند على نحو اربعين ميلا جنوب همذان وكانت مدينة جبلية منذ أيام الساسانيين . وبعد ان فتحها المسلمون بجيش من أهل البصرة صارت تعرف المدينة وناحتها باسم ماء البصرة لان خراجها كان يحمل فى اعطيات أهل البصرة مثل خراج الدينور الذى كان يحمل فى اعطيات أهل الكوفة (راجع الصفحة ٢٢٤) . وتكلم ابن حوقل فى الملة الرابعة (العاشرة) فقال هى مدينة جبلية كثيرة التجارة والرساتيق . ويرتفع اليها زعفران الروذاور ، وبها جامعان احدهما عتيق والاخر محدث . وذكر ياقوت : يروى ان كثيرا من عرب البصرة سكنوها منذ أيام الفتح الاولى . واشتهرت نهاوند بصنف من الطيور . وروى المستوفى فى الملة الثامنة (الرابعة عشرة) ان جل أهلها فى أيامه من الاكراد . ويكثر فى رساتيقها قطن لاسيما فى ثلاثة رساتيق ذكر اسماءها وهى : ملاير واسفيذان وجموق . وعلى نحو نصف الطريق بين همذان ونهاوند رساتيق روذاور . وهو رساتيق كبير عظيم يزرع فيه الزعفران ، والمثير منه بموضع يسرف بكرج الروذاور ، وروذاور على ما فى ياقوت « مسيرة ثلاثة فراسخ فيها ثلاث وتسعون قرية » . وجاء اسمها فى المستوفى بصورة رودارود وغير ذلك . وذكر من مدنها سركان وتوي وكتاهما ما زالت ترى . ويطلق على ناحيتها الآن اسم توي (٢٢) .

وفى شرقى نهاوند كورة الايثارين وقصبتها يقال لها كرج ، واشتهرت باسم

(٢١) المقدسي ٢٥ و ٥١ و ٣٨٦ ؛ اليعقوبى ١ : ٣١٦ و ٤٠٨ ؛ المستوفى ١٥٢ و ٢١٧ ؛ جهان لما ٣٠١ و ٣٠٥ .

(٢٢) ابن رسته ١٦٦ ؛ ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٢ ؛ المقدسي ٣٩٣ ؛ ياقوت ٢ : ٨٢٢ ؛ ٤ : ٢٥١ و ٨٢٧ ؛ المستوفى ١٥٢ و ١٥٣ .

لا ريب ان اطلاق كرج روذاور هو الذى وصفها دى مورغن De Morgan فى كتابه « بقعة الى فارس » Mission en Perse (٢ : ١٣٦) واطلق عليها اسم رودلار .

كرج ابي دلف • ولا يعرف الآن الموضع الحقيقي لكرج هذه • ولكن مع التدقيق في المسافات التي ذكرت في وصف المسالك وما قاله المستوفي في ان المدينة كانت وراء جبال راسند (وهي الجبال المعروفة اليوم باسم راسند) ينبغي أن يبحث عن موضعها بالقرب من منابع النهر المار بساروق والمتقى بنهر قراصو الحالي • وتكلم ابن حوقل في الملة الرابعة (العاشرة) على كرج فقال انها اصغر من بروجرد ولكنها كانت مدينة ذات شأن • بناتها عال وكانت مدينة طويلة تحو فرسخين ولها سوقان احدهما على باب مسجد الجامع وسوق آخر وبينهما صحراء كبيرة • وتصابهما المنازل والمسكن والحمامات • وبنائهم من طين وليس بها كبير ساكنين ومتزهات • وتحف بها اراض قليلة وافرة الخصب • اما ابو دلف • وهو الذي نسب اليه هذا الموضع • فقد كان قائدا شهيرا وشاعرا في قصر هرون الرشيد وابنه المأمون • وقد اقام ابو دلف وآله في هذه الكورة وفي ما حول الرج^(٢٣) • وهو على اثني عشر فرسخا أمام اسفهان • وقد اوغرت لهم اينارا أي انها معفاة من الخراج ما خلا ما يدفع سنويا من المال الى الخليفة^(٢٤) • وروى ياقوت ان • كرج • فارسة وأهلها يسمونها كره • وكانت فرزين • قلعة على باب كرج • • وقد اشار المستوفي الى نهرها باسم كره - كره رود - وقال ان جبل راسند كان يطل على السهل في شمالها • وعند حافة الجبل عين ماء غزيرة يقال لها عين الملك كبخسرو تسمى المراتح المجاورة طولها ستة فراسخ في عرض ثلاثة وكانت تعرف باسم مرزار كيتو وتحميها قلعة فرزين • وجبل راسند • على

(٢٣) ابو دلف هو القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل بن عمير وينتهي لسبه الى ربيعة بن زرار بن معد بن عدنان الجعفي (ابن خلكان) • وكان أبوه قد فرغ في عبارة مدينة الكرج واتسها هو • وكان بها اهله وعشيرته واولاده • وقد وثق ابو دلف ايضا العاجل وهي منزل خصيب كبير على طريق الحج بين الكوفة ولجند وماؤها من الركب والايثار (ابن رسته ١٧٦) • واشتهر بالشجاعة والكرم • واثبت جملة كتب وكان من رجال المأمون ثم المتعصم وحبيسه الافقيين في ايام المتعصم بسبب ما كان بين الترك والعرب من نزاع • ثم سمى ابن ابي دلف فاطمة وكانت ولاته في بغداد سنة ٢٢٥ وقيل ٢٢٦ هـ (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢ : ٤١٦ - ٤٢٣) • ومعدسه كثير من الشعراء كابن تمام ويكر بن الطاح وعلى بن جبلة السكوني (راجع - سوس ٣ [١٩٤٧] ص ٧٦) • ولى سامرا بقاء جامع كبير من بناء المتوكل يعرف اليوم بجامع ابي دلف (م) • (٢٤) جاء في ياقوت (١ : ٤٢٠) في مادة « الايفارين » تفسير لمسي « الايفار » قال - « الايفار اسم لكل ما يحس نفسه من السباح وغيرها ويسمع منه ... ولا يسمى الايفار اينارا حتى يأمر السلطان بحمايته فلا تدخله الصالح لاسماء خراج ولا معانسة غلة يكون الايفار لقبه من بعده على ممر السنين فلا الصناديق لانها خارجة عنها يحصيتها المصدق ويأخذ الواجب عنها » (م) •

ما قيل ، صخرة سوداء تسمخ مثل جبل بيستون . وتشق سفوحه وديان صخرة ومحيطه عشرة فراسخ اما موضع البرج وهي مدينة الايفارين الثانية فلم يتوصل الى تعيينها ولكن موضعها معروف بوجه القريب فقد قال ابن حوقل انها مدينة حسنة الحال في الطريق الذاهب الى اصبهان على اثني عشر فرسخا من الكرج^(٢٥) .
 وأسفل منها بانحدار نهر الكرج وفي شمال كرج أبي دلف ، مدينة ساروق في رستاق نراهان وقد أشار اليها ياقوت والمستوفي وعداها من أعمال همذان . ودولة آباد ، وهي ما زالت قائمة في تلك الانحاء ، ذكرت في جملة المواضع الجبلية ، وكان بالقرب منها ملاحة وهي بحيرة تكون اربعة فراسخ في مثلها فاذا كانت ايام الصيف وجفت البحيرة صارت ملحاً جيداً يأخذ الناس ويحملونه الى البلدان فيباع . وقد سمي المنول هذه البحيرة ، على ما في المستوفي ، جفان تاوور ومعناها « البحيرة الملح » وهي بلا رب بحيرة ثائلة الحالية . وأخيراً فان في جوب شرقي همذان ، في نحو نصف الطريق بين هذه المدينة ونهاوند ، بلدة رامن الصغيرة وقد ذكرها ياقوت في جملة مدن هذه الناحية الا ان غيره من المصنفين لم يتعرض لوصفها^(٢٦) .

(٢٥) ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٦٢ : المقدسي ٣٩٤ : ياقوت ١ : ٤٢٠ و ٤٤٨ : ٣ : ٨٧٣ .
 ٤ : ٢٥٠ و ٢٧٠ : المستوفي ١٥١ و ٢٠٤ .
 (٢٦) ياقوت ٣ : ٨٧٦ و ٨٨٧ : ٤ : ٦٨٣ [قلنا : هذه الإشارة خطأ فهي تعود الى بلدة باسم رامن من أعمال الموصل . اما رامن فقد وردت في ياقوت ٢ : ٧٣٧ (م)] : المستوفي ١٥١ -
 وأجل مدن هذه الناحية اليوم المشهورة بصنع السجاد ، هي سلطان آباد ولد اسمها فتح على شاه في مطلع القرن التاسع عشر . وتعرف عادة باسم شهر ناز (المدينة الجديدة) ١ : ١٠ .
 قلنا : لم نعد وصف ياقوت ٢ : ٧٣٧ لثلاثة رامن ذكر بعدها من همذان وبروجرد وهي بينهما ، ولكن ابن حوقل قد سبق ياقوت الى مثل هذا القول ووصفها بانها « مدينة صالحة الحال » - (م) .

الفصل الرابع عشر

الجبال «تابع»

المر الصغرى - بروجرد - غرماباد - شابرخواست - سريوان
والصغيرة - اسفهان وكورسا - فيروزان وفارغان ونهر
زنده رود - اردستان - طاشان - قم وكليستان
ونهر قم - آوه وساهو - نهر
كاومعا .

فى جنوب همدان ، لورستان (لُرستان) أى بلاد المر ، والمر جبل من
الأكراد . وانهار هذه البلاد الجبلية تقسمها الى قسمين : المر الكبرى فى الجنوب
والمر الصغرى فى الشمال ، ويفصل بين المر الصغرى والمر الكبرى نهر كارون
الاعلى . وقد آثرنا بسط القول فى مدن المر الكبرى فى فصلنا عن خوزستان ،
وان عدّ بعض المؤلفين كورة المر الكبرى جزءا من عراق المعجم أيضا .
وكانت أهم مدن المر الصغرى ، حسبما جاءت فى المستوفى فى المئة الثامنة
(الرابعة عشرة) : بروجرد وخرّماباد وشابورخواست . وقد وصف ابن حوقل
فى المئة الرابعة (العاشرة) بروجرد فقال هى مدينة حسة طولها أكثر من عرضها
وطولها نحو نصف فرسخ . وفواكه الكرج منها ، وبها زعفران كثير . واستحدث
حمويه^(١) فيها منبرا . وكان حمويه وزير آل ابي دلف وقد مرّ ذكرهم . وحين

(١) هكذا غلط ابن حوقل هذا الاسم . اما المؤلف فقد ذكره بصوره « حولة » (م) -

كتب المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) كان فيها جامعان : عتيق ومحدث •
أما المدينة فكان الخراب قد استولى عليها فى أيامه حسب قوله • وأشار إليها
عليه البردى غير مرة فى سياق وصفه حروب تيمور ، إلا أنه سماها وروجرده حيثما
ذكرها وقال ان القلعة المسماة أرمبان قد جددت بأمر تيمور^(٢) .

وخرماباذ وقد كانت منذ أيام تيمور أجل موضع فى اللر الصغرى بعد
بروجرد ، لم يذكرها أحد من بلدائى العرب فى القرون الوسطى بهذا الاسم •
ولعل خرماباذ هى مدينة شابر خواست على رأى بعضهم ، فقد كثر ذكرها قبل
ذلك • على ان ما يثبت خطأ هذا الرأى ذكر المستوفى لهما كلا على انفراد ، هذا
الى كونه أشار الى موضع شابور خواست • وكانت خرماباذ حين كتب المستوفى فى
المثة الثامنة (الرابعة عشرة) مدينة حسنة وان دب الخراب فى بعضها • وكان
يكثر فيها التخیل • وقال ان هذه المدينة هى الموضع الوحيد الذى ينمو فيه التخیل
فى بلاد الجبال ما خلا الصيرى • على ان هذا القول لا يمكن الاخذ به على
علائمه •

أما شابور خواست وقد كتبها اللدائيون العرب بصورة سابور خواست
فقد اشتهرت بتيمورها أيضا منذ أيام ابن حوقل • وفى المثة الرابعة (العاشره)
خضعت سابور خواست وروجرده ونهاوند لحسنويه الزعيم الكردى الذى أقام
دولته فى الدينور (أنظر الصفحة ٢٢٤ أعلاه) • وفى دزب ، قلعة سابور خواست
وهى تضاهى سراج ملعة ، خا بدر بن حسنويه أمواله التى وقعت فى سنة ٤١٤
(١٠٢٣) بأيدى البويهيين • وفى المثة الخامسة (الحادية عشرة) ورد ذكر سابور
خواست غير مرة فى أخبار السلاجقة • وفى سنة ٤٩٩ (١١٠٦) استولى عليها
الأتابك منكوبرس كما استولى على نهاوند وليشتر (اليشتر) • وحين كتب المستوفى
تاريخه كزبد فى النصف الاول من المثة الثامنة (الرابعة عشرة) كان فى اللر
الصغرى فى أيامه مدن أهلة هى : بروجرد وخرماباذ وشابور خواست (على ما
كتبها بالفارسية) وذكر ان هذه الأخيرة وان كانت فى ما مضى مدينة عظيمة أهلة

(٢) ابن حوقل ٢٠٨ و ٣٦٢ : ياقوت ١ : ٥٩٦ : ٢ : ٧٢٧ : المستوفى ١٥٦ : على البردى
٥٨٧ : ٢ : ٥٩٥ .

فيها اخلاط من الشعوب وعاصمة المملكة ، فإن شأنها قد تضائل وتحولت الى مدينة اقليم ليس الا . وقال ان موضعها مما يلي بروجرد في الجنوب . « فالطريق من نهاوند الى اصفهان يتشعب يمينا الى شاپور خواست » ويسارا (أى الى الشرق) يبقى الطريق الاصلى على اتجاهه الى كرج ابي دلف . وهذا يتفق وما أورده ابن حوقل والمقدسى ، فقد قال الاول ان من نهاوند الى لاشتر عشرة فراسخ (جنوبا) ومن لاشتر الى الشابرخاست اثنا عشر فرسخا . ومن الشابرخاست الى اللور (الكبرى) ثلاثون فرسخا - أى الى الفاووز التى فى شمال دزفل ، على ما سيأتى بيانه فى الفصل السادس عشر . وزاد المقدسى على ذلك ان من شاپور خواست الى كرج ابي دلف أربع مراحل على مثل ما كان من شاپور خواست الى اللور^(٣) . وفى غرب اللور الصغرى على حد العراق القريب : كورتا ماسبدان ومهرجان قَدْزَق . واهم مدنها : السيروان والصيمرة . وما زالت ترى اطلال هاتين المدينتين . وماسبدان اسم يطلق الآن على البقعة التى فى جنوب سهل ماي دشت . وكانت سيروان (أو السيروان) على ما فى ابن حوقل « مدينة صغيرة غير ان الغالب على بنائها الجص والحجر كمدنية الموصل فى أبنيتها » وفيها الثمر الكثير والجوز والدستبويه^(٤) وما يكون فى بلاد الصرود والجروم^(٥) . وكان فيها أيضا التخيل على ما قلنا . وأشار القزوينى الى ما فى كورة ماسبدان من الكباريت والزاجات والبوارق (جمع البورق) والاملاح . وعلى نحو خمسين ميلا من شرقها : الصيمرة وهى كالسيروان وبقيت زمنا مدينة آهلة بعد زوال المدينة الأخيرة وكانت اصليح موضعا منها . واشتهرت كورة مهرجان قَدْزَق ، وهى التى تحيط بالصيمرة ،

(٣) ابن حوقل ٢٥٩ و ٢٦٤ : المقدسى ٤٠١ : ياقوت ٢ : ٥٧٢ : ٣ : ٤ و ٨٢ و ٢٢٥
ابن الاثير ٩ : ١٧٤ : ١٠ : ٢٧٤ : المستوفى ١٥١ و ١٩٥ : تاريخ كزيمه لناشره كاستان
١ : ٦٢٢ وفى الورقة ١٥٩ ب من مخطوطته ليلحة عن اللور الصغرى فى نهاية القسم الحادى عشر من السجل الرابع . وهى تنقسم القسم الذى ييسر فى الفول .
ووردت كتابة الاسم صور مخفلة . شاپور خواست وشابر خواست وشاپور خواست ولا يعرف موضع خرابتها .

(٤) فى الالفاظ الفارسية الخمرية لادى شير (ص ٦٣) : المستبويه لوح البليخ الاصغر معرب من مستبوى أى القسامة وهو مركب من « دشت » أى يد ومن « بوى » أى الرالحة . وفى مجلة الزراعة المراقية (٧ [١٩٥٢] ص ٤٥٠) مقال للدكتور مصطفى جواد ذكر فيه نصرا يد ظاهرها على ان المستبويه هو الليسون المعروف بالمسكى عند العراقيين . (م) .
(٥) فى المعاجم : الصرود الارافى الباردة وهى غلاب الجروم أى الارافى الحارة . (م) .

بكثرة خيراتها في الملة الرابعة (العاشرة) • وأشار المقدسي الى انها كبيرة عامرة •
ووصف ياقوت الصبيرة فقال « بها نخل وزيتون وجوز وثلع » • وفي الطريق
بين الصبيرة والطرحان وهي ضيعة مجاورة لها «قطرة عجيبة بدية تكون ضف
قطرة خاتنين » وهي بين حلوان وخاتنين • وحين كتب المستوفي في الملة الثامنة
(الرابعة عشرة) كانت الصبيرة مدينة حسنة وان أخذ الخراب يدب فيها • وكانت
نواحيها مشهورة بنخيلها^(٦) .

وفي الطرف الجنوبي الشرقي من اقليم الجبال ، ليس بعيد عن شفير
الغزالة الكبرى ، مدينة اصفهان (وكتب العرب هذا الاسم « اسبهان » والفرس
« اسباهان ») وكانت منذ اقدم الازمنة موزعا جبل القدر لعظم خيرات اراضيها
ووفرة مياهها الآتية من زائنده رود^(٧) . وتقوم اليوم اصفهان واراضيها على
ضفاف هذا النهر اما في القرون الوسطى فكانت احياؤها الاحلة على ضفة زائنده
رود الشمالية أى اليسرى فقط • وقد كان في هذا الموضع مدينتان متقاربتان هما :
في الشرق جى ويقال لها أيضا شهرستانه^(٨) يحف بها سور ذو مئة برج ، وعلى
ميلين من جنوبها : اليهودية وهي ضف جى • وقد نسبت هذه المدينة على ما اجتمعت
عليه الروايات الى اليهود الذين اسكنهم بوخذ نصر فيها •

ووصف ابن رسته في ختام الملة الثالثة (التاسعة) مدينة جى فقال طولها
نصف فرسخ وسعتها نحو ٢٠٠٠ جريب (أى نحو ٦٠٠ أكر) • ولها أربعة
أبواب : الأول باب خور ويقال له أيضا باب زرین رود وهو الاسم القديم للنهر •
والثاني باب اسفيج والثالث باب طيرة والرابع باب اليهودية • وذكر ابن رسته
عدد أبراج السور بين باب وباب وأورد المسافات بينها بالذراع • وبمدينة حى بناء
عتيق يقال له الساروق على مثال الحصون • وهذا الاسم يشبه اسم قلعة همذان
على ما قد يتنا • وقال ابن رسته : « لا يعرف بأنه لتدمه فقد بنى قبل الطوفان » •
ووصف ابن حوقل والمقدسي في الملة التالية جى واليهودية فقالا : فى كل واحدة

(٦) ابن حوقل ٢٦٣ و ٢٦٤ : المقدسي ٣٩٤ : اليعقوبى ٣٦٦ : الفرزدق ٢ : ١٧٢ : ياقوت
٤٤٣ و ٤٤٤ : المسنولى ١٥١ .

(٧) سيذكر المؤلف هذا النهر بمسورة : زندهود في ادلائل الفصل السادس عشر (م) •

(٨) تسمى شهرستان او شهرستانه بالفارسية : المدينة وهي تطلق على العاصمة من المدن • (م) •

منهما منبر واليهودية وحدها تضارع همدان سمة بل هي أكبر مدينة في إقليم الجبال . وقد تستنى الرى من ذلك . وكانت اصفهان مركزا تجاريا في إقليم الجبال . يرتفع منها التابى وسائر ثياب القطن ويوجد . تجلب منها الى سائر النواحي . وبها زعفران وفواكه وهي أخصب مدن الجبال واوسعها عرصة وأكثرها ماء وتجارة . وعلى ما فى المقدسى « يقال ان يختصر لما جلى بنى اسرائيل من الارض المقدسة لم يروا بلدا تشاكله ارضهم غيرها فسكنوها » . وقال ان للمدينة اثني عشر دربا . وبنائهم طين وأسواقها بعض مغطاة وبعض مكشوفة . والجامع فى الاسواق حسن على اساطين مدورة وله منارة فى قبلته طول سبعين ذراعا . وكانت مدينة جى المجاورة لليهودية على ميلين من شرقيها . ويقال لها المدينة على ما فى المقدسى وهي ترادف لفظة شهرستان . وكان على النهر أسفل قلعتها القديمة جسر سفن فى المئة الرابعة (الماشرة) .

وفى سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) زار الرحالة الفارسى ناصر خسرو اصفهان وقال انها أكبر مدينة رأها فى جميع البلاد الناطقة بالفارسية . وكان فيها مئتا حراف وخمسون دباطا ويقال ان طول سورها ثلاثة فراسخ ونصف وله شرفات ومراق يصعد بها الى اعلاه . وكان مسجد الجاهع بناء فضاء وسوق الصرافين مما تحسن رؤيته . ولكل سوق من أسواقها الكثيرة باب يفتح عليها . وحين كتب ياقوت فى مطلع المئة السابعة (الثالثة عشرة) كان الخراب قد دب فى اليهودية وجى وبقيت ثانيتهما أكثر سكانا . وتكلم أيضا على جامع جى الذى بناء الخليفة الراشد بالله ابو جعفر المنصور الذى خلمه عمه^(٩) محمد المقتدى فى سنة ٥٣٠ (١١٣٦) ثم انه قتل فى حرب بينهما^(١٠) ودفن فى ظاهر باب الصحن الا ان اليهودية استمادت شيئا من منزلتها السابقة بعد الفتح المولى . وحين كتب أبو الفداء فى سنة ٧٢١ (١٣٢١) كانت اليهودية عامرة بينها وبين شهرستان ميل من شرقيها تقوم على قسم من موضع جى القديمة .

(٩) الذى فى التواريخ ، وهو القول المبول ، ان جماعة من القضاة علموه بتحرير السلطان مسعود السلجوقى (الدكتور مصطفى جواد) .
(١٠) ذكر المؤرخون ، ان الباطنية اغتالوه وقتلوه ولم تكن حرب بينه وبين عمه عبد (الدكتور مصطفى جواد) .

وسرد معاصره المستوفى حديثا طويلا عن اصفهان وكورها ذاكرة اسماء كثير من مواضعها التي ما زالت موجودة • ويثبت وصفه لها ان يهودية القرون الوسطى هي مدينة اصفهان التي وصفها شاردان Ohardin في ختام القرن السابع عشر حين اصبحت عاصمة بلاد فارس في عهد الشاه عباس • وما زالت معالم مجدها التالذ ظاهرة للبيان اليوم • وعلى ما في المستوفى كان طول أسوار المدينة ٢١٠٠٠ خطوة • ويرقى زمنها الى المئة الرابعة (العاشرة) اذ بناها عضد الدولة الجوبى • وكان في بقعة اصفهان قبلا اربعة قرى انتسبت اليها محال المدينة وهي كران (وذكر شاردان ان باب كران كان في جبهتها الشرقية) وكوشك وجوبارة (وكانت هي المحلة الشرقية حين كتب شاردان • وكان باب جوبارة في الشمال الشرقي) وردشت (والباب الذى بهذا الاسم في الشمال • ومحلة وردشت في الشمال الغربى) • وعلى ما ذكر المستوفى ان أكثر المحلات سكنا في أيام السلاجقة كانت المحلة التي يقال لها جبارة (وهي محلة كلبار عند شاردان وكانت حول ميدان كهنة الحالى • اى الميدان القديم •) حيث كانت مدرسة السلطان محمد السلجوقى وقبره • وفيها قطعة حجر تزن عشرة آلاف من (ولعل ذلك يعادل ما يقرب من ٣٣ طنا) وهي صنم (بُد) عظيم حملة السلطان من الهند ونصبه أمام باب المدرسة^(١) •

ولما استولى تيمور على اصفهان في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ورد اسم القلعة التي فتحها بصورة قلعة طبرك (وهي تسمى الراية بالفارسية) • وقد وصف شاردان اطلال هذه القلعة وهي ما زالت شاخصة بانها في ظاهر باب وردشت والى ذلك فقد علمنا ان ملكشاه السلجوقى أقام قلعة حصينة أخرى - شاء دز • القلعة الملكية • - فوق قمة جبل عند اصفهان في سنة ٥٠٠ (١١٠٧) • واورد القزوينى حكاية طويلة تدور على الاحوال التي لابتست تأسيسها • وفي مطلع المئة العاشرة (السادسة عشرة) خضعت فارس للشاه اسماعيل الصفوى وفي

(١١) على ان التاريخ لم يثبت ان السلطان محمد - وقد حكم من سنة ٤٩٨ الى ٥١١ و ١١٠٤ - (١١١٧) وهو ابن ملكشاه - قد قام بفتحها في الهند ولعل الاسم اسببه على المستوفى لذكره وهو يريد به محصدا الزلوى - (م) •

خاتمها نقل الشاه عباس الكبير قاعدة ملكه من اردبيل الى اصفهان . ونقل أيضا جميع الارمن من جلفا ، وهى على نهر ارس ، واسكنهم فى حي جديد بالمدينة انشاء على ضفة نهر زائنده رود الجنوبية اى اليمنى . و اضاف الشاه عباس أيضا الى اصفهان احياه وارباضا جديدة فى شمال النهر . وقد وصف ذلك كله شاردان وصفا وافيا فقد عاش فى اصفهان سنين كثيرة فى خلال النصف الاخير من القرن السابع عشر للميلاد^(١٢) .

والتواحي الثمان حول اصفهان ، وقد عني المستوفى بذكر اسمائها واسماء قراها ، ما زالت موجودة . ووردت هذه الاسماء نفسها فى اليعقوبى وفى غيره من مصنفى المثني الثالثة والرابعة (التاسعة والعاشره) . وكان اربع من هذه التواحي فى شمال النهر . اما الاربع الاخرى ففى يمينه فى الجنوب . فاذا ابتدأنا من الضفة الشمالية رأينا ناحية المدينة ، وكان يقال لها جى ، وهو اسم المدينة الضيقة التى فى شرقها . وكانت ناحية مريين فى غرب اصفهان وفيها بيت نار قديم بناء الملك الاسطورى طهمورث الملقب بـ « ديوبند » اى « مكتف الشياطين » . والى الشمال الغربى على شىء يسير من أبواب المدينة ناحية برخوار . وكانت تجرّ (كثر الحديثة) أوسع قراها . والى الشمال الشرقى ناحية قهاب وهى رابعة التواحي التى فى شمال النهر . وفى جنوب زائنده رود ، والى جنوب شرقى مدينة شهرستانه القديمة ، ناحية برآن . ويلها فى منحدر النهر ناحية رودشت . وقصبتها فارفان وكانت مدينة واسعة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ولكنها الآن قرية قرب سبخة گاوخاخي الكبيرة . وكانت ناحية كراچ فى جنوب برآن . والى غربها فى أعلى الضفة اليمنى لنهر زائنده رود ، ناحية خان لنجان الكبيرة وهى آخر التواحي الاربع التى فى جنوب النهر . وكانت أهم مدينة فيها فيروزان . ولم

(١٢) ابن رسته ١٦٠ و ١٦٢ : ابن حوقل ١٦١ : القندس ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ : ناصر خسرو ٩٣ : ياقوت ١ : ٢٩٥ ، ٢ : ١٨١ ، ٣ : ٢٤٦ ، ٤ : ٤٥٢ و ١٠٤٥ ابر الفداء ٤١١ : المستوفى ١٤٢ : على اليزدى ١ : ٤٣١ : القزوينى ٢ : ٣٦٥ - ويلا وصف اصفهان الجبلد الثامن (انظر برجه خاس ص ١٢٢ و ١٢٦ و ١٤٧ و ١٥٣ و ٢١٢ و ٢٢٧ و ٢٢٩ ففيها لبذ حاصية بها) من رحلات السفاليه شاردان الى فارس Voyage du Chevalier Chardin en Perse (انظر من اصفهان الحالية هنر شندلر Houtum-Schindler فى كتابه العراق المستردام ١٧١١) انظر من اصفهان الحالية هنر شندلر Eastern Persian Iraq (١٨٩٧ ص ١٨ و ١٩ و ١٢٠ و ١٢٢) .

تبق معالم ما لباقيا هذه المدينة على ما يظهر مع انها كانت مدينة كبيرة ذات جاتين
فى الملة الثامنة (الرابعة عشرة) وبين يديها نهر زابنده رود . قال ابن بطوطة ،
وقد مر بها ، انها تبعد ستة فراسخ من اصفهان . وفى الملة الرابعة (العاشرة)
كانت ناحية خان لنجان مشهورة بفواكهها الوفرة وبخصوبة ارضها . ويكتب
اسمها غالبا خالنجان أو خولنجان كما عرفت باسم خان الابرار . واسم خان لنجان
اذا أريد به المدينة فانها تنطبق ولا ريب على فيروزان المائة الذكر وهى التى
تذكر كتب المسالك انها أول مرحلة باتجاه الجنوب فى الطريق الغربى من
اصفهان الى شيراز . وفى الملة الخامسة (الحادية عشرة) مر ناصر خسرو بخان
لنجان فى طريقه الى اصفهان ورأى على باب المدينة كتابة فيها اسم طغرل بك
السلجوقى (١٣) .

ونهر اصفهان يعرف اليوم بنهر زندرود وسماء مصنفونا على اختلافهم باسم
زابنده رود أو زرنرود . ويطلق اسم زرین رود اليوم على أحد فروع هذا
النهر . وكان المجرى الاصل يسمى فى أعاليه جوى سرد (النهر البارد)
ومخرجه فى زرده كوه (الجبل الاصفر) وما زال هذا الجبل يعرف بهذا الاسم
لأن صخوره من الحجر الكلسى الاصفر ، وهو على ثلاثين فرسخا غرب اصفهان
ولا يبعد كثيرا من منابع نهر دجيل أو كارون فى خوزستان . وفى تلك الاتجاه
أيضا ، على ما فى المستوفى ، جبل اشكهران وهو الذى يمين حد اللز الكبرى .
وفى أسفل مدينة فيروزان فى خان لنجان يستقبل نهر زنده رود رافدا يضارع
المجرى الاصل سعة يتحدر من جوار كليكان (جراباذقان) وبعد ان يمر باصفهان
ويسقى نواحيها الثمان ينحرف زنده رود شيئا يسيرا الى شرق رودشت ويفور
أخيرا فى كاوخانى على شفير المفازة الكبرى . ويقال ، على ما ذكر ابن خرداذبه فى
الملة الثالثة (التاسعة) ، ان هذا النهر « يفور فى رمل فى آخرها ثم يخرج بكرمان

(١٣) ابن خرداذبه ٢٠ و ٥٨ : ابن رسته ١٥٢ : قدامة ١٩٧ : ابن حوقل ٢٠٦ : البقيرى
٢٧٥ : المقدسى ٣٨٩ و ٤٥٨ : ياقوت ١ : ٢٩٤ : ٢ : ٣٩٤ : ٣ : ٨٣٩ : المستوفى ١٤٣ والكر
ما فيه عنها اتيهه صاحب جهان نما : ٢٩١ : ابن بطوطة ٢ : ٤٢ : ناصر خسرو ٩٢ .
وتشتهر خان لنجان أيضا بانها الموضع الذى اتجا اليه اللردوس حين فر من فشب السلطان محمود
الزبرى . ورود وصف استقبال والى خان لنجان له فى نسخة من النشائمة مطبوعة من المطبع
البريطانى (Or. 4408, Fol. 518 a) . وقد نشره و ترجمته سى دى C. Schäfer
فى طبعته لناصر خسرو (الملحق ٤ من ٢٩٨) .

على ستين فرسخاً^(١٤) من الموضع الذى غار فيه ثم يصب فى البحر * . ولكن المستوفى لا يؤيد هذا القول بطبيعة الحال لأن بين اصفهان وكرمان جبالاً عالية وإن روى هو الزعم القائل أن كسر القصب التى ترمى فى سبخة كاوخانى تخرج فى كرمان وعقب ذلك * ولكن هذه الحكاية لا تصدق^(١٥) .

وكانت نائين * وهى فى شمال كاوخانى عند حافة المفازة الكبرى وكذلك المدن التى فى جنوب شرقها ياتجاه يزد * تعد من أعمال اقليم فارس فى القرون الوسطى على ما سنبينه فى الفصل الثامن عشر * إلا أن اردستان وهى على بضعة أميال شمال غربى نائين كانت من أعمال اقليم الجبال * وقد وصف الاصطخرى اردستان فى المثة الرابعة (الماشرة) بأنها مدينة حصينة عليها سور ذو خمسة أبواب * وهى ميل فى مثله * والمسجد الجامع فى وسط المدينة * وكان يعمل فيها ثياب الحرير وتحمل الى الآفاق * وفى زوارة وهى فى شمال شرقى اردستان أبنية من بناء الملك انوشروان العادل * وذكر المقدسى أن اردستان * أرض على بياض الدقيق ومنه اشتق اسمها * بالفارسية * ارد : الدقيق * فمعنى اردستان موضع كالدقيق * والاطلال التى أشار إليها ياقوت باسم أزواره * قال أن * بنامها آراج * وفى وسط حصن منها بيت نار * يقال أن انوشروان ولد فيه * غير أن المستوفى وقد كتب الاسم بصورة زوارة نسب كل هذه الاطلال بما فيها بيت النار الى الملك بهمن بن اسفنديار * وقال أن المدينة التى تقوم فى حافة المفازة كان حولها ٣٠ قرية وذكر أنها من بناء دستان أخى البطل رستم على ما يقال * .

وعلى شفير المفازة بين اردستان وقاشان كركس كوه * جبل النسر * * وصفه المقدسى بأنه أعلى جبال مفازة فارس وأمنها ويليها سياه كوه * « الجبل الاسود » وهو دونه فى الكبر غير أنه متنج * وهذان الجبلان عالبان وعرا المسلك الى ذراهما * وجبل سياه كوه * جبل أسود قبيح المنظر والمخبر * وكلا الجبلين * على ما قال الاصطخرى * ماوى للصوفى يمتصمون به * وفى هذا الجبل ماء يسمى آب بنده * إذا صرت عنده كنت كأنك فى حظيرة والجبل محيط بك * * وفى نحو

(١٤) وهم المؤلفون نقله هذا الرثم فقال تسمين فرسخاً * (م) *
(١٥) ابن دونه سنة ١٥٢ : ابن خرداذبه ٢٠ و ١٧٦ : المستوفى ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢١٤ .

نصف الطريق في المفازة بين كركس كوه وسياه كوه ، رباط حصين يقال له دير الجص من جص وأجر ، عليه أبواب حديد . وهذا الرباط على ما ذكر الاصطخري يسكنه بذرقه السلطان^(١٦) وفيه حياض الماء يجتمع فيها ماء المطر . وقال المقدسي انه رآه شعثا وعلى باب الرباط يقال مقيم . ووصف المستوفي كركس كوه بأنه جبل منقطع عن الجبال ومحيطه نحو عشرة فراسخ^(١٧) . وكانت النور تمشش في صخور ذراه . وتكثر فيه الوعول التي تحمل العطش اياما طويلة . والى غرب اردستان مدينة تطنز أو تطنزة ولم يذكرها احد من بلداني العرب قبل ياقوت^(١٨) . وروى المستوفي ان قلعتها كانت تسمى وشاق نسبة الى وال كان على تطنز . وقد عرفت هذه القلعة قديما باسم كسرت . وفي جوار تطنز أيضا قرية كبيرة يقال لها طرق ، هي شبه بلدة . على قول ياقوت . ولاهلهما على ما ذكر القزويني . يد باسطة في الالات المستخرقة من الماچ والآنوس يحمل منها الى سائر البلاد^(١٩) .

وقد وصف الاصطخري مدينة قاشان بانها مدينة صغيرة ، بناؤها وبناء قم الطالب عليه الطين ، . وكعب بلدانيو العرب القدماء اسمها بصورة قاشان لا كاشان . واشتهرت قاشان في ديار الشرق بقريدها الذي يقال له القاشي (والقاشاني) واصبحت هذه التسمية تطلق على القرميد الازرق والاحضر المتخذ في تزويق المساجد حتى يومنا هذا . وعلى ما في المقدسي كان بقاشان عتارب عجية . وقد أشار ياقوت الى ما يجلب منها من الفضائر القاشاني . وقال ان « أهلها كلهم شيعة امامية » . وذهب المستوفي الى ان اول من بنى قاشان زبيدة زوجة هرون الرشيد ، ونوه بقصرين وهو بقرب قاشان وقال فيه حياض وكهاريز

(١٦) البذرة بالدال المهملة وقد تسم : البعارة . يقال بعث السلطان بذرة مع الثالثة الى من يغفرها . وهي فارسية معربة - (م) .
(١٧) اي الاصطخري (ص ٢٢٨) وابن حوقل (ص ٤٠٢) ان دور (بفتح الدال) اسمها نحر مرسخين . (م) .
(١٨) بل سبقه ابو سعد السمعاني الى ذكر هذه البلدة (انظر الانساب . وجه الورقة ٥٦٤) (م) .
(١٩) الاصطخري ٢٠٢ و ٢٢٨ و ٢٢٩ : ابن حوقل ٢٨٨ - ٢٩١ : المقدسي ٣٩٠ و ٤٩٠ و ٤٩١ : ياقوت ١ : ١٩٨ : ٣ : ٥٢١ : ٤ : ٧٩٢ : [القزويني ٢ : ٢٧٣ (م)] .
المستوفي ١٥٠ و ١٥١ و ٢٠٦ : جهان لسا ٢٩٩ .

تستمد الماء من نهر يأتي من قهروود • وكان نهر قاشان يجف صيفا قبل ان يصل
ظاهر المدينة ، اما في الربيع فغالبا ما يطغى فيضانه على المدينة • وبعد ان يجتازها
كان يقضى في الغاية المجاورة لها •

ومدينة قم ، وهي الى شمال قاشان ، مشهورة الآن عند الشيعة بمشهدها ،
وهو مشهد فاطمة أخت علي الرضا الامام السادس ، وقد عاش في أيام هرون
الرشيد • والمعروف انها توفيت مسمومة في طريقها الى اخيها في خراسان • وصف
ابن حوقل مدينة قم في المئة الرابعة (العاشرة) فقال ان جميع أهلها شيعة ،
وكانت حينذاك مدينة عليها سور ، خضبة وبها بساتين وأشجار فسق وبندق •
وكان اسم قم القديم على ما في ياقوت : « كُتْدَان » فاسقط العرب بعض حروفها
فسميت بتعريفهم « قما » ، وقال أيضا (٢٠) : « داخل المدينة حصن قديم للجم ،
ما زال يرى » • ولها واد يجري فيه الماء بين المدينتين (أى بين الحصن القديم
والمدينة الاسلامية) عليه قناطر معقودة بحجارة • • وذكر المستوفى ان دائر أسوار
قم كان عشرة آلاف خطوة ، وقد اشتهرت قم اشتهار آوه بكثرة مخايب التلج
التي تحفر في الارض ، ويكثر فيها السرو ، وتقصير الحمر من عنها الاحمر الفاخر •
وحين كتب المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كان الحراب قد دب في
معظم مدنة قم • وما يحسن ذكره انه لا المستوفى ولا غيره من المصنفين القدماء
لمح الى قبر فاطمة وان كانت المدينة معروفة بانها مركز للشيعة (٢١) •

ومخرج نهر قم في ناحية كليكان قرب جبل خاسار على ما جاء هذا الاسم
في المستوفى • وهذا الجبل يرتفع بين نهر قم والرافد الايسر لنهر اصفهان المار
الذكر • وجرياذقان هو الاسم العربي لكليكان • وصورة الاسم القديمة كانت
كربايكان وقد فسر المستوفى بـ « موضع الورود » وكتب اسمه بصورة
كلبادكان • ونوه بخصب ناحية كليكان ، وذكر ان من أعمالها خسين قرية •
وأشار المقدسي الى جرياذقان فقال هي في نصف الطريق بين كرج ابى دلف

(٢٠) لم يرد هذا القول في ياقوت : وقد وجدناه في البلدان للبيروني (ص ٢٧٣) (م) •

(٢١) [البيروني ٢٧٣ (م)] : الاصطخرى ٢٠٦ : ابن حوقل ٢٦٤ : المقدسي ٣٩٠ :
ياقوت ٤ ، ١٥ ، ١٧٥ : المستوفى ١٥٠ و ٢١٧ : جهان لما ٣٠٥ •

واصفهان وإن قرية خايسار ، وقد عرفت الناحية باسمها ، كانت مجاورة لها على ما فى ياقوت . وكانت مدينة دُوليجان أسفل منها على نهر قم . وذكرها ياقوت بصورة دُوليجان أو دُولِيكان . وقد كانت فى ما مضى عامرة إلا أنها آلت الى الخراب حين كتب المستوفى . وبعد ان يجتاز نهر قم مدينة قم ، يلتقى بالنهر الكبير الآخر من همدان وهو نهر كاومل أو كاوماسا . ويستقبل فى يمينه على بعد قليل فوق قم نهر آوّه وفى يساره النهر المار بساوه وهذه الأنهار يشعب كلها الى جداول كثيرة يوصل فيما بينها سواقي ثم تنفى أخيرا فى المفازة الكبرى شمال شرقى قم . ومدينة آوّه (وتسمى آوّه ساوه تميزا لها عن آوّه القرية من همدان . أنظر ص ٢٣١) على شىء يسير غرب قم . وينبع نهر آوّه فى تَقَرِش وهى ، على وصف المستوفى لها ، ولاية لا يكون الوصول الى أى طرف منها الا بدروب . وهى وافر الخيرات كثيرة الضياع . وقد ذكرها المقدسى باسم آوّه الرى . أما ياقوت فقال إنها قرية أو بلدة . وكتب اسمها بصورة آبه وقال ان أهلها شيعة . وفى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) وصف المستوفى آوّه وقال عليها سور محيطه ألف خطوة وفيها مخابىء محفورة لاختزان الثلج لان الحاجة تمس الى الثلج فى اشتداد البظ . وخبرها ردى . وذكر ان بين آوّه وقم جبل منقطع يقال له كوه تَمَكَّ (جبل الملح) لان تربته يخالطها الملح . وبلغ قمة هذا الجبل مستنقع لان ارضه هشة ولا يستقيم الثلج على سفوحه . وملحه لا يستعمله الناس لشدة مرارته . ودور هذا الجبل ثلاثة فراسخ وهو شامق جدا فيرى من عشرة فراسخ (٢٢) .

ومدينة ساوه فى منتصف المسافة بين همدان والرى على طريق القوافل التى تقطع بلاد فارس (أى طريق خراسان) . وكانت ذات شأن فى المثة الرابعة (الماشرة) . وصفها ابن حوقل بأنها « كثيرة الجمال وأكثر الحجاج يحجون على جمالهم لانهم مع تقيتهم الجمال جمالون » . وقال المقدسى ان المدينة « عليها حصن وبها حمامات لطيفة والجامع بعيد عن السوق وهى على الجادة » . وذكر

(٢٢) الإسلطرى ١٦٥ و ١٦٨ ؛ المقدسى ٢٥ و ١ و ٢٥٧ و ٢٨٦ و ٤٠٢ ؛ ياقوت ١ : ٥٧ ؛ ٢ : ٤٦ و ٣٩٢ و ٥٨٤ ؛ المستوفى ١٤٧ و ١٥٠ و ٢٠٦ و ٢١٦ .

باسم قراصو (الماء الاسود) • ومتابعه على ما مرّ بيانه في مفازة همدان حيث تنحدر جداول متشعبة من اسداباد وجبل الوند وكورة فريوار فيجرى أولا الى ناحية الشمال ثم ينمطف انطافا حادا الى الشرق فيستقبل من الجنوب رافدا عظيما هو النهر الذى ينبع بالقرب من كرج اى دلف ويستقبل مما يلى ساوه وآوه رافدين آخرين قد مرّ ذكرهما • وأنشئ في هذا النهر سد عظيم يخترن الماء للستى في موسم الصيود • ويختلط مجرى كاوماها بنهر قم الاتى من كليكان • وذكر المستوفى ان مياه هذين النهرين الفائضة يمد ان تجاز موضعا يقال له هفتاد بولان اى « القناطر الثمانين » يبنى ما يتبقى منها في المفازة الكبرى • وقال المستوفى ان مثل نهر كاوماها في نلحته مثل نهر زنده وود في اصفهان • فقد كان كلاهما مصدر الخير والبركة لهاتين المدينتين • وما تحسن الاشارة اليه ان أحدا من البلدانين العرب القدماء لم يذكر هذا النهر (٢٤) •

(٢٤) ابن حوقل ٢٥٨ : المقدسى ٣٦٢ : ياقوت ٣ : ٢٤٠ : ٤ : ٥٢٠ : التزوينى ٢ : ٢٥٨ •
المستوفى ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٢ و ٢١٧ •

بنى السد الذى م كاوماها شمس الدين صاحب ديوان السلطان احمد بن هولاكو ثالث ايلخاني بلاد فارس •

قلنا : هو شمس الدين محمد بن محمد الجوينى صاحب دواوين الدولة الايلخانية (م) •

الحجبال «تتم»

« وبناء البرى من طين ويستعمل فيها الآجر والجص » • وعلى ما فى ابن

حوقل كان للرئى حصن حسن مشهور له خمسة أبواب : باب باطوق (فى الجنوب الغربى) ويخرج منه طريق بغداد . وباب بليسان (فى الشمال الغربى) ويفضى الى قزوين . وباب كوهك (فى الشمال الشرقى) ويفضى الى طبرستان . وباب هشام (فى الشرق) ويخرج منه طريق خراسان . وباب سين (فى الجنوب) ويفضى الى قم . وكانت أسواق المدينة عند هذه الأبواب وخارجها . وأعظمها تجارة ربض ساربانان وروژه . وبها معظم التجارات والخانات ، وهو شارع عريض مشتبك الابنية والقنارات والمساكن . وفى المدينة على قول ابن حوقل : « نهران للشرب » يسمى أحدهما سور قتي ويجرى على روضة ، والآخر الجيلاني يجرى على ساربانان . وذكر ياقوت أيضا نهر موسى الآتي من جبل الديلم ، فقد يكون هذا النهر هو الجيلاني أو نهر كيلان المار بالذكر . وأشار المقدسي الى بنائين جليلين فى الرئى أحدهما دار البلطخ وهو اسم يطلق عادة على سوق الفاكهة ، والثاني دار الكتب بأسفل الروژه فى خان ، ولم تكن كثيرة الكتب على قول المقدسي .

وفى الملة الرابعة (الماشرة) قال ابن حوقل والمقدسي ان الرئى قد خرب أكثرها وتحولت تجارتها الى ارباض المدينة القديمة . وكان يطل على المسجد الجامع الذى بناه الخليفة المهدي وفرغ من عمارته فى سنة ١٥٨ (٧٧٥) ، على ما روى ياقوت ، الحصن وهو على قمة جبل صعب المرتقى ، فإذا صعدت الى تلك القلعة اطلمت على سطوح الرئى كلها . على وصف ابن رسته . اما ما رواه ياقوت عن الرئى فغير واضح كثيرا الا انه اقتبس فى شطر مما روى وصفا خططا قديما للمدينة جاء فيه ان المدينة الداخلة فيها المسجد الجامع ودار الامارة وحولها خندق . وأهل الرئى يدعونها « المدينة » . والمدينة الخارجة كان غالبها يعرف بالمحمدية وقد كانت فى أول أمرها ربضا محصنا . وكان على قمة جبل يطل على المدينة الختانية (الداخلة) وعلى ما نقله ياقوت كان هذا الحصن يعرف بالزبيدية (وقد ورد اسمه فى بعض المخطوطات بصورة الزيندي)^(١) . وقد كان المهدي

(١) فلما سعى ناصر هذا الحصن بالزبيدي بتقديم الرئى على الباه (٢ : ٨٩٥) . على اننا لم نعثر على مادتي « الرئى » و « الزبيدية » من معجم البلدان على ما يدل على ان الحسى كان يسمى بالزبيدية أيضا (م) .

نزله أيام مقامه بالرى • ثم جعل بعد ذلك سجنًا ثم خرب وعمر فى سنة ٢٨٧ (٨٩١) • وكان فى الرى قلعة أخرى يقال لها قلعة الفرسخان وعرفت أيضا بالجوسق • وفى المئة الرابعة (العاشرة) كره فخر الدولة البرهوى القصر القديم القائم فوق قلة الجبل فابتنى له أبنية مشرفة على البساتين سماها فخر آباد^(٢) •

وأشهر رستاق الرى فى الازمنة الاولى وأكثرها خصوبة : رستاق روذة (أو الروذه) وفيه قرية كبيرة بهذا الاسم فى ما يلى ربض المدينة • وورامين وقد أخذت مكان الرى بعدئذ وصارت اولى مدن ذلك القسم من إقليم الجبال • وبشايوه وما زالت قائمة تعرف باسم فشايوه • وأخيرا قوسين وديزه والقصران الخارج والداخل • وديزه اسم قريتين كبيرتين أو مدينتين على مسيرة يوم من الرى وهما ديزه القصرين وديزه ورامين • وكل هذه الرستاق وغيرها مما ذكره ابن حوقل كانت اشبه بمدن صغيرة • يزيد ما فى احدها من أهلها على عشرة آلاف رجل • وفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) استولت جهافل المغول على الرى ونهبتها واحرقتها ولم تبق لها قائمة منذ نزول هذه الكارثة بها • وحين مرّ بها ياقوت فى ذلك الزمان قال • رأيت حيطان خرابها قائما وقد خربت دورها • وكثير منها مبني بالآجر المنق المحكم الملمع بالزرقه مدهون كما تدهن الفضاير • • ولم ينبج من أذى المغول غير ربض الشافعية وهو أصغر أحياء المدينة • اما احياء الحنابلة والشيعة فقد خربت ولم يبق لها أثر^(٣) •

وقد حاول غازان خان المغولى تعمير الرى واتقازها من الخراب المسحوذ عليها فأمر بإعادة بناء المدينة والسكنى فيها • ولكنه خاب فى ذلك لأن سكانها كانوا قد انتقلوا عنها الى مدينتي ورامين وطهران المجاورتين لها لاسباب الى الاولى اذ كانت أطيب هواء من الرى القديمة • واضحت فى مطلع المئة الثامنة (الرابعة عشرة) أكثر مدن هذه الناحية ازدهارا • وخرائب ورامين على شئ يسير من

(٢) الجيوقى ٢٧٥ ؛ ابن رسته ١٦٨ ؛ ابن حوقل ٢٦٥ و ٢٦٩ و ٢٧٠ ؛ اللبس ٢٩٠ و ٢٩١ ؛ ياقوت ٢ : ١٥٣ و ٨٦٤ و ٨٩٥ و ٣ : ٨٥٥ و ٤ : ٤٢١ •

ولم يبين ما اماكن قلعة الرى التى سماها المهدي وطلق عليها الزينيدية (ان صاحب قراة الاسم) قد نسبت الى زائدة روضة مروان الرشيد أم الى امرأه غيرها بهذا الاسم •

(٣) ابن حوقل ٢٧٠ و ٢٨٩ ؛ ياقوت ٢ : ٥٧٢ و ٨٢٣ و ٨٦٣ و ٨٩٤ •

جنوب الري ، والى شمالها ، على ما ذكر المستوفى ، جبل طَبْرِك - وهو على ما يظن غير الجبل الذى بنى عليه (الخليفة) المهدي قلعة المارة الذكر - . وكان فيه معدن القضة ويأمن منه ربح كثير . وقلة طبرك هذه ، على ما فى تاريخ طهير الدين ، قد بناها منوچهر الزيارى فى مطلع المئة الخامسة (الحادية عشرة) . وروى ياقوت ان طغرل الثانى ^(١) آخر سلاطين سلاجقة العراق خربها فى سنة ٥٨٨ (١١٩٢) . وتحدث طويلا عن حصار هذا الحصن المنيع المشهور وقال ان جبل طبرك على يمين القاصد خراسان وعن يساره جبل الري الاعظم (و يظن انه موضع القلة التى بناها المهدي) . وهو متصل بخراب الري . ووصف المستوفى ضريح امام زاده عبد العظيم بانه على مقربة من الري وما زال هذا المشهد من المزارات المكرمة فى طهران اليوم . وفيه ضريح الحسين بن علي الرضا الامام الثامن .

ومن الولايات المشهورة قرب الري : ولاية شهربار . وذكر المستوفى عرضا قلعة بهذا الاسم تقوم فى شمالى المدينة . وقد أصبحت هذه القلعة بعد ذلك ذات شأن لان شهربار أو رى شهربار هو الاسم الذى أطلقه علي اليزدى على الري حين وصف حروب تيمور . اما ورامين فكانت ، على ما بينا ، أول المراكز الآهلة الا ان الخراب قد نال من هذه المدينة فى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) وبعد زمن قام فى موضعها مدينة طهران التى لم تكن فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) غير قرية من أكبر فرى الري . وفى طهران القديمة (وتلفظ تهران أيضا) كان لاهلها نحت الأرض بيوت « كنافقاء اليربوع » على ما فى القزوينى ، وفيها اثنا عشرة محلة كل محلة تحارب الاخرى . . ووصف المستوفى طهران فى القرن الثالى فقال هى مدينة وسطية . ولكن فى ختام المئة الثانية عشرة (الثامنة عشرة) اتخذها آقا محمد شاه مؤسس الدولة القاجارية عاصمة لبلاد فارس ^(٢) .

(١) الصحيح : الثالث . - الاول طغرل بك الفاتح ، والثانى طغرل بن السلطان محمد بن ملكشاه . والثالث طغرل الثالث بن ارسلان بن طغرل الثانى . (الدكتور مصطفى جواد) .

(٢) القزوينى ٢ ٢٢٨ و ٢٥٠ ، المستوفى ١٤٣ و ١٤٤ و ٢٠٥ : ياقوت ٣ : ٥٠٧ و ٥٦٤ على اليردى ١ : ٥٨٣ و ٥٨٦ و ٥٩٧ .

ردوى طهير الدين ، (Dorn فى : Muhammedanische Quellen ١٥٠٦ من النص الفارسى) ان طبرك تسمى « الجبل » فليس تصغير طبر وسماها « جبل » فى اللمحة الطبرية وقد اشترنا الى طبرك اسفلها فى ص ٢٤٠ .

والأنهار التي تسقى سهل الرى وورامين وطهران تساب من هذا السهل إلى حدود المفازة الكبرى فتفى فيها . وكان من أهم هذه الأنهار : نهر موسى ، وقد مر ذكره ، وعليه قرى كثيرة . وتكلم المستوفى أيضا على نهر كرج وكانت عليه قطرة ذات طاق واحد يقال لها بل خاتون (قطرة الحاتون) ويقال انها انما سميت بذلك نسبة الى السيدة زبدة زوجة هرون الرشيد . وما زالت بقايا هذه القطرة ترى قرب طهران . وذكر القزوينى ان أهل الرى من الشيعة يكرهون نهر سورين ويتطيرون منه لان جثة القتيل يحيى حفيد علي زين العابدين الامام الرابع غُسلت فيه فلا يقربونه^(٦) . على ان المستوفى ذكر ان أهم أنهار الرى نهر جاجرود ومخرجه فى جبل جاجج تحت دماوند ويتشعب الى اربعين نهرا عند وصوله سهل الرى .

وعند الحد الغربى لهذا السهل ناحية ساوج بلاغ - ومضاهها بالتركية « الميون الباردة » - وهى على ما وصفها المستوفى بقعة كانت ذات شأن فى أيام السلاجقة . وقد بلغ خراجها فى أيام المنول اثنى عشر ألف دينار . وكان من أهم قرىها المدينة «سنار اباد» (وما زالت قائمة) وهى مرحلة جبلية فى المسالك التى وصفها المستوفى . وكان يستقى ناحية ساوج بلاغ كرمود ومخرجه فى الجبال شرق قزوین وهو يستقى نواحي الرى وشهریار وتلقى به هناك أنهار كثيرة تنحدر من الجبال فى الشمال قبل ان تفى مياهه الباقية من السفى فى المفازة الكبرى^(٧) .

وقزوین على نحو مئة ميل شمال غربى طهران وهى فى أسفل الجبال المغلظة . وقد كانت منذ أقدم الأزمنة موضعا جليلا تحرس الدروب المخرقة اقليم طبرستان وتؤدى الى شطآن بحر قزوین . وكانت البقاع الجبلية فى الشمال

(٦) وجدنا ان القزوينى (١٨١٠) وياقوت (معجم البلدان ٣ - ١٨٦) قد نكلا ما ذكرناه من نهر سورين من مصدر من مهملول . وقد اتفقا على ما نقلناه وهذا نصه :

« نهر سورين : بالرى - قال مسر من مهملول رأت أمل الرى يكرهونه ويتطيرون منه ولا يقربونه فصارت شيئا من أمل الرى من سببه فقال لا السيف الذى نزل به يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن هل بن ابي طالب رضى الله عنه فغسل فيه » - (م)

(٧) القزوينى ١ : ١٨١ : المستوفى ١٤٤ و ١٤٨ و ١١٦ و ٢١٦ و انظر مقطوعة المتنب البريطانى Add. 543, 28 الورقة ١٧٩ ب : جهان سا ٢٩٢ و ٣٠٤ .

الغربي تؤلف منذ القدم قسما من بلاد الديلم (وقد مرّ وصفها في الفصل الثاني عشر) وكانت وقتا ما مستقلة استقلالاً فلم تخضع لحكم العباسيين • وكانت قزوين في هذا العصر أهم نمر يقف بوجه أولئك الكفار الأشداء • وكانت مشحونة بقوة كبيرة من مقاتلة المسلمين • وفي أسام بنى أمية كان محمد بن الحجاج - والحجاج عامل بنى أمية المشهور على العراقي - قد بثه أبوه على رأس جيش لمحاربة الكفار في جبال الديلم • « فنزل محمد قزوين وبنى بها مسجدا » وصفه ياقوت بأنه « المسجد الذي على باب دار بنى جنيد ويسمى مسجد الثور ، فلم يزل قائما حتى بنى الرشيد المسجد الجامع » • ووصف ابن حوقل في المثة الرابعة (الماشية) قزوين فقال « مدينة عليها حصن وداخلها مدينة صغيرة عليها حصن » - وفي المدينة الداخلة مسجدان • وأراضيها خصبة ويكون مقدارها ميلا في مثله • وأهلها أشداء مقاتلة فكان خلفاء بنى العباس يرسلون من هذه المدينة حملاتهم لمعاونة أهل الطالقان والديلم •

ولقزوين على ما ذكر اليعقوبي واديان ، يقال لاحدهما الوادي الكبير وللآخر وادي سيرم • وكان بالقرب منها آثار لبيوت النار • ونوه المقدسي بكثرة كرومها • وكان اسم إحدى المدينتين : مدينة موسى والآخرى مدينة مبارك ويقال لها المباركية أيضا • وإنما سميت الأولى بذلك لأن الخليفة موسى الهادي (الأخ الأكبر لهرون الرشيد) قد ابتاعها فنسبت إليه • وكان بناؤه لها في خلافة أبيه المهدي • ولما نزل هرون الرشيد بعد ذلك (وقد خلف الهادي) قزوين في طريقه الى خراسان أنشأ الجامع الجديد وبنى أسوار المدينة • وكان مبارك الزكي من موالى المأمون أو المنتصم قد بنى قلعة المباركية في مبارك آباد ويقال لها أيضا مدينة مبارك •

وطلت قزوين في القرون الوسطى مدينة زاهرة غير ان المتول في مطلع المثة السابعة (الثالثة عشرة) خربوها • وبعد ذلك بمئة سنة أفاض المستوفي وكان من أهل قزوين في الحديث عن قزوين • اقتبس بعضه مما يتناقله الناس فيها • فروى انه كان في موضع قزوين الحديثة مدينة فارسية قديمة بناها الملك شابور يقال لها شاد شابور « فرح شابور » • وقرب خرابها كانت المدينتان الاسلاميتان مدينة

موسى ومبارك اباد (وكان مارك على قول المستوفى من موالى الخليفة الهادى) .
ثم ان هرون الرشيد حوَّط هذه المدن الثلاث بسور حصين ولم يكمل الا فى سنة ٢٥٤ (٨٦٨) اذ أكمله القائد التركى موسى بن بنا فى عهد الخليفة المتز .
ثم ان صدر الدين وزير السلطان السلجوقى ارسلان الثانى حدد بناءه بالآجر فى سنة ٥٧٢ (١١٧٦) واستطرد السنوفى فقال كان من أعمال قزوين ثلاثمائة قرية أجملها فارسيين وسكن اباد وورد اسمها فى سياق وصفه للمسالك . وذكر أيضا اسماء جملة أنهار كانت تسقى ناحية قزوين وهى : خروء ، وكذلك بوه رود وكردان رود ، وكانا يائيان من الطالقان . وتركان رود ويائى من ناحية خرقان (انظر ص ٢٣١) . وعلى ما جاء فى القزوينى ، كانت الانهار الى تسقى بستين المدينة : وادى درج فى الشرق ووادى أترك فى الغرب . وسرد هذا المؤلف أيضا اسماء جملة مدن وقرى كانت فى سهل قزوين وفى البقاع الجبلية المطلة عليها^(٨) .
وكانت دسنوا (أو دسبى) فى أيام بنى أمية دار خرب للنقود . ويطلق هذا الاسم على كورة كبيرة أجلّ قراها يزد اباد . وكانت دستوا فى أيام الامويين مقسومة بين الرى وهمدان . والذى انتهى البناء ان طريق الرى الذاهب من الرى الى اقليم اذربيجان رأسا كان يخترقها عادلا عن قزوين . ولم يبق لاسم دستوا أثر فى الخارطة ، الا ان موضعها ينشئ ان يكون جنوب قزوين ، وقد صارت تعد فى أيام بنى العباس من أعمالها .

والى شمال غربى قزوين ، على قن الجبال الفاصلة بين هذه الكورة وودود يار التى على نهر شاهرود فى طبرستان ، قلاع الاسماعيليه المشهورة (الحشيشية

(٨) ابن حوقل ٢٥٦ و ٢٦٣ و ٢٧١ : الميعرى ٢٧١ : ابن حرداذبه ٥٧ : المدنى ٢٩١ : بائوت ٨٨ ، ٨٩ و ٤٥٤ و ٤٥٥ : القزوينى ٢ : ١٦٠ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٦ و ٢٤٤ و ٢٧١ و ٢٧٥ و ٢٩٠ : المستوفى ١٤٥ و ١٤٦ و ١٦٦ و ٢١٧ .

وكان القزوينى على ما يدل عليه اسمه ، من أهل قزوين (كالمستوفى) . وقد أورد المستوفى فى تاريخه (كزیده) حديثا مستقيما من بلد . ترجمه المسبق بآريه دى مينار (Barbier de Meynard) فى المجلة الآسيوية Journal Asiatique لسنة ١٨٥٧ المجلد الثانى ص ٢٥٧ - ووضع القزوينى (٢ : ٢٩١) مخططا ارضيا تعريفا للمدينة رسم المدينة فيه داخل دوائر من أسوار مشتركة المركز فالدائرة الداخلة مدينة شهرستان كانت تحيط بها المدينة العظمى وحول هذه السائكن وتحف بها المراوح ويخترق نهراها المراوح .

= (الحشاشين) وكانت خفسين قلعة عداً على ما فى المستوفى منها آلموت وكانت كرمى ملكهم ، وميمون دز أمتع حصونهم . ويقال ان معنى الموت « عش العقاب » أو « ما وجدته العقاب »^(٦) بلسان أهل طبرستان . وقيل ان أول من اتخذ له قلعة فى هذه البقاع بعض ملوك الديلم فقد ارسل عقاباً للصيد فبسه فرآه وقع على هذا الموضع فوجده موشاً حصيناً . وكان القزوينى ، وهو ولا مراد ممن يجيد معرفة الموضع ، قد وصف القلعة بقوله انها « على قمة جبل وحولها وهاد لا يمكن نصب المتجنىق عليها ولا الشاب يلغها » . وقلعة الموت على سعة فراسخ من قزوین وقد بنى آخر حصونها الحسن الداعى العلوى الملقب بالداعى الى الحق فى سنة ٢٤٦ (٨٦٠) وفى سنة ٤٨٣ (١٠٩٠) أو ٤٤٦ (١٠٥٤) على ما فى القزوينى - صارت الموت فى حوزة حسن الصباح الملقب بشيخ الجبل ولبت مئة واحدى وسبعين سنة أمتع حصون الاسماعيليه . ثم استولى هولاءو خان المتولى عليها وأمر بتجربدها من آلتها الحرية فى سنة ٦٥٤ (١٢٥٦) . وبعد سقوطها سرعان ما انهارت مقاومة قلاع الحشيشية الواحدة تلو الاخرى فوقمت بيده كلها فجعلها قاعاً صفصفاً . وقد زار كثير من الرحالة ما يظن انه موضعها . وما زالت آثار كثير من قلاع الاسماعيليه الاخرى على ما يقال ظاهرة فى الجبال شمال قزوین^(٧) .

وأبهر وزنجان ، وهما مدينتان يقترن ذكرهما معا فى الغالب ، على الطريق غرب قزوین ، وقد اشتهرتا منذ قديم الزمان . ذكر ابن حوقل فى المثة الرابعة

(٦) فى القزوينى (٢ : ٢٠٠) ان اسمها بلسان الديلم « آله الموت » أى « تعليم الطاب » وفى « تاريخ العراق بين احتلالين لباس المزاوى (١ : ١٥٢ ح ٢) فلا من جامع التواريخ لرشيد الدين ، ان اسم الموت هو تاريخ سكوبهم وظهرهم ، ومروله تساوى ٤٧٧ - (م) .

(٧) القزوينى ٢ : ٢٠٠ : المستوفى ١٤٧ .
أورد المستوفى فى تاريخ كزيده (الفصل الرابع - القسم التاسع - الجزء الثانى) تاريخ الاسماعيليه الى الحشيشية (الحشاشين) فى فارس . ولد ترجم هذا القسم وعلق عليه ديفريدى (Defrémary) فى المجلة الآسيوية لسنة ١٨٤٦ : ١ : ٢٦) وسرد فيها (ص ٤٨) اسماء قلاع الاسماعيليه التى استولى عليها هولاءو وأمر بتعويضها . مير ان مواضع معظمها غير معروفة . وكانت كرد كره ولنسب آخر ما سقط من قلاعهم . ويظهر ان هولاءو لم يخرب الموت تخريباً تاماً ، أو لعلها بيت ثانية بعد ذلك ، اذ ان الضام سليمان الصفوى الخلفا سيجنا على ما ذكره شاردان فى رحلته فى فارس (١٠ : ٢٠) - وفى القرن الماخى زار الكولونيل مونتيث Monieith اطلالها وروسلها فى JRGs لسنة ١٨٢٣ (ص ١٥) .

(العاشرة) ان ابهر مأهولة بالاكراد كثيرة المياه والأشجار ويكثر فيها القمع ولها حصن منيع شيد على دكة + وأشار القزويني الى ان المدينة كلها مشتملة على طواحين تدور على الماء^(١١) . وبها نوع من الكمثرى مدكور بحجم النارنج يقال له الماسي لذنه جدا ما في البلاد شيء مثله . وقال ياقوت : الصبح يسمونها أهر . وذكر المستوفي ان الانابك بهاء الدين حيدر قد جدد بناء القلعة في أيام السلاجقة عرفت بالحيدرية . وكان محيط أسوار المدينة ٥٥٠٠ خطوة . ونهر أبهر بعد ان يسقى نواحها يجري نحو مدينة قزوین ثم يقنى في المفازة . ومدينة زنجان على نحو خمسين ميلا الى شمال غربى أبهر على نهر زنجان وهو يجري غرب سفيدرود . وقال ابن حوقل ان زنجان اكبر من أبهر وانها على طريق اذربيجان . وذكر ياقوت ان الصبح يقولون زنكان . وروى المستوفي ان مؤسسها هو الملك اردشير بابكان وكان اسمها أولا شاهين . وقد خربت زنجان في خلال الفتح المغولى . وطول أسوارها التى بقيت الى زمنه عشرة آلاف خطوة ، وكانت ناحيتها كثيرة الخيرات . بلغ خراجها عشرين ألف دينار . وقال المستوفي ان اللغة السائدة فيها فى مطلع الملة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت ما تزال لغة بهلوية صرفة ، يستشف من خلالها بلا ريب انها لهجة محلية فارسية^(١٢) .

وفى نحو نصف الطريق بين ابهر وزنجان ، وسط السهل العظيم الذى يؤلف منقسم الماء بين الانهار الفاضلة غرب سفيدرود وشرق المفازة الكبرى ، اطلال السلطانية ، المدينة المغولية التى أنشأها ارغون خان واتمها السلطان ألباتو فى سنة ٧٠٤ (١٣٠٥) وجعلها قاعدة الدولة الايلخانية . قال ابو الفداء ان اسمها المنولى كان تنفرلان . وذكر المستوفي ان من أعمالها تسع مدن . ومحيط أسوارها ٣٠٠٠ خطوة . وفى وسط حصنها قبر ألباتو وعليه نقوش منحوتة فى الحجر . وما زالت اطلال هذا القبر المقيب (أو المسجد) قائمة ولكن لا أثر للمدينة اليوم .

(١١) وقد جاء فى ياقوت (١٠٤٠) ان معنى ابهر مركب من « آب » وهو الماء و « هر » وهو الرمح . (م)

(١٢) ابن حوقل ٢٥٨ ر ٢٧١ و ٢٧٤ ؛ المقدسى ٣٧٨ و ٣٩٢ ؛ القزويني ٢ : ١٩١ ؛ ياقوت ١ : ١٠٤ ؛ ٢ : ٥٧٣ ؛ ٥٧٤ و ٩٤٨ ؛ ٤ : ١٠١٧ ؛ المستوفى ١٤٦ و ١٤٧ و ٢١٧ .

على ان المستوفى قال ان السلطانية كانت تشتمل فى أيامه على مبان أفخم مما فى أية مدينة فارسية أخرى ما خلا تبريز . وفى طريق أبهر على خمسة فراسخ شرق السلطانية قرية مُهُود « ويسمىها المغول صاين قلعة » على ما ذكر المستوفى . وما زال هذا الموضع موجودا باسمه الأخير صاين . ويقال له أيضا باتوخان ، وباتوخان حفيد جنكيز خان . وقلعة سرجهان المنبئة فوق قلة الجبل فى نصف الطريق بين صاين قلعة والسلطانية . وكانت تبعد عن الأخيرة خمسة فراسخ . وتتوج قمة جبل وتشرف على السهول الواسعة الممتدة من هناك شرقا الى أبهر وقزوین . ووصف باتوت سرجهان وكانت من كورة طارم بأنها من احصن القلاع وأحكمها وقد رأما . وحين كتب المستوفى كان الخراب قد استولى عليها بسبب الفتح المغولى فنقل سلاحها وحاميتها الى صاين قلعة .

والى غرب السلطانية : سهورود وسجاس ، وهما بليدتان متقاربتان بقينا حتى زمن المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) على شىء من حسن الحال ، أما اليوم فقد آثا الى الخراب . وكتب ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) ان سهورود قد غلب عليها الاكراد وهى كشميرزور فى مساحتها ورفقتها وهى حصينة فى جنوب زنجان فى طريق همدان . أما سجاس أو سجاس فاتها قرب سهورود ووصف المستوفى هاتين البلديتين بأنهما خربتا فى خلال الفتح المغولى فلم تكونا فى أيامه غير قرينتين كبيرتين أهلتين . وكانت الكوردان القريبتان منها يقال لهما جروود وأنجروود (وتعرفان اليوم باسم أجروود وانكوردان) وكانت سجاس على خمسة فراسخ غرب السلطانية . يحف بها نصف مئة قرية يسكنها المغول . وكان فى الجبل المجاور لها قبر ارغون خان فجعل « كروغا » (وهو المعبد الطاهر) على عادة المغول ، وايتت ابنته الجاي خاتون خاتنها لل درايش هناك (١٣) .

وفى الحد الغربى لاقليم الجبال قرب منبع من منابع سفيدروء الآثار المشهورة

(١٣) ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٦٣ : الفريرى ٢ : ٢٦١ ، باتوت ٣ : ٤٠ و ٧٠ و ٢٠٣ : ابو الفداء ٤٠٧ . المستوفى ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٩٦ .
والظاهر ان سجاس وسهورود لا ذكر لهما فى العارضة الجبرم وان كتب المر دولسون H. Rawlinson (JRGS ١٨٤٠ ص ٦٦) ان سجاس كانت فى زمة قرية صغيرة . على لمر ٢٤ ميلا جنوب شرقى زنجان . وقال ان سهورود « قد ضاعت اليوم » .

المسما اليوم «تخت سليمان» وفيها بركة صغيرة ينبس الماء منها ولا يشحّ مهما حل منه . وهذه الآثار قد عدها بعضهم من بقايا مدينة شيز التي أشار إليها البلديون العرب القدماء . وذكرها المستوفى أيضا باسم ستوريق . ووصف ابن خرداذبه في الملة الثالثة (التاسعة) بيت النار في الشيز فقال هو عظيم القدر عند المجوس ويقال له اذرجشنس ، كان اذا ملك منهم الملك زار . من المدائن (طيسفون) ماشيا فيسريح في شهرزور وهي نصف الطريق (وقد مرّ ذكرها في ص ٢٢٥) ثم يتابع سيره الى شيز . فقد ذكرت الاخبار ان في شيز ولد زرادشت . وقال ياقوت ان اسمها الفارسي كان جيس وتسمى أيضا كزن ، وشيز تصحيف عربي لهذا الاسم . واقتبس ياقوت حديثا مستقيضا عن ابن مهلهل الذي كتب في سنة ٣٣١ (٩٤٣) يصف شيز وكان قد زارها باحثا عن معادن الذهب التي في بطن جبالها على ما يقال فقال ان هذه المدينة يحيط بها سور وبها بئير في وسطها لا يدرك قراره واستدارته نحو جريب (ثلث اكر) ، ويخرج منه سبعة أنهار . ومتى ملّ بمانه نراب صار في الوقت حجرا صلبا . . ووصف ابن مهلهل ايضا بيت نار عظيم الشأن في شيز . منه تذكي نيران المجوس من المشرق الى المغرب وانهم كانوا يوقدون فيه منذ سبعة سئة ولا ينقطع الوقود عنه ساعة من الزمان . . ووصف المستوفى مدينة شيز فقال انها اولى مدن ولاية انجروود ساسا المغول ستوريق . ووصف قصرا عظيما فيها بناء الملك كيمخسرو على ما يقال ، كان في صحته بركة أو بحيرة صغيرة لا يدرك قرارها ولا يقل ماؤها وان كان هناك نهر يأخذ منها على الدوام ، فاذا قطع الماء عن هذا النهر لا يفيض ماؤها . وذكر المستوفى ان اباقتان المغولي ابتنى له فيها قصرا اذ كانت تحيط بها مروج نظرة^(١٤) .

وفي الطرف الشمالي الغربي من إقليم الجبال على الطريق من زنجان الى اردبيل مدينة خونج التجارية الجبلية . جاء في ابن حوقل ان هذه المدينة كانت في الملة الرابعة (العاشرة) مشهورة بالخيل الجياد والاضام والبقر ، واورد

(١٤) ابن خرداذبه ١١٩ : ابن الفقيه ٢٨٦ : البرديني ٢ : ٣٦٧ : ياقوت ٢ : ٢٥٣ :

المستوفى ١٤٨ . وقد عد السمرقندي رولنسون (JRGS لسنة ١٨٤٠ ص ٦٥) تخت سليمان از شيز انها كباتا Ecbatana الشمالية لدى الكتبة اليونان .

ياقوت ، وقد زار المدينة ، اسمها بصورة خونا ولكنه قال انها تسمى فى أيامه كاغد
كتان أى « صناع الكاغد » ، « وأهلها يكرهون تسميتها بخونا لقريئة قبيحة تقرر
بهذا الاسم » ، فى معناه الفارسى . والمستوفى وقد ذكر فى مسالكة ان كاغد كتان
على ستة فراسخ جنوب سفيد رود وأربعة عشر فرسخا شمال زنجان فى الطريق
الى اردبيل قال انها قد تخربت فى اثناء الفتح المنولى وانها حين صنف كتابه
صارت كالقريه . وكان يسقى اراضيها فرع من فروع سفيدرود . وكان الكاغد
الفاخر يصنع فيها فى أيامه . وأطلق عليها المنول الذين سكنوها اسم « المنولية » ،
ولم يتسن حتى الآن على ما يظهر تعيين موقع خونج الحقيقى .

وبمحاذاة السفح الجنوبى للجبال التى تفصل اقليم الجبال عن بلاد الديلم
وطبرستان فى الشمال الكور الثلاث : يشكّل درّة والطالقان وطارم . وكثيرا ما
كان يستعمل الاسمان الاخيران بدون تدقيق احدهما فى موضع الآخر . وكانت
كل كورة من هذه الكور تنقسم الى قسمين : أعلى وأسفل . فالأعلى ما كان
فى الجبال فهو بذلك يعد تابعا لاقليم الديلم . وكانت تشكل درّة ، على ما فى
المستوفى ، الى غرب قزوین وجنوب الطالقان وفيها اربعمون قرية كان رعيها قبلا
وقفا على جامع قزوین ، وقد زالت من الخارطة . والطالقان وهى بين سهل
السلطانية وسلسلة الجبال الشمالية ، وقد اختفى اسمها من الخارطة ، كثيرا ما
ذكرها بلدانير العرب القدماء . فقد أشار المقدسى الى انها « كبيرة عامرة نبيلة
ليس فى الكورة مثلها » وقد كان يجب ان تكون حضرة السلطان (أى سلطان
الديلم) وعندي انهم كرهوا ذلك لتطرفها . وأشار القزوینى الى ما فى الطالقان
من زيتون ورمال . وسرد ياقوت أسماء عدد من قراها . وأورد المستوفى ثبوتا
طويلا باسماء هذه القرى . على ان أغلبها اليوم لا يمكن رؤيته فى الخارطة
الحديثة . وكان من رأيه ان معظم الطالقان يعود الى كيلان دون غيرها .

والى شمال زنجان بامتداد أسفل المرتفعات الجبلية أيضا ، كورة طارم .
عرفها البلدانيون العرب بالطارمين ، متى الطارم ، ويريدون بذلك طارم السفلى وطارم
العليا . وطارم العليا تدخل كلها فى بلاد الديلم ، ونهر طارم على ما ذكرنا من
فروع سفيدرود اليسنى وكانت فروعه الكثيرة تسمى هذه الكورة الخصبة . قال

ياقوت وقد كتب الاسم بصورة تارم أو ترم انه ليس فيها مدينة مشهورة • غير ان هذه البلاد اشتهرت فى التاريخ بأسرة وهسودان • وكان ركن الدولة البويهى قد خلع آخر امرائها • وذكر المسنوفى ان فيروزاباد كانت قصبة طارم السفلى • واتدر (أو ايدى) أهم مدينة فى طارم العليا • ويقال لحصنها قلعة تاج • وسرد اسماء خمسة من أعمالها فى كل عمل منها قرى كثيرة •

وذكر المسنوفى فى طارم السفلى قلعة سميران العظيمة وموضعها غير معروف وهى سميران بحسب تهجئة ياقوت لها وقد زار خرائبها • ونقل ياقوت حديثا مستفيضا عن ابن مهلهل الذى رأى سميران فى نحو سنة ٣٣٩ (٩٤٣) وكانت يومذاك من أمم فلاح ملوك الديلم فقال ان فيها • الفين وثمانمئة ونيفا وخمسين دارا كبارا وصغارا • • وكان فخر الدولة البويهى قد ملك هذه القلعة فى سنة ٣٧٩ (٩٨٩) وخلع آخر أمراء أسرة وهسودان • وكان طفلا قد تزوج هذا الزعيم البويهى أمه • وفى نحو هذا الزمن وصف المقدسى هذه القلعة وقد سماها باسم سميروم بانها من أعمال سلارود وهى قلعة عليها • سباع ذهب وشمس وقر • ويوتهم لبن • وفى أواسط القرن التالى كان الرحالة الفارسى ناصر خسرو قد زار سميران فى طريقه الى مكة سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) وقال انها قصبة ولاية طارم فى بلاد الديلم وهى على ثلاثة فراسخ غرب ملتقى شاهرود بسفيدرود فى طريق سراو باذريجان • وفى حافة المدينة قلعة عالية مشيدة على صخر صلد محاطة بثلاثة أسوار يقيم بها الف رجل ويحمل الماء الى القلعة بئنا • وكان ياقوت قد زار سميران فى أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) فوجدها مخربة • خربها شيخ الحشيشية صاحب الموت • • وبها آثار حصنة تدل على انها كانت من أمهات القلاع • • وهى على نهر كبير يأتى من جبال طارم • ويظهر ان موضعها لم يمتد أحد من الرحالين المحدثين • وذكر ياقوت أيضا قلعة أخرى فى هذه الكورة يقال لها قلاط كانت فى جبال تارم من جبال الديلم وهى بين قزوين وخلصال على قلة جبل ولها رضى فى السهل فيه سوق وتحتها نهر عليه قطرة حجر كثيرة العقود^(١) وذكر ياقوت ان هذه القلعة كانت من قلاع شيخ الحشيشية صاحب

(١) عبارة ياقوت فى صفه القنطرة • • عليه قطرة الواح ترين وتوضع • • (م) •

الموت وهي مثل سميران لا يعرف موضعها^(١٦) .

وحدثنا المقدسي بما قلّ ودلّ عن تجارات وغلّات جملة مدن في إقليم الجبال، فقال : يحمل من الرى أصناف من النسيج منها صنف يقال له المتّيرات • والقطن وينزل فيها ويصنع بالليل • وكانت برود الرى المقلّمة مشهورة • وتصنع فيها المسالّ • والامشاط والقصاع • وكانت الامشاط والقصاع على ما ذكر القزويني تعمل من خشب صلب مخروط يعرف بالحلّنج وكان يؤتى به من غابات طبرستان • وكانت الرى مشهورة أيضا بطيخها وخوخها ويجلب منها طين يفسل به الرأس، في غاية النومة •

ومن قزوین : تحمل الأكسية وجوارب الادم للاسفار والتقى والتنعاع • ومن قم : الكراسى واللجم والركب وبز وزعفران كثير • ومن قاشان : يحمل القمام (يابس البسر) والطلخون (نبات) • وتشتهر اصفهان بحلّها ونمسكودها وأقفالها • ومن همدان ونواحها تحمل الاجبان والزعفران وجلود الثعالب والسمور^(١٧) ، والقرب منها معدن القصدير • وكان صنع في المدينة البرز والخفاف • وأخيرا يحمل من الدينور حين مشهور^(١٨) •

وأهم ما كان يخترق إقليم الجبال من طرق : طريق القوافل الكبير المعروف بطريق خراسان ، وهو الذي مرّ وصفه في الفصل التمهيدى • بدأ هذا الطريق من بغداد ويصل الى ما وراء النهر وأقاصى الشرق • فكان يدخل إقليم الجبال عند حلوان ويقطعه من أوله الى آخره ، فيمر بقرمسين (أو كرمانشاه) أولا ، ومنها الى همدان ثم الى ساوه ثم يتجه شمالا الى الرى ثم يشرّق من إقليم الجبال الى قومس ومنها الى خراسان • واكمل وصف قديم انتهى الينا لطريق خراسان ، وصف ابن رسته في ختام المثة الثالثة (مطلع العاشرة) ، على ما يتّنا • فقد وصفه

(١٦) ابن حوقل ٢٥٣ : المقدسي ٣٦٠ باعوت ١ : ٦٣ و ٨١١ : ٢ : ٤٩٩ و ٥٠٠ : ٣ : ١٤٨ و ٤٩٢ و ٥٢٣ : ٤ : ١٥٦ : القزويني ٢ - ٢٦٨ : المستوفي ١٤٩ و ١٥٠ و ١٦٨ و ٢١٧ : جهان سا ٢٩٧ : ناسر خسرو ٥ [ص ٤ - ٥ من الترجمة العربية] -

(١٧) السمور - حيران يرى لونه أحمر مائل الى السواد ومنه ما يكون أسود لاسما واشهر يشهد من جلده فراء كثيفة - ويرى في العراق بالسندباد ويميش فيه • (م) •
(١٨) المقدسي ٣٩٥ و ٢٩٦ : القزويني ٢ : ٢٥٠ •

مرحلة مرحلة ذاكرة الانهار والقناطر التي يمر بها مبنا نزوله وصعوده والثقافة ودوراته ، مسما ما يمر به من قرى ومدن . وانتهى بنا الى ذلك اربعة اوصاف قديمة اخرى لهذا الطريق آخرها وصف المقدسي وفيه أورد المسافات بالمراحل . وبعد الفتح المتولى وقيام الدولة الأيلخانية فى فارس اضحت السلطانية عاصمة هذه الدولة ومن ثمة سارت مركزا لهذه الشبكة من الطرق . وعليه فان المستوفى فى وصفه المسالك بدلا من ان يبدأ من بغداد ويشرق منها وصف الطرق مبتدئا بها من السلطانية باتجاهها الى بغداد . فاتبع بذلك اتجاهها معاكسا للاول . على ان المراحل من حلوان الى همذان (وهى مكوسة بالنسبة الى الطريق القديم) شئ واحد فى الواقع فى كلا الوصفين . ولكن الطريق بدلا من ان يذهب من همذان الى الرى بطريق ساوه ، جمله المغول يتجه شمالا الى السلطانية مختاراً حاجتي دركزين وخرقان فلا يمر بمدينة كبيرة ، وليس ما ذكره المستوفى من مراحل هذا الطريق الا اسماء قرى لا يعرف شئ عن جميعها^(١٩) .

ومن قرب كرمانشاه عند جبل سن سميرة (أنظر الصفحة ٢٢٣) كان الطريق الذاهب الى مراغة فى اذربيجان والى الشمال يأخذ من طريق خراسان فيتجه أولا الى الدينور ثم الى سير (لعلها تطابق سحنة الحالية . أنظر ص ٢٢٣) فالى حدود اقليم الجبال . وهذا الطريق الذى نصف الآن تتمتع المارة باذربيجان ، قد وصفه قدامة وابن خردادبه ، ويرى وصف اجزائه الاولى فى ابن حوقل . فمن كرمانشاه (قريسين) ومن كنكوار ومن همذان تتفرع طرق من يمينه تذهب نحو الجنوب الشرقى الى نهاوند ومنها ومن همذان كان الطريق يذهب الى كرج ابى دلف مارا ببروجرد ومن كرج ابى دلف الى اصفهان . وأورد المستوفى مراحل الطريق من كنكوار الى نهاوند . ثم يتفرع الطريق عندها باتجاه اصفهان بينما ذكر المقدسي ان الطريق من كرج يتجه الى الرى مارا بآوه ورامين^(٢٠) .

(١٩) ابن رسته ١٦٥ - ١٦٦ : ابن خردادبه ١٦ - ٢٢ : قدامة ١٩٨ - ٢٠٠ : ابن حوقل ٢٥٨ - ٢٥٩ : المقدسي ٤٠٠ - ٤٠٢ : السنولى ١٩٢ .
(٢٠) ابن خردادبه ١١٩ و ١٢٠ : قدامة ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢١٢ : ابن حوقل ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ : المقدسي ٤٠١ و ٤٠٢ : السنولى ١٩٥

والطريق الحالي من أصفهان الى طهران (مارا بالرى) يأخذ فى الصعود فيمر بقاشان وقم • اما طريق القوافل فى أوائل المصور الوسطى فكان اتجأه الى الشرق أكثر والى حافة الحافة أقرب • وكان يتفرع من يساره نحو الغرب فروع تذهب الى قاشان وقم • على أن المقدس فى ختام المئة الرابعة (المباشرة) قال ان هذا الطريق كان يذهب رأسا الى قاشان وقم ، أى على ما هو عليه اليوم • والذي فى المستوفى ان هذا الطريق بعد أن يجتاز بهاتين المدينتين ينطفئ يسرة فيمر بأوه فساوه ثم الى السلطانية • وعند مرحلة سومغان يلتقى به الطريق الماد من هذه العاصمة الجديدة الى الرى ، على ما تصفه فى الفقرة التالية (٢١) •

وذكر ابن حوقل وغيره عدد مراحل الطريق فيما بين المدن التى فى غرب الرى حتى اذربيجان ، وكذلك مراحل الطريق من زنجان شمالا الى اردبيل • وقد أفاض المستوفى فى بيان مراحل هذا الطريق • فبين السلطانية والرى يمر الطريق بأهر الى فارسجين تاركا قزوين فى شماله • ومنها يبلغ مرحلة يقال لها سومغان (قراءة هذا الاسم غير ثابتة) وفيها ينقسم الطريق • فكان طريق خراسان يستقبل الرى مارا بمقام عبد العظيم ومنها الى ورامين • اما الفرع الآخر وهو الايمن فيجبه جنوبا • فيذهب طريق اصفهان أولا الى سكراباد فساوه على ما مر وصفه (٢٢) •

ومن الطرق التى كانت تجتاز اذربيجان ، فى اوائل عهد الخلافة على ما سبقت الاشارة اليه ، الطريق الشمالى المتفرع من طريق خراسان عند همذان الذاهب الى سبهر ومنها الى بركة فى اذربيجان ، وهى على سبيل جنوب بحيرة ارمية حيث تشعب هناك (٢٣) • فالى اليمين يمر الطريق بمراغة فى شرق البحيرة الى تبريز ثم يشرق الى اردبيل مارا بسراو • والفرع الايسر المتفرع عند بركة يلازم غرب البحيرة فيمر بمدينة ارمية ثم الى خوى ومنها يمر بنخجوان (شوى) فيصل ديل قاعدة ارمينية • ومن تبريز كان يأخذ طريق فيمر بمرند الى خوى ومنها يمر بارجيش الى خللاط وهى فى الطرف الغربى لبحيرة وان • ولم يصف

(٢١) ابن رسته ١٦٠ و ١٦١ : ابن خرداذبه ٥٨ و ٥٩ : ابن حوقل ٢٨٩ و ٢٩٠ : المقدسى

١٩٩ •

(٢٢) ابن حوقل ٢٥٢ و ٢٥٨ : المقدسى ٣٨٣ : المستوفى ١٩٦ و ١٩٨ •

(٢٣) انظر الحاشية ٣ ص (١١٤) •

هذا القسم الاخير من الطريق غير الاصطخرى والمقدسى (٢٤) .

ومن اردبيل يجتاز الطريق كورة موغان فى الشمال فيبلغ ورنان . وهناك يمر نهر ارس ومنها الى برذعة مارا باليلقان . ومن برذعة يتجه طريق يمر بشمكور فيتجه نحو الشمال الغربى ويصل الى نهر الكر ووجهته تفليس بجورجيا . أما فى اليمين فيأخذ طريق آخر يمر ببرزنج عند معبر نهر الكر وينتهى الى شماخى قاعدة ولاية شروان ومنها الى باب الابواب ويقال لها دربند . وذكر المقدسى وغيره طريقا من اردبيل قاعدة ارمينة الى برذعة ولكن ليس من السير التحقق من طوله (٢٥) .

وفى أبام المغول ، كان نظام الطرق القاطمة اذربيجان الى الحدود الشمالية الغربية على ما وصفه المستوفى فى الملة الثامنة (الراسمة عشرة) ، يبدأ من السلطانية العاصمة الجديدة ، ويتفرع عند زنجان . فالفرع الايمن وهو الشمالى كان يمر بالخونج أو كاغد كنان ويمر سفيد رود ثم يمر بمدينة خلخال قاصدا اردبيل ومنها الى باجروان قاعدة موغان . ومن زنجان يمر الطريق سفيد رود على قنطرة حجر (يقال لها قنطرة سيد رود) وبعض هذا الطريق ذكره أيضا الاصطخرى وابن حوقل مع ذكر طريق من المانج . ويتأصلة وصف المستوفى للطريق من باجروان نرى انه أشار أولا الى الطريق الفرعى فى الشرق الى محمود آباد . ثم ذكر مراحل الجادة الكبرى الداهية من باجروان الى تفليس مادة برذعة وشمكور .

وان عدنا الى موضع تفرع الطريق فى زنجان ، رأينا ان الفرع الايسر ، وقد وصفه المستوفى ، يذهب الى المانج فى اذربيجان ومنها الى تبريز مارا بأوجان متابعا الخط الذى وصفه بلدانيو العرب القدماء (باتجاه معاكس) . وذكر المستوفى أيضا الطريق من تبريز الى ارجيش على بحيرة وان ، ومنها يمدل عن الطريق الايسر المحاذى لشاطئ البحيرة الى خلاط . وذكر المسافات فى الطريق المتجه نحو الشمال الغربى الى ملاسجرد . ثم يمر بارزن الروم (اضروم) معجنازا ارتزنجان الى

(٢٤) ابن خردادبه ١١٩ - ١٢١ ؛ فدامة ٢١٢ و ٢١٣ ؛ الاصطخرى ١٦٤ ؛ ابن حوقل ٢٥٢ -
٢٥٤ ؛ المقدسى ٣٨٢ و ٣٨٣ -
(٢٥) ابن خردادبه ١٢١ و ١٢٢ ؛ فدامة ٢١٣ ؛ الاصطخرى ١٦٢ و ١٦٣ ؛ ابن حوقل ٢٥١ ؛
المقدسى ٣١٨ .

~ ٢٦٦ ~

سيواس قاعدة إقليم الروم السلجوقي • وأخيرا ذكر المستوفى الطريق من تبريز
باتجاه الشمال الشرقي الى باجروان وهو يمر بأهر ويجتاز دربين من دروب
الجل • وروى المستوفى ان الوزير علي شاه بنى حديثا على هذا الطريق
جملة ربط (٢٦) •

الفصل السادس عشر

خُوزِسْتَان

نهر دجيل اى كارون - خوزستان والاهواز - نستر او شوستر - الشاذوان العظيم - نهر
السرلان - عسكر مكرم - چندهيسايود - دزلول - السوس ولور كرخه - بصنا
ومتوكت - قزوين ودور الراسبي - الخويزة ونهر البري - المورق وكورة
سرق - حصن مهدي - ليفس دجيل - دامهرمز وكورة
الزط - بلاد اللر الكبرى - ايلخ او مال ابر -
سوسن - لودكان - تجارات خوزستان
وغلاته - مسلكه *

يتألف اقليم خوزستان من الارض الرسوبية التي كونها نهر كارون
وروافده الكثيرة * وقد عرف العرب نهر كارون باسم دجيل الاهواز^(١) * وانما
سموه بدجيل (تصغير دجلة) الاهواز لانه يمر بمدينة الاهواز فميزوه بذلك عن
دجيل دجلة في أعلى بغداد * ومعنى خوزستان « بلاد الخوز » ويكتب هذا الاسم
أبضا بصورة حوز أو هوز * وجمع الهوز بالعربية الاهواز * وكانت الاهواز
قاعدة الاقليم واسمها مختصر من « سوق الاهواز » * وتسمية هذا الاقليم
بخوزستان اليوم قد بطلت ، وصارت هذه الولاية التابعة لبلاد فارس تسمى عربستان
« أى اقليم العرب »^(٢) * وكذلك تغير اسم نهر دجيل وصار يعرف الآن بنهر

(١) انظر عن خوزستان الخارطة ٢ ص ٤٠ *

(٢) عاد العرس ال تسميتها بخوزستان منذ أيام البهلولي وشاه شاه (م) *

كارون وهو اسم مصحف على ما يقال من كوه رنك « الجبل الملوّن » وهو الجبل الذى ينحدر منه هذا النهر فالاسم « كارون » على ما يظهر لم يعرفه بلدابو القرون الوسطى من عرب و فرس .

وأعلى نهر دجيل ، أى كارون ، تنخلل السحاب الجبلية فى بلاد اللر الكبرى . اما روافده فتتحد من بلاد اللر الصغرى و جبال كردستان . ومخرج دجيل فى كوه زرد « الجبل الأصفر » (أنظر ص ٢٤٢) . ومن الجانب الثانى لهذه الجبال ينحدر نهر زندروود الناهب الى اصفهان . وبعد ان يشق مجرى دجيل المترج وكثير من روافده الصغيرة سلسلة الجبال يصل الى مدينة مُستَر وهي التى عدّها المسنوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قاعدة إقليم خوزستان . ولذلك سمي هذا النهر بدجيل تستر . ويخرج من النهر عند تستر فرع يسود ثابتة اليه عند عسكر مكرم ومنها يمر بالاهاواز حيث يلتقى هو ونهر جنديسابور أى نهر دزفول . ويأخذ نهر دزفول مائه من يروجرد فى اللر الصغرى (أنظر ص ٢٣٥) . وكانت أعاليه تعرف باسم قرعة (أو قوعة) وبعد ان يلتقى به نهر آخر يقال له مُكزكى يجتاز النهر مدينة دزفول فيلتقى بدجيل على ما مرّ بنا . ولدجيل رافد كبير آخر أكثر اتجاها الى الغرب هو نهر السوس ويعرف أيضا بنهر كرخه . ومخرجه فى جبال اللر الصغرى . وكان يلتقى به نهر مُكوكُتُو ونهر مُخرّ ماباد . وبعد أن تجرى هذه الانهار المتحدة مسافة طويلة وتجاوز مدينة السوس ثابى الى أراضي الحويزة فى غرب الاهواز ثم تلتقى بدجيل . وعلى شىء يسير اسفل من ملتقى هذه الروافد ، يصير نهر دجيل فيضا عظيما يحمل مياه انهار خوزستان مجتمعة ويجرى شرق فيض دجلة (على ما مر وصفه فى الفصل الثانى) الى ان يصب فى خليج فارس (٣) .

وكانت الاهواز ، وهي قاعدة الاقليم ، تعرف قديما باسم هرمز شهر (وجاءت فى المخطوطات بصورة هرمز أوثير وهرمز اردشير) وهو اسمها الفارسى . ووصف المقدسى هذه المدينة بأنها عانت كثيرا من اذى الزنج ابان ثورتهم فى المئة

(٣) ابن سريون ٢٢ : ابن رسته ٩١ و ٩١ : ياقوت ٢ : ٤٩٦ و ٥٥٥ : المستوفى ٢٠٤ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ : جهان نما ٢٨٦ -

الثالثة (التاسعة) واتخذها زعيمهم وقتاً ما مقراً له . وفي السنة التالية أعاد الأمير عضد الدولة البويهى بناء قسم منها . وأشار المقدسى الى ان البضائع والأموال كانت تحمل الى الأهواز من الأطراف فكانت « خزانة البصرة » .

وكانت الأهواز حين بنيت ، جانبيين : الشرقى وهو الكبير ، وفيه الجامع ومعظم الأسواق ، وبنه وبين جزيرة فى نهر دجيل قنطرة . وفي الجزيرة جانب المدينة الغربى . والقنطرة من الأجر - ويقال لها قنطرة هندوان كان عضد الدولة يديرها وبناها وكان عليها مسجد يشرف على النهر . وعلى هذا النهر دوايب عدة الجزيرة الاقصى وهو حائنها الغربى . وعلى شىء يسير أسفل الأهواز ، شاذروان عظيم قد بني من الصخر ببحر الماء عنده . والشاذروان يرد الماء ويفرقه ثلاثة أنهار تمتد الى ضياعهم وتسقى مزارعهم التى فى يسار النهر فوق الشاذروان . وفي الشاذروان أبواب تنفتح اذا كثر الماء لولائها لتسرق الأهواز . وهواء الأهواز على ما فى المقدسى متن ذميم . وفي النهار حر السوم وفي الليل بق وبرايث كالذئاب ، على حد قوله . وذكر المقدسى انك تسمع للماء المتحدر من الشاذروان صوتاً يمنع من النوم أكثر السنة . وفي المدينة عفارب وحيات وماء حميم وثراب سخ وقيقت أهلها خبز الرز وهو عسر الهضم^(٤) .

وعلى تقيض سمة الأهواز السيئة ، كانت شهرة قاعدة خوزستان الثانية التى سماها العرب تستر والفرس شوستر أو شوشتر . وكانت هذه المدينة على ستين ميلاً شمال الأهواز بخط مستقيم . وهى على ضفء هذه المسافة بطريق الماء لكثرة منرجات دجيل . وقد ذكر المقدسى ان بساتين الأترج والمنب والتخل كانت تحف بمدينة تستر . وعلى ما روى ، ليس بالأقليم أطيب ولا أحسن ولا أجمل من هذه المدينة . والبحر عندهم شديد ، وكانت أسواقها عامرة . معدن كل حافق فى عمل الدياج والقطن ، ودياجها مشهور فى كل مكان . وكان الجامع وسط

(٤) الاستبصرى ٨٨ ؛ ابن حوقل ١٧١ ؛ المقدسى ٤٠٦ و ٤١٠ ؛ ياقوت ١ ؛ ٤١٠ - ٤١٣ ؛
٤ : ١٦٦ ؛ المستوفى ١٦٦ .

الاسواق في البرّازين ، وعند الجسر أسفل المدينة موضع نزهة القسّارون .
وفي سنة ٢٦٠ للميلاد وقع فاليريان Valerian قيصر الروم أسيراً بيد الملك شابور (سابور الاول) ثاني ملوك الدولة الساسانية . وفي السنوات السبع من اسره اشتغل على ما ذكر المؤرخون الفرس ، في بناء الشاذروان العظيم الذي يقطع دجيل تحت تستر . وكان العرب يمدّون هذا الشاذروان من عجائب الابنية وما زالت آثاره باقية حتى اليوم : فلقد رصّ قاع النهر بالحجارة ورسف كله في غرب تستر حتى تراجع الماء فيه وارتفع الى المدينة وانساب ماؤه في قناة باتجاه الشرق كانت تعيد الماء الى النهر أسفل المدينة بأميل يمد ان تسقى تلك النواحي . وذكرت المراجع القديمة ان شاذروان تستر كان طوله نحواً من ميل . وعلى ما جاء في القديس كان عليه جسر يعبره الطريق الضارب غرباً من تستر الى العراق . ويعلو النهر قنطرة عتيقة ذات عقود صغيرة يربو طولها على ربع ميل وكانت فوق الشاذروان ، ومنها يجر الطريق . وليس هناك ما يدل على وجود هذه القنطرة في أوائل القرون الوسطى . ووصف المستوفي في المثة الثامنة (الراية عشرة) مدينة شوستر فقال : لها اربعة أبواب وفيها قلعة حصينة . وسمى معاصره ابن بطوطة نهر دجيل (أي كارون) النهر الازرق . وذكر جسرهما فقال انه « كجسر بغداد والحلة » كان على النهر في غرب المدينة عند باب دسبول^(٥) . وتبسّط في ذكر التربة المختلفة فيها وكانت المدينة حين زارها كثيرة الخيرات^(٦) .

والشاذروان الكبير في تستر قد بني على ما بينا ، ليرفع ماء النهر الى المدينة وليتسنى لآلئه الدخول في قناة تأخذ من دجيل فوق المدينة فيسقى تاحيتها الشرقية . ويقال لهذه القناة اليوم آب كركر . وكانت تعرف في القرون الوسطى باسم ألكسّر^(٧) أو المشرقان . وعلى رواية ابن مهلهل - وهو رحالة من أهل المثة

(٥) سيذكر المؤلف لها تسمية أخرى بصورة دكرول (م) .

(٦) الاسطخري ٨٩ و ٩٢ : ابن حوقل ١٧٢ و ١٧٤ و ١٧٥ : القديس ٤٠٥ و ٤٠٩ : نافوت

١ : ٨٤٧ : المستوفي ١٦٨ : ابن بطوطة ٢ : ٢٤ .

وعد دوى الطبرى (١ : ٨٢٧) قصة فاليريان وبناء سابور الاول للشاذروان . ودقق في ذكر اسم قيصر الروم هذا بصورة الريانوس (وهو قريب جداً من اسمه الروماني) . رسر المسعودي اخبار هذه الحوادث في أيام سابور الثاني خطأ (٢ : ١٨٤) .

الرابعة (العاشرة) نقل عنه ياقوت - ان ماء المشرقان أبيض وماء نهر دجيل نفسه أحمر . وكان يجتمع ثمانية بنهر دجيل (وما كان من هذا النهر اسفل شوستر يسمى اليوم الشطيط) نهر المشرقان على نحو ٢٥ ميلا جنوب شوستر عند موضع يقرب من اطلال بندقي . وتشير هذه الاطلال الى موضع مدينة يقال لها عسكر مكرم وقد كانت في القرون الوسطى اجل مدينة على المشرقان . وكان هذا النهر يشقها ويستقي اراضيها . وكان يكثر فيها تصب السكر ، وهو أجود ما يزرع منه في خوزستان كلها على ما يقال .

وفي الصف الاول من الملة التاسعة (الخامسة عشرة) أشار حافظ ابرو وعلي اليزدي ، وقد كتب بعد زمن يمور ، الى هذه الانهار بالاسماء الاتية : فضلة مياه نهر دجيل نفسه المتسابة الى الشرق فوق شوستر (أي مياه المشرقان أو آب كركر) كان يقال لها حينذاك دودانكه أي السدسان «مثنى السدس» بينما كانت معظم مياه دجيل الجارية فوق الشاذروان غربي المدينة تسمى جهاز دانكه أي « أربعة أسداس » . اما اليوم فيتفرع من دجيل نهر يتجه صوب الجنوب الشرقي يقال له ميثو يجري في سرب منقور في الصحور التي تقوم فوقها قلعة شوستر . وكان يسقى الاراضي العالية التي في جنوب المدينة . وهذا النهر هو الذي ذكره المستوفي باسم نهر دشتاباد . وأشار اليه حافظ ابرو بقوله ان جهاز دانكه كان يتشطر قرب المدينة شطرين احدهما كان يتحد ثمانية اسفلها بدودانكه (أو المشرقان) . وعلى ما يقال ان اول من حفر نهر المشرقان اردشير بابكان مؤسس الدولة الساسانية . وذكر المستوفي مدينة المشرقان فقال انها تقوم على ضفة النهر . وجنوب هذه المدينة ، على ما بينا ، في نحو نصف المسافة بين ستر والاھواز ، يعود نهر المشرقان فيصب في دجيل قرب مدينة عسكر مكرم .

وكانت كورة المشرقان مشهورة بصنف فاخر من التمور ويقصب السكر الذي توهنا به .

واما عسكر مكرم فقد سميت بذلك لأن مكرما ، وهو قائد عربي كان الحجاج عامل بني أمية المشهور على العراق قد بعثه الى خوزستان لاختاد فتة تشبت هناك ،

قد عسكر قرب اطلال مدينة فارسية يقال لها رسم كوادء وصحف العرب هذا الاسم وقالوا رستقبادء فمرت بسكر مكرم . ونشأت فى موضع المسكر العربى مدينة جديدة بهذا الاسم . وقد زال اسم عسكر مكرم من الخارطة ولكن موضعها تشير اليه الخرائب المعروفة باسم بندقيير ائى (سد القير) حيث يلتقى آب كركر (المسرقان) بنهر كارون . وفى المثة الرابعة (العاشرة) كانت عسكر مكرم مدينة ذات جاتين يشقها نهر المسرقان أعرهما الجانب الغربى ، وبين الجانبين جسران من سفن . والمدينة بهية الاسواق كثيرة الحضر وأسواقها وجاسها فى الجانب الغربى . ومن عيوب عسكر مكرم عقارب سامة لا يسلم من لسعها أحد . وعلى ما فى المستوفى كان يقال للمدينة الفارسية القديمة برج شابور . وإنما سميت بذلك لان الملك شابور الثانى جدد عمارتها ووسعها . وذكر المستوفى انها كانت تسمى فى أيامه لشكر ومعنى ذلك بالفارسية « العسكر » وكانت حين كسب فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) اصبح مدينة فى خوزستان كلها .

ونهر المسرقان ، على ما جاء فى ابن سراييون وغيره من المصنفين الاولين فى المثة الرابعة (العاشرة) ، لا يرجع الى دجيل فيصب فيه عند عسكر مكرم بل يواصل جريه وحده بموازة نهر دجيل فيتهى آخره الى الفيض . وقد وصف ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) ركوبه نهر المسرقان وقت نزول الماء فيه من عسكر مكرم الى الاهواز وقال « سرنا فى الماء ستة فراسخ ثم خرجنا وسرنا فى وسط النهر وكان الباى من هذا النهر (أربعة فراسخ) طريقا يابسا الى الاهواز » . ولا يمكن الآن تعقب معالم القسم الأسفل من مجرى المسرقان القديم لأن مضى الف من السنين على هذه الارض الرسوبية قد غير وجه الارض كل التغيير . وأسفل من الاهواز كان يبدأ فى المثة الثالثة (التاسعة) القسم العريض الاخير من دجيل المعروف بنهر السدرة وبعد ان يستقبل كثيرا من الروافد يتهى الى حصن مهدى قرب رأس فيض كارون^(٧) .

(٧) ابن سراييون ٢٢ : الاصلطرى ٩٠ و ٩٢ : ابن حوقل ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٥ : الخميسى ٤٠٩ و ٤١١ : عل الوردى ٥٨٨ و ٥٩١ و ٥٩٩ : حافظ ابرو ١٨٢ : المستوفى ١٦٩ و ١٧٠ : ياقوت ١ : ٤١١ و ٤١٢ : ٢ : ٦٧٦ : حيزة الاصلطهائى ٤٧ .

وعلى ثمانية فراسخ شمال غربي ستر ، في الطريق الى دزفول ، الاطلال
التي يقال لها اليوم شاه آباد . وهي تبين موضع مدينة جند يسابور أو جند يسابور .
وقد كانت جند يسابور في أيام الساسانيين قاعدة خوزستان . وبقيت حتى أيام الخليفة
المعصور مشهورة بمدرستها الطبية العظيمة التي أسسها الطبيب النصراني بختيشوع
ومن بعده ابنائه وأحفاده وكانوا من ذوى الخطوة لدى غير واحد من خلفاء بني
العباس . وكان يكثر في نواحيها قصب السكر ويحلل الى خراسان وإاقصى
الشرق . على ان المقدسي ذكر في المثة الرابعة (العاشرة) ان جند يسابور قد
احتلت وغلب عليها الاكراد . . . ولهم طُرُزٌ كبير ومزارع الارزاز . . وفي المدينة
قبر يعقوب بن الليث الصفار . وكان قد اتخذ هذه المدينة قاعدة له ومات فيها
سنة ٢٩٥ (٨٧٨) . وقال المستوفي في المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ان جندي
سابور آهلة ، فيها قصب السكر . اما اليوم فليس منها الا آثار .

ودزفول أي : قطرة دز ، أو : قطرة القلعة ، على نهر دز جنوب
جند يسابور . وانما سميت بذلك لانها عند قطرة مشهورة يقال ان سابور الثاني
بناها . وقد سماها الاصطخرى قطرة اندامش ، وما زالت آثارها شاخصة . وكان
يقال للمدينة أيضا في المثة الرابعة (العاشرة) قصر روناش . على ان المقدسي أشار
اليها أحيانا باسم مدينة القنطرة فقط . ولهذه المدينة وقنطرتها المشهورة اسماء
أخرى . فابن سرايون سماها قطرة الروم . واسم دز أطلقه على نهر
جند يسابور . اما ابن رسته فذكرها باسم قطرة الروذ . أي قطرة النهر . .
وابن خردادبه باسم قطرة الزاب ، فان الزاب اسم نهر دز على رأيه . ووصف المستوفي
في المثة الثامنة (الرابعة عشرة) القنطرة فقال انها ٤٢ عقدا وطولها ٣٢٠ خطوة
وعرض الطريق الذي فوقها ١٥ خطوة . وكانت تسمى على قوله قنطرة انديشك
(أو اندامش) .

وكانت مدينة دزفول على جانبي النهر وفوق جانبها الشرقي قناة متقوية
في الصخر عليها ناهور عظيم يرفع الماء الى علو خمسين ذراعا فيسقى بيوت المدينة .
وحول دزفول مراتع مشهورة يكثر فيها النرجس . وذكر علي اليزدي هذا

النهر باسم « زال » ، ووصف القنطرة في دزفول (وقد كتب الاسم بصورة دزبل على الطريقة الفارسية) بأنها ذات ٢٨ عقدا كبيرا و ٢٧ عقدا صغيرا تنحدر العقود الكبار ، فكلها ٥٥ عقدا . وإن رجعا الى الخارطة الحديثة وجدنا ان نهر دزبل اليوم يلتقي بكارون بازاء بندقيير (عسكر مكرم) . الا انه كان قدما يصب في دجل اسفل من ذلك بقليل . ولعل مجراه الاعلى كان أقرب الى جند يسابور مما هو عليه الآن . وكان عند ملتقاء دزجيل في القرون الوسطى ، ولعل ذلك في شمال الاهواز ، كورتان خصبان فيها مدن كبيرة يقال لهما مناذر الكبرى ومناذر الصغرى . وذكر ابن حوقل في المثة الرابعة (الماشرة) ان هاتين الكورتين « عامرتان بالنخيل والزروع »^(٨) .

والارض التي في شمال دزفول وتسمر وشرقهما كانت تعرف في أوائل القرون الوسطى بصحراء اللر . وأهلها من قبائل اللر . وقد هاجرت منها بعد هذا العهد الى الكورتين الجبلتين : اللر الصغرى واللر الكبرى . وهما من اقليم الجبال على ما يتنا في الفصل الرابع عشر . وجن كتب ابن حوقل في المثة الرابعة (الماشرة) كان اللر قد بدأوا بهجرتهم فقد ذكر هذا المصنف ان الغالب على هذه الانحاء الاكراد . وقال ان بلد اللر « خصب عليه هواء الجبال »^(٩) .

والى جنوب غربى دزفول اطلال السوس وهى سوسة القديمة قرب نهر كرخة . وقد كانت في القرون الوسطى مدينة آهلة وقصبة كورة يتبعها مدن كثيرة . ويكثر فيها القنز والتاريخ وقصب السكر . وكان فيها قلعة محكمة قديمة وبها أسواق بهية وجامع سوي على أساطين مدورة . ويروى ان قبر النبي دانيال قد بني في عقيق نهر كرخة المار في الجانب الايمن من مدينة السوس . وعلى

(٨) ابن رسته ٩٠ : ابن خرداذبه ١٧٦ : ابن سراجيون ٢٢ : الاسطخرى ٩٣ و ٩٥ و ١٩٧ : ابن حوقل ١٧٦ و ١٧٧ و ٢٥٩ : المقدسى ٢٨٤ و ٤٠٥ و ٤٠٨ : اليعقوبى ٣٦١ : ياقوت ٢ : ١٢٠ : ٤ : المسيرى ١٦٦ : على اليزدى ١ : ٥٨٨ و ٥٩١ .

(٩) اما الانبياء المعروفون باسم مغتصبينج فكانوا نصارى في خدمة الخلفاء المباسيين منذ أيام المنصور حتى هرون الرشيد ، فقد كانوا أطباء دار الخلافة - راجع عنهم ابن امى اسبيبة ١ : ١٢٥ - ١٤٣ و ٢٠٢ طبعه ١٠٠ على .

(٩) الاسطخرى ٨٨ و ٩٤ : ابن حوقل ١٧١ و ١٧٦ : المقدسى ٤٠٩ .

حافة النهر فى أقرب موضع من القبر المزعوم ، مسجد حسن يشير الى مكان هذا القبر . ووصف المستوفى هذه المدينة فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) فقال انها موضع زاهر وذكر قبر النبي دانيال فى غربها (والظاهر انه كان حيتذاك فى ارض يابسة) وقال انهم يحرمون صيد السمك فى هذا النهر تكريما لدانيال . ومدينة كرخا (أو كرخة) وهى قرب السوس ، وبها يعرف الآن نهر كرخة المار بتلول السوس ، على شئى يسير فوق هذه الاطلال وهى فى يمين النهر أى فى حانه الغربى . وصفها المقدسى فقال : « صغيرة عامرة طيبة ، سوفها يوم الاحد ، وعليها حصن ، ولها البساتين » (١٠) .

وذكر البلدانون القدماء جملة مواضع على نهر كرخة أو بالقرب منه . منها ما كان فى الغرب ومنها ما كان أسفل السوس ، قد كانت مدنا جليلة فى القرون الوسطى ولكن لا أثر لها اليوم فى الخارطة الحديثة ومع ذلك فقد لحت كتب المسالك عن مواضعها بوجه تقريبى . وكان من أهم هذه المدن : بصنّا وهى على أول من مرحلة جنوب السوس على نهر (أو لعله رافد صغير من روافد نهر كرخة) كان يقال له دجيل بصنّا وكانت مركزا تجاريا عظيما . وفى بصنا تمل السور التى تحمل الى الآفاق المكتوب عليها « عمل بصنا » وينسجون فيها الأقماع (١١) ويفزلون الصوف « وعليها حصنان محكمان » والجامع حسن على باب المدينة من نحو النهر والنهر منها على ربة سهم ، « وفى دجيل نهرا « سبعة ارجحة فى السفن » على ما فى المقدسى . وقرب بصنا مدينة بيروت أو بيروت وهى على مرحلة أيضا من السوس ولعلها الى غرب نهر كرخا . زارها ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) . وقال المقدسى انها كبيرة بها نخل كثير يسمونها « البصرة الصغرى » لرواج تجارتها .

ومتوت أو متوت فيها قلعة حصينة وهى من مدن هذه الانحاء على تسعة فراسخ من جنوب السوس بين الاهواز وقرقوب . وقرقوب- وبها يعمل النسيج

(١٠) الاسطخري ٨٨ و ٩٢ و ٩٣ : ابن حوقل ١٧٤ : المقدسى ٤٠٥ و ٤٠٧ و ٤٠٨ : المستوفى ٢٩٠ : ابو الفداء ٣١١ : ياقوت ٤ : ٢٥٢ (ويطلق ليه اسم كرخا بصورة كرخا حلا) .
(١١) الأقماع : واحدتها القمط . وهو ضرب من البسط . انظر : تاج المروس ٥ : ٢٣١ (م)

المركز المعروف بالسوسنجر - مدينة ذات شأن في نصف الطريق بين السوس والطيب التي في العراق • وكانت على مرحلة من السوس ومرحلتين من بستا • وفي هذه الكورة مدينة أخرى لا يعرف موضعها ولكنها في شمال قرقوب • هي دور الراسبي • وصفها ياقوت بأنها بين الطيب وجند يسابور وفي هذه الدور ولد وعاش الراسبي^(١٢) • وقد مات في سنة ٣٠٩ (٩١٣) وتقلد الولاية سنين كثيرة من حد واسط الى حد شهر زور في أيام الخليفة المقتدر • واشتهر الراسبي بثرائه العظيم • فقد خلف مالا عظيما أورد ياقوت كشفا غريبا به^(١٣) •

وكان يصل بنهر كرخة في نحو سمت الاهواز أنهار تنحدر من أطراف^(١٤) (أو الحوزة) وهي تسمى حوز أو حوز على ما مر بيانه • وهم أهل هذا الاقليم • وقد وصفها المستوفي في الملة الثامنة (الرابعة عشرة) فقال هي من اظهر مدن خوزستان يكثر فيها القمح والقطن وتصب السكر • وكان يسكن المدينة في ذلك الزمن الصابئة^(١٥) • وكانت مدينة نهريما أو نهريتين على نهر أو ترعة بهذا الاسم يظهر انه كان من الروافد اليمنى في أسفل نهر كرخة بارض الحوزة • وكانت على مرحلة غرب الاهواز في طريق واسط • وبها ثياب تشبه ثياب بغداد وتحمل اليها فتدلس بها • •

ويأتي نهر كرخة من الغرب فيصب في دجيل تحت الاهواز وربما في أسفل مجراه الرض • على ما أشرنا اليه • وهو المعروف بنهر السدرة • وفي الشرق أسفل من ذلك ملتقى نهر الدورق به • وعليه مدينة باسمه وهي قصبة كورة مشرق يقال لها قورتي الفرس • وهي ذات رستاق واسع وسوق كبير وخصائص

(١٢) هو ابو الحسين علي بن احمد الراسبي وكان من عظماء المال وأفراد الرجال (معجم البلدان ٦١٧ : ٢) (م) •
(١٣) الاسطخري ١٧١ و ١٧٥ : ابن حنبل ٩٢ : القنص ٤٠٥ و ٤٠٨ : ياقوت ١ : ٦٠٦ و ٧٨٦ : ٢ : ٦١٦ : ٤ : ٦٥ و ٤١٢ : سالف ابرو ٨٢ ب : ابر الفداء ٣١٣ •
(١٤) ما زال الصابئة يسكنون في تلك الانحاء وعلى ضفاف دجلة الخراب في العراق •
راجع عنهم ما كتبه الابن السناسي الكرمل في الشرق (السنوات ١٩٠٠ - ١٩٠٢) وعبد الحميد عبادة في كتابه مغالي • ولا سيما كتاب الميدي دراور E. S. Drower: The Mandaean (من ١٠٠ - ١١٥) ولديه تعليقات ومدة نالمة من الصابئة للدكتور عبد الجبار عباد الله • وهو منهم (م) •

وخيرات وسوقها مشعب والبا يقصد حجاج فارس وكرمان ، فى طريقهم الى مكة . وكانت الدورق مشهورة بستورها ، والجامع على طرف السوق . وعلى نهرها قرى كثيرة وبها الكبريت الاصفر قرب عيون الكبريت الحارة ، يقصد حماماتها اصحاب العاهات ، فمن نزل فيها يسيراً يسيراً انتفع بمائها ، وهى تنبع فى جبل ويجمع ماؤها فى حوضين^(١٥) . وفى الملة الرابعة (العاشرة) كان فى الدورق ابنية ساسانية عجيبة وبها بيت نار أيضاً على ما ذكر ابن مهلهل .

وفى هذه الكورة قرب الدورق مدينتان ، هما ميرافيان وميراثيان وقد وصفهما المقدسى الاولى على « نهر يصل اليه المد والجزر ، وبرستانها قرى كثيرة وأعمال نفيسة » . وميراثيان ، ذات جانيين فى كل جانب جامع ولها أسواق عامرة . ومياه الاهواز التى فى جنوبى اقليم خوزستان كانت تصرف فى الملة الرابعة (العاشرة) الى خليج فارس فى انهار تنحدر جنوبا من الدورق وتصب فى البحر عند باسيان . وكان قرب باسيان جزيرة دورقستان وقد ذكرها ياقوت والقزوينى وقال « برقا اليها مراكب البحر التى تقدم من ناحية الهند ، وفى وسطها قلعة كان فى أيام الخلفاء يحمل اليها المنفيون من بغداد » . وكانت السفن حتى الملة السابعة (الثالثة عشرة) تصعد فيها شمالا فنسلك انهارا وترعا تجرى الى عسكر مكرم فى الناحية الشرقية من دجيل^(١٦) .

ونهر دجيل أسفل الاهواز يزداد عرضا فيصبح فيضا يصل اليه المد والجزر وهو القسم الأسفل من نهر السدرة . وعلى هذا الفيض سوق بحر ، وهو موضع كان حتى أيام الخليفة المقتدر فى منتصف الملة الرابعة (العاشرة)^(١٧) تجبى فيه مكوس باهظة . ومدينة سوق الاربعاء ، بالقرب منه ، وهى فى شرق دجيل على نهر يشق المدينة الى جانبين بينهما قطرة من خشب تحتها السفن . والجانب الشرقى

(١٥) قال القزوينى (٣ - ٢٤٦) ان الماء يجسجى فى حوضين احدهما للرجال والاخر للنساء (م) .

(١٦) الاسطخرى ٩٣ : ابن حوقل ١٧٦ : المقدسى ٤٠٧ و ٤١٢ : ياقوت ١ : ٤١١ : ٣ : ٢٧١ و ٦١٨ و ٦٢٠ : المسعودى ١٦٩ : القزوينى ٢ : ١٢٠ و ٢٤٦ . ويظهر ان كلا من مدينتي مهر تيرا ومناذر كان موضعاً جليلاً فى أيام بى أمية فقد كانا بين سنتي ٩٠ و ٩٧ (٧٠٩ - ٧١٦) داراً لغرب الشمر .

(١٧) فسل المقتدر سنة ٣٢٠ فهو لم يبلغ نهاية الثلث الاول من الملة الرابعة فسلنا من منتصفها (م) .

من سوق الاربعاء اُعمر وفيه الجامع ، ومدينةٌ جُباً بقربها ، وفيها بكثر قصب السكر ، وهي ذات قرى عامرة .

وفي رأس فيض دجيل الربيض حصن يقال له حصن مهدي ، به جامع ورباطات . وقد بنى الحصن على ما يقال الخليفة المهدي أبو هرون الرشيد . وحصن مهدي على بضعة أميال فوق متفرع النهر المضدي الجارى غربا والموصل رأس فيض دجيل بدجلة الأعشى عند بيان . ويحفّ بهذا النهر سباخ وأهواز (أنظر الفصل الثالث ص ٦٩) . أما فيض دجيل فيصب في خليج فارس عند سليمان . وهي مجاز خطر للمراكب التي كانت على ما يظهر تصل الى الأهواز بصورة أسلم اذا ما جازت في الأنهار والجداول المختلفة مارة بآسيان في صمودها الى الدورق ومنها تتابع طريقها في نهر السدرة . أما حصن مهدي ، ولا يعرف موضعه الصحيح ، فيقال انه كان يقوم عند ملتقى طرق كثيرة وسيطر على أعالي فيض دجيل حيث كان يبلغ عرضه هناك نحو فرسخ . وذلك اسفل مصاب انهار كثيرة تأتي من أرض الحوزة من الشمال الغربي ومصب نهر الدورق الاتي من الشرق . ومن فوق هذا الموضع بدء نهر السدرة الصاعد الى الأهواز والأهواز تبعد عشرين فرسخا عن حصن مهدي (١٨) .

وعلى مسيرة ثلاثة أيام من شرق الأهواز مدينة رامهرمز وما زالت تعرف بهذا الاسم . وانما سميت بذلك نسبة الى الملك هرمز حفيد اردشير بابكان . وفي المئة الرابعة (المباشرة) اشتهرت هذه المدينة بدود القز وبالأبريسم الذي يحمل منها الى سائر الآفاق . وكان في رامهرمز جامع بهي وأسواق عامرة بناها عضد الدولة البرهني . وروى المقدسي انه « جعل على أسواقها دروب تفلق في كل ليلة يسكنها البزازون والطارون والحصارون » . وكان بها على ما قال دار كُتب مشهورة يدرس فيها « أنشأها ابن ستوار كدار الكتب التي في البصرة . وشرب أهل رامهرمز من نهر يأخذ من نهر طاب » . وكان هذا النهر يجف غالبا في أيام

(١٨) ابن سريون ٣٠ / مقدمة ١٩٤ / الاسطرخى ٩٣ و ٩٥ / ابن حوقل ١٧٢ و ١٧٦ / المقدسي ٤١٣ و ٤١٩ / ياقوت ١ : ١٨٥ : ٢ : ١٢ : ٣ : ١٩٣ .

الصفى • وكان الناس فيها • يحتاجون فى ليالى الصيف الى الكلال مع كثرة البقي •
على قول المقدسى • وذكر المسوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ان اسم
رامهرمز كان يختصر حينذاك الى رامز وظلت حتى أيامه مدينة زاهرة يكثر فى
ارجائها القمح والقطن وقصب السكر •

وعلى ستة فراسخ من جنوب شرفى رامهرمز ، فى طريق ارجان ، غير
بعيد عن نهر طاب وهو نهر بين حدود اقليم فارس : الحومة أو ديار الزط ويقال
لهم أيضا الجات • وهم قبائل جاءت من الهند (وهم التور على ما يقال) • ويسقى
هذه الكورة نهر طاب • وفيها قرينان عامرتان هما الزط والخابران • ووراهما ،
قبل ارجان بحرلئين عند حدود فارس فى الطريق بين ارجان والدورق : آسك وهى
بلدة صغيرة ويناحتها على ما فى الاصلخرى بركان صغير^(١٩) • وآسك بلدة ذات
تخيل وبها يعمل الدوشاب - وهو ديس الزبيب - الذى يحمل منها الى الاقاق •
وبالقرب من آسك آثار ساسانية هى ابوان عال بازاء قبة مشقة شيف سمكها على
مئة ذراع بناها الملك فباز على عين غزيرة • والى شرق آسك ، على بضعة أميال
من ارجان غرب القناطر التى على نهر طاب ، مدينة سنبل الجاربة فى وسط
كورة باسمها • وكانت متاخمة لحدود فارس^(٢٠) •

وديار اللر فى شرق تستر وشمالها بامتداد نهر دجيل الاعلى (نهر كارون)
وروافده الكثيره • اما البلاد التى فى شرق كارون الاعلى وجنوبه (ونهر كارون
يؤلف هنا عدوة كبيرة ويشئ راجعا وذلك بين منبعه فى الجبال التى فى غرب
اصفهان وموضع فى شمال تستر ومنها ينحاز أخيرا نحو الجنوب فتحد الى خليج
فارس) فقد سماها المستوفى اللر الكبرى وهى تاتخم ولاية تولىستان عبر الحدود

(١٩) لى الاصطخرى (ص ٩٢) • • ولهم متاخمة آسك متاخمة لارض فارس حد ينقد منه زار
ابدا لا يطفى • ويرى منها القدوة بالليل والدخان بالهار وهو فى حد غوزستان - ويشهه ما الخن
انه عن بعد أو زمت أو فقهه ما قسقل فيه النار • فوضع فيه من قديم الايام نار ، لئلا قدر ما تخرج منقرف
ابدا ليسا أحسنه من غير ان رأيت علامة لذلك ولا سمعت به وأنا أقوله هنا • • (م) •
(٢٠) الاصطخرى ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ : ابن حوقل ١٧ و ١٧٦ : المقدسى ٤٠٧ و ٤١٣ ، ياقوت

١ : ٦١ : المستوفى ١٦٦ •
والقريب ان ياقوتا ذكر (٢ : ٧٦١) قرية الزط خطا فوضعها بصورة الزط مع انه يرمز
الزط عن المرفة وقد ذكر فى مادة « الزط » (٢ : ٩٣٠) انه ليس باسمهم •

فى فارس • وكانت أولى مدن اللر الكبرى : ايدج ويقال لها أيضا مال الامير • وصفها المقدسى فى الملة الرابعة (الماشرة) بانها من اجل مدن خوزستان وهى قرب الجبال • وقصر السلطان فى موضع يقال له أسد آباد ويقع بها فى الشتاء تلج كثير يخزن ويحمل الى الاهواز والنواحى الأخرى ليعه فيها صيفا • ومزارعهم على الامطار وفيها أجود أنواع الفستق • وقال ابن بطوطة ، وقد زارها فى مطلع الملة الثامنة (الرابعة عشرة) ، ان الغالب على تسمية ايدج فى زمنه مال الامير • وهى ما زالت حتى اليوم تعرف بهذا الاسم ولا يقال لها ايدج •

وكانت ايدج الى ذلك مشهورة بقطرتها العظيمة على دجيل ، وقد وصفها ياقوت فقال هى من عجائب الدنيا المذكورة • كانت هذه القنطرة وما زالت آثارها باقية تعرف بقنطرة ختره زاد ، وانما سميت بذلك نسبة الى أم الملك اردشير • والقنطرة مبنية على واد ، وهى طاق واحد تملو مئة وخمسين ذراعا عن الوادى « ودونها بفرسخين صور من الماء »^(٢١) يعرف بقم البواب وكان هذا الصور خطرا • وقد جدد هذه القنطرة فى الملة الرابعة (العاشرة) وزير ركن الدولة البويهى^(٢٢) • واستغرق العمل فى ذلك سنتين • وكانت حجارتها تلتحم بالرساص والحديد • وقيل انه انفق على هذا العمل مئة وخمسين الف دينار^(٢٣) (٧٥ الف باون) وروى ياقوت ان ايدج كثيرة الزلازل وبها معادن كثيرة وبها ضرب من القاقيل تنفع عصارته النقرس • وزاد على ذلك ان بها بيت نار عتيق كان يوقد الى أيام الرشيد •

وعلى ضفتي النهر ، على أربعة فراسخ شمال غربى ايدج ، مدينة صغيرة يقال لها سوسن وتعرف أيضا باسم عروج (أو عروج) • وحول هذا الموضع سبائين يكثر فيها السب والتارنج والارج والليمون • وقال المستوفى ان الجبال ، اتى لا يفارقها الثلج صيفا ، تبعد عنها نحو أربعة فراسخ • وكان يقال لعروج أو سوسن : جابلق أيضا • ويرى بعض المصنفين انها « شوشن القصر » المذكورة

(٢١) هو مجمع انهار • وكل ماء دائر يسمى سورا (م) •

(٢٢) اسم هذا الوزير « أبو عبيدة محمد بن احمد القسى » (آثار البلاد ص ٢٠١ - ٢٠٢) (م) •

(٢٣) فى القرونى (٢ : ٢٠٢) : « لم يتمكن عقد الطابق الا بعد سنتين فانه انفق على ذلك سوى أربعة الفللة ١٠٠ لثلاثة الف وخمسين الف دينار » (م) •

فى سفر دانيال^(٢٤) ، وعلى نحو مئة وخمسين ميلا شرق مال الامير ، على حدود فارس وقرب أقصى روافد كارون فى الشرق ، مدينة لرجان (وتسمى أيضا لردكان أو لركان وكلها صور مشتقة من اسم لر) • وقد وصفها الاصطخرى بانها قبة رستاق سردان (أو السردن) وهى مدينة واسعة كثيرة الاشجار أطرى المستوى عنها الكثير • تعد فى الغالب من أعمال إقليم فارس لانها على حدوده^(٢٥) •

وأهم تجارات خوزستان وغلاتها السكر • فان قصب السكر كان يكثر فى كل ناحية منها • قال المقدسى فى الملة الرابعة (الماشرة) : • كل سكر تراه ببلدان الاعاجم والعراق واليمن فمن خوزستان يحمل • • وقال يميل بالاهواز فوط من القز حسنة تلبسها النساء • ومن تستر يرتفع الدباج الحسن المشهور فى سائر الاقالق والانماط والنياب الحسنة • ويحمل من تستر قواكه كثيرة ولاسيما الدسنبوى (البطيخ) • ومن السوس وهى موطن قصب السكر يحمل السكر الكثير الى سائر الجهات وبها يز وخزوز • ومن عسكر مكرم مقانع القز والمناديل والنياب • ومن بصنا السور الجيدة • ومن قرقوب الانماط • ومن نهر تيرى أزر كيار^(٢٦) •

وكانت انهار خوزستان صالحة لسير السفن ، وأكثر تجارتها تنقل بين مدنها فى تلك الانهار • ومجتمع طرقها فى الاهواز ، وللقادم الى الاهواز من البصرة ان يقصدها بطريق الماء فى النهر المضدى أو فى البر فيجتاز السبخة من عسكر ابنى جعفر يازاء الأملتة الى حصن مهدى ومنها الى الاهواز مارا بسوق الارباء^(٢٧) •

وقد اورد الاصطخرى والمقدسى المسافات بين مدن خوزستان بكثير من التفصيل • فقد كان يخرج من الاهواز طريق يتجه غربا الى نهر تيرى ثم الى واسط

(٢٤) ما فى سفر دانيال (٨ ٢) • فرأيت فى الرؤيا ركان فى رؤاى وانا فى شوشن القصر الذى من ولاية هيلام • (م) •
(٢٥) الاصطخرى ١٠٣ و ١٢٦ ؛ ابن حوقل ١٨٢ و ١٩٧ ؛ المقدسى ٤٩٤ ؛ القزوينى ٢ : ٢٠١ ؛ ياقوت ١ : ٤١٦ ؛ ٤ : ١٨٦ ؛ المستوفى ١٥١ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٩ •
ومن سوسن راجع ما ناله السر هنرى لايارد والسر هنرى دولسون فى JRGS لسنة ١٨٣٩ ص ٨٣ وسنة ١٨٤٢ ص ١٠٣ •
(٢٦) المقدسى ٤١٦ •
(٢٧) قدامة ١٦٤ ؛ المقدسى ١٣٥ •

فى العراق • وبدأ الطريق الشمالى من قاعدة الاقليم فيمر بعسكر مكرم الى تستر •
ويتجه غربا من جند يسابور والسوس الى الطيب • ومن الطيب طريق آخر يذهب
الى واسط •

وذكر المقدسى الطريق الذى يخترق جبال اللر من جند يسابور الى گل بايكان فى
اقليم الجبال وهو شمال غربى اصفهان • وكان يخرج من عسكر مكرم طريق آخر
(وصفه قدامة وغيره) يتجه شرقا الى ايدج ومنها يجتاز الجبال فيصل الى
اصفهان (٢٨) •

وكان يلتقى فى رامهرمز طريقان احدهما من عسكر مكرم والاخر من الاهواز •
ومن رامهرمز يضربان شرقا ويصلان حدود فارس عند نهر طاب خلف
ارتجان • وقد ذكر قدامة وغيره من المصنفين هذين الطريقين فأشاروا الى انهما قسم
من الطريق الذاهب من البصرة الى شيراز • وذكر الاصطخرى أيضا طريقا آخر
منظمه بلأه من حصن مهدى الى ارتجان يمر بباسبان على الساحل الى الدورق
ومنها الى أسك فارتجان • وقد ذكر المقدسى المراحل من شمال رامهرمز الى ايدج •
ووصف أيضا طريقا من رامهرمز يجتاز جبال اللر الى اصفهان وطريقا آخر يجتاز
صحراء اللر شمال دزفول فيمر بسابور خواست الى كرج ابى دلف • على انه لم
يذكر المسافات الا بالمراحل • ومن الصعب ان لم يكن مستحيلا • تعيين مواضع هذه
المراحل الآن • وقد ذكر المقدسى طريقا ثالثا فى الشمال يخترق الجبال من ارتجان
فى سبعة أيام حتى يصل سميرم (فى فارس) فى جنوب اصفهان ويصافى حدود
خوزستان وفارس (٢٩) •

(٢٨) الاصطخرى ٩٦ : ابن حوقل ١٧٨ : المقدسى ٤١٨ = ٤٢٠ : ابن رسته ١٨٧ و ١٨٨ :
قدامة ١٩٧ •
(٢٩) قدامة ١٩٤ : ابن رسته ١٨٨ : الاصطخرى ٩٥ : ابن حوقل ١٧٧ : المقدسى ٤٠٦ و ٤٢٠ •
و ٤٥٣ و ٤٥٩ •

الفصل السابع عشر

فارس

تقسيم الاقليم الى خمس كور - كورة اردشير خره - شمزال - بعيرة ماهلوية - نور
سكان - چويم - بجمرة دشت اولن - كوار - خير والسيكان - كازرين
وكورة فساخ خره - جهرم - چويم ابي احمد - مالدستان -
ايراهستان - چور او ليول اباد - اسياف
فارس - جزيرة فبس - سبياف -
لجيم - كوج - الفندجان -
خارك وسائر جزر
خليج فارس *

كان اقليم فارس ، موطن الدولة الاخمينية وقاعدة حكومتها . وقد عرفه
اليونان باسم پرسس (Persis) ، وجروا خطأ على استعمال اسم هذا الاقليم
الوسط وأرادوا به المملكة كلها ، وشاع وهمهم في استعمال هذا الاسم في اتجاه
أوربة الى يومنا هذا . فالاسم Persia (بلاد فارس) عندنا - وهو مشتق من
Persis اليونانية - قد صار اسما عاما يطلق على دولة الشاه بأسرها ، في حين
ان الفرس أنفسهم يسمون بلادهم مملكة ايران . وما فارس ، أى Persis
القديمة ، الا اقليم واحد من أقاليمها الجنوبية . وقد ورث العرب
عن المملكة الساسانية تقسيم فارس على خمسة أقسام ، يقال لكل قسم منها كورة .
وظل هذا التقسيم - ومن الملائم أن نأخذ به في وصف الاقليم - معمولاً به حتى
أيام المنول . وهذه الكور الخمس ، هي : (١) أردشير خره ، وفصبتها شيراز

أولى مدنها • (٧) سابور أو شاپور خَرَّه ، ومدنتها شاپور وهى أكبر مدنها •
(٣) أَرَجَان ومدنتها المنظمى أَرَجَان • (٤) اصطخر ، ومدنتها اصطخر القديمة
(برسبوليس Persepolis) قصبة فارس الساسانية • وأخيرا (٥) دار ابجرد ،
ومدنتها بالاسم نفسه دار ابجرد •

ثم ان ما يحسن ذكره • أن إقليم فارس ، كان فى أيام الخلافة يضم مدينة
يَزْد وناحتها وناحية رودان (وهى بين أنار الحديثة وبهرام أباد) • وقد كانت هاتان
النحيتان جزءا من كورة اصطخر • على ان يزد ، بعد الفتح المئولى ، كانت من
إقليم الجبال • أما اليوم ، فتمتد جزءا من كرمان • وكذلك القول فى ناحية رودان
القديمة • ومعنى « خَرَّه » بالفارسية القديمة « بهاء »^(١) • وعليه يكون أردشير
خَرَّه وشاپور خَرَّه اسمين لكورتين ، الأولى تخلد مجد أردشير مؤسس الدولة
الساسانية ، والثانية تخلد ذكر ابنه المشهور سابور أو شاپور ، وهو سابور (Sapor)
عند اليونان • وأخيرا قسّم البلدياتون العرب إقليم فارس على قسمين ، هما :
الأراضى الحارة والأراضى الباردة ، أى الجروم والسرود ، يفصل بينهما خط
يمتد شرقا وغربا • وما زلنا حتى اليوم نجد هذا التقسيم متبعا فى الأراضى الخفيفة
القرية من الساحل ، الممتدة من الهضاب التى تلى الدروب ، فانها تعرف بهاتين
اللفظتين : گرم سير وسرد سير ، أى المنطقة الحارة والمنطقة الباردة • وهما تسميتان
جرى المستوفى على استعمالهما أيضا^(٢) •

وشيراز ، قصبة فارس ، قد مصرها العرب واتخذ المسلمون موضعها وقت
العروج فى أيام الخليفة عمر ، مصكرا لهم لما أنأخوا على فتح اصطخر • ولعل ما
بلغته من منزلة ، يرجع ، على ما ذكر المقدسى ، الى كونها فى وسط البلاد ، اذ
يقال انها على ستين فرسخا من الحدود فى كل جهة من الجهات الأربع ، وعلى
ثمانين فرسخا من كل زاوية من زوايا الإقليم الأربع • وجاء فى الأخبار ان شيراز

(١) جاء فى معجم البلدان (١ - ١٦٦) ان أردشير خَرَّه « اسم مركب ، معناه بهاء أردشير •
جاردشير ملك من ملوك الفرس • » (م) •
(٢) انظر المقدسى (ص ٤٢١) بتقسيم فارس على ست (بدلا من خمس) كور ، مكروا من
«نواحي المحيط شيراز كورة قائمة بنفسها •
الاصطخرى ٩٧ و ١٢٥ ؛ البلاذرى ٣٨٦ ؛ المقدسى ٤٤٧ •

قد تولى عمارتها في سنة ٦٤ (٦٤٨) محمد أخو الحجاج أو ابن عمه^(٣) ، والحجاج هو عامل بني أمية المشهور على العراق . ثم اتسعت رقعتها وصارت مدينة كبيرة في النصف الأخير من المئة الثالثة (التاسعة) حين اتخذها بنو الصغار قاعدة لدولتهم نصف المستقلة . وكانت شيراز في المئة الرابعة (العاشرة) نحواً من فرسخ في السعة ، أسواقها ضيقة يزدحم فيها الناس ، وكان للمدينة حينذاك ثمانية أبواب^(٤) ، وهي : باب اصطخر ، تشر ، بنداستان ، غسان ، سبج ، كوار ، تندر ، مهندره ومياه شيراز من القناة التي تجري من جنوبها وهي قرية على خمسة فراسخ من شمالها الغربي . ولشيراز بيمارستان ، وفيها دار عضد الدولة البويهى . التي أنشأ فيها خزانة كتب على ما جاء في فارسنامه .

وعلى نصف فرسخ من جنوب شيراز ، بنى عضد الدولة البويهى ، الملقب بفنا خسرو ، قصراً آخر له وخط حوله مدينة جديدة نسبت إليه ، فقبل لها كرد فنا خسرو . وجعل الى جنب قصره بستاناً أنفق عليه الاموال العظيمة ، سته نحو من فرسخ . ونقل الى الدور التي نشأت حوله الصوافين وصناع الخبز والديباچ وغيرهم من أصحاب الحرف الذين نقلهم بنو بويه من اقاصى البلاد وأسكنوهم في فارس . وكان يقام في كرد فنا خسرو احتفال في كل سنة . وقد صارت هذه المدينة أيضاً داراً لضرب النقود حيناً من الزمن . ولكن عزها لم يدم بعد موت مؤسسها فقد أشرفت على الحراب قبل ختام المئة الرابعة (العاشرة) وصار ريفها يعرف بسوق الأمير . وإيجار حوائثه عشرون ألف دينار (عشرة الآف پاون) في السنة .

وأول من بنى سور شيراز وأحكمه ، صمصام الدولة أو سلطان الدولة (وهما ابن وحفيد عضد الدولة المار ذكره) . وكان عرض حائطه ثمانية أذرع وطوله اثني عشر ألف ذراع . وله ما لا يقل عن أحد عشر باباً . وفي منتصف

(٣) ما هي مصمم البلدان (٣ : ٢٤٩) : قيل أول من تولى عمارتها ، محمد بن القاسم بن فغيل ابن عم الحجاج . (م) .

(٤) ما في المقدس (ص ٤٣٠ من المجلد) : لشيراز ثمانية دروب . وورد اسماءها (على النحو الذي في اعلام مضاعفة الى كلمة « دروب » - وقد ذكرنا كتاب المقدس في العاشرة) ان في مقطوعة يريها : ثمانية أبواب . والنظر ان لسيرتريج اعتد بهذه القراءة . (م) .

المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تخرب هذا السور فعمره محمود شاه انجو^(٥) ، غريم آل مظفر ، وأحكمه بأبراج من الآجر . وحبن زار المستوفي مدينة شيراز وآها ذات سبع عشرة محلة وتسعة أبواب . وهذه الأبواب هي باب اصطخر ، وباب دارك (أو دراك موسى) نسب إلى جبل بهذا الاسم على نحو من فرسخين من شيراز وفيه بخزون ثلج الشتاء في مخايل لاستعماله أيام الصيف . ثم باب البيضاء ، وباب كازرون ، وباب سلم ، وباب قبا (وجاء في بعض المخطوطات بصورة فنا وفسا) ، ثم باب نو (الباب الجديد) ، وأخيرا باب الدولة ، وباب السادة . وزاد المستوفي ، على إرادته أسماء هذه الأبواب قوله ، أن شيراز مدينة في غاية الحسن ، ذات أسواق عامرة ، غير أنها قدرة على ما وصف . وكان ماؤها من قناة ركن آباد المشهورة ، وهي التي حفرها ركن الدولة البرهوي أبو عضد الدولة المار الذكر ، ومن قناة بستان سمدي . وفي أيام الربيع تنحدر السيول من جبل دارك فتخترق المدينة ثم تجتمع في بحيرة ماعلوية .

وكان في شيراز ثلاثة مساجد جامعة ، أولها الجامع المتبق وقد بناء عمرو بن الليث الصغار في النصف الأخير من المئة الثالثة (التاسعة) وأشار المستوفي إلى أن هذا الجامع لم يخل من المصلين قط . والثاني الجامع الجديد وهو من النصف الأخير من المئة السادسة (الثانية عشرة) بناء الأتابك سعد بن زنكي السلفري ، وثالثها مسجد شتر في مرسة الحلاقين وقد بناء أول أتابك من السلفريين . وما زال بمارستان عضد الدولة قائما . ويזור الشيعة في شيراز مشهد محمد وأحمد ولدى الإمام السابع موسى الكاظم . وما أسلفنا من كلام على شيراز قد عززته ابن بطوطة ، معاصر المستوفي ، فقد تكلم هو أيضا على الجامع المتبق فيها وقال : بشماله باب يعرف باب حسن . كما تكلم على مشهد أحمد وكان فيه مدرسة . ثم انه قد طرى الانهار الخمسة التي تشق المدينة ، أحدها النهر المعروف بركن آباد ، ينبعث من عين في سفح جبل هنالك يسمى القليلة ، وبقره بستان مليح يخف بغير الشاعر سمدي [الشيرازي] المتوفى سنة ٦٩١ (١٢٩٢) أي قبل

(٥) جاء اسمه في رحلة ابن بطوطة (٢ : ٦٤) ابن اسحق بن محمد شاه بنجوا - (م) -

قيادة ابن بطوطة لها بنصف قرن ، وقد كانت لسمدى منزلة رفيعة فى قصر الاتابك
أبى بكر بن الاتابك سعد باني المسجد الجديد . وكان فى البستان الذى
فيه قبر سمدى ، والناس يزورونه كثيرا ، حياض حسنة من الممر لفسل الثياب ،
حشمها سمدى عند نهر ركن آباد .

وفى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) نجت شيراز لحسن حفظها من محاصرة
تمورلنك لها الذى تغلب على آل مظفر فى وقته بائيله فى الارض البسطة فى
ظاهرها ، فلم تعان المدينة الا شيئا قليلا من الاذى على ما ذكر على اليزدى . لأن
تمورلنك قد عسكر فى بستان يقال له تخت قراجه فى ظاهر باب سلم وباب السعادة
المفضين الى يزد . وذكر هذا المؤلف نفسه ان الابواب الثمانية الاخرى كانت
مغلقة حين ذلك ، وأشار أيضا الى كوه قلعة سرخ (أى تل الطلعة الحمراء) قرب
شيراز ، ولا يعلم موضعها . ومما ذكره المستوفى من القلاع المشهورة بالقرب من
شيراز ، قلعة تيز ، وتقوم على تل منفرد بعد ثلاثة فراسخ عن جنوب شرقى
المدينة ، وقد كان فيها عين ماء فى قمة التل ، وأخرى فى السهل أسفلها . وأما ما
يلبها لمقازة مطشة ، فمذارها مبردة يوم^(٦) .

وشيراز لا تقوم على نهر كبير ، غير أن أنهارها تتحد شرفا ، على ما ينأ ،
وتصب فى بحيرة تسمى وهدة فى السهل على بضعة فراسخ من المدينة . وقد سمي
الاصغر خرى هذه البحيرة بالحنكان . وحاء اسمها فى أبى الفداء وابن بطوطة
بصورة الجمكان . ووردت فى فارسنامه وفى المستوفى باسم ماهلوية ويقال لها
اليوم بحيرة ماهلو ، وماؤها ملح . ويرتفع من أطرافها الملح ويحمل الى شيراز ،
وصيد السلك فيها كثير ، وطول البحيرة اثنا عشر فرسخا ، وعلى شطآنها
الجنوبية قرى ناحية الكهرجان ، وفى جنوبها الشرقى مدينة خورستان ويقال لها

(٦) قراءة اسم تيز ليست مطبوعة ، فقد جاءت فى غير مطبوعة من كتاب المستوفى بصورة
مختلفة : تيز ، تير ، بير ، بير ، تير ، تير .
الامستغرى ١٢٤ : المقدس ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٥٦ : فارسنامه ١٧١ - ب : ياقوت ٣ : ٣٤٩ ،
٤ : ٢٥٨ ، المسعودى ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٩ و ٢٠٣ : ابن بطوطة ٢ : ٥٣ و ٧٧ و ٨٧ : على اليريدى
١ : ٤٣٧ و ٥٦٤ و ٦٠٩ و ٦١٣ : وانما عرف بستان تحت مرابطة (أى عرش مرابطة) ، وذلك نسبة الى
الاتابك مرابطة الذى حكم فارس على إثر وفاة الاتابك جاولى فى سنة ٥١٠ (١١١٦) . ويقال ان هذا
البستان هو الذى يعرف اليوم بخت فجر .

أيضا سروستان ويكثر فيها النخيل والقصب وهي خصبة يجتمع فيها ما يكون في بلاد السرود والجروم • وكانت كوريجان ، على ما في فارسنامه والمستوفي ، بلدة صغيرة بالقرب من سروستان (٧) •

وأطول أنهار فارس ، نهر سَكَّان ، مخرجه على ثلاثين ميلا من شمال غربى شيراز ، ويجرى منحرفا باتجاه الجنوب الشرقى مسافة تزيد على مئة وخمسين ميلا ، ثم ينحطف انعطافا كبيرا فيتجه نحو الغرب الى مسافة مئة وخمسين ميلا أخرى ، وتكثر التماريح في مجراه الأخير ، ثم انه بعد ان يستقبل مياه نهر فيروز اباد من الشمال ، يقع في البحر على شئ يسير جنوب تجيرم (٨) • وذكر الاصطخرى ان اسم سكانه مشتق من اسم قرية سَكَّ ، وهي في غرب المنطف الكبير لنهر سكان بالقرب منه أما غيره من المصنفين ، فقد أورد اسمه بالصور المختلفة الآتية : سَنَجَان ، نَكَّان ، سِيكَّان • وأورد المستوفي بصورة زَكَان أو زَكَّان • وقال صاحب فارسنامه ومن جاء بعده من المصنفين ، أن مخرج هذا النهر في ناحية يقال لها ماحرم • أما الاصطخرى فقال انه يخرج من رستاق الرويجان وهو السهل الذي في جنوب جويم و خَلَّار ، وهاتان قرينان كبيرتا الشان ، الأولى على خمسة فراسخ والاخرى على تسعة فراسخ من شيراز في الطريق الذهاب الى التوبجان في شمال دشت أرزن • ويخرج من قرب جويم ، على ما بينا ، أحد أنهار شيراز • وكانت خَلَّار ، على ما في المستوفي ، تشتهر بحجر الأرحاء وإن كان أهلها لا أرحاء لهم • وكانوا يحملون جوبهم الى أماكن أخرى لطحنها • وكان يحمل منها أيضا عسل كثير • وكان دشت أرزن (أى سهل اللوز المر) معروفا بمراته المرمعة (مر غزار) • وكان طول بحيرة دشت أرزن نحو من عشرة فراسخ في موسم الأمطار ، وماؤها عذب • وربما تجف في الصيف حتى لا يبقى فيها من الماء

(٧) ابن حردابه ٢ : الاصطخرى ١٢٢ و ١٢١ ، الهندس ٤٢٢ و ٤٥٥ ؛ فارسنامه ١٧٣ ؛ ٨٠ ب ؛ المستوفي ١٧٢ و ٢٦٦ • أبو الفداء ٤٣ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٦١ ، يافوت ٢ : ١٩٢ • وجاء فيه اسم سِيكَّان (بدلا من : سَنَجَان) وهو من وهم النساخ •
(٨) ويرف محراء الاعلى باسم مرا آماج ، أى الشجرة السوداء (بالتركية) • ومجراه الاسفل باسم نهر مانده • ولعل نهر سكان يطابق نهر سِيكَّاس (Silakus) عند نيرحس (Nearchus) انظر الكولوبيل روس في PRGS لسنة ١٨٨٢ ص ٧١٢ •

الا القليل ويصاد فيها سمك كثير على ما ذكر الاصطخرى وزاد المستوفى على ذلك ان الاسود كانت تكثر فى غابة قريبة منها^(٩) .

وعلى عشرة فراسخ من جنوب شيراز يمر نهر سكان بمدينة كوار أو كوار وهى قرب صفته اليسرى . وقد أشىء فى هذا النهر ، على ما جاء فى المستوفى ، سد من شاطئ الى شاطئ لكى يرتفع الماء به فندخل انهار السقى . وكانت المراعى القريبة من كوار مشهورة . ويكثر فيها الكرز البرى واللوز وكذلك الرمان الكبير وفى ما لى كوار ، فى يسار نهر سكان أيضا ، مدينة حبر ، وهى مشهورة بقبر سجد أخى الحسن البصرى الفقيه . وذكر المستوفى ان « خبر » كانت أكبر من كوار ، وأن بالقرب منها القلعة المشهورة المسماة تير خدا (سهم الله) ، وإنما سميت بذلك لامتاعها واعتصامها ، فقد كانت تقوم على قمة جبل ، فلا تبلغها سهام الاعداء . وأسفل من خبر يتجه نهر سكان جنوبا فينسب فى مجرى متعرج مخترقا ناحية الصيكان . وكانت مدينة الصيكان قرب صفته اليسرى عند ملتقى رافد كبير به ينحدر من دار أبجرى فى الشرق^(١٠) .

وكانت الصيكان ، على ما جاء فى المستوفى ، مدينة حسنة ، تقوم على النهر وعليه هناك حصر . ومما بلغت النظر ان فى أعلى هذا الجسر ، تنمو أشجار بلاد الصرود (أى أشجار المنطقة الباردة) فقط كالجبار (الدلب) والجوز وفى أسفلها يكثر التارنج والليمون وغيرهما من فواكه بلاد الجروم . وما يصير فيها من خمود فى غاية القوة فلا تشرب الا بعد مزجها بما يعادل ضعفها أو ثلاثة أضعافها من الماء . وهيرك لا تبعد عنها كثيرا ، وهى قرية كبيرة من أعمال الصيكان . وكان بالقرب من يمين نهر سكان ، فى جنوب ناحية الصيكان ، المدن الثلاث : كازين ، وقير ، وأبرز . وكانت كورتها تعرف بقباز خرّة (أى بهاء قباز) تخليدا لذكرى

(٩) كتب جوبن أحيانا بصورة جيوس ، وهى قرية كوين الحالية .
الاصطخرى ١٢٠ و ١٢٢ : ابن خردادبه ٤٤ : فارسنامه ٧٧ ب ، ٧٦ ب ، ٨٠ ب ، ٨١ ا ؛
ياقوت ٢ ، ٤٥٧ : المستوفى ١٧٧ و ١٧٩ و ٢١٤ و ٢٢٦ .
(١٠) الاصطخرى ١٠٥ و ١٢٠ : فارسنامه ٧١ ب ، ٧٢ ا ، ٨١ ا ، ٨٢ ا ، ٨٦ ا ؛ ياقوت ٢ : ٣٦٩ : الشيرازى ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٩ . وقال اليوم لهذه الناحية صيكان ، وكثيرا ما تكتب فى الخوارزم حقا بصورة اكون E. Stack انظر Akun Six Months in Persia ص ٢٣٢ : ٢ .

أحد الملوك الساسانيين . وذكر الاصطخرى ان كاردزين نحو الثلث من اصطخر (پرسپولیس) ولها قلعة منيعة يرفع الماء اليها من نهر سكان ، وكانت ضاربة في الفضاء حتى لترى منها قلاع كثيرة بعيدة عنها^(١١) .

ومدينة جهرم (أو جهرم) ، وقد كانت تحسب أحيانا من أعمال كورة دار أبجرد ، في جنوب الصيكان وشرق كاردزين ، وحولها بسيط من الأرض خصب ، واشتهرت بقلعتها العظيمة التي تبعد عن المدينة خمسة فراسخ ، يقال لها قلعة خورشه . وكان نظام الملك وزير السلاجقة العظيم ، قد أحكم بنائها وزاد في تحصينها . وأول من بناها خورشه ، وكان عامل بني أمية على جهرم^(١٢) . وإلى جنوب شرقي جهرم مدينة جويم أبي أحمد ، (وقد عرفت بذلك تميزا لها عن جويم التي في أعلى نهر سكان ، أنظر الصفحة ٢٨٩) ، وصفها المقدسي بأنها على نهر صغير ، حولها التخييل ولها جامع حسن ، وبين الجامع والسوق زقاق طويل ، وتعرف الناحية التي في جنوبها الغربي بإبراهستان . وبالقرب من المدينة قلعة منيعة يقال لها سيران (أو شميران) وصفها المستوفي بقوله أنها « عش اللصوص وقطاع الطرق » وتكثر حولها المراعى ، وأحسنها ما كان بين جويم وضفة نهر سكان تكثر في نواحيها الخياري الآسنة وتكثر الأسود في غاباتها .

ومدينة الكاريان ، وتعرف عليها قلعة حصينة ، على مرحلة غرب جويم ، وبها بيت نار منظم عند المجوس تحمل ناره الى بيوت النار في الآفاق . وقلعتها على رأس جبل ، حصينة لا تقتحم وفي غرب الكاريان ، في منطف نهر سكان الى الغرب ، مدينة لاغر وهى موضع كان له حين كتب المستوفي في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) بعض الشأن . فقد كان مرحلة في طريق القوافل الذاهبة من شيراز الى جزيرة قيس . وجاء ذكر لاغر أيضا عند الكلام على كهرجان (أو مكرجان) وهذا الموضع لا أثر له في الحارطة . وما بين لاغر والساحل ، وبمحاذاة

(١١) الاصطخرى ١٢٥ : القلنس ٤٢٢ : فارسانامه ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٨٢ ، ٨٣ : المستوفي ١٧٣ و ١٧٩ . ويظهر مما جاء في فارسانامه (الورقة ١٧٨) والمستوفي (ص ١٧٧) ان كورة اخرى غير هذه يقال لها كورة قباد سره قد كانت على ضفاف نهر طاب فوق ارخان .
(١٢) الاصطخرى ١٠٧ : فارسانامه ١٦٩ ، ٨٢ ب : المستوفي ١٧٥ و ١٧٩ .
وقد جاء اسم القلعة في مخطوطات مختلفة بصورة خورشه وخورشه وورشه . وكذلك بصورة خورشه وورشه . ولكن البلدان في العرب القدماء لم يذكروها .

الجانب الايمن من نهر سكان الى شماله ، مقالة ماندستان وهى فى وسط المسافة بين نجيرم وبوشكانات . وليس فى هذه المقالة قرى أو وديان الا فى ما تدر حين حطول الامطار الغزيرة ، على ما ذكر المستوفى ، فيمكن ان ينمو فى هذه المقالة القطن والقمح ، فيتلّ فى نهاية الشتاء الواحد ألفاً^(١٤) .

وماندستان ، وهو ما كانت تعرف به هذه المقالة فى القرون الوسطى - ومعناه « بلاد ماند » - تحتفظ ولا ريب باسم نهر ماند ، وهذا الاسم ، على ما قد يتنا ، يطلق اليوم على أسفل نهر سكان . ويستقبل هذا النهر من الشمال فى نحو من نصف المسافة بين لاغر والبحر ، رافدا كبيرا يقال له نهر فيروز اباد . ومدينة فيروز اباد كان يقال لها قديما « جور » . وكانت فى أيام السلانيين مدينة كورة اردشير خرم . بدلا من شيراز الحديثة . وحكى الاصطخرى « يقال ان مكانها كان ماء واقفا كالبحيرة ... فاحتال الملك اردشير فى ازالة ماء ذلك المكان بما فتح من مجاريه ، فبنى بذلك المكان جور ... وفى وسط المدينة بناء مثل الدكة يسمى الطربال^(١٥) » - كان ما زال فيها فى المئة الرابعة (الماشرة) وما بعدها - . ويسرف بلسان الفرس بايوان . وهو بناء بناء اردشير ، على الدكة . وكانت جور فى هذا الزمن « قرية فى السمة من اسطخر ... وعليها سور عامر وخذق ، ولها أربعة أبواب : باب مما على المشرق يسمى باب مهر . ومما على المغرب باب بهرام . ومما على الشمال باب هرمز . ومما على الجنوب باب اردشير . »

واسم جور ، ويلفظ بالفارسية گور ، يوافق اسم القبر . فكان اذا خرج اليها عضد الدولة (البويهى) قيل قد ذهب الملك الى القبر . فكره ذلك ، فسماها فيروز اباد ومعناه اثم دولته^(١٥) . وتكلم المقدسى ، وقد حكى قصتها ، على رجبها الواسعة ، وعلى يستين فيروز اباد الحسنة . « وهى مدينة نزهة جدا ، يسير الرجل

(١٣) الاصطخرى ١١٧ : المقدسى ٤٢٧ و ٤٢٨ : فارسنامه ٦٩ ب ، ٧٣ ب ، ٨٢ ب ، ٨٦ أ : المستوفى ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٨٠ : جهان نما ٢٦٨ : القزوينى ٢ : ١٦٢ .

(١٤) الطربال : علم يبنى . وكل بناء عال . « مررب تربال » . وهو اسم قصر متين شامخ بناء اردشير بن بابك بقرب مدينة جور من اصال فارس ، وشيد بولته مميدا لل نار . (الالفاظ الفارسية المعربة لادنى شير . ص ١١١) (م) .

(١٥) هذا التفسير من بالرت . وقال المقدسى : ان معنى فيروز اباد فى اثم دولة (ص ٤٢٢) (م) .

منها من كل باب نحووا من فرسخ في سائين وقصور ، وماؤها من جبل قريب . يخرج من قدر نحاس فيه ثقبه ضيقة ، ماء حاد جدا ، وكان على نحو من أربعة فراسخ من المدينة قلعة حصينة يقال لها قلعة سَهَادَة « أو شهادة » على قول البلديين الفرس ، وقد سمي الاصطخرى نهر فيروز آباد بنهر تيرزه . اما فارسنامه والمسئوفى ، فقد سمياه بنهر بُرَاذَة (أو براده) وهو يخرج من ناحية الخنقان^(١٦) . ويقال ان الاسكندر الكبير قد غير مجرى النهر الاصلى حين كان شاربيا الحصار على جور ، فأغرق ما حولها من صياح وكون البحيرة التي احتل في ازالة مياهها من بعده برادة الحكيم في عهد الملك أردشير ، ثم انه مد الماء من النهر الى المدينة ، في قناة أنشأها ، فسب النهر اليه فقبل له نهر برادة . وذكر القزوينى ان في فيروز آباد بيت نار مشهورا ، وأشار الى الشر العجيبة على باب المدينة الى يخرج منها ماء حاد جدا ولا يحتاج الى اسفائه . ونوت بالورد الجودي وهو ورد أحمر من أجود أنواع الورد وله شهرة في الآفاق . وفي شمالها ، على ما يتنا ، ناحية خَنْقِيْقَان أو خَنْقَان ويلفظها الفرس خَنْقَان . وكان بين الجبال قرية كبيرة بهذا الاسم يخرج منها طريق صخرى وعر ينحدر الى فيروزآباد^(١٧) .

وكان يقال للساحل البحرى في كورة اردشير خُرَّة ، السيف (أى الشاطئ) . وكان لها ثلاثة أسياف على خليج فارس كلها في گرمسير أى المنطقة الحارة وهى : سيف عمارة في شرق جزيرة فبس ، وسيف زهير على الساحل جنوب ايراهستان وحول بيراف . وأخيرا سيف المطفر الى شمال نجيم . وكانت عمارة وزهير والمطفر ثلاث قائل عربية عبرت الى السواحل الشمالية من الطرف الآخر من خليج فارس وأقامت في هذه الديار من ذارس . وكان في سيف عمارة في المئة الرابعة (الماشرة) قلعة على البحر لا قدر أحد أن يرتقى إليها ، يقال لها قلعة الديكدان (أو الديكبان) وتعرف أيضا بحصن ابن عمارة وسفها يتسع لثمسين مركبا . ولا يرتقى الى القلعة الا في شيء من المحامل . وعلى مسافة قصيرة من

(١٦) ما لى الاصطخرى (ص ١٢١) : « ونهر تيرزه يخرج من ناحية دارجان مياه ، فيسمر رستانا الشينيمان وجور » (م) -
(١٧) الاصطخرى ١٠٥ و ١٢١ و ١٢٣ : القنص ٤٣٣ : فارسنامه ٧٠ - ٧٢ ب ، ٧٩ ب ، ١٨٢ : المسئوفى ١٧٢ و ١٧٩ و ٢١٩ : القزوينى ٤ - ١٢١ .

غربها ، جزيرة قيس ، ويكتبها الفرسي بصورة كيش . وصارت في المئة السادسة (الثانية عشرة) مرفأ تجارة خليج فارس يمد خراب سيراuf التي سنأى على وصفها قريباً . وفي جزيرة قيس أنشئت مدينة عليها سور مكين . وشربهم من صهاريج كثيرة ، وفي قربها مفاصل على اللؤلؤ ، وهى مرفأ مراكب بلاد الهند والعرب ، ويكثر فى الجزيرة النخيل . ووصف القزوينى حرّما فى الصيف فقال انها « أنه شىء بيت حمام حار شديدة السخونة » . ومع ذلك فقد كاتب قيس مدينة أهلة عامرة . وكانت الجزيرة على أربعة فراسخ من الساحل . وفي الساحل مرفأ هزو ، واليهما كان ينحدر فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) طريق قوافل من شيراز مارا بلاغر . وكانت هُزو حين رآها ياقوب قد حربت ، الا انها كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) قلعة حصينة لبنى بويه جعلوها محبسا لمن سخطوا عليه . وكان بالغرب من المدينة قرية يقال لها ساوبه (وجاء اسمها فى المخطوطات بصور مختلفة : تابه ، تانه . أما القراءة الصحيحة لها فغير معروفة) (١٨) .

والى الغرب من سيف عمارة ، بامتداد ساحل البحر ، سيف زهير وكانت مدينته : كران فى الداخل ومرفأ المشهوران سيراuf وتابته . وهذه الناحية كانت تمتد حتى تجریم مما يلى قم نهر سكان . ومما يلى هذه الناحية نحو الداخل ، ناحية ايراهستان . وفي ناحية كران ، على ما فى الاصطخرى ، « طين أخضر كالسلق » يؤكل « لبس فى ما علمته فى بلد مثله » . وعبد المستوفى كران من أعمال

(١٨) الاصطخرى ١١٦ و ١٤٠ : ابن حزم ١٨٨ : باقوت ٢ : ٧١١ : ٤ : ٣٣٢ و ٦٤٦ : لارسامه ٧٤ ب : المسوفى ١٧١ و ١٧٣ و ١٨٠ : القزوينى ٢ : ١٦١ .
ويلفظ اسم الجزيرة بصورة قيس وقيس وكيش .

وسرد المستوفى (ص ٢٠٠) المراحل التى فى الطريق من لاجر الى هزو . ولكن لا لم يسلطه سائح معاصر هذا الطريق ، لا يجد هذه الاسماء فى الخارطة ، فمظنها لا يعرف موسمه . وقد ذكر المستوفى ما بينها من مصافات بالفراسخ .

قال (من لاجر الى ناحية هارباب . ثم الى مدينة صبح (صبح ، صبح ، صبح ، وغير ذلك من القراءات) . ثم الى آب آباز گنار . ثم الى هرم (سيم او مرز) . ثم الى دور ورة ورافة الانعداد الى قرية داروك (داروك ، داروك دورك) . ثم الى مامان (مامان ، مامان) . ثم الى دورك الى حرد على سيف البحر . وهذه الناحية التى سماها المستوفى بغارباب ، توافق بآراب دربك لردك الى حرد على سيف البحر . وفى نصف الطريق بين الكاربان وكران ، على ما جاء فى المقدس (ص ٤٥٤) . اما مدينة صبح ، فامرأها ميهم ، اذ ليس فى الناحية بلدة بهذا الاسم . ولكن قد تقرأ : جم (الاصطخرى ١٠٦) . وسما لأستاذ عليه ان صاحب جهان نما او غيره من بلدائى العرب لم يذكرها هذا الطريق . والطاهر ان سيف بنى الصغار يواص سيف عمارة ان واذا بين ما جاء فى الاصطخرى (ص ١٤١) وما كتبه باقوت (٣ : ٢١٧) .

إيراهستان وقال ان في أطرافها لا ينمو غير النخيل . وفي جنوبها كانت ناحية ومدينة ميند ، غير بعيدة عن مرقاً نابتد . ونابتد عند رأس الخور المعروف بخور أو خليج نابتد . ويكثر في ميند ، على ما ذكر المستوفى ، العنب وفاكهة المنطقة المحارة (گرمسير) وقد اشتهرت بالمهرة من الصناعات^(١٦) .

وعلى الساحل في أعلى نابتد وإلى شمالها الغربي ، مرقاً سيراو . وكانت في المئة الرابعة (الماشرة) الفضة المظلمة في خليج فارس قبل اشتهار أمر جزيرة قيس . وذكر الاصطخري أن سيراو تقارب شيراز في الكبر والفخامة ، « وينأوهم بالساج وخشب يحمل من بلاد الزنج (زنجبار أو زنجبار اليوم) ، وأبنيتهم طبقات ، وهي على شفير البحر » . وقال أيضاً ان « أهلها يالئون في نفقات الانبئة حتى ان الرجل من التجار لينفق على داره زيادة عن ثلاثين ألف دينار » (١٥ ألف باون) . ثم قال « وأهلها أيسر أهل فارس ، ومنهم من يجوز حاله ستين ألف ألف درهم (مليوناً باون) ما اكتسبه الا من تجارة البحر » . « وليس حوالها بساين وأشجار ، وانما فواكههم وأطيب مباهم من جبل مشرف عليهم يسمى جم » . « وفي هذا الجبل قلعة عظيمة يقال لها سيران . وتكلم المقدسي على سيراو وقال انها أفضل تجارة من البصرة . وان دورها أحسن ما رأى . وحكى انه « جاءت زلزلة سنة ٣٩٦ أو ٣٩٧ (٩٧٧) فقلقتنا وحركتها سبعة أيام حتى هرب الناس الى البحر وتهدم أكثر تلك الدور وتفتطرت » . « وبذهاب دولة بنى بويه ، أخذت سيراو بالزوال . وروى صاحب فارسنامه ان آخر ما أصابها من خراب أوقمه بها ركن الدولة خمارنكين أمير جزيرة قيس ، فقد اتخذ من هذه الجزيرة مرقاً للتجارة ، ولكنه بقي ببنى سفنه الحربية في سيراو . « حين زارها ياقوت في مطلع المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، لم يبق فيها قائما غير جامعها الملبح على سوادى ساج ، وقد رآها ، وبها آثار عمارة في طرف الساحل . ولم يكن للمراكب فيها حينذاك ميناء ، فاذا قدمت اليها استأمنت في موضع يقال له نابتد . وذكر ياقوت ان أهلها يسمونها في زمنه شيلاو » .

(١٦) الاستخري ١٠٤ و ١٥٢ ؛ ياقوت ١ ، ٤١٩ ؛ ٢ ؛ ٤٨٩ ؛ ٣ ؛ ٢١٢ و ٢١٧ ؛ للمستوفى ١٧٢ و ١٧٣ ؛ أبو الفداء ٣٢٢ .

ونجيم ، ميناء قليل الشأن ، الى غرب سيرا ، وهو مما لى قم نهر سكان ، وكان فى أول سيف المظفر ، وهذا السيف كان يمتد حينذاك حتى جَنَابَة فى كورة أرتجان . وكان بنجيم حين كتب المقدسى جامعان وأسواق حسنة ، وبرك تملأ من المطر ، . وكانت ناحية الدستوران أيضا فى جملة سيف المظفر ، وكانت أجل مدنها فى المئة الرابعة (العاشرة) صفارة والظاهر ان هذه الناحية كانت بالقرب من جَنَابَة ، غير انه لا يعرف الموضع الحقيقى لمدينة صفارة^(٢٠) .

وبالقرب من حدّ كورة أرتجان ، يصب نهر شابور فى البحر . وعلى مسافة قليلة من فمه ، ولعل ذلك فوق التقاء نهر جَرَه به ، وسأتى على ذكره فيما بعد ، كانت تقوم مدينة توجّ أو توجّز ، المركز التجارى المهم . وقد كانت توجّ فى المئة الرابعة (العاشرة) تقارب أرتجان فى الكسر على ما ذكر الاصطخرى ، وهى « مدينة شديدة الحر ، فى وهدة ، وهى كثيرة التخليل ، ونوَج مدينة ذات تجارة ، يعمل بها ثياب كتان تنسب اليها ، ألوانها حسنة ، ولها طرز مذهبة . وكان نهر شابور المار على مقربة من المدينة يسمى فى الغالب نهر توجّ وقد اسكن عضد الدولة البويهى فيها عربا جاء بهم من الشام وآلت توجّ الى الخراب فى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) . اما موضعها فلم يعين حتى الآن . ولكن يقال ان المدينة كانت عند نهر شابور أو بقربه فى وهدة من الأرض على ١٢ فرسخا من جَنَابَة على الساحل واربعة فراسخ من الدرب المتحدر من دريز . وكانت توجّ من الموضع المشهورة أيام الفتح الاسلامى ويرقى زمن جامعها الى ذلك العهد . على انها كانت خرابا يبابا حين كتب المستوفى .

(٢٠) لعل ناحية الدستوران هذه توافق سيف بنى الصغار وند من ذكره .

الاصطخرى ٣٤ و ١٠٦ و ١١٦ و ١٢٧ و ١٤١ و ١٥٤ ؛ المقدسى ٤٢٢ و ٤٢٦ و ٤٢٧ ؛ تاريخه ٧٣ ب . ١٧٤ ؛ ياقوت ٣ : ٢١١ و ٢١٧ ؛ المسوى ١٧٢ .

وقد وصف خراب سيرا الكابن سييف Stiffe فى JIGS لسنة ١٨٩٥ من ١٦٦ . فلما بل راجع عن وصف خراب سيرا كتاب السر اوردل تشاين وهو أحدث وأكمل ما وقفنا عليه فى بابها وعنوانه .

Stein (Sir Aurel), Archaeological Reconnaissances in North-Western India and South-Eastern Iran. (London, 1937; pp. 202-212).

وقد عرّض هذا المؤلف بحثه عن سيرا بتفافية وصورة كثيرة لاطلال هذه المدينة الاثرية شياما بمسحه من تحرى ذلك الموضع . (م) .

وكانت مدينة الفندجان المشهورة ، في دشت بارين ، بالقرب من توج . وقد وصف فارسنامه موضع الفندجان ، ولم يبق لها أثر اليوم على ما يظهر ، بأنها على أربعة فراسخ من جرّ . و ١٢ فرسخا من توج . وتكلم أيضا على نهر جرّ . وقال انه يشق قسما من الفندجان . وكانت هذه المدينة في المئة الرابعة (العاشرة) تقارب ، على ما يقال ، اصطخر (برسوليس) أو جناية في الكبر . ويرتفع منها البسط والستور . وكانت تمتد من بلاد الجروم . ووصف المقدسي نهرا في جبال الهندستان فقال : « وبها نهر بين جبلين يخرج منه دخان لا يمكن أحدا ان يقربه ، وان اجتاز به طائر سقط فيه فاحترق » . وكان فيها أيضا عيون حارة بمدينة يرا من يشتل بمائها . وأكثر أهل الفندجان على ما جاء في المستوفى ، من صنّاع النمل والخفاف ومن الحاكّة . وفي أيامه صار اسم الفندجان يطلقه الناس على ناحية دشت بارين . وبالقرب منها قلعة حصينة يقال لها قلعة رمزان (وجاءت بصورة دمدران وغير ذلك) وفيها صهاريج كبيرة أنشئت لخرزن المياه . وناحية بوشكانات في نصف الطريق بين الفندجان ومقازة مائستان (انظر الصفحة ٢٩١) الى شمال نجيرم . وكانت هذه المقازة ، على ما ذكر المستوفى ، خالية من المدن ، الا ان الثور أهم غلاتها . لان بوشكانات من بلاد الجروم في الخليج^(٢١) .

وجزيرة خاراك^{٢٢} ، البعيدة عن فم نهر شاپور ، كانت من ضمن كورة اردشير خرة . وكانت ميناء للسفن اذا خرجت من البصرة تريد جزيرة قيس والهند . وقد زار ياقوت هذه الجزيرة وقال : « يقابلها في البر جنباه ومهرويان ، تنظر

(٢١) ذكر المقدسي وياقوت وغيرهما من المصنفين الاقدمين ، ان دشت بارين كان اسم « المدينة » والفندجان اسم « الناحية » . على ان الامر في الاصل لا يمكن ان يكون كذلك لان الاسم دشت بارين ، معناه سهل بارين ، وهذا لا يطلق على مدينة . وكثيرا ما حصل في الشرق ان يطلق على اهم مدينة في ناحية او الخليم اسم تلك الناحية او ذلك الخليم ، فيحصل جريا على هذه القاعدة (انه حين يطلق استعمال اسم الفندجان ، حل محله دشت بارين فالحق ان اسم دشت بارين على المدينة وعلى الناحية لم يفت واصل ، على ما سلكه المستوفى أيضا بعد ذلك ولكنه خالفهم في الاسم الذي اتفق للناحية والمدينة فقال انه الفندجان .

الاصطخرى ١٠٦ و ١٢٨ و ١٣٠ ر ١٥٢ و ١٥٣ ؛ المقدسي ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ ر ٤٣٥ و ٤٤٥ و ٤٤٨ ؛ فارسنامه ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ب ، ٨٢ ، ا ، ٨٦ ؛ المستوفى ١٧١ و ١٧٧ ر ١٧٩ و ٢١٨ ؛ ياقوت ١ و ١٩٦ و ٨٩٠ ؛ ٢ ؛ ٥٧٦ ؛ ٣ ؛ ٥٧٦ . وقد كان السلاطون القدماء يسمون توج في الغالب من أعمال كورة شاپور خرة .

هذه من هذه للبيد النظر . • وكانت كللها على ساحل كورة أرتجان . وهذه الجزيرة خصبة وافرة الخضرات تكثر فيها الفاكهة ويوجد فيها النخيل وفي بحرها من أحسن مفاص اللؤلؤ . وقد ذكرت مراجعنا جزرا كثيرة في خليج فارس غير هذه ، وعدته من كورة أردشير خرم . • غير ان أعظمها شأننا في التجارة ، جزيرتا خارك وقيس . اما الجزر الاخرى فليس من اليسير التحقق لها . وكانت أوائل أهم جزيرة في جزر البحرين عند الساحل العربي . وقد جاء ذكرها في أخبار الفسوحات الاسلامية الأولى . • وأول من ذكر بوشهر (بوشير اليوم) ياقوت ، ويغالها في الداخل ريشهر أو راشهر توّج على ما ذكر البلاذري . والجزيرة التي يقال لها لاوان (اللان ، ولان ، أو لار) ، هي اليوم بالاستناد الى المسافات التي أوردتها البلديون ، جزيرة الشيخ شعب في غرب جزيرة قيس . وجزيرة أبرون هي ولا شك هندرابي الحالية ، وهذه مع جين (أوخين) بالقرب من جزيرة قيس .

والجزيرة الكبرى عند مضائق الخليج التي يقال لها اليوم - كشم ، وتسمى أيضا الجزيرة الطويلة . ربما كانت الجزيرة التي أشارت اليها مراجعنا المؤلفة في الصور الوسطى ، بالاسماء المختلفة الآتية - لعل منشأ ذلك اختلاف النسخ - : جزيرة بني (أو ابن) كوان ، وجزيرة أبركافان ، وجزيرة أبركمان . وذكر ياقوت انها تسمى أيضا لاف . وكانت جزيرة خاسك ، أو جاسك ، إحدى الجزر القريبة منها ، وقد لا تكون غير اسم آخر لجزيرة كشم (الجزيرة الطويلة) . وكان « لاهلها جلادة وخبرة في حرب البحر » . وعلى ما ذكر القزويني كانوا يسلطون على السفن ويسلبون ما فيها ، وفي هذه الجزر مغلوص اللؤلؤ ، الا ان معظم هذه الجزر غير مأهول الا في مواسم الفوس . ومما يلي جزيرة كشم ، في شرقها جزيرة هرمز . وبما ان هذه الجزيرة كانت من اقليم كرمان ، فستكلم عليها في الفصل الذي عقدناه عن هذا الاقليم (٢٢) .

(٢٢) الاسطرى ٢٢ : ابن خردادبه ٦١ : البلاذري ٢٨٦ و ٢٨٧ : ياقوت ١ : ٣٦٥ و ٥٠٣ : ٢ : ٣٨٧ و ٥٢٧ : ٤ : ٣٤١ و ٣٤٢ : المستوفي ١٨١ و ٢٢٢ : القزويني ٢ : ١١٧ .

الفصل الثامن عشر

فارس «تابع»

كورة شابور خرة - مدينة ساپور وكهله - نهر دايين - النونجان - القلعة
البهاء وشعب بوان - لوم الاكراد - كازدون وبصرة كازدون -
نهر اخشين ونهر جرشيق - جره وقطرة سبولا -
كورة ارجان ومدينة ارجان - نهر طاب -
بجهان - نهر شيرين - كبله ملغان -
مهرزيان - سينيز وجنابة
- نهر الشاذكان *

كانت كورة ساپور خرة أى « بهاء ساپور » (ساپور هو التسمية العربية
للإسم الفارسي شابور ، على ما قد بينا) ، أصغر الكور الخمس فى إقليم فارس .
ولا تمتدى حدودها حوض نهر شابور الأعلى وروافده .

وكانت قصبة هذه الكورة فى الزمن القديم ، مدينة شابور . وأصل اسمها
كان بشابور^(١) . وأكثر ما كانت تعرف بشهرستان ، أى « موضع المدينة »
أو القصبة والماصمة . قال ابن حوقل : « أما ساپور فمدينة هى فى السعة نحو
اصطخر الا انها أعمر وأجمع وأيسر أهلا » ، غير ان المقدسى تكلم عليها فى

(١) جاء الاسم فى المخطوطات بوجه عام (ررعاكان ذلكمخطا) بصورة شابور (فتح الون وكسرهما) .
أما بشابور فمأصلها به شابور . وكانت مدينا وهشابور ، ومعنى ذلك « ساپور الصالح » أو « ولعة
ساپور » . و « نه » قد تصدرت أسماء أمكة أخرى أنظر : به اردشير ، أو كراشيدى فى أوائل الفصل
الحادى والعشرين .

التصف الأخير من المثة الرابعة (الماشرة) بقوله انها « اليوم قد احتلت وخرب أطرافها ... وخفّ البلد وقلّ أهلها وأذهبت كازرون دولتها » . ومع ذلك فقد كانت سابور وافرة الخيرات فيها قصب السكر والزيتون والنبّ والفواكه والازهار . ويكثر فيها البين ، الياسمين والخرنوب . وتسمى دُنيلاء وفي سورها أربعة أبواب : باب هرمز ، وباب مهر ، وباب بهرام ، وباب شهر (أى باب المدينة) . ولها جامع فى ظاهر البلد ، ومسجد آخر يسمى مسجد الخضر ، أى مسجد الياس . وقال صاحب فارس نامه فى مطلع المثة السادسة (الثامنة عشرة) ان شاپور فى أيامه قد استولى عليها الخراب . وحين كتب المستوفى بعد ذلك بقرنين ، كان اسم شاپور أو بشاپور ، قد انتقل الى كورة كازرون المجاورة لها .

والظاهر ان المسوفى ، عرف نهر شاپور باسم شهر بار رود ، وقال ان المدينة كانت تسمى دين دار ، نسبة الى مؤسسها الاول الملك طهمورث الاسطوري « مكتف الشيطان » . ثم خربها الاسكندر الكبير ، وأعاد الملك شاپور بناها فعرفت باسم بناشاپور ، على ما قال المسوفى . ثم صارت شاپور أو بشاپور . وكانت فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) وافرة الجيوب ، يكثر فيها البلور والبنفسج والياسمين والثرجس ، ويشج فيها الحرير . والى ذلك فقد أشار المسوفى الى تمثال هائل معروف للملك سابور كان فى كهف قرب أطلالها ، ووصفه بقوله انه « تمثال أسود لرجل يقف الحجم الطبيعى ، منصب فى هيكل قال بعضهم انه طئسم ، وزعم آخرون انه كان انسانا مسخه الله حجرا . وكان ملوك تلك البلاد يزورونه ، ويكرّمونه يمسح تمثاله بالزيت » . وقد سبق للمقدسى فى المثة الرابعة (الماشرة) ان نوّه بهذا الكهف وقال انه « على فرسخ من التوبندجان » . ووصف « صورة سابور على باب كهف عليه تاج » خلفه ماء وافق لا مدّ له ولا منفذ ، وتم ريج تخرج شديدة ، وتجه ثلاثة أوراق خضر . طول مشط رجله ثلاثة عشر شرا ، ومن رأسه الى قدميه أحد عشر ذراعا ، (٢) .

(٢) ابن حوقل ١٦٤ : المقدسى ٤٢٢ و ٤٤٤ : فارس نامه ٧٤ ب ، ٧٥ ا حيث حات تحفة الاسم بصورة بيشاور وبشاپور : المستوفى ١٧٥ و ١٧٦ - انظر C.A. De Bode فى كتابه Travels in Luristan لندن ١٨٤٥ ، ١ : ٢١٤ .

وكان البلديون العرب بسمون أعلى نهر شابور بنهر دنين ، ومخرجه في ناحية خمابجان أو خمابگان العليا . وكان أكبر فراها ديه علي على ما ذكر المستوفي . وكانت خمابجان السفلى تمتد من أعمال كورة اصطخر (برسوليس ، وسياتي وصفها في الفصل القادم) وهي حول البيضاء على رافد لنهر كرك . وكان في هاتين الناحيتين ، خمابجان العليا والسفلى ، ثمار البلاد الباردة كالحوز والرمان ويحمل منها الصل الجيد . وأكثر أهلها من المكارين وأصحاب البغال ، وفي غرب خمابجان ناحية أنوران ومدنتها التوبندجان ويقال لها أيضا التوبندگان أو التوبندان ، وكانت هذه المدينة ، حين كتب الاصطخرى ، أكبر من كازرون . وهواؤها جار وبكثر فيها التخيل . وتكلم المقدسى على أسواقها الحسنة العامرة ، وبساتينها ذات العيون الكثيرة ، وجامعها . وآلت التوبنجان في أيام السلاجقة الى الخراب ، ولكن الأتابك الأمير جاولي المشهور^(٣) ، قد جدد بنائها في السنة الخامسة (الحادية عشرة) .

وعلى فرسخين من التوبنجان ، بدأ الشيب المشهور الذي بعده المسلمون إحدى جبات الدنيا الأربع وهو شعب بونان . وتقع مياهه في نهر كرك في كورة اصطخر . وطول هذا الشيب ثلاثة فراسخ ونصف ، وعرضه فرسخ ونصف . وكان لا نظير له في الخصب والرخاء ، وعلة ذلك ، على ما هي المستوفي ، طبيعة الجبال التي تكثف جابه ، فانها تخزن ثلوج الشتاء فاذا ذابت صيفا أمدت الوادي بالمياه . وعلى فرسخين من شمال شرقي التوبنجان التحصينات الجبلية المروقة بقلة سفيد أي القلعة البيضاء ، واسفيد دز - أي قلعة اسفديار ، وهي على ظهر جبل دوره عدة أميال وجافته حادة قائمة الانحدار . ولعل المقدسى قد أشار اليه باسم قصر أبي طالب الذي يقال له « عيان » على ما ذكر . وقال صاحب فارس نامه ان قلعة سفيد قد جدد بنائها أبو نصر وهو من أهل تيرمردان ، في أوائل عهد

(٣) كان الأمير جاولي (بالجيم الشلقة) يكتب غالباً جاولي (بالجيم) وقد ورد اسمه كثيراً في فارس نامه والمستوفي ، مفرزاً بها جده من معدن وفلاج في إقليم فارس ، ربما إنشاء من سدود في الانهار ، حاكم إقليم فارس من السلطان محمد السلجوقي . وقد لقب الأتابك جاولي ستاقوره (وعباده الباز) بفخر الدولة . ومات في سنة ٥١٠ هـ (١١١٦) بعد أن حكم اقليم كرمان وفارس زماء عشرين سنة .

السلاجقة ، ثم صارت فى أيدى عاملهم فى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) . ولا يرتقى الى قمة الجبل البالغ محيطها عشرين فرسخا ، الا بدرب واحد وكان يحمى أسفل هذا الدرب حصن يقال له ذلك تشناك ، وكانت هذه القمة منبسطة السطح ، فيها عبور كثيرة وبساتين وافرة الفواكه . ومحاصرة تيمور لقلمة سفيد فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قد أكسبتها شهرة تاريخية . فانه فى مسيره من بهمان الى شيراز استولى عليها عنوة بعد تضيق الخناق عليها ومقاتلتها يومين كاملين وذلك فى ربيع سنة ٧٩٥ (١٣٩٣)^(٤) .

وعلى مرحلة من شرق النوبجان فى الطريق الذاهب الى شيراز ، تقع تيرمردان . وهى بلدة حولها ست قرى ، أجملها كرجن أو جركن وهى على خمسة فراسخ من النوبجان . وكان رستاقها وافر الماء خصب عامر ، يحمل منه عدل كثير . ومدينة اسوران من هذه الكورة وهى فى غرب النوبجان فى الطريق الى أرتجان . وتجاورها أيضا ناحية باشت قوطا وقصبها باشت وما زالت قائمة . ويشق هذه الاراضى نهران هما درخيد والخوبندان . وعلى ضفاف نهر خو راواذان ، ويقال له أيضا الخوبندان ، مدينة تعرف باسمه على اربعة فراسخ من النوبجان . وكانت مدينة الخوبندان فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة آهلة ، لها جامع وأسواقها عامرة . وعلى أربعة أو ستة فراسخ غرب هذا النهر ، وعلى مرحلتين من النوبجان ، كانت المدينة الصغيرة درخيد ، على نهر درخيد ومخرج هذا النهر فى بحيرة صغيرة ، ويرى بعضهم انه يصب فيها . وقد جاء فى الأخبار ان نهر درخيد واسع عريض فلا يسير . ونهر الخوبندان رافد من روافد نهر شيرين ، ويسمى وصف هذا النهر فى الكلام على كورة أرتجان . وكان على نهر الخوبندان أو نهر درخيد قنطرة عظيمة بناها رجل يسمى أيا طالب النوبجاني يانى قلمة عيان وقد مر ذكرها فى الفترة السابقة . ولم يتفق الاصطخرى

(٤) الاصطخرى ١١٠ و ١١١ و ١٢٠ و ١٢٧ : القسسى ٤٢٤ و ٤٢٧ و ٤٤٧ : فارس نامه ٧٦ ب ، ٨٢ ا ٧٨ ب : المسنوى ١٧٧ و ١٧٨ و ٢١٦ : على البزدي ١ : ٦٠٠ .
وجاء فى المخطوطات مسود مختلفة لاسم القلمة السفلى ، وهى ذكرى شكنان وأسناك . وعلمة سميد وصفها وصفا حسنا ، مكذوبا له كينر Macdonald Kinneir فى كتابه Persian Empire ص ٧٣ .

والمقدس على أى النهرين كانت تقوم هذه القنطرة الشهيرة . وقد زاد المصنفون المحدثون هذا الموضوع التباسا وارتباكاً ، حين أعطوا أسماء مختلفة لهذين النهرين ، فصار من الصعب علينا الآن ان لم يكن مستحيلاً ، معرفة أى من هذين النهرين هو الذى تميّنه خوارطنا . وقد وصف المقدس هذه القنطرة فقال : « وجسر أبى طالب عمل فى هذا العصر ، يعجز عن مثله كل بناء بالشام وأقور »^(٥) . فكان بناؤها فى النصف الآخر من المثة الرابعة (العاشرة) ، والمظاهر ان ياقوت الحموى أشار فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) الى انها ما زالت باقية . وقد ذكر علي الزيدى كثيراً من هذه المواضع فى وصفه مسير تيمور لك من بهمان الى شيراز^(٦) .

وفى هذا القسم الجبلى من فارس ، وقد عرف بمدنئد بجبل جيلويه ، قبائل الأكراد الخمس ويقال لها زم الأكراد ، وكانت فيها فى المثة الرابعة (العاشرة) مراعيهم ومنازلهم . وتكلم المقدس على قلعة لهم فى الجبل قرب منازلهم ، « لها رستاق ونهر وهى وسط الجبال ذات بساين وتخيّل وفواكه وخيرات »^(٧) .

ومدينة كازرون ، أضحت منذ النصف الأخير من المثة الرابعة (العاشرة) حين خربت سابور ، أجل مدن كورة سابور . ووصفها ابن حوقل بقوله انها فى أيامه أصغر من التوندجان ، حسنة البناء وبيوتهم من جص وحجارة . وأشار إليها المقدس بـ « بزمين قليل » فقال هى « دمياط الأعاجم » وكانت واسعة التجارة ، تصل فيها ثياب الكتان ، وقد بنى عضد الدولة [البويهى] داراً لجمع

(٥) يريد المقدس بـ « أقور » إقليم الجزيرة . (م) .

(٦) تبتاين لهجة الأسماء بتاينا كثيراً . فغفروا وإذان اختصر الى الغريدان . وكتبه بعضهم بصورة خرابدان وصادان وخاودان . أو خاوران على ما فى على الزيدى . وكتب اسم درخيد بصورة درغويد ، إلا ان تحول (على ما جاء فى المقدس) ربما كان من وهم النساخ ليس إلا .

الاستغرى ١١٠ و ١٢٠ ؛ المقدس ٤٣٥ و ٤٤٠ . فارس نامه ١٧٦ ب ، ١٧٩ أ . ٢٠٢ على المستوفى ١٧٦ و ٢١٨ ؛ ياقوت ١ : ٩٠٥ ؛ ١٨٧ ٢ ؛ ٨٢٨ ٣ ؛ ابن الأثير ٨ : ١٢٢ و ٢٠٢ . على الزيدى ١ : ٦٠٠ .

(٧) الاستغرى ٩٨ و ١١٣ ؛ المقدس ٤٣٥ ؛ ياقوت ٢ : ٨٢١ ؛ المستوفى ١٧٦ و ٢٠٦ . معنى زم بالكردية « قبيلة » (وأصح وجه لكثافتها « زمه ») وقد وردت هذه الكلمة خطأ بصورة دم . انظر : ترجمة البرونسور دي غويو لابن خردادبه . ص ٢٣ الحاشية .

فيها السامرة ، دخلها على السلطان كل يوم عشرة آلاف درهم ^(٨) ، (أى أربعائة باون) • ووصف المقدسى دور المدينة فقال انها كانت كلها قصورا لها بساتين « والجامع على تل يصعد اليه » • وذكر المستوفى ان كازرون كانت تتألف فى الاصل من ثلاث قرى متجاورة ، هى : نورد ودريست وراهشان ، أنشئت على قتي بهذه الاسماء وظل شرب أهلها من هذه القتي التي صارت من ضمن أحياء المدينة • وتمور كازرون فاخرة لاسيما المعروف منها بجيلان • وكان يحصل منها ثياب قطن تسمى الكرباس • ويقال لمراعيتها المشهورة مرغزار نرگس أى مراعى الترجس • وكان ما حولها يعرف ببلاد شول على ما ذكر ابن بطوطة وقد مرّ بها سنة ٧٣٠ (١٣٣٠) • وهى اليوم تعرف بشولستان • وكان فى السهل ، على شىء يسير من شرق المدينة ، بحيرة كازرون وكان يقال لها فى المئة الرابعة (العاشرة) بحيرة حوز ^(٩) ، أو مورك (وقراءة الاسم غير مضبوطة) طولها نحو من عشرة فراسخ • وماؤها مالح وفيها صيد كثير • • والدريان المشهوران فى الطريق الذى فوق البحيرة الصاعدان الى شيراز ، والمعروفان اليوم عند المسافرين باسم كلال يير زن (درب المرأة المجوز) وكتال دختر (درب البنت) قد سمى المستوفى أولهما هوشنگ وهو على ثلاثة فراسخ من كازرون ، والثانى مالان وهو فوقه وكلاهما شديد الانحدار ^(١٠) •

والطرق المتحددة الى الساحل البحرى من كازرون تمرّ بدريز الى كمارج ثم تمرّ بخشت على نهر سابور الى توجّ وقد مرّ وصفها فى الفصل السابق (ص ٢٩٥) • وكانت دريز مدينة صغيرة • وكان بها فى المئة الرابعة (العاشرة) « صناع كتان كثير » • وخشت تليها ولها قلعة حصينة على ما جاء فى المقدسى ، ولها رستاق واسع • وورد ذكر خشت وكمارج فى فارس نامه سوية • ووصف

(٨) هذا نص المقدسى ، أما المؤلف فقد وهم بنقله • فقال « دخلها على السلطان كل ستة عشرة آلاف درهم » • (م) •
(٩) ذكرها الاسطخري (ص ١٢٢) بصورة : بحيرة توز • (م) •
(١٠) الاسطخري ١٢٢ : ابن حوقل ١٩٧ : المقدسى ٤٢٣ : المستوفى ١٧٦ و ١٨٠ و ٢٠٠ و ٣٦٦ • جاءت أسماء الاحياء الثلاثة فى كازرون بصور مختلفة فى نسخ خطية أخرى للمستوفى : نور ، دريست ، وريسان أو ريسان - ابن بطوطة ٢ : ٨٩ • وقد جاء فى فارس نامه (الورقة ٨٠ ب) اسم لبحيرة « مور » فى غابة الوضوح • ويقال لها أحيانا درياه شور « البحيرة الملحة » •

المستوفى أهل هذين الموضعين برداة الخلق وقال انهم لصوص دهاء .

وعلى شيء يسير أسفل من خشت ، يستقبل نهر سابور في يساره مياه نهر جرّه ، وهو الذى عرفه البلدانون العرب بنهر جرشيق . وهذا النهر قبل التقائه بنهر سابور بضمة أميال ، يقع فى يساره نهر صغير سموه نهر اخشين . ويخرج نهر اخشين من خلال جبال ناحية داذين . وماء هذا النهر ، على ما فى الاصطخرى ، عذب « يشرب ويسقى الاراضى » . وإذا غسل به ثياب خرجت خضرا . « واما نهر جرشيق فانه يخرج من جبال فى جنوب جرّه فى رستاق ماصرم (وعلى ما فى المستوفى ، كانت ماصرم ناحية تمتد من هذا النهر شمالا حتى أعلى نهر سكان) . وقيل أن يبلغ مدينة جرّه « يجرى تحت فطرة حجارة عادية [أى عيقة] تعرف بفطرة سيوك » . ثم يسقى هذا النهر رستاق داذين . وأخيرا بعد أن يستقبل نهر اخشين يقع فى نهر سابور على شيء يسير فوق توج . وذكر فارس نامه والمستوفى ان البلاد التى عند أعلى نهر جرّه قرب مدينة جرّه ، تؤلف قسما من رستاق الفندجان وهذا الخبر بقودنا الى معرفة موضع دشت بارين ، وقد مر بنا القول فى صفحة سابقة انه من أعمال كورة أردشير خرم . ووصف المقدسى مدينة جرّه فقال انها « على رأس جبل ، كثيرة النخيل » . وقال ياقوت ان العامة تقول لها فى أيامه « كرتة » . وقد أيدى ذلك صاحب فارس نامه والمستوفى . وقد أشارا أيضا الى قمحها وتخلها والى شدة خصب رستانها^(١١) .

أما كورة أردجان فهى أبعد كور فارس الخمس غربا . وقصبتها مدينة أردجان فى أقصى حدها الغربى على نهر طاب . ونهر طاب يؤلف فى هذا الجانب الحد الفاصل بين اقليسي فارس وخوزستان . وأطلال أردجان على بضمة أميال من شمال مدينة بهبهان الحالية التى انتقل اليها أهلها وصارت أهم مدن هذه الكورة منذ ختام الملة السادسة (الثانية عشرة) .

وكانت أردجان فى الملة الرابعة (العاشرة) مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل كثير وزيتون . « وكان عليها ستة أبواب تطلق كل ليلة ، وهى : باب

(١١) الاصطخرى ١٢٠ و ١٢٧ و ١٥٢ ؛ المقدسى ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٣٥ ؛ فارس نامه ٧٥ ب ز ١٧٦ . ٧٩ ب ؛ المستوفى ١٧٦ و ١٧٧ و ٢١٨ و ٢١٩ ؛ ياقوت ٢ : ٣٦ و ٦٧ .

الاهواز ، وباب ديشهر ، وباب شيراز ، ثم باب الرصافة ، وباب الميدان ، وأخيرا باب الكيالكين . وبها جامع حسن وأسواق عامرة . وفى المدينة يعمل الصابون . وكان قرب أرتجان قطرتان مشهورتان من حجر على نهر طاب تمبرهما الطريق الذاهبة الى خوزستان ، وما زالت بقاياهما شاخصة ، ويقال ان احدهما تسبب الى الدبلعى طيب الحجاج ، عامل بنى أمبة على العراق . قال الاصطخرى فى وصفها « هى طاق واحد سمة الطاق على الارض ما بين العمودين نحو ثمانين خطوة وارتفاعه مقدار ما يجوز فيه راكب الجمل بيده علم من أكبر ما يكون . » وكانت هذه القنطرة ، وتعرف بقنطرة تكان ، على رمية سهم من مدينة أرتجان فى الطريق الى سنبل . أما القنطرة الثانية فكان طولها أكثر من ٣٠٠٠ ذراع ، وهى من بناء الساسانيين . وتعرف بالقنطرة الكسروية ، وكانت فى الطريق الذاهب الى قرية دهلزان . وفى جبل قرب أرتجان كهف قال القزوينى فى وصفه « ينبع منه الموميا الجيد ، وله خواص طبية وفى أرتجان أيضا بئر لا قرار لها يقال لها بئر صاهك « يفور الدهر كله منها ماء » يسقى تلك القرية حتى فى أجف أيام الصيف .

وفى مطلع المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ذكر المستوفى ، ان أرتجان كان يسميها العامة أرتخان أو أرغان . وأشار علي البزدى فى نهاية هذه المثة الى نهر طاب باسم آب أرغون . وعلى ما جاء فى المستوفى ، قاست أرتجان كثيرا من الاهوال حين استولى عليها فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) الاسماعيليه (وهم الحشيشية أصحاب شيخ الجبل) . ولم يَقْطَعْ لها ان تستمد ازدهارها الاول . وقد كان للاسماعيلية قلاع فى قم الجبل المجاور لها اسم احداها قلعة طينفور والآخرى ذككلات . وكثرا ما كان رجال هذه القلاع يزلون الى المدينة فنهبون ما فيها وما فى رستاقها . ثم ان أرتجان فى النصف الاخير من المثة الثامنة (الرابعة عشرة) استحوذ عليها الخراب وقام مقامها بعد وقت قصير مدينة بهبهان وهى على نحو من سنة أميال أسفل منها على نهر طاب . ولم يذكر أحد من البلدانين العرب اسم بهبهان . وأول من ذكرها علي البزدى فى وصفه مسير تيمور من الاهواز الى شيراز فى ربيع سنة ٧٩٥ (١٣٩٣) . وصارت بهبهان منذ هذا

النارنج أجل مدينة في هذه الناحية التي كانت تعرف قلا بكورة أرتجان^(١٢).
والنهر الذي سماه البلدانون العرب نهر طاب ، يقال له اليوم جراحية
وجراحی أو نهر كردستان . أما الاسم « طاب » فانه اليوم انتقل اعتباطا الى أنهار
خيراباد وهي رواند نهر هندیان أو نهر زهرة الذي يصب في خليج فارس عند هندیان
وهو غير نهر طاب . فقد كان مخروج طاب في القرون الوسطى ، ان أخذنا بما
ذكره الاصطخرى والمقدسي ، في جبال جنوب غربی اصفهان بقرب البرج
مقابل سميرم في كورة اصطخر . ثم ينحدر الى ناحية يقال لها السردن في
خوزستان . وكان يلتقي بيسار طاب نهر مسين ، وقرية مسين تقع بالقرب من
اجتماعه به ، ثم يجري النهران المتحدان الى أرتجان . وأصل هذه المدينة يسمى
طاب رساق ويشهر ثم يتجه جنوبا ويقع في البحر غرب مهربوان . وينح نهر
مسين المار الذكر في جبال قرب سميرم أيضا ويسر بموضع يقال له سيسخت قبل
التقاء بطاب على ما ذكر صاحب فارس نامه والمستوفي . ويقال ان طوله اربعون
فرسخا وعرضه من السعة ما لا يسهل معها عبوره . وكان بالقرب من أعلى نهر
طاب ، بلاد شاپور أو بلاساپور . وقصبتها تسمى جومة وهي على الحد بين فارس
وخوزستان . وكان رستاق بلاساپور شديد الخصب ، غير ان الزراعة فيه أيام
المستوفي قد اندمست . وكان يامتداد مجرى طاب ، على ما في فارس نامه ، كورة
قبا حرة . غير ان جميع المصنفات القديمة تطلق هذا الاسم على الكورة التي
حول كاززين على ما جاء وصفه في الصفحة ٢٨٩^(١٣) .

(١٢) الاصطخرى ١٢٨ و ١٢٤ و ١٥٢ : ابن رسته ١٨٦ ابن خردادبه ٤٣ : المقدسي ٤٢٥ :
الفرهسي ٢ : ٩٤ و ١٦٠ : المستوفي ١٧٧ و ١٧٨ : علي البيزدي ١ : ٦٠٠ .

وقد ذكر صنيع الدولة في كتابه « مرآة البلدان » (المطبوع بالسجهر في طهران سنة ١٢٦٤ هـ ،
فيجلد الاول ص ٣٠٦) ان اول من نزل ببهبان باسم تيسور عشائر الكومكول البغوية وقد انقلوا
اليها من الكورة . ومن اخلال أرجان والقطرقي المروفيين اليوم باسم بل بكم ويل دختر « اي تنطرة
السيدة والقطرقة البنت » وابع De Bode في كتابه Luristan ١ : ٢٩٥ و ٢٩٧ . وغالبا ما
ذكرت المخطوطات اسم القطرقة الاول بصورة لنطرة وكان أو تكان . والى ذلك فقد ذكر ابن حوقل
(ص ١٧٠) جسرا من خشب فوق نهر طاب ، مقلدا بين النساء والماء ، وبينه وبين الماء نسو
عشر اذرع » .

(١٣) الاصطخرى ١١٩ : المقدسي ٢٤ و ٤٢٥ : فارس نامه ٧٧ ب ، ١٧٨ ، ١٧٩ : المستوفي ١٧٦
و ١٧٧ و ٢١٨ .
والظاهر ان البلدانين العرب قد خلطوا بين أعالي نهر أرجان (طاب) وروافده (مسين) وبين

وفى أسفل أرتجان ، بدور نهر طاب ، على ما قد بينا ، حول رستاق ريشهر (فلا يلتبس اسم هذا الرستاق بريشهر بوشير المار الذكر فى صفحة ٢٩٧) وما عدا ريشهر ، فقد كان هنا فى نصف الطريق بين ارجان ومهروبان ، مدينة يقال لها دريان (وكذلك ديرجان أو درجان) وقد كان بها فى السنة الرابعة (العاشرة) أسواق عامرة ورستاقها خصب كثير الخبرات . ودام شأن ريشهر فى أيام السلاجقة . وتكلم صاحب فارس نامه على قلعتها وقال ان السفن كانت تصنع فيها . وذكر المستوفى ان الفرس عرفوا الموضع باسم يربان وقال ان اسمها الأول كان ريشهر . وفيها تعمل ثياب الكتان ، ولأهلها تجارة واسعة مع موانئ الخليج . والبحر فيها صيفا شديد مؤذ فيصعد أهلها الى دزكلات وهى على فرسخ منها . وقد بنا انها كانت قبل من قلاع الاسماعيلية . وبالقرب من ريشهر بلدة هنديجان وهى مدينة ورستاق على نهر أرتجان الاسفل وحكى المقدسى ان هنديجان ، أو هندوان ، كانت سوقا عظيمة للسبك ولها جامع حسن . وفى رستاق هنديجان بقايا بيوت نار وأرجاء من الزمن القديم . وبها الى ذلك ، على ما يقال ، « دفاتن كما فى أرض مصر » وتكلم القزوينى على بشر « يعلو منها دخان لا يتهاى لاحد أن يقر بها ، واذا طار طائر فوقها سقط محترقا » . وأخيرا ، جيس ، وهى مدينة فى هذه الكورة فى الطريق الى شيراز ، كان فيها مأسر أيام بنى سلجوق (١٤) .

وكانت الجبال دكان ، وتلفظ أيضا الجبال دجان ، ناحية قرية منها بين أسافل نهرى طاب وشيرين . ويخرج نهر شيرين - الماء الحلو - فى جبل يسمى جبل دينار فى ناحية بازرنج أو بازرنك . ويشق ناحية فرزك وهى على أربعة فراسخ

الانهار التى هى على ما تعلم الفروع العليا لنهر كارون . وما يلاحظ أيضا ان نهر ارجان لى اسمله قرب خليج فارس فند تكثر مجراه على ما يظهر من الملة الرابعة (العاشرة) وقد مال المقدسى انه يقع فى البحر قرب سيليز . ولعل ذلك من وهم النساخ لا غير بدلا من « قرب [نهر] تستر » اى ايش جيبيل .

(١٤) الاسطخرى ١١٢ و ١١٣ و ١١٩ و ١٢١؛ المقدسى ٤٢٢ و ٤٢٦ و ٤٥٢؛ فارس نامه ١٧٨ - ما؛ المستوفى ١٧٧ و ١٧٨ ؛ ياقوت ٤ ، ٩٦٣ و ٩٩٤ ؛ القزوينى ٢ : ١٨٦ - الطاهر ان هنديجان وهندوان وهنديان يشير كلها الى موضع واحد . وقد أوردت المخطوطات سمورا كثيره لما يحتل ان يكتب به اسم جيس . بجاء ، خيس ، جيس ، جنس ، ولد كانت مرحلة بريد على ما ذكرت كتب المسالك .

من جنوب شرقي أرتجان • وذكر علي الزدي ان تيمورلنك ، في مسيره من بهبهان الى شيراز ، عبر نهر شيرين بعد مغادرته بهبهان يوم ، ثم وصل بعد أربعة أيام الى نهر خاودان (وقد مر ذكره في الصفحة ٣٠٩ باسم : الخوبدان) • ثم سار منه الى النونجان • وقد مر بنا ان الخوبدان رافد لنهر شيرين ، وهذا الأخير يطابق ، على ما يظهر ، النهر المعروف اليوم في أعاليه باسم نهر خيراباد (مع روافده الكثيرة) وفي أسفله باسم نهر زهرة وهو ما تسميه الخوارط الحديثة بنهر طاب أو هنديان • وكان على أحد روافد نهر شيرين ، كبد ملتان ، وهي موضع ذو شأن في الطريق من النونجان الى أرتجان ، ويقال لها اليوم دوكنبدان « أئى التبان » وترى فيها خرائب واسعة • وكان بجوارها جبل دبنار وناحية بازرنك على ما مر بيانه • وكذلك صرام ، حيث يقسو الجو في الشتاء • ولا يفارق الثلج قمم الجبل المجاور لها حتى في الصيف • على ان مدينة كبدملتان كانت من بلاد الجرم ومشهورة بنخيلها • ويلفظ اسمها أيضا بصورة كبد ملتان أو ملقان • وتكلم المقدسي في المئة الرابعة (العاشرة) على القرية هنا وقال هي خربة • وذكر صاحب فارس نامه في مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) هذه المدينة الصغيرة وقال : كان بحميتها قلعة يحزن فيها ما يكفى من المؤونة لاحتياجها مدة ثلاث أو أربع سنوات • وكانت تكلل رؤوس الجبال المجاورة قلاع أخرى مثلها ، نذكر منها بوجه خاص قلعة خنك • وقال المسنوفى ان الناحية القريبة منها كانت تعرف باسم پولبولو ، (وجاءت في بعض المخطوطات بصورة : پوللولو) وقد كانت ناحية عظيمة الخصب معروفة بمشمشها الجيد • وقال ان قلعة كبدملتان كانت من المنة والقوة بحيث يتمكن رجل واحد فيها من ان يصد جيشا^(١٥) •

وغير بعيد من قم نهر شيرين - وهو نهر طاب الحديث أو زهرة ، على ما

(١٥) الإسفخرى ١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٩ و ١٢٠ : المقدسي ٤٣٥ : فارس نامه ٧٦ ب ، ١٧٧ ، ٧٨ ب ، ٧٩ ا ، ٨٣ ب ، ٨٥ ب : المسنوفى ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ٢١٨ : ياقوت ٣ : ٤٢٥ : ٦٣٠ : علي الزدي ١ : ٦٠٠ : حافظ ابرو ٣٦ ب : De Bode : لورسان ١ : ٢٥٨ • يقوم اليوم في شمال دوكنبدان القلعة المروية بقلعة آرو ، ولعلها هي التي جاءت في فارس نامه باسم شنك •

قد يتنا - ميناء مهروبان ، على حد فارس الغربى • وكانت أول فرصة تصلها السفن الذاهبة الى الهند بعد خروجها من البصرة وفيض دجلة ، ومهروبان تعدّ فرصة أرجان • وكانت فى المئة الرابعة (الماشرة) مدينة أهلة لها جامع حسن وأسواق عامرة • قال المستوفى ان الفرس يسمونها ماهي رويان أو مهروبان • ويصل فيها الكنان ويحمل منها الثمر ، غير ان الملاحة وسير السفن أهم مورد لاهلها • وفى سنة ٤٤٣ (١٠٥٢) بلغ ناصر خسرو مهروبان ووصفها فقال : هى مدينة على ساحل البحر فى جانبه الشرقى ، أسواقها عامرة ، مسطور على مسجد الجاهل اسم يعقوب بن اللبث الصفار • ويحفظ أهلها الماء فى حياض وبني بها ثلاثة ربط ينزل فيها من قصد أرجان من المسافرين • وتجارها عظيمة • ولى مهروبان شرقا على ساحل الخليج من أسفلها ، سينز أو شينز ، وبقاباها عند سيف يقال له اليوم بندر ديلم • وقد وصف الاصطخرى فى المئة الرابعة (الماشرة) هذه البلدة فقال انها أكبر من مهروبان • وهى على خور صغير ، فتكون المدينة على نصف فرسخ من البحر • وهى • شديدة الحر ، وبها تخيل وما يكون فى الجروم من الفواكه • • وقال المقدسى لها جامع ، ودار الامارة • وأسواقها عامرة جيدة • وذكر يافوت ان القرامطة فى سنة ٣٢١ (٩٣٣) أغاروا على سينز فقتلوا أهلها وخرّبوها ولم يبق الا اليسير • أما فارس نامه فى المئة السادسة (الثانية عشرة) والمستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقالا انها ما زالت مدينة عامرة مزدهرة يزور فيها الكنان وينسج • وكان يحى هذه الفرضة قلعة (حصار) • وكان زيت المسارج يحمل من رستاقها الى الاقلاق^(١٦) •

وفى جنوب سينز كانت جنبابة (أو جنبابا) ، وما زالت خرابها ترى • وهى بالقرب من فم النهر الذى سماه البلدانون العرب الشاذكان • وجنبابة على ما فى الاصطخرى ، شديدة الحر ، وخور جنبابة • مكان مخوف لا تكاد تسلم منه سفينة عند هيجان البحر • • وهى أكبر من مهروبان ولها أسواق عامرة وفيها ولد أبو طاهر القرمطى • والفرس يعرفونها باسم كنفه أو آب كنده لملائها القدر •

(١٦) الاصطخرى ٣٤ و ١٢٨ • المقدسى ٤٢٦ ؛ ناصر خسرو ٩٠ - [١٠٠ من الترجمة العربية] ؛ يافوت ١ : ٥٠٢ ، ٣ ، ٢٢١ ؛ فارس نامه ٧٨ ب ، ٧٩ ؛ المستوفى ١٧٨ •

ومن أعمالها أربع قرى على سيف البحر مجاورة لها • أما نهر الشاذكان فإنه يخرج من ناحية بازونك ويسقى سهل الدسفقان ، ثم يقع فى البحر • وغير واضح أى نهر يطابقه فى الخارطة الحديثة • على أنه ولا شك أحد النهرين الصغيرين اللذين بثمان فى خليج فارس قرب جنابة • ويحسن بنا أن نذكر أن هذه الناحية خالية من أنهار كبيرة ، وإن قال المستوفى أن نهر الشاذكان « نهر كبير لا يهون عبوره ، طوله تسعة فراسخ » لأنه كان يتصوره نهرا على شئ من الكبر^(١٧) •

(١٧) الاصطلاح ٣٢ و ٣٤ و ١١٩ و ١٢٨ ؛ المقدس ٤٢٦ ؛ فارس نامه ٧٨ ب ؛ المستوفى

١٧٨ و ٢١٨ •

الفصل التاسع عشر

فارس «تابع»

كورة اصطخر ومدينة اصطخر اى برسيوليس - نهر الكر وبلوار - بعيوة البختان
وما حولها من مدن - سهل مرو دشت - البيضاء وماين - كوشك لرد -
سريق ويزدخواست - الطرق الثلاث من شيراز الى اصطهان -
ابرلوه - يزد : لاحتها ومدنها - ناحية
الرولان ومدنها - شسهر بابك
وهرة *

تشمل كورة اصطخر جميع القسم الشمالى من اقليم فارس * وكانت هذه
الكورة فى القرون الوسطى ، على ما قد بئنا ، تشتمل على يزد والمدن والرسانيق
الغرية منها مما يكون فى حد المفازة الكبرى * ومدينة هذه الكورة كانت اصطخر
على ما قد سمي به العرب المدينة الساسانية التى كانت تعرف عند اليونان باسم
برسيوليس *

وتقوم مدينة اصطخر على نهر بلوار ، على بضعة أميال فوق اقترانه بنهر
الكر* ، وعلى مسافة يسيرة غرب بقايا القصور الاخمينية المظلمة * وفى أيام الفتح
الاسلامى كانت اصطخر من أجل مدن فارس الساسانية ، ان لم تكن أجلها ، وكان
أخذها صلحا بمعاهدة * وصفها ابن حوقل فى الملة الرابعة (العاشرة) فقال :
« سعتها مقدار ميل * وكان فى قديم الايام على اصطخر ، سور قد تهدم » ،

• وقنطرة خراسان خارج من المدينة ، على بابها ، ولا يعرف لم سميت هذه القنطرة بذلك • وهي قنطرة فخمة حسنة ، وادها أبنية ومساكن تكتنفها البساتين ، وفيها كبر من الرز والرمال • ولم يزد البلدانون العرب الآخرون شيئا على ما قاله ابن حوقل ، كما ان المصنفين المسلمين لم يذكروا شيئا مقبدا عن القبور والابنية الاخمينية المشهورة التي ينسبونها عادة الى جمشيد والملك سليمان • وقال المستوفى ان حراب اصطخر (ويصغ أن يشر اليوم على معالم المدينة الاسلامية) سبه الفن الهوجاء التي نشبت فيها ، فاضطر أخيرا صمصام الدولة ابن عضد الدولة البويهى الى أن يرسل اليها جيشا بقيادة الأمير قتلмыш ، فى النصف الأخير من المئة الرابعة (العاشرة) ، فكان مصيرها الدمار والخراب • ونضالت اصطخر منذ ذلك الحين وأمسث قرية لا يسكنها أكثر من مئة انسان على ما ذكر صاحب فارس نامه فى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) •

وتكلم الجبال التى فى شمال غربى المدينة ، ثلاث قلاع ، هى : قلعة اصطخر بار (صدين اصطخر) ، وقلعة شكسته (القلعة المنكسرة) ، وقلعة شكوان • وكان يطلق عليها جملة سى كيندان (أى القباب الثلاث) وكان يرفع الماء الى أولى هذه القلاع من غور عميق فى الجبل ، أنشئ فيه سد • وعمل عضد الدولة البويهى فى هذه القلعة حياضا عظيمة ترتفع على عشرين سارية ، يكفى ماؤها ألف رجل اذا ما ضرب الحصار عليها مدة سنة • وكان قرب هذه القلاع نوق الجبل ، ميدان لتدريب الجند ، أمر بعمله وانشائه عضد الدولة أيضا^(١) •

ونهر بلوار - وسماه البلدانون العرب فرواب ، وكتبه الفرس بمسودة يرواب - يخرج فى شمال أوجان أو أزجان عند قرية قَرَوَاب فى الجويرقان • فيجبرى أولا الى الشرق ، ثم يدور الى الجنوب الغربى فوق بازاركرد Pasargadae عند قبر كورش • وقد سعى المسلمون هذا القبر بمشهد أم سليمان (مشهد ادر سليمان) • ثم يخترق النهر غور اصطخر فيمر بهذه المدينة

(١) البلاذرى ٣٨٨ : ابن حوقل ١٩٤ : القندس ٤٣٥ : فارس نامه ٦٧ ب ، ٨١ ب ، ٨٣ : المستوفى ١٧٢ و ١٧٤ و ١٧٨ و ١٧٩ : سافط ابرو ٨٥ ب •
ما زالت ترى امثال القلاع الثلاث • وقد زار احدنا J. Morier انظر : Second Journey Through Persia (لندن ١٨١٨) : ص ٨٣ - ٨٦ : دي بود : لرسان ١ : ١١٧ •

ویدخل سهل مرو دشت حيث يسقط في نهر الكر على مسافة قليلة فوق السد العظيم المسمى بند أمير . ومخرج نهر الكر في ناحية كروان على شيء بسير جنوب أوجان ، فهو لا يبعد عن مخرج نهر بلوار ، لكنه يتجه في أوله اتجاهها ماعكسا له . ويجرى نهر الكر نحو الشمال الغربي ، ويدور دورة عظيمة ، جاريا تحت فطره شيريار وهي في الطريق الصيفي من شيراز الى اصفهان في ناحية الأرد . ثم يتجه الكر جنوبا فيمر قرب قرينى كورد وكلاّء ثم يميل الى الجنوب الشرقي فيستقبل رافدا من شعب بوان (أنظر صفحة ٣٠٠) وشق ناحيتي راجرد وكام فيروز . ثم يخترق سهل مرو دشت حيث يستقبل في يساره نهر بلوار ويسقى ناحيتي كربال العليا وكربال السفلى . ثم يمر قرب القرية الكبيرة المسماة "خرمة" ويقع في بحيرة البختكان بين ناحية جفوز في الجنوب وناحية كاسكان في يساره .

وقال صاحب فارس نامه وغيره من المصنفين الفرس ، ان نهر الكر ، يعرف في أعلاه باسم رود عاصي ، لأنه وان سكر ماؤه بسكر (بند) ، الا ان مائه عصى عن سفى الارض فلم ينتفع به . وأول هذه السدود التي على الكر ، يعرف ببند "مجرّد" . وقد كان هذا السد من الزمن القديم ، فلما انهار أعاد بناءه الانابك فخر الدولة جالوى ، في مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) وسماه فخرستان نسبة اليه . وكان يعرف بذلك في زمن حافظ أيرو أيضا . وسكر نهر الكر أسفل اقتران نهر بلوار به ، بند أمير المشهور أو البند العضدى ، ويعرف قسم من هذا السكر أيضا باسم سكر فنا خسرو خرم . وهذه الاسماء كلها منسوبة الى عضد الدولة البرهوى الذى أنشأ السكر لیسقى ناحية كربال العليا . وقد كان هذا البند من عجائب فارس على ما ذكر المقدسى ، وهو من أهل ذلك الزمن : قال : « قد سكر عضد الدولة النهر بحائط عظيم جعل أساسه بالرصاص ، فتبحر الماء حوله وارتفع فحصل عليه من الجائين عشرة دوايب وتحت كل دولا ب رجا وجر الماء في قنى فاسقى ثلاثمائة قرية ، وبنى ثم مدينة » قرب البند وكان يقال للسكر الاسفل على الكر ، بند قصار ، وقد أنشئ ليرفع الماء ويسقى ناحية كربال السفلى . وكان هذا السد منذ قديم الزمن ، ولكنه انهار في مطلع المئة السادسة (الثانية

عشرة) ، فأصلحه الانابك جاولى المار الذكر الذى رم أيضا بند أمير^(٢) .
وبحيرة البختكان التى يقع فيها نهر الكر ، وإن كان حولها اليوم مغاوى ، إلا
أنها كانت فى المصور الوسطى محاطة بقرى ومدن ذات رساتيق خصبة . ومياه
هذه البحيرة تؤلف بحيرتين متصلتين : الجنوبية منهما كانت تعرف فى المصور
الوسطى ببحيرة البختكان ، والشمالية تسمى بحيرة الباسفوية أو جويانان . وماء
هذه البحيرة ملح ، وصيدها كثير ، وعامة سمك شيراز منها ، وفى أطرافها آجام
كثيرة ومنها قصب وبردى . وتاجية جفوز فى الطرف الغربى من البحيرة ، وبها
مدينة خرمة (وما زالت الآن قرية ذات شان) وهى على ١٤ فرسخا من شيراز
فى طريق كرمان المحاذى لشاطئ بحيرة البختكان الجنوبية . وذكر المقدسى فى
المئة الرابعة (العاشرة) أن خرمة لها رستاق واسع وبها قلعة فوق رأس جبل ،
وكانت قلعة حصينة محكمة البناء ، على ما قال المستوفى وقد كتب فى العهد المولى .
وأشار فارس نامه الى حياضها^(٣) .

وكان الطرف الجنوبى الشرقى من بحيرة البختكان ، فى كورة دار أبجرى ،
وعليه خَيْرٌ ونيريز ، وسنكلم عليهما فى الفصل القادم . وبالتقرب من طرفها
الشرقى ، حيث اليوم مفازة معطشة ، كانت تقوم فى المئة الرابعة (العاشرة)
الدينان الجبلتان : صَاهَكْ أو صَاهِكْ الكبرى والصغرى . وكتب الفرس
هذا الاسم بصورة چاهك (ومعناه حفرة صغيرة أو بئر) . ويجتمع عند صاهك
الكبرى طريقان - أولهما يمد فى الجانب الشمالى من بحيرة البختكان آتيا من
اصطخر ، والثانى يمد بمحاذاة شاطئها الجنوبى آتيا من شيراز - ، ويخرج منها
طريق واحد نحو كرمان . ووصف المقدسى صاهك الكبرى فقال إنها مدينة
صغيرة ولاهلها . حذى فى كتابة المصاحف . . وبالتقرب منها ، على ما فى
المستوفى ، معدن الحديد . وتكلم فارس نامه على ما يعمل فيها من السيوف الصقبلة .
وفى الطريق من صاهك الكبرى الى اصطخر ، وعلى الساحل الشمالى من شطر

(٢) الاصطخرى ١٢١ : الهندى ٤٤٤ : فارس نامه ٧٦ ب : المستوفى ٢١٦ و ٢١٨ : حافظ ابرو
١٣٣ : ياقوت ١٠٧ .
(٣) الاصطخرى ١٢٢ و ١٣٥ : الهندى ٤٣٧ : فارس نامه ٨٠ ، ٨٢ ب ، ٨٧ : المستوفى
١٧٤ و ١٧٩ و ٢٢٥ و ٢٢٦ .

بحيرة البختكان المعروف بحيرة الباسفوية أو جوبانان ، مدينتان كانتا على شأن كبير في القرون الوسطى ، ولا أثر لهما في المخارطة الآن . أقصاهما شرقا على ستة أو ثمانية فراسخ من صاهك الكبرى ، هي مدينة البُدْجَانْ ، وتعرف بقرية الآس . وسماها المسنوفى بالفارسية « ديه مورد » . ويكثر في رستاقها القمح والآس ، فعرفت المدينة به . وفي غرب قرية الآس ، على ستة أو سبعة فراسخ فوقها في طريق اصطخر ، قرية عبد الرحمن ويقال لها أيضا أباده ، وهي مدينة في ناحية بَرْمَ . وفي هذه المدينة بيوت وقصور حسنة . وحكى القزوينى أن آبائها : « عمقها قامت كثيرة ، جافة القصر عامة السنة . حتى إذا كان الوقت المعلوم عندهم في السنة ، نبع ماء يرتفع على وجه الأرض . ويجرى ويتفتح به في سقى الزروع ثم ينور » . وكان لا بُدَّ في أيام السلاجقة قلعة حصينة فيها آلات الحرب وبها حياض عظيمة للماء^(٤) .

أما سهل مرو دشت الرجب ، فتحترقه أسافل نهر الكر بعد أن يستقبل مياه بلوار . وتشرف على هذا السهل من الشمال اصطخر وقلعها الثلاث ، وكان السهل يتقسم بين عدة نواح . فبالقرب من الطرف الغربى لمحيرة البختكان ، ناحيتا كربال السفلى وكربال العليا ، وأعلى من ذلك ، على نهر الكر ، ناحيتا حَقْرَكْ وقالى . وعلى ضفاف نهر بلوار مراعى ناحية قالى . وكانت في ناحية حَقْرَكْ (وجاء اسمها بصورة : حبرك في مخطوطات أقدم) القلعة العظيمة حُوار ، قرب قرية تعرف بهذا الاسم . وقد ذكر الاصطخرى هذا الموضع ، كما ذكره فارس نامه غير مرة وقال إنه في نصف الطريق بين السكر المضدى على الكر وأباده على بحيرة البختكان ، فهو على عشرة فراسخ من كل منهما . وقد أشار ياقوت الى حُوار أيضا مرتين ، ولكنه لم يعرف موضعها على ما يظهر . وماؤها من الآبار ، وكانت قلعتها محكمة حصينة ، أما سهل مرو دشت فقد كان مشهورا بكثرة قمحه ، وسقيه من السكور التى على الكر . وذكر فارس نامه انه اشتق اسمه من قرية

(٤) ابن خردادبه ٤٨ و ٥٣ : مقامه ١٦٥ : الاصطخرى ١٠١ و ١٢١ : القدس ٤٢٧ : فارس نامه ١٦٦ ، ١٦٨ - ب ، ١٨٣ : المسنوفى ١٧٥ و ١٧٦ : القزوينى ٢ : ١٦٠ .
وقد كان ما خلا مدينة أباده (أو أماده) قرية بهذا الاسم أيضا في الطريق من اصطخر الى اسفهان ، سنكتفى على وصفها .

مرو التي كانت بالأصل حيا من أحياء مدينة اصطخر حيث قامت بعدئذ بستان جمشيد أسفل من الاطلال الاخمينية^(٥) .

وفوق مرو دشت تقع ناحية كام فيروز، ومعظمها على يمين نهر الكر، وكانت قصبتها وهي كذلك اليوم، مدينة البيضاء . واسم البيضاء عربي النحار . وهذا الاسم من الاسماء العربية النادرة التي اتخذها الفرس (الا انهم لفظوا الاسم بجزا) وظلوا على الأخذ به الى وقتنا هذا ، وانما سميت هذه المدينة البيضاء لان لها قلعة بيضاء بفس من بعد . وزاد ابن حوقل على قوله هذا ان اسمها بالفارسية نسانك^(٦) ومناه على ما ذكر باقوت دار اسفند اى القصر الابيض ، وكانت هذه المدينة مسكرا للمسلمين يقصدونها فى فتح اصطخر . وكانت البيضاء نحوا من اصطخر كبيرا على ما كانت عليه هذه الاخرة فى الملة الرابعة (العاشرة) . وأشار إليها المقدسي فقال « البيضاء ظريفة طيبة ، بها جامع حسن ومشهد يعبد » . وحولها مراعى مشهورة ، وكانت المدينة ، وهي فى وسط حقول القمح الأخضر ، تبرز بياضها اللامع . وفى ناحية كام فيروز عدة قرى ، سرد الاصطخرى اسماءها ، وفى أباها كان فى غابات اللوط بالقرب منها ، أسود مقترسة تخشاها قلعان الماشية التى ترعى فى مراعيها .

وكان الى شمال كام فيروز وشرفها ، ناحية رامجرد ، وقصبتها مدينة ماين . وفى نصف الطريق بينها وبين شيراز ، مدينة يقال لها هزار ، أو أزار سابور ، وتسمى أيضا تيسابور . وكثيرا ما تردد ذكرها فى الملة الرابعة (العاشرة) . قال المقدسي فيها : « صغيرة لها رستاق واسع ، شربهم من قنى » . وهى أول مرحلة يريد فى الطريق الذهاب من شيراز الى ماين ، وفى الطريق الصيفى أى الجبلى من شيراز الى اصفهان . وكانت ماين قصبة رامجرد ، وصفها المقدسي بقوله : « عامرة كثيرة الفواكه » . وقال المستوفى ان دخلها فى أيام الدولة الفولية ٥٢٥٠٠ دينار ايلخانى (نحو ١٧٥٠٠ باون) . وكان فى هذه المدينة مشهد

(٥) الاصطخرى ١٠٤ : فارس نامه ٦٦ ب ، ٦٧ ب ، ٨٢ ا ، ٨٤ ب ، ٨٦ ا - ب ، المستوفى ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠ : باقوت ١ : ١٦٩ : ٢ : ٤٨٠ .
(٦) جاء الاسم بصيغة « نسانك » فى ابن حوقل (٢ : ٢٨١) وياقوت (١ : ٧٩٢) . وصورة « نسانك » من الاصطخرى (ص ١٦٦) . (م) .

مشهور للشيخ گل آندام • وعند حافة الدرب ، فى الطريق الذاهب شمالا ، مشهد اسماعيل ابن الامام السابع موسى الكاظم • وكانت ناحية رامجرد كثيرة التلات وافرة الخيرات لوفرة أنهار السقى فيها الاتخذة من فوق السكر الذى على الكر عند بند مجرد • وهو الذى كان الانابك جاولى قد أصلحه وعمّره ، على ما بستا ، وفى رامجرد أيضا قلعة يقال لها سعيد آباد ، وهى على جبل شاهق يرتقى اليها فرسخا • وكانت فى الشرك [أى فى زمن قبل الاسلام] تعرف بقلعة اسفيد باذ (أى الموضع الابيض) • وبها امتنع غير مرة رؤساء الفتن على جيوش بنى أمية التى جردوها عليهم لتأديبهم • ثم استولى عليها فى ختام المئة الثالثة (التاسعة) يعقوب بن الليث الصفار ، وأعاد بنائها وأحكم حصونها • وجعلها معبسا لمن سخط عليه • • ولعل فى قرابة اسفيد باذ وهما ، فانه يكتب أحيانا بصورة اسفنديار ، وهذا يطابق ، على ما يظهر ، اسم اسفندان فى فارس نامه والمستوفى ، وقد كانت بقره قرية قمستان وكهف فى الجبل المجاور لها^(٧) • وعلى مقربة من يسار نهر الكر ، غير بعيد عن ماين ، تقوم مدينة وقلعة أبرج (وغالبا ما تكتب خطأ بصورة ابرج) • وقد ذكرها الاصطخرى فى ضمن هذه الكورة • وما زال موضعها ظاهرا فى الخارطة • وفى فارس نامه والمستوفى ان ابرج قرية كبيرة ، فى أسفل جبل قامت بعض بيوتها على منحدره • اما قلعتها دز ابرج ، فبعضها ما أحكم تحصينه بالبناء وبعضها ما حصته جروف وأسنان قمة الجبل الذى تقوم عليه ، فكانت متبعة لا تقنجم • وكان لها بساتين ، ومياهها زاخرة وافرة • وذكر المستوفى مدينة أوجان أو أوزجان ، وهى على مرحلة شمال ماين ، الا انه لم يفدنا بأخبار عنها • ولعل أوجان توافق الموضع الذى سماه قدامة حوسكان (أو حوسجان) حيث طبع الاسم خطأ بصورة خوسكان

(٧) قدامة ١٩٦ : الاسطخرى ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ابن حوقل ١٩٧ : القنسى ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٥٨ ، مارس نامه ١٦٦ ، ١٨١ ب : المستوفى ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٠ : ياقوت ٢ : ٥٦١ : ٣ : ٩٣ : ٨٣٨ •

لعل قلعة سعيد آباد هى منصور اباد الحالية ، وقد وصلها شندلر (H. Schindler) فى PRQS لسنة ١٨٩١ من ٢٦٠ •

كما انه صحف أيضا في طبعة المقدس فجاء فيها بصورة حرسكان^(١) .

وأعدل الطرق الداهية من شيراز الى أصفهان ، هو الطريق المتجه نحو ماين ومنها الى كوشك زرد مارا بديه گردو ويزد خواست الى قومشه على حد أقليم فارس . ومن ماين يصعد الطريق في الدرب الى الشمال فيبر نهر الكر عند قنطرة شهریار ، وبالقرب منها كانت مسلحة صلاح الدين في سهل يقال له دشت رون أو دشت روم . ويلها شمالا ، على ما في المستوفي ، درب الائم والبنت (گريوه مادر ، ودستر) . ثم كوشك زرد (الجوسق الاصفر) ولله يوافق قصر أعين عند الاصطخرى والمقدس . وكانت سهول دشت رون الكبرى والصغرى مشهورة بمراعيها . وأرضها الزراعية وافر الخصب ، وتؤتي أربع غلات في السنة ، ويستقيها نهر الكر وروافده . وأول ذكر لكوشك زرد جاء في فارس نامه ، حيث ورد في الثالب بصورة كوشك زر أي الجوسق الذهبي . وإلى الشمال أيضا ، بين كوشك زرد وديه گردو ، تمتد أرض أوفر خصبا وأعم مرتعا تعرف بناحية أرد أو أرداء وأهم مدينتين فيها ، على ما في الاصطخرى ، بجه وتيسرستان (وجبات في فارس نامه بصورة طيمرجان) . وأشار المستوفي الى ديه گردو . وجاء في فارس نامه بصورة ديه گوز (بدل جوز) وهما يدلان على اسم قرية مضاه قرية الجوز . ولم يذكر السلدانيون العرب القدماء هذا الاسم (وهو فارسي بحسب الصور التي أوردناها له أعلاه) ، ولكن يتبين من موضعه في المسالك ، ان ديه گردو الحالية تقابل اصطخران عند قدامة والاصطخرى .

وتقوم على حدود سهل دشت أرد الشرقية ، أقليد وسمرق وقرية أباده ، ثم شورستان وقرية سروستان في منتصف الطريق بين ديه گردو ويزد خواست . وكان لأقليد قلعة حسنة ، على ما جاء في فارس نامه . وكانت مثل سمرق ،

(٨) قدامة ١٩٦ : الاصطخرى ١٠٢ و ١٣٦ : القدس ٤٥٧ و ٤٥٨ : فارس نامه ٦٦ ، ب ، ٨٣ : المستوفي ١٧٤ و ١٧٩ .

لا شك في أن اسم أيرج . على ما ورد في فارس نامه ، هو اللفظ الصحيح . أما أيرج (على ما طبع في كتابي الاصطخرى والمقدس) فقد جاء من وهم نسخ المخطوطات ، فقل بالوت ذلك صم (١٩٦٠) . والقلعة القديمة الثالثة لوق أيرج ، المعروفة اليوم باسم اشكنوان ، تذكرنا باسم اشكنوان آثار الذكر (في الصفحة ٣١٢) . وقد كان اسم قلعة من قلاع اسطر التلات - الطر : Schindler في PQS لسنة ١٨٩١ ص ٢٩٠ .

مشهورة بحقول القمح • وقد كتب المقدسي اسم سمرق بصورة جرمق • وقال فيها حسنة البناء • أخصب هذه المدن وأكثرها أشجارا • • ويكثر فيها الأشخاص الأصفر • فيجفف ويحمل منها الى سائر البلدان • وقرية أباد • مرحلة في طريق البريد الحالي من شيراز الى اصفهان • وأول من ذكرها فارس نامه • ثم المستوفي • وكذلك يقال عن شورستان وهي على نهر ملح يجري شرقا الى المفازة • أما قرية سروسنان فقد قال فيها المقدسي • في المئة الرابعة (العاشرة) : • الجامع وسط البلد • وقبهم ظاهرة • تحمل مائها من الجبال المجاورة • أما يزد خواست • المدينة التي في شمال سروسنان • فأول من ذكرها فارس نامه • ولكن لا ريب في انها هي التي تحت المقدسي اسمها فجعله أذكاس • وأورد المستوفي يزد خواست مع ديه گردو ولكنه لم يصفها • وغالبا ما يكتب اسمها بصورة يزدخاس^(٩) •

أما قومته • وقد سماها المقدسي قومه • فاتها على ما يتنا • في حد اقليم فارس الشمالي • وكانت في الثالب تمد من أعمال اصفهان • وقد أشار المستوفي الى قلعة فولجان المبنية بالطين التي كانت تحصيها • وذكر انه كان لهذه القلعة رستاق خصبة • والى غرب يزدخواست • تقوم مدينة سميرم قرب منابع نهر طاب • ويشقها الطريق الغربي من شيراز الى اصفهان • قال المقدسي فيها • بها جامع حسن محدث ناء عن الاسواق • كثيرة الجوز والفواكه • وتم قلعة مذكورة • فيها عين ماء • • وذكر ياقوت ان اسم هذه القلعة كان وهان زاد • والطريق الغربي الآتي من شيراز الى اصفهان • يشق مدينة البيضاء في سهل مرو دشت • ثم يتابع سيره الى مهرجاناواذ (أو مهرجانا باد) • وقد وصفها المقدسي بقوله : • لها رستاق واسع • شربهم من أنهار • • والظاهر انها كانت على ضفاف الكر • • أو على أحد روافده الغربية • وبين هذه المدينة وسميرم • لم يكن من المدن المهمة غير كورد وكلار (على نهر الكر • حسبنا يتنا) • وهما مدينتان متجاورتان على ما قال المقدسي والمستوفي • تشتهران بكثرة القمح وثمار بلاد الصرود • وأشار

(٩) ابن خردادبه ٥٨ : قدامة ١٩٦ • الاصلحوى ١٠٣ و ١٣٢ : المقدسي ٤٢٧ و ٤٥٨ : فارس نامه ٦٥ ب ١٦٦ ، ٨٠ ب ١٨١ ، ١٨٢ ب ١٨٤ • ب : المستوفي ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٠٠ : ياقوت ١ : ١٩٧ • ابن بطرقة ٢ : ٥٢ •

الاصطخرى الى حسن بنائها وقصورها • والظاهر انه لا أثر اليوم لهذين
الموضعين^(١١).

وأقصر الطرق الثلاثة من شيراز الى اصفهان ، هو الطريق الذى وصفناه
آنفا ، المار بمابين وسهل دشت روڤ ، وهو الذى سماه فارس نامه بالطريق
الشترى • اما الطريق السيفى ، فقد كان أطول الطرق الثلاثة وأقصاها شرقا •
وكان يمر باصطخر مخترقا كمين ومحاذيا قبر كوروش الى ديهيد ، حيث يتفرع
من يمينه طريق الى يزد • ويواصل طريق اصفهان سيره الى الغرب ، مارا بمرق
وقرية اباده الى يزد خواست وقومشه • وكسيين وهى غير بعيدة عن ضفة نهر
يلوار الشرقية ، كانت على ما ذكر المستوفى ، مدينة كبيرة الشأن فى المئة
الثامنة (الرابعة عشرة) تقوم فى رساق خصب كبير الملح • ولها مراعى واسعة
بامتداد النهر • وفى أعلى ذلك ، عند منحى نهر يلوار ، بازاركد Pasargadae
وقبر كوروش ، وقال المسلمون انه قبر أم سليمان على ما سبق بيانه ، وهذا الضريح
الملكى المربع الجوانب ، المبني بالحجر ، ما زال يرى هناك ، ويقال ان طلسمًا
يحميه • وكل من حاول السكنى داخل جدرانها باغته العمى على ما جاء فى
فارس نامه • وكان يقال لما حوله من مراعى ، مرغزار كالان • أما ديهيد قرية
الصفصاف ، فانها المرحلة التالية فى شماله ، حيث يتشعب الطريق • وهى التى
ذكرها المقدسى وغيره من البلدانين العرب باسم قرية اليند • وإلى شمالها أيضا ،
فى نحو من نصف الطريق بين اصطخر ويزد ، تقوم مدينة أبرقوه •

وأبرقوه ، أو أبرقويه ، - وتختصر أحيانا الى برقوه - قد قال فيها ابن
حوقل ، انها مدينة محصنة^(١٢) ، تكون نحو الثلث من اصطخر • ، ولها أسواق
عامرة • وذكر المقدسى ان لها جامعا جيدا • وقال المستوفى ، ان أهلها من الصناع

(١٠) الاصطخرى ١٢٦ : مارس نامه ١٦٦ ، ١٨٤ - ب ، المقدسى ٢٨٩ ، ٤٢٧ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ :
المستوفى ١٧٠ : باقرت ٣ - ١٥١ : ٤ : ٩٤٢ •
وسا يفسر ان لغير اليه ، ان المقدسى ، فى وصفه المسالك (ص ٤٥٨) قد أشار الى
كورود وكلاز ، وكان الواحدة جنب الأخرى • اما مارس نامه ، فقد ذكر فى المسالك (الورقة ٨٤ ب)
ان كلا على حصة لرامخ من شمال كورود •
(١١) القول للمقدسى (ص ٤٢٧) (م) •

وتتلّ رساتيقها كثيرا من القمح والقطن ، وزاد على ما تقدم ان لجوّها مزبة خاصة هي ان اليهودى لا يبقى فيها حيا اذا جاوز مكته فيها أربعين يوما ؛ ومن ثم لا تجد فى أبرقوه يهوديا . ووصف المستوفى قبرا فى المدينة نفسها لولي مشهور يسمى طاووس الحرمين (مكة والمدينة) . ومن الامور الشائعة عن هذا القبر ، انه لشدة تواضع صاحبه ، يأبى السر ان يرتفع فوقه سقف ومع ان كثيرين اقاموا سقفا فوق القبر مرارا الا انه تهدم بعدة خارقة على ما ذكر المستوفى ، حتى لا يكون من عظام الولي ما ينبد الناس له . وكان بالقرب من أبرقوه فرة مراغة (أو فراغة) وفيها اشجار السرو العظيمة المشهورة فى سائر البلدان بأنها أكبر وأحسن حتى ما فى بلخ أو كشم فى فهستان^(١٢) .

أما يزد ، فقد كانت تعرف فى قديم الزمان باسم كته . وقد انتقل هذا الاسم حين غلب اسم يزد على المدينة الى ناحيتها ، فقبل لها حومة يزد أو حومة يزد . ووصف ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) مدينة يزد بقوله « الغالب على أبنائها أزاج الطين ، وبها مدينة محصنة بحصن ، وللحصن بابان من حديد ، ويسمى أحدهما باب ايزد والآخر باب المسجد لقربه من الجامع ، وجامعها فى الرض » ولها نهر يخرج من ناحية الجبل الذى عليه القلعة ، ورساتيقها يشتمل على رخص ، وهى على طرف المغارة ، وثمارها كثيرة تحمل الى أصبهان . وبالقرب منها « معدن الآتك »^(١٣) . وتكلم الفزوينى وغيره على حريرها بقوله : « بها صنّاع الحرير السندس فى غاية الحسن والصفاة » يحمل منها الى سائر البلاد . وزاد المستوفى على ذلك ان ببناء المدينة من اللبن ، وهو يدوم هنا دوام الآجر فى سائر البلاد ، اذ يندر أن يهطل المطر فيها ، غير ان مباحها وافرّة ، من القني الآتية

(١٢) الاسطرخى ١٢٩ : اس حويل ١٦٦ : المندى ٤٢٧ و ٤٥٧ : فارس نامه ٨١ ، ٨٤ : المسوقى ١٧٤ و ١٧٥ و ١٨٠ و ٢٠٠ : جهان نما ٢٦٦ -
وظاهره بمر لا مية عليه ، قد وصفها أيضا ابن بطرقة (١١٢ ٢) فى كتابه على بئر اس حويل
پيشداد . وللبروسور جولدسبير ، ملاحظات نافسة على هذه الحرافة الفرسية فى كتابه :
Muhummedansche Studien (١ : ٢٥٧) .

(١٣) جاء فى طمّة ابن حويل لسنة ١٩٣٩ (٢ : ٢٨٠ والطايعى) : من الاصل باب الدود وكتبه
ناشر الطمّة الاول بصورة ايزد تبما لياقوت .
لما صحت الآتك فهو الرساس الابيض . واللفظة فارسية . (م) .

من الجبل ، وفي كل بيت حوض للماء .

وعلى مرحلة من شمال يزد ، أنجيرة « قرية التين » ، ثم في المرحلة الثانية خزانة (وقد طبعت وهما : خزانة) وهي قرية كبيرة ، « بها زرع وضرع وبساتين وكروم » ، وعليها قلعة فوق جبل قريب منها . وفي المرحلة الثالثة ، على حدّ المغازة ، سافند ، وسافند ، على ما ذكر ابن حوقل ، « قرية فيها نحو اربعمئة انسان ، وعليها حصن » لها عين ماء جار يزرع عليها ، وعليها قني وبساتين عامرة ، « أما المدن الثلاث : سيبه وعقده وتابيه ، فانها في شمال غربي يزد ، تلي احداها الاخرى على حدّ المغازة » وهي تعد في الغالب من أعمال يزد ، وان الحق بعض المصنفين مدينة تابيه باصفهان . وكان على تابيه قلعة ، ومحيط أسوارها ٤٠٠٠ خطوة ، على ما ذكر المستوفي . على ان مراجعنا لم تصف هذه المواضع ، بل اقتصرنا على ذكر اسمائها^(١٤) .

وعلى نحو من ٧٥ ميلاً جنوب يزد ، في نصف الطريق بين هذه المدينة وشهر بابك ، مدينة أنار . وتبعد عنها بهرام آباد ستين ميلاً باتجاه الجنوب الشرقي . وكلتا هاتين المدينتين معدودتا اليوم من أعمال إقليم كرمان . غير ان هذه الناحية جميعها كانت في القرون الوسطى تؤلف قسماً من إقليم فارس ، وكان يقال لها الرودان . والمدن الثلاث المهمة في هذه الناحية هي : أبان (اليوم : أنار) وأذكان وأناس (بالقرب من بهرام آباد)^(١٥) .

(١٤) الاسطخري ١٠٠ : ابن حوقل ١٩٦ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ : المقدسي ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٩٣ : الفروسي ٢ : ١٨٧ : المستوفي ١٥٣ : ياقوت ٣ : ٦٩٤ ، ٤ : ٧١١ و ٧٣٤ .

(١٥) ذكرت مراجعنا ان أبان كانت على ٢٥ فرسخاً من الفهرج (وهي على خمسة فراسخ من جنوب شرقي يزد) ، ومدينة الرودان على ١٨ فرسخاً من أبان . وكانت أناس على مرحلة قصيرة أو مريدين من الرودان . والى ذلك ، فان أناس على مرحلة طويلة ومرسطين (أي برية واحدة) من بيسند . ويبسند على أربعة فراسخ غرب السيرجان . وكان من الرودان الى شهر بابك مسيرة ثلاثة أيام . لمسيرة اليوم الاول الى قرية الضال . وهذه المسافات تحريفاً ان موشى أنار وبهرام آباد الحديثتين يوافقان بالتعاقب ما كان يعرف في العرون الوسطى بأبان وأناس . اما مدينة الرودان التي بطن ابيها الموسى المسمى أذكان ، بعد كانت اذا بين الاثنين بالقرب من قرية كنداباد الحالية : الاسطخري ١٣٥ و ١٦٨ : ابن خردادبه ٤٨ ، المقدسي ٤٥٧ و ٤٧٣ .

وقد راد ياقوت الامر تمقيداً ذكره (٣ : ٩٢٥) ان مدينة أنار توافق أناس وذلك غير واقع بالنظر الى المسافات التي بينها . ولعل أنار هنا ليست الا من وهم الصحاح في كتابة اسم أناس التي عندما في مادة أخرى (١ : ٣١٧) من أعمال إقليم كرمان .

أما أناس قصة الناحية فهي على ما ذكر الاصطخرى نحو من أبرقوه في الكبر .
 وتكلم المقدسى على جامعها ، فقال : « بها جامع لطيف حسن يصمد إليه بدرج » .
 وقال أن بها حمامات وبساتين حسنة « وليس بها ريش ، وقد أحاطت بها الرمال » .
 وحسن أناس منبع بثمانية أبواب ، سرد المقدسى اسمها ، فإنه زار هذا الموضع .
 و « هي معدن القصارين والحاككة » . ويقال أن ناحية الروذان كانت تيفا وستين
 فرسخا مربعا وكانت في أول أمرها ، كما هي اليوم ، من أعمال كرمان . إلا أنها
 في المئة الرابعة (العاشرة) أضيفت إلى فارس . وقد دام هذا التنظيم على ما في
 فارس نامه إلى أيام ألب أرسلان السلجوقي الذي بعد أن تم له الاستيلاء على هذه
 الديار في منتصف المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، أعاد الحاق الروذان نهائيا
 بكرمان (١٦) .

وبين الروذان وشهربابك ، المدينة الصغيرة ديه «شتران» وهي بالعربية قرية
 الجسبال . وذكر المقدسى : « لها جامع به منارة طويلة ، والنهر تحت البلد ،
 وحولها بساتين حسنة » . أما شهر بابك فمعناها مدينة بابك أو بابك ، وهو أبو
 أردشير أول ملوك الساسانيين . وكانت تمد في إقليم كرمان . وما زال هذا الموضع
 قائما ، وذكره الاصطخرى والمقدسى وغيرهما ، إلا أنهم لم يأتوا بوصف له .
 وقد عددها المستوفى من كرمان ، وقال يكثر فيها القمح والقطن والتمر . وعلى
 مرحلتين من غرب شهر بابك ، في الطريق إلى اصطخر ، المدينة الصغيرة هراة
 التي جمع صاحب فارس نامه بينها وبين صاهك (وقد مر ذكرها في صفحة
 ٣١٤) . قال الاصطخرى فيها أن هراة كانت في المئة الرابعة (العاشرة) أكبر
 من أبرقوه . ويحمل منها ، على ما في المقدسى ، سائر الفواكه لاسيما التفاح
 والزيتون . ولها أسواق عامرة ، وفيها جامع حوله طرق . ولها نهر كبير يتخلل
 بساتينها . وللمدينة هراة باب واحد . وذكر المقدسى أن «فرعاء» مدينة صغيرة بقرب
 هراة . وذكر التزويني ، وقد كتب في المئة السابعة (الثالثة عشرة) أن في

(١٦) الاصطخرى ١٠٠ : ١٢٦ ؛ المقدسى ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ ؛ فارس نامه ٦٤ ب ؛ ياقوت

٨٣٠ : ٢

ما زالت آثار ذات خيرات كثيرة تزيد غلتها من المعج عن حاجتها فيسمل منها إلى سائر الجهات .

هراة تكثر أشجار الفيراء ، وقال : « قالوا ان نساءها يتعلمن اذا أزهرت أشجار الفيراء » . والى جنوب شرقي صاهك ، على حد كورة دار أيجرد ، مدينة « فطر » ، وهى ما زالت على شئ من المكانة . وفيها ، على ما ذكر فارس نامه والمستوفى (وقد كتب اسمها بصورة « گدرو » ، معدن الحديد الجيد^(١٧)) .

(١٧) وجد ميچر سايكس (Major Sykes) بالقرب من شهر بايك ، بقايا بيت نار - انظر : *Ten Thousand Miles in Persia* ص ٧٨ -
الاصطخري ١٠٢ : ابن حوقل ١٨٢ : المقدسى ٥٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٤٢٧ و ٤٥٥ :
نارس نامه ٦٦ ، ١ : ٦٨ : ياقوت ١ : ٧٥ و ١٧٨ : المستوفى ١٧٥ و ١٨٢ : القزوينى ٢ : ١٨٦ .
تتبعاه تهجئة اسم قرية هراة مع هراة المدينة المشهورة فى خراسان .

الفصل المشرود

فارس «تتم»

كورة دار أبجرد أو كورة شبانكاره - مدينة دار أبجرد - دركان وايك -
نيريز واستهبانات - لسا وروليز ونحو - لار وفرج -
طوم - سورو - تجارات فارس وصناعاتها -
مسالك إقليم فارس .

كانت كورة دار أبجرد ، أبعد كور فارس الخمس الى الشرق . وهى تكاد
تطابق ولاية شبانكاره التى سلخت من فارس أيام السيادة المغولية وتآلف منها
حكومة قائمة بنفسها . وقد كانت شبانكاره ، على ما ذكر صاحب فارس نامه ،
(وهو على كل حال لم يطلق هذا الاسم على كورة دار أبجرد) ، قبيلة انحدرت
من فضلويه وهى أسرة ديلمبة الاصل ، كان أبناؤها على مذهب الاسماعيليه من
فرق الشيعة . وفى أيام السلاجقة ، تغلبت قبيلة شبانكاره والاكراذ على الانابك
جاولى . وبعد انهيار الدولة السلجوقية ، استولت قبيلة شبانكاره على القسم الشرقى
من إقليم فارس ، فنسب اليهم . وقد ذكر ماركوپولو ولاية شبانكاره تحت اسم
سنانكاره (Sonoara) فقال انها سابعة الممالك الثمان حسب تقسيمه لبلاد فارس
ومهما يكن من أمر ، فقد بطل هذا الاسم أيضا . وهى تعرف اليوم باسم
دار أبجرد^(١) .

(١) انظر سر پول Sir H. Yule : The Book of Ser Marco Polo
(لندن ١٨٧٤ الطبعة الثانية) ١ - ٨٤ . (بلبية الحاضنة فى الصفحة الاكيرة) .

وقد كانت قصبة هذه الكورة أيام الخلافة مدينة دار أبجر د ، أو دار أبجيرة . وصفها الاصطخرى بقوله « عليها سور عامر ، وعليها خندق ، ولها أربعة أبواب ، وفي وسط المدينة جبل حجارة » . وقال المقدسي « والمدينة دورها فرسخ مكسر ، ذات سياطين ونخيل ، حسنة الاسواق ، ولهم آبار وقي » وكان بالقرب من دار أبجر د قبة المومياة المشهورة وعلى هذه القبة باب حديد يفتح مرة في السنة ويدخله عامل السلطان فيجمع ما نزل في تلك السنة من المومياة ، ثم يجعل في صندوق ويختم عليه ويبتع به الى شيراز ليستعمله الملوك^(٢) . وفي مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) حل الخراب في أكثر مدينة دار أبجر د على ما في فارس نامه ، وإن بقي في وسطها حصن منيع . وكانت حولها مراعي مشهورة تصرف بمر غزار دار أبجر د . ويتأخرة دار أبجر د جبال من الملح يسبعة ألوان يؤخذ منها الملح^(٣) . وذكر المستوفى أنه كان قريبا من دار أبجر د درب منيع حصين عليه قلعة عظيمة يقال لها تلك زينه^(٤) .

وحين حكم الشانكاره دار أبجر د ، نقلوا قصبة الولاية الى داركان (أو زركان) وفي شمالها كانت تقوم قلعة أيك (أو أويك) . أما البلديون العرب فأنهم ذكروا هذين الموضعين في المئة الرابعة (المباشرة) وسموها الداركان أو الداركان وايج . وقال الاصطخرى كان في كل منهما منبر . أما المستوفى

وروت شيانكاره في تاريخ ابن الاثير (١٠ : ٣٦٢) بصورة الشانكاره ، أما من حارب الالاتايك حالي من رؤساء هذه القبيلة في مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) فقد كان لفسره وأخاه خسرو ، ولعل كتابة فارس نامه للاسم الأشهر بصورة حسويه أصوب (بدلا من حسويه) .

(٢) أما ما قاله المقدسي (ص ٤٢٨) فهو : « هل قبة المومياة باب حديد ، وقد وكل رجل بفتحها ، فإذا كان شهر مهرماه ، سجد العامل والقاضي وماسح البريد والعمول ، وأحضرت الخافض وفتح الباب ، ثم دخل جبل حيران ، فيجمع ما نزل في تلك السنة ، ولا يبلغ رطلا على ما سمعت من بعض العمول ، ثم يجعل في ثوب ، ويختم عليه » . ويبحث مع هذه من المتأنيخ الى شيراز . ثم يتسلل الموضع - لكل ما ترى في أيدي الناس ، فاسألوهم معجون بذلك الماء ، ولا يؤجده الغاصي الا في خزائن الملوك » - (م) .

(٣) قال الاصطخرى (ص ١٥٥) . « وبغاية دار أبجر د جبال من الملح الأبيض والأصفر والأخضر والأسود والأحمر ، تكت من هذه الجبال مواله وغير ذلك وتجعل الى سائر المدن » - (م) .

(٤) الاصطخرى ١٢٣ و ١٥٥ ؛ المقدسي ٤٢٨ . فارس نامه ٦٨ ب ، ٨١ أ ، ٨٦ ب ؛ المستوفى ١٨١ .

وذكر ابن الفقيه (ص ١٦٩) ان قبة المومياة أو قبة حصبها ترى بالقرب من ارجان (النظر ص ٣٠٥ أملا) .

فقد كتب الاسم بصورة زركان وسمى القلعة بقلعة أويك ، وقال ان هذه الناحية كانت وافة الخصب ، يكثر فيها القطن والقمح والتمر وغير ذلك من الفواكه . وذكر أيضا أن قبيلة خسويه كانت أول من أحكم تحصين قلعة أويك في أيام السلاجقة . وزاد ياقوت عليه ، ان فواكهها كانت تجلب منها الى جزيرة كيش (أى قيس) .

والى شمال شرقي ابيح ، مدينة وناحية تيريز (أو تيريز) ، وهى فى الطرف الشرقى من بحيرة البختكان ، وقد سرى اسم المدينة حيناً على البحيرة . وقال المقدسى ان « تيريز كبيرة ، الجامع الى جانب السوق » وما زالت ترى أطلال هذا الجامع عليه مكتوب سنة ٣٤٠ (٩٥١) . وعند ساحل البحيرة مدينة خير (وجامت أيضا بصورة خيار والخيره) ، وقد ورد ذكرها من المثة الرابعة (العاشرة) فما بعدها بأنها مرحلة فى الطريق المحاذى لجانب بحيرة البختكان الجنوبي ، الذاهب من شيراز الى كرمان . وأطلق المستوفى وفارس تامة على الناحية التى حول خير اسم ميسكانات ، وكانت مشهورة بالكشمش ، وكان على كل من تيريز وخيره قلعة حصينة^(٥) .

وفى نصف الطريق بين خير و ابيك ، مدينة اصطهبانات ، وقد كتب البلديون العرب هذا الاسم أيضا بصورة الاصطهبانات وأحياناً الاصهبانات ، فاختصره الفرس الى اصطهان . وصف المستوفى هذه المدينة بأن الاشجار تلف عليها ، وبجوارها قلعة حصينة خربها الاتايك جاولى ، ثم أمر بعد ذلك بتجديدها . وفى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) استولت قبيلة خسويه على القلعة .

اما مدينة فسا ، وبلغتها الفرس فسا ، فقد كانت فى المثة الرابعة (العاشرة) ثاية المدن فى كورة دار أيجرد وتقارب شيراز فى الكبر . كانت حسنة البناء ، وأكثر الخشب فى أبنيتهم السرو ، صحبة الهواء ، أسواقها عامرة عليها حصن و خندق ، ولها ريش واسع يمتد خارج أبواب المدينة وفيها الرطب والجوز والاشترج

(٥) الاستغفرى ١٠٧ و ١٠٨ و ١٣٢ و ١٣٦ و ٢٠٠ ؛ المقدسى ٤٢٢ و ٤٢٩ و ٤٤٦ و ٤٥٥ ؛
فارس تامة ٦٨ ب ، ٦٩ أ - ب ؛ المستوفى ١٨١ ؛ ياقوت ١ ؛ ٤١ = ٢ ؛ ٥٦٠ . وانظر كابن لويث
Lovett فى JRGSS لسنة ١٨٧٢ من ٢٠٣ .

وغير ذلك . وقال المقدسي : « الجامع فيها من آجر ، له صحنان ، على عمل جامع مدينة السلام » . وقال صاحب فارس نامه ان فسا تقارب اصفهان في الكبر . خربها قبيلة شانكاره ثم أعاد بنائها الاتابك چاولي . وزاد المستوفي على ذلك ، ان المدينة كانت تسمى قديما ساسان ، وكانت مبنية بهيئة مثلث . مياهما وافرة تحمل اليها بئى وليس فيها آبار . وكانت شق ميسكاهان وشق رودبال (رودبار) من أعمالها . وبالقرب منها قلعة خوادان المنعة ، فيها حياض عظيمة للماء^(٦) .

ومدينة كُرم ، على بضعة أميال شمال فسا في الطريق الى سروستان ، على ما وصفت به في كتب المسالك . وكانت ناحيتها وناحية روتيز (أو روتيز) من أعمال فسا على ما جاء في فارس نامه . وتؤلف الاخيرة فسا من ناحية خسو التي ذكر المقدسي انها على مرحلة جنوب غربى دار ابجرد في الطريق الى جويم أبى أحمد (انظر الصفحة ٢٩٠ أعلاه) . وقد أورد البلدانون الاقدمون هذا الاسم بصورة روتيج (أو روتيج) . ولعل هذه المدينة تطابق خسو (أو كسو) الحالية . وقال المستوفي في كرم وروتيز انهما مدينتان هواهما حار كثيرا الماء . وعلى ما ذكر المقدسي ، كانت ناحية خسو (أو خسو) توغل نحو الشرق لانها كانت تشتمل ، الى روتيج ، على مدن رستاق الرستاق وفرج وطارم . وعد المستوفي خسو من أعمال دار ابجرد^(٧) .

والى الجنوب من روتيز ، المدينة الصغيرة يزرد خواست ، وقد ذكر المقدسي . ويقوت انها من كورة دار ابجرد . والى جنوب هذه المدينة ، مدينة لار . ولم يذكر أحد من البلدانين السرب القدماء لار ، كما لم ترد في فارس

(٦) الاصحى ١٠٨ و ١٢٧ و ١٣٦ ، المقدسى ٤٢٣ و ٤٢٩ و ٤٤٨ ؛ فارس نامه ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٨٢ ب ، ١٨٣ ؛ السنولى ١٧٥ و ١٧٩ و ١٨١ ؛ جهان نما ٢٧٢ .
(٧) ابن حوقل ٥٢ ؛ الاصحى ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٢٢ ؛ المقدسى ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ ؛ فارس نامه ٦٩ ب ؛ المستوفى ١٨١ .

والظاهر ان تهجئة الاسم بصورة روتيج وهى ما أخذ به ناشر كتاب المقدسى ، مد استند فيها الى ياقوت (٢ : ٨٢٨) فانه فسّط تهجئة الاسم حرفا حرفا . وجاءت في مخطوطات فارس نامه والمستوفى بصورة روتيز (عوضا عن روتيج وهى تهجئة ترجع الى زمن اقدم) وكانت ما زالت اسم ناحية في تلك الجهات حينذاك . وعلى هذا ينبغي ان « روتيج » بحسب ورودها في المطبوع من الاصحى والمقدسى قد تكون من وهم النساخ وانه بتغيير طفيف في نقاط الحروف قلرا روتيج أو روتيز بدلا من روتيج وروتيز .

نامه ، الذى يرقى الى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) • وأول من تكلم على لار من المصنفين ، المستوفى فى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قال ان لار اسم ولاية على البحر ، أغلب أهلها من التجار الذين يجوبون البحر كثيرا • وكان يشمو فيها القمح والقطن والتمر • وقد زار ابن بطوطة معاصره مدينة لار فى نحو سنة ٧٣٠ (١٣٣٠) ووصفها بقوله : « مدينة كبيرة كثيرة الصيون والمياه المطردة والبساتين ، ولها أسواق حسان • وصارت لار فى أيام شاه شجاع المظفرى فى خام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ثم فى أيام الامراء التيموريين ، مدينة لغرب النقود ، وهذا بدلنا على انها كانت حينذاك موضعا على شىء غير قليل من الكبر والشأن •

أما « فرك » وهى على ثلاث مراحل من جنوب شرقى دار ابجر د ، فانها ما زالت من المدن الكبيرة • ذكر المقدسى ، وقد كتبها بصورة « فرج » ، ان بجانبها مدينة برك • ويظهر ان هذين الاسمين لم يأتيا الا من اختلاف قراءة اسميهما الفارسيين الاولين • ومدينة « برك » فى هودة على فرسخين من الجبل ، والجامع على جانب السوق ، حسن نظيف • أما جارتها فرج فقد كان لها قلعة على تل ، وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة غير كبيرة • الا ان بها جامعا وحماما ، والماء فيهما كثير • ومن الطبيعى ان يقع اللبس فى اسمى هاتين المدينتين فيطلق اسم احدهما على الاخرى • وكتب فارسي نامه هذا الاسم بصورة برك وقال انه كان للمدينة قلعة مكنة لا تقنح منية بحجارة غاية فى الكبر • وزاد المستوفى على ذلك انه كان يكثر فى برك (على ما كتب الاسم) القمح والتمر • أما رستاق الرستاق ، فقد وصفها المقدسى بقوله « صغيرة ليس لسوقها ذاك الكبر ، الا ان رستاقها أربعة فراسخ فى مثله » وهى على مرحلة شمال غربى فرج فى الطريق الى دار ابجر د^(٨) • ومدينة تارم ، وتلفظ أيضا طازم ، على اسم ناحية فى إقليم الجبال (أنظر الصفحة ٣٦٠ أعلاه) ، على مرحلتين شرق فرج فى الطريق الى ساحل البحر •

(٨) المقدسى ٤٢٨ و ٤٥٤ الحاشية ١١ : فارس نامه ١٦٦ ، ١٨٣ : المستوفى ١٨١ : ياقوت ٢ : ٥٦٠ : ابن بطوطة ٢ . ٢٤٠ •
والظاهر ان مدينة برك ، توافق القلعة المدينة بهمن ذات ثلاثة اسوار وشهد ، وكانت على نحو من ميل جنوب مدينة فرك الحالية • انظر : Stack من Persia ٧٥٦٠١ •

أشار المقدسي إليها فقال : « تارم : جامعهم تاه عن السوق ، وشربهم من شعبة نهر يدخل عليهم ، لهم بساتين وتخليل ، وبها عسل كثير ، وعلى ما في فارس تالاه ، كانت تارم تهارب فرج في الكبر لها قلعة قوية فيها حياض للماء كثيرة . وكان طريق القوافل يخرج من طارم أخذا صوب الجنوب الى الساحل حيث ميناء سورو أو شهرو مقابل جزيرة هرمز . وقد سمي المستوفى هذا الميناء بتوسر ، الا ان قراءته غير مضبوطة ، وتكلم البلدانون العرب على سورو ، فقالوا انها قرية ، بها صيادون ، وليس بها منبر ، وشرب أهلها من آبار حفرت في جبل قريب منها^(٩) . وزاد المقدسي على ذلك ان سورو « قد بدت تعمّر لأن حمولات عمان إليها » وقال هي مدينة « بحرية صغيرة على رأس حد كرمان »^(١٠) .

أما تجارات وصناعات إقليم فارس فقد عني بوصفها في الملة الرابعة (العاشرية) الاصطخرى والمقدسي . ففي هذا الزمن كانت مدينة سيراف أجل فرصة في فارس على ساحل الخليج ، على ما قد بينا . فاليها كانت تقع أمتعة البحر وما يجلب من الهند من الاشياء النادرة والثينة التي كان يقال لها بالعريضة بربهار . وسرد الاصطخرى ما يرد الى سيراف ، بقوله : « يقع اليها من أمتعة البحر من المود والعنبر والكافور والجواهر والخيزران والمالج والآبنوس والفلقل والصندل وسائر الطيب والادوية والتوابل ، التي تحمل من الهند . ويرتفع من سيراف القوط وأزر الكتان ، وكانت سوقا كبيرة للؤلؤ .

وقد ذاع صيت فارس في كل زمان بما يعمل فيها من العطور وماء الورد بشتى صنوفه ، ولاسيما المعمول من الورد الاحمر وهو يكثر في رساتيق جور أو فيروز اباد . وكان ماء الورد ، على ما ذكر ابن حوقل ، يحمل الى سائر البلدان لاسيما الى الهند والصين وخراسان والمغرب والشام ومصر . ويرتفع من جور أيضا ، الى ماء الورد ، ماء الطلع وماء القيصوم وماء الزعفران وماء السوسن وماء الخلاف . ويعمل بسابور ، على ما جاء في المقدسي ، عشرة أدهان : « دهن بنفسج

(٩) قال المقدسي (ص ٢٢٧) : « شربهم من ماء يتل من الجبل ، فيجئح لى موضع ، لكاه انقطع سفره ذلك الموضع نهر خمسة اذرع فيخرج عليهم ماء علو . » (م) -
(١٠) الاصطخرى ١٦٧ : ابن حوقل ٢٢٤ : فارس تالاه ١٦٩ : المقدسي ٤٢٧ و ٤٢٩ : السوسني ١٨٩ و ٢٠٩ .

ونينوف و نرجس و كسارده و سوسن و ذليق و مرسين و مرزنجوس و بادرنك و نارنج ، و تحمل هذه الادهان الى سائر آفاق المشرق .

وكانت لبسط فارس و ثيابها الموشاة شهرة بعيدة في كل العصور . وفي الشرق حيث كانت الثياب تدل على منزلة الشخص وعلو مقامه ، كان للسلطان في كل بلد من فارس طراز يوشى فيه اسمه وطرأؤه ، وكانت أشهر هذه الطرز ترتفع من توج ، وكان يرتفع كذلك من فسا أنواع من الثياب بها طراز الوشى مذهبا ، منه ما كان أزرق كلون الطاووس وأخضر ، يعمل ذلك كله للسلطان .

أما تجارات فارس الأخرى ، فيحسن أن تصنفها بحسب المدن التي تعمل فيها . فمن شيراز يرتفع « الأكسبة البر » كانت والتبركات والبراد الجياد ، ويعمل بها خز ودياج و قصب وحلل . . ويرتفع من جهرم « البسط والتخاخ والستور والمصليات »^(١١) ، هذا الى الادهان التي ترتفع منها على ما ذكرنا . ويرتفع من سابور الادهان من كل جنس ونصب السكر والأترج والجوز والزيت والفواكه والصفصاف . ويرتفع من كازرون ودريز ثياب كتان و ثياب القصب على عمل الديقى المصرى ، والمناديل المخملية . ومن الفندجان ، قصبه دشت بارين ، البسط والستور والمقاعد ، وبها طراز للسلطان . ويرتفع من أرتجان الدوشاب يعمل من الزبيب ويقال له أيضا الدبس . ويرتفع منها أيضا « الصابون والفوط و ثياب الكندكية » . وكان يحمل الى أرتجان ما يقال له البر بهار . ويحمل من فرسة مهربان « الاسماك والتمور والقرب الجباد ، ومن سينير « ثياب تشاكل القصب » . ويرتفع منها أيضا الكتان وكذلك من جنتابة .

ويرتفع من اصطخر الأزر^(١٢) . ومن الروذان ثياب جياد والشمسكات (نوع من الخفاف) والتيرب . ويحمل منها التوابل . ومن يزد وأبرقوه ثياب القطن .

(١١) جاء في تاج العروس (٢ : ٢٨٢) : « البخ . بساط طويل ، طوله أكثر من عرضه ، ومن فارس مربع ، وجسمه نفاق » - والمصليات . واحدها القصل ومن السجاد الصبر الذي يعمل عليه . (م) .

(١٢) ما في القنسى (ص ٤٤٣) : الارز . (م) .

ويرتفع من دار أبجرء « كل شيء نفيس من الثياب المرتفعة والوسط والدون وما يشاكل الطبرستاني والبسط الجيدة والحصر » • ويحمل منها دهن الرازقي والطيب والبرز الكثير • ويحمل من أرجاء ودار أبجرء المومياء على ما قد بينا • وقال الاصطخرى « وبدار أبجرء سمك بالخندق الذى يحيط بالبدء لا شوك فيه ولا عظم ولا فغار • وهو من ألد السموك » • ويرتفع من فرج « الشاب والبسط والستور والدبس الجيد والبرز والكتان » • ومن طارم « الدوشاب والقرب والدلاء الحسان » • ويرتفع من فساتيب الشعر والقز والبسط والزلالى والفوط والمتاديل والستور المذهبة المعلمة وبزر الهان والعصر والفروش والخركاهات^(١٣) • وأخيرا • بفارس • على ما ذكر ابن حوف • الفضة فى تالين والحديد والزئبق فى جبال اصطخر • وكذلك فى نواح مختلفة من فارس معدن الاتك والصفر والكبريت والنفط • وليس بها ذهب^(١٤) • وبفارس أصباغ من مختلف الأنواع • فكثر فيها الصباغون وعملهم صبغ الثياب^(١٥) •

أما الطرق فى فارس • فقد أسهبت فى وصفها جملة كبيرة من المراجع العربية والفارسية • وذكرت مسافات هذه المسالك بالفراخ بوجه عام • على أن ما يؤسف عليه • أن البقوى • وهو من أحل مراجعنا فى المسالك • ينفرد كل الافتقار الى ما يتعلق بفارس منها • ولم يوفر لنا ابن رسته كثيرا فى هذا الباب • وأول الواصفين لهذه المسالك • ابن خرداذبه وقدامة فى المثة الثالثة (التاسعة) • ثم الاصطخرى والمقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) • وفى مطلع المثة السادسة عني مؤلف فارس نامه الفارسى بذكر مسالك فارس عنابة قائمة • فلم يترك منها شاردة ولا واردة • فلهذا الكتاب قيمة جليلة الشأن فى جغرافية اقليم فارس خلال تلك الحقبة • ما أحوجنا الى مثلها لاسر بلاد ايران • وقد دون المستوفى • فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) • وهو مؤلف فارسى أيضا • ما أحسنه الفتح المتولى من

(١٣) الخركاهات واحدها الخركاء وهى الخبيثة الكبيرة - فارسية مبرمة • (م) •

(١٤) فى ابن حوفل (٢ : ٣٠٠) • • وبها معدن ذهب • اما الاصطخرى (من ١٥٥) فقد قال : ولا أعرف بها معدن ذهب • (م) •

(١٥) الاصطخرى ١٥٢ - ١٥٥ • ابن حوفل ٢١٣ - ٢١٥ • القفص ٢٤٢ - ٢٤٣ •

التبدلات • ثم في ختام هذه المثة ، أسهب علي الزدي في وصف زحف تيمور من الاهواز الى شيراز ، وهي تقع على طريق من أهم الطرق •
تشعب طرق هذا الاقليم كلها من شيراز • ومن الاوفق ان نبدأ بالطرق
الذاهبة الى ساحل البحر • فان سيراف وجزيرة قيس ثم جزيرة هرمز ، وقد
أضحت كل واحدة منها بالاعاقب أهم فرصة على خليج فارس ، كانت الطرق
تؤدي اليها ، على نحو ما هي عليه اليوم طرق القوافل والبريد المنحدرة الى بوشير
التي بلغت اليوم شأو هرمز في القديم • فأبعد هذه الطرق شرقا ، الذاهبة الى
الساحل ، كان الطريق المؤدى الى الفرصة المقابلة لجزيرة هرمز • ومنها يحاذي
الساحل ، فينتهي الى مدينة هرمز • وستأتي في الفصل الثاني والعشرين على
وصف هذين الموضعين • فاذا بارح الطريق شيراز ، مرّ بسروستان ونسا الى دار
ابجرد وفرج وطارم • فاذا دار الى الجنوب فانه كان يصل قديما الى مدينة سورو
أو شهرود أو على ما سماها به المستوفى توسر • ونشأ في أيام الصفويين ، غير بعيد
منها ، بندر عباس ، وهي ما زالت قائمة ، على ما سيأتي بيانه ، وقد انتهت اليها
صفة هذا الطريق في خمسة من مراجعنا^(١٦) •

وثاني هذه الطرق ، الطريق الآخذ من شيراز جنوبا ، وكان ينتهي في
الآزمة الاولى بسيراف • ولكن بعد خراب هذه الفرصة سلكت القوافل طريقا
يتفرع منه في منتصفه فينتجه الى الجنوب الشرقي نحو الساحل • وكان هذا
الطريق الجديد ، ينتهي الى الفرصة المقابلة لجزيرة قيس ، وهو الطريق الذي
وصفه المستوفى • وذكر المقدسي أيضا طريقا مهما آخر يخرج من دار ابجرد
على طريق هرمز ، ينتجه نحو الجنوب الغربي الى سيراف ، وكان يقطع الطريق
من شيراز الى جزيرة قيس الذي وصفه المستوفى بعد هذا الزمن • وكل هذه
الطرق البائدة من شيراز كانت تمر بكوار الى جور أو فيروز اباد وكان فيها يتفرع
الطريق القديم ذات اليمين منحدرا الى سيراف • والطريق الذي جاء ذكره في
فارس نامه ، يسلف في فيروز اباد الى اليسار فيمر بكارزين الى لاغر ، ومنها

(١٦) ابن خردادبه ٥٢ و ٥٣ : الاسطرى ١٣١ و ١٣٢ و ١٧٠ : المقدسي ٤٥٤ و ٤٥٥ و

فارس نامه ٨٥ : المستوفى ٢٠٠ •

يأتي إلى كران وينتهي بسيراف . أما طريق المستوفى ، فإنه إذا بارح فيروزاباد ، اتجه شرقاً بضعة فراسخ ، ثم انحدر مثل طريق فارس نامه إلى لاغر ، وفيها يتفرع نحو الجنوب الشرقي ونحو اليسار فيمرّ بفارباب ثم بالمقازة إلى هزو وهي القرعة المقابلة لجزيرة قيس . ولا يرى وصف هذا الطريق من لاغر إلى هزو إلا في المستوفى بالأسف . وقراءة ما جاء في المخطوطات عن أسماء مراحل لا يركن إليها في الغالب . والظاهر أيضاً أنه لم يسلك هذا الطريق أحد من السياح المحيدين . ليتسنى لنا تصويب قراءة هذه الأسماء ، بقيت خوارطنا خالية من ذكرها . ويمر الطريق من دار ابجرد ، على ما وصفه المقدسي ، بجوهم أبي أحمد إلى فارباب أو باراب ، وهي مرحلة في طريق المستوفى ، ثم إلى كران في طريق فارس نامه ومنها ينتهي بسيراف (١٧) .

والطريق الغربي الذاهب إلى الساحل ، كان يسلك في قسبه الأعلى ، الطريق الحالي من شيراز إلى بوشير ، فكان يمرّ بكازرون وديز إلى توج ، المدينة التجارية الجبلية في المئة الرابعة (المباشرة) ، ومنها إلى فرسة جنبابة . وجاء في فارس نامه وصف طريق آخر ذي شأن مغاير لهذا الطريق ، وهو المار بأرض ماصرم إلى جرة . ومنها إلى توج مارا بالفندجان ، وعند الفندجان كان يتفرع منه فرع يتحدّر جنوباً إلى فرسة نجيرم ، وهي على مسافة قليلة من غرب سيراف . ولم يشر غير المستوفى إلى الطريق الذاهب إلى الغرب من شيراز حتى كازرون . وكانت توج في أيامه قد خربت . وأول فرسة على خليج فارس حينذاك كانت جزيرة قيس (١٨) .

وأدنى طرق فارس وصفاً ، الطريق الذاهب من شيراز باتجاه الشمال الغربي إلى أرتجان وخوزستان . فقد انتهى البنا عن هذا الطريق ما لا يقل عن الثمانية أوصاف . وإن اختلفت في ذكر بعض المراحل . وآخر وصف منها ، لعليّ اليزدي ، فقد وصف سير تيمور في سنة ٧٩٥ (١٣٩٣) من الاهواز إلى

(١٧) الاستغنى ١٢٨ و ١٢٩ : المقدسي ٤٥٤ و ٤٥٥ : فارس نامه ٨٦ ج ١ : المستوفى ٢٠٠ وأنظر صفحة ٢٩٣ الحاشية ١٨ من كتابنا هذا .

(١٨) الاستغنى ١٣٠ : المقدسي ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٦ : فارس نامه ٨٦ ج ١ : المستوفى ٢٠٠ -

شيراز مارا بهبهان ، حين هاجم في طريقه قلعة سفيد . فجاء وصفه هذا الطريق متنها بشيراز بخلاف من سبقه . وكان الطريق من شيراز الى خوزستان ، على ما جاء وصفه في كتب المسالك ، يتجه نحو الشمال الغربي مارا بجويم الى التوبجان ، ومنها مارا بكنبد ملغان الى أرتجان ، ثم يقطع نهر طاب على قنطرته المغلقة فينتهي الى بستانك على حد فارس . وقد ذكر المقدسي والبلدانيون الاولون المسافات من أرتجان الى قرعة مهران ، ومنها نحو الجنوب الشرقي بمحاذاة الساحل الى قرعة سينز ، ثم الى جنتابة^(١٩) .

وكان في القرون الوسطى ، ثلاثة طرق منفصل بعضها عن بعض ، من شيراز الى اصفهان . وأبعد هذه الطرق غربا ، الطريق الآخذ يميناً من طريق أرتجان عند جويم . وقد كان هذا الطريق يذهب الى البيضاء في سهل مرودشت ، ثم يمر بكورد وكلاز الى سيرم واصفهان . وقد وصف هذا الطريق ابن خرداذبه والمقدسي . أما الطريق الاوسط ، فهو الطريق الصيني المار بالبلاد الجبلية . وقد كان يذهب من شيراز الى مائين ، ومنها يمرّ يكوشك زرد وديه گردو ، ويخترق يزدخواست الى اصفهان . وقد وصف هذا الطريق ، بشيء من الاختلاف في أسماء المراحل ، البلدانيون العرب الاولون ، وكذلك المصنفون الفرس المتأخرون . أما أبعد هذه الطرق الثلاثة شرقا ، فهو الطريق الشتوي أو طريق القوافل الذي يقطع السهول . وكان يخرج من شيراز سيماً ناحية الشمال الشرقي الى اصطخر ، ومنها الى ديهيد . وفي هذا الموضع كان يخرج من يمينه طريق يمرّ بأبرقوه الى يزد . أما الطريق الى اصفهان ، فكان ينطلق الى اليسار . فيمر بسرمق وقرية اباده ، ثم يلتقي بالطريق الصيني في يزدخواست ، الى قومشه وينتهي باصفهان . وقد وصف هذا الطريق الشتوي ، وهو طريق البريد الحالي من شيراز الى اصفهان ، المقدسي وفارس نامه . وسردت جميع المصادر تقريباً أسماء ما فيه من مراحل الى يزد^(٢٠) .

(١٩) ابن خرداذبه ٤٣ : ٤٤ : قدامة ١٩٥ : ابن رسته ١٨٦ و ١٩٠ : الاصلطري ١٣٣ و ١٣٤ : المقدسي ٤٥٣ و ٤٥٥ : فارس نامه ٨٥ ب : المستوفي ٢٠١ : هل اليزدي ١ : ٦٠٠ .
(٢٠) عن الطريق الغربي ، انظر : ابن خرداذبه ٥٨ : المقدسي ٤٥٧ و ٤٥٨ - عن الطريق الصيني

والطرق من شيراز الى شهر بابك ومنها الى السيرجان احدى قصبات
كرمان ، كانت تسلك مسلكين . الاول : فى شمال بحيرة البختكان . والثانى .
بمحاذاة ساحل البحيرة الجنوبى . فالطريق الشمالى كان يخرج أولا من شيراز
الى اصطخر (پرسپولیس) ومن اصطخر الى شهر بابك طريقان : الاول كان يمر
بقرية هراة ، والاخر بمدينة اباده الى صاهك حيث يلتقى بالطريق المحاذى
لساحل البحيرة الجنوبى . أما هذا الطريق الجنوبى ، فقد كان اذا يارح شيراز ،
يتجه الى ناحية الشرق فى الجانب الشمالى لبحيرة ماهلو الى خرمة . ثم يصل خيرة
من جنوب بحيرة البختكان . وقد ذكر فارس نامه مسافات طريق فرعى من خيرة
الى نيريز وقطره . أما الطريق الكبير فكان يذهب من خيرة الى صاهك الكبرى .
حيث يلتقى بالطريق الاخرى من اصطخر بمحاذاة ساحل البحر الشمالى ، على ما قد
يسنا . ومن صاهك الكبرى ، كان يقطع طريقا صحراويا باتجاه الشمال الشرقى
الى شهر بابك . وقد ذكرت المراجع العربية والفارسية وصفا كاملا لهذه المسالك .
التي فى شمال بحيرة البختكان وفى جنوبها . غير ان أسماء بعض المراحل التي
توسطها لا يركن الى صحة قراءتها ، تعني بذلك أسماء القرى التي لم يبق لها
أثر اليوم ، اذ ان جميع هذه البقاع قد أجدبت وأصحلت وخلت من سكانها منذ
نهاية القرون الوسطى (٢١) .

أو الجبل : لأمدة ١٩٦ و ١٩٧ : الاصطخرى ١٣٢ و ١٣٣ : المقدس ٤٥٨ : فارس نامه ٨٣ ب ؛
المستولى ٢٠٠ . ومن الطريق الشرقى : المقدس ٤٥٨ : فارس نامه ٨٤ ب . وعن طريق يزدا : ابن
خردادبه ٥١ : الاصطخرى ١٢٩ : المقدس ٤٥٧ : فارس نامه ٨٦ ب ؛ المستولى ٢٠١ .

(٢١) عن الطريق المار بهراة : المقدس ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ . عن الطريق المار باباده وحسال
البحيرة : ابن خردادبه ٥٣ : قدامة ١٩٥ : الاصطخرى ١٣٠ و ١٣١ : فارس نامه ٨٤ ب . عن الطريق
المار ببحيرة وجنوب البحيرة . ابن خردادبه ٤٨ : المقدس ٤٥٥ : فارس نامه ٨٥ ا ؛ المستولى ٢٠١ .
عن الطرق المختلفة لى السيرجان والاكثية من فارس ، انظر : الفصل القادم ، والفصل الخامس
والعشرين .

الفصل الحادي والعشرون

كرمان

كور كرمين الفيس - قصبنا الاقليم - القصة الاولى : السرجان ،
موسمها وتاريخها - القصة الثانية : بردسير ، وهي مدينة
كرمان اليوم - ملهان ووليا - خبيص - زرد
Cobinan وكوه بنان وهي كوينان
لدى ماركو بولو .

اقليم كرمين ، على ما ذكر الاصطخرى ، أكثر من بلاد الجروم ، ونحو من
وبه فقط جبل يوتى غلات بلاد الصرود . فان معظم الاقليم فى المفازة العظمى .
« وفى أضفاف مدته مفاوز كثيرة ، وليس اتصال عماراتها مثل اتصال عمارات فارس » .
وقال ياقوت « قد كانت [أى بلاد كرمين] فى أيام السلجوقية من أعمار البلدان
وأطيبها » . ثم حين كتب فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) كانت « قد تشعت بقاعها
واستوحشت معاملها وخربت أكثر بلادها » . وأخيرا استولى عليها الخراب وتمكن
منها الدمار من جراء غزو تيمور لها فى حتام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) .

وجعل المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) إقليم كرمين خمس كور ، كل
كورة باسم قصبته ، وهى : (١) بردسير ، ولها ناحية خبيص فى شمالها . ثم
(٢) السرجان ، على حد فارس . ثم (٣) بيم * و (٤) نرماير وهى على شفير المفازة
شرقا . وأخيرا (٥) جيرفت وهى تتاخم ساحل بحر هرمز ، وكان الحد فى الشمال

والشرق : المغارة الكبرى • وفي الجنوب الغربي : البحر • ولها في غرب كرمان
» في حد السرجان ، دخلة في حد فارس ، مثل الكم ، حسب وصف الاصطخري
لها • وكانت شهر بابك ، على ما روته بعض الاخبار القديمة ، تعد من اقليم
كرمان^(١) .

وقصة الاقليم الحالية ، مدينة كرمان • وهذا الاقليم وقصته يعرفان باسم
واحد على ما هو جار في بلاد الشرق غالبا • ومع ذلك ، فقد كان لاقليم كرمان في
القرون الوسطى قصبتان ، هما : السرجان وبردير • وتوافق المدينة الاخيرة مدينة
كرمان الحالية القائمة قرب الناحية التي ما زالت تعرف بناحية بردير •

أما السرجان فعبه كرمان الاسلامية القديمة ، فانها كانت أجل مدينة في
أيام بني ساسان • وكتب البلدانون العرب اسمها بصورة السرجان والشيرجان
(معرفة بال) • ومع انه لم يبق اليوم مدينة بهذا الاسم ، الا ان ناحية السرجان
ما زالت تؤلف القسم الغربي من ولاية كرمان وأجل مدنها سيد آباد • وما
الخرائب التي اكتشفت حديثا في قلعة سنك^(٢) الجائمة على سن جبل ، على خمسة
فراسخ شرق سيد اباد في طريق بافت • إلا موضع السرجان القصب القديمة على
حايين • اذ يستدل بحالها أنها أطلال مدينة عظيمة • وتدل مسافات المسالك في
القرون الوسطى ، على ان موضع هذه الخرائب هو حيث كانت مدينة السرجان •
ومع ان ناحية السرجان الحالية لا تؤلف الا جزءا فقط من الكورة القديمة ،
فانها قد احتفظت بالاسم القديم • ظلت السرجان بعد الفتح العربي ، قبة الاقليم
الاسلامي حتى أواسط المئة الرابعة (العاشرة) ، حين صارت ابران الجنوبية
كلها تحت سلطان بني بويه • فانهم عيّنوا على كرمان عاملا اسمه ابن الياس • فنقل
هذا العامل ، لسبب غير معروف ، مقامه الى بردير (مدينة كرمان الحالية) ثم

(١) الاصطخري ١٥٨ و ١٦٣ و ١٦٥ : القديس ٤٦٠ و ٤٦١ : ياقوت ٤ : ٣١٣ •

(٢) تقوم قلعة سنك ، وتسمى ايضا القلعة البيضاء ، على جبل من سجارة الكلس ، يملو انورا
من ثلاثة اقدام من السهل • يبنى الشكل • طوله نحو من ٤٠٠ يارد - وما زال يصف بالاطلال
سور خفيش من اللبن • يقوم على اساس اقدم زمتا - وارل من دارما مستكشفها الميجر ساينس في
سنة ١٩٠٠ واسمى في وصف هذه الخرائب في الصفحة ٤٣١ من كتابه Tan Thousand Miles in
Persia المطبوع في لندن سنة ١٩٠٢ •

باتقال دواوين الحكومة من السرجان اليها ، سقطت منزلة السرجان وقل شأنها . ومع ذلك ، فقد ظلت السرجان حين كتب الاصطخرى « أكبر مدينة بكرمان » وأبنتها آراج لقلعة الخشب بها ، على ما ذكر . اما المقدسي فقد قال ان السرجان كانت في أيام بني بويه « أبهى وأوسع من شيراز ، ولها سوقان : عتيق وجديد . والاموال كثيرة جيدة . وبها خصائص وصناعة ، وشوارع فرجة ، ودور حسنة ، بها بساتين ، ولها ثمانية دروب » (وقد سرد المقدسي أسماءها ، ولكن قراءة بعضها في المخطوطات لا يركن اليها) . وبني عضد الدولة البويهى على باب حكيم ، دارا حسنة وكان مسجدها الجامع بين السوق العتيق والسوق الجديد ، أقام منارته عضد الدولة . ومياه البلد من قناتين شقهما عمرو وطاهر ابنا ليل الصفار في المئة الثالثة (التاسعة) .

أما ياقوت ، وقد كتب في المئة السابعة (الثالثة عشرة) فقد قال ان السرجان في أيامه ثمانية مدن كرمان . وهى خمسة وأربعون منبرا كبارا وصغارا ، وقد نص على ان مدينة السرجان ، « كانت تسمى القصرين » ولم يوضح لم سميت بذلك . وورد في تاريخ ابن الاثير وميرخواند اسم السرجان غير مرة في الكلام على بني بويه والسلاجقة . وقال المستوفى فيها بعد الفتح المغولى ، ان لها قلعة حصينة ، وارضا خصبة ، كثيرة القطن والقمح . ثم انتقلت السرجان الى ايدي الامراء المظفرين الذين قامت دولتهم في شيراز وحكموا فارس ، وفي مطلع المئة الثالثة (الرابعة عشرة) قهروا دولة قراختاي ، فدانت لهم كرمان كلها . وفي سنة ٧٨٩ (١٣٨٧) زحف تيمور الى فارس وحشد قواته ازاء شيراز فانقاد له الامراء المظفريون طائعين . ثم انه لما غادر فارس لفتح العراق ، جعل منهم فيها حكاما تابعين له . فلما خلا لهم الجو وتمكنوا من الامر ، تمرّدوا وخطفوا طاعته ، فما كان من تيمور الا أن أعاد الكرة على فارس في سنة ٧٩٥ (١٣٩٣) وتغلب على القوات المظفرية بعد وقعة حامية ، وولى ابنه الامير عمر شيخ على فارس وكرمان .

على ان كثيرا من النواحي ، لا سيما نواحي كرمان ، أثبت ان تمكين تيمور وثبت غودرز والي السرجان على الحكم فيها باسم آل مظفر . واضطر الامير عمر

شيخ أخبرنا الى ان بوجه جيشا لمحاصرة هذا الحصن المنيع . وكانت قلعة السرجان قد جددت حصونها منذ عهد قريب ، على ما ذكر علي اليزدي ، فكانت مكيّة الجوانب يرتد عنها من هاجمها ، فمضت سنة على حصارها وهي ثابتة لا تززعها الشدائد . فما كان من عمر شيخ الا ان قصد السرجان بنفسه ليحسم أمرها . على انه ، وهو يتأهب لذلك ، استدعاه أبوه ، ولكن النية ادرسته حين كان يجتاز كردستان للتحاق بتمور في معسكره الذي ضربه أمام آمد في الجزيرة . وكان ذلك في سنة ٧٩٦ (١٣٩٤) . وظلت السرجان مقاومة ستين فاستسلم مقاتلتها بعد ذلك لما لحقهم من جوع لا من غلبة القوة عليهم . وأخيرا لما اضطرر غودرل الى التسليم . أمر تيمور بقتله هو ومن بقي من رجاله القلائل ، غدارا ليكونوا عبرة لمن اعتبر في هذا الاقليم . وترك السرجان قاعا صاففا . وقد تكلم حافظ أير على السرجان ، مع انه كتب في عهد من جاء بعد تيمور ، قال انها المدينة الثانية في كرمان (تلي بردسير) لها قلعة حصينة تتوج صخرة عالية ، ثم خفي اسم السرجان بعد هذا الزمن من التاريخ ولم يعرف موضعها الصحيح الا حديثا في اطلال قلعة سك على ما قد يتبين^(٣) .

يتنا آفا ، ان قبة الاقليم الحالية مدينة كرمان . وهذه المدينة ، وان لم

(٣) الاصطخرى ١٦٦ : القدس ٤٦٤ و ٤٧٠ : ياقوت ٤ : ١٠٦ و ٣٦٥ : المستوفى ١٨٢ : حافظ أير ١٤٠ : علي اليزدي ١ : ٦١٨ و ٦٦٧ و ٧٨٤ : ميرخواند القسم الرابع ص ١٧٠ : القدس السادس ٤٨ و ٦٩ .

ذكر البلاديون العرب مرمع السرجان بالمراسل من امكة مختلفة معروفة . وهم غالبا ما ذكروا المراسل بما يتاوبها بالفراصخ . ولكن ما يؤسف عليه ان وصف المسالك الى كرمان يعتبر الى ما في كل طريق من مراسل مع وصف للفد التي تمر بها (بخلاف ما ذكروه عن مسالك اقليم الجبال وقراس) . ومع ذلك فاننا للنفس فيما يأتي المسالك التي ذكروها ، وهي تتجس على ان موضع قلعة سنك هو مدينة السرجان . فم شهر يابك في الشمال الغربي حيث تتجسع الطرق الآتية من شيراز واصطخر الى السرجان ٢٤ او ٢٢ فرسغا يحسب اختلاف الطرق . وكانت السرجان على ٢٨ الى ٤٦ فرسغا الى ثلاث مراسل طويلة من صاهك الكبرى ، ومن وستاق الرستاق (وهي على مرحلة يوم لصيرة من شمال غربي هرج) كانت السرجان على اربع مراسل ، وكانت ليمد عن بيزر خمس مراسل ونصف مرحلة . وكان الطريق الناهض الى الشرق والى الجنوب الشرقي من السرجان الى جيرل يمد بست مراسل الى ٥٤ فرسغا . وكان الى رايث خمس مراسل والى سرورستان (في الجنوب الشرقي من رايث) ٤٥ او ٤٧ فرسغا . واخيرا كانت المسافة من السرجان الى صاهك ثلاث مراسل والى بردسير « مدينة كرمان » مرسلتين . اما المراجع من هذه المسافات ، فهي : ابن خردادبه ٤٨ و ٤٩ و ٥٣ : لغامة ١٦٥ و ١٦٦ : ابن الفقيه ٢٠٦ و ٢٠٨ : الاصطخرى ١٣١ و ١٣٥ و ١٦٨ و ١٦٩ : القدس ٤٥٥ و ٤٦٤ و ٤٧٣ .

تكن القصة الإسلامية الأولى ، الا انها كانت على ما يظهر مدينة جليلة منذ أيام الساسانيين . أما أصلها ، فقد قال فيه حمزة الاصفهاني ، وهو من مؤرخي المئة الرابعة (العاشرة) ، انها من بناء الملك اردشير مؤسس الدولة الساسانية ، فسمها به اردشير ومنها الموضع الطيب لاردشير . فحرف العرب هذا الاسم حين تلفظهم به وقالوا بهر سير (أو بهدسير) وبردسير (أو بردشير) . أما الفرس فانهم على ما ذكر المقدسي « يسمونها بلسانهم گواشير » من وبه ارتخشير وهو اللفظ الأعرق زمنا لاسم به اردشير . وزاد ياقوت على ذلك أنه في أيامه كانت تسمى جواسير وجواشير ويقال گواشير . وهذه الصور كلها تغايل الاسم العربي بردسير وتستعمل بدلا منه دون تقييد^(٤) .

ومدينة برد سير هذه ، التي أصبحت قصة إقليم کرمان الجديدة في عهد بنى بويه ، لا رب في انها تطابق كل المطابقة مدينة کرمان الحالية ، يثبت ذلك : ما ذكرته كتب المسالك عن موضعها ، ووصف البلدان العرب لكثير من الاثنية في بردسير ، والمواضع الطبيعية فيها ، وكل ذلك ما زال موجودا يرى في مدينة کرمان . كما دعمت التواريخ العربية والفارسية ، على ما سبأني بنا ، هذه المطابقة وعززتها . فمدينة بردسير صارت تعرف بعد المئة الرابعة (العاشرة) باسم گواشير ، وجرى على السنة الناس عددهم اياها قصة کرمان . وبحرور الزمن حل محل هذه الاسماء اسم « مدينة کرمان » أو « کرمان » فقط اختصارا . فنحل الاقليم اسمه - على ما هو الحال غالبا - على القصة .

والمقدسي ، وقد أطال في كلامه على بردسير ، قال في بردسير حين اتخذها ولاية بنى بويه قصة الاقليم الجديدة ، انها : قصة ليست بالكبيرة لكنها حصينة . على جانبها قلعة كبيرة عالية فيها بساتين ، وقد حفر فيها بئر عظيمة عجيبة ، وهذه القلعة

(٤) حمزة الاصفهاني ٤٦ : المقدسي ٤٦٠ د ٤٦١ * نافوت ١ : ٥٥٥ : ٢ : ٩٢٧ : ٤ : ٢٦٥ . وقد وردت تهجته الاسم احيانا بصورة « يزديشر » وليس ذلك الا من وهم النساج جاء من اعجام الحروف في الكتابة العربية . اما اليوم ، فان بردسير يطلق على ناحية مسية في جنوب غربي مدينة کرمان الحالية ، وفصينها ماينيز . وليس اليوم مدينة باسم بردسير - وانظر ص ٢٩٨ الحاشية ، من هذا الكتاب ، ان اردت مثلا آخر على ورود « به » أو « وه » على اسماء الامكنة الفارسية .

من بناء أبي علي بن الياس ، كان يصعد إليها ابن الياس على الدواب الجبلية المتادة لصعودها ، وينام فيها كل ليلة . وعلى الباب حصن ثان وحتدق ذو قناطر . وفي وسط البلد قلعة ثالثة والجامع قربها وهو لطيف وحتدق بالبلد . وللمدينة أربعة أبواب الثلاثة الأولى منها سميت باسماء المدن التي تؤدي إليها الطرق الخارجة منها ، وهي : باب ماهان وباب خيصر وباب زرند . والرابع باب مبارك . ولعله سمي بذلك نسبة إلى رجل اسمه مبارك . وزاد المقدسي على ذلك ان في المدينة بساتين كثيرة وأكثر شربهم من آبار ، والقني تسقى بساتينهم المحيطة بها^(٥) .

ومنذ أن نقل ابن الياس ، في أيام عضد الدولة ، دواوين الأقليم إلى بردسير ، دامت هذه المدينة قصبة لكرمان ، على ما يتنا ، وارتبط مصيرها بمصير الأقليم كله . فقد كان كل من حكم بلاد فارس أطلقها به على جاري المادة . وفي النصف الأول من المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، سقط بنو بويه بقيام السلجقة فكانوا سادة إقليم كرمان من سنة ٤٣٣ إلى ٥٨٣ (١٠٤١ إلى ١١٨٧) . والسيرجان وإن كانت في أيامهم من أجل مدنها ، إلا ان بردسير ظلت دارا للملك . وفي تاريخ السلجقة لابن ابراهيم جاء اسم القصبة أحيانا بصورة بردسير وأحيانا بصورة گواشير ، بينما أشار ميرخواند في فصول كتاب روضة الصفا التي تناول هذا العصر ، إلى القصبة السلجوقية باسم « مدينة كرمان » أو « كرمان » بوجه الاختصار . ولم يرد قط اسم « بردسير » عنده . وعليه فاسم بردسير وكرمان ، كانا يستعملان دون قيد للإشارة إلى موضع واحد دون غيره ، فابن الاثير مثلا ذكر في أخبار سنة ٤٩٤ (١١٠١) اخراج ايرانشاه السلجوقي « عن مدينة بردسير التي هي مدينة كرمان »^(٦) .

(٥) المقدسي ٤٦١ .

(٦) ابن الاثير ١٠ : ٢١٦ . ولقول ابن الاثير هذا مظهر شجاع ، يستغنى عنه الجزم بأن بردسير كانت مدينة كرمان الحديثة على أن الامر وإن كان صحيحا لا شك فيه من الناحيتين التاريخية والاضطحية ، فإن هذا القول لا يصح الأخذ به كبرهان عليها ، لأن « مدينة كرمان » يراد بها قصبة (أي مدينة الغليم) كرمان ، فهي عبارة مبهمه . وقد روى ابن الاثير في جزء سابق من تاريخه (٣ : ١٠٠) كيف فتح العرب في أيام عمر السيرجاني وزاد على ذلك هذه الكلمات « وهي مدينة (أي قصبة)

وفى سنة ٥٨٣ (١١٨٧) اكتسحت قبائل الفز التركمانية ، اقليم كرمان ، ونهبت بردسير وخرت معظمها ، واتخذت مدينة زرنند قسبة موقية للأقليم . وكانت قوة السلاجقة حينذاك آخذة فى العصف والاضمحلال . وفى سنة ٦١٩ (١٢٢٢) خضعت كرمان كلها لنفوذ الدولة المرووفة بقراختاي ، قراخطاي ، القصيرة العمر . وقال ميرخواند ان قنلق خان أول أمراء هذه الاسرة ، استولى على « مدينة كرمان » ، ويقال انه دفن فى المدرسة التى أنشأها فى حي " يقال له ترك آباد فى ظاهر مدينة كرمان . ومن الجهة الثانية ذكر المستوفى فى تاريخ كزیده ، وابن ابراهيم فى تاريخ السلاجقة ، ان قنلق خان استولى فى سنة ٦١٩ (١٢٢٢) على « مدينة بردسير » (أو كواشير على ما فى كزیده) . فأضحى بذلك أميراً على مملكة كرمان كلها . وأخيراً ، فمماصره ، ياقوت ، ذكر بردسير اسماً لقسبة كرمان فى هذا الزمن (أى فى المئة الثالثة عشرة للميلاد)^(٧) .

أما الفتح المفلو لایران ، فلم يؤثر فى كرمان تأثيراً محسوساً . وفى أوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تزوجت ابنة آخر أمير من أمراء قراختاي أمير فارس المظفرى الذى تولى الحكم فى اقليم كرمان تحت ظل المفلو . والمستوفى ، فى كلامه على القسبة كواشير ، أى برد شیر ، وصف جامعها القديم ، وقال ان زمنه یرقى الى ختام المئة الاولى للهجرة ، فى عهد الخليفة الاموى عمر الثانى المتوفى سنة ٧٢٠ للميلاد . ووصف أيضاً البستان الذى أنشأه ابن الیاس عامل بنى بويه ، وكان يعرف بباغ سیرجانى أى « بستان الآتى من السیرجان » . وكان هذا البستان حين كتب ذلك فى سنة ٧٣٠ (١٣٣٠) زاهراً زاهياً . وزاد المستوفى على ذلك ، ان ابن الیاس بنى أيضاً القلعة التى فوق الجبل وهى التى وصفها المقدسى على ما یبئاً . وكان فى المدينة جامع یسمى جامع تبریزی ، بناء توران شاه السلجوقى ،

كرمان . « مع ان السیرجان فى الواقع لیست كرمان الحالية عل ما یعم من هذه العارة فى اول نظرة .

قلنا : وجدنا ان ابن الاثیر (١٠ : ٢١٩) ذكر تیرانشاه لا ایراننشاه فى مسیالة هذا القبر . (م) .

(٧) المستوفى : كزیده . الفصل الرابع ، القسم العاشر ، عهد براق حاجب : ابن ابراهيم ٤ : ٥٤ و ٢٠٠ و ٢٠١ / میرخواند : الجزء الرابع ١٠٤ و ١٠٥ و ١٢٨ و ١٢٩ : ياقوت ٤ : ٢٦٥ .

والزار المشهور المنشأ على قبر الولي شاه شجاع الكرمانى . وذكر حافظ أبرو ، وقد نشأ بعد سلفه ، ان ترخان خاتون ابنة قنلق خان القراحتاى ، ابنته فى سنة ٦٦٦ (١٣٦٨) جامعا فخما كبيرا فى كرمان الى غيره من الجوامع والمدارس ، رستشير الى احداها عما قريب . وهذا المؤلف نفسه ، وقد كتب سنة ٨٢٠ (١٤١٧) ، أشار الى المدينة دون تفريق بين تسميتها بردسير (أو گواشير) وكرمان^(٨) .

وهذه الاوصاف الى انتهت البنا عن بردسير من مختلف مراجعنا ، من المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) حتى حافظ أبرو فى أوائل المئة التاسعة (الخامسة عشر) ، قد أشارت اشارة واضحة الى كثير من الابنية التى ما زالت قائمة ، وبعضها مئمت خرب فى مدينة كرمان الحالية . وذكر المقدسى ، على ما بينا ، القلاع الثلاث التى اشتهرت بها المدينة . وردد ابن ابراهيم غير مرة فى تاريخ السلاحة الاشارة الى القلعة التى فوق الجبل (قلعة كوه) والقلعة الشيقة والقلعة الجديدة - وهى توافق ، على ما يتضح ، المواضع الثلاثة التى وصفها المقدسى - . أما فى كرمان الحديثة فأننا نجد أولا قلعة عيفة تتوَّج جبلا قريبا منها من الشرق يقال لها اليوم قلعة دختر أى « قلعة البنت » وهى تنسب الى الملك أردشير على ما يزعمون ، وتحد ثابا فى جنوب المدينة الشرقي ، جبلا آخر ، محكم التحصين فى الزمن القديم بأسوار وأبراج ، وقد نداعت الآن ، تعرف بقلعة أردشير . وينبغى ان تكون هى القلعة التى فى ظاهر باب المدينة . وأخيرا نجد القلعة المتيقة فى وسط البلد وكانت ولا شك حيث قصر الوالى الآن^(٩) .

أما جامع نوران شاه ، وهو الذى ذكره المستوفى ، فما زال قائما يعرف بمسجد ملك . وفى كرمان أيضا بناء آخر ، يصل مدينة كرمان بالزمن الذى كانت تسمى فيه بردسير ، وهو القبة الخضراء (أو الزرقاء) المنطوية ، المسماة قبة سبز ، وقد كانت حتى وقت قريب تقوم فوق قبر ترخان خاتون ابنة قنلق خان أمير

(٨) المسعودى ١٨٢ : حافظ أبرو ١٣٦ ب ، ١٤٠ : ١

(٩) وضع المجر سانكى تخطيطا لمدينة كرمان (ص ١٨٨) وكتب لحة عن مدين الحصين اللدبيين ص ١٦٠ من Ten Thousand Miles in Persia .

قراختاي ، على ما مرّ آنفاً . وجاء في التاريخ عن هذه الاميرة ، انها بعد وفاة أبيها ، خلعت أخاها عن العرش وأصبحت مدى خمس وعشرين سنة الحاكم الحقيقي لكرمان ، نحكم باسم زوجها - ابن عم قنلق خان - وباسم ابنها اللذين سمح لهما بتولى العرش اسما للواحد تلو الآخر . وروى ميرخواند انها توفيت في سنة ٦٨١ (١٢٨٢) ودفن تحت قبة مدرسة شهر ، أي مدرسة المدينة . وفي القبة الخضراء القائمة فوق قبرها ، كتابة على الجدران تنوه بأسماء البناتين وبسنة ٦٤٠ (١٢٤٢) وهي سنة الانتهاء من عمارتها أي في أيام الحكم الاسمي لابن قنلق خان الذي خلعه اخته ترخان خاتون فيما بعد^(١٠) .

ولم يذكر البلدانيون العرب عن غيرها من المدن في ناحية بردسير الالمحات خفيفة . فلم تبق فيها مجاميع من القرى ، على ما كان الامر عليه في فارس ، وكان في أشعاف مدن كرمان مفاوز . فعلى عشرين ميلا من جنوب غربى كرمان مدينة بنين . ويلها ، على نحو المسافة نفسها ماشيز . وهاتان المدينتان في الطريق من كرمان الى السرجان . وليس في هذه البقعة اليوم غير هاتين المدينتين . وقد ردّد ابن ابراهيم ذكرهما في تاريخ السلاجقة في أخبار النصف الاخير من المئة الرابعة (العاشرة) . ومما يدعو الى العجب ، ان بنين وماشيز لم يذكرهما لا البلدانيون العرب الاولون ولا المستوفى ، بل ولا المصادر الفارسية التى وصفت حروب تيمور على ما يظهر . وعلى مرحلتين قصيرتين من جنوب شرقى مدينة كرمان ، مدينة ماهان ، وهى مشهورة اليوم بزار نعمة الله الولى الصفوى ونسنرادامس^(١١) إيران الذى ما زالت تبسّواته تُروى في تلك (Nostradamus)

(١٠) انهارت قبة سبهر انهارا كاملا نرازال سنة ١٨٩٦ - وقد وصفها منجر سانكس الذى نشر مسوره لها سفلها حين دأبها دبل الزلزال (Persia ص ٢٦٤) . وازداد منجر سانكس ايضا وصفا لهذه القبة من ١٩٤ ، وكذلك لجامع توران شاه ، ولد حكم من ٤٧٧ الى ٤٩٠ (١٠٨٤ - ١٠٩٧) . ابن ابراهيم ص ٢٨ ، ٣٤ ، ١٧٧ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ميرخواند ٤ : ١٢٩ و ١٣٠ .
Parau في Stael Reise in Persien :
Schindler في Zeitschrift der Gesellschaft fur Erdkunde (برلين) ١٨٨١ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ .

(١١) منجم مشهور ، عاش في سنة ١٥٠٣ - ١٥٦٦ م . ولد في القلم ببولس فرنسة . وكان طبيب الملك شارل التاسع . (م) .

الاصحاء الاسلامية من آسية • وقد توفي سنة ٨٣٤ (١٤٣١) وله من العمر نيف وثمانية سنة • ويقال انه كان من أصحاب الشاعر حافظ (الشيرازى) • وفى المثة الرابعة (الماشرة) وصف المقدسى ماهان بقوله • مدينة العرب ، الجامع وسط البلد ، وفى وسطها قلعة بباب واحد يحيط بها خندق • وتسير منها مرحلة الى القنصة فى أشجار مشبكة ومياه جارية ، شربهم من نهر •

اما حجيراء ، وكوغون ، وبينهما فرسخ ، ولم يبق لهما اليوم أثر على ما يظهر ، فقد كانتا جنوب ماهان على مرحلة غرب راين (وهى ما زالت قائمة) • وصف المقدسى غيرا فى المثة الرابعة (الماشرة) بقوله • صغيرة لها قرى ••••• فى وسطها قلعة • وقد بنى ابن الباس (الولى البويهى) خارج البلد سوقا • • ولدىة غيرا وكوغون جامع حسن ، وشرب أهلها من نهر وفى • وعلى نحو من خمسين ميلا شرق كرمان ، فى شفير المفازة العظمى ، خيىص ، وكانت على ثلاث مراحل من ماهان • وكان مستوى المفازة خفيفا ، اذ ان المفازة هنا أكثر اطمثانا بكثير من هضبة ايران الوسطى التى تقوم عليها مدينة كرمان • فكانت خيىص ، على ما أشار اليه الاصطخرى ، من جروم كرمان ، وبها نخل كثير • وزاد المقدسى على ذلك • عليها حصن بأربعة أبواب عامرة ، معدن الابرسم ، كثيرة الثوت ، شربهم من نهر ، جيدة التمور • (١٧) •

وعلى مرحلتين من شمال غربى كرمان ، مدينة زرد • وكان فى نصف الطريق بين المدينتين فى القرون الوسطى ، مدينة جنزروذ ، لم يبق لها أثر على ما يظهر • وقد وصف المقدسى جنزروذ بقوله • الجامع فى الاسواق ، كثيرة الفواكه • ولهم نهر • يسمى نهر جنز • أما زرد فما زالت قائمة ، قال المقدسى • قد بنى ابن الباس على حافتها قلعة • وكانت زرد فى المثة الرابعة (الماشرة) كبيرة •

(١٧) ابن ابراهيم ٦٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢١ : الاستخرى ٣٣٤ : المقدسى ٤٦٢ و ٤٦٣ : كوروليل ص ١٠ اى • بت Khurasan and Sistan : Q. E. Yate ص ١١ •
ويجد ميجر ساينكس (Persia ص ٤١) فى شيبس شامد تير ، ليه تاريخ ١٧٣ (٧٨٩) وكذلك بقاء بناء ، يظهر منه انه كان كنيسة نصرانية أو مسيحية لغير المسلمين • وذكر المقدسى (ص ٤٦٠) أربع مدن فى ناحية شيبس ، هى : نيشك ، كسفيد ، كوك • وكندورا (يفتح أوله وثلاثة ورايه وسكون ثانيه) ، ولكنه لم يشر الى مواضعها • والظاهر انه لا اثر لها اليوم •

« عليها حصن بسة أبواب » والجامع في الميدان عند السوق » . وكان يرتفع منها نسيج يقال له البطانة » وكانت البطانة الزرندية تحمل الى فارس والعراق في الملة الرابعة (العاشرة) لشهرتها هناك .

وعلى خمسين ميلا شمال زرنند » مدينة راور » على شفير المفازة الكبرى .
والى الغرب من راور : كوينان » وقد زارها ماركو پولو . وصف المقدسي هاتين المدينتين وقال ان راور في الملة الرابعة (العاشرة) كانت « أكبر من كوه بيان (كوينان) لها حصن على رأس الحد » . وقال في كوينان أو كوه بيان « صغيرة » لها بابان » ورض فيه حمامات وخانات . والجامع على الباب » قد التفت بها البساتين » والجبل منها قريب » . وبالقرب منها مدينة بهاباد » وقد كتبه المقدسي بصورة بهاذ » وذكره مع مدينة قواق وقال هما عامرتان » بينهما ثلاثة فراسخ وحما من المنطقة النادرة » كلها بساتين . وما زالت بهاباد قائمة » اما قواق فليس لها أثر في الخارطة . وذكر ياقوت في الملة السابعة (الثالثة عشرة) ان « فيها وفي قرية أخرى يقال لها بهاباد » يعمل التوتيا الذي يحمل الى أقطار الدنيا » وأشار المستوفى في الملة التالية للسابعة الى كوهينان الى ساسها معاصره ماركو پولو بمدينة « كوينان Cobinan » وقد وصف هذا الرحالة البندقي » التوتيا التي تصنع فيها بقوله « شيء في غاية الصلاح للصيود » . وقد كانت التوتيا في الملة الرابعة (العاشرة) من أهم تجارات إقليم كرمان » وقال المقدسي « التوتياء المرازبي » وانما مسمى مرازبا لانهم يتخذون شبه أصابع من الخزف كبارا » ثم يصبونه عليه فيلتزق به فيبقى كالمرازيب » ورأيتهم يجمعونه من الجبال وقد بنوا أكوارا عجيبه طويلة يصفونه كما يصفى الحديد » (١٣) .

(١٣) الاصلطري ٢٣٣ ؛ ابن حوقل ٢٢٤ و ٢٩٢ ؛ المقدسي ٤٦٢ و ٤٧٠ و ٤٩٣ ؛ ياقوت ١٠٩٦٧ ؛ ٤ ؛ ٣١٦ ؛ المسعودي ١٨٣ - انظر Yule, The Book of Ser Marco Polo, I, 127-130 للاطلاع على وصف عمل التوتيا » وقد شاهد جيبير سانكي (Persia من ٢٧٢) معلقا في كوهينان في وقتنا في الطريقة نفسها الموصوفة اعلاه .

ويطلب ان يصنف اسم راور الى زاور » وهو من وهم النسخاء » وكذلك ظهر اسم كوه بنان بصورة كوهيان ذكره بيان بسبب الاعمام » وبيان الاسم العارضي للفسق البري » فسمى كوهينان جبل الفسق » .

وعلى نحو من خمسين ميلا غرب كوه بنان ، على شفير المفازة فى نصف الطريق بين هذه المدينة ويزد ، تقوم بلدة باءق فى وقتنا هذا ، وفى اقليم كرمان مدينتان اسمهما متشابه كثيرا وهو باءق المارة الذكر ، وباءت أو باءد . وهذه الاخيرة على ثمانين ميلا جنوب مدينة كرمان وتبعد شئ ميل عن باءق الشمالية . وهذا التشابه بين الاسمين قد ازداد لبسا بكون باءق (الشمالية) غالبا ما تلفظ اليوم باءد . ومن ثمة ، فانها تتفق اسما مع المدينة التى فى جنوب ماشيز ، اذ ان من الشائع فى اللغة الفارسية قلب القاف دالا أو تاء . وذكر ياقوت بلدة باسم باءد قال فيها ، بلدة كرمان ، على طريق شيراز ، من البلاد الحارة . ، وذكر ابن ابراهيم فى تاريخ السلاطنة ، اسمى المدينتين باءد وباءق ، ولكن لم يورد ابن ابراهيم ولا ياقوت ، وصفا بغير تعيين مواضعهما^(١٤) .

(١٤) ياقوت ١ : ٤٧٤ ؛ أبو الفداء ٣٣٦ : ابن ابراهيم ٣١ ، ٤٣ ، ٦٧ ، ٩٠ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
Persia : Stack ، ١٧٢ ، ١٦٤ . ١٣ .

الفصل الثماني والعشرون

كرمان «تنه»

كورة السرجان - كورما بم ونرماسع - ديكان - جيرفت وقمادين : كمادي
Camadi لدى ماركوپولو - دلفريد - جبال البابل والقفلس -
روڈکان والنوچان - هرز المشقة والجديدة وكمبرون -
تجارات اقليم كرمين - مسالكها .

تقوم كورة السرجان - وكانت مدينة السرجان أجل مدن هذا الاقليم، وقد كانت
قصة اقليم كرمين القديمة التي مرّ وصفنا لها في الفصل السابق - في غرب تاحية
برديسر على حد فارس . وقد ذكر المقدسي جملة مدن في هذه الكورة لم يعد
لها أثر اليوم يا للأسف في الخارطة ، مع ان مواضعها بالنسبة الى موضع مدينة
السرجان معروفة .

فعل أربعة فراسخ غرب السرجان ، عند حد اقليم فارس : مدينة بيمند ،
قيل فيها في المئة الرابعة (العاشرة) ، عليها حصن منيع وابواب حديد ، وكانت
موضعا جليلا أيضا لكونه ملتقى ثلاث طرق - هي الطريق الآتي من شهر يابك
(في الشمال) والآتي من الروذان (في الشمال الشرقي) والآتي من صاهك
(في الغرب) - ومنها الى السرجان حيث تلتقي جميعا . وصف المقدسي بيمند
بان « الجامع وسط السوق ، شربهم من نقي » . ثم انه على مرحلة يوم من شرق
السرجان ، في طريق راين ، موضع يقال له الشامات مدينة « كثيرة البساتين

والكروم ، فواكهها تحمل الى النواحي ، والجامع وسط البلد . • ويقال لهذه البلدة أيضا قوهستان • وعلى مرحلة واحدة أيضا شرق الشامات ، بهار • وعلى مرحلة أخرى : خشاب • وفي الموضوعين الآخرين نخل كثير • وعلى ختاب ، غيرا وقد مرّ وصفها في كورة بردسير • وعلى مسيرة يومين من جنوب شرقي السيرجان ، في طريق جيرفت ، تقوم مدينة باسم يكتب اما واجب أو ناجت (وللاسف قراءات أخرى) • وقال المقدسي في واجب انها عامرة كثيرة البساتين لهم منازل ، شربهم من نبي ، الجامع في الاسواق (١) •

أما كورة بسم (ويكتبها البلديون العرب بتشديد الميم) ، فهي حول المدينة التي بهذا الاسم ، في الجنوب الشرقي من ماهان ، على شفير المفازة العظمى ، وعند الحد الشرقي لكرمان • وصف ابن حوقل مدينة بسم في المئة الرابعة (العاشرة) • بأنها أكبر وأصح هواء من جيرفت ، بها نخيل ، ولها قلعة منيعة مشهورة • • وبمدينة بسم ثلاثة مساجد يجمعون فيها الجمعات ، فمنها مسجد للخوارج ، ومسجد جامع في البزازين ، ومسجد جامع في القلعة • • ويصل بسم ، ثياب من قطنهم فاخرة حسنة ، تحمل الى الأبعد الديار ، ويحمل من بسم أيضا الصائم والمناديل والطباخة • • وذكر المقدسي : • عليها حصن بأربعة أبواب : باب نرمانير ، باب كوسكان ، باب أسيكان ، باب كورجين • فيها بعض الاسواق وبقية الاسواق خارج • وفي وسط البلد نهر يجري على حافة البلد ويدخل القلعة • ومن أسواقها سوق جسر جرجان • ومن حماماتهم المذكورة ، حمام زقاق البند • وجبل كود منها على فرسخ ، بقرها قرية عظيمة ، أكثر ما يصل من الثياب بها • وأشار المستوفي في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) الى قلعة بسم المنية وتكلم على هوائها وقال انه حار (٢) •

(١) ابن خردادبه ٤٦ و ٥٤ : الاصطخرى ١٦٨ و ١٦٩ : المقدسي ٤٦٤ و ٤٦٥ • وجاء اسم ناجت لى ابن حوقل بصورة ناخته ، ولى ابن خردادبه : باخته وناخته أو قانته ، وكلها ولا شك تصحيف لباثت المدينة المارة الذكر فى الفصل السابق (ص ٢٤٨) • وما زالت قائمة فى نحو من المواقع الموصوف •

(٢) قد وصف قلعة بسم القديمة وهي ما زالت قائمة الى اليوم ، ميجر ساينس (انظر Persia ص ٢١٦ و ٢١٨) • والحال للمدينة التي كانت فى القرون الوسطى ، ترى على شفة النهر عند كزادان ، تبعد نحواً من ميل عن الحصن •

أما راين ، فهي الى جنوب ماها ، على نحو من سبعين ميلا شمال غربى بم .
وصفها المقدسى بقوله : « صغيرة ، الجامع وسط الاسواق ، كثيرة البساتين » .
وفى ثلث الطريق من راين الى بم ، تقوم أوارك ومهر كرد (أو مهر جرد) وهما
ملتصقان . أما الاولى فما زالت ، وهى تلفظ اليوم : أبارك . وكانت تقوم بين
الاثنتين فى المئة الرابعة (العاشرة) قلعة ، بناها ابن الياش عامل بنى بويه . وشرب
أهلها من نهر ، وبناؤهم طين . وتقوم بين أبارك وبم مدينة دهرزين وكتبها
المقدسى بصورة دارزين ، وغيره بصورة دارچين وديروزين « بها جامع حسن ،
ولهم منازة وبساتين ومزارع ، وشربهم من نهر » (٣) .

اما كودة نرمسير (وبالفارسية نرمشير) ، فانها جنوب شرقى بم ، على
شفير المفازة . وتقوم قصبتها مدينة نرمسير فى نصف الطريق بين بم والفهرج ،
وما زالت الفهرج قائمة . وكانت نرمسير فى المئة الرابعة (العاشرة) ، مدينة
جليلة الشأن ، نوه المقدسى بقصورها الحسنة الانيقة وكثرة أهلها . وبها تجار من
خراسان ، لهم تجارة مع عمان ، وعليها طريق حاج سجستان ، ومنها ينقل
البهر بهار . وكانت نرمسير فى المئة الرابعة (العاشرة) أصغر من السرجان
« عليها حصن بأربعة أبواب : باب بم ، باب سوركون ، باب المصلى ، باب كوشك .
والجامع وسط الاسواق ، يصد اليه بشر درجات من الآجر ، به منارة ليس لها
فى الاقليم من نظير . وثم قلعة يقال لها كوش وران (ولم يفسر هذا الاسم) ،
وعلى باب بم ثلاثة حصون يعرفن بالآخوات . يحدهن بالبلد البساتين والخصيل . »
ولا أثر اليوم فى الخارطة لمدينة نرمسير . ولكن الاطلال المعروف موضعها باسم
جكك اباد « أى مدينة العصفور ، القائمة على يمين النهر البطيء الذى يدور فى
سهل نرمسير ، ينبئ أن تكون هى بقايا مدينة القرون الوسطى الغلظية . وهذا
الموضع اليوم فى قفر بلقع وإن كان المستوفى حتى المئة الثامنة (الرابعة بمشرة)
قد أشار الى نرمسير بانها بلدة آهلة .

وعلى عشرين ميلا من جنوب الفهرج ، مدينة ديكان (وتكتب أيضا ريقان

(٣) ابن حوقل ٢٢٣ و ٢٢٤ : المقدسى ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٦٧ : المستوفى ١٨٢ : ياقوت ٤ : ٧٠٠ .
وقد وصف ميرزا سايبك ابارك ودارزين . انظر : Persia ص ٢١٤ .

أو ريفان) • ذكر المقدس أن لها حصنا • والجامع على بابها • كثيرة النخيل والبساتين • • وأشار المستوفى إليها • فكان هي بلد في غابة الحر • يكثر فيها النخيل والقمح • وبين ريفان وبم • مدينة كرك • وقد جمع المقدس بينها وبين جارتها باهر (ولا يلتبس هذا الاسم باسم بهار في السيرجان أنظر ص ٣٤٩) • وقد كانت هاتان المدينتان في المئة الرابعة (العاشرة) • عامرتين لهما بساتين ونخيل • • وكانت مدينة نسا من كورة نرماهير أيضا • ولكن موضعها غير معروف كان (لها بساتين • في سهلة • والجامع في الاسواق • شربهم من نهر ^(٤) •

وقد كان جميع النصف الجنوبي من إقليم كرمان حتى ساحل البحر • تحتويه كورة جيرفت (أو حيرفت) • وكانت جيرفت في القرون الوسطى مدينة جبلية الشأن • يتخللها نهر • لم يسم البلديون العرب غيره في هذا الاقليم • وتعرف خراب جيرفت اليوم (وقد بقي هذا الاسم اليوم على ناحية جيرفت فقط) بشهر دقيانوس (أي مدينة الملك Decius) الذي يضرب المثل بطلانيته في الشرق وفي أيامه دخل أهل الكهف السبعة كهفهم على ما في القرآن (السورة ١٨ الآية ٨ • وأنظر صفحة ١٨٨ أعلاه) وقد أضحت قصة أهل الكهف من الاقاصيص الشعبية • ويمر بالقرب من هذه الخراب • نهر يقال له خليل رود (أو خليل رود) وهو الذي سماه البلديون العرب والفرس بـ • ديو رود • (أي نهر ابليس) لشدة جريه • وهو أحد روافد بهر يور • ويصب شرق الهامون أي المناطق •

وفي المئة الرابعة (العاشرة) • وصف ابن حوقل جيرفت فقال • مدينة طولها نحو من ميلين • وهي متجر خراسان وسجستان • ويجمع فيها ما يكون في الصرود والجروم • • وترتفع من نواحي جيرفت التل الكثير والكثون ولهم قانيد ودوشاب ^(٥) • • وبقر جيرفت ناحية تعرف بالميزان (وفي الاصطخرى : الميجان) عامرة بالبساتين والقرى • يكثر فيها الرطب والجوز والاترج • والتلوج

(٤) ابن سرداذنه ٤٩ : المقدس ٤٦٣ ، ٤٦٤ • لى الطبعة الجبرية للمستوفى • (ص ١٨٢)
اقرأ • نرماهير • بدل • ماشير • وذلك استنادا إلى أحسن المخطوطات المؤيدة بنص جهان سا التركية
(ص ٢٥٧) • وأنظر من ذلك إباد سايتس : Persia ص ٢٢٠ •
(٥) القانيد : السكر •

تحمل إليها من الجبال القريبة • وماؤها من نهر يعرف بـ « ديو روذ » له وجبة •
 وجرى سريع يجرى على الصخور • وفيه ماء بالتقدير يدير خمسين رحي • •
 ومن شرب دوفارد القريب من جيرفت ميرتها وفيه • على ما جاء في المقدس •
 البلخ الحلو والرجس الذى يعمل منه الطيب المشهور • وعلى المدينة حصن
 بأربعة أبواب • هى : باب شاپور (ساپور) • باب بم • باب السيرجان • باب المصل •
 • والجامع على طرف عند باب بم من أجر وجص • بيد عن الاسواق • • وزاد
 المقدس على ذلك قوله • هى أكبر من اصطخر • بناؤهم طين • أساسه حجر • •
 وقال ياقوت • ان ولاية جيرفت خصبة كثيرة الغيرات يقال لها جردوس •
 وأشار المستوفى الى الغابات المكتظة بالسباع • التى كانت تجعل بالمدينة قبالا •
 أما فى أيامه • فقد نشأت فى موضعها بساتين التخليل • وكثيرا ما أشار ابن ابراهيم
 فى تاريخ السلاجقة الى قمادين فى المئة السادسة (الثانية عشرة) بقوله انه موضع
 عند باب جيرفت • وفيه يختزن تجار بلاد الروم والهند سلمهم وحيث يجتمع
 المسافرون بحرا وبرا • وذكر فى مكان آخر ان السلع الفاخرة النفيسة الآتية
 من الصين وبلاد ما وراء النهر وخطاي ومن هندستان وخراسان ومن الزنجبار والحشة
 وعصر ومن الروم وأرمينية والعراق والجزيرة واذريجان • كان كلها يباع فى
 أسواق قمادين • وقمادين الفارسية هى الموضع الذى ذكره ماركو پولو باسم
 Camadi أو مدينة كمادى • وقد كانت قبالا موضعاً عظيماً جليلاً • ولكن حين
 زارها ماركو پولو كانت حقيرة من جراء ما لحقها من غارات التتر المتعاقبة • وهذا
 يفسر لنا سبب اختفاء جيرفت وقمادين من التاريخ بعد ختام المئة السابعة (الثالثة
 عشرة) وخلو الخارطة من اسميهما • وكان حول جيرفت ناحية الروذبار التى
 ذكرها البلدانون العرب وجاءت عند ماركو پولو باسم Reobarles ريو بارلس^(٦) •

(٦) من الملاحق شهرديانوس وهى على يمين نهر خليل روذ • على مسافة قصيرة من عرب
 سرجاز • انظر : Keith Abbott فى JRGs لسنة ١٨٥٥ • ص ٤٧ وسايكس :
 Persia ص ٢٦٧ • الاسطرى ١٦٦ : ابن حوقل ٢٢٢ : المقدس ٤٦٦ • ٤٧٠ : ياقوت
 ٥٧ : ٢ : للمستوفى ١٨٢ : ابن ابراهيم ٤٨ • ٤٩ • ٨٣ : شندلر : JRAS لسنة ١٨١٨ ص ٤٣ • و
 (Yule) The Book of Ser Marco Polo ١ : ٩٨ •

وعلى مرحلة من شمال شرقي جيرفت وفي نصف الطريق الى دارجين ، بلدة هرمز الملك (وقد سميت بذلك تميزا لها عن فرضة هرمز) وكان يقال لها أيضا قرية الجوز . وهي على ما جاء في الادريسي - ولكن غير واضح من أين استقى روايته - مدينة قديمة أسسها الملك هرمز الساساني في المئة الثالثة للميلاد ، وكانت قصبة اقليم كرمان . وظلت على ذلك حتى خرابها ، فنقلت دواوين الدولة الى السيرجان ، فظلت هذه المدينة قصبة الاقليم في الدور الساساني الاخير . وقد أشار المقدسي وغيره من البلدانين الاولين الى موضع هرمز الملك ، غير انهم لم يذكروا شيئا عنها . وزاد الادريسي ان هرمز هذه كانت في أيامه (أو على أكثر احتمال في أيام المؤلف المجهول الذي استقى منه روايته) مدينة أنيقة لطيفة على صغرها . أهلها أخلاط ، يكثر فيها الماء وأسواقها عامرة حسنة . وكانت تبعد ، على قوله ، مرحلة من بم^(٧) .

وعلى مرحلة يوم شمال خرائب جيرفت ، دلفريد ، وقد سماها المقدسي درفاني ، وابن حوقل درفارده . وهي في شعب خصب تجتمع فيه فواكه الصرود والجروم على ما بيناه ومنه مرة جيرفت . وعلى مرحلة أخرى من شمال غربي دلفريد ، جبل الحادان حيث الفضة . وتكثر بوجه خاص في واد في جبل الفضة^(٨) .

والى شرق جيرفت ، جبل البارز ، وكان في المئة الرابعة (العاشرة) تكسوه غابات كثيفة . واليه التجأ المجوس المطاردون في أيام الفتح الاسلامي الاول تخلصا من الجيش الذي جرده عليهم خلفاء بني أمية ، ولم يخضع هذه البلاد للإسلام الا بنو الصفار . واشتهرت بمد ذلك بمعادن حديد . وأقرب منها الى ساحل البحر ، في جنوب شرقي جيرفت ، بلاد جبل الثَّمَص . كان بها في المئة الرابعة

(٧) الاسطغري ١٦١ و ١٦٦ ؛ ابن حوقل ٢١٩ و ٢٢٥ ؛ المقدسي ٤٧٢ ؛ الادريسي (طبعة جوبرت) ١ : ٤٢٢ ومضطربنا باريس : الرقم ٢٢٢١ عربيات ، الورقة ١٥٧ ب ، والرقم ٢٢٢٢ ، الورقة ١١٠٤ ؛ يانوت ٢ : ١٥١ .

وقد طابق ميجر ساينس (Persia من ٤٤٤) بين هرمز الملك (ولا وجود لها الآن بهذا الاسم) وبين Carmana omnium mater لدى اميانوس مرشليتيوس .

(٨) الاسطغري ١٦٥ . وقد كتب الاسم بصورة درباي ، ولعل ذلك من وهم النساخ . ابن حوقل ٢٢١ و ٢٢٢ ؛ المقدسي ٤٦٧ و ٤٧١ ؛ أبو الفداء ٣٣٥ .

(العاشرة) قبائل جبيلة ، وفي شرقها البلوس (أو البلوج) وكانوا ينتقلون عند تخومها الشرقية أمام الحدود السفلى للمغارة الكبرى . وسبأني الكلام على أجيال القفص من اللصوص عند وصفنا المغارة الكبرى . وكان يقال لقسم من هذه البلاد البعيدة : الخواش ، نسبة الى قبائل يعرفون بالخواش . وهم أصحاب ابل ومراع وكانوا في شعب شديد الحر يكثر فيه قصب السكر ويحمل الى سجستان وخراسان . وهذه الرقعة الجبلية هي التي تفصل بين الطرف الجنوبي للمغارة الكبرى ومكران . وقد كانت هذه المرتفعات سمة أجيل ، ولكل جبل رئيس منهم ، وقد حمل عليهم ضد الدولة البويهية في المئة الرابعة (العاشرة) لاختصاصهم . وهم « رجالة لا دواب لهم » . « وهم صنف من الاكراد كانوا أصحاب نم وبيوت شعر مثل البادية » ، لا مدن لهم . وفي الاقسام السفلى من بلادهم نخل كثير^(٩) .

وعلى خمسين ميلا جنوب غربى جيرفت ، مدينة «كلاشكرد» وقد كتبها المقدسي بصورة ولاشجرد وقال فيها : « عليها حصن ولها قهندز يسمونه كوشه ، شرابهم من قنى ذات بساتين » . ومنون « كثيرة البساتين والنانج » ، وهي من معادن النيل ، شرابهم من قنى ، وهي على مرحلة شمال ولاشجرد نحو جيرفت ، ولعل خراثبها هي ما يعرف اليوم باسم فرياب أو يرياب^(١٠) . وعلى خمسين ميلا من جنوب ولاشجرد المدينة الجبلية منوقان ، ويقال لها اليوم منوجان . قال فيها المقدسي « هي بصرة كرمان » اشارة الى مكائنها التجارية . وهي جانبان ، بينهما واد يابس يقال له كلان ويعرف أحد جانبيها باسم كوني و الآخر زامان ، بينهما قلعة [ما زالت قائمة] وجامع يسمى جامع سيان . وعلى مرحلة منها ، في رملة قرية من البحر ، مدينة درهقان ، ولا أثر لها اليوم على ما يبدو . وكان الجامع وسط البلد ، ولها بساتين فيها نيل ، وشرابهم من قنى .

(٩) الخواش اليوم ، قسبة سرحد ، وهي ناحية جبلية وسفها ميجر ساينكس Persia من ١٣٠ و ٣٥٣) . وتقوم في شرق نرماشير . الاصطخرى ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٨ : ابن حوقل ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ : المقدسي ٤٧١ : ياقوت ٤ : ١٤٨ . وينبغي ان يقرأ فيه : البارز بدلا من القارن .
(١٠) وقد اشار ميجر ساينكس (Persia) من ٢٦٩ الى فرياب بقرله كانت سينا ما مدينة منظمة ثم غزوها طوقان على ما ترويه الاساطير المحلية .

وبين ولاشجرد ومنوجان نهر كثير الروافد يقال له الآن رودخانه دزدى ، ذكره الاصطخرى باسم نهر الزنكان ، ويقوت باسم نهر راغان . وأشار المقدسى الى مدينة رودكان وقال انها عامرة ، بها بساتين وتخييل وتاريخ كثير ، ولعلها كانت على هذا النهر . والى شمال شرقى منوقان ، فى طريق ريگان ، وهى على ثلاث مراحل من ميناء هرمز ، مدينتا باس وجيكن ، متجاورتان ، لكل منهما جامع وسوق . ونهر سليمان أو جوي سليمان ، مدينة عامرة كثيرة الاهل على مرحلة غرب ريگان ، وقد ذكرها المقدسى فى كورة جيرفت . وفيها نهر يتخلل البلد ، والجامع وقهندز وسطها . وأخيرا ذكر المقدسى فى القسم الشمالى من ناحية جبل القفص مدينة قوهستان ، ويقال لها قوهستان أبى غانم تميزا لها عن غيرها وهى « وسطه حارة كثيرة التخييل ، والجامع وسطها وبها قهندز »^(١١) .

أما هرمز القديمة ، أى هرمز التى فى البر ، فهى تبعد نحو بردين أو مرحلة نصف يوم من ساحل البحر . على خليج من بحر فارس يسمى الجبر على ما فى الاصطخرى « يدخل فيه السفن من البحر » . وما زالت خرائب المدينة ترى فى موضع يقال له اليوم مناب واسمها الدارج سناو . وكانت هرمز القديمة فى المثة الرابعة (العاشرة) مجمع تجارة كرمان وسجستان وفى الأزمنة الاخيرة ، لما بنيت هرمز الجديدة فى الجزيرة ، حلت محل قيس مثلما حلت قيس محل سيراف قلا ، وأصبحت أجل فرصة تجارية فى خليج فارس . وتكلم الاصطخرى على هرمز (القديمة) وقال « بها مسجد جامع ، ومساكن التجار فى رستاقها ، متفرقين فى الترى نحو فرسخين ، والبلد كثير النخل ، والغالب على زرعهم الذرة ، ويزرع فيها النيل والكمون وقصب السكر » . وأطرى المقدسى أسواق هرمز فقال « سوقهم جاد ، وشربهم من قنى ، وبنائهم من طين » . والمرصة على ساحل البحر ، تبعد عن هرمز مرحلة نصف يوم ، ويظن انها كانت عند مدخل خليج هرمز .

وقد ذكر ابن خرداذبه فى أواسط المثة الثالثة (التاسعة) ، الجزيرة القريبة

(١١) الاصطخرى ١٦٦ ، المقدسى ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ياقوت ٤ : ٣٣٠ -

منها باسم أرموز (وكتبها المستوفى : أرموص) ولا ريب في أنها هي الجزيرة التي تعرف بجزيرة جرون . ففي مطلع المثة الثامنة (الرابعة عشرة) - وذكر أحد مراجعنا السنة ٧١٥ (١٣١٥) - هجر ملك هرمز المدينة التي على ساحل البحر ، لاتصال غزوات اللصوص لها ، وبني هرمز الجديدة في الجزيرة المارة الذكر المعروفة باسم جرون (أو زرون) وهي تبعد فرسخا عن الساحل . وفي هذا الزمن ، زار ابن بطوطة هرمز الجديدة . وقد وصفها معاصره المستوفى وأطرى كثرة نخلها وقصب سكرها . وحكى ابن بطوطة ان هرمز القديمة كانت تسمى في أيامه موغ أستان ، وأطلق على المدينة الجديدة اسم الجزيرة المعروفة بجزيرة جرون ، وهي مدينة حسنة لها أسواق حافلة ، وبها جامع ، وهي متجر سلع الهند والسند .

وفي ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، جرد تيمور حملة على المدن الساحلية القريبة من هرمز القديمة ، فاستولى على سبع قلاع هناك أحرقتها كلها وفر مقاتلتها الى جزيرة جرون . أما هذه القلاع السبع ، فإن علي اليزدي سرد أسماءها ، وهي : قلعة الميناء في هرمز القديمة ، وتلك زندان ، وكشكك ، وحصار شامل ، وقلعة منوجان (وقد مر ذكر المدينة) ، وترزك ، وتازيان . وفي سنة ٩٢٠ (١٥١٤) استولى البرتغاليون على هرمز ، وأسموها الشائع أرمز ، بقيادة ألبورك (Albuquerque) وعرفت البناء الساحلية التي نزلوا فيها باسم گمبرون (Gombroon) . وهو الموضع الذي أطلق عليه الشاه عباس بعد قرن اسم بندر عباس . وهو فرضة كرمان الحالية . ولعلها قوم في موضع سودر أو شهر المارة الذكر في الفصل المفقود لفارس . ويقال ان الاسم گمبرون هو الذي حرق الى كمرک (من اليونانية Koumerki) ومن هذا الاسم شاعت كلمة الكمرک في اتجاه الشرق . وأشارت جهان نما التركية الى ان گمر و ميناء هرمز . ومنها الى مدينة لار (في فارس) مسيرة أربعة أو خمسة أيام (١٢) .

(١٢) ابن حرداذيه ٦٢ : الاستغفرى ١٦٣ و ١٦٦ و ١٦٧ : ابن حنبل ٢٢٠ و ٢٢٢ و ٢٢٣ : القسسى ٤٦٦ و ٤٧٣ : المستوفى ١٨٢ و ٢٢٢ : ابن بطوطة ٢ : ٢٢٠ : ابو الفداء ٣٣٩ : علي اليزدي ١ : ٧٨٩ و ٨٠٩ و ٨١٠ : جهان نما ٣٥٨ و ٣٦٠ .
وقد اختلف في اسم الملك الذي نقل العصابة الى الجزيرة فبعض انه شمس الدين وقطب الدين

وتجارات كرمان تقصر كثيرا عن تجارة فارس ، ولم ينته اليها من البلدانين العرب شيء كثير عن تجارة هذا الاقليم . ذكر المقدسي ان في كرمان تمورا وذرة وهي طعامهم . وتحمل من كرمان التمور الى خراسان ، والنيل الى فارس ، وغلات ناحية ولا شجر الى هرمز ، ومنها تحمل في السفن الى اقاصى البلدان (١٣) .

وما ذكره بلدانيو المئة الثالثة والمئة الرابعة (التاسعة والعاشر) عن مسالك اقليم كرمان ، أقل كثيرا مما وصفوا به مسالك اقليم فارس . وهم الى ذلك أوردوا المسالك بالمراحل فقط ، وهو مقياس غير دقيق . ويقتصر وصفهم لمسلك الطرق الى ذكر مراحلها الواحدة تلو الاخرى بالفراخ .

فالطرق الآتية من فارس الى كرمان ، تجتمع في بيسند ، وهي على ما بينا ، على أربعة فراخ من غرب السيرجان . فمن الشمال الشرقي يتحدد طريق من آباس وناحية روذان الى بيسند (وقد ذكره الاصطخرى والمقدسي) . ومن صاهك الكبرى الى بيسند (والسيرجان) طريقان جاء وصفهما بالفراخ ، الاول يمر بشهر بابك (ولم يذكره غير ابن خرداذبه) والاخر يقطع المغارة الى بيسند رأسا . وكان يبلغ اليها بطريقين : الاول (ذكره ابن خرداذبه) يسر بقرية الملح ، والاخر يمر برباط پشت خم (ذكره قدامة والاصطخرى) . والى ذلك ، ذكر المقدسي الطريق من تيريز (بالمراحل) الى بيسند والسيرجان . وقد وصف هو والاصطخرى ، الطريق من الجنوب الغربي الذاهب رأسا من رستاق الرستاق الى السيرجان وسيرته نيف وأربعة أيام (١٤) .

وكان من السيرجان الى بردسير (مدينة كرمان) مسيرة يومين . وذكر المستوفي انها عشرون فرسخا . ولم ينته اليها اسماء ما بينهما من محطات . مع انه كان بالقرب من هذا الطريق : ماشيز ويقيم على ما قد بينا . ذكرهما ابن ابراهيم ،

أو لغز الدين . وله استولى الانكليز على جزيرة هرمز في سنة ١٦٢٢ . ومن وصفها الحاق انظر : Stiffe في Geographical Magazine لسنة ١٨٧٤ ، ١ : ١٢ ، و JRGs لسنة ١٨٩٤ ص ١٦٠ . وله كتب الاسم بصورة هرمز وهو رموز .
(١٣) المقدسي ٤٧٠ .
(١٤) ابن خرداذبه ٤٨ و ٥٣ ؛ لقدامة ١٦٥ ؛ الاصطخرى ١٣١ و ١٦٨ ؛ المقدسي ٤٥٥ و ٤٧٣ ؛ للمستوفي ٢٠١ .

وقد كتب فى المثة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ، غير مرة ، وقال انها كانتا قاتمتين فى المثة الرابعة (العاشرة) • ومن بردسير (كرمان) الى زرتند مرحلتان • وكانت جنزردوز توسطهما • ومن السيرجان الى ماهان مسيرة ثلاثة ايام • ومنها الى خييس ثلاثة ايام أخرى • ولكن لا يعرف ما بينهما من محطات (١٥) •

وكان طريق القوافل العظيم ، من السيرجان فشرقا الى مكران ، يمر بجبله مدن لم يبق لها اثر • فقد كان يأتى الى راين ، ومنها فى طريق يمر بدرزين وبم ونرماسير الى الفهرج على شفير المفازة • وقد ذكر ابن خرداذبه وقدماء المراحل فى هذا الطريق بالفراسخ ، هذا الى ما انتهى اليها فى مرجين آخرين عن المحطات التى فى مرحلة كل يوم (١٦) •

اما الطريق من السيرجان ، نحو الجنوب الشرقى الى جيرفت ، فمع ان ابن خرداذبه قد وصفه بالفراسخ ، والاصطخرى بالمراحل ، لا يمكن ان نعين من المواضع التى جاء ذكرها فيه غير درفارد ، فلربما لا يمكن العثور عليها فى الخارطة ما خلا مدينة بافت الجنوبية • كما ان القراءات المختلفة لهذه الاسماء فى المخطوطات لا يصح الركون اليها فى أى حال ، ومن جيرفت ينحطف الطريق جنوبا فيمر بولاشجرد ومنوقان ثم ينتهى بالساحل عند هرمز (القديمة) • وعلى ما جاء فى الاصطخرى ، كان يتفرع منه عند ولاشجرد طريق يضرب غربا الى حد اقليم فارس ، يمرّ بسلسلة من المدن والقرى قد اختفت اليوم كلها ، بل لا يمكن ، يا للأسف ، تعيين منتهى هذا الطريق فى حد اقليم فارس (١٧) •

والطريق من هرمز القديمة الى ريگان ونرماسير ، قد ذكره المقدسى بالمراحل • وكان يمرّ بمدينة باس وجيكن • أما الطريق نحو الجنوب من راين الى جيرفت ، فقد ذكر الاصطخرى المسافات فيه ما بين دارجين وهرمز الملك بالمراحل (١٨) •

(١٥) الاصطخرى ١٦٦ : المقدسى ٤٧٣ : المستوفى ٢٠١ •

(١٦) ابن خرداذبه ٤٩ : لداعة ١٦٦ : الاصطخرى ١٦٨ : المقدسى ٤٧٣ •

(١٧) ابن خرداذبه ٥٤ : الاصطخرى ١٦٦ •

(١٨) الاصطخرى ١٦٦ : المقدسى ٤٧٣ •

الفصل الثالث والعشرون

المفازة الكبرى ومكران

اعتماد المفازة الكبرى وخواصها - الواحات الثلاث : الجرمق ولابند وسنج -
اهم مسالك المفازة - التليم مكران - نازبور وميناء التير -
من الخري - السند والهند - ميناء الديبل - المتصورة
واللثان - لهر مهران (Indus) - كورة
طوران وقصدار - كورة البعجة
وقندابل -

تمتد المفازة الكبرى في إيران فتقطع هضبة إيران العالية ، من الشمال الغربي
إلى الجنوب الشرقي ، فتفصل الأقاليم الخصبية في هذه البقاع إلى مجموعتين . فإن
هذه المفازة تبدأ من جنوب جبال ألبرز التي يشرف شمالها على بحر قزوين ،
وتتمد إلى جبال مكران المجدية ، الأقليم المتاخم لبحر فارس . ويقدر طول المفازة
بنحو من ٨٠٠ ميل ، ولكن عرضها يختلف باختلاف بقاعها ، لأن شكل هذه الرقعة
الفسجية من النيفى القاحلة أشبه شئ بزجاجة الساعة الرملية الضيقة العنق ،
لا يتجاوز عنقها الضيق مئة ميل وهو يفصل بين كرمان وسبستان ، بينما يشع
عرضها كثيرا في الشمال والجنوب حتى ليتجاوز في بعض المواضع مئتي ميل^(١) .

(١) بينا حدود المفازة الكبرى بوجه عام إلى المفازة رقم ١ (أمام الفصل الأول) ، وتفصيل
للقسم الشمال منها في المفازة رقم ٥ (أمام الفصل ١٢) ، وللقسم الأسفل منها في المفازة رقم
٦ (أمام الفصل ١٧) والمفازة رقم ٧ (أمام الفصل ٢٣) والمفازة رقم ٨ (أمام الفصل ٢٤) .

وقد عرف البدائيون العرب في القرون الوسطى هذه الصحراء بالمقازة ،
وعنوا كثيرا بتعيين حدودها ، فمن غربيها وجنوبها القربى يحدها إقليم الجبال
وكورة يزد (وكانت تمد بالأصل جزءا من إقليم فارس) وكرمان ، وفي جنوبها
تتداخل في أضفاف جبال ساحل مكران . ومن شرقيها وشمالها الشرقي خراسان
والأقاليم التابعة لها والمجاورة : وهي قومس في شمال المقازة ، ثم زاوية من إقليم
خراسان نفسه ، ثم قوهستان ، وفي أسفل ذلك سجستان وهي عند القسم الضيق
من المقازة مقابل كرمان . وسجستان اليوم مقازة بلوچستان ، وكانت في العصور
الوسطى تمد جزءا من مكران .

وما كتبه ابن حوقل والمقدسي عن المقازة إنما كان عن خبرة ومشاهدة ، إذ أن
كليهما اجتاز قفارها غير مرة . أوجز ابن حوقل وصفها فقال : « ليست في حيز
إقليم بختة ، وهي من أكثر المفاوز لصوصا وفسادا » قد جعلوا منها ملجأ يتصمون
به ويأوون إليه . وليس فيها قرية ولا مدينة سوى في ثلاثة مواضع . أما المقدسي
فقد نبسط في الكلام عليها . ونحن نلخص شيئا مما ذكره قال : مثل المقازة كمثل
البحر ، كيفما شئت فسر إذا عرفت السميت وسلكت حيث تلمح الحياض والقباب
المعمولة فيها فوق حياض المياه التي كان يعنى بأشائها في المثة الرابعة (العاشرة)
بإتداد أهم طرقها بين مرحلة كل يوم وأخرى . وقد أمضى المقدسي في هذه
المقازة سبعة أيام ، مخترقا إياها من أقصاها إلى أقصاها . وتكلم كلام خير على
ما فيها من دروب ومعارج في جبال فيها وكلها مخيف ، سباحها وسرودها
وجرومها ، وقال إن فيها رمالا قليلة وتخيلًا وزروعا في أضفاف كثير من وديانها
الصغيرة .

وكانت المقازة في ذلك الزمن مخيفة ، لأن عصابات من البلوس (وهم

وتعرف هذه المقازة اليوم بـ « دشت لوت » أي مقازة لوت . ويرى ما ليها من مستنقعات ملحة
وسباح بـ « دشت كوير » [بوژن ، سمير] ويطلق أحيانا اسم كوير على المقازة باسمها أيضا .
لما اشتقاق اسم لوت (وهو لوت التوراة بحسب التسمية العربية) وكوير ، فغير معروف - أنظر :
Major Sykes في Persia ص ٣٢ .

لنا : وانظر أيضا الطبعة الجديدة من كتاب :
Sir Percy Sykes, A History of Exploration (London, 1940; p. 341, 372..
ففيه أحدث وصف للرحلات في سواحل مكران ومقازة لوت الجنوبية - (م)

البلوج) كانوا يتصمون فى جبال القفص عند تخوم كرمان ، وهم « قوم لا خلاق لهم ، وجوه وحشة وقلوب قاسية ، وبأس وجلادة ، لا يقون على أحد حتى يقتلوا من خلفوا به بالأحجار كما تقتل الحيات » تراهم يسكون رأس الرجل على بلاطة ويضربونه بالحجارة حتى يتصدع « وسألهم المقدسى عن سبب ذلك » فقالوا له لئلا تفسد سيوفنا . وفى أيام المقدسى آبادهم عند الدولة البرهية ، وحمل منهم أمة رهاقن الى فارس . فسلم الطريق من شرهم ، اذ كان مع القوافل بذقة من قبل السلطان . وكان هؤلاء البلوص ، على ما ذكر المقدسى ، « رجالة » وربما ركبو الجحازات^(٢) . وهم وان كانوا يدعون الاسلام ، الا انهم « أشد على المسلمين من الروم والترك : اذا أسروا الرجل أمروه بالعدو معهم نحو عشرين فرسخا حافى القدم جاثى الكبد . زادهم شيء مثل الجوز يتخذ من التبن . وهم أصبر خلق الله على الجوع والبطش » .

وبعد المقدسى بنحو من نصف قرن ، أى فى سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) ، قطع ناصر خسرو الجزء الشمالى من المفازة فى عودته من حجة الى مكة . ولم يطلق ناصر خسرو على المفازة الكبرى اسما خاصا بها ، بل أشار اليها فقط بلطف بيايان ، أى « أرض لا ماء فيها » . على انه ذكر أهم صفتين خطرتين فيها : الرمال المتحركة (ريك روان) والسباح (شورستان) التى قد يبلغ طولها ستة فراسخ . غادر ناصر خسرو ناين فى إقليم الجبال الى الواحات الوسطى فى الجرمق ، ومنها الى طبرس فى قوهستان ، سالكا الطريق الذى منصفه الآن . على ان وصفه هذا الطريق غامض لم يزد الا القليل على ما نعرفه عنه . فقد تكلم على كيلكى أمير طبرس وقال انه نشر الأمن والسلام فى المفازة ، وهاهنا لصوس القفص الذين سماهم كوفج ، وزال خطرهم . وذكر ان بين كل فرسخين من الطريق الذى سلكه ، تبايا فوق حياض الماء ، شيدت حتى لا يضل المسافرين الطريق ولكن يأوا اليها فى الحر والقر . وذكر انه لو لا العناية بهذه الحياض لما استطاع أحد اجتياز المفازة وهم فى خوف من اللصوص . وقد عزّر قول ناصر خسرو هذا ، ما جاء

(٢) الجحازات : واحدها الجحازة . وهى ناقة تسمى الجيزى . والجيزى نوع من العدو السريع كالزئوب (م) .

فى وصف كتابي المسالك لابن حوقل والمقدسى عن طرق القوافل الجديدة فى هذه القفار الممتدة الى كثير من الجهات ، ففى جميعها ، حياض للماء بين مرحلة ومرحلة (٣) .

وعلى مدى الخط الاوسط لهذه المفازة الكبرى ، ثلاث واحات تمتد احداها عن الاخرى بمدا كبيرا . والىها طبعاً تتوجه طرق المفازة المختلفة التى تقطعها من الغرب الى الشرق . كانت هذه الواحات تعرف فى القرون الوسطى بالجرق وتايند (وما زالت تسمى بذلك) وسنج . ولم يكن فى المفازة ، على ما ذكر المقدسى ، من مدن غير هذه الاخيرة .

وتوسط القسم الاعلى الواسع من المفازة ، عند منتصف الطريق بين اصفهان وطبرستان ، واحة يقال لها اليوم جندك أو بيايانك وهى التى كان يعرفها العرب فى القرون الوسطى بالجرق ، وكانت تكتب بالفارسية بصورة گرمه . وهى ثلاث قرى : الجرق (أو گرمه) وبيايق (أو بيايه بالفارسية) وأرابه . وأطلق ابن حوقل على هذه القرى اسم سهده وتفسيرها ثلاث قرى . وذكر ناصر خسرو انه كان فى هذا الموضع فى المئة الخامسة (الحادية عشرة) من عشر الى اثنتى عشرة قرية . وكان فى بيايه أيضاً حصن صغير فيه بذرقة الامير گيلكى لحماية مسالك المفازة . وكان فى هذه الواحة نخيل وزروع ومواش كثيرة . وقال ابن حوقل كانت هذه القرى الثلاث فى رأى العين قرية بعضها من بعضها . وكان فيها فى المئة الرابعة (العاشرة) نحو ألف رجل . ولم يزد من جاء بعده من المصنفين شيئاً على ما ذكر . وكل من كتب عنها حتى زمن المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) يطابق قول ابن حوقل ، وكلهم ناقل عنه .

أما تايند ، الواحة الثانية ، فما زالت تعرف بهذا الاسم . وهى فى الطرف الشمالى من جزء المفازة الضيق بين راور فى كرمان وخور فى قوهستان . قال ابن حوقل فى تايند انها « رباط فيه مقدار عشرين مسكناً وفيه ماء يجرى ، عليه رحى صغيرة ، ولهم نخيل ، ولهم زرع على ماء عين . وقبل تايند بفرسخين عين ماء

(٣) ابن حوقل ٢٨٧ و ٢٨٨ : المقدسى ٤٨٨ : ناصر خسرو ٩٣ - ٩٤ (١٠٣ - ١٠٤ من الترجمة العربية) ، ياقوت ٤ : ١٤٧ .

وعندها نخلات وقاب ، وليس بها أحد ، وهي ملجأ للتصوص .

أما الواحة الثالثة فالى الجنوب أيضا ، فى أضيق قسم من المقازة وهى مرحلة فى نصف الطريق بين نرمانير فى كرمان وزرنج فصة سجستان . وفى هذا الموضع واد صغير فيه عبون ، يسميه الفرس اليوم بنصرت آباد ، ولكن ما زال البلوج يعرفونه باسم اسى أو اسفى وهذا الاسم يطابق قراءة الاسم « اسبذ » لهذه الواحة فى المقدس الذى سماها أيضا سنجج أو سنك ، وعدتها من مدن سجستان . أما ابن حوقل فقد جعلها من أعمال كرمان . ولم يكن فى المقازة ، على ما بنا ، مدينة غيرها بحسب قول البلدانين العرب . وقال فيها المقدس : « عامرة أهلة ، بها مزارع كثيرة وفى ، غير أنها كانت فى حدود المقازة »^(٤) .

وتوسط بلدانيو الملة الرابعة (العاشرة) فى صفة طرق المقازة . فمن غربها كان يخرج ، من اصفهان ومن نايين ، طريقان يجتمعان فى الجرمق : أولهما (وقد وصفه المقدس) ثمانى مراحل . ومن نايين الى الجرمق خمس مراحل . وبين كل بضعة فراسخ منه حياض للماء وقاب .

والمقدس مرجنا فى وصف الطريق من الجرمق المتجه شمالا الى الدامغان فى قوس رأسا وطوله تسعون فرسخا . خسسون فرسخا الى موضع يقال له ونده ، ثم أربعون فرسخا الى الدامغان . ومن الجرمق . يشرق ، وبعد مسيرة أربعة أيام يبلغ موضعا يقال له . نوخانى أو نوجاى . وبين كل ثلاثة أو أربعة فراسخ منه قباب للماء . ويتفرع الطريق فى نوجاى الى فرعين : يتجه أحدهما نحو الشمال الشرقى الى ترشيز ، والآخر نحو الجنوب الشرقى الى طيس . وكلا الموضعين فى إقليم قوهستان . والمسافة من نوجاى الى ترشيز أربع مراحل . تتوسطها بن أفريدون (وتعرف اليوم باسم ده نابند ولا يتبس هذا الموضع بواحة نابند ، وقد مر ذكرها الآن) . وذكر المقدس أيضا طريقا يقطع المقازة من الجرمق الى

(٤) ابن حوقل ٢٨٩ و ٢٩٣ : المقدس ٤٨٨ و ٤٩٤ و ٤٩٥ : ناصر خسرو ٩٣ و ٩٤ (١٠٣ - ١٠٤ من الترجمة العربية) : المستوفى ١٨٣ : ياقوت ٣ : ١٧٠ .
رواية بيازيك (ويقال لها جندك أو خور) قد ذكرها تافريه فى الملة السابعة عشرة للبلاد .
(الرحلات ١ : ٧٦٩ : لاهى ١٧١٨ م) . وازارما الكولويل ماك كريكور (Maogregor)
فى سنة ١٨٧٥ انظر : Khorasan ١ : ٩١ . لم دار الميجر سايكس نابند واسلى اى
لصرت آباد (انظر Persia من ٣٦ و ٤٦٦ .

بن أفريدون هذه في سبعة أيام ، في كل مرحلة منه حوض • ومن نوجاي يتجه الطريق نحو الجنوب الشرقي فيبلغ طبرس بعد مسيرة ثلاث مراحل • وذكر ابن خرداذبه المسافات بين طبرس وترشيز عن طريق بن بالفراخ • أما في غير هذا الطريق ، فإن طرق المفازة قد وردت يذكر مرحلة اليوم فقط^(٥) •

والطريق من يزد الى طبرس رأسا ، كان يمرّ بأنجيرة وخزانة فيبلغ ساغند وهي في شفير المفازة • وقد مرّ ذكر هذه المواضع في إقليم فارس (أنظر ص ٣٢٢) • من ساغند الى طبرس ذكر ابن خرداذبه المراحل الست التي فيه بالفراخ • وقد نقل ابن حوقل والمقدسي وصفه لهذا الطريق ، ولكنها ذكرا بالايام واتما طريقا يخالفه بعض النسخ • وكان على مرحلتين من ساغند حصن يقال له رباط آب مُشْتَرَان (أي رباط نهر الجمل) • وكان الماء يأتي من قنات ويصب الى بركة • وقد وصف المقدسي هذا الرباط بقوله • ما رأيت أحسن منه ، من الحجارة والجص ، عليه أبواب حديد ، وفيه قوم يحفظونه • • بناء ناصر الدولة ابن سيمجور وهو من قادة بني بويه المشهورين • وكان والي هذه الجهات في أواسط المئة الرابعة (المباشرة) •

وبعد هذا الحصن ثلاث مراحل ، تنتهي المفازة • وعندها بجانب الطريق طبرس ، على ما ذكر ابن حوقل (معيدا قول الاصطخرى) ، ويسير سيرا متصلا من المحطة التي في جنوب هذه المدينة بمرحلة ، الى المحطة التي في شمالها بمرحلة في الطريق الذاهب الى بن^(٦) •

والطريق الآخر الذي يقطع المفازة ، يبدأ من قرية بيرة في ناحية يقال لها شور ، أي الماء المالح ، وكانت عند حدّ كرمان قرب كوه بنان • والطريق من هذا الموضع الى كري تسع أو ثمان مراحل - في كل مرحلة منها حوض ماء - وكري قرية عند حد المفازة في قوهستان ، تقوم على بضعة أميال من جنوب شرقي طبرس • وذكر الاصطخرى عن هذا الطريق ، وقد كان يعرف بطريق شور ، ان

(٥) الاصطخرى ٣٣١ ، ابن حوقل ٢٩١ ، ابن خرداذبه ٥٢ : المقدسي ٤٩١ •
(٦) ابن خرداذبه ٣١ : الاصطخرى ٢٣٦ ، ابن حوقل ٢٣٥ : المقدسي ٤٩١ د ٤٩٣ •

على نحو فرسخين من شماله « حجارة في صور الفواكه (لا ريب في انها من المتحجرات) من اللوز والتفاح ونحوه ، وفيها صود تقارب الناس والاشجار وغير ذلك » . وذكر المقدسي انه الى الطريق المار الذكر ، طريق آخر يتجه رأسا من كوه بنان الى كرى طوله ستون فرسخا ، وعند كل ثاني مرحلة حياض للماء .

وراود^(٧) ، وقد جاء ذكرها في الفصل الحادي والعشرين ، على بضعة فراسخ من شرق كوه بنان في حد كرمان . وكان يتجه من هذا الموضع طريق فيه خمس مراحل الى نابد وهي الواحة المارة الذكر ، ومنها طريق فيه ثلاث مراحل الى خور في قوهستان . وكان بين كل ثلاثة أو أربعة فراسخ من هذا الطريق ، حياض الماء المثلثة . أما مدينة خبيص ، وهي على ثلاث مراحل من ماهان ، في حد كرمان ، فقد كانت ، على ما ذكرنا ضمن حدود المفازة تقريبا (راجع ص ٣٤٦) . وكان يخرج منها طريق ينتهي الى خوست (خوسف الحالية) في قوهستان ، ويقطع في عشر مراحل . وكان حد قوهستان يقع على مرحلتين قبل بلوغ خوست عند قرية كوكور وهي في منتهى المفازة . وهذا الطريق ، عند مكان يقال له قبر الخارجي ، « حصي صغار بعضه في لون الكافور يابضا ، وبعضه أخضر في لون الزجاج » . وفي موضع آخر يمد عن الطريق نحو أربعة فراسخ « حجارة صغار سود ، مظهرها يسترعى النظر »^(٨) .

والطريق الاخير من نرماشير في كرمان الى زرنج قصة سبستان ، يقطع الجزء الضيق من المفازة مارا بواحة سنج أو اسبي ، وقد مر وصفها . وكانت المرحلة الاولى في هذا الطريق الى فهرج وهي في حد المفازة ، وبعد أربع مراحل ينتهي الى سنج . وقد ذكر ابن خرداذبه المسافة بين مرحلة ومرحلة من هذا الطريق بالفراسخ . أما الاصطخرى فقد ذكره بالايام . وذكر أيضا طريقا ثانيا ينتهي الى سنج سماء الطريق الجديد . الا انه أطول مسافة . ومن سنج الى زرنج سبعة أو ثمانية أيام . وكان هذا الطريق يجتاز حد سبستان في گاوينشك .

(٧) وجات في الاصطخرى (ص ٢٢٢) وابن حوقل (ص ٤٠٦) من الطبعة الثانية والمقدسي (ص ٤٩٦ و ٤٩٣) بصورة زارد . (م)
(٨) الاصطخرى ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤ ؛ ابن حوقل ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ ؛ المقدسي ٤٩١ و ٤٩٢ .

وهي لا تبعد عن كندر الموضع الذى ما زال يرى فى الخارطة . وكان بين كاوشيك وكندر ، على ثلاث أو أربع مراحل جنوب زرنج ، رباط بناء عمرو الصغار فى المئة الثالثة (التاسعة) كان يعرف ، على ما ذكر الاصطخرى ، بقنطرة كرمان ، فقد قال « ليس هناك قنطرة ولكن تسمى كذلك » . ولهذا الموضع شأن خاص ، اذ ان بحيرة زره كانت تمتد جنوبا فى الصور الوسطى حتى هذا الموضع ، على ما سيُبينه فى الفصل القادم^(١) .

القليم مكرانه

ليست جبال ساحل مكران القاحلة فى مظهرها الطبيعى العام ، الا امتدادا للمفازة الكبرى . ومع ان بلاد مكران كانت فى القرون الوسطى أوفر خصباً وأكثر أهلاً عما هي عليه اليوم ، على ما يظهر ، فان هذا الاقليم لم يكن قط غنياً أو ذا شأن سياسى . وأهم ما فى مكران قصب السكر وصنف من السكر الابيض عرفه العرب بالفانيذ (من يائيد الفارسية) وكان يحمل منه الى البلدان المجاورة^(٢) .

وسرد البلدانون الأوائل أسماء كثير من المدن فى مكران ، ولكنهم لم يتبسطوا فى وصفها . كان أجل مركز تجارى فيه ، فرصة التيز على ساحل خليج فارس . وكانت قنصة الاقليم قنزبور أو بنجبور وهى فى داخل البلاد فى موضع يعرف اليوم باسم بنج گور . وكان لـ بنجبور فى المئة الرابعة (العاشرة) على ما ذكر المقدسى ، حصن من طين حوله خندق ، وهى بين النخيل ، لها بابان ، باب التيز فى الجنوب الغربى يفضى الى الطريق الذاهب الى فرصة الخليج - وباب طوران - فى الشمال الشرقى كان يفضى الى الطريق الذاهب الى ناحية طوران ،

(١) ابن خردادبه ٤٩ و ٥٠ : الاصطخرى ٢٢٧ و ٢٥١ و ٢٥٢ ؛ ابن حوقل ٢٩٦ و ٢٩٦ .
و ٣٠٧ : المقدسى ٤٩٢ . سر ف . كولدسميد Sir F. Goldsmid فى Eastern Persia ٢٥٦ : ١ .

(٢) ابن حوقل ٢٩٦ و ٢٩٢ و ٢٢٢ : المقدسى ٤٧٥ و ٤٧٦ ؛ ياقوت ١ : ٦١٤ .
وقد توارد على البحث فى مواضع مدن الصور المتوسطة لى مكران ، سر ت . هـ . مولدج
Geographical Journal فى Sir T. H. Holdich
للسنة ١٨٩٦ ص ٣٨٧ . والمعلومات التى لدينا الآن ليست بأحسن مما توصل اليه .

وكانت قصبتها قصدار (أو قزادار) ، وشربهم من نهر والجامع وسط الاسواق .
وعلى رأى المقدسى ، ان أهل الاقليم : قوم غنم ، ليس معهم من الاسلام الا اسم ،
لسانهم بلوصي^(١١) .

وبقايا فرصة التيز العظيمة ، تقوم فى رأس ما كان فى العصور الوسطى ميناء
حسنا تدخله السفن الصغيرة . قال المقدسى فى التيز : كثيرة التخيل ، بها رابطات
فاضلة وجامع حسن ، وهم قوم متوسطون ، غير انها فرصة مشهورة . وفى
الثلثة السادسة (الثانية عشرة) استحوذت هذه الفرصة على تجارة هرمز التى آلت
الى الخراب وصارت اطلالا^(١٢) .

أما مدن مكران الاخرى ، فالدانيون العرب ، لم يذكرها غير اسمائها دون
أى وصف لها . فاسا المدينتين المشهورتين بميور وفهرج المجاورة لها ، جادا فى
المقدسى بصورة بربور (بدلا من بنور) وفهل فهرة . وذكر ياقوت الاسم الاخير
بصورة بهر^(١٣) . أما مدينة قصرند ، فى شمال التيز ، فما زالت موضعا
ذا شأن . وكيج^{*} ، وهى على مسافة قليلة فى شرق قصرند ، جاء اسمها بصورة
كيج وكيز ، وورد أيضا اسم جالك وذلك . أما خواش ، أو خواص ، ويحتمل
انها كوشت الحالية ، فانها الى شرق خواش فى ناحية السرهده (وقد مر ذكرها
فى صفحة ٣٥٥) . وكانت راسك فى العصور الوسطى مدينة ذات شأن لخصب
ناحيتها المعروفة بالخروج . على انه لا يمكننا من وصف المسالك مطابقتها بالبلدة
الحالية التى بهذا الاسم . وكانت أرمایل وقملى ، مدينتين جليلتين على الساحل

(١١) وما منزبور ، وفجور ، الواردة فى بعض المطبوعات ، الا من وهم الفساح جاء بوضع لفظتين
لوق اول سرف من لغزبور .

الاصطخرى ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٧ ؛ ابن حوقل ٢٢٦ و ٢٢٢ ؛ المقدسى ٤٧٨ . وقد أطلق على
هذه المدينة اسم بنج كور ، أى القبور الخمسة ، نسبة الى خمسة من المقاتلين العرب الذين استشهدوا
لها أثناء الفتح العربى الاول . وهى على مرحلة واحدة من عرب ملعة باقة ، وتسمى الناحية للحيطة
بها باسم بنج كور أيضا . انظر Sykes فى Persia ص ٢٢٤ .

(١٢) المقدسى ٤٧٨ ؛ ياقوت ١ : ٩٠٧ . وللإطلاع على ما هو عليه الآن خراب تيز ، راجع :
Sykes فى Persia ص ١٠١ و ١١٠ . وكذلك Schindler فى JRAS
لسنة ١٨٩٨ ص ٤٥ . وانظر أيضا : تاريخ افضل كرمانى ، طبعة هوتسما فى ZDMG لسنة ١٨٨١
ص ٣٩٤ و ٤٠٢ .

(١٣) تقوم لهرج على خمسة أميال من شرق بنور فى مكران . ولا يلتبس اسمها بمدينة لهرج
التي على خمسة أميال من شرق نرمانسى فى كرمان . وهناك لهرج ثالثة قرب يزد .

أو بالقرب منه في نحو نصف الطريق بين التبر والديل عند فم نهر مهران (الاندس) • وقال الاصطخرى في هاتين المدينتين « مدينتان كبيرتان ، وبينهما مقدار منزلتين • وبين أرمابيل والبحر مقدار نصف فرسخ » • وكان أهلها من أغنياء التجار ، أكثر تجارتهم مع الهند^(١٤) •

وكاننا هذا لم نرم فيه الى البحث عن الهند في الصور الوسطى • بل ان البلدان العرب أنفسهم لم يسموا بوصف هذه البلاد وصفا كاملا شاملا • فهم لم يعرفوا من الموانئ الهندية ، فيما على الطرف الشرقي لخليج فارس ، أكثر من معرفتهم فرضة الديل • فقد كانت حينذاك ميناء حسنا عند أكبر فم نهر الاندس (Indus) ، والديل في إقليم السند ، وكانت قصبته المصورة ، واسمها بالهندية برهناباد ، وكانت مدينة عظيمة على فرع من فروع نهر الاندس الأسفل • وكان العرب يسمون نهر اندس نهر مهران • وذكروا كثيرا من المدن التي على ضفافه ، أهمها المئشان وهي المدينة العظيمة التي في أعلى رافد من روافد السند وهو السندروء ، وكان فيها بئ صم (بئ) مشهور • والاصطخرى الذي شبه نهر مهران بالبل في الكبر والنفخ ، قال ان فيه تماشيع مثل تماشيع نيل مصر ، وقال • ان مخرجه من ظهر جبل (في الشمال يخرج منه بعض أنهار جيحون) • وعرف العرب أهل إقليم السند بالزط^{١٥} ، واسمهم بالفارسية جت • والمقول اليوم انهم أسلاف النور أو الفجر^(١٥) •

(١٤) الاصطخرى ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٧ و ١٧٨ : ابن حوقل ٢٢٦ و ٢٢٢ : القنص ٤٧٥ و ٤٧٦ : ياقوت ١ : ٧٦٩ : ٤ : ٢٢٢ •
ويذكر وهم الفساح في كتابه ارمابيل بدلا من ارمابيل • ولعل الطال ارمابيل هي لس بلا (Lus Bela) • وأما قلن فسل هي خيروكوت (Khayrokot) اسطر س تي • مولدج في JRGS. لسنة ١٨٩٦ ص ٤٠٠ •

رما ينبغي ذكره • ان البلدان العرب الغماء لم يعرفوا الا شيئا قليلا من مكران ، ولم يزد عليهم من جاء بعدهم ما يستحسن الذكر • بعد اعاد ياقوت قول من سبقه من بلعانيي للثة الرابعة (الماشرة) لا غير • وغاية ما افادنا به الفزويني (٢ : ١٨١) من هذا الاقليم ذكره المشرقة المجيبة به • قال : ان بارس مكران نهرا عليه فطرقة من البحر ، قطعة واحدة • من غير عليها بنتيا صبيح ما هي بطنه بحيث لا يبقى فيها شيء ولو كانوا ألفا • هذا حالهم • نس آزاد من الناس القوي • مر على تلك المشرقة •

(١٥) الاصطخرى ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٨٠ : ابن حوقل ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٣٤ و ٢٣٥ : القنص ٤٧٦ و ٤٧٩ و ٤٨٢ و ٤٨٣ •
تري الحلال ميناء الدليل اليوم في داخل البلاد على نحو عشرين ميلا جنوب غربي لنا (Thatta)

وقد وصف البلدان يون العرب ، كورتين عند حدود مكران الشمالية الشرقية مصابيتين لحد الهند ، هما طوران وقصبتها قصدار ، والبُدْمَة الى الشمال منها وقصبتها قنديل . وجاء اسم قصدار بصورة القزدار أيضا ، فقد ورد ذكرها بهذه الصورة في فتوحات السلطان محمود الغزنوي الاولى . قال فيها ابن حوقل انها على واد ، وفي وسط الوادى حصن . . وهى ناحية خصبة ، وبها أعناب وفواكه الصرود ورمان حسن . . وزاد المقدسى عليه انها ذات جانيين ، بينهما واد يابس بلا جسور ، فى أحدهما دار السلطان فيه قلعة ، ويسمى الجانب الآخر يودين وفيه دور التجار والمطابخ ، واليها يقصد نفر خراسان . . وزاد المقدسى على ذلك ان بنيانها من طين وشربها من قى ، . الا أن ماها ردى . . قليل .

أما طوران ، وهو اسم ناحية قصدار ، فغالبا ما كانت تضم اليها ما فى شمالها من أرض الناحية المعروفة بالـ « بدعة » وقصبتها قنديل . والمتحقق انها قندوه الحالية وهى فى جنوب سبى وشرق كلات . قال ابن حوقل فى قنديل « مدينة كبيرة ، وليس بها نخيل ، وهى فى برية مفردة بذاتها » . ومن أعمالها مدينة كيزكانان أو كيكان . ويمكن القول استنادا الى وصف موضعها فى المسالك انها كلات الحديثة . وهاتان المدينتان كثيرا ما تصدان من أعمال طوران . وجاء ذكر أسماء غيرها أيضا بما لا يمكن التحقق منها الآن لضالة أخبارها ولتعدد اختلاف المخطوطات فى تهجئتها^(١٦) . وإلى شمال هاتين الناحيتين : يالس أو الشنان ومدينتا سبى ومستنج . الا ان البلدانين القدماء عدوها من أعمال سجستان . وعليه سنشير اليها فى الفصل القادم .

وعلى ٤٤ ميلا شرق الجنوب الشرقى لكراشى . أما المتصورة فهى على فرع قديم من فروع دلتا الاندس . على نحو من ارسين ميلا شمال شرقى حيدر آباد . والسند ليس بطبيعة الحال الا التسمية الفارسية القديمة للهند ، ولكن استعمال العرب لها كان مبهما ، اربادوا به الدلالة على الاقليم العظيم الذى من شرق مكران وبضعة اليوم يقال له بلوچستان ، وبضعة الآخر بلاد السند الحالية أما السند دود فهو نهر السند .

قلنا : لقد رقت دالرة آثار الحكومة الباكستانية إلى الزحف على بقايا الدليل . انظر مجلة وسرر (١٩٥١) ص (١٦٤) . (م) .

(١٦) ابن خردادبه ٥٦ : الاسطرخى ١٧١ و ١٧٦ و ١٧٨ ؛ ابن حوقل ٢٢٦ و ٢٢٢ و ٢٢٣ ؛ المقدسى ٤٧٦ و ٤٧٨ .

أما طرق مكران ، فاتها استمرار لطرق المغازة الكبرى التي سبق وصفها وهي تنتهي في بلاد الهند . على ان ما يؤسف عليه ، ان هذه الطرق قد ذكرت بايجاز ولم يمد وصفها ، على ما هو مألوف ، ذكر الايام التي بين بلدة وأخرى ، ولا يوثق بما قيل عن المسافات التي بينها . ومع ذلك ، فإن ابن خرداذبه قد أفاض في القول في أحد هذه الطرق فذكره بالفراسخ ووصفه مرحلة مرحلة وإن كان يستحيل علينا اليوم تعيين خطه الحقيقي في المغازة . يبدأ هذا الطريق من الفهرج عند شفير المغازة في شرق بم ونرمسير في كرمان . وذكر ابن خرداذبه مراحل الاربعة عشرة الى فزبور قصبه مكران ، ومنها يتجه شرقا الى قصدار ، أشار فيه الى أسماء ثلاث محطات . وذكر المقدسي طريقا موازيا له تقريبا ، واصفا اياه بالاتجاه الماكس وهو من قصدار الى آجي أو نهر سليمان ، وهي على عشرين فرسخا شرق بم ، الا ان هذا الطريق يكون مسيره شمال فزبور ويسر بجالك وخواص^(١٧) .

ومن فرصة التيز الى كيز خمس مراحل ، ثم مرحلتان الى فزبور وكان ينتهي الى هذه المدينة طريق آخر من قصر قد ولكنه لا يأتيها رأسا . ومن كيز ومن قصر قد الى أرمابيل ست مراحل على ما انتهى اليها ، ثم مرحلتان الى قمبل ومنها أربع مراحل الى الديبل في قم الاندس^(١٨) .

والمعروف انه كان من فزبور الى الديبل أربع عشرة مرحلة . وجاءت المسافات من قصدار الى قنابيل والى كيزكانان (كلات) بأرقام تقريبية ، وكذلك من هذين الموضعين الى سيبي ومستنج في والشتان . وتختتم كب المسالك وصفها بسرد موجز لعدد الايام التي يتطلبها الوصول الى اللتان والمنصورة ، المدينتين اللتين على نهر مهران من قصدار ومن قنابيل ومن حدود والشتان مما على سيبي^(١٩) .

(١٧) ابن خرداذبه ٥٥ : المقدسي ٤٨٦ .

(١٨) الاسطخرى ١٧٨ : ابن حوقل ٢٢٣ : المقدسي ٤٨٥ .

(١٩) الاسطخرى ١٧٩ : ابن حوقل ٢٢٣ و ٢٢٤ : المقدسي ٤٨٦ .

الفصل الرابع والعشرون

سجستان

سجستان أى بيمروز وإبلستان - ذرنج وهي القنطرة - بحيرة زره - نهر هيلمند
والأنهار الثلاثة منه - العاصمة المتبقية للأقليم وهي رام شورستان - نه - فره
ونهر فره - نهر خافى ورستانى ليشك - قرابن ومدن أخرى -
روڤ بار ويست - رستانى لميندور - رنج وبلس
اى والشستان - قندهار - غزلة وكابل -
مدن الفقه - المسالك فى
سجستان .

سيستان - وستها المراجع العربية القديمة سجستان ، من الاسم الفارسي
سگستان (Sagistan) - هى البلاد السهلية حول بحيرة زره وفى شرقها ،
ويدخل فيها دلتا نهر هيلمند وغيره من الأنهار التى تصب فى هذا البحر الداخلى
[أى بحيرة زره] ، وكانت مرتفعات رستانى قندهار ، وهى بامتداد أعالى هيلمند ،
تعرف بإبلستان . وسيستان يقال لها بالفارسية بيمروز أيضا ، ومعناه نصف يوم
أو الأرض الجنوبية . ويقال ان هذا الأقليم انما سمي بذلك ، لوقوعه فى جنوب
خراسان . وقال الاصطخرى ، ان سجستان « خصب كثيرة الطعام والتمور
والاعناب ... ويرتفع منها غلة عظيمة من الحلتيت^(١) ، حتى انه قد غلب على

(١) جاء فى تاج المراس (مادة : حلت ١ : ٥٣٨) : « قال ابن سيده . الحلتيت عربى أو
مصرى . قال : ولم يلقنى انه ينبت ببلاد العرب ولكن ينبت بهى يست وبلاد القيقان . قال : وهو نبات

طعامهم ويجعلونه فى عامة أطمعتهم (٢) .

ولا يهرب عن البال ، ان بحيرة زره كانت فى القرون الوسطى أوسع رقعة مما صارت اليه فى أيامنا . وكان يقع فى البحيرة غير نهر هيلند ، وهو نهر عظيم ذو روافد كثيرة ، ثلاثة أنهار أخرى كبيرة ، هى نهر خواش ونهر فرم والنهر الآتى من أنحاء أسفزاز (وهى سيزوار هرات) ويقال له اليوم هارود . وفى الاساطير الفارسية ، ان سيستان وزابلستان اشتهرتا بكونهما موطن زال أبى البطل القومى « رسم » الذى ما زال يتحدث الناس بأعماله ومآثره (٣) . وفى صدر أيام الدولة العباسية ، اشتهرت سيستان أيضا ، بأن فيها نشأ أمراء بنى الصفار الذين حكموا فى النصف الثانى من المئة الثالثة (التاسعة) معظم بلاد ايران الجنوبية والشرقية ، وقد كانوا أمراء مستقلين .

وكانت قاعدة الاقليم فى العصور الوسطى ، مدينة زرنج العظيمة ، وقد خرّبتها تيمور وما زالت اطلالها تنتشر فى رقعة واسعة من الارض . على ان اسم زرنج قد خفي اليوم ، بل ان استعماله بطل منذ أواخر العصور الوسطى ، ولم يكن البلدانون العرب المتأخرون يعرفونها الا بمدينة سجستان . ويقابلها بالفارسية شهر سيستان . وكان ذلك اسمها حين خرّبتها تيمور أخيرا ولم يبق منها حجرا على حجر (٤) . وكانت زرنج فى أيام الملوك الساسانيين مدينة عظيمة ،

يسقط لم يفرج من وسطه قصبة تسور فى رأسها كمره . قال : والحطيت أيضا صيغ يخرج فى أصول دور تلك القصبة . قال . وأمل تلك البلاد يطبقون بقلة الحطيت وياكلونها ، وليست مما يبنى على الضئالة . (م) .

(٢) الاسطوخرى ٢٤٠ / ابن حزم ٣٠١ .

(٣) قال ياقوت (معجم البلدان ٢ : ٦٠٤) : زابلستان ، منسوبة الى جد وسم بن دستان .

(م) .

(٤) ترى خرائط زرنج حول القرنين الحديثين : زاهدان وشهرستان . بامتداد عقيق اكبر نهر أخذ من هيلند . وقد جلب مأزؤه فى القرون الوسطى . وللإطلاع على حال هذه الخراب اليوم وفيها من الموانع الخربة ، راجع السير هنرى رولنسن (Sir H. Rawlinson) فى JRGS لسنة ١٨٧٣ ص ٢٨٠ و ٢٨٣ و ٢٨٤ . والسرف ، كولد سيد (Sir F. Goldsmid) كتاب Eastern Persia (١ : ٣٠١) ، وسايكس (Sykes) فى Persia (ص ٣٧٥ و ٢٨٧ و ٢٨٢) . ولترى سايكس لندر (A.H. Savage Lander) منطلقا لاسم اطلالها فى كتاب Across Coveted Lands ٢٢٨ . ٢ .

وما زال يرى بالكرب من زاهدان ، بإقاربا يرح علوه نهر من ثمانين قدما ، يسمى ميل زاهدان .

وجاء ذكرها غير مرة في أخبار الفتوحات الإسلامية الأولى ، سنة ٢٠ (٦٤١) . وكانت تقوم بالقرب من نهر ستارود وهو من الأنهار الكبيرة الآخذة من هيلند نحو الغرب ، وتصل مياهه في أيام الفيضان إلى بحيرة زره .

وذكر اليعقوبى في المثة الثالثة (التاسعة) أن محيط زرنج أربعة فراسخ . وانهى إلنا من ابن حوقل في المثة التالية لها ، وصف مفصل لهذه المدينة ، قال : « هي مدينة عليها حصن ، ولها خمسة أبواب . ولها ربض واسع ، وعليه سور وحصن دائر بالربض ، وخندق على الربض حصين ، وفيه ماء ، وماء ينبع من مكانه ويقع فيه فضل من المياه الجارية إليها . وللربض ثلاثة عشر باباً . والأبواب الخمسة للمدينة الداخلة كلها حديد . اثنان متجاوران يفضيان إلى الجنوب الشرقي يخرج منهما إلى فارس ، يرفان ببابي فارس ، ويسمى أحدهما الباب الجديد والآخر الباب الشيق وباب يفضى إلى الشمال ، يخرج منه إلى خراسان ، هو باب كركويه نسبة إلى مدينة كركويه القريبة منها . وكان باب نيشك في الطريق الشرقي يخرج منه إلى بست . ويعرف الباب الخامس بباب الطعام ، وهو أعمر أبوابها ، يفضى إلى الطريق الذاهب جنوباً الذي يخترق الأسواق والبساتين في ظاهر زرنج .

والمسجد الجامع كان في الربض قرب البابين اللذين في الجنوب الغربي على طريق فارس . والجس عند الجامع . وهناك أيضاً دار الإمارة . وبين باب نيشك وباب كركويه في الشمال الشرقي من المدينة ، أبنية عظيمة تسمى أرك أي قلعة ، وفيها كانت الخزانة . بناها عمرو بن الليث الصفار ، ثاني أمراء الدولة الصفارية . وكان أخوه الأمير يعقوب ، مؤسس هذه الدولة ، قد بنى له قصراً صار دار الإمارة الجديدة وهي في هذا الجزء من المدينة الداخلة بين البابين اللذين في الجنوب الغربي وباب الطعام . وبالقرب منها قصر عمرو أيضاً . وكانت هذه الأبنية ، كسائر أبنية المدينة ، من طين ، أزاج معقودة ، لأن الخشب بها يتسوس ولا

وله درج لولبية ، وفيه كتابتان بالكوفية يسكن قراءة فيه منها . ويرى أن هذا البرج قد خربه تيمورلنك . انظر : تيت (G. P. Tate) في JRAS. لسنة ١٩٠٤ ص ١٧١ .
وتقدم نصرت آباد ، قاعدة سيستان الحالية ، على بضعة أميال جنوب هذه الغراب . وكانت تعرف أولاً باسم ناصر آباد ، إلا أن هذا الاسم قد بطل اليوم . وعلى ما ذكر المستر سائج لنهر ، تعرف اليوم بشهر نصرية أيضاً .

ثبت ، لرطوبة جوها وانتشار الارضة فيها . وفي المدينة الداخلة وريضها ، كثير من الفنادق . وفي الريض دور الامارة . وأسواق المدينة الداخلة حوالى المسجد الجامع . وأسواق الريض أسواق عامرة أيضا ، منها سوق يسمى سوق عمرو ، بناء ثمانى الامراء الصفايين . و غلة هذا السوق فى كل يوم نحو ألف درهم (٤٠٠ بلونا) ووقفه على المسجد الجامع والبيمارستان والمسجد الحرام .

والسوق فى الريض متصل غير منقطع نحو نصف فرسخ ، مستد من باب فارس فى السور الداخلى ، الى باب فارس فى سور الريض . وكانت المياه وافرة فى اتجاه زرنج ، تجرى اليها فى أنهار صغيرة وبنى متصلة تأخذ من نهر سنارود وتدخل الى المدينة الداخلة من ثلاثة مواضع : من الباب العتيق ، ومن الباب الجديد ، ومن باب الطعام . ومقدار هذه الأنهار ، اذا اجتمعت ، ما يدير الرىح . وعند المسجد الجامع حوضان عظيمان يدخلهما الماء الجارى ويخرج ويتفرق فى بيوت أهل البلد . وبيوت الريض تجرى اليها المياه فى قنى أيضا ولا غنى عن هذه المياه لشدة حر المدينة . وفى كل بيت سرداب يعيش فيه الناس فى فصل القىظ لاشتداد الحرارة فى زرنج . وأرض المدينة سبعة ورمال ، بها نخيل ، وتشتد رياحهم وتدمم ، وتقتل رمالهم من مكان الى مكان . ولولا أنهم يحتالون فيها بسياسات ، لعلت القرى والمدن بها ، وذلك ان جميع البلد رمل . ولدوام رياحهم تصبوا عليها أرحية لطحن قموحهم ، يدبرونها بالريح . وهو أمر اختصت به هذه البلاد . وكانت الرمال المتحركة ، مبحث خطر وضرر دائم لأهل المدينة . ولأين حوقل حديث طويل بلغه فى سنة ٣٦٠ (٩٧٠) ، ذكر فيه كيف ان الرياح قبل ذلك بسنة ، أكتبت بالرمال على الجامع .

هذا ما كان من حال زرنج فى المئة الرابعة (العاشرة) . وقد ردّد القدسي هذا الوصف أيضا . فأشار الى غنى أهلها والى أنهم ذوو عقل وعلم ، ونوه بقلتها الحصينة وبمنارتها المشهورتين فى مسجدتها الجامع . بنى إحداهما يعقوب بن الليث الصفاي^(٥) . وبقيت هذه المدينة على ازدهارها قرونا كثيرة حتى انها

(٥) قال القدسي (أحسن التقاسيم . ص ٣٠٥) : . . . الجامع فيها ، له منارتان . القديسة راحرى من سمر بنامه يعقوب بن الليث . (م) .

على ما يبدو قد نجت من الدمار في خلال الغزو المغولي سنة ٦١٩ (١٢٢٢) ، حين
بعث جنكيزخان بجموعه لتخريب سيستان . وبقيت زمنا بعد هذا التاريخ يحكمها
وال مغولي . وفي النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تكلم المستوفى
على زرنج (ويلفظ الفرس اسمها زرنك) وقال انها مدينة على غاية من
الازدهار ، وكان يحمي زرنج من الرمال المتحركة التي تأتيها من المفازة المجاورة
لها ، ، بند ، عظيم يقال ان أول من بناء الملك گرشاسف في قديم الزمان .
وجدده بعد ذلك الملك بهمن بن أسفندمار . وأطرى المستوفى بساتين زرنج التي
تكثر فيها الفواكه الطيبة . وكان يسمى هذه البساتين سياه رود (النهر الاسود)
وهو يأخذ من أحد فروع هيلمند . على انه في أواخر هذا القرن أى سنة ٧٨٥
(١٣٨٣) ، ظهر تيمور بجغاله أمام المدينة ، وكانت تعرف حين ذاك ، على
ما يتنا ، بشهرسيستان (أى مدينة سيستان) وما عمت أن لاقى حصيرها المحتوم .
ذلك ان تيمورلك استولى على قلعتها وقوضتها ، وهى القلعة المعروفة بـ حصار زر .
ولعلها كانت تقوم في شمال زرنج بالقرب من حافة البحيرة . أما سيستان العاصمة
نفسها ، فقد سدت أبوابها بوجهه وامتنعت عن التسليم ، فحاصرها حصارا لم
يطل أمده ، فقد استولى عليها عنوة وأعمل السيف في رقاب أهلها ، وذلك
أسوارها وخرب دورها . ومنذ ذلك الحين تحولت زرنج الى خرائب لا اسم
لها^(١) .

وبحيرة زر ، أو زرور ، كانت في القرون الوسطى على ما يتنا ، أوسع
بكثير مما هي عليه اليوم . الا ان هذه البحيرة ، كانت في كل الازمان ، تسع
الماء فيها وينقص على قدر زيادة الماء [في الأنهار] وتقصاته ،^(٢) . وقال ابن
حوقل في وصفها في المئة الرابعة (الماشرة) : « طولها نحو ثلاثين فرسخا مئة
ميل (من ناحية كيوين) أو كرين) على طريق قوهستان الى قطرة كرمان على

(١) البلاذرى ٣٦٢ و ٣٦٤ ؛ الطبري ٢٨١ ؛ الاستطرى ٢٣٩ - ٢٤٢ ؛ ابن حوقل ٢٩٧ -
٢٩٩ و ٣٠١ ؛ المقدسي ٣٠٥ ؛ المستوفى ١٨٣ ؛ هل الزيدى ١ : ٣٦٢ .
(٢) وقد نشر بيير سابكس في كتابه Persia في الصفحة ٣٦٤ و ٣٧٢ عددا من الغوارب
البيانية ، توضح حالة دلتا هيلمند والبحيرة في يومنا . لكن انقص الطرف الجنوبي من غوض البحيرة
الطلي ، لتصل ببحري كبير - طول نحو من خمسين ميلا ومعدل عرضها ٣٥٠ ياردة وله جروف

طريق فارس ، عند حد سجستان فى المرحلة الثالثة فى الطريق من زرنج الى نرمانس (انظر ص ٣٦٦ أعلاه) • وعرض هذه البحيرة مقدار مرحلة (أى مسيرة يوم وهو نحو ثلاثين ميلا) وهى عذبة الماء ، وافرة القصب ، ويرتفع منها سمك كثير • وهى حواليتها كلها قرى سوى الوجه الذى يلى المفازة ، وهى هذه القرى كان هذا السمك يحفف ويحمل الى سائر البلاد •

وأكبر الأنهار التى تحمل الماء الى بحيرة زره ، هو نهر هيلند العظيم الذى أجاد ياقوت فى وصفه ، انه ينصب اليه مياه ألف نهر • وقد ضبط اسمه بصورة هند مند • أما هند مند فقلعه من خطا النساخ • وكذلك هير مند (أو هيرميد) وبهذا الاسم الاخير ذكر المستوفى النهر ، كما سماه أيضا آب زره ، أى نهر زره • وما هيلند الا الصيغة الحديثة الأكثر شيوعا - ويخرج هذا النهر الكبير فى الجبال بين غزنة وباميان ، وتولف هذه الجبال اليوم قسما من أفغانستان ، وقد كانت فى الترون الوسطى تعرف بناحية (أو مملكة) الفور • ويجرى هيلند نحو الجنوب الغربى فينحدر فى الوادى المريض المعروف بزمينداور الى مدينة بست حيث يلتقى بصفته اليسرى نهر قدهار الذى يسقى بلاد رُحُجج • وكانت بست أولى مدن سجستان التى يبلغها النهر • ومن هذه المدينة ينطلق هيلند انعطافه العظيم نصف الدائرى ، باتجاهه جنوبا فشمالا حتى يبلغ زرنج ومنها يدور نحو الغرب ثانية ثم يقع فى بحيرة زره •

وتقوم فى نهر هيلند على بعد مرحلة ، أى مسافة نحو ثلاثين ميلا من زرنج ، سدود أنشئت لتقسيم مياهه على أنهار الرى • وفى هذا الموضع تفرغ أعظم كمية من مائه فى أنهار خمسة كبيرة تجرى نحو زرنج والبحيرة • فأول هذه الأنهار المنشقة عنه : نهر الطعام وهو أبسدها جنوبا • وكان يسقى الرساتيق خارج باب الطعام من أبواب زرنج وقد مر ذكره • ومن هذه الرساتيق ما ينتهى

ارتقاها خسران قسما - يقال له خلا ، ويجرى هذا النهر نحو الجنوب الشرقى فيجى الى كود زره ، أى وهدة زره وهى عقيق لان للبحيرة الى جنوب عدره هيلند الاسفل • وتستقبل هذه الوعدة (كود) فى موسم الفيضان بقلعة مياه البحيرة • ومساحة كود زره نحو مئة ميل من الشرق الى الغرب وثلاثين ميلا عرضا • انظر : سايكس الى Persia ص ٣٦٥ •

الى حد نيشك ويليهِ نهر يقال له نهر باشتروذ . ثم نهر ثالث هو نهر سنارود . كان يأخذ من هيلمند على فرسخ من زرنج ، وهو النهر الذى يحمل الماء الى قاعدة الاقليم . ولهذا فقد أشار ابن حوقل الى ان فى موسم الفيضان كانت تجري فيه السفن من بست الى زرنج . أما النهر الرابع ، فكان يسقى مقدار ثلاثين قرية ويقال له نهر شعبة . والنهر الخامس كان نهر ميلى . وكانت فضلة ماء نهر هيلمند بعد ذلك تجري فى نهر يسمى نهر كرك ، وقد شُكِرَ هناك سُكُور بمنح الماء ان يجرى الى بحيرة زره حتى يجرى المد ، فاذا جاءت أيام المد زال السكر ووقع فضل هذا النهر الى بحيرة زره .^(٨)

ويؤخذ من أقوال البلدانين العرب الأولين ، أن زرنج لم تكن قاعدة سجستان فى أيام ملوك الجعم القدماء ، بل كانت مدينة اسمها رام شهرستان ويقال لها أيضا أبر شهر يار . وهذه المدينة كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) قد دفتها رمال المفازة ، وأبنيتها وبعض بيوتها بقيت قائمة الى ذلك الزمن . ويقال ان موضع هذه العاصمة القديمة كان على ثلاث مراحل من زرنج ، عن يسار الذهاب من زرنج الى كرمان ، اذا جزت ، (مدينة) دارك بخذاء (مدينة) راسك ، وهما موضعان مجهولان . ويقال ان الفرع الكبير المنشق من هيلمند ، كان يجرى عليها فى الايام الخالية فيسقى رساتيقها . ثم انقلع السكر فى هذا النهر وانبت الماء منه ومال الى نهر آخر فانقطع عنها ، ومن ثم تحول ما كان يكتنف المدينة الشيقة من رساتيق الى مفازة ، فهجرها الناس ونوا زرنج .

وعلى مسافة مسيرة غرب بحيرة زره ، على حد قوهستان ، عند سفير المفازة العظمى ، مدينة نه أو تيه ، وقد ذكرها البلدانيون العرب الاولون بكونها من أعمال سيستان . قال فيها المقدسى « عليها حصن ، بناؤهم طين ، وشربهم أكثره من قنى » يجرى اليها الماء من الجبال . وأشار الى نه أيضا ياقوت والمستوفى . ولم يزد الاخير شيئاً الا قوله : بناها الملك أردشير بابكان . وما يشاهد اليوم من بقايا

(٨) الاسطرخى ٢٤٢ - ٢٤٤ : ابن حوقل ٣٠٠ - ٣٠١ : القمى ٢٢٦ : ياقوت ١٠١ : ٥١٤ : ٤ : ٢٧٢ و ١٦٢ : المستوفى ٢١٦ و ٢٢٦ : وأشار المقدسى الى البحيرة باسم بحيرة الصنط ولعل ذلك من رسم السماع .

الحصون والخرائب الهائلة لا يدل الا على انها كانت فى القرون الوسطى موضعا جليل الشأن^(٩) .

أما ما يقع من أنهار فى بحيرة زره من الشمال ، وهى الانهار المتحددة من أسفزار (سبزوار هرات) ويقال لها اليوم هارود ، فلم يذكرها البلدانون العرب على ما يبدو ، الا انهم أشاروا الى نهر فره * ومخرجه فى جمال ناحية السور * ووادى فره هذا ، بعد ان يجتاز الجبال ، يدخل إقليم سجستان ويصل الى مدينة فره * وقد وصفها ابن حوقل بقوله هى أرض سهلة ومدينة كبيرة ، أبنتها طين ولها رستاق يشتمل على نحو من ستين قرية ، وبها تخيل وفواكه وزروع * وزاد المقدسى على ذلك قوله « فره : ذات جانبين ، جانب للخوارج وجانب لأهل الجماعة » * وعلى مرحلة من جنوب المدينة ، قنطرة على نهر فره يقال لها قنطرة فره (وبالفارسية بل فره) * وعندها يمر الطريق الآتى الى زرنج من ضفة النهر اليمنى الى اليسرى * وكانت هذه القنطرة ، وعندها مدينة أيضا ، على أربع مراحل فوق جوين * وكان فى نحو نصف الطريق بين المدينتين (على ما ذكر ابن رسته) موضع يقال له كهن * وقرب كهن ، على بعد فرسخ من غربها ، كتب رمل كبير ، ذو خاصية اسماع الاصوات * فان القيت على رمل هذا التل الماء أو أى شئ حتى الصغير ، سمعت منه صوتا شديدا ودويا هائلا سمما * وذكر البيرونى أيضا هذا الجبل المجيب ، وقد كتب فى المثة الخامسة (الحادية عشرة) * ومثل هذه الخاصيات التى فى الرمال المتقلبة تلاحظ اليوم فى كتابان المفازة بين سجستان وقوهستان * والمدينة المزدوجة الحديثة لاش - جوين ، وهى فى بلونا موضع جليل الشأن قد ذكرها المقدسى باسم كورين (عوضا عن كوين) * وقال فيها « كوين ، عليها حصن متنج كبير ، وليس بها منبر من أجل انهم جوارج » *

(٩) الاسطرى ٢٤٢ : ابن حوقل ٣٠٠ : المقدسى ٣٠٦ : ياقوت ١ : ٨٧١ : المستوى ١٨٢ - لا يعلم موضع رام شهرستان بالضبط * ولد چيل سر هه * رولنسن (JRGSS لسنة ١٨٧٣ ص ٢٧٤) موضعها الى دامرود بالقرب من مخرج شلا ، حيث ترى هناك اطلال واسعة كبيرة * وقد وصف هام الخراب التي تسمى اليوم شهر رستم أى مدينة رستم ، ووضح لها مخططا : سلج لادر ، فى كتابه Across coveted Lands ٢ : ٢٧٠ * وروصف ميحر سايكس خرابات نه فى كتابه Persia (ص ٤١٣) *

أما غير المقدسى من بلدانى القرون الوسطى ، فلم يذكرها هذا الموضع الا بكونه
مرحلة فى الطريق . ولم يذكرها الاسم « لاش » .

وفى نحو نصف المسافة بين جون وزرنج ، يعبر الطريق أكبر فروع
هيلند على قطرة . وعلى بضعة فراسخ جنوبها ، المدينة الجبلية كركو^١ .
كانت هذه المدينة على مرحلة شمال زرنج ، وباسمها على ما بيننا ، سمي باب
زرنج الشمالى . وكان أهل كركويه من الخوارج على ما ذكر ياقوت . وفى
كركويه بيت نار منظم عند المجوس . وأسهب القزوينى ، وقد كتب فى ختام
المئة السابعة (الثالثة عشرة) فى صفة هذه البناية . قال « بها قبتان عظيمتان ،
زعموا انهما من عهد رستم الشديد . وعلى رأس القبتين قرنان قد جعل ميل كل
واحد منهما الى الآخر تشبيها بقرنى الثور ، بقاؤهما من عهد رستم الى زماننا . . .
وتحت القبتين بيت نار للمجوس . . . ونار هذا البيت لا تطفأ أبدا ، ولها خدم
يتأوبون فى اشغال النار ، يقدم الموسم بالخدمة على بعد من النار عشرين
ذراعا ، ويطفى فمه وأنفاسه ويأخذ بكلبتين من فصة عودا من الطرفاء نحو الشبر
يقلبه فى النار . وكلما هم النار بالخبو يلقى خشبة خشبة . وهذا البيت من أعظم
بيوت النار عند المجوس . . . وعلى شئ يسير من كركويه ، على ثلاثة فراسخ
من زرنج ، كانت مدينة كرك^٢ . وقال ياقوت ان بعضهم يسميها كرك^٣ وهى ما
زالت الى يومنا تعرف بهذا الاسم . وزاد ياقوت على ذلك انها « بلدة نزهة كثيرة
الخيرات ، وأهلها كلهم خوارج ، حاكمة » (١) .

(١٠) ان رسته ١٧٤ . ويحدد الكتبان الرملية المسماة اسرانا ، راجع البيروني : الآثار الباقية من
العرون الحالية وقد نقله الى الإنكليزية سحر (G. E. Sachau) ص ٢٢٥ من الترجمة (ص ٢٤٦ من المجلد
العربى) . وللإطلاع على مثال من يوعنا هذا نقل وصف يسمح اسوانا كامسوات « البشارة الايرانية »
(Aeolian Harp) انظر - سرف . كوك سند (Eastern Persia ١ : ٢٢٧)
لقد زار هذا النزل الجليل فى مشهد الامام زيد على خمسة اميال غرب قلعة كاه .
الاسطرخى ٢٢٤ : ابن سوكال ٣٠٣ و ٣٠٤ : المقدسى ٣٠٦ و ٣٢٩ : المستوفى ٢١٥ : القزوينى
١٦٣ : ياقوت ٣ : ٤٢ : ٨٨٨ : ٤ : ٢٦٣ و ٢٦٩ .
أما موضع كركويه ، ليسكن البحث عنه بين الغرائب الراسمة فى جنوب بيشاوران ، وعندما تقطرة
قديسة ذات عشرين ، يقال لها تضر برل . انظر ايضا : سرف كوك سند فى Eastern Persia
(١ : ٣١٥) ريت Yale فى كتابه خراسان وسيستان (ص ١١٨) .
كان الزردشتيون يسمون بيت النار المذكور أعلاه ، ميتو كركو . (انتهت حاشية المؤلف) .

أما نهر خاش ، أو خَوَاش ، أو خَوَاش^(١١) ، فإنه يقع فى بحيرة زره بين نهر قره وهلمند . وقد سماه ابن حوقل نهر نِيَشْك . ويشك اسم الناحية الحاضرة فى شرق زرنج ، وبها سعى ، على ما ذكرنا ، الباب الشرقى فى العاصمة زرنج . ومخرج هذا النهر فى جبال النور أيضا . ومدينة خواش راكبة عليه ، وهى على نحو مرحلة من زرنج . وذكر ابن حوقل أن مدينة خواش أكبر مدن هذه الناحية ، بها نخيل وأشجار . وحين كتب ياقوت ، صار اسمها يلفظ بصورة خاش ، على ما هو اليوم . وأجل مدينة فى هذه الناحية ، وإن كانت

قلنا : الميثارة الايولية آلة موسيقية تتألف من صندوق مستطيل فارغ ، مربوط على وجهه أوتار ، تحزف من تفلأ ، لعمها بفعل الريح . وانتهى إلينا من إخبار رؤساء اليهود (الريبيين) أن الملك داود كان يعلق فيقارته نوى مناهة ليلا ، فإذا انتصف الليل سمع منها صوت ماعم . والمعروف أن الصيبيين إلى يومنا يطربون طيارات من الورق يطلى مى شيطا آلة تمطى أصواتا موسيقية إذا لاستها الريح . ونجد مثل ذلك فى العراق لدى الصيبيان الذين يطربون طيارات ورقية ، فانهم يملكون فى خيط الطيارة آلة عقيقة تسمى « المديركة أو المنطور » تمطى أصواتا موسيقية وهى فى الجو . وتنسب الميثارة الايولية إلى إيولس (Æolus) وهو فى الاساطير اليونانية ، على ما ذكر هوميوس ، ابن هيبولس (Hippotus) شاطب الريح وحاكم جزيرة إيولية الماللة . وايولية Aeolia خلخالمة يونانية قديمة فى آسية الصغرى (راجع دائرة المعارف البريطانية . مادة : Aeolian Harp من الطبعة الرابعة عشرة) .

إن الظاهرة المسجبة التى تسمى « موسيقى الرمال » ، قد سمعها الكثير من علماء الجيولوجية ورواد الصحارى والقفار . روى بعضهم ، أن نوعا من الموسيقى الصاخبة التى تشبه إلى حد ما « الجاز » المنيف ، تسمع فى بعض الأحيان فى صحراء كلهارى (فى جنوب افريقية) ، حيث يوجد « لسان » من الرمل الأبيض مستقر على « شهر » من الرمل الأحمر . وقد ترتفع هذه الموسيقى حى تشبه صوت محرك الطائرة . ويرون فى تفسير ذلك ، أن هذا « اللسان » من الرمل الأبيض ، يزلزل كله على الرمل الأحمر المستقر فيحدث الصوت .

وذكر فيهم ، أنهم سمعوا هير مرة فى صحراء بيرو ، أصواتا موسيقية واضحة تشبه غلظلة الاجراس النحاسية ، وقال آخرون أنهم سمعوا موسيقى الرمال جليلة فى بلاد الافغان ، على اربعين ميلا من مدينة كابل إلى الشرق . وفى مصر عرفت ظاهرة موسيقى الرمال أيضا . فإن البدو ، فى أقصى الجنوب الغربى من صحارى مصر ، يزعمون أن هذه الموسيقى إما أن تكون أصوات الاجراس فى الكنائس والاديرة التى طمرتها الرمال ، أو أنها صفير المن وعويل الشياطين . ولو زدت « جبل الناقوس » فى وادى العربة شمال مدينة الطور بشبه جزيرة سيناء ، لسمعت مهبيا عجبا : ولئن يبدأ خافتا لم يعلو رويدا رويدا حتى يرفع الصائح ويتفيله ، وقد لمر بعضهم سبب ذلك أن الطبقة العليا من الرمل تكون شديدة الحرارة ، فتأفى الريح لتحركها فحدثت الموسيقى . (م) .

(١١) فى هذه الاجزاء ، ثلاثة مواضع بهذا الاسم أو بآ يشابهه ، هى نهر ومدينة خاش الحاليين . ثم مدينة بهذا الاسم فى جبل القلص (انظر ص ٣٥٥) وأخيرا خواش مكران (انظر ص ٣٦٨) .

أصغر من خواش ، مدينة قيرنين أو القرنين . وهى موطن آل الصفار يعقوب وعمرو ابني الليث الصفار المشهور . وكانت قرنين فى المفلة فى شمال غربى خواش ، على مرحلة منها فى الطريق الذهاب الى قره . وفيها ، على ما ذكر ابن خردادبه ، « أثر مريد فرس رستم » . وتكلم المقدسى على قرنين فقال : هى صغيرة وعليها حصن ولها نهر وبها جامع ولها رضى . وأشار المستوفى اليها أيضا وقال : يكثر فى رساتيقها الخصب القمح والنواكه .

وفى نصف الطريق بين قرنين وقره ، مدينة جزء الصغيرة وهى نحو قرنين سعة . ذكر ابن حوقل انها تشتمل « على قرى رساتيق ، وهى خصبة ، وماؤهم من قنى لهم ، وأبنيتهم أيضا من طين » . وذكر ياقوت ان أهلها فى أيامه كانوا يقولون لها كزه . ويقال للناسية التى تحف بنهر خواش : نيشك ، وكانت فى المثة الرابعة (الماسة) كثيرة السكان ، على ما بينا ، وحروى ، « قرية عامرة سلطانية » وهى ما زالت قائمة على ضفة النهر أسفل خواش حيث يسير الطريق الآتى من بست نهر خواش على قنطرة آجر . وكانت قرية سروذن المرحلة التالية لها فى طريق زرنج . وبين هاتين القريتين زانبوق ، وهى قرية عليها حصن منيع قال المقدسى انها نحو جوين سعة .

وعلى مسيرة يوم شمال زرنج ، مدينة الطاق الجبلية ، ولم تعين كتب المسالك موضعها الصحيح . قال المقدسى : « الطاق صغيرة كثيرة الاعتاب واسعة الرستاق » . وذكر ابو الفداء فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، نقلا عن ابن سعيد ، وقد سناها حصن الطاق : « هو على جبل مرتفع عند التواء النهر » (أى نهر هيلند) ، وعنده ينمطف النهر غربا بعد أن تتفرع منه الانهار الجارية الى زرنج فيقع فى بحيرة زره . وقد جاء ذكر هذا الحصن مع قلعة زره (أو حصار زره) فى جملة المدن التى استولى عليها تيمورلنك قبيل هجومه على زرنج . وفى أخبار الفتوح الاسلامية الاولى ، جاء ذكر قلعة أخرى فى هذه الانحاء ، هى زالق ، قيل انها على خمسة فراسخ من كركويه ومن زرنج . ولا يعرف عنها شيء غير ذلك . ولم يرد لها ذكر فيما بعد^(١٢).

(١٢) البلاذرى ٣٩٣ و ٣٩٥ ؛ ابن حوقل ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ ؛ ابن خردادبه ٥٠ ؛

أما بست ، فإنها على نحو خط عرض زرنج . والطريق من زرنج يأخذ شرقاً ماراً بحروى ، على ما بيننا ، ويقطع المفازة . أما مجرى هيلند ، فإنه يشاعف المسافة إذ يلتوى التواء نصف دائري باتجاه الجنوب ، وفي منتصف امتداد مجراه تقوم مدينة رودبار . وقد ذكر البلاذري هذا الموضع على ما يظهر في أيام الفتوحات الإسلامية الأولى ، فتكلم على مدينة يقال لها الروذبار في سجستان ، في طريق قندهار وبالقرب من الروذبار هذه ، كانت كش (أو كس) . ويبدو أنها هي الموضع المعروف اليوم باسم كاج أو كهيج . ولم يذكر البلدانون العرب الروذبار إلا عرساً ، ولعلها تطابق روذبار التي وصفها الاصطخرى وقال أنها من أعمال فيروز قند قرب بست . « وأكثر غلاتها الملح ، ولهم مع ذلك زروع وفواكه ومياه جارية » . وفي هذه الانحاء موضع آخر هو الزالقان ، وتكتب أيضاً الصالقان أو الجهانلكان . وصفها ابن حوقل بكونها من بست على مرحلة واحدة . ولكنه لم يذكر في أى اتجاه هي منها . ولم يرد هذا الاسم في كتب المسالك . وكانت مدينة « أكثر أهلها حاكّة ، وبها فواكه ونخيل وزروع ، وماؤهم أنهار جارية » وكانت في المئة الرابعة (العاشرة) نحواً من القرنين في الكبر .

وَبَسْت (أو بَسْت) على نهر هيلند ، عند ملتقى النهر الآتي من ناحية قندهار معه . وقد كانت دائماً موضعاً جليلاً . قال الاصطخرى : على باب بست ، جسر من السفن كما يكون على أنهار العراق ، وعليه يعبر الطريق الآتي من زرنج . وكانت بست في المئة الرابعة (العاشرة) ثمانية المدن الجبلية في سجستان . « وزي أهلها زي أهل العراق ، وبها متاجر إلى بلد الهند ، وبها نخيل وأعشاب ، وهي خصبة جداً » . وكانت بست تمتد أجل مدن البلاد الجبلية في شرق سجستان التي تشمل على الناحيتين الكبيرتين : زمين داور ورخيخ . قال المقدسي أن حول بست وقلعتها أرباضاً كبيرة على فرسخ فوق ملتقى نهر خردروي (نهر أرگنداب الحالي) بهيرمند (هيلند) . ولها جامع حسن

وأسواق عامرة . « وعلى نصف فرسخ من نحو غزيرين (غزنة) ، مدينة صغيرة تسمى السكر ، ينزلها السلطان » وقال ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) « ان الخراب فى بست ظاهر ، ونوء بانها « من البلاد الحارة المزاج ، وهى كثيرة الانهار والبساتين . « وفى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) أوقع تيمور بها وبما جاورها ، الدمار حين زحفه اليها من زرنج ، وخرب فى طريقه أحد السكور العظيمة فى هيلند المسمى بند رستم ، وكان هذا السكر يسكن المياه التى تسقى الرساتيق فى غرب سيستان^(١٣) .

وما زال الوادى العريض الذى يجرى فيه نهر هيلند متحددا من جبال هندوكش الى بست ، يرف باسم زمين داو ، وهو الاسم الذى أطلقه البلديون العرب على ناحيته . وهذه هى التسمية الفارسية ، ويقابلها بالعربية أرض الداو أو بلد الداو . ومعنى هاتين التسميتين واحد ، هو أرض الأبواب أى دروب الجبال . وكانت هذه البلاد فى القرون الوسطى خصبة عامرة كثيرة السكان ، بها أربع مدن جليلة ، هى درتل ودرغش وبشني وشروان . ولها قرى ورساتيق عديدة . وأكبر مدن هذه الناحية درتل أو تل ، على ما كتب الاسطرخى اسمها . والظاهر انه يطابق المدينة التى وصفها المقدسى باسم الداو وقال « الداو : كبيرة طيبة وهى ثمر جليل عليها حراس مرتبون » اذ كانت فى المثة الرابعة (العاشرة) على حد جبال النور وهى عند ضفة نهر هيلند على ثلاث مراحل فوق بست . وورد فى أخبار الفتوحات الاسلامية الاولى ، ان بالقرب منها جبل الزور حيث الصنم العظيم المسمى زور أو زون . وقد غنمه العرب . وكان هذا الصنم كله من ذهب وعيناه مرصتان بياقوت .

ومدينة درغش ، على هيلند فى الضفة التى عليها درتل ، وهى أعلى منها بمرحلة . أما بشني ، فكانت على مرحلة من غرب درتل فى البلاد التى تسكنها القبائل التركية المعروفة بالشلنك . وتقيم بنهم قبيلة الحنكج . وقد هاجرت

(١٣) البلدانى ٣٦٤ و ٤٣٤ : الاسطرخى ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٨ : ابن حوقل ٣٠٢ و ٣٠٤ : المقدسى ٢٩٧ و ٣٠٤ : ياقوت ٢ : ١٠ و ٦١٢ : ٤ : ١٨٤ : على البزدى ١ : ٣٧٠ .

قبائل الخليج هذه بعد ذلك نحو الغرب ، الا ان ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) ، وصفهم بقوله انهم من بلد الداور « على خلق الاترك وزيمهم ولباسهم » . وفي زمين داور مدينة خامسة هي خواش (واسمها كانم الموضع الذي على نهر خواش ، وقد مر ذكره) . قال الاصطخرى انها بلد لا سور عليه ، وبها قلعة . وما يؤسف عليه ان موضعها لم تذكره المراجع ، غير ان بعضهم عدتها من أعمال كابل .

ويين بست ودرتل ، على مرحلة جنوب المدينة الاخيرة ، سروان أو شروان ولم تكن على نهر هيلند على ما يظهر ، قال فيها ابن حوقل : مدينة صغيرة نحو القرنين ، الا انها أعمر وأكثر أهلا ، وبها فواكه واسعة تحمل ، ونخيل وكروم تجلب منها وتنقل من رسايقها ومن فيروز قند . وهذه الاخيرة جنوب ناحية سروان . وعلى مرحلة من شرق بست^(١٤) .

ورساق رخج ، يتألف مما حول قندهار من بلاد ، وهو في شرق بست بامتداد ضفاف النهرين المعروفين اليوم بـ « ترنك » و « أرگنداب » . وكانت قاعدة رخج في المصور الوسطى : پنجواي . وهي العيفة العربية لـ « پنج وای » (أي الانهار الخمسة) . وما زال هذا الاسم يطلق على الناحية غرب قندهار قرب التقاء نهري ترنك وارگنداب . وقد كانت بلاد رخج على غاية الرفاهة والخصب والسعة في القرون الوسطى « وعامتها سَوَافِر ترفع لبيت المال منها مال عظيم جسيم » . ومن الصعب تعيين موضع پنجواي ، فقد كانت على طريق بست على اربع مراحل منها ، وعندها كانت تشعب الطرق : طريق يتجه شمالا فيصل غزنة في اثنتي عشرة مرحلة . وطريق آخر الى الشرق يبلغ سيبي في ست مراحل . ولعلها لم تكن بعيدة عن قندهار . غير ان المسافة بين المدينتين لم تذكرها المراجع ، وعلى مرحلة من غرب پنجواي ، قلعة كوهك (أي الجبيل) . وحول القلعة المدينة ، وكانت پنجواي نفسها نفيسة ، وبها جامع حسن . وشرب

(١٤) البلاذري ٣٦٤ : الاصطخرى ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٨ : ابن حوقل ٣٠٢ و ٣٠٤ : القنسي

٣٠٥ : ياقوت ٢ : ٤٦ : ٤ : ٢٢٠ .
لم يبق اليوم مدينة من مدن رامين داور . الا ان درتل قاعدة هذه البلاد ينبغي (لها) كانت حيث موضع كيرشك المدينة .

أهلها من نهر .

وعلى مرحلة من هذا الموضع فى طريق سيبى ، مدينة بكرأواذ (عوضا عن بكر اباد ، وقد أشار إليها الاصطخرى وابن حوقل باسم تكى ناياذ ، ولعل ذلك من وهم النساخ) . وهى « مدينة كبيرة ، الجامع فى السوق » ، وكانت على نهر يلتقى بنهر قندهار .

أما مدينة قندهار (أو القندهار) فقد ذكرت غير مرة فى أخبار الفتوح الاسلامية الاولى ، فى جملة المواضع القريبة من حدود الهند . وأشار البلاذرى الى ان المسلمين وصلوها من سجستان بعد أن اجتازوا المغازة ، ثم اتوا المدينة فى السفن من ناحية النهر ففتحوها وكسروا البد العظيم ، وقد كان ولا شك تمثالا لبوذا . وبعد الفتوحات ، لم يرد اسم قندهار الا عرشا فى المقدسى وابن رسته واليقوبى ، وذكروها انها فى الهند أو على حدود الهند . ولم يوصلنا أحد من أصحاب المسالك الى قندهار يا للأسف . ولا ذكر لهذا الاسم فى الاصطخرى وابن حوقل فى سياق كلامهما على هذا الاقليم . وربما تكون پنجواى قد حلت محلها فى صدر القرون الوسطى . اذ ان ياقوت الحموى ، لم يأتنا بوصف لها ، ويرى اسمها ثانية فى التاريخ عند الكلام على تخريب المنول لها فى النصف الاول من الملة السابعة (الثالثة عشرة) ثم تدمير تيمور لها فى ختام الملة التى تليها^(١٥) .

وكانت ناحية سيبى ، تعرف لدى البدائين العرب باسم بالس ، ويقال لها أيضا بالس أو والشتان . وقاعدتها ، على ما فى الاصطخرى : سيبى ، وكتب أيضا سيوى أو سيوى . ولكن الوالى كان يقيم عادة فى القصر ، (أى القلعة) . والقصر بلدة صغيرة على فرسخ من أسفنجاي أو سفنجاي ، وهى ثانية مدن هذه الناحية ، ولم يبين موضعها الصحيح ولكنها كانت على مرحلتين شمال سيبى فى طريق پنجواى رخج . أما مدينة مستنك أو مستنج فقد ذكرها أيضا الاصطخرى

(١٥) البلاذرى ١٢٤ و ٤٤٥ : الاصطخرى ٢٤٤ و ٢٥٠ : ابن حوقل ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٥ : المقدسى ٣٠٥ : ياقوت ٤ : ٢٢٦ : هل الزيدى ١ : ٢٧٦ : الدكتور مد . و . بلو H. W. Belleu . من كتاب From the Indus to the Tigris من ١٦٠ .

والمقدسى وقال الاخير ان فى هذه الناحية الفين ومشى قرية • ولكن لم يته الينا وصف لأى موضع من هذه المواضع ^(١٦) .

وغزنة أو غزئين ، اشتهرت فى التاريخ فى ختام المئة الرابعة (مطلع المئة الحادية عشرة) اذ كانت عاصمة السلطان محمود الغزنوى العظيم وقد ساد فى وقت واحد على الهند فى الشرق وبناد فى الغرب • ولكنه لم يته الينا يا للأسف وصف واف لغزنة حين جدد محمود بنامها وزينها بما غنمه من غزواته فى الهند • وقد وصف الاصطخرى هذه المدينة قل هذا الزمن بجيل ، فقال انها كالباميان ، ولا يساتين لها • ولها نهر • وليس فى هذه المدن التى فى نواحي بلخ أكثر مالا وتجارة من غزنة ، فانها فرصة الهند • وسرد المقدسى أسماء كثير من رسايقها وقراها ومدنها ومظلمها لا يعرف موضعه اليوم • وكتب اسمها بصورة غزئين ، بصيغة المثنى ، ولكنه لم يشر الى ما يقصده بغزئين وان استعمل اسم غزئين فى الأزمنة أكثر من غزنة • وزاد المقدسى على ذلك ان البلاد التى ما بين غزنة وكابل كانت تعرف بكابلستان •

جدد السلطان محمود بناء غزنة فى نحو سنة ٤١٥ (١٠٢٤) حين رجوعه الى بلاده محملا بالنفام من الهند • وبلغت المدينة أوج ازدهارها فى أيامه واستمرت على ذلك نحو نصف قرن • وقد لقب السلطان علاء الدين التورى هذه المدينة بجهان سوز ، (أى مفسدة العالم) انتقاما لموت أخيه على يد بهرام شاه الغزنوى ، واستولى على غزنة عنوة سنة ٥٤٤ (١١٤٩) ثم أمر بنهب المدينة وحرقها ، فلم يبق لها قائمة بعد هذه الكارثة • ولكن الظاهر ان قبر محمود العظيم فى الجامع قد نجا من هذا الدمار أو قد جدد بناؤه ، فقد رآه ابن بطوطة حين كان فى هذا الموضع فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • وقال ان غزنة فى أيامه معظمها خراب ولم يبق منها الا سير • وكانت قبل ذلك مدينة كبيرة • وتكلم عليها معاصره المستوفى فقال انها بلدة صغيرة ، البرد فيها شديد جدا لعظم ارتفاع موضعها • ولم يزودنا بوصف ذى وزن لها ^(١٧) .

(١٦) الاصطخرى ١٧٩ و ٢٤٤ : ابن حوقل ٣٠٦ ، المقدسى ٢٩٧ -

(١٧) الاصطخرى ٢٨٠ : ابن حوقل ٢٢٨ ، المقدسى ٢٩٦ و ٢٩٧ : ابن بطوطة ٣ : ٨٨ : المستوفى

وكان البدانيون العرب ، على ما قد رأينا ، يسمون الأقليم الجبل في أعلى نهر هيلمند ونهر قندهار ، بـ **زابلستان** . وهو اسم مهم الاستعمال ، ولكنه في الغالب يعني البلاد التي حول غزنة . ومن جهة ثانية ، كانت **كابلستان** إقليم كابل ، وهي أبعد شمالا من غزنة ، على حدود الباميان . وهذا هو التقسيم الموجود في أخبار فرجيات تيمور . وقد وصف اليقوي في الملة الثالثة (التاسعة) مدينة كابل بقوله : « التجار يدخلون إليها ويحملون منها الإهليلج الكابلي الكبار » (١٨) . وقال أيضا : « مدينة كابل المنطى ، يقال لها جُروس » . أما الاصطخرى في الملة التالية ، فقد قال ان اسمها طابان . ولكن الظاهر ان اسمها الشائع كان كابل ، وأكثر ما كان يطلق ، على ناحيتها .

وكان في كابل قهندز - أي قلعة - مشهور . وعلى المدينة سور منيع ، ولا يؤدي إليها الا طريق واحد ، وكانت فرصة لتجارة الهند . « يباع بها من النيل في كل حول ، ما يعمل بقصبتها على ما ذكره - تحارهم بألفي ألف دينار (١٩) » . وزائد . « وفيها تجارات الهند والصين الثمينة . وللسلبيين في كابل رضى ، ومثله لليهود والوثنيين . وفيها أسواق عامرة كثيرة السلع . وذكر المقدسي أيضا ان في قلعتها شرا عجيبة وان كابل في نظر - بلد الهبلج الرفيع . « وعد - كابلستان في آخر إقليم سجستان » وقال القزويني في الملة السابعة (الثالثة عشرة) : « يجلب منها

١٨٤ .

ولم تأت النسخ في كتابه « سيرة محمود صاحب غزنة » يوسف مصحوب من عاصمة هذا السلطان ، وانظر مادة (غزنة) التي كتبها سر هـ . يول (H. Yule) في دائرة المعارف البريطانية (الطبعة التاسعة) المجلد المادى . ص ٦٠ وفيها تخطيط للمدينة .

(١٨) الإهليلج أطلق في القرون الوسطى ، على لمر جاف وسحب نابض الخاصية . يجلب من الهند . اشتهر كثيرا في طبخ المقابر في تلك الأيام . وهذا الاسم يوناني الاصل . وسموه الهندي المستعمل في تركيب التوابل مضطرب الانواع . واجودها يقال له الكابلي أى المنتج في كابل . وسمى العرب هذا النفاذ (على ما انتهى اليها) إهليلج أو هليلج - ولان الطيار في كتابه « الجامع لمفردات الادوية والاعذية » (وقد نقله الدكتور جى . سونثيمر Dr. J. Sontheimer راجع ١ : ١٦٢ ، ٢ : ٥٧٢) نيلتان فيه . انظر أيضا دورى في كلمة المصنفات العربية (مادة : إهليلج) و Glossary of Anglo-Indian Terms تأليف يول وبرنل Yule and Burnell في مادة : Myrobalan .

(١٩) هذا ما ذكره الاصطخرى ، أما المؤلف فقد جعل المبلغ ألف ألف دينار ، أى ما يساوى نصف جون ياردون استرلينى (م) .

(أى من كابل) النوق البخاتى ، وهى أحسن أنواع الابل ، فى أنحاء آسية الوسطى . وذكر ابن بطوطة مدينة كابل وقد زارها فى الملة الثالثة ، فقال : « كانت فيما سلف مدينة عظيمة ، وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الاعاجم يقال لهم الافغان » .

ونهر كابل ، رافد من روافد نهر الاندس (نهر مهران) ، ويكون من التقاء جدولين ينحدران من جبال هندوكش وهى الجبال التى فى شمال كابل^(٢٠) . وعند منبعه الشرقى جبل الفضة ، وقد سماه العرب بنجهير (من بنج - هير أى خمسة جبال ، فى لغة تلك البلاد) . ومنه كان يستخرج مقدار كبير من هذا المعدن الثمين . وصارت بنجهير دارا للضرب^(٢١) فى أيام بنى الصفار فى الملة الثالثة (التاسعة) . وكان على دراهمها اسم الخليفة العباسى ولا شك . وصف ابن حوقل مدينة بنجهير بقوله « مدينة على جبل ، وتشتمل على نحو عشرة آلاف رجل ، ويغلب على أهلها الفث والغب والفساد » . وجارباية ، تجاورها على نهر بنجهير أيضا ، أى نهر كابل ، وكان هذا النهر حين ذاك ينحدر منها الى سهول الهند مارا بقرّوان وهى مدينة كبيرة لها جامع . وذكر المقدسى أيضا مدينة شيان ، وقال انها من رستاق اسكيشت « وبها عين عجيبة ، وعلى حافتها مسجد قتيبة بن مسلم » . وهو القائد المشهور فى الفتح الاسلامية الأولى . وأسهب ياقوت فى حديثه عن جبل الفضة وعن المعدنين من أهله ، وفيهم شرّ ، قال : ان الجبل كان كالغربال من كثرة الحفر . وكان الرجال يتبعون عروق الفضة فى أعماق الارض ، مستعينين بالمصابيح ، وهم يتسابقون ويتنافسون فى البلوغ اليها . « والرجل منهم يصبح غنيا ويسعى فقيرا ، أو يصبح فقيرا ويسعى غنيا » .

(٢٠) هندوكش معناها بالفارسية (الجبل) « قاتل الهند » . وابن بطوطة (٢ : ٨٤) أول من ذكر هذا الاسم ، فلم ينوّه به قبله travellers العرب . وقال ابن سنى بذلك « ان المعبد والجزاى يؤمى بهم من بلاد الهند (الى فارس) بسوت هناك الكثير منهم » .
(٢١) بنجهير ، فى افغانستان اليوم . وكانت من دور الضرب أيام بنى الصفار والسامانيين والدارانيين . وجاء اسمها فى بعض النسخ بصورته « بنجر » . راجع :
O. Goddington, A Manual of Musliman Numismatics, (London, 1904, p. 145).
(م)

ويتفق أن ينفق الرجل منهم على الحفر ثلاثمائة ألف درهم (١٢ ألف ياون) (٢٧٢).
وقد خرب جنكيزخان هذا الموضع . وحين زارها ابن بطوطة في المئة الثامنة
(الرابعة عشرة) وتكلم على نهر ينحدر العظيم الأزرق ، لم يشاهد هناك من
مناجم الفضة الا بقايا الحفر القديمة .

أما تجارات سجستان ، قليلة . وما ذكره المقدسي منها : « التمور والزنايل
والحبال من اللبف والحصر » (٢٧٣) .

اما المسالك في سجستان ، فكلها تجتمع في زرنج ، فاليها ينتهي طريق المقازة
من نرمانس مارا بسنجج وقد جاء وصفه في الفصل السابق . ومن زرنج يتجه
طريق نحو الشمال فأصدا هراة مارا بكر كويه ومنها يمر جسرا على نهر هيلند
الى جيون وهي على نهر فره . ومن جيون يصل طريق الى فره يصعد مع النهر
ويسير النهر على قنطرة فره (وقد ذكرها في الصفحة ٣٧٩) . وما ورامها
مدينة فره نفسها . وعلى ثلاث مراحل شمال فره مدينة أسفرا (أو سبزوآر
هراة) أولى مدن خراسان . ولم تنته إلينا يا للأسف مسافات هذا الطريق
بالفراسخ ، بل وصلنا ما فيه من مراحل الأيام . وأوتق مراجعتنا فيها : الاصطخرى

(٢٧٤) وطراة وصف يابوت للطريقة التي كان أهل تنجهر يقيمونها في استخراج الفضة ، مثل
وصفه بحروله (معجم البلدان ١ : ٧٤٢ - ٧٤٤) لا فيه من مائدة عمالية . قال : « ينحدر ٠٠٠
فيها جبل الفضة . وأهلها أغلال ، وريهم عسبية وخر وقل ٠٠٠ والفضة في أهل جبل مشرف
على البلدة والسوق . والجبل كالفرمان من كثرة الحفر . وأنا يتيمون حرولهما يجدولها تلهم على
أهلها تضي الى الجوه . وهم اذا وجدوا مرعا حفروا أبدا الى أن يصيروا الى الفضة ، فينطق ان
للرجل منهم في الحفر ثلاثمائة ألف درهم أو زائدا أو ناقصا ، مرعا صاف ما يستغنى به هو
وعليه ، وربما حصل له مقدار مئتيه . وربما اكملوا وانفقوا لقلية الماء ومير ذلك ، وربما يتبع وجبل
فرقا ورنج آخر شعبة أخرى منه بعينه ، فيأخذون جميعا في الحفر . والمادة عندهم ، ان من سبق
فاعترض على صاحبه فقد استحق ذلك المرق وما يلقى اليه . لهم يعملون عنده هذه المسابقة عملا
لا تمتهل الصياطين . فلا سبق أحد الرعيين . ذهبت لعة الآخر هدر . وإن استقويا اشتراكا .
وهم يحفرون أبدا ما سميت السروج وانفذت المسابيح . مالا سادوا الى البعد الى موضع لا يهين
السراج لم يقتضوا . ومن تقدم مات في أسرع وقت ٠٠٠ » .

وعلا يشبه ما يتبعه المحدثون اليوم في الخانيم البعيدة الغور ، باتخاذ مصابيح خاصة يقال
لها مصابيح الأمان - (م) -

(٢٧٥) اليمطوي ٢٩٠ و ٢٩١ : الاصطخرى ٢٧٨ و ٢٨٠ : ابن حوقل ٢٢٧ و ٢٢٨ : المقدسي
٢٩٧ و ٣٠٢ و ٣٠٤ : ياقوت ١ : ٧٤٣ : ٢ : ٩٠٤ و ٩٠٥ : ٣ : ٤٥٤ : القزويني ٢ : ١٦٧
على البرقي ١ : ٥٥٨ : ابن بطوطة ٣ : ٨٥ و ٨٩ : المستوفي ١٨٨ .

وابن حوقل^(٢٤) . والى ذلك ، فيك في تهجئة أسماء كثير من المحطات .
ومن زرنج تنج الطريق شرقا الى حرورى على نهر خواش ، ومنها يقطع
المفازة بخط مستقيم فيبلغ مدينة بست في خمس مراحل . وعند بست تنقسم
الطرق : طريق يذهب الى بلاد زمين داور في أعالي هيلند ، وطريق الى پنجواي
رخج في انحاء قندهار . وعند پنجواي تنقسم الطرق ثانية : طريق يأخذ الى
الشمال الشرقي الى غزنة ، وطريق ثان الى سيبي مارا بلدة يقال لها أسفنجاي .
ومما يلاحظ ، ان المسافات في هذه الطرق قد جاءت أيضا بالمراحل فقط . وان
كثيرا من أسماء المراحل يشك جدا في قراءته^(٢٥) .

(٢٤) ابن رسته ١٧٤ : الاسطخرى ٢٤٨ و ٢٤٩ ؛ ابن حوقل ٣٠٤ و ٣٠٥ ؛ المفسر

٣٥٠ .

(٢٥) الاسطخرى ٢٤٩ - ٢٥٢ ؛ ابن حوقل ٣٠٥ - ٣٠٧ ؛ المفسر ٢٤٩ و ٣٥٠ .

الفصل الخامس والمثرون

قوهستان

اقليم قوهستان ، هو تونوكاين (Tunocain) لدى ماركو بولو - قاين ونون - ترشيز ورستاق
بشت : سروة زرادشت العظيمة - زاوة - يوزجان واعليم لم - رستاق باغزو
ومالن - خواف - زيركوه - دشتا پياض - كئاباد وبهستان -
طيس التمر - خوست او خوسف برجند وموناباد -
طيس مسيستان ، ودره *

عدّ البلدانون العرب اقليم قوهستان ، من أعمال خراسان كسجستان •
وقوهستان مناء بلاد الجبل • وانما سمي هذا الاقليم بذلك ، لطبيعة ارضه •
فالجبال فيه تناظر السهول في اقليم سجستان ، الذي في شرق قوهستان على
دلتا هيلمند • وأشار ابن حوقل الى ان أكثر مدن قوهستان صرودية وان النخيل
لا ينمو الا في طيس گيلكي عند حافة المفازة الكبرى • وكان « يسكنها في المئة
الرابعة (العاشرة) الاكراد وأصحاب السوائم من الابل والغنم » • ولا ريب
في ان هذا الاقليم يطابق « مملكة تونوكاين » التي ذكرها ماركو بولو • وقد
ركب اسمها من اسمي مدينتيها الكبيرتين : « تون » و « قاين » ، ويريد به
البلاد كلها^(١) •

(١) الاصطغري ٢٧٢ و ٢٧٤ : ابن حوقل ٣٢٤ و ٣٢٥ : الهدس ٣٠١ : مارتوبولو (طبعة بول)

• ٨٧ و ١٣١ •

كتب العرب الاسم قوهستان (بالالف) وهو كرهستان بالفارسية • ومعنى « كره » فيها الجبل •

وأجل مدن قوهستان : قاین . قال فيها ابن حوقل : د لها قهندز ، وعليه خندق ، ومسجد جامع ودار الامارة في القهندز . وماؤهم من القنى ، وبساتينهم قليلة ، وقراها متفرقة ، وهي ناحية من الصرود . ولتأين ثلاثة أبواب ، وهي فرضة خراسان . وذكر ابن حوقل : في حد قاین منها ، على مسيرة يومين مما على نيسابور ، الطين النجاشي الذي يحمل الى الأفاق للأكل ، وزار ناصر خسرو مدينة قاین سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) ووصف المدينة الداخلة وقال هي قلعة حصينة ، وبها مسجد جامع به مقصورة عليها عقد عظيم لم أر أكبر منه في خراسان . وعلى جميع بيوت المدينة قباب . وأهم ما توه به المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) موقع قاین المركزي بين المدن . فهي حسب قوله على عشرين فرسخا من كل مدينة جيلة من مدن قوهستان . وكانت مدينة حسنة ، وشرب أهلها في البيوت من قنى ، ولها سراييب تتخذ في أيام القسط . وتكثر أنهارها في الضج وتجنى محاصيلها قبل غيرها . وتكثر فيها القمح والفواكه والاسيا الزعفران . وتوجد المواشى في مراعيها لكثرة عشبها . وزاد المستوفى على ذلك ان أهلها شديدا السمرة .

أما مدينة تون ، فهي على تيف وخمسين ميلا من غربى قاین الى شمالها قليلا . قال المقدسى فيها ، انها عامرة آهلة ، أصغر من قاین ، عليها حصن ولها جامع حسن ، وأكثر أهلها حاككة . وأطرى ناصر خسرو سجادها ، وكان بها اربعمئة نول لعمل السجاد حينذاك ولما رآها كان الحراب غالبا عليها ، أما حصنها فكان ما زال باقيا . وفي أرباضها الشرقية بساتين كثيرة حسنة ، وفسرة الفستق . وقال المستوفى ، ان تون أول ما بنيت ، بنيت على غرار مدينة صينة ، ولكنه لم يوضح أمر ذلك . وتكلم على فلسها العظيمة وخندقها النجاف العميق . وكان يخف بالقلعة شوارع وأسواق المدينة المخارحة . ورسايقها وافرة والخيرات لأن أهلها ، على ما ذكر ، يحذقون بناء السدود (البند) فيجمعون عندها مياه الأمطار ويحبسونها ، وكانوا يتنجون من أراضبهم البطيخ وهو مشهور بحلاوة

طعمه • ويكثر عندهم القمح والفواكه • وتتلّ كثيرا من الحرير لأنّ هواء تون
معتدل ، وقتيها عديدة^(٢) •

وفي شمال غربي قوهستان ، رستاق بشت أو بوشت ، أو بشت العرب •
وأجل مدنه : ترشيز وكُندُر^(٣) • وقد ذكر البلدانون العرب اسمها القديم بصورة
طريث و طريث ثم كتبت ترشيش وترشيس • وعرفت أحيانا بحومة نساپور •
وقال ابن حوقلان ترشيز كثيرة الأهل والجبر • وكان في رستاق بشت سبع مدن أخرى
فيها مساجد جامعة ، ووصف المقدسي جامع ترشيز بقوله : بها جامع ليس
بعد جامع دمشق أغنى منه ، وعند باب حوض للماء مدوّرة وبها أسواق
عامرة فكانت خزانة خراسان ، ومنها تحمل التجارات إلى فارس
واصفهان ومنها إليها . وكانت مدينة كندر القريبة منها ، في نحو ترشيز
خيرات وغنى ، وفي رستاقها ٢٢٦ قرية كبيرة .

وذكر ابن الأثير انه في سنة ٥٢٠ (١١٢٦) ، حاصر وزير السلطان سنجر
السلجوقي مدينة ترشيز ونهبها ، وهي التي أصبحت بعدئذ من مدن الاسماعيلية
أي الحشيشية • فان « شيخ الجبل » اسولى على أكثر الاماكن الحصينة في
جوارها وبني كثيرا من القلاع لارهاب هذه الانحاء من قوهستان • وقد جعل
ياقوت قدوم الاسماعيلية الى هذه المواضع في سنة ٥٣٠ (١١٣٦) وروى ان
رئيس هذه الناحية ، استمد الاثراك لنصرته ، لردّ الملاحدة ، وهم الاسماعيلية ،
فرأى ثقل وطأة الاثراك وفلة غنائهم ، ولم تكن همتهم صادقة في دفع العدو ، وانما
كان قصدهم تحصيل ما يحصلونه مما ألحق الدمار بترشيز • وفي منتصف المئة
السابعة (الثالثة عشرة) ، تمكن هولاءكو خال المفولى من القضاء على قوة الاسماعيلية

(٢) ابن حوقل ٣٢٤ و ٣٢٥ : للمدني ٣٢١ : ناصر خسرو ٩٥ : المستوفي ١٨٤ • وفي جامع
ماين • كتابه ليهما سنة ٧٩٦ (١٣٩٤) • راجع سر كولد سمند في Eastern Persia ١ : ٣٤١ •
(٣) ما زال في يومنا ناحية باسم ترشيز ، ولكن لا مدينة لها بهذا الاسم • ومدينة كندر
الصغيرة مؤشرة في الخارطة واستنادا الى الامصغري فان مدنه ترشيز ، هل مرحلة من عرب كندر •
وعليه ان موسع ترشيز بمكانه خراسان ليروز اباد قرب قرية عبد الاباد الحالية • وعلى كل حال ،
لمدينة ترشيز التي كانت في القرون الوسطى لا تطابق سلطاناباد المعاصرة الحديثة لاحدة ترشيز •
لان هذه المدينة في شرق كندر •

وامتولت جيوشه فيما يقال على سبعين قلعة من قلاعهم في اقليم قوهستان * ثم سرعان ما استعادت ترشيز مكانتها حتى ان المستوفى بعد ذلك بقرن ، قال انها من أجل مدن قوهستان وان كان بعضها ما زال خرابا * وذكر القلاع الاربع المشهورة القريبة منها وهي قلعة بردارود ، وقلعة مبال (أو هيكال) ، ومجاهد اباد ، وآتشگاه (بيت النار) - وقد كانت كلها ولا ريب من قلاع الاسماعيليه * ونوتة بوفرة قمح ترشيز ، وقال انه كان يحمل الى الانحاء الشمالية حول نيسابور * وفي ختام الملة الثامنة (الراية عشرة) ، كانت ترشيز من القلاع النيسة التي لا تقتحم لملو أسوارها ، ولكنها ما عثمت ان انهارت أمام تيمور ولم يبق من ترشيز قائما بعد نهها غير أنقاض * وكان ذلك في سنة ٧٨٣ (١٣٨١) * ومنذ ذلك الحين ، اختفى اسم ترشيز من الخارطة^(٤) .

وذكر المستوفى ، انه ما زالت في قرية كشمير قرب ترشيز ، شجرة السرو المشهورة التي غرسها زرادشت تخليدا لاعتناق الملك كشتاسب المجوسية * وقد نمت هذه الشجرة نموا عظيما ، حتى أصبحت شجرة لم ير مثلا في عظيمها * وهي ، على ما جاء في الشاهنامه ، قد نشأت من غصن أتى به زرادشت من الجنة * وقد كان لهذه السروة من المقدرة شيء عظيم حتى انها حالت دون وصول ضرر الزلازل الى كشمير * وذكر القزويني ان الخليفة المتوكل ، أمر بقطع هذه السروة العظيمة في سنة ٢٤٧ (٨٦١) وحملها قطعاً على الجمال عبر فارس لاستعمالها في بناء قصره الجديد في سامراء ، فقطعت ولم تنفع شفاعاة الشافعين وتضرعهم * ولما وصلت السروة الى ضفاف دجلة كان المتوكل قد لقي حتفه غيلة على يد ابنه^(٥) .

(٤) ابن حوقل ٢٩٥ و ٢٩٦ ؛ المقدسي ٣١٧ و ٣١٨ ؛ باثورت ١ : ٦٢٨ ؛ ٣ : ٢٤٠ ، ٤ : ٣٠٩ ؛ المستوفى ١٨٣ ؛ علي اليزدي ١ : ٣٤٤ ؛ ابن الاثير ١٠ : ٤٤٥ .
 ويبدل شيخ الجبل في زماننا (على ما أقرته المحاكم الانكليزية) ، اما سان ، رئيس طائفة الخوجية في يرمسى ، ربما يدعو الى الصحب ان يجد جماعة من الاسمايعيلية ما زالوا يابون في موهسان ، وهم يؤدون الانتشار الى المغانج ، على نحو ما كان يفعل اسلافهم لتسيخ الوت * وقد رأى ميجر سايكس (Persia من ٤٠٩) في قرية سهده (بكسر أمله ورائله) في جنوب ماين ، نحو الب عائلة من هؤلاء الاسمايعيلية يبسترون في كل سنة مبعدا كبيرا من المال الى رئيس طائفهم الديسي في الهند *
 ماركو بولو (طبعة يول ١ : ١٤٥) .
 (٥) المستوفى ١٨٣ ؛ الشاهنامه (طبعة لرتنمکان ٤ : ١٠٦٧ ؛ الاسطر الثانية من الاسفل) ؛

والى شرق رستاق ترشيز ، رستاق زاوة . وكان رستاق زاوة ، أو بعضه ، يعرف أيضا باسم رُخ وقصبتها بيشك أو مدينة زاوة . وكان اسم رخ حين كتب ياقوت ، يلفظ رخ عادة . وفى المثة السابعة (الثالثة عشرة) اشتهرت زاوة : بكونها مقام الولي المعروف بجيدر كان يلبس اللباد وفى الصنف يدخل النار وفى الشتاء يدخل فى وسط الثلج ، واليه تنسب طائفة الحيدرية من الفقراء (الدراويش) . وكان هذا الشيخ باقيا الى مجيء التتر سنة ٦٩٧ (١٣٢٠) . ثم عرف باسم الشيخ قطب الدين . ولما زار ابن بطوطة زاوة فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وصف مريدى الشيخ فقال : يجمعون حلق الحديد فى أيديهم وأعناقهم وأذانهم ، ويجعلونها فى أعضاء أخرى من أجسامهم فكان ذلك اظهارا لقواهم وزهدهم . ووصف المستوفى زاوة بانها مدينة حسنة تقوم فى ناحية كثيرة الخيرات ومن أعمالها خمسون قرية ، ولها قلعة حصينة من اللبن ، وسقها وافر يكثر فيها القمح والقطن والأغاب والفواكه وكذلك الحرير . وتكلم أيضا على تربة الشيخ الذى كان مكرما فى زمنه . وزاوة اليوم ، هو الاسم الشائع للناحية ، أما المدينة فتعرف عادة بتربة الحيدرى . وما زالت هذه التربة تزار^(١) .

والى شرق رستاق زاوة ، فى شمال شرقى قوهستان ، قرب نهر هراة : ناحية زام ، أو جام وكانت قصتها فى المثة الرابعة (الماشرة) بوزجان . وكانت مدينة كبيرة ، من أعمالها : مئة وثمانون قرية . وكان الفرس يلفظون بوزجان بصورة بوزكان ، وفى الازمنة الحديثة كسوه بوجكان . ووصفها المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وقد سماها جام ، فقال تقوم فى ناحية عظيمة الخيرات ووفرة المياه والحرير بها كثير. لكثرة شجر التوت . واشتهرت المدينة بكثرة مزارعها ،

الفرزى ٢ : ٢٩٩ وفيه جاء الاسم بصيغة كشم وهو من خطأ الطبع . وما ذكره الفرزى (المثة الثالثة عشرة للسلاط) بصيغتها لا يتفق ما توافقه الروايات . ولم يرد فى الطريق ولا فى غيره من التراجم العربية المدينة ذكر لسورة كشمس على ما يظهر . وأطال كتاب ديبستان ، وهو من مؤلفات المثة السادسة عشرة للسلاط (وقد ترجمه شيئا Shea وتروى Troyer ١ : ٣٠٦ - ٣٠٩) ، فى مكانة قصبة السورة . ويتبين ان يكون عر سورة زرامشت نحو ١٤٥٠ سنة . ولعلها هى التى أرادها ماركو بولو فى عبارته Arbre sol (رحلة ماركو بولو . طبعة يول : ١٣٦) . (١) المفسر ٣١٦ : ياقوت ٢ : ٧٧٠ و ١١٠ : الفرزى ٢ : ٢٨٦ : ابن بطوطة ٢ : ٧٩ : المستوفى ١٨٨ : سر كوله سمى فى Eastern Persia ١ : ٣٥٣ .

فقد دفن فيها كثير من الرجال الصالحين • وذكر ابن بطوطة أشهرهم وهو الولي الزاهد شهاب الدين أحمد الجامي ، وأولاده وأحفاده • ولهم بها نعمة وثروة • • وكان هذا الولي مشهورا حتى إن تيمور ، في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) زار قبره بنفسه • وتعرف المدينة اليوم ، وما زالت موضعا زاهرا ، بشيخ جام ، وهي اليوم عامرة (٧) •

أما ناحية باخرز ، أو گواخرز ، ففي جنوب جام الى غرب نهر هراة ، وعندها يتجه مجرى نحو الشمال • وكانت قسبة باخرز مدينة مالين • ويظهر من المسافات الواردة في كتب المسالك ان موضعها يطابق مدينة شهرناو (المدينة الحديثة) الحالية • وكانت في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة عامرة • ويرتفع منها الجبوب والزبيب وثياب كثيرة • • وفسر ياقوت اسم باخرز فقال • اصلها باد هرزه لانها مهب الرياح ، وهي باللغة البهلوية ، تشتمل على مئة وثمان وستين قرية • منها جوتقان • أما المستوفي فقد ذكر اسم قسبتها بصورة مالان • وأفاض في ذكر خيراتها ولاسيما بطبخها الطويل وقد كان مشهورا في انحاء خراسان (٨) •

والى جنوب غربى باخرز ، ناحية خَوَاف (وهي خواب قديما) وتكتنف قسبتها السماء باسمها • واشتهرت خواف في المئة الرابعة (العاشرة) بكثرة ما فيها من الزبيب والرمال • وكانت سَلَوْمَك ، ثم كتبت سلام ، أكبر مدن هذه الناحية في الازمنة الاولى ، ومن مدنها المهمة أيضا سنجان (أو سسكان) وخرجرد • وقد ذكر ابن حوقل هذه المدينة بصورة خرگرد ، وكذلك مدينة فرگرد (وقد كتبها ياقوت فرحرد أو فلجرد) على مرحلة من شرقها • أما كُوسُوي أو كوسويه ، فكانت أقرب الى نهر هراة شمال فرگرد • وكانت كوسويه أكبر هذه المدن الثلاث ، وتحولت مدينة بوشنج المجاورة لها في خراسان ، وسُمِّي على

(٧) ابن خردادبه ٤٤ : ١٧١ : ابن رسته ١٧١ : اليعقوبي ٢٧٨ : ابن حوقل ٣١٣ : المقدسي ٣١٦ و ٣٢١ : ياقوت ١ : ٧٥٦ : ٢ : ٩٠٩ : ٣ : ٨٩٠ : للمسعودي ١٨٨ و ١٩٧ : ابن بطوطة ٣ : ٧٥٠ : عل اليزدي ٢ : ٢١١ و ٢٢٩ : رانظر . س . اى . بات . فى . خراسان وسيستان . ص ٣٧ -

(٨) المقدسي ٣١٦ : ياقوت ١ : ٤٥٨ : ٢ : ١٤٥ : ٤ : ٣٩٨ : المستوفي ١٨٧ •

وصفها • وبعد كثير من المراجع هذه المدن الثلاث من أعمال إقليم خراسان • وبناء أهل كوسوى من طين • ومع صفر المدينتين الآخرين ، فإن فيهما بساتين حسنة ومياه كثيرة • وذكر ياقوت أيضا مدينتي سِرْآوَنَد ولاز ، وقال انهما في زمنه من المدن المهمة في ناحية خواف ، ولا يعرف موضعهما • وأطرى المستوفى الاعتاب والطبخ والرمان واللين في خواف ، وقال ان الحرير يكثر في ناحيتها • وذكر أن سلام وسنجان وزُوزَن (أو زُوزَن) أهم مدنها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • وكانت زوزن لما كتب المقدسى ، « عامرة كثيرة الحاكة وصناع البلود » • وكانت نقطة مهمة في نظام الطرق ، فهي تتصل بقاءين وسلام (سلومك) وفرجرد • وسمى ياقوت زوزن « البصرة الصغرى » لكثرة تجارتها ، وأشار الى ان فيها ببت تار للمجوس ، ومن أعمالها مئة وأربع وعشرون قرية^(١) •

وذكر المستوفى ، وقد كتب في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، جملة مواضع في أواسط قوهستان ما زالت ترى في الخارطة الا ان البلدانين العرب الاولين لم يذكرهما • فقد أشار الى ناحية زيركوه (أى أسفل الجبل) وقال انها كثيرة الخيرات يكثر فيها القمح والقطن والحرير ويحمل الى سائر البلاد • وما زالت البلاد الجبلية جنوب زوزن وشرق قايَن تعرف بهذا الاسم • وذكر المستوفى المدن الثلاث المهمة فيها ، وهي : شارخس ، وإِسْفَنْد ، وإِسْتَنْد ومازالت الى يومنا • وفي شمال غربى قايَن ، ناحية كتب اسمها بصورة دشت يياض ومعناه السهل الأبيض ، وينطق بها الفرس اليوم دشت يياز ، وكانت قصبته مدينة فارس ، وقد أطرى المستوفى جوزها ولوزها وقال انها كانت بِبِئَالَق ، أى مصايف لأهل تون وجناباد •

وتعرف المدينة الاخيرة اليوم باسم گناباد ، وهي مدينة كبيرة في شمال شرقي تون ، سماها ابن حوقل يَنَابَد ، والمقدسى جَنَابود ، وفيها غير ذلك من

(١) الاضطرى ٢٦٧ ، ابن حوقل ٢١٤ و ٢١٦ : ابن رسته ١٧١ : البقوبى ٢٧٨ : المقدسى ٢٩٨ و ٣٠٨ و ٣١٦ : ياقوت ٢ : ٤٨٦ و ٤٨٨ : ٣ : ١١٠ : ٤ : ٢٤١ المستوفى ١٨٨ • وانظر سى • اى • بات G. B. Yale : خراسان وسيستان (ص ١٢٨ و ١٢٩) للاطلاع على حال هذه المراجع اليوم •

القرامات • كان بناؤها في المئة الرابعة (العاشرة) من طين ، ومن أعمالها سبعون قرية ، وماؤها من القنى • وقال ياقوت انها تسمى گنايد عوضا عن جنايد • وقال المستوفى : لها قلعتان كل قلعة على جبل في طرف من المدينة ، يقال لاحدهما قلعة خواشر وللأخرى قلعة درخان ، وكان يرى منهما القرى المجاورة وما وراهما من المفازة • ونوه بان الرمل لم يفر بستين گنايد على نحو ما حدث في بعض انحاء قوهستان • وماؤها من قنى ، طول تلك القنى في الغالب أربعة فراسخ ، ماؤها من عيون في سفح الجبل وذكران مباهها عند رأس العين مجتمع في آبار يبلغ عمقها أحيانا سبعة ذراع • وكان يرتفع منها حرير كبير وقمع ويحمل الى المدن الأخرى • وعلى ثلاثين ميلا شمال غربى گنايد ، ومثلها من شمال تون ، المدينة الصغيرة بجستان ، ويبدو ان ياقوت الحموى أول من ذكرها وقال انها قرية في زمنه • وذكر المستوفى انها تشبه تون ، ولم يزد على ذلك (١٠) •

وقد كانت وما زالت في قوهستان ، مدينتان يقال لهما « طبس » ، ولذلك كثيرا ما ذكرهما البلدانون العرب بصيغة المثنى ، فقالوا طبسين • والى ذلك ، فقد كان أحيانا يطلق خطأ الاسم طبسين (المثنى) على هذه المدينة أو تلك ويراد واحدة منهما ، على ان البلدانين العرب ، كان يميزون بين المدينتين ، فسموا الواحدة طبس التمر ، والأخرى طبس المتاب •

وكانت طبس التمر ، على شفير المفازة العظمى ، وينتهى إليها كثير ما كان يجتاز المفازة من طرق • ولذلك سماها البلاذرى باب خراسان • وكانت هذه المدينة في المئة الرابعة (العاشرة) ، على ما ذكر ابن حوقل ، أصغر من قايين ، وعليها حصن ، وتخليلها كثير • وهى ناحية جرومية • لانها على حافة المفازة •

(١٠) دشت بياض ، أو دشت بيار ، اسم مركب من العارسية والعربية ، ومعنى ذلك نادر جدا في تسميات بلاد إيران • فإن كانت الكلمة الاشارة عربية خطأ ، لا يبعد ان الفرس نسوا معناها الاول (أى البياض) وعدوها علما •

ابن حوقل ٣٢٥ : المقدسى ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢٢ : المستوفى ١٨٣ و ١٨٤ : ياقوت ١ : ٤٩٧ :

٢ : ١٢٠ : ٤ : ٢٠٦ •

تعرف مدينة لارس اليوم باسم قلعة كهنه (أى اللغة المتبقية) انظر Bellew في From Indus to Tigris ص ٢٢٩ •

وماؤها من القنى ، كثير . وتكلم المقدسى على جامعتها اللطيف وقال « شربهم من حياض تجرى إليها قنى ظاهرة ، ورأيت بها حمامات طيبة ، ولم أر بقوهستان نهراً جارياً ولا موضعاً ذا مشاجر الا طيس ، فاني سرت نحو مرحلة كلها قرى ونخيل وقنى » .

وقال ناصر خسرو ، وقد مرّ بطيس سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) انها مدينة حسنة عامرة لا سور عليها ، وتحفّ بها البساتين والنخيل . وكان يقبض على زمامها بيد من حديد أبو الحسن گيلكى بن محمد - وهو من گيلان - مما أشاع الامن والسلام فى أنحائها ، فعرفت بطيس گيلكى نسبة الى هذا الامير المشهور ، وكان على ما ذكر ناصر خسرو مرفوعاً بحزمه وعدله . وفى النصف الثانى من الملة الخامسة (الحادية عشرة) ، انتقلت طيس الى ايدى الاسماعيليه . وفى سنة ٤٩٤ (١١٠٢ هـ) حاصرها الجيش الذى بعثه السلطان سنجر السلجوقى لمقاتلة الحشيشية وخرّب بعض أبنيتها . وسمى ياقوت والمستوفى طيس التمر هذه بطيس گيلكى . وذكرها المسنوفى فى موضعين ، وذلك فى كلامه على المفازة السفلى وفى وصفه قوهستان . ويرتفع من طيس ، ما سوى التمر ، اللبمون والدارنج أكثر من سائر مدن خراسان . وماؤها كثير من عين ، وهو يكفى لادارة رحلين . وكان على طيس حصن متين ، وحولها كثير من القرى^(١١) .

وعلى حافة المفازة شمال طيس ، فى نصف طريق ترشيز ، قرية بن . وكانت ، على ما ذكر ابن حوقل ، عامرة وفيها نحو من خمسمئة رجل . والظاهر ان هذا الموضع يطابق أفريدون ، المرحلة التى ذكرها ابن خرداذبه . ويبدو ان ابن حوقل ذكر فى مسالكة قرية أخرى وقال انها بن . أخرى . ويؤخذ مما أورده من مسافات ان هاتين المرحلتين ان لم تكونا موضعاً واحداً ، فهما قريتان متجاورتان باسم واحد . وبين اليوم ، تمتلأ دهنابند (فلا تلبس بالبلدية التى فى المفازة ذات الاسم نفسه ، وقد مرّ وصفها فى الصفحة ٣٩٣) . وكانت قرية مهمة ، لان عندها يدخل قوهستان أحد طرق المفازة الآتية من

(١١) البلاذرى ٤٠٣ : ابن حوقل ٣٢٤ و ٣٢٥ : المقدسى ٣٢١ و ٣٢٢ : ناصر خسرو ٩٤ : ياقوت ٣ : ٥١٣ و ٥١٤ : ٤ : ٣٣٣ : المستوفى ١٨٣ و ١٨٤ : ابن الاثير ١٠ : ٢٢١ .

وعلى نحو من ثلاثة فراسخ جنوب شرقي طبس ، على حافة المغارة ، حيث يدخل المغارة طريق شور الآتي من كوء بنان ، كانت كُري أو كرين . قال البلاذري انها احدى قلعتي طبس . وهذا قد يسوغ تسمية طبس النمر وحدها بطبسين . وقد وصف ابن حوقل كرى بأن عندها تتجمع طرق كثيرة ، وهى قرية فيها نحو ألف رجل ولها رستاق كبير . وذكرها المقدسي باسم كرين وقال انها أصغر من طبس . ومن أعمالها قرية الرقة . - وقد كانت على ١٢ فرسخا من طبس و ٢٠ من تون - . وكانت الرقة حين زارها ناصر خسرو فى سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) قد صارت مدينة حسنة لها مسجد جامع وحولها بساتين ومياهها وافرة . وعلى نحو ثلاث مراحل جنوب شرقي طبس مدينتا خور وخوست ، وكانتا مرحلتين ينهى اليهما الطريقان اللذان يقطعان المغارة من راود وخييص فى كرمان (انظر الصفحة ٣٦٦) . وكانت خور ، على ما ذكر ابن حوقل ، أصغر من طبس ، ولها جامع وماؤها شحيح ولها بساتين قليلة ولم يكن لها حصن على قول المقدسي .

أما خوست ، فهى وان لم يكن فيها مسجد جامع فى المئة الرابعة (العاشرة) ، الا انها كانت موضعا ذا شأن . فهى حصينة ولها قلعة ، وأبنتها من طين ولها بساتين قليلة ، وشربهم من القنى ، وبماثهم ضيق . وقال المقدسي « هى أكبر وأقل أهلا من تون ، قليلة الأشجار » . ورواها ، تقوم جبال قوهستان الجرد . وكتب ياقوت اسمها خطأ بصورة جوسف وهو وهم من الناسخ فى كتابه جوسف ، أو خوسب ، الحديثة لاسمها . وأول من ذكره المستوفى . وياقوت ، وإن اعترف بأنه لم يتحقق ضبط الاسم وقال « ووجدتها فى بعض الكتب هذا ، وبضهم يسميها جوزف ، بالزاد » ، الا انه ذكرها فى مادة أخرى باسمها الصحيح خوست ، حين نقل عن المقدسي . وقد أشرنا الآن ، ان المستوفى أول من ذكر اسمها بتهجته الحديثة ، ووصف جوسف بأنها بلدة صغيرة ولها قرى ، يسميها نهر ، فيكثر فيها

القمح (١٣) .

وعلى نحو من عشرين ميلا شرق خوسف، مدينة برجند، وقد صارت اليوم قصة قوهستان عوضا عن قايين . ولم يذكر برجند قبل ياقوت ، على ما يظهر أحد من البلدانين العرب . قال ياقوت في المثة السابعة (الثالثة عشرة) انها من أحسن قرى الاقليم . وأشار المستوفى إليها في المثة التالية لها ، فقال انها نصبة إقليم جبلية ، تحف بها الرساتيق والقرى السامرة ، وكان يكثر فيها الاعناب والفواكه الاخرى والزعفران . ولا يوجد فيها القمح . وعلى مسيرة يوم شرقي برجند ، الناحية الجبلية التي ما زالت تعرف بموناباد - أى بلد المؤمن - قال فيها المستوفى : عليها حصن منيع وكانت قبالا من قلاع الحشيشية . ولها قرى عامرة كثيرة ، أشار المستوفى بوجه خاص الى شاخن وكانت على نهر يقال له فشارود ، وهي ما زالت قائمة على مسيرة ثلاثة أيام من جنوب شرقي قايين (١٤) .

وعلى نحو خمسين ميلا من شرق برجند ، مدينة طبس الثانية التي عرفها البلدانون العرب بطبس العناب ، وسماها الفرس طبس مسينان . وقد وصف ابن حوقل هذه المدينة في المثة الرابعة (العاشرة) وقال هي « أكبر من ياباذ (كنياباد في شمال غربي قايين) ، ولها حصن خراب ولا تفندز لها ، وأبنيتها من طين » . وذكر المقدسي انها كثيرة العناب . وقال القزويني في المثة السابعة (الثالثة عشرة) : على قمة جبل ، بقرب طبس ، قرية ابراة ، ولها قلعة حصينة ، كثيرة البساتين والأشجار والمياه . وأشار المستوفى الى أن مياه طبس مسينان تكفي المدينة أيام الجذب سبعين يوما . أما رساتيقها فلا يكفيها ماؤها أكثر من سبعة أيام . وروى انه كانت فيها بئر ، في قاعها مادة سامة ، كل من شرب منها صدفة مقداراً ضئيلاً ، حتى وإن كان بقدر حبة الدخن مات لساعته ، ولهذا كان الناس يحكمون سد

(١٣) البلاذري ٤٠٣ ، الاستغرى ٢٢٢ و ٢٧٤ ، ابن حوقل ٢٩١ و ٣٣٥ ؛ المقدسي ٢٢١ و ٢٢٢ ؛
بالت ٢ : ١٥٢ ، ٤ : ٢٣ و ٢٧٠ ؛ المستوفى ١٨٤ ؛ ناصر خسرو ٦٤ -

(١٤) ياقوت ١ ، ٧٨٣ ؛ المستوفى ١٨٤ ؛ ساينكس مي Persia ٣٠٦ و ٣٠٥ .
وكلمه يجب ساينكس ، وقد كتب اسمها بصورة فاشن ، على لغة قديمة بالقرب منها ولعلها كانت
تبل من قلاع الحشيشية التي مر ذكرها .

قوهنما • وكان فيها بشر أخرى تبتلع فى الشتاء كل ما اجتمع فيها من ماء • وفى العيف تسقى رسائيق المدينة كلها دون ان ينضب ماؤها • وفيها بشر ثالثة كل من حديق بباطنها رأى صورة سمكة • وما زالت هذه المدينة الى اليوم تعرف بطيس مسينان • وهى مدينة جبلية يقال لها أيضا سنى خناه (أى بيت أو منزل السنة) لان أكثر أهلها اليوم من الأفنان السنة • وعلى نحو ستين ميلا جنوب طيس العتاب • قرية درء • وفيها قلعة قديمة تقوم على جبل قريب منها • والظاهر ان البدائيين العرب لم يذكروا درء • وأول من نوء بها المستوفى فقد ذكر ان قلعة درء من الامكنة الثنية • فيها عين ماء قد أنبسطت فى داخل القلعة • ويكثر فيها شجر العتاب والقمح • وأقل من ذلك العناب والفواكه الأخرى • أما تجارات قوهستان • قليلة • أوجز المقدسى ذكرها بقوله : « يرفع من قوهستان ثياب تشابه النساورية • بيض • وبسط ومصليات حسنة » (١٥) • أما ما يعرف من المسالك فى قوهستان • فالأفضل ان تتكلم عليها فى فصل آت لاصالها بطرق خراسان • وقد ذكر المقدسى وغيره المسافات بين مدن قوهستان بالمراحل • ولكنه لم يذكر ما بينها من فراسخ • ويظهر ان الطرق المستقيمة فى هذا الاقليم الجبل قليلة •

(١٥) ابن حوقل ٢٢٥ : المقدسى ٣٢١ و ٣٢٤ : ياقوت ٣ : ٥١٣ و ٥١٤ : القزوينى ٢ : ٢٠٢ :
المستوفى ١٨٨ : سايبس فى Persia ٣٩٦ و ٣٩٧ •

الفصل السادس والعشرون

قومس وطبرستان وجرجان

القليم قومس - الدامغان - بسطام - بيار - سمنان وخواار - طريق خراسان المار بقومس -
القليم طبرستان او مازندران - امل - مسارية - جبل دماوند وسماتين لادوسيان
ولارن وروبيج - ليروز كوه وقيوها من القلاع - نال وسالوس وناحية
رويان - حسن الطالق وناحية رستمدار - مغلر وطمبيسة -
كبود جابه وخليج نيم مردان - القليم كركان او جرجان -
نوسر جرجان ونوسر اترك - مدينة جرجان
واستراباد - ميناء اينسكون - ناحية
دهستان وآخر - مسالك
طبرستان وجرجان .

يمتد اقليم قومس الصغير في محاذات جبل البرز الذي سيأتي وصفه أدناه
وتجده من الشمال هذه المرتفعات ، وتؤلف أراضيها رقعة ضيقة بين حافة هذه
الجبال وبين المفازة الكبرى في جنوبه . ويقطع طريق خراسان هذا الاقليم من
أقصاء الى أقصاء ، آتيا من الرى ، في اقليم الجبال ، الى نيسابور في خراسان .
وتقوم أهم مدن اقليم قومس ، على امتداد هذا الطريق . وقد بطل اليوم استعمال
اسم قومس ، وصار معظم الاقليم ضمن حدود خراسان الحديثة . أما طرفه في
أقصى الغرب ، فقد صار ناحية من نواحي الرى أى طهران الحديثة^(١) .

(١) راجع الخارطة ، في الصفحة ٢٢٠ حول هذه الاقاليم . المقدس ٣٥٣ : ياقوت ٤ : ٢٠٢ :
المستدرى ١٩١ .

وكانت قاعدة الاقليم : دامغان ، وكتبها العرب الدامغان . وكثيرا ما أشادوا بها ، على عاداتهم ، باسم قومس (أى مدينة قومس) ، فاقبست العاصمة اسم اقليسا . والدامغان ، على ما ذكر ابن حوقل ، قليلة الماء ، وهى متوسطة العمارة ، ويرتفع منها أكسية معروفة تحمل الى الامصار ، وهى فاشية فى جميع الارض . وقال المقدسى ان الدامغان قد خربت أطرافها فى المئة الرابعة (العاشرة) ولكن كان عليها حصن بثلاثة أبواب : باب الرى وباب خراسان ، ولم يذكر اسم الباب الثالث . وقال لهم سوقان : أعلى وأسفل ، والجامع فى الأزقة بهيـّـ نظيف ولهم حياض مثل مرو . وذكرى جميع المراجع المتأخرة ، كثرة رياحها ، وقال ياقوت وغيره ان الرياح تهب عليها من واد مجاور لها . فكانت أشجار الدامغان لا تنقطع عن الاهتزاز . وفى المدينة ، بناء عظيم من زمن الأكاسرة ، يقسم الماء الجارية الى الدامغان على مئة وعشرين نهرا للسقى^(٢) . وتكثر فى يسائيتها الكثرى الفاخرة . وقال المستوفى ان محيط أسوار دامغان عشرة آلاف خطوة . وقال ياقوت ان على مسيرة يوم من الدامغان (ثلاثة فراسخ ، على ما ذكر المستوفى) ، فى وسط الجبل ، قلعة كرد كوه ، والواقف بالدامغان يراها ، وهى من فلاح الحشيشية المشهورة . وقال المسوفى ان هذه القلعة كان يقال لها دز كـُـشـِـدان (أى القلعة المقببة) ، ويعرف رستاقها الخصب ، بمنصور اباد . وأشار المستوفى أيضا الى معدن الذهب فى جبل كوه زر (جبل الذهب) قرب الدامغان ، ولكنه لم يعين موطن الذهب^(٣) .

والمدينة الثانية فى الكبر بقومس : سِسطام (أو سِسطام) وتلفظ اليوم

وقومس ، الصيغة العربية للاسم . اما الصيغة الفارسية هى قومس . وساء المستوفى فبار قومس .

(٢) هذا ما قاله ياقوت بصدد مقسم الماء فى الدامغان ، نقلا عن الرسالة مسمر بن مهلهل (مسجم البلدان ٢ : ٥٣٩) . وبها (أى بالدامغان) مقسم للماء ، كسروى محبوب ، يخرج ماءه من مغارة فى الجبل ، ثم ينقسم اذا انحدرت عنه على مئة وعشرين نسفاً مئة وعشرين رستاقا ، لا يزيد (بتشديد الياء الثانية) نسفاً على مساحة ، ولا يمكن تأليفه على غير هذه النسبة ، وهو مستطرف جدا ، ما رأيت فى سائر البلدان مثله ولا شامت أحسن منه « ١ - هـ . وانظر ذلك أيضا فى آثار البلاد للزوزنى (ص ٢٤٥) - (م) .

(٣) ابن خردادبه ٢٣ : عمادة ٢٠١ - ان حوقل ٢٧١ : المقدسى ٣٥٥ ، ٣٥٦ : ياقوت ٥٣٩ . العرويس ٢ : ٢٤٥ : المسوفى ١٩١ : ٢٠٤ .

بسطام . قال ابن حوقل ان رستاقها أخصب رستاق الاقليم . وتكثر الفواكه
فى بساتينها . وأشار المقدسى الى جامعها فقال « طريقة » الجامع كأنه حصن ،
فى وسط الأسواق . . ويظهر ان ناصر خسرو ، وقد زارها فى سنة ٤٣٨
(١٠٤٦) ، عدّها قسبة الاقليم ، اذ سماها مدينة قومس . وأشار الى قبر مشهور
فيها للصوفى العظيم الشيخ ابي يزيد المعروف بابي زيد البسطامي وقد توفى ودفن
فيها سنة ٣٩٠^(١) (٨٧٤) . وما زال قبره مكرما فى يومنا . وأطرى ياقوت
تفاح بسطام اطراء عارف به . وقال « وعلى تل بازالها » قصر مفرط السمة ،
عليه سور ، ويقال انه من بناء سابور ذى الاكتاف (سابور الثانى) . . وأشار
ياقوت أيضا الى أسواق المدينة وكثرة نعمها . وذكر ابن بطوطة عنها ، وقد
زارها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، مثل ذلك وأشار الى القبة التى فوق
قبر الشيخ الصوفى^(٢) .

وعلى أربة فراسخ من بسطام ، فى الطريق الذاهب الى استراباد : مدينة
جُرْجَان ، وقد كانت موضعا ذا شأن فى المئين السابعة والثامنة (الثالثة عشرة
والرابعة عشرة) . قال المستوفى انها كالقرية ، هواؤها طيب ، وماؤها كثير ،
وفيها قبر الولي ابي الحسن الخرقاني المشهور . وعلى نحو من خمسين ميلا جنوب
شرقى بسطام ، عند شفير المفازة الكبرى ، المدينة الصغيرة يَسَار ، ويقال لها اليوم
يارْجَمَسْتَنْد . وصفها المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) فقال انها مدينة صغيرة
ليس بها مسجد جامع ، وفيها حصن ، وأسواق عامرة ، ومزارعها خصبة . وتكثر
فى بساتينها الكروم والثمار . . وهى معدن الأبل والأسمان والأغنام . . وفى
حصنها الداخل مسجد ، وعلى المدينة حصن له ثلاثة أبواب حديد ، وفيه باب

(١) فى شدوات الذهب لابن السداد العنبري (٢ : ١٤٣) انه توفى سنة ٣٩٦ هـ (م) .

(٢) ابن حوقل ٢٧١ ؛ المقدسى ٣٥٦ ؛ ناصر خسرو ٣ ؛ ياقوت ١ . ٦٢٣ : ابن بطوطة
٣ : ٨٢ . أما مدينة شاهرود التى على ميلين جنوب بسطام . وهى اليوم مركز النجادة من هذه
البلاد ، فلم يذكرها احد من البلاديين العرب أو الفرس ، وقد اضرت الدولة انه لم يسكن
من معرفة زمن بنائها . راجع : مرآة البلدان ١ : ٢١٠ .

واحد الى الحصن الداخل^(٦) .

وقال المستوفى ان هوامها طيب معتدل ، وفيها قمح جيد . وفي أقل من نصف الطريق بين الدامغان والري ، مدينة سَستان أو سَمَنان ، على طريق خراسان . قال المقدسى بها جامع لطيف فى السوق ، وحياضٌ للناء عظيمة . وقال المستوفى ان فسق سمنان مشهور ، وتكثر فيها صنوف الفواكه . وذكر أيضا أهران . وقال انها مدينة صغيرة بين سمنان والدامغان ، فيها قبور للصالحين ، ويكثر فيها القمح والفواكه^(٧) .

وخوار ، أبعد مدن قومس غربا ، على طريق خراسان ، وأهم مدينة فى شرق الري ، وقد كتبها العرب : الخوار . قال ابن حوقل فى المنة الرابعة (الماشرة) ان مدينة خوار « مدينة لطيفة صغيرة ، نحو ربع ميل ، وهى عامرة ٠٠٠ وفيها ماء جار يخرج من ناحية دَنْبَاو ند (جبل دساوند) » ، وزاد على ذلك قوله « وخوار ، أشد تلك النواحي (أى قومس) بردا ٠٠٠ ولها ضياع ورساتيق ، . وقال القزوينى فى خوار « بها قطن كثير ، يحمل منها الى سائر البلاد . » وذكر المستوفى انها مشهورة بالقمح والشلتوك ، وهو الرز الشلب . وسميت هذه المدينة خوار الري ، تميزا لها عن خوار التى فى فارس (أنظر ص ٣١٥) ، وبهذه التسمية جاءت فى أخبار حروب تيمور . وذكر المستوفى ، ان خوار هذه كان يقال لها أيضا بالفارسية محلة باغ ، أى محلة البستان .

وذكر المقدسى تجارات قومس ، فقال : « لهم الماديل البيض من القطن الملمة ، صفار وكبار ، وسواذج ومحشاة ، ربما يبلغ المتدليل منها ألفى درهم

(٦) أمال المقدسى فى صفة مدينة بخارى ، لان منها أخواله . قال : « رأينا استقصيا ومعلما كالتصبيات ، لان أصل أخوالى منها ، وكل قومى تراء بيت المقدس . فاعلم انه منها . وقد كانوا عرفوا جدنا أبا الطيب الشوا ، وذكروا انه وصل الى الشام مع تساية عفر رجلا » (احسن التقاسيم ص ٣٠٧) - (م) .

(٧) المقدسى ٣٠٦ ر ٣٠٧ : القزوينى ٢ : ٢٤٣ : ياقوت ٢ : ٤٢٤ : المستوفى ١٨٦ و ١٦٢ . خرقان (يهسم أوله وسكون كاليه) من تهجئة القزوينى لهذا الاسم . وهى تشبه خرقان (فتح أوله وتضديد كاليه مع الفتحة) فى إقليم الجبال ، فأحداهما غير الآخر .

« نحو ثمانين باونا » ، ولهم أيضا أكسية (من الصوف) وطياصة (للرأس) ،^(٨) وأقليم قوس ، كان يخترق طوله كله طريق خراسان العظيم ، على ما يتنا . وقد أجمعت على ذلك كتب المسالك من ابن خرداذبه الى المستوفى . فإذا غادر هذا الطريق مدينة الري ، وصل خوار في ثلاث مراحل . يليها بمرحلة ، قصر أو قرية الملح ، ويقال لها بالفارسية ده نمك على ما فى المستوفى ، وهو اسمها اليوم . والمرحلة التالية ، على ما فى كتب المسالك كلها ، كانت رأس الكلب ، ولا يرى هذا الاسم الآن فى الخارطة ، ولكن موضعه حيث قلعة لاسكرد الحبيبة (ولا أثر لهذا الاسم فيما كتبه بلدانيو القرون الوسطى) . وهذه القلعة اليوم تتوج جرفا جبليا يشرف على المفازة . وتليها ، بعد مرحلة طويلة : سنان ، وإلى شرقها ، على مرحلة طويلة أيضا : الدامغان (وهى التى ذكرتها كتب المسالك القديمة باسم قوس) . وعلى مرحلة مساوى الدامغان ، كانت الحدادة وقد جاءت فى المستوفى باسم مهمان دوست (أى الضيف الصديق) . ومنها الى بسطام مسيرة يوم . أما اذا سلك الطريق الأسفل ، فالمرحلة عند محطة البريد التى على فرسخين من المدينة ، وقد كانت وما زالت تعرف بقرية بدش ، ومنها تدخل إقليم خراسان فتسلك طريق البريد الى نيسابور . وجاء فى المقدسى ، ان الطريق من بسطام الى بيار يقطع فى ثلاثة أيام . ومن بيار كان يقطع المفازة مسافة ٢٥ فرسخا ويرجع غربا الى الدامغان^(٩) .

(٨) ابن حوقل ٢٧٠ : المقدسى ٣٦٧ : القزوينى ٢ : ٢٤٣ : المبتدئ ١٦١ و ١٦٦ : على البزدي ٢ : ٣١٢ .

تقدم اليوم فى موضع خوار ، مدينة أردون ، الا ان ناسيتها ما زالت تحتفظ باسم مدينتها القديمة خوار .

(٩) ابن خرداذبه ٢٢ و ٢٣ : لقاعة ٢٠٠ و ٢٠١ : ابن رسته ١٦٦ و ١٧٠ (وقد أسهب فى مسالك هذا الإقليم) : الاستخرى ٢١٥ و ٢١٦ : ابن حوقل ٢٧١ و ٢٧٥ : المقدسى ٣٧١ و ٣٧٢ : المستوفى ١٦٦ .

وللاطلاع على صورة تمثل لاسكرد الحبيبة ، انظر : H.W. Bellew فى From the Indus to the Tigris ص ٤٠٤ .

أما بلش ، فمن الغريب ان يائوت الصوى ، ذكر الاسم فى مجيئة مرة بتهجته الصحيحة ، ومرة (بصورة مفارقة) باسم « تش » أى بالنون ، يائوت ١ : ٥٣٠ : ٤ : ٧٧٢ .

طبرستان اى مازندران

كانت منطقة الجبال العالية - ويتألف معظمها مما يعرف اليوم بـجبال البرز^(١) الممتدة فى حذاء الساحل الجنوبى لبحر قزوين ، مما فى شرق قومن وشمالها - تعرف لدى البلدانين العرب الاولين بطبرستان . و « طبر » فى لغة تلك البلاد معناها « الجبل » ، « طبرستان » تعنى « بلاد الجبل » .

وفى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ، أى فى نحو من زمن الفتوحات المتوالية ، بطل استعمال اسم طبرستان ، على ما يظهر ، وحلّ محله مازندران . ومنذ ذلك الحين أصبح مازندران الاسم الشائع لهذا الاقليم . وربما شمل اسم مازندران أيضا اقليم جرجان المجاور له . ونوّه باقوت ، وهو أول من ذكر اسم مازندران ، بأنه لا يدري متى أخذ بهذه التسمية . ومع انه لم يشر عليه فى الكتب السالفة ، فانه كان شائع الاستعمال فى جميع أنحاء البلاد . وقد كان الاسمان : طبرستان ومازندران فى تلك الايام مترادفين فى واقع الامر . ولكن بينما كان الاسم الاول يطلق على الجبال العالية بوجه خاص ، ويشمل بصورة ثانوية الرقعة الضيقة من الارض الخفيضة المحاذية للبحر ، الممتدة من دلتا سفيد رود الى جنوب شرقى بحر قزوين ، ظهر اسم مازندران أول مرة دالا فى بادىء امره على هذه الاراضى الخفيضة فقط . ثم شمل المنطقة الجبلية أيضا . ولا يستعمل اليوم اسم طبرستان .

(١٠) البرز (يفتح الهجزة وضم الباء) ، ويلفظ اليوم البرز (بكسر الهجزة وضم الباء) ، هو الاسم السالى لسلسلة الجبال المطيية الفاصلة بين حضية بلاد مازن والاراضى الخفيضة على ساحل بحر قزوين . على ان هذا الاسم لم يرد قط لدى البلدانين العرب الاولين الذين لم يسموا اى اسم لهذه الجبال . اما لفظة البرز معارسة . جاء فى معجم فارس (Vullers) الفارسية اللاتينية انها مشتقة من كلنيتى ولديتيتى ، معناها « الجبل العالى » اما المستوفى ص ٢٠٢ ، ولعله أول من ذكر الاسم ، فقد استعمله ببدلول غير واضح الحدود . قال فى الفصل الذى عقده من جبال بلاد فارس ، ان البرز سلسلة جبلية عالية ، تمتد حتى تتصل بجبال باب الابواب (اى جبال القفاس) ، وانها : « فى الحقيقة ، الجبال المطيية الاطى بعضها برفاق بعض ، التى تؤلف سلسلة منه الى ما يتيف على الف مرسخ من تركستان (فى آسيا الوسطى) الى الحجاز (فى بلاد العرب) ولهذا ، فان كثيرين حسبوا انها جبال الفاف (الاسطورية ، التى تحيط بالارض) وتتصل من الغرب بجبال كرجستان (جورجيا) » . راجع سعده قة البرز فى القفاس ، الصفحة ٢١٦ اعلاه .

وفى صدر أيام الخلافة ، لم يكن لهذا الأقليم من الوجهة السياسية الا بعض الشأن . فقد كان فى الواقع ، آخر جزء من أجزاء الدولة الساسانية قبل بالاسلام دينا . وظل ملوكه من أهل البلاد - ويعرفون باسمهذ أو اسبهذ طبرستان نيقا وقرنا من الزمان بعد فتح العرب بقية بلاد فارس مستقلين فى بلادهم الجبلية ، يضربون نقودهم وعليها الرموز الفهلوية حتى منتصف المئة الثانية (الثامنة) . كما ظل الدين المجوسى يهيم على غابات الجبال المغليمة وغياضها . وكانت غلات هذا الأقليم فى المئة الرابعة (العاشرة) ، على ما ذكر المقدسى : الثوم والرز والقنب وطير الماء والاسماك . فان هذا الأقليم غزير الامطار ، بخلاف بقية بلاد ايران . وبعد ذلك الزمن ، ذكر القزوينى ان أهلها « يمتاون تربية دود القز » فيرتفع منها الأبريسم الكثير ، ويحمل الى سائر البلاد . « وتعمل فيها أكسية الصوف والسجاد والميازير والمناديل الرفيعة والثياب » . وبها الخشب الخلتج ، يتخذ منه الظروف والآلات والاطباق والقصاص . « وأكثر أبنيتها الخشب والقصب » على ما ذكر ابن حوقل . وقال أيضا هوأقليم كثير الامطار ، وربما اتصل المطر فى الصيف والشتاء ، فجمعوا سطوح بيوتهم سنمة بالقرايد ^(١١) .

وكانت قصبة طبرستان فى العصر العباسى الأخير : آمل . وان أقسام الطاهريون ، فى المئة الثالثة (التاسعة) فى مدينة سارية . وكانت آمل ، على ما ذكر ابن حوقل ، أكبر من قزوین وليس فى نواحيها أعمر منها . وقال المقدسى بها بيمارستان وجامعان ، المتبق فى طرف الأسواق ، بين الأشجار . والآخرة بقربه ، قرب سور المدينة . وفى كل جانب رواق عظيم . وتجارات آمل كثيرة ، يكثر فيها الرز ، ولها نهر كبير يشق المدينة ويسقى المزارع . ولم يزد ياقوت ، على وصف المقدسى شيئا . الا ان المستوفى أشار الى حرها ووخامة هوائها ، وقال تكثر فيها التمور والاعناب والجوز والتانرج والأتريج والليمون ، ولطيوها وعطورها شهرة واسعة فى سائر البلاد . وكانت فرصة آمل تقوم حيث يقع نهرها فى بحر قزوین ، وهى بلدة صغيرة يقال لها عين الهُـم ، وقد كتب ياقوت اسمها

(١١) ابن حوقل ٢٧٠ و ٢٧١ : المقدسى ٣٥٤ : القزوينى ٢ : ٢٧٠ : ياقوت ٣ : ٥٠٢ : وانظر لفظة طبر : ص ٢٥٢ أعلاه .

بصورة أعلم وقال انها ليست بالكبيرة . وقد خربَ تيمور مدينة آمل في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وأمر بنقض قلاع ملهاته سر الثلاث ، وكانت هذه القلاع على أربعة فراسخ من المدينة بإزاء ساحل البحر .

وكانت تعباً طبرستان الثانية ، وهى القديمة ، مدينة سارية ، ويقال لها اليوم سارى ، فى شرق آمل . قال المقدسى ان سارية عامرة فيها ثياب فاخرة وأسواق ، وهى حصينة ، حولها خندق ، ولها جامع فيه نارنجة ، وفى قطرة الجسر تينة ظاهرة وجسورها مشهورة . ولم ينته الينا الا شيء قليل عن سارية فى أواخر أيامها ، فقد عانت كثيرا من الأذى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) خلال الفتح المغولي . وكانت حين كتب المستوفى خرابا يبابا . غير ان رسائنها كانت كثيرة الاعتاب والقمع ، وبها الحرير لكثرة ما يربى فيها من دود القز^(١٢) .

ويهمين جبل دماوند العظيم على أنحاء طبرستان كلها ، وترى قممه التى لا يفارقها الثلج من سهول بلاد ايران التى تبعد مئة ميل أو أكثر عن جنوب طهران . بل قال المستوفى انها ترى من مسافة مئة فرسخ ، وأشار الى أن قممه لا تفارقها الثلوج . وجبل دناوند على ما كتب اسمه البلديون القدماء ، تدم الاساطير الفارسية موطنَ يَسْمَرْغ ، الطير الخرافى الذى ربى زال أبا رستم وحاماه . وحكى المستوفى كثيرا من القصص الخيالية عن هذا البطل القومى . وقال ابن حوقل ، ان هذا الجبل العظيم يرى من قرب سطوة ، وهو فى وسط جبال يعلو فوقها كالثقة ، ولم أسمع ان أحدا ارتقاء الى أعلاه . . وزاد على ذلك ، ويرتفع من قلته دخان دائم ، الدهر كله ، . ويتحدث فى خرافات الفرس ، ان السحرة من جميع أقطار الارض ، تأوى إليه وان الضحاك (زهاك) طاغية بلاد ايران القديم (حى فى هذا الجبل) .

وسميت باسم دماوند ، بلدة صغيرة تقوم على قلله الجنوبية ، قال المستوفى انها تعرف ببشيان أيضا ؛ كما سميت به الناحية الخصبة العريضة الشقة الممتدة حول سفوحه . وكان فى هذه الناحية ، فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة ويْسَمَه

(١٢) ابن حوقل ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٤ : المقدسى ٣٠٤ و ٣٠٩ ، ياقوت ١ : ٣٥٤ و ٤٠٩ ؛ المستوفى ١٠٩ : على البيهقى ١ : ٣٦٦ و ٥٧٦ : اير القمماء ٤٢٧ .

وتجاوزها شلنبه . وقد وصفها ابن حوقل ، بقوله : « لهما زروع ومياه وسباين وأغاب كثيرة » . وقال ياقوت ، وقد رأى وبعه (أو وبعه) ، قد استولى عليها الخراب وذكر ان قلعة (فيروزكوه ترى منها) . وقد زار ياقوت هذه القلعة أيضا . وذكر المستوفى ان ماها من ينابيع النهر الذى ينساب الى السهل ويشق خوار الرى فى قومس . وكانت فيروزكوه ، من قلاع مازندران التى ذكرت فى جملة ما حاصره تيمور من قلاع واستولى عليه . وفى سفوح دماوند ، قلعة أخرى ، لا تقل شأنا عن الاولى ، هى قلعة أستوناوند ، أو أستاباد . قال القزوينى « عمرت منذ ثلاثة آلاف سنة ، لم يعرف انها أخذت قهرا » ، الى ان ورد التمر سنة ٩١٣هـ (١٣٦) (١٣٦) فاستولوا عليها عنوة . وذكر ياقوت ان هذه القلعة يقال لها « آهر » أيضا . وتبعد عشرة فراسخ عن الرى . وقال كانت حصنا للأبيسيد ، الملك المجوسى القديم لتلك البلاد ، وقد حاصره يحيى البرمكى حتى غلبه وأخذ بناته الى بغداد ، واسمها البحرية ، تزوجها الخليفة المنصور وصارت أم المهدي أبى هرون الرشيد (١٤) . ثم ان فخر الدولة البرهه قد جدد بناء هذه القلعة سنة ٣٥٠هـ (٩٦١) ثم استولى عليها الحشيشية (١٥) .

وذكر بلدانيو المصور الوسطى ، أسماء كثيرة من القلاع والمدن فى طبرستان ، لم يعد لها ذكر فى الخارطة . وهى اما ان الخراب لتحتها من الفزو المولى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) أو ان تيمور لك دمرها ، فقد اكتسح مازندران غير مرة فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . وإلى ذلك ، فان أسماء معظم هذه المدن والقلاع الضائعة ، لم تذكرها كتب المسالك ، فحال كل

(١٣) ما فى القزوينى (٢ : ١٦٥) : سنة ٦١٨ هـ (م) .

(١٤) قال ياقوت (معجم البلدان ١ : ٢٤٤) : « استوناوند كان فى أيام العرس مقلا للمعسان ملك تلك الناحية ، يبعد نكليتة عليه . وسمى المعسان مس سفان ، والسر . الكبير ، وسفان : المجوس . فسماه كبير المجوس . وحاصره خالد ابن برمك حتى غلب على ملكه وولع دولته . وأخذ بنتين له ، وقدم بهما بغداد . فحارهما المهدي وأزلفهما ، فاحداهما أم المصور من المهدي ، واسمها البحرية . وأولد الأخرى ولدا آخر » (م) .

(١٥) الأسطخري ٢٠٢ : ابن حوقل ٣٦٥ ر ٢٧٠ : المقدسى ٣٩٢ : القزوينى ٢ / ١٦٥ : ياقوت ١ : ٢٤٣ و ٢٤٤ : ٣ : ٩٣٠ : ٤ : ٩٤٤ : المستوفى ١٦١ و ٢٠٣ و ٢٠٤ : هل البرزى ٢ : ٥٧٧ مازالت فيروز كوه قائمة ، الا ان موضع استوناوند غير معروف هل ما يظهر .

ذلك دون تعيين مواضعها فى الخارطة ، ولو بصورة تقريبية . وفى المثة الراهية (العاشرة) وصف ابن حوقل ثلاث نواح جبلية بقوله : « فيها أشجار عالية ، والقباض والماء ، وهى خصبة جدا ، ، كانت فى جنوب سارية ، بينها وبين هذه النواحي مرحلة ، وتمتد غربا الى حدود الديلم فى إقليم كيلان . وأولى تلك النواحي : جبل فاذوسبان وهو جبل يادوسبان (الصيغة الفارسية للاسم) . ويادوسبان اسم الاسرة الحاكمة شبه المستقلة التى ساد رؤساؤها هذه النواحي نحو من ثمانمئة سنة ، أى من أيام الفتح الاسلامى حتى زمن النزول المغولى ، وكانت القرى تنتشر فى هذه الناحية الجبلية ، وأكبرها ، قرية يقال لها قرية منصور . ويلها أرم خاست ، أو أرم خاست ، وهى قرىتان : عليا وسفلى ، وتمتد هذه القرية نحو أرم خاست ، أو أرم خاست ، وهى قرىتان : عليا وسفلى ، وتمتد هذه القرية نحو من مرحلة عن سارية ، ولم يكن فى هذه الجبال مدينة كبيرة ذات مسجد جامع .

وكان يجاور فاذوسبان ، الناحية الجبلية المسماة جبل قارون ، وهى مستقر آل قارون . ويقال انهم من الفرثيين . ومهما يكن من أمر ، فقد جاءت اسماء آل قارون فى أخبار الساسانيين وفى الزمن الاسلامى ، وكانوا ما زالوا رؤساء تلك الناحية ، وكان أمنع معادل آل قارون التى توارثوها منذ أيام أكاسرة الساسانيين : فيرم (فريم) وأعمر مذهبهم ، مدينة سهمار (أو شهمار) . وفيها المسجد الجامع ولا تسمى له فى سائر تلك الاتحاد . ولم تذكر كتب المسالك ، يا للأسف ، موضع فريم ، بوجه التحقيق . ذكرها ياقوت ، وكذلك المسنوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، فقال انها عند حد قومس . وكانت الناحية الجبلية الثالثة ، جبل الروينج ، وهى شمال اليرى ، ومن ثمة ، فهى أقرب من غيرها الى حدود الديلم . ولم ينته اليها اسم مدينة أو قرية فى هذه الناحية ، إلا انها على ما يقال كانت فى غاية الخصب وماؤها كثير ، وفى جبالها الأشجار والغابات (١٦) .

(١٦) الاسطخرى ٢٠٥ و ٢٠٦ ، ابن حوقل ٢٦٨ و ٢٦٩ ؛ ياقوت ١ : ٢١٢ ، ٢ : ٢٢٤ و ٨٩٠ ؛ المستوفى ١٩١ . وجاء اسم فالديسيان بصورة قاذوسبان فى الاسطخرى وغيره من البلدانين ، وهو من تصحيف الطبع . ومن لة ، كثيرا ما ظن بعضهم ان هذه الاقوام تمثل شعب Cadusii) القديم الذى ذكره اسطرابون (انظر لذلك فى Geschichte « كدوسى » der Perser und Araber zur Zeit der Sassaniden ص ١٥١ حاشية ٢) ، وقد أوضح

وعلى مسيرة يوم ، أى خمسة فراسخ ، من غرب آمل ، فى السهلة التى قرب البحر ، مدينة نائل أو نائلة . وعلى مثل تلك المسافة من غرب نائل ، مدينة سالوس أو شالوس ، قال المقدسى : بها قلعة من حجارة ، الجامع على جانبها . وجاء اسمها أيضا بصورة سالوش . وبالقرب منها مدينتان أخريان هما الكيرة وكچه . وورد اسم شالوس فى أخبار حروب تيمور بصورة جالوس . والظاهر ان تيمور لك قد خرب فى خلال حروبه جميع هذه البلاد وكذلك البلاد الجبلية التى فى جنوبها ، أى رويان ورستمدار^(١٧) .

ومدينة كلار ، وقد ظلها ياقوت انها مدينة كچه المذكورة أعلاه ، كانت على مرحلة من شالوس ، ولكن فى الجبال . ومن كلار الى حدود الديلم مرحلة . وفى هذه الاسماء شىء من اللبس . ولكن يظهر ان كلار وكچه ورويان مدن متجاورة ان لم تكن تشير الى مدينة واحدة بذاتها . وكانت رويان ، الى ذلك ، اسم رستاق كبير من رستاق البلاد الجبلية عند الحد الغربى لطبرستان . وذكر ابو الفداء ان مدينة رويان ، كان يقال لها شارستان أيضا ، وانها كانت تتوج قمة درب جبلى يبعد ١٦ فرسخا عن مدينة فزوين . وذكر ياقوت ان رويان قصبة الناحية الجبلية فى طبرستان ، مثلما كانت آمل قصبة السهول الخفيفة فيه . كان بها ابنية حسنة وبساتين كثيرة الثمار . وكان بالقرب من رويان (أو كلار) مدينة سعيد اباد الصغيرة .

أما حصن الطاق العظيم عند حدود الديلم ، وهو آخر معقل لجأ إليه اصهبند طبرستان بعد ان غلبته جيوش الخليفة المنصور ، فنبئى ان يكون فى ناحية

ان الياكوسيان كانوا فى أيام الساسانيين ولاية هذه الناحية مقابل الاصهبند الدين كانوا القادة المسكرين لهذا الاقليم الواقع فى تغريم المملكة . راجع ايضا : Justi, Iranisches Namenbuch من ١٥٦ مادة : (Karen) (قارن) ، وص ٢٤٥ مادة : (Patkospan) (مافوسيان) . وللإطلاع على اسماء رؤساء الياكوسيان فى العصر الاسلامى ، انظر : G. Melgunof فى : Das Südliche Ufer des Kaspischen Meeres من ٥٠ .

وعلى اسماء رؤساء قارن ، انظر المرجع نفسه من ٥٢ .
(١٧) ابن حوقل ٢٧٥ : المقدسى ٣٥٩ : ابن الفقيه ٣٠٥ : ياقوت ٣ : ١٣ و ٢٣٧ و ٥٠٤ : ٤ : ٧٦٦ : على اليزدى ١ : ٣٦١ .
وقيل ان شالوس ، لا تبعد الا ثمانية فراسخ من الرى ، وهذا وهم ولا شك ، لان هذه المسافة تجعلها على بحر قزوين او فى القرب منه .

رويان هذه ، وقد أسهب ياقوت والتزويني في وصف هذا الموضع ناقلين عن سبقهما من المعنفين . كان الطاق حصنا منيا ، وكان في قديم الزمان خزانة ملوك الفرس ، وهو نقب في موضع عال في جبل صعب المسلك . وهذا النقب شبيه بالبلب الصغير ، فإذا دخل فيه الإنسان مشى فيه نحواً من ميل في ظلمة شديدة . ثم يخرج الى موضع واسع شبيه بالمدينة قد احاطت به الجبال من جميع الجوانب ، وفي هذه الرحة مغارات وكهوف ، وفي وسطها عين غزيرة الماء ينبع من صخرة وينور ماؤها في صخرة أخرى ، على مقربة من الاولى . وأفاض ياقوت بعد هذا الكلام في ذكر عجائب هذا الموضع .

وعند منابع شاهرود - وهو الفرع الشرقي لسفيد رود (انظر ص ٢٠٤ أعلاه) - ناحية رستمدر . قال المستوفي ان فيها نحواً من ثلاثمئة قرية . وهذه الناحية التي كانت تسقيها أنهار كثيرة تأخذ من شاهرود ، كانت بين مدينة قزوین وآمل ، وفي شرق ناحية رويان . وكان على شاهرود ، على ما بينا في الفصل الخامس عشر (في الصفحة ٢٥٥) أعظم قلاع الاسماعيلية أي الحشيشية . وربما كان في ناحية رستمدر هذه ، قلعة كلام ، وقد وصفها ياقوت بقوله انها « قلعة قديمة في جبال طبرستان ، ملكها الملاحدة ، فأنفذ السلطان محمد بن ملكشاه (السلجوقي) من حاصرها وملكها وخرّبها » (١٨) .

وعلى فرسخين من شرق آمل ، في طريق الساحل ، مدينة ميسله . وعلى ثلاثة فراسخ مما يليها : برجي ، وهي على مرحلة من سارية . وكانت مدينة مطير ، أو ماطير ، على مرحلة من كل من آمل وسارية ، على ستة فراسخ من البحر ، وهي تطابق بارفروش الحديثة . قال ياقوت : « بها مسجد ومبر ، ولها رستاق وقرى وعمارات كثيرة » . وبالقرب من سارية ، وربما الى شرقها ، كانت نامية (أو نامشة) ولها رستاق حسن ، وهي على عشرين فرسخاً من سارية . ومهروان ، على عشرة فراسخ من سارية ، بها مدينة ذات منبر وحامية من

(١٨) ابن سفل ٢٧٥ : ياقوت ٢ : ٨٧٢ : ٣ : ٩٣ و ٤٩٠ و ٥٠٤ : ٤ : ٢٤٠ و ٢٩٦ و ٢٩٧ : التزويني ٢ : ٢٣٨ إير اللها ٤٣٥ : المستوفي ١٩٠ .

ألف رجل . ولا يعرف ، وآسفاً ، الموضع الصحيح لهاتين المدينتين . وفي آخر الحدود الشرقية لطبرستان ، على ثلاث مراحل من سارية ، في طريق استراباد على مرحلة من الأخيرة : مدينة طميس ، أو طميسة . وتقوم على درب عظيم ممدود من الجبل الى جوف البحر ، وسط المئاقع . قال ياقوت ان كسرى أنوشروان (المادل) بناء ليكون دربا يسلكه من يخرج من طبرستان^(١٩) .

وفي جنوب شرقي بحر قزوين ، خليج 'شَرَادَه' ، على ما يسمى اليوم ، وعنده لسان رملي طويل يمتد شرقا حتى يكاد يصل ساحل جرجان . وقد وصف المستوفي هذا الخليج وجزيرته ، أو شبه جزيرته ، باسم نيم مردان ، فيها موضع أهل في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وكان فرشة تقصدها السفن من سائر أنحاء بحر قزوين . وكانت الفرشة تبعد ثلاثة فراسخ عن استراباد . ويقال للمدينة التي ورائها : شهرآباد وهي ذات تجارات رائجة . ويجاورها ناحية يكثر فيها الحرير والقمح والكروم ، يقال لها كبود جامه ، وقد كانت بلادا كثيرة الفنى والخير ، الا ان الخراب استولى عليها في حروب تيمور ، في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . ومدينة 'روغد' ، أو روغد ، وقد جاء ذكرها في خبر مرور تيمور بها في زحفه على مازندران ، ربما كانت في ناحية كبود جامه . قال المستوفي كانت مدينة وسطه محيطها ٤٠٠٠ خطوة ، تقوم في وسط رساتيق خصبة يكثر فيها القمح والقطن وصنوف الفواكه .

أما تجارات طبرستان ، فالى ما نوهنا به في الصفحة ٤١٠ ، ذكر المقدسي الأكسية الحسنة والطيبالة وثياب الخيش المحمولة الى الآفاق . وكان يرتفع منها أيضا خشب الخلج ، وقد مر ذكره ، وكان يقطع قطعا ويحمل منها قصب منه في الرى القصاص والاطباق والاولاي . والخلج خشب متنوع الالوان طيب

(١٩) ابن حوقل ٢٧٥ : ياقوت ٣ : ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٤٧ : ٤ : ٣٩٨ و ٦٤٢ و ٦٩٩ و ٧٣٣ .
وأقدم من ذكر بارفروش ، باسم باره فروش ده (أى القرية التى تباع منها الاحمال) : أحمد
المرزوقى في « حمت القلم » وهو مؤلف من المئة العاشرة (السادسة عشرة) . انظر : دورن (Dorn)
في Muhammedanische Quellen الجزء الرابع ، ص ٩٩ من المتن الفارسي .

الرائحة تصنع منه أحيانا خرز السباحات . وأحسن أنواعه ما ينمو في جبال طبرستان^(٢٠) .

جرجان

يمتد إقليم جرجان ، أو گرگان ، على ما يطلق به الفرس ، في جنوب شرقي بحر قزوين . ويضم في الاغلب السهول العريضة واللاودية التي يسقيها نهرا جرجان وأترك . وقد كان هذا الاقليم في الازمنة الاولى ، قائما بنفسه ، وإن كان مضافا الى خراسان . ولكن ما أحدثه الفتح المغولي من تغير أدى الى الحاقه سياسيا بما زندران . وهذا الاقليم ، كثير من نواحي جنوبي بحر قزوين ، قد أغارت عليه جيحافل المغول وخربته في المئة السابعة (الثالثة عشرة) ثم دمرته حروب تيمور في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) .

وجرجان ، على ما ذكر المقدسي ، وافر الانهار ، وفي سهوله وجباله النخل ، ويكثر فيها التارنج والاعناب . وأهم نهر في هذا الاقليم كان يعرف باسمه ، أي نهر جرجان . وهو النهر الذي قال المقدسي ، في المئة الرابعة (العاشرة) ، انه يعرف بـ « طيفوري » . كما انه لم يذكر نهر أترك . وفي المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، جاء اسم النهر في المستوفي بصورة آب جرجان ، وقال ان نهر جرجان ينبع في وادي شهر ناو (المدينة الجديدة) ومنها يشق سهل سلطان درين فيصل الى مدينة جرجان فاذا جاوزها وقع في بحر قزوين قرب جزيرة البسهكون في خليج نيم مردان . ومجرى هذا النهر برمه كان عميقا لا يكاد يسر . وكثيرا ما غرق فيه من حاول عبوره من المسافرين . وكانت مياهه في موسم الفيضان تجري في أنهار للسقي ، وإن كانت تذهب هدرًا في الغالب .

أما نهر أترك ، فهو أطول من جرجان ، ومخرجه في سهول خراسان بين

(٢٠) المقدسي ٣٦٧ : المستوفي ١٦٠ و ١٦١ ، جهان سا ٣٣٩ و ٣٤١ ، هل البرقي ١ ، ٣٤٩ .

لقد تغيرت طبعا هيئة خليج أشراوند وشبه جزيرته تغيرا كبيرا منذ المئة الرابعة عشرة للبلاد حين كتب المستوفي ، ولا ينلم الموضع الصمصمة للمدينة والفرقة .

نسا وخجوشان قرب منابع نهر المشهد . ويجرى نهر المشهد نحو الجنوب الشرقى فى اتجاه معاكس لللال . ونهر أترك عميق الغور ومطلعه سحب العور ، كنهى جرجان ، على ما ذكر المستوفى . وبعد أن يجرى محاذيا حدود دهستان فى الجانب الشمالى من إقليم جرجان ، يقع فى بحر قزوين . وطول مجراه نحو من ١٢٠ فرسخا . ويقال ان اسم أترك ان هو الا صيغة جمع ترك . فنهر أترك انما سمي بذلك لان الأتراك كانوا يعيشون فى زمن ما على ضفافه . ولم تثر على اسم لهذا النهر فى كتب البلدانين العرب الاولين . والمستوفى ، فى الملة الثامنة (الرابعة عشرة) ، من أقدم من سماه بنهر أترك ، وهى التسمية التى ما زال يعرف بها (٢١) .

أما قصة جرجان ، فهى مدينة بالاسم نفسه ، ويقال لها اليوم « من گرگان » . وصفها ابن حوقل فى الملة الرابعة (المباشرة) بقوله انها مدينة حسنة « بناؤها من طين » وهى أبس من أمل نربة . والمطر فى جرجان أقل منه فى طبرستان . وجرجان جانبان ، بينهما يجرى نهر جرجان ، « عليه قطرة معقودة بين الجانبين » . فجرجان الجانب الشرقى ، وبكر أباز الجانب الغربى . والجانبان ، على وصف ابن حوقل وقد رأهما ، فى نحو مدينة الرى كبرا . ونكث فى بساينها الفواكه ، ويعمل بها الأبريسم . وسى المقدسى الجانب الشرقى من جرجان : شهرستان . وقال انها حسنة المساجد والأسواق ، وفى بساينها رمان وزيتون وطينخ وياذتجان ونارنج ولیمون وأعتاب ، وهى جيدة فاخرة رخيصة . وفيها أنهار عليها جسور وطينقان ، وبها ميدان يازاء دار الأمير . ولها تسعة أبواب . وحر جرجان شديد ، وذبابها كثير ، وحشرات مؤذية ، لا سيما براغيثها فأنها ضارية تعرف بگرگان ، أى الذئاب . وكانت بكر أباز ، حسب تهجئة المقدسى لها ، شبه مدينة عامرة بها مساجد ، وتبند أبنيتها مسافة كبيرة عن النهر وتمتد قليلا بمحاذاة ضفته الغربية .

(٢١) المقدسى ٣٥٤ و ٣١٧ : المستوفى ٢١٢ و ٢١٣ : حوان لما ٣٤١ : سامط ابرو ١٢٢ .
يكتب الاسم أترك بدون الاء قبل آخره . بينما جمع ترك : أترك . ومن ثمة قد يكون التفسير الصالح له لا يقوم على أساس صحيح .

ولما كتب القزويني في المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، كانت جرجان مشهورة لدى الملوك ، لان فيها شهدا يقال له 'گور' سرخ (أى القبر الاحمر) ويقال انه لبعض اولاد علي الذي سماه المستوفي محمد بن جعفر الصادق الامام السادس . وذكر المستوفي ان حفيد ملكشاه السلجوقي قد جدد بناء المدينة ، وكان محيط أسوارها سبعة آلاف خطوة . ولما كتب في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، كان الخراب قد دب فيها ، ولم تقم لها قائمة بعد اكتساح المغول لها . وأطرى فواكهها الفاخرة وقد ذكر ، عدا الفواكه المنوعة بها قبلا : شجر الصاب وهو يثبت من نفسه وتثمر اشجاره ، وعمرها لا يزيد على الستين أو الثلاث ، مرتين في السنة . وكان أهل جرجان في أيامه من الشيعة ولكنهم غير كثيرين . وفي سنة ٩٧٥ (١٣٩٣) كان تيمور ، الذي خرب مازندران والبلاد المجاورة لها ، قد وقف في جرجان وابنى له على شفاف نهرها قصره العظيم شاسن . وقد نوه حافظ أبرو بذكره (٢٢) .

وثانية مدن اقليم جرجان : استراباد ، قرب حدود مازندران ، وصفها المقدسي في المئة الرابعة (الماشرة) بقوله انها مدينة أطيب هواء وأصح ماء من جرجان كلها . ويكثر فيها القز . وقد خرب حصنها في أيامه لان البويهيين خربوا كل هذه البلاد في أثناء قتالهم بنى زيار . وزاد المقدسي على ذلك انه كان لها مسجد جامع بنى في أيام الفتوحات الاسلامية الاولى ، وما زال قائما في السوق قرب باب المدينة . وكل ما أورده ياقوت والمستوفي عنها ان هو الا تأكيد لما مر ذكره ، وأطرىا هواء استراباد ووفرة طعامها ، ولم يزيدا على ذلك شيئا . وكانت قرعة جرجان واستراباد على بحر قزوين ، مدينة آبسكون ، وتبعد عن كل منهما مسيرة يوم . والظاهر ان موضعها قد غمره البحر في غضون المئة السابعة

(٢٢) ابن حوقل ٢٧٤ و ٢٧٣ ؛ المقدسي ٣٥٧ و ٣٥٨ ؛ القزويني ٢ : ٢٢٥ ؛ المستوفي ١٠٠ : ١٩٠ ؛ علي اليزدي ١ : ٥٧٨ ؛ حافظ أبرو ٣٢ : ١٠٠ .

وكان يملك جرجان في المئة الرابعة (الماشرة) ، بنو زيار ، وهم منها - وكان سلطانهم له امتد الى طبرستان والرازي المجاورة لها . واشهر رجال بني زيار ، قابوس ، المتوفى سنة ٤٠٣ (١٠١٢) وكبره ما زال قائما قرب خراب مدينة جرجان ، يقال له كنبد لاييس . انظر : من . ابي . يات C.E. Yate في كتاب خراسان وسيستان : ص ٢٢٩ - ٢٤١ .

(الثالثة عشرة) بعد الغزو المغولي . وقد جاء في الاصطخري وابن حوقل ، في المئة الرابعة (العاشرة) ، ان أبسكون سوق كبير لتجارة الحرير وكانت في ذلك الزمن ثفرا تصدّ الانراك والنز* ، وهي فرصة تجارة بحر قزوين التي تحمل الى كيلان . وكان عليها حصن منيع من الآجر ، ومسجدها الجامع في السوق . وقال المقدسي « هي فرصة جرجان » . وزاد ياقوت على ذلك ان بحر قزوين كان يسمى غالبا بحر أبسكون . واشتهرت أبسكون في التاريخ بكونها آخر مدينة التجا لها محمد ، آخر من حكم من شاهات خوارزم ، وقد قرّ أمام جحافل المغول ومات فيها ذليلا في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) (٢٣٦) .

وعلى مسيرة ستة أيام (أو خمسين فرسخا) من شمال أبسكون ، وعلى أربع مراحل من مدينة جرجان ، موضع يعرف بدستان في ناحية بالاسم نفسه . وكانت في المئة الرابعة (العاشرة) ثفرا في حد الترك . قال ابن حوقل : دهستان بالقرب من بحر قزوين . ولم يكن فيها غير القرى وبعض البساتين ، وأهلها يمشرون فيها . وبالقرب منها ، خليج ضحل في بحر قزوين كانت السفن ترسو فيه ، وحيد أهل الساحل سمكا كثيرا منه . وأهم تلك القرى : آخسر ، وقد أشار المقدسي الى انها مدينة ، حولها أربع وعشرون قرية وهذه القرى « من أجل أعمال جرجان » . وفي آخر : « منارة ترى من البعد في وسط القرى » .

والى شرق آخر ، مدينة الرباط وهي « على فم المفازة » حيث يدخل هذه الناحية الطريق الذاهب الى خوارزم . قال المقدسي : « قد خرب السلطان حصنه » وكان بثلاثة أبواب ، وهو عامر ظريف . وأسواق بهية ومنازل لطيفة ومساجد حسنة . والمسجد الشيق فيه سوارى خشب . وكان النصف الأسفل منه « في أيام المقدسي » تحت الأرض . وللمدينة جامع آخر « فيه منارة جميلة » (٢٤٤) . وذكر

(٢٣) الاصطخري ٢١٣ و ٢١٤ ؛ ابن حوقل ٢٧٣ و ٢٧٤ ؛ المقدسي ٣٥٨ ؛ ياقوت ١ : ٥٥ و ٢٤٢ ؛ المستوفى ١٦٠ و ٢٢٥ .

وذكر ابن سراييون (الورقة ٤٦ ب) ان مدينة أبسكون تقوم على نهر جرجان قرب مصبه في بحر قزوين . المسعودي : التنبيه ٦٠ و ١٧٩ .

(٢٤) قال المقدسي : (ص ٣٥٩) في الرباط « مسجد بمثابة لاصحاب الحديث » (م) .

ياقوت هذه المواضع مع مواضع أخرى فى ناحية دهستان ، هى : خرتير وفرغسول وهيرانان ، ولم يصفها + وذكر المستوفى ، وقد وصف الطريق من جرجان الى خوارزم ، محترقا دهستان ، ان هذه الناحية ، كانت الحد بين المسلمين والكفرة من الترك والكرد . وهواؤها حار ، ولها نهر سقيها ، ولكن فواكهها قليلة^(٢٥) .

وعلى أربع مراحل من دهستان ، عند حد المفازة ، حيث يبدأ الطريق بجنازها الى خوارزم ، تقوم مدينة فراوة + ذكر الاصطخرى انها ثغر فى بادية الفز . وكان + يقيم بها المرابطون ، فى المئة الرابعة (العاشرة) . وكان بها رباط يحمى البلاد التى ورامها ثلثا يتأهبها الاتراك + وليست لهم بساكن ولا ذروع الا مابل ، وأهلها دون ألف رجل . + وقد كتب المقدسى اسما بصورة افراوة . وقال ياقوت انها كانت رباطا بناء عبدالله الطاهرى فى خلافة المأمون . أما موضعها ، فأكبر الظن ان فراوة تطابق قول أرواء الحديثة ، وهذا الاسم تحريف قول رباط (أى الرباط الاحمر) . ولم يذكر ياقوت غير أسماء بعض المواضع الاخرى فى إقليم جرجان وقد كانت قرى من أعمال مدينة جرجان أو استراباد . ولم ينته البناء عنها ولم تحدد مواضعها . ويغلب ان تكون قراءة الاسم غير مضبوطة^(٢٦) .

وذكر المقدسى مما اشتهر من تجارات جرجان ، صنفا من « المقامع القزمية » كان يحمل فى أيامه الى اليمن فى جنوبى بلاد العرب . وكان بها دياج دون + وكان يكثر فى جرجان الاعاب والزين والزيتون^(٢٧) .

(٢٥) ترى خرابل هذه المواضع عند حد مفازة خوارزم ، فى سريان غرب الجبال المعروفة بـ « كورن داغ » ، وقد انقلبت الزراعة فى هذه الناحية منذ آمد طويل ، وهو اليوم صحراء لا ماء فيها .

ابن حوقل ٢٧٧ و ٢٨٦ ، المقدسى ٣٥٨ و ٣٥٩ ؛ ياقوت ١ : ٥٩ و ٥٠٠ ؛ ٢ : ٤١٨ و ٢٣٣ ؛ ٣ : ٨٨٠ ؛ ٤ : ٩٤٩ ؛ المستوفى ١٦٠ و ١٦٧ .

(٢٦) الاصطخرى ٢٧٣ ؛ ابن حوقل ٣٢٤ ؛ المقدسى ٣٣٣ ؛ ياقوت ٣ : ٨٦٦ ؛ المستوفى ١٦٧ .

وقد ذكر ياقوت من هذه القرى مئة عشر اسما . ياقوت ٢ : ١٢٧ و ٤٨٩ و ٧٨٢ ؛ ٣ : ٢٢٢ و ٩٢٣ و ٩٣٠ ؛ ٤ : ٢٧٧ و ٣٧٦ و ٣٦٥ و ٣٩٦ و ٥٥٥ و ٦٩٩ و ٧٢٨ و ٩٢٦ و ٩٢٧ .

(٢٧) المقدسى ٣٦٧ .

وليست المسالك في طبرستان وجرجان كثيرة . لأن الجبال في الاقليم الاول تكاد لا تخترقها الطرق . وذكر الاصطخرى (ومنه اقتبس ابن حوقل) والمقدسى ، الطريق الآخذ شمالا من الري الى أمل ، قاطعا الجبال ، مازا بآسك والموور (يلود) . ويصعب اليوم بل يستحيل تعيين كثير من مراحل . والطريق الذاهب غربا من أمل في محاذاة الساحل ، ذكر فيه ابن حوقل والاصطخرى المراحل الى نائل وسالوس فالى حد كيلان (الديلم) ، وكذلك ذكرا مراحل الطريق الذاهب شرقا من أمل الى استراباد ومدينة جرجان . والطريق من مدينة جرجان الذاهب شمالا الى دهستان ، ذكر المقدسى مراحل ، وكذلك ذكر المستوفى المراحل في كلامه على الطريق من بسطام في قومس الى عاصمة خوارزم . وجاء في المقدسى أيضا وصف الطريق من بسطام الى مدينة جرجان قاطعا درب الجبل امارا بجهينة ، وهي ، على ما ذكر ابن حوقل « واد لقربة حسنة » . وأخيرا وصف المقدسى الطريق من جرجان الذاهب شرقا الى خراسان وهو يقطع في خمسة أيام الى اسفراين في سهل جوين فيجتاز أجغ ويقال لها اليوم آشك . وسأني على وصف هذه الناحية في الفصل القادم^(٢٨) .

(٢٨) الاصطخرى ٢١٤ - ٢١٧ ؛ ابن حوقل ٢٧٤ - ٢٧٦ ؛ المقدسى ٣٧٢ و ٣٧٣ ، المستوفى ١١٧

الفصل السابع والعشرون

خراسان

ادباج خراسان الاربعة - ربع نيسابور - مدينة نيسابور وشافياخ -
كورة نيسابور - طوس والشهد - يهق وسبزاد - جوين
وجاجيرم واسفراين - استوا وكوجان - رادكان
ولسا واييود - كلات - خابران
وسمرغس -

خراسان في الفارسية القديمة ، معناها « البلاد الشرقية » . وكان هذا الاسم في أوائل القرون الوسطى ، يطلق بوجه عام ، على جميع الأقاليم الإسلامية في شرق المفاضة الكبرى حتى حد جبال الهند . فخراسان في مدلولها الواسع هذا ، كانت تضم كل بلاد ما وراء النهر التي في الشمال الشرقي ، ما خلا سبستان ومعها قوهستان في الجنوب . وكانت حدودها الخارجية ، صحراء الصين والباير من ناحية آسيا الوسطى ، وجبال هندكوش من ناحية الهند . إلا أن حدودها هذه صارت بعد ذلك ، أكثر حصرا وأدق تعينا . حتى ليتمكن القول أن خراسان ، وقد كان أحد أقاليم بلاد إيران في القرون الوسطى ، لم يكن يمتد إلى أبعد من نهر جيحون في الشمال الشرقي ، ولكنه ظل يشتمل على جميع المرتفعات في ما وراء هراة ، التي هي اليوم القسم الشمالي الغربي من أفغانستان . وإلى ذلك ، فإن البلاد في أعلى نهر جيحون ، من ناحية البايير ، كانت على ما عرفها العرب

فى القرون الوسطى ، تمد ناحية من نواحي خراسان البعيدة • وكان اقليم خراسان فى أيام العرب ، أى فى القرون الوسطى ، ينقسم الى أربعة أرباع ، نسب كل ربع الى احدى المدن الاربعة الكبرى التى كانت فى أوقات مختلفة ، عواصم للإقليم بصورة منفردة أو مجتمعة وهذه المدن هى : نيسابور ، ومرو ، وهراة • وبلغ • وبعد الفتح الاسلامى الاول ، كانت عاصمتا خراسان فى مرو وفى بلخ • الا ان الامراء الطاهريين ، نقلوا دار الامارة الى ناحية الغرب فحملوا نيسابور فى أيامهم عاصمة الاقليم ، وهى أيضا أكبر مدينة فى أقصى الارباع غربا^(١) •

وفى الفارسية الحديثة يلفظ اسمها : نيشابور • وهى فى العربية : نيسابور • وهو مشتق من نيشابور فى الفارسية القديمة ، ومعناه : • (شئ أو عمل أو موضع) • سابور الطيب • • وانما سميت المدينة بذلك ، نسبة الى الملك سابور الثانى الساسانى الذى جدّد بناءها فى المئة الرابعة لليلاد • اذ ان مؤسس نيسابور كان سابور الاول بن أردشير بابكان • وقد سرد البلدانون العرب فى المئة الثالثة (التاسعة) ثبنا طويلا بأسماء أكبر المدن فى كورة نيسابور التى كانت تضم معظم اقليم قوهستان ، وقد مرّ وصفه • وأهم ما قد يفيدنا به هذا الثبّت ، التهجئة القديمة لبعض الاسماء ، وكثير من هذه المواضع لا يمكن تعينه اليوم^(٢) •

وفى صدر العهد الاسلامى ، كان يقال أيضا لنيسابور : أبرشهر ، ومعناه : مدينة النجم فى الفارسية • وبهذه التسمية ظهرت فى الدراهم القديمة التى ضربها فيها الخلفاء الامويون والعباسيون • وسماها المقدسى وغيره باسم ايرانشهر - أى مدينة ايران - أيضا • ولكن هذا الاسم ربما لم يكن غير اسم رسمى ولقب شرف

(١) الاصطخرى ٢٥٣ و ٢٥٤ : ابن حوقل ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ : المعنى ٢٩٥ : المستوفى ١٨٥ •

(٢) الاصطخرى ٢٥٨ : ابن حوقل ٣١٣ : ابن خرداذبه ٢٤ : اليعقوبى ٢٧٨ : ابن رسته ١٧١ •

المخط الاول من اسم نيشابور ، هى الفارسية القديمة : « نير » أو « نيك » • وهو موجود فى الفارسية الحديثة بصورة « نيكو » أى • الطيب • ولد تحول « نى (سابور) » العربى فى الفارسية الحديثة ، الى نيشابور ، لان « ب » تلفظ « ب » (مغلقة) بالفارسية • انظر : لذلك فى Sassaniden من ٥٩ •

لها • كانت نيسابور فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة عامرة جليلة مفرشة البناء ، نحو فرسخ فى مثله ، ولها مدينة وقهندز ودرىض • ومسجدها الجامع فى الرىض ، وهو من بناء عمرو الصفار ، مقابل ميدان يعرف بالمسكر • وبقره دار الامارة ، وتغضى الى ميدان آخر يقال له ميدان الحسينين والحبس لا يبعد كثيرا عن دار الامارة ، وبين بناء وبناء من هذه الابنية الثلاثة نحو من ربع فرسخ •

وللقهندز بابان • وللمدينة أربعة أبواب • أحدها يعرف بباب القنطرة • والثانى بباب سكة معقل ، والثالث بباب القهندز (أى باب القلعة) والرابع بباب قنطرة تكين • وأرباضها فى خارج قهندزها ومدينتها ، وتحفّ بهما • وأسواقها فى أرباضها ، ولها أبواب كثيرة • منها باب يعرف بباب القباب • ويخرج منه الى الغرب • ويقابله باب جنك (أى باب الحرب) أمام ناحية يشتغروش^(٣) • وباب فى الجنوب يعرف بباب أحوص أباز وهناك أسماء أبواب أخرى • وأعظم أسواقها : سوقان أحدهما يعرف بالمربة الكبيرة ، والاخر بالمربة الصغيرة • وكان سوق المربة الكبيرة ، قرب المسجد الجامع ، وقد تقدم ذكره • وسوق المربة الصغيرة على بعد قليل من السوق الآخر ، فى الارباش القريبة قرب ميدان الحسينين ودار الامارة • وهى أسواق طويلة مكنتة بالدكاكين ، تمتد من مربة الى المربة الاخرى ، وتقطعها متعامدة معها أسواق أخرى ، بقرب المربة الكبيرة وهى تمتد جنوبا الى مقابر الحسينين ، وتنتهى شمالا برأس القنطرة على النهر •

وفى هذه الاسواق ، خانات وفنادق يسكنها التجار ، وفيها التجارات كله حشفت منها على حدة • وللاساكفة والبرازين والخرازين وغيرهم من أصحاب الحرف خاناتهم • ولكل دار فى المدينة قناة تأخذ مائها من نهر يقال له وادى سفاور ، ينحدر الى نيسابور من قرية يشتقان المجاورة لها • وعلى هذا الوادى والفتى قوام وحفلة ، وعمق بعض الفتى تحت الارض ربما بلغ مئة درجة • وهذه الفتى ، اذا ما جاوزت المدينة ظهرت على وجه الارض فتسقى المزارع والبساتين •

(٣) قال ياقوت (معجم البلدان ١ : ٦٣٠) • « يشتغروش ، ويقال • يشتغروش ، بغير نون • كورة من أعمال نيسابور ، أحدها يشتغوش الملك ، بها مئة وست وعشرون قرية » (م) •

وليس في كل خراسان ، على ما ذكر ابن حوقل ، مدينة ، أصبح هوا
 وأفسح فضاء وأشد عمارة من نيسابور ، وتجارتها أهل نراء ، وتوأمها السائلة
 والقوافل في كل يوم ، ويرتفع منها من أصناف ثياب القطن والابرسم ،
 ما ينقل الى سائر البلدان ، وأيد المقدسي ما سبق ذكره ، وزاد عليه اشياء أخرى
 قال : في نيسابور اثنتان وأربعون محلة ، منها ما يكون مثل نصف شيواز ،
 ودورها المؤدية الى الابواب زهاء الخمسين ، ومسجدها الجامع أربع رحلات ،
 بناء عمرو الصفار ، على ما قد بنا ، ويقوم سقفه على أساطين الآجر ، يدور
 على صحنه ثلاثة أروقة ، وأهم بناء فيه قد زوت حيطانه بالقرميد المذهب ،
 وللجامع أحد عشر بابا بها أعمدة رخام ، وحيطانه وسفحه مجسدة مزوقة ،
 ونهر نيسابور ، على ما سبق ذكره ، يأتي من قرية بشتقان ، كان يدور
 سجين رحي ، ومنه تحمل قني كثيرة تجرى تحت الأرض ، ويجرى النهر
 فيها مسافة فرسخ ، وكان في داخل المدينة وفي دورها آبار كثيرة عذبة الماء^(١) ،
 وقال ياقوت ، ان في أيامه ، أي في المئة السابعة (الثالثة عشرة) كانوا
 يلفظون اسم هذه المدينة : نساوور ، وأبان عن ان نيسابور بالرغم مما أصابها
 من الخراب في زلزال سنة ٥٤٠ (١١٤٥) ، فقد أعقب ذلك نهب عشائر النزر
 لها سنة ٥٤٨ (١١٥٣) ، ولم ير ياقوت في خراسان مدينة أحسن منها ،
 واشتهرت بساتينها بالرياس^(٢) وغيره من الفواكه ، وبعد قتل الفز بها وأسروهم
 السلطان سنجر السلجوقي وتخريبهم المدينة انتقل الناس الى محلة منها يقال لها
 شاذياخ ، عثرها وسورها المؤيد عاملها من قبل الملك الأسير سنجر ، ومحلة
 شاذياخ ، ويقال لها الشاذياخ ، كانت قديما بستانا لعبدالله بن طاهر في أوائل
 المئة الثالثة (التاسعة) حين نزل نيسابور واتخذها دارا للإمارة ، وقامت حول
 قصره ، حيث نزل جنده ، وصارت أكبر أرباض نيسابور ، ثم أضحت بعد غزو

(١) الاسطخرى ٢٥٤ و ٢٥٥ ، ان حوقل ٣١٠ - ٣١٢ ، المقدسي ٣١٤ - ٣١٦ و ٣٢٩ .

(٢) الرياس ، على ما في تاج العروس (٤ : ١٥٩) : « لت له مساليج غضة الى الغفرة »
 هراش الوزن ، طمها سافس مع فيض ، يبيت في الجبال ذوات الفلوح والبلاد الباردة من غير
 دوح ، ول في جبال السليمانية في العراق تبت يقال له هناك « ريواس » يقبى الرياس في صفته
 واسمه لعل هذه من تلك . (م) .

الفرز عاصمة • ونزل ياقوت ، حين مقامه وقتنا قصيرا بنيسابور سنة ٦١٣ (١٢١٩) ،
فى الشاذياخ ، وقد وصفها • وبعد ذلك بزمن يسير ، أى فى سنة ٦١٨ (١٢٢١)
استولى المنول عليها بقيادة جنكيز خان ونهبوها ، على ما انتهى خبره الى ياقوت •
وقد كان حينذاك استأمن فى الموصل • وقال ياقوت ان المنول « لم يتركوا بها
جدارا قائما » •

على ان نيسابور ، صلح أمرها بعد غزو المنول ، فان ابن بطوطة حين زارها
فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وجدها مدينة عامرة • وقال ان مسجدنا بديع
وبله أربع مدارس ، ويقال لها دمشق الصغيرة لكثرة فواكهها وبساتينها • وتسقيها
أربعة أنهار تتحدر إليها من الجبال المجاورة • وزاد ابن بطوطة على ذلك انه
يصنع بنيسابور « ثياب الحرير من النخ والكمخاء » ويحمل الى أسواقها كثير من
التجارات • أما المستوفى ، معاصره • فقد روى حديثا طويلا عن مدينة نيسابور
وكورتها • قال ان مدينة نيسابور القديمة أسست فى أيام الأكسرة على تخطيط
كرتمة الشطرنج ، فى كل ضلع ثمانية مربعات على ما يقال • ثم اتسعت رقعتها
وعظمت ثروتها فى أيام بنى الصفار وصارت أجمل مدن خراسان ، حتى حلت سنة ٦٠٥
(١٢٠٨) فخرتها الزلازل • وقد كان بعد هذا التاريخ ، على قول المستوفى ،
انتقال السكى منها لأول مرة الى الشاذياخ • وكان حول هذه البلدة ، سور دور
٦٧٠٠ خطوة • على ان نيسابور ، قد جدّد بناؤها فى الوقت نفسه ، ولكن
الزلازل خربتها ثانية فى سنة ٦٧٩ (١٢٨٠) ، فابتليت مدينة نيسابور الثالثة فى
موضع آخر ، وهذه هى المدينة التى وصفها المستوفى • وكان دور أسوارها
حينذاك ١٥٠٠٠ خطوة ، وهى تقوم عند حافة الجبل مقابلة للجنوب • وكانت
مياهها كثيرة ، لان نهر نيسابور ، وهو ينبع فى الجبال على فرسخين أو أزيد
فى شرقها ، وأفر الماء يدير أربعين رحى قبل وصوله الى المدينة • وقال أيضا ان
لاكثر دور نيسابور صهاريج يخزن الماء فيها لأجل موسم الجفاف •

وتقوم مدينة نيسابور الحالية ، فى الجانب الشرقى من سهل نصف دائرى ،
تكتشفه الجبال ويواجه المفازة وهى فى جنوبه • ويسقى هذا السهل أنهار كثيرة

تحدّر إليه من المرتفعات التي في شماله وشرقه • وسرد المستوفي أسماء عدد كبير من هذه الانهار ، وهي بعد أن تسقى رساتيق نيسابور ، تنقى في المفاضة • وعلى خمسة فراسخ من شمال المدينة ، عند منابع نهر نيشابور ، كانت بحيرة صغيرة في الجبال في أعلى المضيق يقال لها چشمه سبز ، أي « العين الخضراء » • ومنها كان يخرج ، على ما ذكر المستوفي ، نهران يجري أحدهما إلى الغرب والآخر إلى الشرق • ويتحدّر النهر الشرقي إلى وادي المشهد • والظاهر أن هذه البحيرة ، كانت في جبل يقال له كوه گلشان ، وفيه كانت مفارقة الرياح السجّية ، التي يهب من أعماقها ريح ويندفع منها في الوقت نفسه ماء تكفي قوته لإدارة رحى • وذكر أن محيط بحيرة چشمه سبز نحو فرسخ ، وحكى عنها عجائب كثيرة ، وقيل إنها لا قرار لها ، وإن رمي معهم من جانب ، لا يقطعها إلى الجانب الآخر •

واشتهرت في سهل نيسابور ، أربعة رساتيق بوفرة خصبها ، وذكر المقدسي في المثة الرابعة (العاشرة) هذه النواحي ، وهي : الشامات (أي شامات الحسن) ، ورووند ، وما زالت قائمة في غرب نيشابور ، ومازل ، وِبَشْتَفَرُوش • وكان رستاق ما زال في الشمال وأكبر قرأه بشتقان (أو بشتقان) وهي على فرسخ من نيسابور وفيها أنشأ عمرو الصفار بستانا له مشهورا • ويرتفع منها رباس فائق • ويعرف رستاق بشتفروش اليوم باسم پشت فروش ، يمتد مسيرة يوم إلى الشرق من باب جنك في نيسابور ، على ما ذكر المقدسي ، وكانت بساتين قرأه المثة والست والعشرين ، على ما ذكر ياقوت ، ذات غلة كبيرة من الشمس الذي يحمل إلى سائر الانحاء • وكان رستاق الشامات ، يسميه الفرس على ما ذكر المقدسي تك آب ، أي « إليه يجري الماء » ، وهذا الرستاق في غاية الخصب • أما ريووند ، فمدينة صغيرة في رستاق على اسمها وهي على مرحلة غرب نيسابور • وكان للمدينة في المثة الرابعة (العاشرة) جامع بالأجر ، ويشقها نهر ، وهي كثيرة الاعتاب ، وبها سفرجل جيد لا نظير له •

ومن أكبر انهار كسوة نيسابور ، على قول المستوفي ، شودة رود

« النهر الملح » • وكانت تلتقى فيه مياه النهر الآتى من دزياد ، وبعد ان يسقى رسابق كثيرة ، يقنى فى المفازة • وقد ذكر المستوفى أيضا انهيارا أخرى ، غير ان كثيرا من أسائها مخلوط التهجئة ويصعب اليوم معرفتها ، على ان بعضها لا صعوبة فى معرفته • من ذلك نهر يشقان ، ومخرجه من جهة چشمه سبز ، على ما قد بينا • ونهر بشتقروش ، وكلهاها يفيض فى الربيع ، على قول المستوفى ، ويلتقى مع شوره رود • ثم هنالك نهر يقال له عطشاباد • أى نهر العطش ، وهذا النهر ، وان كان مأؤه فى الربيع كافيا لادارة عشرين رحى فى مدى عشرين فرسخا من مجراه ، فإنه فى الفصول الاخرى لا يبقى فيه من الماء ما يروى عطش انسان ، ومن ذلك جاء اسمه المشؤوم (٦) .

والى جنوب شرقى نيسابور ، ينقسم طريق خراسان العظيم ، عند مرحلة عرفها العرب باسم قصر الرياح ، والفرس باسم دزباد أو دهباد • وقد مر بنا آنفا ذكر نهريها بين الانهار التى تصب فى نهر شوره • ومنها كان طريق مرو يتجه شرقا ، وطريق هراذ يدور الى الجنوب الشرقى • وعند هذه الاخيرة ، وعلى مرحلتين من ده باد ، كانت قرية فرهادان ، وهى التى سماها ياقوت فرهاذ جرد • وأطلق المقدسى على تليحتها التى كانت تمد من أعمال نيسابور ، اسم أشفند ، وكتب ابن رسته اسمها بصورة أشبند ، وكتبه ياقوت : أشفند ، وزاد على ذلك ان بها ثلاثا وثمانين قرية • والظاهر ، ان اسم التاحية القديم قد ضاع اليوم ، ولكن القرية التى يقال لها فراجرد (عوضا عن فرهاذ جرد القديم) ما زالت يؤشر عنها فى الخواطر فى الموضع الذى ذكرته كتب المسالك (٧) .

ومدينة المشهد - أو مشهد الامام - فى الجهة الشرقية من نيسابور ، وتفصلها عنها سلسلة الجبال التى فيها مخارج أكثر أنهار سهل نيسابور • وهى اليوم

(٦) ابن رسته ١٧١ : المقدسى ٣٠٠ و ٣١٦ و ٣١٧ : ياقوت ١ : ٦٣٠ : ٣ : ٢٢٨ - ٢٢١ :

٤ : ٢٩١ و ٨٥٧ و ٨٥٨ : ابن بطوطة ٣ : ٨٠ و ٨١ : المستوفى ١٨٥ و ٢٠٦ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢٦ : جهان نما ٢٣٨ ، وراجع G.E. Yâse فى كتابه خراسان وسيستان ص ٢٥١ و ٢٥٢ عن بحيرة چشمه سبز ومفازة الرياح • وهما ما زالتا مشهورتين فى خراسان •

(٧) ابن رسته ١٧١ : المقدسى ٣٠٠ و ٣١٩ : ياقوت ١ : ٢٨٠ : ٣ : ٨٨٧ : المستوفى ١٩٦

قاعدة القسم الايراني من خراسان . وعلى بضعة أميال من شمال المشهد ، أطلال طوس المدينة القديمة^(٨) . وكانت طوس في المئة الرابعة (العاشرة) المدينة الثانية في ربح نيسابور من أدياع خراسان . وتتألف من المدينتين التوأمين الطابيران و نوقان . وعلى مرحلتى يريد عنها : البستان العظيم في قرية سناياذ ، حيث قبر الخليفة هرون الرشيد وقد توفى فيها سنة ١٩٣ (٨٠٩) وقبر الامام الثامن علي الرضا وقد مات من سم دسه له المأمون^(٩) سنة ٢٠٢ (٨١٧) ، وكان يقال لقرية سناياذ هذه : برذعة أيضا ، وتسمى كذلك المثقب^(١٠) . ويظن ان هذه التسمية جاءت من الكوى التي في الضريح أو من سبب وهمى آخر .

وكانت نوقان في المئة الثالثة (التاسعة) ، على ما ذكر البيهقي ، أكبر نصفي طوس ، الا ان الطابيران قد جاوزتها كثيرا في المئة التالية لها ، وبقيت المدينة الكبرى حتى أيام ياقوت ، حين أخربت جحافل المتول طوس . وكانت نوقان مشهورة بصنع البرام التي تحمل منها الى سائر البلدان ، ويستخرج من جبالها معدن الذهب والفضة والنحاس والحديد . وبالقرب من طوس أيضا : الفيروزج ، وحجر يقال له الضمان والدمنج ، وكانت هذه المعادن تجلب الى أسواق نوقان للبيع . وهذا القسم من طوس مأوى قليل . وكان الحصن المجاور للطابيران بناء ضخما عظيما يرى من بعيد ، على قول المقدسي . وأسواق هذا النصف من المدينة عامرة وجامعها حسن البناء بديع التزيين . وكان على القبرين في سناياذ ، في المئة الرابعة (العاشرة) ، حصن حصين منيع ، وفيه قوم متكفون ، على ما ذكر ابن حوقل . وقال المقدسي : ان الامير عميد الدولة قائما ، بنى على قبر الامام علي الرضا ، مسجدا

(٨) نشر السيد محمد مهدي الطولي رسالة له « تاريخ طوس » طبع في بغداد . (م) .

(٩) راجع هذا الموضوع في كتاب « الامام علي الرضا » لعبد القادر احمد اليوسفي : (بغداد ١٩٤٧ : ص ١٠٠ - ١١٠) . (م) .

(١٠) أطلق اسم المثقب على حصون مختلفة ، احدها قرب الميضية (Mopsuestia) وقد مر ذكرها في الفصل التاسع صفحة ١٦٢ . ولم يفسر أصل تسميتها برذعة . اما نوقان وبلغلج نوكان فهو ما زال اسم المحلة الشمالية الشرقية وبها في « المشهد » الحديثة وبها المؤدى الى نوقان في طوس وما زال ما سناياذ اليوم يسمى القسم الشمال الغربي من المشهد .

ابن دسنة ١٧٢ : ابن خردادبه ٢٤ : ياقوت ٤ : ٤١٤ : C. E. Yate في كتاب خراسان وسيستان . ص ٣١٦ و ٣١٧ .

« ما يخرسان أحسن منه » وبني قبر هرون الرشيد بجانب ضريح الامام • وقامت
فى أرض البستان الكبيرة دور كثيرة وسوق •

ولم يزد يافوت فى وصفه مدينة طوس شيئا على ما مر ذكره • غير انه ذكر
ان من أشهر القبور فى الطابيران : قبر الفقيه السني العظيم الامام الغزالي^(١١)
المتوفى سنة ٥٥٥ (١١١١) وقد عاش فى بغداد بضع سنين مدرسا فى المدرسة
النظامية • وكان اسم طوس حين كتب يافوت فى المئة السابعة (الثالثة عشرة)
يدل فى الغالب على ناحيتها • وكان بها أكثر من ألف قرية • على ان هذه البلاد •
وبضمنها مدينتا طوس والقبران فى سنا باز (المشهد) • قد خربت وانهتها جحافل
المغول فى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) • والظاهر ان طوس لم تقم لها قائمة بعد نهب
المغول لها • ولكن القبرين المحاورين لها • نالا عناية الاترياء من الشيعة فاستعادا
بهاهما السابق • فكان المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) من أوائل من أشار
الى قرية سنا باز مسمايا اياها « المشهد » • وهو الاسم الذى عرفت به منذ ذلك الحين •

وقال القزويني فى قبري الخليفة والامام • ان الرشيد فى القبر الذى يعرفه
الناس للرضا • والرضا فى القبر الذى يعرفه الناس للرشيد • وذلك من تدبير
المامون (وهو ابن هرون الرشيد الذى دس السم لملي الرضا) • والقبران
متقاربان فى قبة واحدة • وأهل تلك القرية شعبة • بالقوا فى تزيين القبر الذى
اعتقدوا انه للرضا وهو للرشيد • ولما كتب المستوفى • صارت المشهد مدينة عظيمة
حولها قبور عديدة مع قباب مشهورة كثيرة منها قبر الغزالي وقد مر ذكره الآن
وهو فى شرق قبة الضريحين • وهناك أيضا قبر الفردوسى الشاعر المشهور •
وحول المدينة أرض سهلة خصبة يقال لها مرغزار تكان • طولها اثنا عشر
فرسخا وعرضها خمسة • بكثر فيها السب والتين • وأهل ناحية طوس • على ما
ذكر المستوفى • من أحسن الناس أخلاقا وألطفهم مع الغرباء •

وانتهى إلينا من ابن بطوطة • وقد زار مشهد الامام الرضا بعد ذلك بضع

(١١) وفى بغداد اليوم فى الجانب الشرقى قرب محلة باب التنبخ قبر منسوب الى الغزالي المذكور
ولا يصح ذلك أبدا • (الدكتور مصطفى جواد)

سني ، وصف حسن للضريح ، قال : مدينة كبيرة ضخمة عامرة الاسواق وحولها
جبال ، وعلى المشهد قبة عظيمة ، وتجاوره مدرسة ، وهذه الابنية قد زوقت جدرانها
بالقاشاني ، وعلى قبر الامام ، دكانة خشب ، ملبسة بصفايح الفضة ، وعليه ناديل
فضة مملقة . وعشة باب القبة فضة . وعلى بابها ستر حرير مذهب ، وهي
مبسولة بأنواع البسط . واذا هذا القبر ، قبر الخليفة ، وعليه دكانة خشب ،
يضعون عليها التعمدانات . واذا دخل الشيعة للزيارة ركل قبر هرون الرشيد
برجله وسلم على قبر الامام الرضا . وقد تبه الى فخامة ضريح الامام وجلاله ،
السفير الاسباني كلافيخو Clavijo الذي زار بلاط تيمور في سنة ٨٠٨
(١٤٠٥) فقد مر في طريقه بالمشهد ، وما يذكر ان النصاري في تلك الايام
كان يسوخ لهم دخول المشهد ، فلم يكن الشيعة الفرس على ما هم عليه اليوم من
تعصب في هذا الامر (١٢) .

وعلى مسيرة أربعة أيام من غرب تيشابور في رستاق يهق ، مدينتا سبزوار
وخسروجرد ، وبينهما فرسخ . وسبزوار أكبرهما ، وكانت تسمى هي نفسها
في المصور الوسطى يهق . ورستاق يهق يمتد الى آخر حدود ريوند ،
وقطره خمسة وعشرون فرسخا من كل جهة . وبه ، على ما قال ياقوت ٣٣١ قرية ،
وزاد على ذلك ان اصل يهق بالفارسية بهه أى بهان ومعناه الأجود .
وأشار ياقوت أيضا الى أن سبزوار أصح تسمية للمدينة ، وان قالت العامة
سبزوار . وقد كانت خسروجرد في الاصل قصبة الرستاق ، ولكن سبزوار قد
حجبتها في أيامه وصارت في مكانها . وقال المستوفي ان أسواق هذه المدينة كانت

(١٢) يلفظ الفرس اليوم ، اسم الامام الرضا ، بصورة وزا .

اليقوتى ٢٧٧ : الامستخرى ٢٥٧ و ٢٥٨ : ابن حوقل ٣١٢ : المقدسي ٣١٩ و ٣٢٣ و ٣٥٢ .
ياقوت ٣ : ١٥٤ و ٤٨٦ و ٥٦٠ و ٥٦١ : ٤ : ٨٢٤ : القزويني ٢ : ٣٦٢ : المستوفى ١٨٦ : ابن
بطوطه ٣ - ٧٧ - ٧٩ Narrative of the Embassy of Ruy Gonzalez de Clavijo
من ١٢٠ (Hakluyt Society) جاء فيها : « ذهب السفراء لمساعدة الجاهل ، ثم لا سمحهم
الناس في بلدان أخرى يتعمدون عن زيارتهم هذا الضريح ، وبلوا ليأيهم فالتفت اليهم كانوا قرب مشهد
خراسان المقدس » .

ذات سقوف من الخشب تقوم على طيقان متينة البناء • وتكثر في هذا الرستاق
الاعتاب والفواكه الاخرى • وكان جلّ أهله من الشيعة في المئة الثامنة (الرابعة
عشرة) (١٣) •

وقد كان يصل بين بسطام (في اقليم قورس) ونيسابور : طريقان ، أقصرهما
طريق البريد ، وكان في محاذاة شفير المفازة ويشق سزوار • وأطولهما طريق
التوافل وهو في الشمال ، وبدور في هضبة جوين التي يفصلها عن المفازة
الكبرى سلسلة من الجبال • وكان رستاق جوين هذا ، وهو ما قد سماه المقدسي
گويان ، رستاقا واسعا كثير الخير ، واسم مدينته : أزاوار أو آزادوار • وكان
رستاق اسفرايين في شماليه • وفي الطرف الغربي على حد قورس كان رستاق
أرغيان ، حول جاجرم • وكان من أعمال آزادوار نحو من مئتي قرية ، على قول
ياقوت • وأزاوار ، على وصفه ، كانت مدينة عامرة بها مساجد حسنة ،
ويظهرها عند الباب خان كبير للتجار • وأسواقها زاخرة بالتجارات • وكانت
بساتين قراها متصلة حتى الوادي • وسقيها من قنّ تأخذ مائها من عيون في
الجبال الجنوبية • وفي المئة الثامنة (الرابعة عشرة) انتقلت قصبة رستاق
جوين ، على ما ذكر المستوفى ، الى فريومد ، وهي على بضعة أميال جنوب
ازاد وار • وكانت خداشة ، وهي على مرحلة شرق آزاد وار في طريق
التوافل ، موضعا ذا شأن حيث قُتل في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حاجي
برلاس عم تيمور ، حسبما ذكر علي البرزدي في تاريخه (١٤) •

أما مدينة جاجرم ، ويقال لها أيضا أرغيان ، وهو اسم ناحيتها بوجه خاص ،
فان المقدسي قال فيها جامع حسن وكانت محصنة ومن أعمالها سبعون قرية •
ووصف ياقوت مدن مسلقان أو سمنقان الثلاث وقال انها شرق جاجرم ، وهي

(١٣) المقدسي ٣١٧ و ٣١٨ ؛ ياقوت ١ : ٨٠٤ ؛ ٢ : ٤٤١ ؛ المستوفى ١٨٦ • وللإطلاع على
اطلال يهتي ، انظر : G.E. Yate في كتاب حراسان وسيستان - ص ٣٩٨ •
(١٤) المقدسي ٣١٨ ؛ ياقوت ١ : ٢٣٠ - ٢ : ١٦٥ ؛ المستوفى ١٨٦ و ١٩٦ ؛ علي البرزدي
٥٨ : ١ •

وقد يلبس بين اسم خداشة ، وهي على أربعة فراسخ من شرق آزادوار ، وخراسه ، وهي على نحو
المسافة نفسها شمال آزاد وار ، لأن هذين الاسمين تكادان يتشابهان في كتابتهما بالعربية •

راونير (أو راونسر) وبان وهما فى رستاق أرغيان أو جاجرم ، ولم يبين موضعيهما ، وذكر أيضا : سبنج أو اسفنج ، وهى ما زالت قائمة فى جنوب غربى جاجرم على طريق بسطام . وقد سعى المستوفى هذا الموضع رباط سونج . ووصف المستوفى جاجرم بأنها مدينة لا بالكيرة ولا بالصغيرة ولا يمكن لائى جيش أن يهاجمها . لكونها وسط برية تحيط بها مسيرة يوم من كل جهة يكسوها عشب سام يفتك بالماشية ، ولكن قد كان عند قاعدة قلعتها ، شجرتان من الجنار من مضغ شيئا من لحائها فى صباح الاربعاء شفى من وجع الاسنان . وزاد المستوفى على ذلك ان هذا اللحاء كان يحمل الى سائر البلدان . وكان رستاقها كثير الخير ، فيه الفواكه والقمح . ونهر جاجرم ، وكان يجرى نحو الجنوب وينتهى بالمقازة ، قد سماه المستوفى جشان رود ، ومخرجه من ثلاثة ينابيع كل منها يدبر رعى . وبعد ان يجتمع ماؤها ، يجرى مسافة اثني عشر فرسخا أو أكثر . وهذا الماء كان يستعمل أكثر للسكر (١) .

وسهل أسفرايين العظيم ، قد قال المقدسى فيه ان به مزارع الارزاز الكثيرة والاعناب . ومدينته على اسمه ، عامرة ذات أسواق حسنة . وذكر ياقوت ان مدينة اسفرايين كان يقال لها قديما مهرجان ، وقد كان هذا الاسم حين كتب فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) ما زال اسما للقرية قرب المدينة الخرية . ومن أعمالها إحدى وخمسون قرية . واسم اسفرايين على ما قال ياقوت ، أصله من اسرايين ، وأسر بالفارسية هو الترس ، واين هو العادة . فكأنهم عرفوا قديما بحمل التراس ، فسميت مدينتهم بذلك . وروى المستوفى انه كان فى جامع اسفرايين وعاء عظيم من النحاس لم ير أعظم منه ، فان محيط حافته الخارجة كان اثنتى عشرة ذراعا . وكان فى شمال المدينة قلعة زر ، أى قلعة الذهب . وماء البلدة من نهر يمر من أسفل التل الذى عليه القلعة . وكانت تكثر فى

(١٥) المقدسى : ٣١٨ : ياقوت : ٢٠٦ و ٢٤٦ و ٤٨٥ : ٤٠ : ٧٤٢ و ٣٠ : ١٤٥ و المستوفى : ١٨٦ و ١٩٦ و ٢٢٠ .

ومتافها أشجار الجوز • وهاؤها رطب ويكثر فيها الاعناب والقمح^(١٦) •
وفي المستنقعات التي يخرج منها نهر أترك فيجري الى الغرب ، ثم ينطف
باتجاه معاكس لمجرأ الاول ، أى الى الشرق ، ويخرج أيضا نهر المشهد : تقوم مدينة
كوجان • وكان يقال لها فى المصور الوسطى خيوشان أو خوجان • وقد سمي
البلاديون العرب رستاقها أستوا وأطروا خصوبة أرضه ، ويقال ان مضى اسمها
« الأرض المشرقة »^(١٧) . وكان يلى أبتوا من الشرق ، رستاق نسا • قال ياقوت
ان اسم قصبه كان يلفظ فى أيامه خوشان ويشتمل على ثلاث وتسعين قرية •
وجاء اسمها فى جهان نما بصورة خوجان • وذكر المستوفى انه وان كان اسم استوا
ما زال يشار به الى الرستاق فى السجلات المالية ، فانه لم يكن شائعا فى أيامه •
وأطرى خصوبة أرضه وزاد على ذلك ان هولاءكو خان المشولى قد أعاد بناء خيوشان
فى الثلثة السابعة (الثالثة عشرة) ثم وسّع حقيقه أرغون ، من ايلخاني فارس ، مدينة
هذه المدينة كثيرا • وفى نحو من نصف الطريق بين خيوشان وطوس ، مدينة
راذگان • ذكرها ابن حوقل ووصفها ياقوت بقوله : بليدة ، يقال ان منها نظام الملك
وزير ملكشاه السلجوقي^(١٨) •

ورستاق نسا أو نسا المشهور ، هو الوادى العريض المعروف اليوم بـ
« دره گز » ، أى وادى المن وقد وصف ابن حوقل مدينة نسا بانها فى الكبر
نحو سرخس ، ومياهها جارية ، مخرجها فى الجبال المجاورة • وامتدح المقدسى
جامعها الطريف وسوقها العامرة وقال « أقل دار ، الا وبها بستان وماء جار » •
وبها قرى كبار تنتشر حولها فى الوادى • أما ياقوت فقد قال فى نسا « هى

(١٦) المقدسى ٣١٨ ، ياقوت ١ : ٢٤٦ ؛ المستوفى ١٨٦ •
ولعل مدينة اسفرايين القديمة (وما زال السهل هناك يعرف باسمها) تطابق الخراب المعروفة
بشهر بلبس • انظر C.E. Yate فى كتاب غراسان وسيستان - ص ٢٧٨ و ٢٧٩ •
(١٧) جاء فى معجم البلدان (١ : ٢٤٣) : « استوا ... مهاد بلسانهم المصنوع والمفردة » (م) •
(١٨) ابن حوقل ٣١٣ ؛ المقدسى ٣١٨ و ٣١٩ ؛ ياقوت ١ : ٢٤٣ : ٢ : ٤٠٠ و ٤٨٧ و ٧٢٠ ؛
المستوفى ١٨٦ ؛ جهان نما ٣٢٣ •
لقد بنيت مدينة بخترد (بسم الباء والنون ، وسكون الجيم والراء) الحالية ، وهى فى شمال
اسفرايين ، على مستين ميلا شمال غربى كوجان ، منذ قرنين • ولتكن بالقرب منها مدينة لندية يقال
لها بزمهان وهى ما زالت قائمة • ويقال لقلعتها الخربة ، القلعة • انظر C.E. Yate فى كتاب
غراسان وسيستان ص ١٩٥ و ١٩٦ ؛ وسايكس فى Persia ص ٢٢ •

مدينة وبشة جدا يكثر بها خروج العرق المديني^(١٩) حتى ان في الصيف قل من ينجو منه من أهلها ، وذكر القزويني ، ان نسا كان يقال لها شهر فيروز ، لأن فيروز الملك الفارسي القديم قد بناها على ما يقال^(٢٠) .

والى شرق نسا ، في ما وراء الجبل ، وعلى حافة مفازة مرو : كانت أبيسورد ويلفظ هذا الاسم أحيانا باورد . قال المقدسي : ابورد أعجب اليّ من نسا وأحر سوقا وأرخص وأخصب ، والجامع بالسوق " . وأطرى المستوفي فواكهها . وقال ان الرباط في كوفن تابع لأبيورد ، وهو في قرية على ستة فراسخ منها . بنى هذا الرباط عبدالله بن طاهر في المئة الثالثة (التاسعة) ، وكان له اربعة أبواب ، وفي وسطه جامع . وكان يقال لرستاق أبيسورد : خايران ، أو خاوران . وقصته مهتة أو متهتة . وذكر ياقوت مواضع أخرى مهمة في هذا الرستاق ، منها أزجاء وباذن وخرو الجبل وشوكان ، الا ان ميهنة كانت خرابا حين كتب . وفي المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تكلم المستوفي على بساتين رستاق خاوران الكثيرة الحسنة - وجاء فيه الاسم بصورة خوردان أيضا - وقال ان في قصبتها كان يعيش الشاعر أنوري ، من أهل المئة السادسة (الثانية عشرة) مادم السلطان سنجر السلجوقي^(٢١) .

وفي الجبال ، في نحو من نصف الطريق بين أبيورد ومهنة ، تقوم القلعة الطبيعية الهائلة المعروفة اليوم بـ " كلات نادر " ، نسبة الى نادرشاه ملك بلاد

(١٩) العرق المديني واسمه بالانكليزية Guinea-worm واسمه بالسنس Filaria Medinensis دودة بالغة ، الالتي منها طفيلية تصت جلد الانسان في الهند وغرب آسية الجنوبي والبرية المعارة وبعض جهات من اميركا . وقد يبلغ طول الدودة سنت اقدم . ريشيها يتكون خراج في جلد القوي المصاب بها . وتخرج منه لولادة آلاف من الالعة الصغيرة . ولد تكلم عليه ابن مينا . (راجع : معجم شرق - الطبعة الثانية القاهرة ١٩٢٨ ، ص ٢٤٨) (م) .

(٢٠) الاسطخري ٢٧٣ : ابن حوقل ٣٢٤ : المقدسي ٣٢٠ : ياقوت ٤ : ٧٧٦ : القزويني ٢ : ٣١١ .
ولعل مدينة نسا تطابق معده اباد الحديثة ، اكبر مدن دود كز .

(٢١) المقدسي ٣٢١ و ٢٧٣ : ياقوت ١ : ١١١ و ٢٢٢ و ٤٦٢ : ٧ : ٢٨٣ و ٣٩٥ و ٤٢٨ : ٣ : ٣٢٧ و ٤ : ٣٢١ و ٧٢٣ : المستوفي ١٨٩ : علي اليزدي ١ : ٢٨٢ : سنان نسا ٣١٨ .
واسم خاوران جاء من خورردان - يفتح اوله وسكون ثانيه - القديم ومعناه البلاد القريبة (مقابل : خراسان أو البلاد القريبة) ، الذي كان يطلق قديما على بلاد فارس القريبة ما لم يكن بعد حينذاك من خراسان (أي من البلاد القريبة) .

فارس المشهور في المئة الثامنة عشرة للميلاد الذي أخفى كنوزه فيها . والظاهر ان هذا العقل الحصين لم تذكره كتب المسالك ولم ينو به البلدانيون العرب في المئين الثالثة والرابعة (التاسعة والعاشر) ولم يتنبه اليه ياقوت وأقدم ذكر انتهى اليها عن كلات ، جاء به العتي في كتابه تاريخ محمود الغزنوي . فقد ذكر عرضاً ان أميراً من الأمراء ذهب من نيشابور الى كلات ، وتكسب بالعربية بصورة قلعة . وقد أوجز المستوفي وأفاد في صفة هذا الموضع وقال ان أهم مدنه يقال لها جرم ومرينان ، وان كلات بها ماء وافر وأرضها زراعية وفي نواحيها كثير من القرى . وأول اشتهاؤها في التاريخ جاء من حصار تيمور لقلعتها في ختام المئة الثالثة (الرابعة عشرة) وبعد ان سقطت بيده ، أمر بإعادة بناء حصونها وتمكين بنائها (٢٢) .

وتقدم مدينة سرخس في أقصر طريق من طوس الى مرو الكبرى ، على ضفة نهر المشهد اليمنى أى الشرقية ، ويقال له اليوم تجسند . والظاهر ، ان هذا النهر لم يذكره بلدانيو القرون الوسطى . ومخرجه ، على ما قد مرّ بيانه ، في المناقع القريبة من كوجان . وهو يجري أولاً نحو الجنوب الشرقي ماراً بالشهد . فإذا ما جاوزها مسافة تقرب من مئة ميل ، استقبل من الجنوب رافداً كبيراً هو نهر هرات . ثم يتجه نحو الشمال فجري الى سرخس . وعلى مسافة قليلة من شمال ذلك ، عند خط طول ابورد ، تتوزع مياهه ثم تنفي في دمال المغازة عند موضع يقال له الـاجمة حيث تكثر أشجار الطرفاء . ولم ينو الاصطخري وابن حوقل بنهر تجسند هذا الا بقولهما انه نهر ، من فضل مياه هرات . وقال ابن رسته ، وقد كان رأي في هذا النهر رأى من ذكرناه ، اذا صار نهر هرات (أى القسم الأسفل من تجند) على فرسخين من سرخس ، اشعب منه نهـر

(٢٢) العتي : كتاب البيهقي . المجلد العربي (الماهرة سنة ١٢٨٦ هـ) . ١٠ : ٢١٥ . القن المارسي (طهران ١٢٧٢ هـ) ص ١٥١ : للمستوفي ١٨٧ . على اليزدي ١ : ٣٢٤ و ٣٢٧ : جهان تما ٣٢٣ .

كلات بالمأرسية ترادف تلك بالمأرسية . ويراد بها « مدينة » وهي بالعربية « قلعة » . قد زاد كلات نادر ، كولونيل ماك كريكتر Mac Gregor في سنة ١٨٧٥ بوصفها بلدة في كتابه (Journey Through Khurasan) (الجزء الثاني ص ٥١) .

الى هذه المدينة ، واشعبت أيضا انهار كثيرة تسقى رستاق سرخس ، أهمها نهر يعرف بـ « خُشْكِرُود » (أى النهر الجاف) وعليه قنطرة حجارة عظيمة . ولكن فى أكثر أيام السنة ، لا يدوم الماء فى النهر ، حتى عند سرخس .

وكانت سرخس فى المئة الرابعة (العاشرة) ، مدينة عظيمة نحو من نصف مرو ، صالحة التربة والهواء ، وتكثر فى مراعيها الجبال والأغنام ، ولو ان ما يزرع من أراضيها محدود المساحة لفلة ماثها . وقال المقدسى ان فيها جامعا وأسواقا حسنة ولها بساتين كثيرة فى أراضيها . وقال القزوينى ان سرخس مدينة كبيرة أهلة ، ولاهلها يد باسطة فى عمل المصائب والمقانع المنقوشة بالذهب ، منها تحمل الى سائر الآفاق . وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وصف المستوفى أسوار سرخس وقال ان دورها خمسة آلاف خطوة ، وعليها قلعة حصينة ، وشربهم من نهر يأتى من طوس وهرات (ولم يذكر اسم تجند) . وهو نهر حسن ، ماؤه يساعد على الهضم ، وكان يسقى مزارع سرخس التى يكثر فيها البطيخ والنب (٢٣) .

(٢٣) ابن رسته ١٧٣ ؛ الاستطرى ٢٧٢ ؛ ابن حوقل ٣٣٣ و ٣٣٤ ؛ المقدسى ٣١٢ و ٣١٣ ؛
القزوينى ٢ : ٣٦١ ؛ المستوفى ١٨٩ .
تقوم سرخس الحديثة على الضفة الغربية لنهر تجند .

الفصل الثامن والعشرون

خراسان «تابع»

ربع مرو - نهر مرغاب - مرو الكبرى وقراها -
أهل وزم على جيحون - مرو الرود أو
مرو الصغرى وقصر احنف .

يمتد ثانی أرباع خراسان ، وهو ربع مرو ، على نهر مرغاب أى نهر مرو •
وينحدر هذا النهر من جبال القور فى شمال شرقى هراة ، ثم يمر بمرو الصغرى
ويدور منها شمالا الى مرو الكبرى ، حيث تنسحب منه جملة أنهار ، ثم يفتى مأوؤه
فى رمال مفازة الفز ، وهى فى نحو من خط طول سباخ نهر تجند أى نهر هراة ،
ولكنها تبعد نحو من ميلا عن شرق هذا النهر •

وما خلا المدن المختلفة المنتشرة على نهر مرغاب ، فإن ربع مرو ، يشتمل أيضا
على المواضع القائمة على طريق خراسان العظيم ، مما لى مرو الى الشمال الشرقى
من نهر جيحون عند آمل ، حيث ممر الطريق الى بخارا •

واسم مرغاب ، أو مرغاب ، أصله على ما ذكر ابن حوقل ، مرو آب (أى
ماء مرو) الا ان الاصطخرى قال ان مرغاب اسم موضع ينبع فيه هذا النهر •
وسمى المقدسى نهر مرغاب نهر المزدكى ، وقال هو : يمد الى مرو اللبلا (أى
الصغرى) ثم يعطف الى السفلى (أى مرو الكبرى) ، فاذا صار من مرو الكبرى
على نحو من مرحلة ثم يمد قاعه من الجانبين بالحطب فتنجس بذلك الماء وامتدح

..

مجرأ عن أن يتحول • وكان على هذا السد فى المة الرابعة (العاشرة) أمير
لحمائه تحت يده عشرة آلاف رجل ، وعليه حراس يحفظونه لئلا ينشق • ولا
ترى أحسن ولا أتمن من قسمته • • وقد أقيم لوح على السد لقياس علو الماء
وقت الفيضان • • وربما علا الماء فبلغ طوله فى اللوح ستين شميرة ، ويستبشر
الناس بذلك ، وإذا كانت ست شعيرات ، كانت سنة قحط • •

وعلى فرسخ من جنوب مدينة مرو الكبرى ، أقيم فى النهر سد شبه حوض
عظيم مستدير ، منه تخرج أربعة أنهار الى محلات وارياض المدينة المختلفة • وقد
أقيم فى الحوض أبواب ومقاسم تضبط علو الماء فى الحوض • وينتجج الناس حين
يصل الفيضان حدا عاليا ، فتفتح السدود المختلفة ويوزع الماء على الأنهار • قدر
الحاجة • • وأسماء هذه الأنهار الاربعة ، المادة الى المدينة ، على ولاء ، هى :
نهر هرمز فرته ويجرى غربا • وفى شرقه نهر الماجان ، ثم نهر الزرق أو
الرزيق ، وآخرها نهر أسمدى • ويبدو ان عمود نهر مرغاب هو نهر الماجان أحد
هذه الأنهار الاربعة • وهو بعد أن يشق البلد ويتخلل أرياضها ، وعليه هناك
جسور ، يخرج الى المفازة فيوالى جريه حتى تضيق مياحه فى السبخة • وذكر
ياقوت فى المة السابعة (الثالثة عشرة) ان نهر مرغاب كان يعرف فى أيامه بنهر
رزيق (ولعله يطابق النهر المذكور أعلاه) وقال ان هذا الاسم كثيرا ما أخطأوا فيه
فقالوا : زريق • وهناك صورة ثالثة سماها كتاب جهان نما وهى زريق • وجاءت
هذه الاسماء فى المستوفى أيضا ، وقد ذكر ان مرغاب هى التسمية الشائعة فى أيامه •
وما زال هذا النهر الكبير معروفا بهذا الاسم حتى اليوم^(١) •

وكانت مرو الكبرى تعرف فى المصور الوسطى بمرو الشاهجان تميزا لها
عن مرو الروذ وهى مرو الصغرى • ولعل الشاهجان ليس الا الصيغة العربية لـ
» شاهجان » الفارسية القديمة ، ومناها » السلطاني » أو » يخص السلطان » •

(١) الاستغفرى ٢٦١ و ٢٦١ : ابن سفل ٣٦٥ : القيسى ٣٣٠ و ٣٣١ : ياقوت ٢ ٧٧٧ :
المستوفى ٢١٤ ، جهان نما ٣٢٨ •
والملحق سالف أبرز على المرفوع الذى تلقى فيه مياه مرغاب بين الرمال اسم مايايب • راجع سالف
٢٢ ب • وانظر الفارطة ١٠ أمام الفصل الثانى والثلاثين للتطالع على ما حوله مرور من عند •
ويخمن ان ستين شميرة تعادل ذراعاً •

أما ياقوت الحموي وغيره فقالوا إن الشاهجان مئاء « نفس السلطان » ، و مرو ، على ما وصفها الاصطخرى وابن حوقل والمقدسي ، تألف من قلعة داخلية (قهندز) ، والقهندز مرتفع ، ومقداره مقدار مدينة ، حوله المدينة الداخلية ، ولها أربعة أبواب ، ويلها أرباض واسعة تمتد على خفاف الانهار الكبيرة . والابواب الأربعة للمدينة الداخلية : باب المدينة (في الجنوب الغربي) ، واليه ينتهي طريق سرخس . وباب منجان (في الجنوب الشرقي) ، ويفض الى ريش . بنى ماهان ونهر أسعدى . وباب درمسكان (في الشمال الشرقي) ، ومنه يخرج الى ما وراء النهر . والباب الرابع يعرف باب بالين (في الشمال الغربي) . وكان في مرو في المئة الرابعة (الماشرة) ثلاثة مساجد جامعة : أولها مسجد القلعة ، ويقال له مسجد بنى ماهان . ثم المسجد المتيق ، وكان على باب المدينة المغضى الى سرخس . والمسجد الثالث هو المسجد الجديد في ريش ماجان في خارج باب ماجان ، جنب الاسواق الكبرى في مرو .

ونهر رزق يدخل المدينة من باب يقال له باب المدينة ثم يدخل المسجد المتيق ، فتتفرق مياهه في حياض لشرب أهل المحلة . ويجرى نهر ماجان في غربه . وهو يستقى ريش ماجان الكبير ، وكان حول الميدان ، وفي الميدان المسجد الجديد ودار الامارة والحبس ، وهي من بناء أبي مسلم (الخراساني) أكبر دعة . العباسيين ، وكان له الفضل الأول في تبليهم الخلافة ، على ما في التاريخ . وفي دار الامارة ، قبة من الحجر سمتها خمسة وخمسون ذراعاً على ما ذكر الاصطخرى ، وعندها « صبح أول سواد ولبسته المسوودة » واتخذ السواد شعاراً للدولة الجديدة .

وفي غرب نهر ماجان ، على ما بيننا ، نهر هرمز فرء ، وكان في نهاية أرباض مرو . وعلى ضفافه أبنية وبيوت كثيرة وعليه بنايات حسين الطاهري ، وكان قد نقل كثيراً من الاسواق الى هذا الربع . وتكلم ياقوت بعد ذلك بزمان على ريش ماجان الغربي العظيم وذكر دريين من دروبه هما الدرب المعروف بـ « برادجان » (عوضاً عن برادرجان) أي « نفس الاخ » في ماجان الاعلى . ودرب تخاران به . ثم

يصل نهر هرمز فره الى بلدة بهذا الاسم قرب سبانخ نهر مرغاب، فيها جامع . وكان على فرسخ من هرمز فره بلدة باشان ، فيها أيضا مسجد جامع . وفي هذا الجانب من مرو بلدة خرق (أو خره) وبلدة السوسنتان^(٢) ، وبينهما فرسخ . وكان في كل واحدة منهما مسجد جامع .

وعلى مرحلة من غرب مرو ، مدينة يقال لها سنج^(٣) (وكتبها المقدسي : سنك) . وفيها مسجد جامع حسن على نهر وبها بساتين كثيرة . وبليها على مرحلتين من جنوب غربى مرو ، فى الطريق الى سرخس ، مدينة الدمدانقان . وكانت مدينة صغيرة محصنة لها باب واحد وحمامات فى ظاهر سورها . ورأى ياقوت خرابها فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) فان الانراك النزية خربوها فى سنة ٥٥٣ (١١٥٨) . وعندها تنهى مزارع مرو فى الجنوب الغربى . أما كشميهن ، وهى على مرحلة من مرو فى طريق بخارا آخر حد الزراعة من الشمال الشرقى . وكانت كشميهن أو كشماهن مشهورة ، على ما ذكر اليعقوبى ، بالزيب الكشماهنى . وفيها مسجد جامع حسن وأسواق عامرة ويسقىها نهر عظيم وفيها كثير من الخانات والحمامات . وتكثر فى بساتينها الفاكهة . وفى ظاهر باب درمستان من أبواب مرو ، وكان يفضى الى بلدة كشميهن ، قصر المأمون وفيه عاش أيام مقامه بمرو ، حتى أفضت اليه الخلافة بعد أخيه الأمين ، فانتقل الى بغداد . وكان باب مرو الجنوبي الشرقى ، وهو باب سنجان ، يفضى الى نهر أسمدى ، وعليه كانت دور بنى ماهان (أو ميرماهان) وقصر مرزبان مرو وهو حامى السباخ الفارسى . ومن هذا الباب ، كان الطريق يذهب الى نهر مرغاب بالقرنين الى مرو الروذ . وعلى ستة فراسخ من المدينة فى اتجاهه هذا ، كانت مدينة جيرنج (وهى كيرك فى المقدسي) على ضفة النهر . وعلى فرسخ مما يليها زرق . وبينها الطاحونة التى اختفى فيها يزدرجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين وقتله الطحان طمعا بكنوزه . وكان فى قرية زرق هذه ، على

(٢) ذكرتها المراجع البلخارية بصورة « سوسكان » و « السوسكان » بحرف الراء الاول - (م) .

(٣) قال ياقوت (معجم البلدان ٣ : ١٦١) : سنج قريتان بمرو . احداهما يقال لها سنج عباد (ينتج اللبن وتشد يد الباء) ، والثانية من اعظم قرى مرو الشامخيان . ولم يذكر المؤلف فى كلامه اعلاه سوى الاول لم الثانية (م) .

ما ذكر ابن حوقل ، مقسم ماء نهر مرغاب ، فتخرج منه أنهار تسقى البساتين حول مرو^(٤) . وكانت هذه البساتين مشهورة بجودة بليطها ، وفي مغازتها يكون الاشتراخ^(٥) الذى يحمل الى نواح أخرى من خراسان . ويرتفع من مرو : الايريسم والقر الكبير والثياب المروية المشهورة^(٦) .

وفى النصف الثانى من المثة الرابعة (العاشرة) ، زار المقدسى مدينة مرو ، فرأى ثلث ربضها مهدما ، وقهندزها ليس بأحسن حالا . على ان فى المثة التالية اتسمت المدينة وعظم شأنها فى أيام السلاجقة . وفيها دفن السلطان سنجر آخر السلاجقة العظام سنة ٥٥٢ (١١٥٧) وما زالت بقايا قبره فيها حتى اليوم . ووصف ياقوت ، وقد كان فى مرو سنة ٦١٦ (١٢١٩) قبر السلطان سنجر ، قائلا : قبره بها ، فى بة غليسة زرقاء تظهر من مسيرة يوم ، لها شباك الى الجامع . يلمسنى ان بعض خدمه بناها له بعد موته . وفى قرية أندراية ، على فرسخين من مرو ، وهى من أملاك السلطان سنجر كانت ترى بقايا قصره فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) . وكانت أسواره باقية إلا ان سائر قد استولى عليه الخراب وكذلك كان حال القرية المجاورة له ، على ما ذكر ياقوت .

وقال ياقوت ان يبرو فى أيامه كان « جاسمان للحفنة والشافعية » يجمعهما

(٤) قال ابن حوقل (٢ : ٤٣٦ طبعة كريمةز) : « ويقاسم الماء من ذرق ، مرة بها مقسم ماء مرو ، وقد جعل لكل محلة وسكة من هذا النهر ساقية صغيرة عليها ألواح خشب لها قتب مقدرة لا يترك أحد يزيدها ولا ينقص . ويأتى كل قوم من شربهم بنقدار ، ان زاد الماء شملت عليهم الزباجة ، وان نقص نقصوا بأجمعهم ، لا ايتار لقيم على قوم » (م) .
(٥) الاشتراخ : لت طويل الشوك تراءى الايل - مركب من اشترى أى حمل ومن غاز أى شوك
(٦) الالفاظ الفارسية المخرقة . ص ١٠ (م) .

(٦) البيهقي ٢٨٠ : الاسطخري ٢٥٨ - ٢٦٣ : ابن حوقل ٢١٤ - ٣١٦ : المقدسى ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣١٠ - ٣١٢ و ٣٣١ : ياقوت ١ ٥٣٤ و ٨٢٧ و ٢ : ٦١٠ : ٤ : ٥٠٧ .
كانت مرة ذرق وطاحونة ذرق على سبعة فراسخ من مرو - وكان الحرش الذى به تقسم مياه مرغاب على أنهار المدينة الإردنة ، وأحدها نهر رزق ، على مسافة لفرسخ واحد من مرو . وعليه فنهر رزق وطاحونة ذرق لم يكونا مجاورين - وكان للصحيح اثر فى حصول الالتباس بين : ذرق أو رزق ، ورزق أو رزق . فقد جاء اسم الطاحونة أحيانا بصوره رزق (بضم الاول وسكون الثانى) أو رزق (بضم الاول وتنوينه الثانى مع التثنية) ، وجاء نهر رزق بصوره رزق ، وكل سدها ، حسب قول بعضهم ، لمى الملك يزدجرد حنقه - أنظر : ياقوت ٢ : ٧٧٧ و ٩٢٠ : ٤ : ٥٠٨ . وذكر المقدسى (ص ٣٣٣) ان على فرسخين من مرو ، دون ان يمتد الجهة ، رباطا « فيه قبر سنجر نالوا هو قبر رأس الحسين بن علي « سفيد الرسول » الا أنهم ذكروا مواضع أخرى دمن فيها رأس الحسين والثابت ان رأس الحسين بعد وفاته لم يرسل الى مرو .

السور ، و أقام ياقوت في مرو ثلاثة أعوام يجمع مادة لكتابه « معجم البلدان » لأن مرو كانت قبل ورود التتر إليها مشهورة بخزائن كتبها فهو بذلك فائلاً لو لا ما عرا من ورود التتر الى تلك البلاد وخربائها ، لما فارقتها الى المات ، وذكر من بين خزائنها ، خزائنين في الجامع ، « احدهما يقال لها الخزينة » وكان فيها اثنا عشر الف مجلد أو ما يقاربها ، والاخرى يقال لها الكمالية ، وبها خزانة شرف الملك في مدرسته . وخزانة نظام الملك (الحسن ابن اسحق) في مدرسته ، وخزانتان للسمعانيين ، وخزانة أخرى في المدرسة الصفيديّة ، وفيها أيضا خزانة المدرسة الخاتونية وخزانة لمجد الملك ، وبها خزانة الصنميرية في خاقانه أي زاوية الدراويش وليس فيها الا ٢٠٠ مجلد ، ولكن كل مجلد قيمته على ما ذكر ياقوت مائتا دينار ذهبا ، لأن كل كتبها فريد لا يقدر بشئ^(٧) .

وبورود التتر الى مرو في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) هـ هرب ياقوت الى الموصل في اقليم الجزيرة ، أما ما في خزائن مرو من نفائس الكتب فقد أضحت طمعة للبرابرة عقب نهب المغول لهذه المدينة العظيمة . وبقي من جراء ذلك تسعة ملايين جنة بين أنقاضها لم تدفن^(٨) . وقال ابن الأثير : ثم انهم أحرقوا تربة السلطان سنجر ، وأحرقوا أيضا الجوامع والخزائن وغيرها . وزاد حافظ أيرو على ذلك ان التتر كسرو السدود وخربوا المنبئات ومقاسم الماء في نهر مرغاب التي كثرت في أيام السلاجقة . فان السلاجقة قد عنوا ببناء هذا النهر عناية فائقة ورتبوا أمر توزيعها على هذه الواحة التي تحولت الآن سيحة مقفرة وحين اجتاز ابن بطوطة بمرو في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) رآها فاذا هي جميعا خربة عظيمة .

وتكلم معاصره المستوفي على ماضي مرو الزاهر ومجدها الغابر في المئة الثانية (الثالثة) حين كان يتولاها أبو مسلم الذي مكس الباسيين من الوصول الى

(٧) أما ياقوت فقد قال في هذا الصدد ما هذا نصه (٤ : ٥٠٦ - ٥١٠) : « ... والقسمية في غابكاه هناك ، وكانت سهلة التداول ، لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد وأكثر بغير ربح ، تكون قيمتها مائتي دينار . فكنت أرتع فيها واقبض من لوالدها ... وأكثر دوائه هذا الكتاب وبقوه ما جمعت فهو من تلك الخزائن » (م) .

(٨) قلنا . لا يقل ان يكون القتل في مدينة واحدة بهذا العدد الجسيم . وقد رجعنا الى ابن الأثير (الكامل ١٢ : ٢٥٦) فالقبيذ يقول : « وأمر [جنكيزخان] بأحصاء القتل فكانوا نحو سبعمائة ألف قتيل » (م) .

الخلافة ، وحين كان يقيم بها المأمون قبل شخوصه الى بغداد . ثم نقل بنو الصفار عاصمة خراسان الى نيسابور ، الا ان السلاجقة جملوا مرو أولى المدن مرة أخرى . وبنى السلطان ملكشاه سورا عظيما حول المدينة دوره ١٢٣٠ هـ خطوة ، وكانت غلات واحدة مرو مقرطة المحصول . فقد روى المستوفي ان قمحها كان يعطى الواحد فى السنة الاولى مئة ضعف وما تخلف من حب يعطى الواحد فى السنة الثانية ثلاثين . ويعطى الواحد فى السنة الثالثة عشرة حتى وان لم تزرع ، على ان هوامها كان وخما وبيتا . وكان « الرشنة » فيها أى « العرق المدينى » من الاوقات الحبيبة التى تترى أهلها . وكانت الرمال المتحركة من المفاوز المجاورة لها قد طمرت فى أيامه كثيرا من رساتيقها الخصبة ، ولكن بليخها الجيد بقى يزرع فيها ويجفف ويحمل الى سائر البلدان وكذلك كان فيها عنب وكمرى . وقال المستوفي فى سياق وصفه مرو ، ان الخراب ما زال مستوليا على أكثرها ، وان استعادت فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) شيئا من بهائها الاول . فان تيمور لك كان كثيرا ما ينزل عندها حين يخفت دوى الحرب . وكان غالبا ما يقيم فى موضع سماه علي اليزدى ماخان ، ولعله تصحيف التسخا لاسم ماجان ، وهو على ما يبتأ ، كان يطلق قديما على الرضى الغربى العظيم فى مرو . وذكر ياقوت موضعا سماه أيضا ماخان وقال انه قرية قرب المدينة . واستعادت مرو عظمتها الاولى فى أيام شاه رخ ، حفيد تيمور . فقد جدد قسما كبيرا من المدينة فى سنة ٨١٢ (١٤٠٩) ، حتى ان حافظ أبرو ، حين كتب فى سنة ٨٢١ (١٤١٨) ، قال انها قد عادت ثانية الى ما كانت عليه من عمران وازدهار^(١) .

ومدينة آمل كانت فى يسار نهر جيحون ، على نحو من ١٢٠ ميلا شمال شرقى مرو ، حيث يعبره طريق خراسان الناهب الى بخارا وما وراء النهر . وعلى نحو من مئة ميل من شرق آمل فى أعلى هذه الضفة نفسها ، كانت مدينة رَمَ وهى عند معبر النهر أيضا . أما آمل ، وقد كانت تعرف فى العصور الوسطى بأُمُوسيه ، ثم عرفت بجهار جوى (أى الاربعة أنهار) وما زال موضعها يعرف

(١) ابن الاثير ١٢ : ٢٠٦ : ياقوت ١ : ٣٧٣ : ٤ : ٣٧٨ و ٥٠٦ و ٥١٠ : ابن بطوطة ٢ : ٦٢ : المستوفي ١٨٩ : على اليردى ١ : ١٤٧ و ١٥٠ و ٥٦٩ : حافظ ابرو ٢٢ ب .

بهذا الاسم) . فقد وصفها ابن حوقل بأنها مدينة صغيرة طيبة عظيمة الشأن ، لأن بها مجمع طرق خراسان الى ما وراء النهر ، وفي طريق مرو الماد نحو الجنوب الغربى ، آبار فى كل مرحلة . وما سوى ذلك ، فقد كانت المقافة تحيط بها من كل جانب حتى ضفة النهر . وامتدح المقدسى أسواق آمل العامرة . وقال ان جامعها على تشزة ، وهى على فرسخ من نهر جيحون ، كثيرة الضياع ، وفيها أعناب نفيسة . وكان بازاء آمل ، على ضفة النهر اليمنى فى رمتاق بخارا ، مدينة فرّتر .

ولكى يميز بين آمل هذه ومدينة آمل الأخرى التى كانت قاعدة طبرستان ، (أنظر صفحة ٤١٠ أعلاه) فقد ذكرتها المراجع ، على ما جاء فى ياقوت ، باسم آمل زم (نسبة الى مدينة زم ، وهى فى أعلاها على نهر جيحون) وآمل جيحون ، وآمل الشط ، وآمل المقافة . على ان آمل ، فى زمنه كان يقال لها أمو وأمويه ، وبهذه التسمية وردت فى أخبار حروب المنول وأخبار حروب تيمور . وكانت تهرق أيضا بقلعة أمويه . وفى المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) أطلق أبو الفأزى عليها اسم أمويه حين وصف زحف جنكيزخان . ولكنه حين تكلم على حوادث زمنه ، ذكر اسم جهار جوى وهو يقصد هذا الموضع على نهر جيحون ، وإنما أراد بها موضعا واحدا . أما مدينة زم ، وقد بينا انها على جانب خراسان من النهر ، فهى كرخي الحديثة . وفى المصور الوسطى ، كان بازاها من جانب بخارا ، مدينة أخيسك . وتكلم ابن حوقل على زم وقال انها نحو من آمل فى الكبر . ولا يمكن الوصول اليها من آمل ، الا من جانب خراسان ، فى الطريق الصاعد بمحاذاة جيحون بعد مسيرة أربع مراحل . فالطريق من زم الى مرو كان يخترق المقافة المجدية . ومن زم ، يصل باتجاه الشرق الى بلخ وبعد عبوره نهر جيحون يبلغ ترمذ . وقد أشار المقدسى الى زم أيضا بإيجاز فقال ان الجامع وسط الأسواق . وهذا يدل على انه كان لمدينة زم ، فى المئة الرابعة (المأثرة) ، بعض الشأن^(١) .

(١) الإصطخرى ٢٨١ و ٣١٤ : ابن حوقل ٣٢٩ و ٣٦٣ : المقدسى ٢٩١ و ٢٩٢ : ياقوت ٦٩ : ٢ : ٩٤٦ : هل البرزى ١ : ١٤٨ و ٣٣٤ و ٥٦٨ : أبو الفأزى ١٢٤ و ٣٢٩ .

ولقد إلى الكلام ثمانية على نهر مرغاب . فلى نحو من ١٦٠ ميلا فوق مرو العظمى ، تقوم مرو العليا أو الصغرى ، فى موضع من النهر حيث ينطف شمالا بعد خروجه من جبال النور فيقطع البرية إلى مرو الكبرى . ومرو الصغرى أى مرو العليا على ما سماها المقدسى وغيره ، هى الموضع المعروف لدى الفرس باسم بالا مرغاب أى « مرغاب الأعلى » . وهى اليوم خراب وقد ظلت على خرابها منذ غزو تيمور لها . الا ان مرو الروذ ، أى مرو الشط ، على ما كانت تسمى به فى المثة الرابعة (المباشرة) ، كانت حينذاك أكبر مدينة فى هذا الرستاق العامر الآهل . وهنالك ما عداها ، أربع مدن أخرى بها منابر . ومن مرو الروذ إلى نهر مرغاب ، غلوة . ولها عليه بساتين وكروم ، وتمتد ثلاثة فراسخ عن الجبال التى فى غربها ، وفرسخين عن الجبال التى فى شرقها . وجامعها فى السوق ، وهو على ما ذكر المقدسى ، على سوارى خشب . وزاد قدامة على ذلك ان على فرسخ من « مرو الأعلى » (حسب تسميته لها) موضعا يقال له قصر عمرو ، فى الجبل على قم الشعب . وذكر ياقوت ان اسم مرو الروذ فى أيامه كان يلفظه الناس مروذ . والظاهر انها لم يصبها من التدمير ما أصاب مرو الكبرى على أيدى المغول . ومهما يكن من أمر فإن المستوفى ، فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، قال انها موضع ، عامر ، عليه سور دوره خمسة آلاف خطوة ، بناء السلطان ملكشاه السلجوقى . وكانت رسائتها فى غاية الخصب ، يكثر فيها العنب والبطيخ . والمعيشة فيها رخصة^(١١) .

وعلى مسيرة يوم من مرو الروذ ، على الضفة نفسها من ناحية مرو الكبرى ، كان القصر المعروف بقصر أحنف ، نسبة إلى أحنف بن قيس القائد العربى فى أيام الخليفة عثمان ، وقد أخضع هذه البلاد للإسلام فى سنة ٣١ (٦٥٢) . وكانت بلدة قصر أحنف كبيرة على ما ذكر ابن حوقل ، لها بساتين وكروم حسنة . وهى طيبة الهواء والتربة . وقال المقدسى ان جامعها فى السوق ، وتؤشر موضع

(١١) قدامة ٢١٠ : الإسطرعى ٢٦٦ : ابن حوقل ٢٢٠ : المقدسى ٣١٤ : ياقوت ٤ : ٥٠٦ .
المستوفى ١٦٠ : وعن خراباب بالاسرعاب ، انظر Northern Afghanistan C.E.Yate
ص ٢٠٨ .

قصر أحنف اليوم قرية مروچك أى مروكوجك (مرو الصغرى) على ما سميها
الفرس • وكان فى العصور الوسطى ، على أريئة فراسخ فوق مرو الروذ ، بلدة
دزه ، ويشقها نهر مرغاب الى نصفين ، بينهما قنطرة • ولها جامع حسن • وزاد
ياقوت على ذلك انها كانت تسمى فى الاصل سَتَوَان^(١٢) •

وقرى پنج ديه (أى الخمس قرى) ، أسفل من مروچك ، على نهر
مرغاب • وقد زارها ناصر خسرو • فى سنة ٤٣٧ (١٠٤٥) فى طريقه الى مكة •
ورأها ياقوت فى سنة ٦١٦ (١٢١٩) وذكر انها مدينة حسنة • وجاء ذكر هذا
الموضع أيضاً فى زمن تيمور فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقد
قال علي اليزدى انها تعرف باسم يندى (ولكن قراءتها غير مضبوطة
على ما يظهر ، وقد جاءت فى بعض المخطوطات بصورة يندى) • وفى أوائل
العصور الوسطى ، كانت البلاد من مرو الصغرى الى مرو الكبرى ، على جانبي
مرغاب ، مزروعة تبت فيها القرى والمدن ، وكانت القرين ، وقد نوهنا بها ،
على أربعة فراسخ فوق مرو الكبرى و فرسخين أسفل من مرو الروذ • وفى نصف
الطريق بين القرين والمدينة الأخيرة : لوكر أو لوكرآ ، وكانت على ما ذكر
المقدسى عامرة • فى كبر قصر أحنف • وفوق مرو الروذ فى أعلى مرغاب فى
جبال غرجستان ، نواح ورساتيق عامرة كثيرة ستكون موضوع بحثنا فى
الفصل القادم فى كلامنا على النور فى ربيع هراة^(١٣) •

(١٢) بينهم ما ذكره ياقوت (٤ : ١٠٨) ان قصر أحنف كان فى الاصل حصناً يقال له ستوان
لما انتدحه الأحنف فى سنة ٣٢ أيام عثمان نسب اليه - (م) •

(١٣) اليعقوبى : ٢٩١ : الأسطخري : ٢٧٠ : ابن جوبل : ٣٢١ : الخلدسى : ٢٩٩ و ٣١٤ : ناصر خسرو
٢ : ياقوت : ١ : ٧٤٣ : ٤ : ١٠٨ : على اليزدى : ١ : ٣٥٣ • وعن خرابك مروچك انظر : C.E. Yalil
فى كتاب العائستان ص ١١٠ و ١٢٠ و ١٦٤ •

الفصل التاسع والمثرون

خراسان «تابع»

ربع هراة - نهر هراة أو هري رود - مدينة هراة - مالن والدين التي
في أعلى نهر هري رود - بوشنج - كورة اسطوار - كورة
بالغيس ومفلها - كنج وستانق - وسانيق
غرجستان والخور - الباديان .

يقع ربع هراة برمه ، في البلاد المروقة اليوم بأفغانستان . ويسمى معظمه
نهر هراة أو هري رود . ومخرج هذا النهر في جبال الفور ، ويجري في أوله
مسافة نحو الغرب . ولستى وادي هراة شقت منه أنهار كثيرة ، بعضها في أعلى
مدينة هراة وبعضها في أسفلها . وقد سمي المقدسي سبعة من هذه الأنهار بوجه
خاص وقال انها تسقى ما حول القصة من رساتيق خصبة .

ويجري نهر هراة في أوله من الشرق الى الغرب ويسر بمدينة هراة على
سبعة أميال من بابها الجنوبي بالقرب من مدينة مالن . وعليه هناك جسر قال
المقدسي فيه « ليس بجميع خراسان أعجب علامته » . بناء رجل مجوسى وكتب عليه
اسمه - ويقال ان سلطانا أراد ان يكتب عليه اسمه - منهم من قال أسلم ، ومنهم
من قال طرح نفسه في النهر ، وذكر المستوفى أسماء تسعة من أنهار السقى
الكبيرة التي كانت تأخذ من هري رود من حوار هراة . وفي ما يلي هراة ،
كان هري رود يمر بمدينة فوشنج قرب ضفته الجنوبية ، ثم يطف شمالا فيجري

الى سرخس ، وقبل ان يصلها ، يستقبل مياه نهر المشهد ، على ما بنا فى الفصل السابق . ثم فى ما لى ذلك تنقى مياهه فى المفازة شمال سرخس . وقال حافظ ابرو ان نهر هراة يعرف أيضا باسم خجاجران (وتهجئة هذا الاسم تتمدد بتغير نقاط الاعجام ، أما التهجئة الصحيحة فغير معروفة) . وهو يؤكد ان مخرجه كان فى عين لا تبعد كثيرا عن موضع مخرج نهر هيلمند^(١) .

وفى الملة الرابعة (العاشرة) كانت هراة ، على ما وصفها به ابن حوقل والمقدسى ، مدينة جبلية عليها حصن وسور له أربعة أبواب : باب سراى مما لى الشمال فى الطريق الى بلخ . والباب الثانى الى الغرب يقضى الى تيسابور ، وهو باب زياد . وباب فيروز اباد ، وقد سماه المقدسى باب فيروز ، كان فى الجنوب ، يخرج منه الى سجستان . وكان فى الشرق باب خشتك ، ويؤدى الى جال النور . وكانت أبوابها هذه خشبا الا باب سراى فقد كان حديدا ، على قول ابن حوقل . وكان لحصن هراة (ويقال له القهندز) أربعة أبواب أيضا ، يحذاء كل باب من أبواب المدينة باب لهذا الحصن ويسمى باسم ذلك الباب . والمدينة مقدار نصف فرسخ فى مثله . ودار الامارة بمكان يعرف بخراسان اباد فى ظاهر البلد بينهما ميل ، على طريق قوشنج الداهب غربا . وعند كل باب من أبواب المدينة الاربعة ، سوق وفى ظاهر الباب ربض واسع . وكان المسجد الجامع فى وسط اسواق المدينة . وليس بخراسان وسجستان مسجد أعمر بالناس من مسجد هراة . والسجن على ظهر قبة مسجد الجامع ، أى فى غربه .

وفى شمال هراة : الجبال ، وهى من المدينة على فرسخين . والاراضى هنا يابسة لا تسقى . ويرتفع الناس من هذه الجبال « بالحجارة للأرحية والغرش . وعلى رأس هذا الجبل بيت نار (قديم) يسمى سريشك » كان يقصده المجوس فى الملة الرابعة (العاشرة) . وفى نصف المسافة بين بيت النار والمدينة بعة للتصارى . والى جنوب هراة ، فى طريق مالن ، قطرة على هرى رود . وبينها

(١) الاستخرى ٣٦٦ : ابن حوقل ٣١٨ : المقدسى ٣٢٦ و ٣٣٠ : المستوفى ٢١٦ : حافظ ابرو

وبين المدينة بساين كثيرة ورسايق عامرة تسقيها أنهار عديدة • وقرأها متصلة
مقدار مرحلة علم طريق مسجستان •

واستمرت هراة على ازدهارها وعمرانها حتى اجتياح المغول لها • وحين-
كان ياقوت فيها سنة ١١٤٦هـ (١٢١٧) أى قبل أن تنكب بهذه الكارثة بأربع
سنوات ، وصفها بقوله « لم أر (بخراسان) مدينة أجل ولا أعظم ولا أنخم
ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها ، فيها يساين كثيرة ومياه غزيرة » • وأيد معاصره
التزوينى كلامه هذا وأشار الى أرحيتها التى « تديرها الريح بنفسها كما يديرها
الماء » وهو منظر لم يألّفه التزوينى • على أن هراة قد انتشبت بعد ما أصابها من
كوارث على يد التتر ، فان المستوفى فى المثة التالية لها ، أيد قول ابن بطوطة
فى انها كانت أكبر المدن العامرة فى خراسان ، بعد تيسابوره ودور أسوارها حينذاك
تسعة آلاف خطوة ، ولها ١٨ قرية يسقيها نهر (نهريجه) يأخذ من هرى رود •
وكان وجود فيها صنف من الاعناب يقال له « الفخرى » وكذلك التين • وكان أهل
هراة فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) من السنة • وقد كان أقصى ما بلغت هراة من
ازدهار ، على قول المستوفى ، فى المثة السادسة (الثانية عشرة) أيام حكم الدولة
النورية فيها • فقد كان فيها حينذاك ١٢٠٠٠ دكان ، و ٦٠٠٠ حمام ، و ٦٥٩
مدرسة ، وعدد سكانها ٤٤٤ •

وكان فى شمال هراة ، حين كتب المستوفى ، حصن مكين يقال له
شميران ، بنى فى موضع بيت النار المسمى سِرْشَك وقد ذكره ابن حوقل ، وهو
على رأس جبل يبعد فرسخين عن المدينة • وعرف هذا الحصن أيضا بقلعة
امكلجه • وفى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، بعد أن تملك تيمور هراة ،
تقضى أسوارها وأرسل معظم الحذاق من صناعها الى مدينته الجديدة شهر سبز
فى ما وراء النهر تكثيرا لسكانها • وجاء فى كتاب جهان نما بالتركية ، انه كان
لهراة فى زمن كتابته ، أى سنة ١٠١٠ (١٦٠٠) خمسة أبواب : باب يقال له
دروازه مُملك فى الشمال ، وباب عراق فى الغرب ، وباب فيروز آباد فى الجنوب •

(٢) ذكر ياقوت (معجم البلدان ٣ - ٩٥٨) انه كان فى هراة سنة ٦١٧ (١٢٢٠) • (م) •

وباب مُخَس في الشرق ، وباب كِبْجاق في الشمال الشرقي ، والآخر أحدها .
وذكر جهان نما أيضا البلوكات المشر أي الرساتيق التي حول هراة ، ولكنه لم يذكر موضع كل بلوك من الآخر (٢) .

وعلى فرسخين ، أي مسيرة نصف يوم ، من جنوب هراة ، مدينة مالين أو مالن ، ويحسّن انها في ما يلي القنطرة المظلمة التي كانت على هري رود وبها عرفت القنطرة . وحول المدينة رستاق على اسمها مداء مسيرة يوم . وكان يقال لمان هذه السفلتات ومالن هراة ، تميزا لها عن مدينة بالاسم نفسه في رستاق باخرز بقوهستان (وقد مرّ ذكرها في الفصل الخامس والمشرين ، ص ٣٩٧) .
كانت مالن بلدة صغيرة مشبكة البساتين كثيرة الكروم . زارها ياقوت وكتب اسمها مالين ولكنه قال ان الناس في أيامه يسمونها مالان . وفي رستاقها خمس وعشرون قرية خص بالذكر منها أربما : مُرغاب وباشينان وزَستمان وعَبَسْكَان .

وعلى مرحلة من شمال هراة ، بلدة كروخ أو كاروخ . قال ابن حوقل انها كانت في المئة الرابعة (العاشرة) أكبر مدن كورة هراة بعد قصبته . ويرتفع من كروخ المشمش والزبيب ويحتمل الى سائر البلدان . ومسجدها الجامع بمحلة منها تعرف بسيدان ، وبناؤها من طين ، وهي في شعب بين جبال مقدار عشرين فرسخا وجميعها مشبكة البساتين والمياه والأشجار والنبات والقرى العامرة .
ويصب أكبر أنهارها في هري رود ، ويظهر انه هو النهر الذي سماه ياقوت نهر كراغ .

(٢) الاسطخرى ٣٦٤ - ٢٦٦ : ابن حوقل ٣١٦ - ٣١٨ : المقدسي ٣٠٦ و ٣٠٧ : ياقوت ٤ : ١٥٨ : القزويني ٢ : ٣٢٢ : ابن بطوطة ٣ : ٦٣ : المسعودي ١٨٧ : جهان نما ٣١٠ - ٣١٢ .
على البرزخي ١ : ٣٢٢ و ٣٢٣ .

وسا أورد الحاج خليفة من اخبار في جهان سا . قد اقتبس بعضه من مقالة عن هراة كتبها حين الدين الاسفازي سنة ٨١٧ (١٤٩٢) وهي المقالة التي احتلها بطلانها ميرخواند في خاتمة كتابه « روضة الصفا » الجزء السابع ص ٤٥ - ٥١ ، وقد ترجمها ياروبه دي ميشار في Journal Asiatique لسنة ١٨٦٠ (٢ : ٤٦١) وللسنة ١٨٦١ (١ : ٤٢٨ و ٤٧٣)

ص ٢٥ - ٢٨ . (انتهت حاشية المؤلف)
قلنا : نشر محمد زيب الصديقي كتاب « تاريخ نامه هراة » (بالفارسية) ، تأليف سيف بن محمد بن يتقرب الهروي (ولد سنة ٦٧١ هـ - ١٢٨٢ م) وقد طبع في كلكتة سنة ١٩٤٣ - (م) .

والى شرق هراة ، فى وادى هرى رود المريض ، تقوم مدن تلى احداها
الآخرى ذكرها بلدانيو المثة الرابعة (العاشرة) ، وهى بشأن على يوم من هراة ،
م تخسار فاستر بيان فماراياذ فافقه . بعد الواحدة عن الاخرى شرقا مسيرة يوم .
ثم على يومين مما على اوفه ، مدينة خشت وكانت تمد من ناحية النور . ومن
بين هذه المدن التى ذكرناها كانت اوفه نحو كروخ فى الكبر وتليها فى الشأن .
أما المدن الاربع الاخرى ، فقد تشابهت فى الوصف ، فكلها مياه وبساتين
وزروع . وكلها أصفر من مالن وكانت استريان لا كروم فيها ، وهى فى جال .
ومارياذ ، يرفع منها أرز كثير يجلب الى النواحي ،^(١) .

وعلى مسيرة يوم من غرب هراة مدينة بوشنج أو فوشنج الجبلية . والظاهر
انها حيث تقوم غريان الحالية على شئ يسير من ضفة هرى رود اليسرى فى
جنوبها . وقد وصف ابن حوقل بوشنج بانها كانت فى المثة الرابعة (العاشرة) ،
نحو من نصف هراة ، وهى وهراة فى مستواة ومن بوشنج الى الجبل نحو
فرسخين . و بناؤها حسن تحف بها الأشجار . وبها من أشجار الرعر ما لبس
فى غيرها ويحمل خشبه الى سائر النواحي . ولبوشنج سور وخنق وثلاثة
أبواب . باب يسمى باب على يقضى الى نيسابور ، وباب هراة الى الشرق ، وباب
قوهستان الى الجنوب الغربى . وكان يلقون ، قد رأها وهو مار فى طريقه ،
فى واد كبير الشجر ، وسماها بوشنج وفوشنج وذكر ان « المعجم يقولون
بوشنك بالكاف » . ووصف المستوفى مدينة فوشنج ، فى المثة الثامنة (الرابعة
عشرة) وقال انها مشهورة بالبطيخ والاعناب ، وبها من الاعناب مئة وخمسة
أصناف . ومما خصت به ، الأرحية التى تديرها الريح . وأصلها يعزى الى فرعون
مصر من أيام موسى ، فقد بلغ هذه المدينة فى إحدى حملاته نحو الشرق . وفى
سنة ٧٨٣ (١٣٨١) غزا تيمور مدينة فوشنج ونهبها ، وقد استولى عليها بالرغم
من علو أسوارها وعمق مآخذها على ما نره به على اليزدى . وبعد ذلك
اختفى اسم فوشنج من التاريخ لير ما سبب واضح ثم قامت بعد زمن مدينة غريان ،

(١) الإسطخرى ٢٦٧ و ٢٨٥ ؛ ابن حوقل ٣١٨ و ٣٣٤ ؛ المقدسى ٥٠ و ٢٩٨ و ٣٠٧ و ٣٤٩ ؛
ياقوت ١ ، ٤٧٠ ، ٢ ؛ ٩٥١ ؛ ٣ ؛ ٦٠٠ ؛ ٤ ؛ ٢٤٧ و ٣٩٧ و ٤٩٩ .

المدينة العامرة اليوم ، على خرائب المدينة التى نهبا تيمور وخرّبها . وما تحسن
الإشارة إليه ، ان المدن الثلاث : فرجرد وخرجرد وكوسوى ، وقد سبق وصفها
بين مدن إقليم قوهستان (أنظر ص ٣٩٧ - ٣٩٨) ، غالبا ما عدت من أعمال
فوشنج^(٥) .

وكورة أسفزار ، فى جنوب هرات فى طريق زرنج . كان فيها فى المئة
الرابعة (العاشرة) أربع مدن مهمة ، ما خلا القصبه أسفزار ، وهى آدرستكر
وكوران وكوشك وكواشان . وأسفزار اليوم أكبر المدن ، ويقال لها فى وقتنا
سبزوار (وتسمى أيضا سبزوار هرات ، تميزا لها عن سبزوار التى فى غرب
نيسابور . أنظر ص ٤٣٣) . الا ان أكبر مدن هذه الكورة قديما كانت كواشان .
ومقدار الكورة مسيرة ثلاثة أيام من الشمال الى الجنوب ، وعرضها مرحلة يوم . قال
الاصطخرى كان عندها شعب يسمى كاشكان ، وفيه قرى عامرة . ونهرها ومنايحه
بالقرب من اسفزار (سبزوار) هو النهر المعروف اليوم بهارود سستان ويقع
فى رأس بحيرة زره غرب جوين . ومدن أسفزار هذه تحيط بها كلها الاراضى
الخصبة والبساتين . وذكرت كتب المسالك اسما ثانيا لاسفزار ، هو خاشان (أو
جاشان فان قراءته غير محققة) ولا يستبعد ان تكون خواشان صورة أخرى لهذا
الاسم . فتكون هذه المدينة فى الواقع اذّا ، مطابقة لاسفزار (سبزوار) . ومدينة
أدرسكر أو أدرسكر على ما نلفظ به أيضا ، ما زالت قائمة فى شرق أسفزار ،
ويكتب اسما اليوم بصورة أدرسكر . وذكر ياقوت ان اسفزار من أعصال
سجستان ، وتكلم عليها المستوفى بانها مدينة ليست بالكيرة ولا بالصغيرة ، لها
قرى كثيرة وبساتين وافرة الاعناب والرمان . وكان جل أهلها فى المئة الثامنة
(الرابعة عشرة) من السنة على المذهب الشافعى . وما يؤسف عليه ان كتب
المسالك لم تبين مواضع المدن الاخرى فى هذه الكورة ، بالنسبة الى بعضها^(٦) .

(٥) الاصطخرى ٣٦٧ و ٣٦٨ : ابن حوقل ٣١٩ : القمى ٢٩٨ : ياقوت ١ : ٧٥٨ : ٣ : ٢٢٣ .
المستوفى ١٨٧ : على اليزدى ١ : ٢١٢ .

وذكر صنيع الدولة (مرآة البلدان ١ : ٢٩٨) انه من قرب خرابه بوخسج وراها حين قدمه

من نيسابور الى هرات ، وقال انها قرب غريان وليست فيها .
(٦) الاصطخرى ٢٤٩ و ٣٦٤ : ابن حوقل ٣٠٥ و ٣١٨ : القمى ٢٩٨ و ٣٠٨ .

و ٣٤٠ : ياقوت ١ : ٢٤٨ : المستوفى ١٨٧ .

والطريق من هراة الضارب شمالا الى مرو الروذ ، يجتاز كورة باذغيس
العتلية ، وكانت تمتد بين نهر هراة من الغرب (فى شمال فوشنج) ومياه نهر
مرغاب الاعلى من الشرق وهى الاتبة من جبال غرجستان . وكان يسقى باذغيس
نفسها كثير من روافد نهر مرغاب اليسرى . وكان القسم الشرقى من باذغيس ،
وهو يبدأ على نحو من ١٣ فرسخا من شمال هراة ، يعرف بكنج رستاق ، وله
ثلاث مدن كبيرة هى : يَبَن ، وكَيْف ، وبَشُور . وقد عثرت كتب المسالك مواضعها
على وجه القريب أما فى بقية باذغيس ، فقد ذكر المقدسى تسع مدن كبيرة ولكن
مما يؤسف عليه انه لا يمكن تعيين موضع واحدة من هذه المدن ، لان كتب المسالك
لم تذكرها . وهذه البلاد اليوم ، غامرة لا سكان فيها ، فقد خربتها الغزوات
المؤلمة فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) . وتشهد الخرائب الكثيرة المنتشرة فى
تلك البقعة على ما كانت عليه هذه البلاد قبلا من وفرة فى المياه وازدهار فى
العمران . الا ان اسمائها الحديثة هى غير تلك التى ذكرها بلدانير التورون
الوسطى .

أما أطلال مدينة بَشُور ، وهى من مدن كنج رستاق الكبيرة ، فالظاهر انها
هى المعروفة بقلعة آمور . وصف ابن حوقل فى المئة الرابعة (الماشرة) مدينة
بَشُور بقوله انها من أحسن مدن خراسان وأكثرها ثروة ، وهى نحو بوشنج .
وكان سلطان هذه الناحية يقيم فى بَن أو بِنَة وهى أكبر هذه المدن ، بل أكبر
من بوشنج . أما « كيف » فكانت نحوا من نصف بَشُور . وهذه المدن حسنة ،
بناؤها من طين . وحولها البساتين والزرع ، وفيها مياه كثيرة جارية وآبار . وقد
رأى ياقوت هذه البلاد فى سنة ٦١٦ (١٢١٩) ، وأيد ما كانت عليه بَشُور السابقة
والمدن المجاورة لها من ثروة ، ولكنه قال « الخراب فيها ظاهر » مع ان ذلك كان
قبل الغزو المغولى . وزار ياقوت بِنَة وسماها : بَرْن و بَرْن . وزار أيضا بلدة أخرى
يقال لها الباميان ، أو بامنج ، وهى على شىء يسير من بِنَة . وقال انها ذات خير
ورخص يكثر فيها شجر الفستق (٧) .

(٧) ابن رسته ١٧٣ : الاسطرى ٣٦٦ : ابن حوقل ٣٢٠ : المقدسى ٢٩٨ و ٣٠٨ : ياقوت
٤٦١ و ٤٨١ و ٤٨٧ و ٦٩٤ : ٢ : ٧٦٤ : ٤ : ٣٣٣ . وللإطلاع على حال كورة باذغيس

أما القسم الجنوبي من كورة ياذغيس ، فإن ما يقال عن سابق عمران كنج رستاق وازدهارها ، يقال عن هذا القسم أيضا . إلا أن مدنه قد زالت اليوم جميعا من الخارطة ، ويصعب تعيين مواضع أسمائها التي عرفت في القرون الوسطى أو مطابقتها مع أسماء الخراب الحالية . وقد اتفقت الاخبار على أن قصة هذا القسم كانت دهستان ، وموضعها قد يتفق هو ومرقد خواجه دهستان الحالي في شمال شرقي هراة . وذكر المقدسي أسماء سبع مدن أخرى ، هي : كوغاناباذ و كوكا و بشت و جاذاوا و كابرون و كاللون و جبل الفضة . ولا يمكن معرفة مواضعها إلا بوجه تقريبي . كانت دهستان في المئة الرابعة (العاشرة) ثاني المدن الكبرى في ياذغيس ، مثل نصف بوشنج ، وهي على جبل ، وبناء أهلها طين ولهم أسراب تحت الأرض لا أيام الحر ، وبساتينها قليلة ومزارعها مباحس . وكان سلطان الناحية يقيم في كوغاناباذ ، وهي أصغر من دهستان . ومدينة جبل الفضة كانت على ما يدل عليه اسمها ، عند جبل فيه مدن الفضة في الطريق الماد رأسا من هراة الى سرخس . والظاهر انها في شمال كوغاناباذ . ويكثر في ناحيتها الحطب . وكانت كوكا أكبر من جبل الفضة ، في برية ، لها بساتين حسنة . ولكن المقدسي لم ينو شيئا عن المدن الأربع الأخرى ، إلا قوله ان هذه المدن كانت تقوم قرب الطريق الذاهب شمالا من هراة الى سرخس .

وذكر ياقوت ، وقد قال ان دهستان : ناحية ياذغيس ، ان أصلها بالفارسية باذ - خيز ، مناه قيام الريح أو هبوب الريح لكثرة الرياح فيها . أما كلام المستوفي على ياذغيس فيصعب فهمه لأن أسماء الامكنة كثيرة التصحيف في المخطوطات . قال ان دهستان كانت القصة وأشار الى جبل مدن الفضة بالتنسية الفارسية كوه نقره . جبل الفضة . وفيها موضع ثالث ذو شأن هو كوه غناباد (عوضا عن كوغاناباذ) ، وفيها كان يقيم الامير . وجاء ذكر مدينة رابطة يقال لها بزرگيرين . ولكن قراءة الاسم غير متعمد عليها . وذكر المستوفي أيضا مدينة

اليوم وخرائبها ، انظر : G.B. Yate ، في كتاب افغانستان ص ٦٧ و ٦٨ . وترى غابا قلاع والحلال في كلران وسكردان وقراباغ (ص ١٠١) وايضا في قلعة مور (ص ١٦ و ١٠٣) وفي قرطيه . ولا شك ان بعض هذه الاطلال هي بقايا المدن التي ذكرها البلدانيون العرب .

باسم كاديز (أو كاديزه) أى « الكهريز » وقال انها كانت مقام حكيم برقى
- « الحكيم المبرقع » - المعروف لدى الناس بصانع القمر بنخشب ، وهو نبي
خراسان المبرقع الذى ثار فى المثة الثانية (الثامنة) على الخليفة المهدي واقتضى
لنقم ثورته جهد كبير (٨) .

وقد انتهت إلينا أسماء مواضع أخرى أيضا ذكرها المقدسي والبلدانيون العرب
الاولون (ويعتبر اسماءها كثير من التصحيف فى متون كتبهم) دون ان يذكروا
شيئا عنها . وفى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، كانت باذغيس على قول المستوفى ،
مشهورة ببايات الفسق . وفى موسم جمعه كان يخرج كثير من الناس فيحملون
منه ما قدروا على حمله ، وكان يحمل الى سائر البلدان المجاورة . وكانت
أشجار الفسق من الكثرة فيها حتى ان المستوفى قال ان كثيرا من الناس يتناشون
السنة كلها على ما يربحون مما جمعوه فى موسم جنيه . وما أعجب مرأى أشجاره .
وفى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) استولى الخراب على باذغيس نهائيا على
ما يظهر بمرور جيوش تيمور بها فى اثناء زحفها الملاحق بمن هراة الى
مرو الروذ (٩) .

(٨) هذا ما قاله للمستوفى نصحه الفارسي (برقة القلوب . ص ١٥٣ طبعة لستراج) : (كاديزكه
مقام حكيم برقى كه سازلده ماه نخشب » - وحكى القزويني (ص ٢١٢) فى كلامه على نخشب فى
شأن هذا الحكيم ما يأتى : « نخشب : مدينة مشهورة بأرض خراسان : منها الاولياء والحكماء ، ينسب
اليها الحكيم ابن المصنف (ابن المقفع ؟) الذى أنشأ نخشب بنرا يصمد فيها قبر يراه الناس مثل
القبر ، واشتهر ذلك بنى الاتفاق . والناس يصفون نخشب لرؤيته ويتعجبون منه . وعوام الناس
يصحبونه سحرا ، وما كان الا طريق الهندسة والسكاس شعاع القبر ، لانهم رجعو الى من البشر
طاسا كثيرا صلوا زلفا ، وفى الجملة قد اعتدى الى امر عجيب ساز فى الاتفاق واشتهر حتى ذكره
الناس فى الاثمار والانشال ، وبلى ذكره بين الناس » .

أما المقفع الذى ثار فى أيام الخليفة المهدي فهو المقفع الفارسي . (م) .

(٩) الانسكخري ٢٦٨ و ٢٦٩ : ابن حوقل ٢١٩ و ٢٢٠ : المقدسي ٢٩٨ و ٣٠٨ : ياقوت
١ : ٤٦١ : ٢ : ٦٣٣ : المستوفى ١٨٧ و ١٨٨ : جهان تما ٣١٤ و ٣١٥ : على اليزدى ٣٠٨ :
J.E. Yate : فى كتاب الفانستان ص ٦ .

كان الطريق من هراة الى مرو الروذ . على ما وصفه البلدانيون العرب الاولون فى مسائلهم ،
يسير من مدينة الى مدينة مستقرا كنج رستاق . واقصى المراحل فيه جنوبا مرحلة « بينة » ، على يومين
من هراة . أما المستوفى (ص ١٩٨) فقد وصف طريقا آخر فيه سبع مراحل زعم من هراة الى هيكاباد
فى خمس مراحل ، ومنها الى باذغيس فى خمس مراحل (وهى ولا شك دهمستان ، القصية) .
ومنها الى بون (بفتح أوله وقافيه ، أو بينة) فى خمس مراحل - ثم الى مرغزار دزه « أى وادى
الراضى » فى خمس مراحل - ثم الى ينجى شور (بنشور) فى ثمانى مراحل - ثم الى امروذ أو
لوسروذ فى خمس مراحل . وأخيرا الى مرو الروذ فى أربع مراحل .

والى شرق بلذغيس عند منابع نهر مرغاب ، البلاد الجبلية المعروفة لدى بلدانى العرب الاولين بـ « جرج الشار » ، ويلقب ملك هذه الجبال بـ « الشار » . والفرح على ما ذكر المقدسى ، هى الجبال فى لغتهم ، تفسر جرج الشار جبال الملك ، وصادوا يسمون هذه البلاد فى أواخر العصور الوسطى : غرجستان . وبهذا الاسم جاءت فى أخبار الحروب المغولية . ثم ان ياقوت الحموى أشار الى ان غرجستان تكتب غالباً : غرشنان أو غرستان وكثيراً ما كان يلتبس اسمها بغورستان أى بلد النور الذى فى شرقها وهى مدار بحثنا الآن . والشار ، أى ملك غرجستان ، كان يعرف لدى العرب بملك الترجة . وفى الملة الرابعة (العاشرة) كان فى هذه الناحية الواسعة ، عشرة جوامع فى مختلف بلدانها . وأكبر مدينتين فى غرجستان ، هما : أبشين وشورمين ، ولا يعرف موضعاهما الصحيحان . كانت أبشين (أفشين أو بشين) على غلوة من الضفة الشرقية لاعلى نهر مرغاب ، وعلى أربع مراحل فوق مرو الروذ ، حولها بساتين حسنة ، ويرتفع منها أرز كثير يحمل الى بلخ . وكان لها حصن مكين ومسجد جامع . وشورمين (او سورمين) فى الجبال على اربع مراحل جنوب ابشين ، وعلى مثل ذلك من كروخ ، فى شمال شرقى هرات . ويرتفع منها زيب كثير يحمل الى النواحي . وليس مقام ملك هذه الناحية ، وهو الشار ، بهما بل بقرية كبيرة فى جبل ، تعرف بـ « بليكان » (أو بلكيان) . وذكر ياقوت اسم مدينتين أخريين فى غرجستان ، هما شجرة وبيوار . وغاية ما ذكره عنهما انهما فى الجبال ، نقلا عن رجل من هذه البلاد . ولم يشر الى موضعيهما^(١) .

والبلقة الجبلية المغلية التى فى شرق غرجستان وجنوبها ، كانت تعرف بالنور أو غورستان ، تمتد من هرات الى الباميان وتخوم كابل وغزنة . وهى جنوب

ومن الخانات الغرية الى ما زالت تمتد هذا الطريق ، انظر : C.B. Yate ، افغانستان سى

١٩٤ و ١٩٥ و ٢٢٢ .

(١) الاستطرى ٢٧١ و ٢٧٢ ، ابن حوقل ٣٢٣ ؛ المقدسى ٢٠٦ و ٣٤٨ ، ياقوت ١ ، ٨٠٣ ؛ ٣ : ٧٢ و ١٦٣ و ١٨٦ و ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٨٢٢ .

وليس لغرجستان فى خراسان . هلافة بخرجستان فى سنوى الفلقاس (راجع الفصل الثانى عشر ، ص ٢١٦) وهى المعروفة اليوم بجورجيا . ومن الخطأ ان يطلق اسم جورجيا على غرجستان . هل نسر ما فعل بعض الكتبة فى وصفهم حروب المغول فى بلدان اعالي مرغاب ، فلا جورجيا فى افغانستان .

نهر هراة • وأشار بلدانيو المصور الوسطى الى انها البلاد التى فيها مخارج كثير من الانهار الكبيرة ، أى منابع نهر هرى رود ، وهيلمند ، ونهر خواش ، ونهر قره (ويقع فى بحيرة زره) ، وكان يخرج من حدود غرجستان نهر مرغاب • أما صفة هذه البلاد الجبلية الواسعة فلم يثنه البناء عنها بالأسف • فلا يعرف مواضع مدنها وقلاعها المذكورة فى تاريخها • وفى المئة الرابعة (العاشرة) كانت النور دار كفر على ما ذكر ابن حوقل ، وان كان بها مسلمون • وفيها شعاب عامرة ذات عيون وبساتين وأنهار • وقد اشتهرت بمعادن الفضة والذهب ، وأكثرها عند الباميان وبنجهير (أنظر ص ٣٨٩ - ٣٩٠) • وأغزر هذه المادان ، فى موضع يقال له خرخبز • وبعد سقوط دولة محمود الغزنوى ، استقل رؤساء النور وقد كانوا قبلا من أعوانه • وأنشأوا لهم عاصمة فى فيروز كوه • وهى قلعة عظيمة فى الجبال لا يعرف موضعها •

وقد استقل النوريون فى حكمهم منذ منتصف المئة السادسة (الثانية عشرة) حتى سنة ٦١٢ (١٢١٥) حين غلبهم خوارزمشاه • وبعد بضع سنين ، زالت دولتهم لما غزاهم المغول • الا ان النوريين قبل ذلك ، تمكنوا فى سنة ٥٨٨ (١١٩٢) من فتح معظم شمالى الهند وبسط سلطانهم على جميع البلدان من دهللى الى هراة • وبعد أن قضى المغول على دولتهم قضاء ميرما ، استمر ممالكهم على حكم دهللى فى سلسلة طويلة من السلاطين ، حتى سنة ٩٦٢ (١٥٥٤) •

وبلغت النور ، أو غورستان ، أوج عزها وأعظم ثرائها ، ما بين سنة ٥٤٣ و ٦١٢ (١١٤٨ و ١٢١٥) فى أيام السلاطين النوريين من سلالة سام • وقد تكلم ياقوت على عاصمتهم النظمية فى فيروز كوه أو بيروز كوه (أى جبل الفيروز) ولكنه لم يفصل القول فيها • ولمح المستوفى أيضا الى هذه القلعة ، وذكر ، ان من مدنها الكبيرة أيضا : هنگران ، غير انه يشك فى هذه القراءة • وفى سنة ٦١٩ (١٢٢٢) اكتسح جنكيزخان هذه البلاد جميعا ، واستولى على فيروز كوه عنوة وأنزل فيها الخراب والدمار • وجاء ذكر فلتين آخرين أتبعنا الجيش النولى ، وهما : كليون وقبوار ، وبينهما عشرة فراسخ • ولكن لا يعرف موضع

كثيمهما • ويقال ان جنكيزخان قد خربهما تخريبا تاما • وذكر القزوينى فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) مدينة أخرى من مدن النور الكبيرة ، وهى نحوست ، ولعلها تطابق مدينة خشت وقد مر ذكرها فى صفحة ٤٥٣ ، بأنها قرب منابع هرى رود • ولم يذكر من مواضع النور فى أيام تیمور ، على ما يبدو ، غير قلعة خستار ، وهذه أيضا لا يعرف شىء عن موضعها (١١) •

أما مدينة الباميان ، فقد كانت قسبة كورة عظيمة على اسمها • وتؤلف القسم الشرقى من النور • ويسندل بقاياها السحيقة فى القدم انها كانت مركزا بوذيا عظيما قبل الاسلام بزمن طويل • وقد وصف الاصطخرى الباميان فى المثة الرابعة (العاشرة) فقال « تكون نحوا من نصف بلخ ، وهى على جبل وليس لها سور ، وناحتها فى غاية الخصب يستقىها نهر كبير • وأشار المقدسى الى مدينة اللحوم (١٢) وقرات اسمها مشكوك فيه ، وقد أشاد بذكر هذه المدينة وقال « هى احدى قرى خراسان وخزائن السند • البرد فيها شديد والثلوج كثيرة • ومن احتلف اليها أفاد انها حيدة لا براغب ولا عقارب بها • وفى المدينة جامع وأسواق عامرة فى أرباضها • ولها أربعة أبواب تفضى الى خارج المدينة • وفى المثة الرابعة (العاشرة) كان فى ناحية الباميان مدن كثيرة كثيرة ولكن مواضعها قد ضاعت علينا اليوم • ومن أكبر مدنها ، ثلاث ، هى : يسفورفد وسكيوند ولخراب •

وفى أوائل المثة السابعة (الثالثة عشرة) أفاض ياقوت فى وصف أصنام البد العظيمة التى كانت حينذاك فى الباميان • قال : « وبها بيت ذاهب فى الهواء بأساطين مرفوعة منقوش فيه كل طير خلقه الله تعالى على وجه الارض • وفيه صنمان عظيمان تقرا فى الجبل من أسفله الى أعلاه ، يسمى أحدهما سرخسجند ، والآخر

(١١) الاصطخرى ٢٧٢ : ابن حوقل ٣٠٤ و ٢٢٢ : ياقوت ٣ : ٨٢٢ : ٤ : ٩٣٠ : القزوينى ٢ : ٢٤٤ : المستوفى ١٨٤ و ١٨٨ : على البزدي ١ : ١٥٠ : وعن بلاد السور واضح ما كتبه Sir H. Yule فى دائرة المعارف البريطانية (الطبعة التاسعة ١٠ : ٥٦٩) • (١٢) لم نلح على ذكر مدينة باسم « اللحوم » لا فى المقدسى ولا فى غيره من كتب البلدان • الا اننا لا ننسى ، من مراجعة المصنحين ٣٠٢ و ٣٠٤ فى المقدسى ، المتن ذكرها المؤلف فى هامشه ، ان ما ذكره من وصف لمدينة زعم ان اسمها « اللحوم » جاء فى سياق كلام المقدسى على مدينة هرازين فى المصنحين المذكورين • فقد قال المقدسى فى هرازين « ... رخيصة الاسمار كثيرة اللحوم طيبة اللواحة ... الى آخر النص الذى نقله المؤلف أعلاه وعزاه الى مدينة اللحوم • وهو وهم ولا شك • (م) •

خَتْمَكُمُ (أى بوذا الاحمر وبوذا الاشهب) وقيل ليس لها فى الدنيا نظير *
وتكلم القزوينى على * بيت ذهب *^(١٣) فى الباميان كما تكلم على الصنمين العظيمين
للبد * وذكر أيضا ان بها معادن زئبق وعين كبريت * وخراب الباميان ومدن
كورتها كلها حتى يتجهير ، على ما قد بينا ، انما كان من غضب جنكيزخان
وسخطه لمقتل حفيده العزيز موتوكن بن جغتاي فى حصاره الباميان ، فأمر جنكيز
جيشه بتخريب أسوار المدينة وبيوتها ودكها الى الارض * ومنع الناس من العودة
الى بنائها أو الميش فيها * وغَيَّرَ اسم الباميان الى موبلق ومناه بلفته التركية :
المدينة الملعونة * وأصبحت الباميان منذ ذلك الحين قفرا بلقعا^(١٤) .

(١٣) ما فى القزوينى * بها بيت فاصب فى الهواء * (آثار البلاد * ص ١٠٢) (م) *
(١٤) الامستخرى ٢٧٧ و ٢٨٠ : ابن حوقل ٣٢٧ و ٣٢٨ : المقدسى ٢٩٦ و ٣٠٣ و ٣٠٤ :
ياقوت ١ : ٤٨١ : القزوينى ٢ : ١٠٣ : المستوفى ١٨٨ : إير الغازى ١١٤ و ١٤٩ * وللتوفى على
رسوم لمنسى اليد العظيم فى الباميان ، انظر : Talbot and Maitland فى JRAS
للسنة ٨٨٦ ص ٣٣٢ .

الفصل الثمانون

خراسان «تت»

ربع بلخ في إقليم خراسان - مدينة بلخ والنوبهار - الحية الجوزجان - الطالقان
والجروان - مينة أو اليهودية - النارياب ، شيركان ، انبار ، واندهود -
لحية طخارستان - خلم ، سمنجان والندرياسة - ورواليز
والطالقان - تجارات خراسان ولغلا - المسالك في
خراسان وقوستان -

بلخ ، - « أم البلاد » - قد سمي بها رابع أرباع خراسان وما كان من
هذا الرخ خارج حد قصبتها ، انقسم الى قسمين : الغربى منها في الجوزجان ،
والشرقى في طخارستان ، ناحيته السطيمتين .

وفي المة الثالثة (التاسعة) تكلم اليقوبى على بلخ ، وقال انها مدينة خراسان
المعظمى ، وكان عليها في متقدم الايام ثلاثة أسوار وثلاثة عشر باباً^(١) . وزاد
المقدس عليه : « يقال ان اسمها في كتب الاعاجم بلخ البهية » . وفي ظاهر المدينة
ربض النوبهار . وكانت مساحة المدينة ثلاثة أميال في مثلها . وبلخ ، على
ما ذكر اليقوبى نيف وأربعون متراً^(٢) . وأشار الاصطخرى الى ان مدينة بلخ
« في مستو وبينها وبين أقرب الجبال البهانية نحو أربعة فراسخ » ويسمى جبل كو ،
وقال ان بنائها من الطين وكذلك سور المدينة . ويحف بالسور خندق عميق .
وكان المسجد الجامع في المدينة في وسطها ، وأسواقها حوالى المسجد الجامع .

(١) ما في اليقوبى (البلدان - ص ٢٨٧) : اثنا عشر باباً (م) .
(٢) ذكر اليقوبى (البلدان ٢٨٨) : ان بلخ سبعة وأربعين متراً (م) .

ولها نهر يسمى دهاس ومعناه (بالفارسية) على قول ابن حوقل « عشر أرحية » .
وهو بعد ان يديرها يمر على باب النوبهار ويستقى رساتيقها الى سباه جرد في طريق
ترمذ . ويحف ببلغ البساتين وفيها التارنح والبلوفر وقصب السكر والاعتاب ،
وتحصل منها الى سائر الجهات . وأسواقها عامرة كثيرة التجار .

وللمدينة سبعة أبواب ، هي : باب النوبهار ، وباب رحبة ، وباب الحديد ،
وباب الهندوان (أى باب الهندوس) وباب اليهود ، وباب شست بسند (أى باب
الستين سدأ) وباب يحيى . ووصف المقدسى حسن موقعها وبهاها ويسارها
وكثرة أنهارها ورخص أسرارها ووفرة غلاتها وسعة طرقها . وذكر سورها
ومسجد جامعها واشراق قصورها . وبقيت ببلغ على ما كانت عليه من بهائنا هذا
وحسنتها ، حتى منتصف المئة السادسة (الثانية عشرة) حين استحوذ عليها
الخراب أول مرة باستيلاء الفزّ الاثراك عليها فى سنة ٥٥٠ (١١٥٥) ، الا
انهم بعد أن تخلّوا عنها عاد إليها أهلها وجدّدوا بناء مدينتهم فى موضع آخر
مجاور لموضعها الأول ، وما عمت ببلغ ان استعادت بعض سابق عزّها ، فوسفها
ياقوت فى أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، وهى فى حالها هذا ، قيل خرابها
الثانى على يد المنول .

أما بعض ببلغ الكبير ، المسمى النوبهار ، وقد كان فى أيام الساسانيين على
ما ذكر المسعودى ، بيت نار من أكبر بيوت المجوس ، فقد جاءنا عن ياقوت وصف
طويل له ، نقله عن عمر بن الأثرق الكرمانى . وللقزوينى وصف مشابه له .
كان السادن الأكبر لبيت النار هذا ، يسمى يرمك ، وهو جد البرامكة . وكانت
هذه الاسرة فى أيام الساسانيين توارث رئاسة الدين الزردشتى فى هذه المدينة .
وجاء عن النوبهار انهم اتخذوا بيت النار فيها « مضاهاة لست الله الحرام » فى مكة .
فزينوا جدرانها بالجواهر النفيسة وعلقوا عليها سنائر الديباج والحريز وكانوا
يكتلون به بالريحان لا سيما فى وقت الربيع . فمضى نوبهار أول الربيع وبواكيره .
وفيه يكون الحبح الى هذا البيت . وكان على الناء قبة عظيمة يسمونها الأستن ،
« وارتفاعها فوق مئة ذراع باروقة مستديرة حولها ، وكان حول البيت ثلاثمائة

وستون مقصورة يسكنها خدامه وقوامه وسدنته . وكان على كل واحد من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعود الى الخدمة حولا كاملا . وكانت الاعلام تنصب على أعلى قبة . ويقال ان الريح ربما حملت الحرير من العلم الذى فوق القبة مسافة لا تصدق . وكان فى هذا البيت كثير من الاصنام ؛ بينها الصنم الاكبر ، يحج الناس اليه من كابل ومن الهند والصين ، فيسجدون له ثم يقبلون يد يرمك السادن الاكبر . وكان ما حول النوبهار من الارضين سبعة فراسخ فى مثلها وقفا على هذا البيت ثقل مالا عظيما . ولما افتتح الاخشف بن قيس بلاد خراسان فى أيام عثمان بن عفان ، نقض بيت النوبهار العظيم وأدخل أهلها فى الاسلام (٣) .

وفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) دمر الفول مدينة بلخ . وذكر ابن بطوطة ان جنكيزخان دهم من مسجدها نحو ذلك بسبب كنز ذكر له انه تحت سارية من سواريه . . ولما زار ابن بطوطة هذه الناحية فى النصف الاول من المئة الثانية (الرابعة عشرة) كانت بلخ خاوية على عروشها غير عامرة ، ومساجدها ومدارسها باقية الرسوم . يزورها أهل التقي والورع . وكثيرا ما تردد ذكر بلخ فى أخبار حروب تيمور ، فى ختام المئة الثانية (الرابعة عشرة) وهذا يدل على انها استمادت حينذاك شيئا من سالف مجدها . وكان تيمور قد جدد القلعة التى فى ظاهر أسوارها المروقة بقلعة الهندوان أى قلعة الهندوس ، واتخذت مقاما لحامله عليها . ثم انه جدد بناء قسم كبير من المدينة القديمة .

أما اليوم ، فإن بلخ تمد من أجل مدن أفغانستان الحديثة . وفيها المزار العظيم المشهور المعروف بـ « مزار شريف » حيث دفن على ما يقال ، الخليفة علي

(٣) الهموى ٢٨٧ و ٢٨٨ ؛ الاصطخرى ٢٧٥ و ٢٧٨ و ٢٨٠ ؛ ابن حوقل ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٩ ؛ المقدسى ٣٠١ و ٣٠٢ ؛ المسعودى ٤٨٠ ؛ ياقوت ١ : ٧١٣ ؛ ٤ : ٨١٧ و ٨١٨ . القزونى ٢ : ٢٢١ .

ترجم هذه التيلة الفربية عن النوبهار بختايرغا . باربيه دى بينار Barbier de Meynard فى مجلد Dictionnaire Géographique de la Perse من ٥٦٦ . واستفتح السرخس حوى رولسن (H. Rawlinson) من وجود الاصنام الكبيرة والصغيرة والاعلام (للقسمة) ان النوبهار ، كان فى الاسفل ، مجنبا بويديا - فسر اسمه بـ « تولهازه » « أى نهار الجديد » - أو هيرا بويديا . انظر JRGS لسنة ١٨٧٢ من ٥١٠ .

- ويسمى شاه مردان « أى ملك الرجال » - . وعلى قول خواندمير ، ان هذا القبر الوهمى لملي الشهيد قد اكتشف فى سنة ٨٨٥ (١٤٨٠) يوم كان ميرزا يقرا خفيد تيمور واليا على بلخ . وفى السنة المذكورة أطلع ميرزا بقرا على كتاب تاريخ كتب فى أيام السلطان سنجر السلجوقى ، جاء فيه ان عليا مدفون فى قرية خواجا خيران وهى تبعد ثلاثة فراسخ عن بلخ . وبناء على ذلك ، ذهب الوالى الى تلك القرية ، ليتحرى الامر فاكتشف لوحا فيه ما نصه بالعربية : « هذا قبر أسد الله ووليّه علي أخى (عوضا عن ابن عم) رسول الله » . فاقیم على هذا القبر مزار عظيم ، وصار منذ ذلك الحين مكرما عظيم التكریم لدى أهل آسية الوسطى ، وهو ما زال من المواضع الشريفة التى تزار^(١) .

وكانت الجوزجان (الجوزجان أو جزجانان) الناحية الغربية من ربع بلخ ، وبها يمرّ الطريق من مرو الروذ الى مدينة بلخ . وكانت فى الصور الوسطى من أعمار النواحي وأكثرها أهلا ، فيها مدن كثيرة لم يبق منها اليوم غير ثلاث تعرف بأسمائها القديمة . أما مواضع المدن الاخرى فقد ذكرها بلدانيو العرب ، ومن الممكن تعيينها بالاستناد الى كتب المسالك . ومع ان اسمها قد تبدلت ، غير ان الخرائب ما زالت تميز مواضعها القديمة . وكانت هذه الناحية عظيمة الخصب كثيرة التجارات ، وأكثر ما كان يرتفع منها الجلود المدبوغة التى تحمل الى سائر خراسان^(٢) .

وعلى ثلاث مراحل من مرو الروذ من جهة بلخ ، مدينة الطالقان . ولم يبق لهذا الاسم ذكر فى الخارطة . غير ان المرتفعات وبقايا الآثار بالقرب من جاجكتو ، قد تميز موضعها . وكانت الطالقان فى المئة الثالثة (التاسعة) مدينة جليلة الشأن . قال اليعقوبى : بها تعمل اللبود الطالقانية . وهى بين جبلين عظيمين ، بها مسجد جامع واسع . وفى المئة التالية لها ، قال الاصطخرى « الطالقان مدينة نحو من

(١) ابن بطوطة ٣ : ٥٨ و ٥٩ : على اليردى ١ : ١٧٦ : خواندمير ٣ (الجزء الثالث) ص ٢٢٨ : C.E. Yate فى كتاب افغانستان ص ٢٥٦ و ٢٨٠ (انتهى) .

لغلا : وراجع سادة « بلخ » فى دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية ٤ : ٧٨ - ٨١) (م) .

(٢) الاصطخرى ٢٧١ : ابن حوقل ٢٢٢ : المقدسى ٢٩٨ : ياقوت ٢ : ١٤٩ .

حرو الروذ في الكبر • وهى أصحّ هواءً ونبأها من طين • • وكان بالقرب منها قرية جُندُوَيْتَة وفيها على ما قال ياقوت وقعت في الملة الثانية (الثامنة) • أول وقعة بين أصحاب أبي مسلم الخراساني (داعي الباسيين) وبين أصحاب بنى أمية • وهى وقعة مشهورة لها ذكر • • وبعد مضي زمن يسير على ما كتبه ياقوت • استولى جكينزخان على الطالقان في سنة ٦١٧ (١٧٢٠) بعد أن حاصرها سبعة أشهر • وقتل جميع أهلها وسوّى قلعها بالأرض •

وكانت الجُرْزُوان بين الجبال - وهى أشبه شئ بمكة • لأنها بين جبلين - وفيها كان أمير الجوزجان يقضى أيام الحر • واسم المدينة بهذه الصورة • لقا هو بحسب تسمية العرب لها • أما الفرس فيقولون كرزان • وكانت تكتب أيضاً جرزبان أو كرزيان • وهى بين الطالقان ومرو الروذ في ما كان من نحو تخوم الثور • قال ياقوت • هى مدينة آهلة • وأهلها كلهم مياسير • • ولا يرى اليوم فى الغارطة موضع بهذا الاسم • إلا ان الخراب المعروفة بقلعة والى • تشير فى أكثر الاحتمال إليها (١) •

أما مدينة مينة • وهى على مرحلتين مما بلى الطالقان فى طريق بلخ • فما زالت مدينة عامرة • وكان يقال لها فى العصور الوسطى اليهودان أو اليهودية • وكانت تمد فى الغالب قصبة الجوزجان • قال ابن حوقل ان لمسجد هذا الجامع حنارتين • ذكر ياقوت • وقد أورد أسماها بصورة يهودان الكبرى أيضا • ان اليهود لما أخرجوا من البيت المقدس فى أيام يختصر كانوا أول من نزل موضعها • ثم بدل اسمها الى مينة • أى المدينة الميمونة أو الموقفة • تيمناً بذلك • لأن اسم اليهودية يأباه المسلمون • وما زالت تعرف باسم مينة الى هذا اليوم • والظاهر

(١) البغوي ٢٨٧ : الاسطخرى ٢٧٠ : ابن حوقل ٣٢١ و ٣٢٢ : ياقوت ٢ : ٥٩ : ١٦٦ : ٣ : ٤٩١ : ٤ : ٢٥٨ : أبو المازى ١١٤ : O.E. Zato : الفانستان ١٥٧ : ١٩٤ : ١٩٥ و ١٩٦ و ٢١١ -

تيمد خراب جاسكنو (الطالقان) ٤٥ ميلا فى النمر الجنوبى عن بالامغاب (مرو الروذ) وهى تعادل مسيرة ثلاثة أيام فى أرض جبلية من الموضع الاثير الى الطالقان • وقد ذكر على البردى اسم جاسكنو (وكسها : جيجيكنو) فى اخبار عرب تيمور (١ : ٨٠٦ : ٢ : ٥٩٣) ولكنه لم يذكر الطالقان • وترى خراب قلعة والى (لعلها الجرزدان) على ٢٧ ميلا من بالامغاب وهناك موضع آخر قد يشير الى قاياماا الفظية بالقرب من تفت خان • فلعل أحد هذين الموضعين هو كرزان • وما يحسن ذكره انها كانت دار عرب للفرد فى أيام ملوك خوارزمشاه •

ان المستوفى ذكر مينة أيضا فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) فقال هى بلدة ومطة من البلاد الحارة ، ينمو فيها القمح والفواكه والتمور ، وماؤها من نهر قريب منها ولعل هناك بعض اللباس بين مينة الجوزجان هذه وميند ، عوضا عن ميوند فى زابلستان ، فى نصف الطريق بين كركشك وقندهار . وظهر مثل هذا اللباس فى صفحات معجم ياقوت وقد كتب عن ميند غزنة قال هى « بين باميان والنور » ويريد بذلك على ما يبدو مينة أى اليهودية . وعلى مرحلة من اليهودية أى مينة ، كانت مدينة كندرم ، وتكتب أيضا كندردم . وهى على ما ذكره اليعقوبى « يسكنها ملك الجوزجان » . وقال الاصطخرى « كندردم فى الجبل ، وهى مدينة كثيرة الكروم والجوز ولها مياه كثيرة » (٧) .

ومن أجل مدن الجوزجان فى المصور الوسطى : الفارياب . ولم يبق لاسمها ذكر فى الخارطة . الا انه يؤخذ من وصف كتب المسالك لموضعها ، ان خرائطها قد تطابق ما يعرف اليوم بـ « خيراباد » حيث توجد قلعة قديمة تحيط بها تلون من الحجر . كانت الفارياب ، على ما ذكر ابن حوقل ، فى المثة الرابعة (العاشر) ، مدينة أصغر من الطالقان ، الا انها أكثر بساتين ومياها ، وأصح هواء منها ، جامعة للصنائع والتجارة ، وليس لمسجد جامعها منارة . « أما ياقوت ، وقد كتب اسمها فرياب ، فانه ذكر موضعها بالنسبة الى الطالقان وشورقان ، ولم يزد شيئا على ذلك . وفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) أى بعد مقامه فيها بشئ يسير ، خرب المنول مدينة الفارياب عن آخرها . ولم يذكرها المستوفى الا لمأ . وكان بين اليهودية والفارياب ، على قول ابن حوقل ، مدينة مرسان (٨) . وكانت « تقارب اليهودية فى الكبر » فى المثة الرابعة (العاشر) . ولعلها تطابق قرية تريان التى ذكرها ياقوت فى ما يشبه هذا الموضع . وفى هذه البلاد الجبلية كانت بلدة سان الصغيرة ، قال فيها ابن حوقل لها بساتين كثيرة مشمرة بها الأعشاب والجوز ،

(٧) اليعقوبى ٢٨٧ ؛ الاصطخرى ٢٧٠ و ٢٧١ ؛ ابن حوقل ٢٢١ و ٢٢٢ ؛ ياقوت ٢ : ١٦٨

٥ : ٧١٩ و ١٠٤٥ ، المستوفى ١٨٥ . G.E. Yâsi . افغانستان ٣٣٦ -

(٨) رجعت الى ابن حوقل فى طبعته الثانية (ص ٤٤٢ و ٤٤٣ ، المقابلة لصفحة ٣٢٢ من طبعته الاول) فلم نعتز فيه على مدينة باسم مرسان . بل انه تكلم على مدينة « سان » فقط فى ثلاثة مواضع . كما ذكر مدينة باسم « تريان » مما يدل على انها مدينتان لا مدينة واحدة (م) .

ومياها وإفرة^(١) .

وشبرقان ، وجاء اسمها بصورة أشبورقان ، أو أشبرقان ، وكذلك شبورقان أو سورغان ، ما زالت قائمة ، صارت في المئة الثالثة (التاسعة) مرة قاعدة الملك في ناحية الجوزجان ، ثم انتقلت منها الى اليهودية (ميمنة) وكانت حينذاك تقاربها كبرا . وبساتينها ومزارعها في غاية الخصب ، كثيرة الفواكه ، تحمل منها الى سائر الانحاء . وقال ياقوت ، وقد كتبها بصورة شبرقان وشفرقان وشبورقان ، انها كانت في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) في أيام الغزو المغولي « عامرة أهلة يقصدها التجار ويبيعون فيها الامتعة الكثيرة » . وتكلم عليها المستوفى بعده بقرن بما يشبه ذلك ، جاسا بين شبورقان وفارياب ، وقال ان القمح فيها كثير رخيص .

وعلى يوم جنوب شبورقان ، في نحو من المسافة نفسها شرق اليهودية ، مدينة أنبار ، وكتبت أيضا أنبير . قال فيها ابن حوقل : هي أكبر من مرو الروذ وبها مقام سلطان تلك الناحية في الشتاء . ولم يبق مدينة باسمها اليوم ، غير انه يؤخذ من موضعها ان أنبار قد تطابق سرهول في أعلى نهر شبورقان ، وهذه ما زالت ذات شأن . وكانت الكروم تحف بأنبار ، وبنائها من طين . وتمد في الغالب أكبر مدن الجوزجان ، ولعلها هي البلدة التي زارها ناصر خسرو في طريقه الى شبورخان وجعلها قسبة الجوزجانان ، وتكلم على مسجدتها الجامع العظيم ، وأشار الى ادمان أهلها شرب الخمر . وفي البرية ، شمال غربي شبورقان ، مدينة أندخوى ، وقد كتب البلدانيون الاولون اسمها بصور مختلفة : أندخذ ، أدخود ، أندخذ ، وقال ابن حوقل في المئة الرابعة (الماشرة) انها « مدينة صغيرة في مقالة لها صبح قري ويوت للاكراد من أرباب الاغنام ، ولهم ابل ، » وذكرها ياقوت دون أن يزيد شيئا على ما تقدم . وكثيرا ما ورد اسمها أيضا في أخبار حروب

(١) الاسفطرى ٢٧٠ : ابن حوقل ٢٢١ و ٢٢٢ ، ناسر خسرو ٣ : ياقوت ٣ : ٨٤٠ و ٨٨٨ : ٤ : ٧٧٥ : المستوفى ١٨٨ : الغانستان ٢٢٣ .

وكلمة ناسر خسرو فارياب الجوزجان يد « ده فارياب » وكان مر بها حتى ذهابه من شابرغان الى المالكان . وذكرها جيهان نسا بصورة ناراب (ص ٣٢٤) . وينبغي ان لا يفتس اسمها بفارياب التي يقال لها أيضا فارياب ، وهي القراء على نهر مسيكون على ما سنبينه في الفصل الرابع والثلاثين .

تيمور (١٠) .

وناحية طخارستان العظيمة ، فى شرق بلخ ، متدة بحذاء الضفة الجنوبية لنهر جيحون حتى حدود بدخشان . وتحدها من الجنوب الجبال التى فى شمال الباميان وپنجير . وكانت تنقسم الى قسمين : طخارستان العليا وهى فى شرق بلخ فى محاذة نهر جيحون ، وطخارستان السفلى وهى فى جنوبها الشرقى على حدود بدخشان . وقد ذكر بلدانيو القرون الوسطى عددا من مدن طخارستان ، ولكنهم لم يأتوا بشئ كثير عنها ، ولهذا اذا استثنينا المدن التى ذكرتها كتب المسالك ، وما زالت قائمة ، تندر علينا معرفة مواضع معظم المدن الاخرى .

وعلى يمين من شرق بلخ ، مدينة خلم . وصفها المقدسى بقوله « صغيرة » الا ان قراها ورستانها ومزارعها كثيرة ، وهوامها صحيح . وعلى يمين ايضا من خلم ، سمنجان ورؤب وهما متصانبتان . ولعل مدينة تيميك الحالية تمثل كلتيهما وهى جنوب مدينة خلم القائمة فى اعلى نهر خلم . قال المقدسى : « سمنجان اكبر من خلم ، بها منبر واحد وبها ثمار » . وقال ياقوت فيها انها بين شعب ، وقد نزلها عرب من بنى تميم . وذكر المستوفى سمنجان بقوله : انها مدينة كبيرة وكانت خرابا فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ولكن القمح يزرع فيها بكثرة وكذلك القطن ، والنب . وذكرها علي البزدي بصورة سمنكان فى سياق وصفه لزحف تيمور من خلم الى حدود الهند .

وفى با على سمنجان ، فى جنوبها الشرقى كانت بفلان : العليا والسفلى والاخرية كانت القصبة ، على ما ذكر المقدسى فى المثة الرابعة (العائرة) وبها جامع . ويظهر ان بفلان ، أو بقلان ، بحسب تهجئة علي البزدي لاسمها ، كانت تتأخر طريق اندراب وهى اندراب ، وقد وصفها المقدسى بقوله « لها اودية مشجرة وبها أسواق حارة » . وكانت هذه الاودية فى سفوح جبل پنجير الشمالية ، وفيها مدن الفضة على ما ذكر ابن حوقل ، وقال ايضا ان نهر اندراب

(١٠) اليفقوى ٢٨٧ : الاسطخري ٢٧٠ و ٢٧١ : ابن حوقل ٢٢١ و ٢٢٢ : ناسر خسرو ٢ : ياقوت ١ : ٣٦٧ و ٣٧٢ : ٣ : ٢٥٤ و ٢٥٦ و ٣٠٥ و ٨٤٠ : المستوفى ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ : علي البزدي ١ : ٨٠٥ : ٢ : ٩٢٢ : C.E. Yate : افغانستان ٢٤٦ .

ونهر كلسان ، ينحدران من هذه الناحية . ولم يزد ياقوت شيئا على ما مر ذكره ، وقد كتب اسمها بصورة أندراب أو أندرابة^(١١) .

ونهر خلم ، لا يصب في جيحون . بل تنفى مياهه في المنابع على بضعة أميال شمال خراب المدينة القديمة . وفي عدوة جيحون القربة من خلم ، كان رباط حصين منيع في المئة الرابعة (العاشرة) يقال له رباط ميلة ، حيث يمر الطريق الاتي من بلخ ، النهر العظيم الى ما وراء النهر وبلاد الختل في ثلاث مراحل . وعلى مرحلتين من شرق خلم ، كانت ورواليز أو ورواليج ، وقد وصفها ابن حوقل وغيره بأنها كانت في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة كبيرة ، وليس هناك اليوم مدينة قائمة بهذا الاسم ، الا ان موضعها ، بناء على وصف كتب المسالك ، ينبغي ان يكون قريبا جدا من موضع قندز . ولم يصف ياقوت الى ذلك شيئا الا انه وهم ، على ما يظهر ، في كتابة اسمها فجعله وزوالين ، كما ان قندز لم يذكرها ياقوت ولا غيره من البلدانين الاولين ، ولا ريب ان اسمها مختصر من قهندز النقطة الفارسية الدارجة للقلمة . وعلى ذلك فان قندز قد تكون القلعة القديمة لورواليز^(١٢) .

وعلى يومين من شرق ورواليز ، مدينة الطالقان أو طالقان طخارستان وهي ما زالت قائمة (وينبغي ان لا يلتبس اسمها مع طالقان الجوزجان وقد مر وصفها في صفحة ٤٦٦) كانت في المئة الرابعة (العاشرة) من أعمر مدن هذه الناحية وأكثرها سكانا . وذكرها المقدسي بصورة الطالقان ، وان كانت الطالقان الصيقة المفضلة لاسمها . وقال « لها سوق كبير » وكانت « في مستواة » وبينها وبين الجبل غلوة ، وكانت في المئة الرابعة (العاشرة) نحو من ثلث بلخ . يسقيها نهر يأخذ من جيحون يقال له « ختلآب » (وقد كتب أحيانا خيلا ب) ونهر وتراب (أو تراب ، غناه يشك في قراءة هذين الاسمين) . والظاهر ان هذا النهر كان من فروع

(١٢) الاسطرخى ٢٧٩ : ابن حوقل ٣٢٦ و ٣٢٢ : المقدسي ٢٩٦ : ياقوت ٢ : ٥١٨ ، ٢ : ٨٢٧ : ٣ : ١٤٢ و ٥١٨ : المستوفى ١٨٨ : علي البزدي ٢ : ١٩ C. B. Yate (دانشستان ٣١٧ : وائتر العارضة رقم ١ مقابل الفصل الاول ، لمعرفة مرامض هذه الامكنة .
(١١) الاسطرخى ٢٧٩ : ابن حوقل ٢٢٦ : المقدسي ٢٩٦ و ٣٠٣ : ياقوت ١ : ٣٧٢ ، ٤ : ٩٢٦ .

نهر ختلاب ويلتقي به فوق قنذر • وكانت هذه البقعة في غاية الخصب والزيادة
يكثر فيها ، على ما ذكر المستوفي ، القمح والفواكه • وكان جل سكانها في الثلث
الثالثة (الرابعة عشرة) من الحاكمة • وكان لها حينذاك قلعة شديدة ، حولها رستاق
كثيرة الزرع ، يكثر فيها العنب والتين والخوخ والفسق • وقد ذكر علي الزيدى
الطابقان غير مرة في حديثه عن حروب تيمور • وعلى سبعة أيام من شرقها ، على
ما ذكر البلدانون الاولون : بذخشان ، وستو • بها في الفصل القادم^(١٣) •

وأشهر تجارات خراسان ، على ما نوه ابن حوقل ، ما يرتفع من نيسابور
ومرو من ثياب القطن والأبرسم • وتكثر فيها الابل والنعم وهي رخيصة •
• وأنفس الرقيق ما يقع من بلاد الترك • - فقد بيع الرقيق ، غلاما كان أو جارية ،
على قوله ، بخمسة آلاف دينار (نحو ٢٥٠٠ باون) - والاطعمة فيها وافر • وسرد
المقدس غير ذلك من التجارات فذكر ان نيسابور كانت مجمع الصناعات • فمنها
« ترتفع الثياب البيض والعمائم الشهجانية الحفية والراخينج والتاخنج والمقانع وبين
التوبين والملاحم بالقر » والمصمت والتابي والسعيدى والظرافى والحلل وثياب
الشعر والقر • • ويرتفع من نيسابور أيضا الحديد وغير ذلك كالابر والسكاكين •
وبساتين نيسابور مشهورة بالتين والكمأة والراوند • ومن جبال رستاق ريوند
فى نيسابور يرتفع معدن الفيروزج •

ويرتفع من نسا وأبيورد : القر وثيابه وما تنسجه النساء فى رستاقهما •
ويرتفع منهما أيضا فراء الثعالب • وفى نسا نوع من البزاة ، وفيها سمسم كثير •
ويرتفع من طوس البرام الفائقة والحصر والجوب والتكك الحسنة والابراد
الجيدة • ومن هرات البر الكثير والدياج • ويرتفع منها « الزبيب ودوشاب » وناطفه
والبولاذ والفسق • • ويرتفع أيضا من هرات الحديد • ومن فرج الشار البلاد
الجيلة : اللود والبسط الحسان والعقاب والسروج والذهب والخيل الجيدة
والبقال وتحمل منها الى سائر الانحاء •

(١٣) ابن رسته ٦٤ : الاسطخرى ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٨ و ٢٧٩ : ابن حوقل ٢٢٦ : المقدسى
٢٩٦ و ٣٠٣ : ابو الفداء ٤٧٢ : ياقوت ٣ : ٥٠١ ، ٢٤ : المستوفى ١٨٨ و ١٨٩ : علي الزيدى ١ : ٨٢
و ١٧٩ - رجاء تهجئة هذا الاسم (بال وبنونها) بصورة طابقان وطابقان وطاقان مثل اسم
المدينة التى فى الجرجان •

ويرتفع من مرو الفز والابريسم والقطن ومنها تعمل المقامع وأنواع الثياب .
ويرتفع من رساتيقها الشيرج والتوابل والطور والمن . وتصنع فيها أواني
التحلس . • وليس في الدنيا مثل خبز مرو ولا نظير له في أقاليم الاعاجم . •
ويرتفع من بلخ السمس والارز واللوز والجوز والزبيب وصابونها مشهور .
يعمل الصل فيها من العنب والتين ولب الرمان ، ويحمل منها الدوشاب
والسمن . وفي أطرافها معادن الرصاص والزجاج والكبريت والزرنخ وطوب
بلخ مشهورة وكذلك الكركم والادهان . ويحمل منها الجلود المدبوغة والحلل .
ويرتفع من ترمذ في ما وراء النهر الصابون والحلث . ويحمل من درواليج
الى بنخشان ، على ما ذكر المقدسي ، من أنواع الفواكه الجوز واللوز والفستق
والكمثرى وكذلك كثير من الارز والسمس . ويحمل منها أيضا الجبن
والسمن والقرون والفراء ولا سيما جلود الثعالب^(١٤) .

أما المسالك التي كانت تخترق خراسان وقوهستان فهي : طريق خراسان العظيم،
وكان يدخل خراسان ما على بسطام (في قومس . أنظر ص ٤٠٥ - ٤٠٦) وكان من
هذا الموضع الى نيسابور طريقان : الشمالى وهو طريق القوافل من بسطام الى
جاجرم ثم منها مارا بأزادوار مخترقا بركة جوين الى نيسابور ، وهو الطريق الذى
وصفه المستوفى ، ووصف بعضه الاصطخرى وابن حوقل . والطريق الجنوبى ،
وهو أقصرهما ، هو طريق البريد الى نيسابور . وكان يبدأ من يذش ، وقد مر
ذكرها (ص ٤٠٨) ، وكانت على فرسخين من بسطام . وهذا الطريق يتأخم
الجبيل ، والمفازة على يمينه ، ويصل الى اسداباد ثم يجتاز بهمن اباد أو مزبان ،
وعندها ينفرع منه طريق نحو الشمال الى ازادوار . ويتابع طريق البريد سيره
شرقا فيجتاز سزوار حتى يصل نيسابور وهذا هو الطريق الذى وصفه ابن
خرداذبه وجميع كتب المسالك القديمة . وكان من اسداباد الى الجنوب الشرقى ،
على ما ذكر المقدسي ، طريق يقطع هذا الطرف من المفازة العظيم ، طوله ثلاثون
فرسخا الى ترشيز فى قوهستان . أما الطريق من نيسابور الى ترشيز ، فقد

(١٤) الاصطخرى ٢٨١ : ابن حوقل ٣٣٠ : المقدسي ٢٢٣ - ٢٢٦ .

ذكره ابن خردادبه والمقدسي ، كما ذكر المقدسي مراحل الطريق من نيسابور شمالا الى نسا^(١٥) .

وعلى مرحلة مما يلي نيسابور ، عند قصر الريح ، أى دزباد ، يشطر طريق خراسان شطرين • الايمن وهو الجنوبي الشرقي ، ينزل الى هراة وسنأتي على وصفه في الفقرة الآتية • ومن قصر الريح ينطف الطريق الى اليسار فالى الشمال الشرقي الى المشهد وطوس • ومنها عن طريق مزدران الى سرخس عند معبر نهر آتجند • ومن سرخس يقطع المفازة الى مرو الكرى ومنها يخترق المفازة ثانيا حتى يصل ضفة جيحون عند آمل (أى جهاز حوى) • ثم انه اذا غادر خراسان ، وقع متناه فى بخارا • وقد جاء وصف هذا القسم من طريق خراسان من نيسابور الى آمل عند معبر جيحون فى جميع كتب المسالك تقريبا مع اختلاف طفيف • وما زال أكثر مراحلها قائما الى اليوم معروفا بأسمائه القديمة^(١٦) .

مر بنا القول ان طريق خراسان ينشطر من يمينه طريق على مرحلة مما يلي نيسابور ، ومنها يبلغ هراة • وكان ينشطر من يمينه أيضا طريقان عند سرخس ومرو ، يذهب كلاهما الى مرو الروذ ، وكان ينتهى الى هذه المدينة أيضا طريق من هراة ضارب الى الشمال • ومن مرو الروذ ، كان طريق خراسان الكبير يتجه الى الشمال الشرقي نحو بلغ ، فاذا تجاوزها عبر نهر جيحون الى ترمذ • فاذا أخذنا أولا طريق هراة من موضع انشطاره عند قصر الريح ، نجد انه يصل الى بوزجان فى أربع مراحل ، وفى مثل هذه المسافة الى بوشنج • ثم الى هراة فى مرحلة يوم • وقد وصف هذا الطريق ابن رسته وبلداتو الملة الرابعة (العاشرة) وكذلك المستوفى • ويخرج من بوزجان ومن بوشنج طريقان نحو الجنوب الغربى والغرب ، يجتمعان فى قاین • وقد أورد الاصطخرى وغيره

(١٥) ابن خردادبه ٢٣ و ٥٢ ؛ لقائمة ٢٠١ ؛ ابن رسته ١٧٠ (ولاية تفاصيل هذا الطريق) ؛ الاستبصار ٢١٦ و ٢٨٤ ؛ ابن حوقل ٢٧٥ و ٣٣٣ ؛ المقدسي ٣٥١ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٤٩١ ؛ المستوفى ١٩٦ .

(١٦) ابن خردادبه ٢٤ و ٢٥ ؛ لقائمة ٢٠١ و ٢٠٢ ؛ ابن رسته ١٧١ ؛ البغوى ٢٧٩ ؛ المقدسي ٢٤٨ و ٣٥١ ؛ المستوفى ١٩٦ (وقد وصف الطريق حتى سرخس) .

المسافات بين مدن قوهستان المختلفة • وتجتمع في قايين أيضا الطرق الآتية من طيس وخور على حدود المفازة الكبرى^(١٧) .

ومن هراة ينزل الطريق جنوبا الى زرنيج مارا باسفزار قاطعا حد سمجستان بين تلك المدينة وفره (أنظر ص ٣٧٩ أعلاه) ، وقد جاء وصف هذا الطريق في ابن رسته والبلدانيين الثلاثة من أهل المثة الرابعة (العاشرة) • والطريق من هراة شرقا يصعد في وادي هري رود الى حد النور ، وقد ذكر هؤلاء البلدانيون أنفسهم أسماء ما فيه من مدن • بين المدينة والمدينة يوم • وذكر بلدانيو المثة الرابعة (العاشرة) أيضا ، مسافات الطريق من هراة فكروخ الى شرمين وابشين في غرجستان بالايام • ثم يتحد الطريق الى نهر مرغاب فيصل الى مرو الروذ • وجاء ذكر الطرق الى مرو الروذ أو قصر الأتحف (مروچك) التي تجتاز باذغيس مارة ببشور ، قصبها (في الاصطخرى وابن حوقل والمقدسي ، وكذلك في المستوفى في المثة الثامنة (الرابعة عشرة)^(١٨) •

وكان يجتمع في مرو الروذ طريقان : من سرخس ومن مرو الكبرى يقطع أولهما المفازة بين النهرين الكبيرين • والثاني يصعد مع نهر مرغاب مارا بالأراضي الخصبة وبسا على ضفافه من مدن • اما طريق المفازة الذي يمر بجبله رباطان ، فلم يذكره غير المقدسي ، وقد نقل عنه المستوفى وجهان ثما الكتاب التركي • وذكر ابن خرداذبه وقدامة الطريق من مرو الكبرى الى نهر مرغاب وكذلك المقدسي ولكن وصفه كان لغير هذا الطريق^(١٩) •

ومن مرو الروذ الى بلخ ، ذكر ابن خرداذبه وكتب المسالك القديمة طريقا يخترق تاحية الجوزجان ويمر بالطالقان ، ومنها الى بلخ مارا اما بفارياب وشورقان ، واما باليهودية (ميمنة) وأتبار • وذكره الاصطخرى والمقدسي مع

(١٧) ابن رسته ١٧٢ (وفيه تفاصيل الطريق بدون ذكر المسافات) ، الاصطخرى ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٦ ؛ ابن حوقل ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٥ ؛ للمقدسي ٣٥١ و ٣٥٢ ؛ للمستوفى ١١٧ •
(١٨) ابن رسته ١٧٣ و ١٧٤ ؛ الاصطخرى ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٨٥ ؛ ابن حوقل ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٢٤ ؛ للمقدسي ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ ؛ المستوفى ١١٨ •
(١٩) ابن خرداذبه ٣٢ ؛ قدامة ٢٠٦ ؛ المقدسي ٣٤٧ و ٣٤٩ ؛ المستوفى ١٦٦ ؛
جهان لما ٣٢٩ •

بيان المسافات بالمراحل • وذكر المستوفى طريقا من مرو الروذ الى بلخ يمشى من الاختلاف • كان يمر فى غرب كل من الطالقان • وتبعد عن يمين الطريق ستة فراسخ • والفارياب وتبعد فرسخين عن يمينه أيضا • فيصل الى شيورقان • ثم يمر قنطرة جموخان الى بلخ • وقد نقل جهان نما هذا الوصف للطريق • ومن بلخ كان الطريق يصل الى نهر جيحون عند موضع منه بازاء تربد فى مرحلتين مارا بسياء جرد (٢٠) •

ومن شرق بلخ • يضرب الطريق الى حدود بدخشان مارا بخلم والطالقان • ويتفرع منه طريق من خلم يتجه نحو الجنوب الشرقى الى اندراية ومادن يتجهير شمال كابل • وقد أجمل الاصطخرى والمقدسى أيضا ذكر طرق من بلخ مجتازة الجبال الى الباميان • ثم منها نحو الجنوب الى قصدار مارة بتزنة • ويفرع من غزنة طريق نحو الشرق الى حدود الهند • الا انه يشك فى مراحل هذه الطرق • لان الامكنة المسماة بها غير معروفة (٢١) •

(٢٠) ابن خردادبه ٣٢ : مقدمة ٢١٠ : الاصطخرى ٢٨٦ : ابن حوقل ٣٢٢ : المقدسى ٣٤٦ و ٣٤٧ : المسنوى ١٦٧ : جهان نما ٣٢٩ •
(٢١) الاصطخرى ٢٨٦ : ابن حوقل ٣٣٤ و ٣٣٥ : المقدسى ٣٤٦ و ٣٤٩ : ٤٨٦ •

الفصل الحادي والثلاثون

ما وراء النهر

(نهر جيحون)

- بلاد ما وراء النهر إجمالاً - اسما جيحون (Oxus) وسيعون (Jaxartes) -
روافده نهر جيحون العليا - بلخشان ووخان - القتل والوخش - القبلايان
والصغانيان ومنلهما - فطرة العجاجة - ترمد - الأبواب العديد -
كالك والميسك والبربر - بحر آرال إلى بحيرة
خوارزم - الجهاد ما جيحون شتاء .

كان نهر جيحون القديم يعدّ الحدّ الفاصل بين الاقوام الناطقة بالفارسية والتركية ، أي إيران وتوران . فما كان في شماله ، أي ورائه ، من أقاليم ، قد سماها العرب ما وراء النهر (وهو نهر جيحون) وكذلك سموها الهيتل . وقد كان الهياطة في المئة الخامسة للميلاد أعدى أعداء الدولة الساسانية . وهم الاثلاطيون (Ephthalites) لدى المؤلفين البزنطيين ، ويعرفون بالهون البيض . على ان مصنفى القرون الوسطى من العرب ، كانوا لا يتقيدون في استعمال اسم الهيتل فقد أطلقوه اعتباطاً على جميع الشعوب والبلاد التورانية في ما وراء جيحون وعلى ذلك جرى المقدسي في استعماله ايّاه .

وقد يكون من الملائم تقسيم هذه البلاد بين خمسة أقاليم . أجلها شأنًا كان الصغد ، وهو صفديانا (Sogdiana) القديمة مع قصبتها بخارا وسمرقند . وفي غرب الصغد : خوارزم ، وهو الاقليم المعروف اليوم بـ « خيوة » . ويشتمل على دلتا نهر جيحون . وفي الجنوب الشرقي : الصغانيان ومنه الختل وغيرهما

من الكور الكبيرة التي فى أعلى نهر جيحون . واليه أيضا تمود بدخشان ، وإن وقعت فى ضفته اليسرى أى الجنوبية ، فإن المنطف الكبير للنهر فيما وراء طخارستان يكاد يملؤها . ثم أقليم نهر سيحون ، وهما فرغانة فى أعلى النهر وأقليم الشاش (وهو اليوم تاشكند أو طشقند) مع التواشى التى فى الشمال الغربى الممتدة حتى مصب سيحون فى منافع بحر آرال .

وأطلق العرب فى القرون الوسطى على نهر أوكسس Oxus ونهر جكزرتس Jaxartes اسمى : جيحون وسيحون على ولاء . وهما كدجلة والفرات يمدان من أنهار الجنة حسب ما يروى . ويتوزع الفيض أصل هذين الاسمين ، أما يبدو أن العرب قد اتبسوها من اليهود ، فيجيحون وسيحون ليسا الا صورتين مصححتين لاسمى النهرين المذكورين فى سفر الكويز (٢ : ١١ و ١٣) : جيحون (جيحون Gihon) ونيشون (يسنون Pison)^(١) .

وفى أواخر العصور الوسطى ، فى نحو من زمن الفارة المنولية ، كاد يطل استعمال اسمى جيحون وسيحون . فعرف نهر اكسس فى الغالب بـ « أمويه » أو « أمودريا » أما جكزرتس فعرف بـ « سيرديا » ، على ما سيئنه فى فصل قادم . وأصل لفظة أمويه أو أمو غير واضح كل الوضوح فحافظ أورو فسر ، بأنه ليس الا اسم مدينة وكورة على ضفة جيحون من جانب خراسان كتبت فى الأصل بصورة آمل (وهى جهاز جوى . أنظر ص ٤٤٥-٤٤٦ أعلاه) . ولعل أمر ذلك بالعكس ، فيكون التفسير الصحيح أن مدينة آمل ربما سميت أمويه أو أمو نسبة الى اسم محلى (فارسى) للنهر العظيم ، شاع استعماله وحل محل اسم

(١) الاستغنى ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٩٥ : ابن حوقل ٣٣٥ و ٣٤٧ و ٣٤٨ : المقدسى ٢٦١ - ٢٦٨ .
ورد حرف هذان الاسمان تحريفا طفيفا الى سيحان وجيحان ، وأطلقا على ما قد بينا (ص ١٦٣) ،
على بيرامس وسارس . وهما النهران اللذان يمدان فليقية أمام بلاد الروم . وقد اشتق هذان الاسمان ،
على ما يظهر ، من لغة غربية ، ولا يعرف معيها . وقد صيغ اسم سيحون وجيحون على وزن
فى سبع ونتم واحد ، كما جرى الأمر على أسماء دخيلة كثيرة غيرها ، مثال ذلك الاسماء الواردة فى
القرآن والحديث وهى : نابيل ومابيل (Able , Gaim) وطالوت وسالوت (شارل وجوليان)
وبابوچ وما جوج (Magog , Gog) . انظر ما كتبه Sir H. Yule فى كتابه رود
Captain J. Wood بعنوان The Oxus (١٨٧٢) ص ٢٢ من المقدمة .

جيحون (العربي) الأبعد زمنا • على انه يلاحظ ان العرب قد سمو الانهار بأسماء ما عليها من مدن كبيرة • ومن ثمة فإن أكسس أى أمودريا هو نهر أمو • وكان يعرف فى الغالب أيضا بنهر بلخ • وان قامت هذه المدينة على بضعة أميال من ضفته الجنوبية • أما اسم أكسس • وبه عرف اليونان هذا النهر العظيم فقد حافظ عليه وخش - آب • أى نهر الوحش وهو من روافده العليا • الا ان العرب لم يطلقوا أبدا على ما يظهر اسم الوحش على عمود النهر نفسه •

ومنابع نهر جيحون • على ما ذكره ابن رسته وغيره من البلدانين الاولين • وما قالوه صحيح • من بحيرة فى التبت الصغرى وفى القامير (Pamir) وذكر الاصطخرى • وقد نقل عنه من جاء بعده من المصنفين • أسماء أربعة أنهار من روافد نهر جيحون العليا الكثيرة • وليس من السير التحقق منها ولكنه قد تشبى تسمين الاسماء الآتية منها : فعمود نهر جيحون الاعلى كان نهر جرياب • وهو اليوم نهر پنج • وكان يصل الى بذخشان من الشرق • ويخرج من بلاد يقال لها وخان - وكان يقال لنهر جرياب أيضا نهر وختاب وكان عمود جيحون هذا ينحدر من الهضاب الشرقية ويدور دورة كبيرة حول بذخشان ويضرب نحو الشمال • ثم يتجه غربا فجنوبا قبل أن يبلغ أطراف خلم • وينصب فى سين مجراه هذا الذى يؤلف ثلاثة أرباع الدائرة • كثير من الروافد الكبيرة أولها نهر أنديجاراغ • وقرب ملتقاء جيحون مدينة باسمه • والظاهر انه هو نفسه نهر يرتك اليوم • ثم يلتقى معه نهر فارغر (وكتب أيضا بصورة فرغار • فرغان • فرغى) وهو ينحدر من بلاد الختل ويطلق نهر ونج اليوم • وفى أسفله يستقبل نهرا خشوا (أخش) وهو يقابل عمود نهر جيحون • وعليه مدينة هلبك قسبة بلاد الختل • ومن منابه : نهر بلبان أو بربان • وهذه الأنهار المتحدة تعرف اليوم باسمها التركى آق صو • أى النهر الابيض • فهذه روافد نهر جيحون العليا الاربعة على ما جاءت فى الاصطخرى • وقد قال ان هذه المياه تجتمع كلها فيه فوق معبر النهر فى آرهن •

وفوق هذا المعبر أيضا • ولكن فى يسار النهر • يصب فى جيحون نهر

بدخشان ، المعروف اليوم بـ « ككچه » ويقال له نهر الضرغام . وتحت معبر آرهن ، يستقبل نهر جيحون رافده الايمن الكبير وخشاب وهو نهر الوخش ، ومنه اشتق اليونان ، على ما قلنا ، تسميتهم له بـ « أكسس » (Oxus) ، وهذا النهر يفصل بلاد المخل وبلاد الوخش اللتين فى شرقه عن ناحيتي القباذيان والصغانيان اللتين فى غربه . ونهر وخشاب ، هو النهر المعروف اليوم بسرخاب أى النهر الاحمر . وفى الموضع الذى يتجه فيه نهر جيحون الى الغرب ، بعد انعطافه حول بدخشان من ثلاثة جوانب ، يستقبل فى يساره ، أى فى ضفته الجنوبية ، نهري الطايقان وقندز الآتين من طخارستان . وهذان النهران هما اللذان سماهما ابن رسته بنهر ختلاب ونهر وتراب على الولاء ، على ما قد بينا فى الفصل السابق (ص ٤٧٠) . يلتقى نهرا القباذيان والصغانيان - والاخر ، وهو يمر بترمز ، قد سماه ابن رسته بنهر زامل - بجيحون فى ضفته الشمالية أى اليمنى . ومخرجهما فى جبال البشتم . وتفصل هذه الجبال فى الشمال مياه جيحون عن مياه زرفشان التى فى الصغد . فهذه هى آخر روافد النهر العظيم ، لان نهر جيحون لا يستقبل غيرها من الانهار اذا ما جاوز غرب بلخ . فيجرى فى المفازة باتجاه غربى وشمالى غربى حتى دلتاه فى جنوب بحر آرال^(٢) .

وبلاد بدخشان فى شرق طخارستان ، يحدق بها من ثلاثة جوانب التملطف العظيم فى نهر جيحون الاعلى ، على ما مر بنا . وقد وصف الاصطخرى هذه البلاد بقوله : « لها رستاق كبير عامر جدا خصب وبها كروم وأنهار » وقصبتها باسمها ، الا ان نهر بدخشان (أى ككچه) كان معروفًا عند العرب بنهر الضرغام على ما قد بينا . أما موضع مدينة بدخشان ، فلم تفسح عنه كتب المسالك التى انتهت اليها . الا انه نظرا الى شاعة هذه البلاد ، فمن المحتمل على ما يبدو ، انها كانت فى الوادى حيث تقوم اليوم مدينة فيض آباد (فيزاباد) ، قصبة البلاد الحالية .

(٢) ابن رسته ٩٢ و ٩٣ : ابن خردادبه ٣٣ : ابن الفقيه ٢٢٤ : الاصطخرى ٢٧٧ و ٢٩٦ : ابن حوقل ٢٤٨ : القندس ٣٠٣ : ابن سراجيون ٢٥٠ و ٢٤٤ ب : ياقوت ٢ : ١٧١ : ٣ : ٤٦٩ . وقد جاء فى القزوينى (١ : ١٧٧) اسم جرياب عوضا من جرياب . ولى (٢ : ٣٥٤) جريان عوضا من وهم الساسان .

وكانت بذخشان تشتهر منذ القديم بأحجارها الكريمة ، لا سيما « معدن البلخش المقاوم للياقوت وبها معدن اللازورد »^(٣) . وقال المقدسي في المثة الرابعة (العائرة) انه كان فيها عند معادن الجوهر حصن لزبيدة زوجة هرون الرشيد ونسب اليها . وفيها غير الياقوت والبلخش واللازورد : البلور وحجر البازهر . وبها أيضا « الاسست » وقد سماء العرب حجر القتيلة وهو لا تحرقه النار . قال المقدسي ، ويسج منه الخوان ، فاذا اتسخت وأرادوا غسلها طرحوها في التور فتعود نظيفة ، . وهكذا كانوا يصنعون بحجارة القتيلة اذا اتسخت فانهم يطرحوها في النار المتأججة ساعة فتعود الى ما كانت عليه ، وزاد المقدسي على ذلك انه كان بها « حجر يجعل في البيت المظلم فيضيء أدنى شيء » ، ولعل هذا الحجر ضرب من الحجر الفسفوري المعنى . (نوع من حجر الفلور) .

وقد أعاد القزويني نقل أكثر هذا القول ، وذكر ان في بذخشان ، غير هذه الاحجار الكريمة ، حجر الجاذي « وهو حجر كالياقوت » . وقال ان حجر القتيلة كان يحسبه العامة في أيامه « ريش الطائر لا تحرقه النار »^(٤) . وكان معدن البلخش يكثر بالقرب من مدينة يمكن في جوار معدن الفضة . وذكر أبو الفداء مدينة حرم وهو الاسم الذي أطلقه علي اليزدي على نهر بذخشان . ولما غزا تيمور بذخشان في النصف الثاني من المثة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت تعصبتها كثم ، وفيها مقام ملك بذخشان . ومن أكبر مدنها كلاوقان ، الا انه لم يته اليها وصف لهما . ولا تعرف مواضعهما .

وفي شرق بذخشان في أعلى جيحون ، مدينة وخان . قال ابن حوقل انها في الطريق الى التبت (الصفري) . ويرتفع منها المسك . وكانت من دور الكفر تاخم بلادا يقال لها السقية وكران (أو كرام) . وبلى هذه البلاد من جهة كشمير ناحية « بلور » بها موضع في كل سنة ثلاثة أشهر يدوم فيه الثلج والمطر بحيث لا يرى فيها قرص الشمس . وكانت معادن الفضة في وخان مشهورة في المثة الرابعة (العائرة) ، وفي أودية أنهارها معدن الذهب . وكانت فزافل

(٣) اشتقت كلمة Azure من اللازورد .

(٤) سموا « السست » (الدكتور مصطفى جواد) .

الريق من أواسط آسية تجتاز هذه البلاد الى خراسان ومنها الى أسواق المدن الإسلامية في الغرب^(٥) .

وكان أكبر روافد جيحون ، نهر وخشاب ، على ما مر بيانه ، يصب في يمينه آتيا من الشمال . وكانت البقاع الجبلية العظيمة الواقعة في الزاوية التي يؤلفها نهر وخشاب مع جيحون ، تعرف بالختل . وكان هذا الاسم يطلق دون تقييد على جميع بلاد الكفر مما على شرق خراسان وشمالها^(٦) . وكانت الختل تشتمل على بلاد الوخش في قسمها الشمالي حيث مخرج نهر وخشاب وهي على ما ذكر الاصطخرى في غاية الخصب ، وبها الخبول ودواب الحمل ، وبها جملة مدن كبيرة على ضفاف أنهارها الكثيرة . ويكثر فيها القمح والفواكه .

وكانت قصة الختل في المئة الرابعة (العاشرة) ، مدينة هلبك . وبها يقيم السلطان (ولعلها كانت بالقرب من موضع خلّاب الحالية) . الا ان مدينة مُنك هلاورد ، كانتا أكبر من هلبك . ومن مدنها الكبيرة أيضا انديجاراغ (أو انداجاراغ) وفرغان (أو فارغر) وهما على نهريْن باسميهما . وفيها كذلك مدينة تمليات ولاوكند ، وهذه الأخيرة كانت على نهر وخشاب أسفل من قطرة الحجارة (بالقرب من كرگان تبه الحديثة) . وصف المقدسي هلبك فقال : « هي قسبة الختل ، الجامع وسط البلد ، شربهم من نهر ، يسمى نهر أخشوا . وكانت مدينة انديجاراغ قريبة من ضفة جيحون حيث يصب رافد باسمها فيه . وربما كانت في موضع قلعة وسم الحالية . أما منك فهي أكبر مدينة في هذه البلاد ، وهي في شمال هلبك وشرق تمليات . وكانت هلاورد على نهر وخشاب . قال المقدسي : « هي أجبل من هلبك ، كبيرة » . وكانت تمليات بين منك وقطرة

(٥) الاصطخرى ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٩٧ ؛ ان حول ٢٢٧ و ٣٤٩ ؛ المقدسي ٣٠٣ . الفريسي ٢ : ٢٠٣ .

و ٢٢٥ ؛ إير العدا ٤٧٢ ؛ على اليزدي ١ : ١٧٩ .
(٦) يمتد تسمية هذه البلاد كثير من اللتياس . لقدنا اسم الختل وختلان وختلان (الاول يسكون الماء والثاني يشددها) . على ان الفريسي (٢ : ٣٥٢) قال ان ختلان بضم أوله وتشديد ثانيه مع الفصح (مدينة بارس الترك في شعب بين جبلين ، ولم يشر الى موضعها - وعلى اليزدي (١ : ٤٦٤) وفي غير هذه الصيغة) في وصفه حروب تيسود كنيه بصورة ختلان (بضم أوله وسكون ثانيه) واسم الختل (بضم أوله) ان هو الا لفظة الهيغل نفسها على ما يظهر . وهو الاسم الذي أطلقه العرب على الالفثالين (Ephthalites) أي الهون البيض من أيام الساسانيين واليزديتين .

الحجارة على وخشاب ولعلها فى موضع بلجوان الحالية . وقد ذكر على اليزدى بلجوان فى سياق حديثه عن حروب تيمور^(٧) .

وقنطرة الحجارة المشهورة التى على نهر وخشاب ، ما زالت قائمة . ذكرها ابن رسته والاصطخرى وكثيرون من المصنفين المحدثين بانها تقوم على وخشاب حيث يجره الطريق من تمليات الى مدينة واشجرد فى قباذيان . والى الشمال بلاد الكبكبد ، بحسب تسمية ابن رسته لها ، ويلها أيضا بلاد الراشت عند منابع وخشاب . وكانت قنطرة الحجارة هذه على ما ذكر الاصطخرى ، حيث يضيق مجرى النهر فى جبل هناك . وقال : لا يعلم ماء فى كثرته يضيق مثل ضيقه فى هذا الموضع . . ومثل ذلك ما قاله القزوينى وغيره من المصنفين . وأشار على اليزدى الى القنطرة أيضا ، وسماها باسمها الفارسي پول سنگين ، وباسمها التركى تاش كوبرك . وقد وصف الرحالون المحدثون هذا الموضع غير مرة^(٨) .

والى غرب نهر الوخش ، ناحية يحددها من جنوبها نهر جيحون ، سماها العرب الصفانيان ، وكتب اسمها بالفارسية چفانيان . وكان القسم الشرقى من هذه الناحية يعرف بالقباذيان نسبة الى مدينة بهذا الاسم كانت على أول نهر يلتقى بجيحون غرب وخشاب . وصف ابن حوقل قباذيان ، أو قواذيان ، بقوله « هى أصغر من الترمذ بكثير ، وتسمى فر . ويرتفع منها الفوهة^(٩) » ويحمل منها

(٧) الاصطخرى ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٩٦ و ٢٩٧ : ابن حوقل ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ : القمى ٢٩٠ و ٢٩١ : ياقوت ٣ : ٤٠٢ : على اليزدى ١ : ٨٢ .

(٨) ابن رسته ٩٢ : الاصطخرى ٢٩٧ : ابن حوقل ٣٤٨ : القزوينى ٢ : ٣٥٣ : على اليزدى ١ : ٨٣ و ٤٠٢ : H. Yule فى كتاب ورد Wood عن جيحون The Oxus من ٨٢ من القنطرة . مايف Mayer فى المجلة الجغرافية Geographical Magazine لسنة ١٨٧٥ من ٣٣٧ . ولجنة ١٨٧٦ من ٣٢٨ .

جاء فى وصف قنطرة الحجارة على ما فى اليوم . ان طولها لا يزيد على عشر شطرات وهى معلقة على صخريين لائنتين . ويجرى نهر سرخاب تحفها ولله الحصر بين جبالين عاليين تسمى الاحداو لا تتجاوز الفجوة التى يسر فيها النهر بينهما ، ثلاثين شطوة . وينسدر ماءه فى هذا الغريق بهذين هائلين .

(٩) الفوهة : سلور النبات المسمى لوة أو روبا . تستخرج منها مادة لتصبغ بالاسمر . انظر معجم شرف . ص ٤٦٥ (م) .

الى بلد الهند • ونهر القباذيان الذى تقوم عليه المدينة فى غاية الطول • وكان فى هذه الناحية • على ما ذكر المقدسى • كثير من المدن الجبلية • منها أوزج • ولعلها أيوج الحالية • وهى على ضفة جيحون الشمالية فوق الترمذ وتحت رباط مِيلَنَ الذى فى الضفة اليسرى • وذكر ياقوت ان هذه الناحية مشهورة بفواكهها •

وفى أعلى نهر القباذيان وغرب قطرة الحجارة • واشجر • وهى على ما ذكر الاصطخرى • نحو الترمذ فى الكبر • • وعلى شئ يسير من جنوبها • قلعة شومان أو الشومان العظيمة • وكان بكتر فى هذه الناحية حول شومان : الزعفران ومنها يحمل الى سائر الآفاق • وأشار المقدسى الى شومان فقال • شومان من الامهات • عامرة طيبة • • وزاد ياقوت على ذلك قوله فى أهلها • قوة وامتناع عن السلطان • • وكانت فى أيامه من الثغور الاسلامية أمام الترك • وكثيرا ما أشار على اليزدى اليها فى وصفه لحروب تيمور • باسم حصار شادمان وغالبا ما اختصره بلفظة حصار أو حصارك فقط • وتعرف اليوم بحصار أيضا^(١) •

ومدينة الصفانيان • هى مدينة سرآسيا الحديثة على ما يحتل • فى أعلى نهر الصفانيان • ويقال له أيضا نهر زامل • كانت الصفانيان فى المثة الرابعة (العاشرة) على ما ذكر الاصطخرى • • مدينة أكبر من ترمذ الا ان الترمذ أكثر أهلا ومالا • وللصفانيان قلعة • وكانت تقوم على جانبي النهر • أما المقدسى فقال : الصفانيان تكون مثل الرملة فى فلسطين وجامعها وسط السوق • • وهى من معادن أجناس الطيور وموضع الصيد • • ومن أعمالها ٦٠٠٠ قرية^(١) • • وبها خبز رخيص • وكانت مدينة بأسند الصغيرة • رجة كثيرة البساتين • • تمتد مرحلتين عن مدينة الصفانيان تقوم فى الجبال المشرقة على النهر • وعلى نهر زامل أسفل منها فى نحو من نصف الطريق بين الصفانيان وترمذ • كانت دارزنجي • وفيها • على ما ذكر ابن حوقل • رباط جليل • وعامة أهلها صوافون يعملون الأكسية • والجامع وسط الاسواق • • وفى جنوبها أيضا • بالقرب من نهر زامل • مدينة صرمنجي أو

(١٠) الاصطخرى ٢٩٨ : ابن حوقل ٣٥٠ : المقدسى ٢٨٤ و ٢٨٩ و ٢٩٠ : ياقوت ٢ : ٨٨ : ٣ : ٣٣٧ : ٤ : ١٦٦ : على اليزدى ١ : ٤٩ و ٥٢ و ٤٥٠ و ٤٥٢ و ٤٦٤ -
(١١) قال المقدسى (من ٢٨٣) • بها (أى الصفانيان) سنة عشر ألف قرية • (م) -

حرمستان • وكان بها في المئة الرابعة (العاشرة) رباط جليل أيضا • لأبي الحسن بن حسن ماه (وهو أميرها) • يصدق فيه بدينار (١٠ شلنات) خبزاً في كل يوم •

على أن أيجل مدن ناحية الصفانيان ، مدينة ترمذ (أو الترمذ) في شمال مضيق نهر جيحون وهو آت من بلخ بالقرب من ملتقى نهر زامل به • وكان لترمز في المئة الرابعة (العاشرة) قلعة فيها دار الامارة ، والريض حول المدينة التي كان عليها سور داخل ، وعلى الريض سور ثان ، ومسجدها الجامع من اللبن في أسواق المدينة • وكانت أسواقها بالآجر ومعظم سككها مفروشة بالآجر • كانت ترمذ فرضة التجارات المحمولة من الشمال الى خراسان • وللمدينة ثلاثة أبواب ، كانت على قول المقدسي حصينة منيعة • وفي سنة ٦١٧ (١٢٢٠) غزتها جحافل المغول وهي في طريقها جنوباً الى خراسان • وقامت بعد هذه الفسوة مدينة جديدة في نحو من القديمة كبراً على ما ذكر ابن بطوطة ، وقد زارها في المئة التالية لها فقال بنيت هذه الحديثة على ميلين من القديمة المهجورة • وقد أحاطت بها البساتين الكثيرة وبها المنب والسفرجل كثير متاهي الطيب •

وفي يمين نهر جيحون ، على شئ يسير أسفل الترمذ ، كانت نويدة • وفيها يعبر النهر من أراد سمرقند من بلخ • وفي نويدة مسجد جامع في وسط البلد ، وكانت آخر ما على نهر جيحون من مدن الصفانيان • وعلى مرحلة شمال غربي ترمذ ، في طريق كش وتخشب في الصنف ، مدينة هاشم جرد • وقد كان لهذه المدينة بعض الشأن في المئة الرابعة (العاشرة) • وعلى مرحلتين من شمالها كان الطريق يجتاز باب الحديد المشهور •

وهذا المضيق الذي في الجبال ، قد وصفه الرحالة الصيني هوين تسانك (Hwen Thsang) وكان قد زار الهند في سنة ٦٢٩ للميلاد بصفته حاجاً بوذياً^(١٢) • وتكلم البلاتيون العرب على مدينة في هذا الموضع ، قد سماها اليعقوبي

(١٢) وللإطلاع على ترجمة لفظة هوين تسانك له ، انظر : سر ايج يول في مقدمته لكتاب وود The Oxus ص ٦٦ • وروى هذا الحاج الصيني أن هذا المضيق كان في أيامه يسد بأبواب مائلة للانغلاق وتشد بالصفيد ، عند غلق بهذه الأبواب أجراس حديد • وأضعت الأشجار منه ذكر الأبواب • والظاهر أنها قد رقت قبل زمن الإمبراطري •

بمدينة باب الحديد • وذكر أيضا انه يقال لها بالفارسية دراهنين • ونوع كل من الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى ، باسم باب الحديد فى مسالكهم ، ولكنهم لم يذكروا شيئا عنها • واشتهرت باب الحديد باسمها الفارسى دربند آهنين منذ أيام تيمور • وذكرها على اليزدى أيضا بتسميتها التركية ^١فَهَنْدُة على انه لم يأتها بوصف لهذا الموضع • وقد قطع هذا المضيق كلاڤيجو (Olavijo) السفير الاسبانى الى بلاط تيمور فى شهر آب سنة ١٤٠٥ للميلاد ، قال : ان هذا المضيق يبدو كأنه قد تمه يد الانسان • وتسمق الجبال على جانبيه الى علو شاهق والدرب فيه مههد عميق جدا • وفى وسط الدرب قرية يرتفع الجبل ورامها الى علو عظيم • ويقال لهذا الدرب أبواب الحديد • ولا ترى فى كل هذه الجبال دربا آخر غيره • فهو يحمى بلاد سمرقند من ناحية الهند • وتدر أبواب الحديد هذه دخلا لتيمور لان كل التجار القادمين من الهند يمرّون بهذا الدرب (١٣) •

وفى أسفل ناحية الصغانيان ، يشق جيحون طريقه فى المغارة فلا يستقبل نهرا مهما فى كلا جانبيه • ثم يصل دلتا فى جنوب بحر آرال حيث اقليم خوارزم الذى سنأتى على وصفه فى الفصل القادم • وعلى امتداد المغارة تقوم عدة مدن على يمين النهر ويساره - عامتها ذات جانين - فى المواضع التى تعبر النهر العظيم الطرق الآتية من خراسان الى بلاد الترك • وقد مرّ بنا فى الفصل السابق وصف أكثر ما فى جانب خراسان من مدن • فمدينة كالف أو كيلف فى ضفته الشمالية (وهى ما زالت قائمة) قد كانت فى المصور الوسطى تقابل ربضا لها فى جانب خراسان يقوم حول رباط يقال له رباط ذى الكفل • وكانت كالف فى ذلك الزمن على جانبي جيحون • على عمل بندان وواسط • على قول المقدسى • وكان فى جانبها الشمالى رباط نسب الى الاسكندر الكبير فسمى برباط ذى القرين • وقال ياقوت كان لكالف قلعة حسنة على ثمانية عشر فرسخا من بلخ فى الطريق الذاهب منها الى تخشيب فى الصفد • وتكلم المستوفى على جبل عظيم

(١٣) البيهقى ٢٩٠ ، الاصطخرى ٢٩٨ و ٣٣٧ ، ابن حوقل ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٤٠٠ و ٤٠١ ؛ المقدسى ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٣٤٢ ؛ ابن بطوطة ٣ - ٥٦ ؛ على اليزدى ١ : ٤٩ و ٥٩ ؛ ٢ : ٥٩٣ ؛ كلاڤيجو فى كتاب سفراته ص ١٢٢ ؛ Geogr. Mag. لسنة ١٨٧٥ ص ٣٣٦ • وانظر هذه المجلة لسنة ١٨٧٦ ص ٣٢٨ للاطلاع على صفة باب الحديد بقلم Mayef .

بالقرب من كالف دوره ثمانية فراسخ كله من تراب أسود وفي أعلاه ماء ومرعى حسن . وزاد على ذلك ان كالف في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت مدينة كبيرة في غاية المناعة .

وكان أسفل هذه المدينة ، بازاء زم ، وقد مر وصفها (أنظر ص ٤٤٦) مدينة أخيسيك كان يخرج منها طريق الى تخشب . وصفها ابن حوقل بقوله مدينة صغيرة أهلها يصيرون الى زم للصلاة في جامعها فلم يكن في مدينتهم جامع^(١٤) . وكانت المفازة تحف بأرضها من كل جانب ، ولكنها كانت خصبة ، والغالب على أطرافها السوائم من الابل والغنم . وفي أسفل هذه المدينة ، بالقرب من ضفة جيحون اليمنى ، مدينة فرّ بازاء أمل أي أمويه . وهي في طريق بخارا ، حولها رساق خصب ، وقرى أهلة كثيرة . قال المقدسي ان فربر تبعد نحو فرمخ من ضفة جيحون الشمالية لها قهتذر عامر وبها رباطات حسنة والجامع على باب المدينة من نحو بخارا والمصلّى خارج الباب . وثم رباط (لنصر بن أحمد) فيه ضيافة لأبناء السبيل . وكانت فربر موصوفة باعتبارها . ويقال لهذه المدينة أيضا قرية علي أو رباط طاهر بن علي^(١٥) .

وبعد أن يمر جيحون بن يدى فربر وأمويه ، يبقى جاريا في وسط المفازة مسافة مئة واربعين ميلا حتى الطاهرة ، وعندها تبدأ أراضي الدلتا المزروعة . ومن هذه المدينة يجري النهر العظيم في طريقه الى بحر آرال وفي نحو من ثلاثمئة ميل من مجراه كانت تمتد منه كثير من أنهار الري فتسقى الاقليم الخصب المعروف في العصور الوسطى بخوارزم . ومنذ الفتح العربي الأول غير نهر جيحون مجراه في أراضي الدلتا هذه مرارا ، وكان اثنا عشر سدوده في أيام الغزو المغولي في المئة السابعة (الثالثة عشرة) سببا في تحول مجراه الاسفل ، على ما منصفه فيما بعد . على انه ما زال في وسنما ، بالاستناد الى وصف البلدانين العرب الاولين ، ان ترسم خارطة تقريبية لخوارزم في المئة الرابعة (العاشرة) . وواضح ان نهر جيحون في تلك الايام كان يجري في مجرى واحد صالح للسفن حتى منافع

(١٤) هذه القول للاستطيرى من ٢٩٨ لا ابن حوقل (م) .

(١٥) الاستطيرى ٢٩٨ و ٢٩٤ : ابن حوقل ٣٤٩ و ٣٥٠ : ٣٦٣ : قداسة ٢٠٣ : المقدسي ٢٩١

ياقوت ٣ : ٨٦٢ : ٤ : ٢٢٩ : المستورلى ١٨٩ .

الساحل الجنوبي لآرال وهو البحر الذي سماه العرب ببحيرة خوارزم *

وبحر آرال قد كان ضحلا يغطي القصب ، ولم يكن يصلح لسير السفن على ما يظهر . وكان يستقبل من شماله الشرقي مياه نهر سيحون . ولكن السفن الآتية من جيحون لم تكن تدخل شقيقه النهر الثاني . وكانت البلاد المتاخمة لساحل آرال الشرقي ، بين نهر جيحون وسيحون ، في المئة الرابعة (العاشرة) وما بعدها تعرف بمقازة التركمان الفز . وهذا الاسم يطلق في الغالب على مقازة مرو في شرقي بلاد ايران . وقد كان البلديون العرب الاولون يدعون انجماد مياه نهري جيحون وسيحون في الشتاء من العجائب ، فقد كانت القوافل الموقرة تمر بها مائتة فوق السطح المنجمد . وهما يقيان على هذه الحال من شهرين الى خمسة أشهر في الشتاء . وقد يبلغ ثخن الجليد خمسة أقدام أو أكثر . ولقد ذكر القزويني ان أهل خوارزم كانوا يحفرون فيه آبارا بالمعاول حتى يخرقوه الى الماء ثم يسقون منها كما يسقون من البئر لشربهم ويحملونه في الجرار . وأشار الاصطخري الى جبل يقال له جبل جفراغز على ساحل بحر آرال ، كان الماء أسفل منه يبقى جامدا طوال أشهر السنة .

وكان بحر آرال ، ولاسيما قسمه الجنوبي قرب سيف و الخليجان ، حيث يصب جيحون ، مشهورا بمصائد السمك ، الا انه لم تقم عند حافة البحر قرية بل ولا بيت . وقد بينا انه كانت تمتد من نهر جيحون ، في مجراه الاسفل الذي يخترق الدلتا ، أنهار للرى كبيرة وصغيرة من يمينه ويساره ، كان كثير منها صالحا لسير السفن وكانت مياهها أخيرا تسقى أراضي الدلتا . وكان أكثر المدن الكبرى في خوارزم الكبرى على هذه الأنهار ، لا على جيحون للخطر الناجم من دوام تغير مجراه . وقد كان نهر جيحون صالحا لسير السفن في جميع مجراه الاسفل . قال ابن بطوطة : « ويسافر في أيام الصيف بالراكب الى ترمذ ، ويجلبون منه القمح والشعير ، وهي مسيرة عشر للمنحدر ، الى أسواق خوارزم لتباع فيها . وكان انجماد جيحون في الشتاء يجعل الملاحة فيه خطرة أو مستحيلة . فقد حكى ياقوت انه في شوال من سنة ٦١٦ (كانون الأول ١٢١٩) حين ذهابه من مرو

الى الجرجانية وكان بعض طريقه نهر جيحون بالسفن ، أشرف هو ومن معه على
الهلاك « من ألم البرد وجمود نهر جيحون على السفينة » ولم ينزلوا الى البر
الا بعد غناء وكانت الثلوج أيضا تغطي البر وقد أضلّ ياقوت دابته التي كان
يركبها ولم ينجح الا بنفسه^(١٦) .

(١٦) الاسطخري ٣٠٣ و ٣٠٤ ؛ ابن حوقل ٣٥٣ و ٣٥٤ ؛ القزويني ٢ : ٢٥٣ ؛ ابن بطرقة

٢ : ٥ ؛ ياقوت ١ : ١٩١ .

الفصل الثاني والتسعون

خوارزم

الليم خوارزم - قصباته : كاث والجرجانية - أركنج القديمة والجديدة -
جيوه وهزاراسب - أنهار خوارزم والمدن التي على يمين
جيحون ويساره - الجرى الأسفل ليجحون
إلى فنزون - نيسارات
خوارزم وفلاته .

كان لأقليم خوارزم في صدر العصور الوسطى ، قصبتان : أولاهما في
الجانب الغربي ، أي الفارسي من نهر جيحون ، تسمى الجرجانية ، أو أركنج .
والأخرى في الجانب الشرقي ، أي التركي من النهر . ويقال لها كاث . وقد
كانت في المئة الرابعة (العاشرة) ، في منزلة تفوق صاحبها .
ومدينة كاث ، ما زالت قائمة . إلا أن مدينة العصور الوسطى العظيمة ربما
كانت تقوم على بضعة أميال من جنوب شرقي البلدة الحديثة . وفي أوائل المئة
الرابعة (العاشرة) خرب بعضها طغيان نهر جيحون ، فقد كان عرض
هذا النهر عندها نحواً من فرسخين . وكانت المدينة تمتد قليلاً عن يمين النهر ،
تقوم على نهر يقال له جردور يشق البلد . وكان السوق ، وطوله نحو من
ميل ، على جانبي هذا النهر . وكان لكاث في تلك الأزمان الأولى ، قهندز
(أي قلعة) فخر بها النهر وأتى عليها . وكان الجامع والحبس على ظهر
التهندز وكذلك قصر لسلطانهم الملقب بخوارزم شاه . وقد أتى يفتان النهر على

هذه الاجزاء جميعها ، فلم يبق منها رسما ولا مطللا حين كتب ابن حوقل . فابتنى
الناس مدينة جديدة الى الشرق من الاولى على مسافة من جيحون تقريبا عواقب
طغيانه .

وكان الفرس يسمون المدينة الجديدة ، على قول المقدسي ، شهرستان - أى
القصة - . وكانت فى ما قال « نحو نيسابور » فى خراسان . « لها جامع فى
وسط الاسواق على أساطين حجارة سود الى قمة » ثم فوقها سوارى الخشب .
ودار الامارة ، وسط البلد . ولهم قهتدز قد خربه النهر ، فلم يجدوه . وللبلد
أنهار كثيرة تشق شوارعها . وعلى ما ذكر المقدسي ، كانت البلدة أوسخ من أردبيل
(فى أذربيجان) لأن أهلها ، « عامة تنوطهم فى الشوارع . . . وهم يدوسونها
بأرجلهم الى الجماعات (أى الى الجامع) » . إلا ان أهلها مع ذلك كانوا يسيرون
وأسواقها حافلة بالخيرات والتجار ، وبنائوها حذاق ، فكانت كاث من أفخم
المدن مظهرا . على انها ما عثت فى ختام المئة الرابعة (العاشرة) أن بدأ نجمها
بالأفول ومكائنها بالخفوت وفقدت مركزها كأهم قصبة فى خوارزم ، ولعل مرد
ذلك ما كان ينابها بين آن وآخر من طغيان جيحون عليها ، فكان يخرّب منها أحياء
مختلفة كل مرة ، حتى آل أمرها الى بلدة ليس لها شأن كبير .

فإذا انتهينا الى مطلع المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، وجدنا ان مدينة كاث
لم تعان كثيرا من مصائب الفتح المولى على ما يبدو . وحين مرّ بها ابن بطوطة
فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فى طريقه من أركنج الى بخارا ، وقد كتب اسمها
ألكات قال انها « بلدة صغيرة حسنة » . فيها بركة ماء كانت وقت زيارته لها قد
جمدت من البرد ، فكان الصبيان يلعبون فوقها ويلقون عليها . « وفى ختام
المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كاد تيمور أن يقضى على كاث ، ولكنه بعد ذلك أمر
بتجديد أسوارها ، فذكرها علي البزدى غير مرة بقوله انها مدينة ذات شأن
فى أيامه^(١) .

(١) الأسطرى ٣٠٠ و ٣٠١ : ابن حوقل ٣٥١ : المقدسي ٢٨٧ و ٢٨٨ : ابن بطوطة
٣ : ٢٠ : على البزدى ٢٣٧ : ٢٦٣ و ٤٤٦ .

أما قصبة خوارزم الثانية التى أصبحت بعد سقوط كاث أولى مدن الاقليم ، فكانت كركانج وقد سماها العرب الجرجانية ، ثم عرفت بعد هذا الزمن بـ كركنج ، تروى أخبار الفتح الاسلامى ، ان العرب فى سنة ٩٣ (٧١٢) ، لما غزوا خوارزم بقيادة قتيبة ، كان يقال لقصبة الاقليم التى استولوا عليها : الفيل . ثم صار اسمها المنصورة . ويقال ان هذه المدينة كانت تقوم على الجانب الايمن من نهر جيحون فى موضع يقابل الجرجانية المحدثه . غير ان فيضان جيحان ما عثم ان يطفى على المنصورة وخرّبها فأخذت الجرجانية مكانها (٢) .

والجرجانية فى المثة الرابعة (العاشرة) - وان كانت حينذاك مدينة الاقليم الثانية ليس الا ، لكن كاث كانت ما زالت قصبتها متجر البلاد وفيها مجتمع القوافل الآتية من بلاد النر . ومنها تخرج الى بلاد خراسان . والجرجانية على غلوة من غرب نهر كبير تجرى فيه السفن ، يأخذ من جيحون ، ويجرى معاذيا له . وقد احتالوا فى رد خطر الماء باقامة السدود من الخشب والحطب . قال المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) ان للبلد أربعة أبواب . وهى كل يوم فى زيادة . وعلى باب الحجاج قصر بناء المأمون ، عليه باب ليس بجميع خراسان أعجب منه . وقد بنى ابنه علي آخر قصداً مه ، على بابه سهلة تشاكل سهلة بخارا ، فيها تباع الاغنام . وباتحطاط كاث أصبحت الجرجانية أولى مدن اقليم خوارزم ، ومن ثم قصبتها الوحيدة . وفى الاثمنة الاخيرة ، كانت تعرف بوجه عام بمدينة خوارزم .

وفى سنة ٦١٦ (١٢١٩) زار ياقوت الجرجانية ، أو كركانج على ما سماها به ، قبيل ان يكتسحها المغول بقيادة جنكيزخان ، فقال فيها « لا أعلم ائى رأيت أعظم منها مدينة ولا أكثر أموالا وأحسن أحوالا » فلستحال ذلك كله بتخريب التتر ايها فى سنة ٩١٢ (١٢٢٠) . وقد حدثت فى سدود النهر العظيم فتوق عظيمة وتحولت مياه جيحون الى مجرى جديد ، على ما سنبينه فيما بعد ، وغمرت المياه المدينة كلها . ولما سارت عنها جحافل المغول قال ياقوت فيها « لم يبق فى ما بطنىء الا معالمها ، وقتلوا جميع من كان بها » . على ان قصبة خوارزم ما عثمت ان نهضت

(٢) ان موضع الليل مشكوك فيه جدا . وقد جاء اسمها فى نفرد الغلاء (الامويين) كدار للغرب .
وعلى واعد من هذه النفرد تاريخ سنة ٧٩ (٦٩٨) .

من كيوتهما بعد بضع سنين ، فابتنى الناس بلدا قريبا منها ، وكان ذلك فى سنة ٦٢٨ (١٢٣١) على ما جاء فى تاريخ ابن الاثير المعاصر لتلك الايام ، قال : « وعمرها مدينة تحارب مدينة خوارزم ، عظيمة » . وكان قبل النزول المولى لهذه الارجاء ، على ما ذكر ياقوت وغيره ، مدينة تعرف بكركانج الصغرى . وسماها الفرس كركانجك على نحو من ثلاثة فراسخ من القصبه كركانج الكبرى . ومن المحتمل ، على ما يظهر ، ان خوارزم الجديدة ، قد اخير لها موضع كركانج الصغرى .

وسرعان ما صارت خوارزم الجديدة قصبه الاقليم . وصفها المستوفى وابن بطوطة فى الملة الثامنة (الرابعة عشرة) . وذكر القزوينى ، وهو ممن كتب فى النصف الاخير من الملة السابقة ، ان اهل كركانج (الجديدة) « اهل الصناعات الدقيقة كالحداد والنجار وغيرهما . فانهم يبالنون فى التدقيق فى صناعاتهم ، والسكاكون يعملون الآلات من العاج والآبنوس ، لا يعمل فى غير خوارزم الا بقرية يقال لها طرقي من اعمال اصفهان . ونساؤها يعملن بالابرة صناعات مليحة كالخياطة والنطريز والاعمال الدقيقة » . وقال القزوينى ايضا : « ومن عجائبها زراعة البطيخ الذى لا يوجد مثله فى شئ من البلاد حلاوة وطيبا » . وقد أيد هذا الامر ايضا ابن بطوطة .

وقال المستوفى ، وقد سعى هذه المدينة باسمها الشائع أركنج ، وكذلك خوارزم الجديدة ، انها على عشرة فراسخ (ولعله وهم فى ذلك ، ويريد عشرة أميال) من اركنج الثقية . ورأى ابن بطوطة ، معاصره ، خوارزم (على ما سعى البلدة) مدينة من أعظم المدن وأجملها ، لها الاسواق المليحة والشوارع الفسيحة ، وهى ترتج بسكانها لكثرتهم وتموج بهم موج البحر ، ولها سوق يقال له الشور ، وهو بناء عظيم بالقرب منه الجامع والمدرسة . وفيها مارستان كان له حين زيارة ابن بطوطة طبيب شامى يعرف بالصهيونى ، نسبة الى صهيون من بلاد الشام . وما كادت الملة الثامنة (الرابعة عشرة) تأذن بالختام ، الا واجتاحت تيمور مدينة خوارزم هذه وتركها قانا صقفا بعد حصار دام ثلاثة أشهر . الا ان تيمورلك أمر بتجديد بنائها فكسل ذلك فى سنة ٧٩٠ (١٣٨٨) . وكان أبو

الغازي أمير خوارزم ، وسنأني قريبا على ما قاله في مجرى جيحون الاسفل ،
يقعد مجلسه في مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) في هذه البلدة ، وهي
التي يسميها أركنج . قال فيها انها بلد حسن كثير البساتين . الا انه بعد هذا
الزمن تربعت مدينة خيوه في مكانها ثم صارت قصبة الاقليم الجديدة . أما خراب
اركنج هذه ، أي المدينة التي ابتليت بعد الغزو المنولي ، فهي المروفة اليوم
باركنج العتيقة (كهنه اركنج)^(٢) .

أما خيوه - وهي التي أخذت في عهد الرؤساء الأوزبك بعد زمن تيمور
تحتج بالتدريج مدينة اركنج وصارت قصبة خوارزم وشمل اسمها مع الايام
الاقليم كله - فقد ذكرها غير مرة بلبانبو المئة الرابعة (العاشرة) بأنها بلدة صغيرة .
كانت تهجئة اسمها القديمة خيوق ، وكان هذا الاسم هو الشائع حتى زمن
ياقوت . قال فيها المقدسي « خيوه » على فم المفازة ، رجة ، على شعبة من النهر
(تأخذ من يسار جيحون) ، بها جامع عامر ، فكانت في المئة الرابعة (العاشرة)
موضعا ذا شأن . وتكلم ياقوت ، وقد قال ان اسمها يلفظ أيضا خيوق ، على حصنها
وقال ان أهلها في المئة السابعة (الثالثة عشرة) شافعية . دون جسيج بلاد خوارزم
فانهم حنيفة .

وفي هذا الزمن اشتهرت خيوه بانها بلد الشيخ نجم الدين الكبرى ، وكان
قد أبلى بلاء عظيمًا في الدفاع عن أركنج بإزاء المنول حتى قتلوه [سنة ٦١٨ هـ]
فصارت تربته موضعا يزوره الناس للبرك وهي بالقرب من اركنج على ما ذكر ابن
بطوطه في القرن الذي تلا استشهاده . وذكر على البزدي مدينة خيوه ووصف
مغامرة وقعت لتيمور فيها أيام شبابه . وقد أمر بعد زمن بتجديد أسوار خيوق

(٢) زار الطوسي سجنس Anthony Jenkinson مدينة اركنج (Urgence)
(بحسب تهجئته) في سنة ٩٦٦ (١٥٥٨) أي قبل زمن ابن الغازي نصف قرن . وقال فيها انها
مدينة حسنة لها أموال يقدر دورها بأربعة أميال . انظر Hakluyt: Principal Navigations
(كلاسكتر سنة ١٩٠٣) ٢ : ٤٦٣ : البلادى ٤٧١ : الاصلطرى ٢٩٩ و ٣٠٠ : ابن حوقل ٣٥٠
و ٣٥١ : المقدسي ٢٨٨ : ياقوت ٢ : ٥٤ : ٣ : ٩٣٣ . ٤ : ٢٦١ . أبو الفداء ٤٧٩ . ابن الأثير
١٢ : ٢٥٧ و ٢٢٣ : القزويني ٢ : ٣٤٩ . المسعودي ١٦٧ و ٢٢٤ . ابن بطوطه ٣ : ٣ - ٦ .
على البزدي ١ : ٢٩٨ و ٤٤٨ . جيهان نسا ٣٥٥ - أبو الصاذي ١١١ . وراجع أيضا
Geographical Magazine لسنة ١٨٧٤ من ٧٨ .

(على ما كانت تسمى حينذاك) • وفى المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ذكر أبو الغازي هذه المدينة مرارا ، وقد عاش فيها أحيانا كما عاش أيضا فى كات (أو كات) عند عدم مقامه فى اركنج • واستمرت خيوة بالتعاظم منذ أيامه حتى اليوم ، فأصبحت الآن قبة الاقليم المعروف باسمها^(٤) •

أما هزازاسب (ومنها بالفارسية • الف فرس •^(٥)) فهى فى سمت خيوة ، الا انها أقرب منها الى ضفة جيحون اليسرى • وهى موضع ذو شأن قد حافظ على اسمه دون ما تغيير منذ الفتح الاسلامى حتى هذا اليوم • ذكر المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) انها فى نحو من خيوة كبرا ، لها أبواب خشب وحنق • وتكلم ياقوت عليها وقد كان فيها سنة ٦١٦ (١٢١٩) قائلا هى قلعة حصينة ومدينة جيدة ، فيها أسواق كثيرة ويزارون وأهل ثروة ، وكان الماء محيطا بها كالجزيرة • وليس بها الا طريق واحد على مسر قد صنع ، يقبل إليها من نواحى اركنج قاطعا السهلة الممتدة من شفاف جيحون •

وفى نحو من نصف الطريق بين الطاهرية - حيث تبدأ أراضي الدلتا الزراعية - وهزازاسب ، يخترق نهر جيحون مضيقا جبليا يقال له اليوم ديوم بويون (أى رقبة الجمل) وهو فى جروف جبلية عالية يضيق النهر عندها • حتى يمود عرض الماء الى نحو من الثلث • • وقد سمي الاصطخرى هذا الموضع أبو قش أو يوقش • وزاد على ذلك قوله • هو موضع يخاف على السفن منه من شدة جريه والهور الذى عند مخرجه • • اما المستوفى • وقد سمي هذا الموضع تنك دهان تسير (مضيق فم الاسد) ، فقال ان جرفى المضيق المتقابلين لا يتعدان عن بعضهما أكثر من مئة • كمنز • (أى : ذراع) • وعلى جانبه الايسر رباط • وفى أسفل هذا الموضع يجرى جيحون ، حسب قوله ، تحت الارض مسافة فرسخين فلا يرى منه شئ • •

وبين الطاهرية وهزازاسب ثلاث مدن على ضفة جيحون اليسرى ، كانت على

(٤) المقدسى ٢٨٩ : ياقوت ٢ : ٥١٢ : القزوينى ٢ : ٣٥٥ : ابن بطوطة ٣ : ٦ : هل البزوى ١ : ٦٢ و ٤٤٩ : أبو الغازي ١١٢ و ٢٩٤ •
(٥) قال المؤلف وصفا : نسجاسا مئة فرس (م) •

بعض الشأن فى العصور الوسطى : نطى الجادة ، أسفل الطاهرية بمرحلة ، جصكرند ، تحف بانهارها الاشجار والبساتين . وفيها ، على ما ذكر المقدسى ، جامع حسن فى وسط سوقها . وعلى مرحلة أخرى شمالها قرب مضيق نهر جيحون ، مدينة درغان . قال فيها المقدسى انها تقارب الجرجانية كبرا ، لها جامع حسن ليس بالنحية مثله ، فيه جواهر رفيعة وتزويق حسنة ، والمدينة تمتد فرسخين على الشط ، حولها الكروم نحو من خمسة . وكانت درغان أول مدينة عظيمة فى خوارزم تقوم على الطريق الآتى من مرو . وذكر ياقوت ، وقد كان فيها سنة ٦١٦ (١٢١٩) ، هـ ، مدينة على جرف عال وذلك الجرف على سن جبل وبينها وبين جيحون مزارع وبساتين لأهلها ، وبينها وبين نهر جيحون نحو ميلين . بناحية البر منها رمال . . . وبين درغان وهزاراسب تقوم سدور على شفة النهر وهى حصينة وبها جامع وسط البلد ، وحولها أرباض ^(٦) .

وأول الانهار العظيمة فى خوارزم كان يأخذ من شفة جيحون اليمنى أى الشرقية فى موضع بازاء درغان وكان يقال له گلوخواره وتفسيره « أكل البقر » وكان يحمل السفن وعصقه نحو من قائتين وعرضه خمس ، ويجرى شمالا فيسقى كثيرا من المزارع حتى كاث . وما على مخرجه بخمسة فراسخ ، كان يحمل منه نهر صغير يسمى نهر كرية « يعمر به بعض الرساتيق » . وذكر المقدسى أربع مدن قليلة الشأن تقسم على الجانب الشرقى هذا من جيحون بين الواحدة والآخرى نحو من مرحلة يوم فى الرساتيق جنوب كاث . وكانت أبعدا ، عن كاث : مدينة توكفاغ وكانت فى وسط الانهار ، وهى مدينة حسنة قرب شقير المفازة . وأقرب منها الى كاث كانت ارضخيوه ولعلها تطابق الموضع الذى سماه ياقوت حصن خيوه وقال انه يبعد خمسة عشر فرسخا عن خيوه الجانب الغربى . وكانت ارضخيوه « على تم البرية عليها حصن بباب واحد تحت جبل » . وكانت وايخان حصنا أيضا حولها خندق « وعلى الابواب عرادات » . وهى على مرحلة أيضا نحو الشمال . ثم تليها غردمان وكانت على مرحلة من كاث « عليها حصن

(٦) الاسطخرى ٣٠٤ : ابن حوقل ٣٥٤ : المقدسى ٢٨٨ : ٢٨٩ : ياقوت ٢ : ٦٧ : ١ : ٩٧٨ .

المستوفى ١٩٨ و ٢١٣ .

ولها بابان وخذق ملآن من الماء ستة رمية سهم •
وكان يأخذ أيضا من غرب جيحون ، أى يساره ، جملة أنهار ، أولها نهر
يعر بهزاراسب ويسقى رساتيقها • وهو نهر تجرى فيه السفن وان كان نحو
من نصف سعة كاوخواره • وكان يعود مرتدا فى انعطاف دائرى لو تابع اتجاهه
لوصل مدينة آمل • وعلى فرسخين من شمال هزاراسب ، يأخذ من جيحون نهر
کردران خواش ويعر بمدينة باسه • وكانت فى نصف الطريق بين هزاراسب
وخيوه وهو أكبر من نهر هزاراسب • ومدينة کردرانخاس (على ما سماها
القدسى) حولها خندق ولها أبواب خشب • ومن شمال ذلك كان يحصل منه أيضا
نهر خيوه • وهو نهر أكبر من سابقه تجرى فيه السفن الآتية من جيحون الى هذه
المدينة • ويحمل منه أيضا نهر رابع من موضع يعد عن شمال نهر خيوه • وهو
نهر مدر • وهو ضعف نهر كاوخواره الاخذ من ضفته الشرقية •
وكان يسقى مدينة مدر وما جاورها •

وكانت قبة الاقليم الشرقية ، على ما بينا ، بعيدة عن جيحون ، على
نهر يقال له جردور كان يأخذ من جيحون على شئ يسير من جنوب المدينة •
وعلى فرسخين شمال كات كان يأخذ من غفة جيحون اليسرى ، أى الضفة
الغربية ، نهر وذاك الكبير (وجاء اسمه أيضا وذاك أو ودان) وكان يحمل السفن
الى نحو الجرجانية قبة خوارزم الغربية • ومخرج نهر وذاك على نحو من
ميل شمال مخرج نهر مدر • وكان يأخذ من يسار جيحون فى شماله أيضا •
نهر آخر يسمى نهر بوّه (أو بوّه وبويه) ويجتمع ماؤه وماء وذاك فى الشمال
الغربى على غلوة من قرية تعرف بآندستان على نحو من مرحلة يوم من جنوب
الجرجانية • وكان وذاك أكبر من بوّه وتجرى فيهما السفن الى الجرجانية • ثم
يكون هناك سكر يمنع السفن ، من مواصلة سيرها شمالا • وكانت على ضفافه
سدود عظيمة قد انتشت لتقى المدينة من طينان مياهه ، على ما بينا^(٧) •

وكان الطريق الذاهب شمالا من خيوه الى الجرجانية فى المصور الوسطى ، يتخلل

(٧) الاسطخرى ٣٠١ و ٣٠٢ : ابن حوقل ٣٥٢ و ٣٥٣ : القدس ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٢ و ٢٩٣ :
ياقوت ٢ : ٥١٢ : ٤ : ٢٣٠ •

كثيرا من المدن الكبيرة التي لم يبق منها أثر اليوم . فعلى مرحلة من خيوه كانت أرتخشميشن أو راخشميشن وهي التي ذكر ياقوت ، وقد أقام فيها سنة ٦١٦ (١٢١٩) ، أنها مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة ونعمة وافرة ، وهي في قدر تصنيف (من أعمال الجزيرة) إلا أنها أعمر وأهل منها ، والظاهر أن المقول قد خربوها في غزوهم لها . وإلى شمال هذه المدينة : روزوند كانت على ما ذكر المقدسي « متوسطة في الرقعة ، محصنة بخندق ٥٥٠ ، وشربهم من عين لهم ٥٥٠ ، والجامع على طرف السوق » . فإذا جاوزنا قرية أندرسنان ، بقلنا مدينة توزوار وهي عند ملتقى نهر وذاك بنهر بوء على مرحلة جنوب الجرجانية . قال المقدسي « توزوار صغيرة ، عليها حصن وخندق ٥٥٠ ، لها يابان (حديد) وجسر يرفع كل ليلة . والجامع في الأسواق ٥٥٠ ، وعلى باب المدينة الثري حمام ليس بالأقليم مثله ، ولعلها هي المدينة التي سماها ياقوت نوزكات ، ومعناه على قوله « كاث الجديدة » أو « الحائط الجديد » . وقد أزال المقول هذه المدينة عن آخرها بعد أن غادرها ياقوت بمدة قصيرة . وزمخشّر ، بين توزوار والجرجانية ، وقد كان في هذه المدينة في المئة الرابعة (العاشرة) جسور عند أبوابها ترفع ، وعليها حصن وخندق ومجسب وأبواب محددة والجامع ظريف . وفي المئة السابعة (الثالثة عشرة) قال ياقوت فيها أنها قرية جامعة اشتهرت لأنّ الزمخشري صاحب التفسير المعروف قد ولد فيها سنة ٤٦٧ (١٠٧٥) ومات سنة ٥٣٨ (١١٤٤) . وقد زار ابن بطوطة قبره فيها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وذكر أن زمخشّر على مسافة أربعة أميال من أركنج الجديدة . وإلى شمال أركنج كانت تربة نجم الدين الكبرى ، وقد مرّ ذكرها . وإلى هذه البلدة أيضا ، وعلى خمسة فراسخ من الجرجانية ، عند شفير المغازة ، تحت الجروف العالية في الجانب الغربي لنهر جيحون ، مدينة جيث أو كيث وقد ذكرها البلدانيون الأولون غير مرة . وهي كبيرة واسعة الرساتيق لا تبعد كثيرا عن ضفة النهر اليسرى بإزاء مذبذبة وهي على أربعة فراسخ من بين النهر . ويبدو أن جيث كانت في الموضع الذي قامت فيه مدينة محدثة يقال لها وزير (أو شهر وزير) . وربما قد حلت محلها بعد فترة من الاضطراب الذي استلبها في أثناء الفتوحات المغولية وحروب تيمسور . وكثيرا ما ذكر أبو

الغازى مدينة وزير ، كما ذكرها جهان نما . والى ذلك فمن المحتمل ان شهر وزير هذه هى المدينة التى زارها انطونى جنكسن (Anthony Jenkinson) ووصفها باسم محرف بعض التحريف وهو سليزود (Sellizure) أو شيزور (Shaysure) حين كان يجوب بلاد خوارزم فى المئة العاشرة (السادسة عشرة)^(٨) .

وفى شفة جيحون اليمنى ، على نحو من أربعة فراسخ شمال كاث ، كان يأخذ أول الانهار الاربعة المادّة شمالا ، وبعد أن يجرى مسافة قليلة ، يلتقى به الانهار الثلاثة الصغيرة الأخرى، فتؤلف مياهها المجتمعة نهر "مكر" دَر ويقال أن هذا النهر ، وقد كان بكبر نهر وداك وبوه ، فى الجانب الغربى ، كان من سواعد نهر جيحون فى الاصل يجرى نحو الشمال الشرقى الى بحر آرال . وكان يقال للرساق الذى قيسا بين مجرى نهر جيحون نفسه ونهر كررد رساق مزداخگان (أو مزداخقان) وكانت تسميه أنهار صغيرة كثيرة تأخذ من يمين جيحون . ويقال انه كان فى هذا الرساق اثنا عشر ألف قرية ، وقصبتها كررد . وقد وصف المقدسى هذه البلدة بقوله انها بلدة كبيرة حصينة جدا ، حولها قرى كثيرة وبرادى واسعة ترعى فيها الماشية . وعلى مرحلة يومين منها ، عند حد خوارزم الشمالى الشرقى ، قرية كبيرة يقال لها قرية براتكين (أو فراتكين) وبالقرب منها مقالع الحجارة التى تحمل الى أنحاء خوارزم للبناء . وقد كان فى براتكين فى المئة الرابعة (العاشرة) أسواق عامرة وجامع حسن . وفى غرب هذه المدينة كانت مذبذبة ، وتبعد أربعة فراسخ من يمين جيحون بإزاء جيح . ومن هذه المدينة حتى ساحل بحر آرال ، لا يرى بناء ولا قرية ولا ارض مزروعة ، الا منافع يكثر فيها القصب تنقع عند فم نهر جيحون العظيم^(٩) .

وفى المئة الرابعة قبل الميلاد ، فى زمن فتوحات الاسكندر الكبير فى آسية الغربية ، كان جيحون ، على ما وصف به آنذاك ، يصب فى بحر قزوين ، ولم

(٨) الاسطخرى ٣٠١ : ابن حوقل ٣٥٢ : المقدسى ٢٨٩ : ياقوت ١ : ١٩٦ : ٢ : ٦٤٠

٨ : ٨٢٢ : ابن بطوطة ٦ : ٣ : ابر الغازى ١٩٥ : جهان نما ٢٤٦ : مكلويد .
Hakluyt, Principal Navigations 2,461.

(٩) الاسطخرى ٢٩٩ ر ٣٠٣ : ابن حوقل ٣٥٠ ر ٣٥٣ : المقدسى ٢٨٨ : ياقوت ٤ : ٢٥٧

يمكن البلدان يون اليونان يعرفون شيئا عن بحر آرال على ما يظهر . أما متى جرى تبدل مجرى من بحر قزوين الى بحر آرال فغير معروف . ومع ان نهر جيحون اليوم مثل سيحون يجب فى بحر آرال ، فان عقيقه القديم الذى كان يتجه الى بحر قزوين ما زالت معالمة موجودة وتمينها خوارطنا الحديثة . وقد ارتاده جماعة فى أمانا ، كان مجرى جيحون فى صدر الصور الوسطى ، على ما وصفه البلدان يون العرب فى المئة الرابعة (العاشرة) هو مجرى الحالى فى جملته . الا ان عقيقه القديم الماد الى بحر قزوين قد ذكره المقدسى ، فقال : فى القديم كان العمود ينتهى الى مدينة خلف نسا فى خراسان يقال لها بلخان (أو أبو الخان) . ثم انه بعد المقدسى يقرئين ونصف عاد جيحون ثابتة الى مجرى الاقدم على ما يظهر . وهذا ما أفادنا به المصنفون الفرس الماصرون لذلك الزمن . ومن ثمة ، فالحقيقة التى لا يشك فيها هى ان نهر جيحون - فيما عدا فضلا من ماله تحملها بضعة انهار صغيرة الى بحر آرال - كان منذ أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) حتى نحو من ختام المئة العاشرة (السادسة عشرة) ، يصل الى بحر قزوين ، جاريا فى عقيقه القديم الذى كان أيام الاسكندر الكبير . وان كان هذا المجرى اليوم بل منذ نهاية المئة العاشرة (السادسة عشرة) قد تعطل ثانية وصار جافا فى الغالب .

وجاء فى تاريخ ابن الاثير ، على ما قد بينا ، ان جحافل المغول بثقت السدود فى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) للاستيلاء على أركنج بعد ان حاصرتها خمسة أشهر ففجرت مياه جيحون وفروعه هذه المدينة ومنذ ذلك الحين أخذت مياهها تجري من شرق هذه المدينة فى غير مجاريها الاولى . لقد عمت المياه سطح البلاد كلها وبعد مضي زمن أخذت المياه الفائضة تنصرف باتجاه الجنوب الغربى مالة عقيق جيحون القديم وجارية فى خطه المنخفض الى بحر قزوين عند منقشلاغ . وكان ياقوت ، وهو ممن عاصر تلك الاحداث ، قد تكلم على هذه المدينة قائلا انها قلعة حصينة تقوم على ساحل بحر طبرستان (أى قزوين) ، الذى يجب فيه جيحون ، حسب قوله . وهذا الدليل المستخلص من اشارات طاهرة قد عززه وأيده المستوفى فى المئة الثامنة

(الرابعة عشرة) • فانه فى سياق وصفه مجرى جيحون ، ذكر انه وان كان جزء قليل من مياه ما زالت تحملها الى بحر آرال أنهار تأخذ من يمينه ، فان عموده بعد أن يمر بآركنج القديمة ينحدر مارا بقبة عالية يقال لها حَلَمَ يسمع هدير انصباب الماء عندها من مسافة فرسخين ، ومن هذا الموضع يجرى مسيرة ستة أيام حتى يصب فى قزوين (بحر الخزر) عند خلخال وفيها يصاد السمك •

وموضع عقبة حلم التى يطلق عليها الترك ، على قول المستوفى ، اسم كرلاوه (أو كرلاوى) قد ذكرها المستوفى فى مسالكة ، لأن بلدة حلم الجديدة تقوم فى نحو من نصف الطريق بين آركنج القديمة التى خربها المغول قبل قرن من زمنه وآركنج الحديثة التى ابنت فى مكانها • والى ذلك ، فان المستوفى فى كلامه على بحر قزوين ووصفه للميناء الذى فى جزيرة أبسكون (أنظر الصفحة ٤١٩ - ٤٢٠) ، قال ان هذه الجزيرة قد اختفت فى أيامه فى البحر لأن جيحون الذى كان يصب قبالا فى البحيرة الشرقية (أى آرال) مما يلى بلاد ياجوج وماجوج ، قد غيّر مجراه منذ الفتح المغولى فنصار يصب اليوم فى بحر الخزر (أى قزوين) • وبما ان هذا البحر الاخير لا منفذ له ، فان سطح الماء فيه قد ارتفع وغمر الارض اليابسة (أى جزيرة أبسكون) •

وما ذكرناه أعلاه قد أبدته الاخبار التى كتبها عن جيحون فى سنة ٨٢٠ (١٤١٧) حافظ أبرو ، فقد كان من رجال حكومة شاه رخ ابن تيمور وخلفه وهو ولا شك كان حسن الوقوف على جغرافية هذه البلاد بما اطلع عليه بنفسه • فقد كتب فى السنة المذكورة فى كلامه على موضعين متباعدتين ، ان جيحون الذى كان قديما يصب فى بحيرة خوارزم (أى آرال) قد اتخذ له مجرى جديدا ، فنصار الآن ينحدر مارا بكرلاوه ، وتسمى أيضا أفرنجه ، الى بحر الخزر (أى قزوين) • وزاد على ذلك ان بحر آرال فى أيامه كاد أن يختفى • ثم ان روى كنزاليز دى كلاينجسو (Ruy Gonzalez de Clavijo) السفير الاسبانى الذى زار هذه البلاد سنة ٨٠٨ (١٤٠٥) أى قبل ان كتب حافظ أبرو أخباره بضع سنين ، قد عزز ذلك بما يشه عن ان جيحون « يصب فى بحر باكو » وهذا لا يثنى الا

قزوين • على ان مما ينبغي الاشارة اليه ، ان كلافيجو لم يكن فى ما كتبه فى هذا الشأن الا راويا ما نقل اليه •

اما سبب عودة جيحون الى ان يصب فى بحر آرال ثانية فغير معروف • ولكن هذا التحول العظيم لا بد ان حدث قبل ختام المئة العاشرة (السادسة عشرة) ، لان أبا الغازى ، وهو من أهل أرگنج ، قد أشار الى ذلك وكان الامر قد كان حقيقة راحته فى سنة ٩٤٨ (١٥٧٦) أى قبل مولد أبى الغازى نفسه بنحو من ثلاثين سنة • فقد ذكر ان جيحون فى التاريخ المذكور قد اتخذ له مجرى جديدا ، وبعد ان ينمطف أسفل من خست منادوسى (أى برج خست) ، يتجه رأسا الى بحر آرال وبهذا التحول قد جعل الاراضى التى بين أرگنج وبحر قزوين صحراء ماحلة • وفى موضع آخر من كتابه ، فى سياق كلامه على الأزمنة الاولى ، ذكر فى جملة حوادث سنة ٩٢٨ الى ٩٣٧ (١٥٢٢ - ١٥٣١) ان الطريق من أرگنج الى أبو الخان على قزوين كان كله حقولا مزروعة وكروما تحفّ بما كان حينذاك مجرى جيحون الأسفل • على ان الظاهر ، ان أبا الغازى ، يمين حصول النهر فى مجرى النهر فى زمن متأخر كثيرا • ذلك ان أنطونى جنكسن حين طوافه فى روسيا الى خيوة فى سنة ٩٦٦ (١٥٥٨) تكلم على نهر جيحون فقال انه يصب « لا فى بحر قزوين ، على ما كان حاله فى الأزمنة السالفة » • فانه حين رآه كان هذا النهر العظيم قد اتخذ مجراه رأسا الى بحر آرال « بحيرة كني (Kitbay) أى الخطا » (١٠) •

(١٠) المقدس ٢٨٠ : يافوت ٤ : ٦٧٠ : السنوتى ١٩٧ ، ٢١٢ ، ٢٢٥ ، جهان نسا ٣٦٠ : سافط ابرو ٢٧ ب ، ٢٢ ب • أبو الغازى ٢٠٧ و ٢٩١ : كلافيجو ، Embassy ص ١١٨ Hakluyt, Principle Navigations ٢ : ٤٦٦ و ٤٦٢ فى « رحلة أنطونى جنكسن » • Das Alte Bett des Oxus (Leiden 1875) بحث البروفسور دى فويه فى تمثيل احوال الندابيين العرب • وانتهى الى ان جيحون كان فى لفسون الصور الوسطى جسيما • يصب فى بحر آرال على نحو ما هو اليوم • ومما يكتن من امر • فان البيئات الدالة على ان قسما من مياه جيحون كان يجرى فى الميق القديم الى موزين خلال مدة تزيد على ثلاثة فرون • لا يمكن ادخالها • ولنا ان مزيد على ذلك ان السر هنرى رولمسن ، الذى درس هذه القضية وهو جغرافى ينتسج للحاقي بنفسه وطلع اطلاعا تاما على ما كتبه المفسرون العرب والفرس ، يصر على الرأى العائل ان جيحون كان فى خلال تلك القرون المديدة يصب فى قزوين دون أى ريب • وما ينبغي قوله ، ان شيئا من الاتباس قد حدث من الاسماء الخيانية التى أطلقها البلدانون المسلمون على قزوين آرال - فانهم اشاروا الى قزوين بوجه عام باسم بحر الخزر نسبة الى قبائل الخزر التى حلت فى سواحله البعيدة •

وأهم تجارات خوارزم ، الطعام والجبوب والفواكه . وهى بلاد خصبة . ويرتفع منها قطن كثير ، ومن أغنامها الصوف . وترعى فى مناقمها قرب آزال قطمان الماشية . وكان يحمل منها اصناف كثيرة من الجبن والبن . وفى أسواق الجرجانية أشهر أنواع الفراء وأغلاها . وتجلب إليها من بلاد البلغار على القولجا . وذكر المقدسى وغيره اصنافا كثيرة منها . ومما اشتملت عليه : فراء الدلق (أو الدله) والسمّور والثعلب ونوعين من القندس . وكذلك فراء السنجاب وقاقوم (قاقم) قافون (قافون) والفصّك وابن عرس ، وتعمل منها الحلل الطويلة والقصيرة . ويحمل منها جلود الارانب والمزى المدبوجة . وكذلك جلود الحمر الوحشية .

ومن غلات خوارزم وستاعتها : الشمع ولحاء شجر والحوِّ الأبيض المسى التوز وهو يتخذ غلافا للدرّوح ، وغراء السمك وأسنان السمك والخبز والصل والبنديق والسيوف والدرّوح والقسي . وعرفت خوارزم أيضا بالزاة . ويرتفع منها أيضا عنب وعنب وسمسم كثير . ويسمل فيها البسط وثياب اللحف والديباج المنسوج من القطن والحرير . وتحمل منها الأزر والمقانع من القطن والحرير وغيرها من الثياب الملونة . والحدادون يعملون الاقفال . وتنحت فيها السفن من جذوع الاشجار وتتخذ للملاحة فى الانهار الصغيرة الكثيرة . على ان أهم تجارات خوارزم فى المئة الرابعة (العاشرة) كانت جلب الرقيق ، فقد كانوا يشتررون أو يسرقون أولاد وبنات الأتراك من بدو تلك البراري ، وبعد أن يعلموهم ويؤدّبوهم بالأدب الاسلامي ، يجلبون منها الى سائر بلاد الاسلام فكانوا يتولون ، على ما يروى التاريخ ، أجل مناصب الدولة ووظائفها^(١١) .

ولكنهم سمّوه أيضا بحر طبرستان أو مازندران أو بحر إسكندر أو جرجان ، نسبة الى أسماء الإقليم المختلفة المعروفة التي تكتنف سواحله . وبسبب قزوين أحيانا ، خطأ ، باسم ديار قلم . ولكن ظاهرا كان الاسم الذي أطلق على البحر الأحمر . أما آزال فكانوا يسمونه بوجه عام باسم بحيرة خوارزم وكذلك بحيرة الجرجانية (قصبة خوارزم) وما أسهل ما يقرأ هذا الاسم الأخير خطأ بصيغة جرجان ، مما ولد التباسا كبيرا بين قزوين (بحر جرجان) وآزال (بحيرة الجرجانية) . وكان آزال يعرف أيضا لدى البلديتين الفرس باسم ديار شرق (أى البحر الفرسى) . على ان هذا كله لا ينقض الطائفة التي دولها تدوينها واسمها المستقرى وحافظ إبرو وأبو المازنى (١١) المصطفى ٣٠٤ و ٣٠٥ ؛ ابن حوقل ٣٠٤ ؛ المقدسى ٣٢٥ .

الفصل الثالث والتشوتون

الصفد

بطار والندن الشمس داخل اسوارها - بيكند - سمرقند - جبل اليتم ونهر
لوفشان أى نهر السفد - كرينية - دبرسية ودينجن - كش
ونسف والندن المجاورة لهما - غلات الصفد وتجاوذه -
مسالك ما وراء جيحون حتى
سمرقند .

يمكن القول ان إقليم الصفد ، وهو صفديانا Bogdiana القديمة ، كان
يشمل الاراضى الخصبة فى ما بين نهري جيحون وسيحون ، التى كانت تسقيها
مياه نهريين ، هما زرفشان أى نهر السفد ، وعليه كانت تقوم سمرقند وبخارا ،
والنهر المناسب حيال مدينتى كش ونسف . وكان هذان النهران ينتهيان الى مناطق
أو بحيرات ضحلة فى المفازة الغربية من جهة خوارزم . مع ذلك ، فانه لمن الواضح
أن يد الصفد اسما للرساتيق المحيطة بسمرقند . فان بخارا وكش ونسف كانت
كل واحدة منها تعد كورة بذاتها .

وكان الصفد ، بحسب احدى جنان الدنيا الاربع ، وقد بلغ أوج ازدهاره
فى النصف الاخير من المئة الثالثة (التاسعة) فى أيام الامراء السامانيين . ومع ذلك
فقد ظل هذا الاقليم فى المئة التالية لها ، فى خصب ويسار لا نظير لهما . وكانت
أجل مدته : سمرقند وبخارا ، ويمكن القول ان الأولى كانت مركزه السياسى ،

بينما كانت بخارا عاصمته الدينية • الا ان كلا من المدينتين كانتا فى مرتبة واحدة وتمدان قصبتى الصفد^(١) •

وكان يقال لبخارا أيضا : نومجك^(٢) • كان عليها فى المثة الرابعة (العاشرة) سور سته • نحو فرسخ فى مثله • • وهى مدينة فى مستوات من الارض • على مسافة قصيرة من جنوب عمود نهر السفد • ولا جبال بالقرب منها • وحولها كثير من المدن والقصور والبساتين والمحال • يجمعها حائط سته اثنا عشر فرسخا فى مثله • ويزيد دوره على مئة ميل • ويشق ما يضمه هذا السور العظيم نهر السفد والانهار الكثيرة الآخذة منه •

اما مدينة بخارا نفسها • فلها فى خارج السور الى شماله الغربى • قهندز متصل بها • • وهو فى مقدار مدينة صغيرة • وفيه مساكن الولاة والحجس والخزائن • • وفى خارج المدينة وحولها • أرباض واسعة تمتد حتى عمود النهر وتحفّ بصفته الجنوبية • ومن أجلها الارباض التى فى شرقها • وهى : درب الثوبهار ودرب سرقند ودرب الرامشة وغيرها من الدروب التى لا مجال لذكرها لكنربها • ولا يمكن اليوم تعيين مواضعها الصحيحة • ولسور المدينة سبعة أبواب : باب المدينة • وباب نور (أو نور) • وباب حفرة • وباب الحديد • وباب القهندز • وباب مهر • وباب بنى أمد وآخرها باب يعرف ببنى سعد^(٣) • أما مواضع هذه الابواب فغير معروفة • الا ان باب قهندز ينبى ان يكون فى الشمال الغربى وهو المفضى الى الريگستان • السهلة العظيمة أى رحبة بخارا وقد اشتهرت فى كل زمان •

ويابا القلعة هما : باب الريگستان أى باب السهل • وباب الجامع وهذا

(١) الاستطرى ٢١٦ : ابن حوقل ٣٦٥ : القمى ٢٦١ و٢٦٤ و ٢٦٦ - ٢٦٨ : ياقوت ٣ . ٣٩٤ •
(٢) هذه التهجئة للاسم • وكذلك نومجك • وهى الصحيحة • وكثيرا ما يكتب خطأ بصورة نومجك •
(ردلك من تصحيح السامخ) • انظر : القمى ٢٦٧ الحاشية ب • اما التهجئة الصحيحة فقد ضياعها
الحجاج الصيغون الذين ذكروا بخارا باسم نومي Nomi •

(٣) عند أبراب بخارا حسبما ذكر المؤلف ثمانية لا سبعة • والظاهر انه اعتمد فى عددها على الاستطرى وان حوقل فانها اشاروا الى ان للمدينة سبعة ابواب ولكنها سبوا لها ثمانية • الا
القمى فقد ذكر ان للمدينة سبعة ابواب وسمو لها سبعة اسماء وليس باب مهر بينها • (م) •

لاخير كان يفضى الى المسجد الجامع القائم فى الريگستان على باب القهندز المار
لذكر . وكان يشق الارياض عشرة دروب ، ينتهى كل درب ببابه ، وقد عنى
كل من الاصطخرى والمقدسى بسرد أسمائها . وإلى ذلك فقد كان للمدينة أبواب
أخرى عديدة تقوم فى سككها وشوارعها تفصل بين الاحياء المختلفة . وكثير من
هذه الابواب حديد . وكان المسجد الجامع بالقرب من القلعة . وللمدينة أيضا مساجد
صغيرة متعددة وأسواق وحمامات ورحاب لا تحصى . وفى ختام المئة الرابعة
(الماشرة) كانت دار الامارة فى ظاهر القلعة فى رجة كبيرة يقال لها الريگستان .
وقد أسهب ابن حوقل فى ذكر أنهار المدينة الآخذة من يسار نهر السغد ، التى
تسقى بخارا وبساتينها ورسايقها ، ثم فتنى أخيرا فى المفازة التى فى الجنوب
الغربى قرب بيكند فى طريق أمل ، فلا يصل نهر منها الى جيحون . وكان المجرى
الاسفل للنهر فى هذا الموضع يقال له سامخاس أو خواش ^(٤) .

ونرى خرائب بخارا القديمة التى كانت فيما قبل الاسلام ، على بضعة أميال من
شمال غربى المدينة الاسلامية قرب ضفة النهر . ويقال لهذه الخرائب ديامين ،
قال فيها المقدسى فى المئة الرابعة (الماشرة) : « هى بخارا القديمة ، كبيرة خربة
الاطراف » . وكان فى داخل السور الكبير (أى حائط بخارا) الذى يجمع سهلة
بخارا خمس مدن زاهرة ، منها : « خجندة أو خجادة وهى على فرسخ غرب الدرب
المحدر من بخارا الى بيكند ، على ثلاثة فراسخ من القصة » وصقها المقدسى بقوله
« كبيرة ، عليها حصن فيه الجامع ، حسنة ظريفة » . وتلها بلدة مفكان ، وكانت
على خمسة فراسخ من بخارا وثلاثة من الدرب لصق الجانب الغربى من السور
الكبير . وكان لمفكان « حصن وريض حسن وجامع ظريف به ماء جار ، كثيرة
القرى » .

وكانت « تَشْبِيكْتْ أو تمشكك (وغالبا ما كتبت وهما بصورة بمعكك
وبومعكك) مدينة صغيرة فى شمال غربى بخارا على أربعة فراسخ منها ونصف
فرسخ عن الدرب الذى الى يسار الطريق الذاهب الى طواويس » والطواويس

(٤) الاصطخرى ٣٠٥ - ٣٠٦ : ابن حوقل ٣٥٨ - ٣٥٩ : المقدسى ٢٨٠ و ٢٨١ : ياقوت
٥١٧ .

(وتكتب مرفقة في الغالب) أعظم المدن الخمس التي في داخل السور الكبير • وكانت مدينة جلييلة • لها سوق ، ومجمع عظيم يتباهى الناس من أقطار أرض خراسان في وقت معلوم من السنة • ويرتفع منها من ثياب القطن ما يحمل منه لكثرتة الى العراق • وفيها تهنذز ، والمدينة عليها حصار ، ومسجد جامعا في المدينة • • وآخر المدن الخمس الداخلة ، كانت زندنة ، وما زالت قائمة الى يومنا ، قيل انها تبعد عن شمال بخارا أربعة فراسخ • • لها حصن به الجامع وربضها عامر • • وزاد ياقوت على ذلك ان اليها تنسب الثياب الزندنجي وهي ثياب مشهورة في الاتاق •

وعلى فرسخين من خارج السور الكبير وخمسة من بخارا ، في الطريق المتحدر الى جيحون عند قره ، مدينة بيكندوما زالت قائمة • كان على بيكند في المئة الرابعة (العاشرة) • حصن بباب واحد وجامع في محرابه جواهر • ولها ربض فيه سوق ولم يكن لها قرى ، انما فيها عدد كبير من الربط قيل انه يبلغ الألف • وعلى المدينة مفازة رملية الى حد جيحون •

وحافظت بخارا على مكانتها الرقبة في أوائل المصور الوسطى ، ولكن في سنة ٩١٦ (١٢١٩) ادركها الغزو المغولي فنهبت المدينة ودمرت عن آخرها • ولم تهنض مما أحاق بها من دمار وخراب مدى قرن ويزيد • وفي أوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين زاد ابن بطوطة الموضع ، نزل في ربض يقال له فتح آباد • وكان معظم الجوامع والمدارس والاسواق ، على الحال المشعة التي كانت عليها حين غادرها جنكيزخان • وفي الواقع ان بخارا لم تستمد شيئا من ازدهارها السابق الا في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) في عهد تيمور فقد اتخذ سمرقند عاصمة له واستعادت بخارا أختها شيئا من سابق بهائها^(٥) •

أما سمرقند ، فكانت في أعلى النهر ، على نحو من ١٥٠ ميلا من شرق بخارا ، تقوم على مسافة قصيرة من الضفة نهر السغد الجنوبية على نثر من الارض • وعلى

(٥) الاسطرى ٣١٣ - ٣١٥ ؛ ابن حوقل ٣٦٢ - ٣٦٤ ؛ القديس ٢٨١ و ٢٨٢ ؛ ياقوت ٣٧٢ و ٣٧٤ ؛ ٢ ؛ ١٥٢ ؛ ابن بطوطة ٣ ؛ ٢٧ ؛ E. Schuyler في Turkistan ؛ ٨٩ -

المدينة سور حوله خندق عميق ولها قلعة مرتفعة عن الأرض ، وفي أسفلها قرب النهر أرباض كبيرة ، تحف بها البساتين والأشجار ، « قل دار تخلو من بساتين ولا دار الا وفيها ماء جار الا القليل » . وتكثر فيها أشجار السرو . وفي القلعة دار الامارة والحبس ، ولكن حين كتب ابن حوقل كان الخراب قد استحوذ على أكثر هذه القلعة . وقد كان عليها « باب حديد من داخله باب آخر حديد » على ما ذكر ياقوت . أما المدينة نفسها فلها أربعة أبواب ، هي : باب الصين في جهة المشرق ، « ينزل عنه بدرج كثيرة المدد ، مطل على نفس وادي السند » . وباب بخارا في جهة الشمال ، وباب التوبهار في جهة المغرب ، وهو على النشز أيضا . والباب الكبير ويعرف أيضا بباب كش في جهة الجنوب .

ومساحة المدينة ، على ما ذكر ياقوت ، ٢٥٠٠ جريب (أى ١٧٥٠ اكرا) ، فيها الأسواق والحمامات . ولهذه المدينة مساكن كثيرة . وماء جار يدخل إليها في نهر من رصاص ، وهو نهر قد بنيت له مسناة عالية من حجارة يجرى عليها الماء من الصغارين حتى يدخل من باب كش ، ووجه هذا النهر رصاص كله . وسوق سمرقند الكبير يعرف برأس الطاق كان سوقا رحبا وفي أسفل القلعة المسجد الجامع ودار الامارة . ودورها قد بنى كلها بالخشب والطين . وكانت المدينة مكتظة بالسكان .

وأرباض سمرقند تمتد بامتداد شفة النهر ، في يسيط من الأرض ، وعليها سور نصف دائري طوله^(١) فرسخان ، يحيط بها من ناحية البر ، والنهر من ناحية الشمال ، أحاطة القوس بالوتر ، فيتم بذلك خط دفاعها . وللربض ثمانية أبواب تقضى منها دروب مختلفة ، هذه أسماؤها : أولا باب شداد ، ثم باب أشيسك ، ثم باب سوخشين ، وباب أفشينه ، ويليه باب كوهك (أى باب الجبل) وينغى الى النشز حيث المدينة والقلعة . ويليه باب ورسين ، فباب ريودد . وأخيرا باب قَرَشِيذ . ومجمع أسواق الربض رأس الطاق في المدينة ، والبلد كله : طرفه

(١) جاء في الإسنكري عن هذا السور قوله (من ٣١٧) : « ويكون قطر السور المحيط بربض سمرقند فرسخين » . وقال ابن حوقل فيه أيضا (من ٤٩٣ من الطمة الثانية) : « و قطر هذا السور المحيط بالربض نحو فرسخين في فرسخين » (م) .

وسككه وأسواقه ، الا القليل ، مفروش بالحجارة ، • وكانت أسواق ريفها مجمع
التجارات ، زاخرة بالسلع الواردة اليها من جميع الانحاء ، فقد كانت سمرقند
فرصة تجارية عظيمة لبلاد ما وراء النهر • ومن جملة ما اشتهرت به الكاشغ
السمرقندى ، فهو يحمل منها الى سائر بلاد الشرق ، وكانت صناعته قد دخلت
اليها من الصين • وهواء سمرقند رطب ، ولكل دار فى المدينة وريفها بستان
» حتى انك اذا صعدت أعلى القلعة لم تبد المدينة للنظر لاستارها بالبساتين
والاشجار • • وفى جنوبها جبل صتير يقال له كوهك يمتد طرفه الى مرحلة يوم
عن المدينة •

ويرجع سبب الخراب الوقى الذى حلّ بسمرقند الى الفول ، على ما أوقعوه
فى سائر أنحاء ما وراء النهر • فقد خربوا معظم البلد فى سنة ٦١٦ (١٢١٩)
حتى ان ابن بطوطة لما زارها فى المئة التالية لذلك الزمن ، قال فيها « لا سور لها
ولا أبواب عليها » ، وأكثر دورها خراب والقليل منها أهل • وقد سعى نهرها
(أو لعله أراد نهرًا كان يأخذ من نهر السند) نهر القصارين • عليه التواوير • •
ومع ذلك فقد استعادت سمرقند مجدها السابق بعد ذلك بقليل ، وذلك فى ختام
المئة الثالثة (الرابعة عشرة) حين اتخذها تيمور عاصمة له فجدد البلد وشيّد
المساجد وأقام الربط ، وقد شاهد ذلك كله السفير الاسبانى كلافيجو Clavijo
فى سنة ٨٠٨ (١٤٠٥) وما زال بعض ذلك قائما الى يومنا • وذكر على اليزدى
ان مسجدها الجامع قد أنشأ تيمور عند عودته من فتح الهند فكان مردّ بهائه
وجماله الى ما وضعه فيه من غنائم تلك الحملة • ووصف كلافيجو سمرقند فى هذا
الزمن بقوله انها يحيط بها سور طين وان كبر البلد فى نحو مدينة اشيلية ،
موطنه (٧) •

أما رباتيق سمرقند فكان جلفها فى شرقها وجنوبها ، وبعضها فى شمال نهر
السند ، وكلها خصبة وافرة الخيرات • ففى تسمية فراسخ من شرق سمرقند

(٧) الاسطخري ٢١٦ - ٣١٨ : ابن حوقل ٣٦٥ - ٣٦٨ : المقدسى ٢٧٨ - ٢٧٩ : القزوينى
٢ : ٢٥٩ : ياقوت ٣ : ١٢٤ : ابن بطوطة ٣ : ٥٢ : على اليزدى ٢ : ١٩٥ : كلافيجو فى كتابه
Embassy ص ١٦٦ •

يتمثل ذلك من جنوب النهر ، مدينة بنجيكت ، (ما زالت قائمة حتى اليوم باسم بنجكد) حولها رستاق كثير الثمار خصب ، مشجر باللوز والجوز ، وتمتد حقول القمح على الأنهار ، وبين هذه المدينة وسمرقند ، القرية الكبيرة ورغسر ورستاقها خصب تسقيه أنهار تأخذ من نهر السغد . وفي الناحية الجنوبية من القنصة كان رستاق مايمرغ فيه قرية ريود دد على فرسخ من سمرقند ، ويجاوره رستاق سنجرغن . وليس في جميع الرستاق أكثر قرى وأشجارا وخيرات منه (أي مايمرغ) ، وإلى جنوبه ، الرستاق الجبل المعروف بجبال السوداء وهو أصح رستاق الأقليم هواء . وفي هذا الرستاق ، على ما ذكر ابن حوقل ، « مهمتر للنصارى - ربما كانوا من النساطرة - يعرف بوزكرد » ، وكان يزار كثيرا ، ودخله عظيم . وكانت الأودية التي في هذه الجبال ، في غاية الخصب ، وعلى أنهارها تنبت القرى ، وخيراتهما وافرة . ورستاق الدرغم « أذكى الرستاق وأكثرهن مراعى وياها » ويفضل من أعتابه ما يحمل إلى غيرها من الرستاق » . وعلى حده كان رستاق أوفر أو أبهر ، وهو « رستاق ، عامته مباخس ، كثير القرى ، أهله أصحاب مواش » ، قطره نحو من فرسخين وهذا الرستاق هو آخر الرستاق في جنوب سمرقند والنهر .

وفي شمال ضفة نهر السغد ، في تخوم أشروسنة ، رستاق بوزماجن أو بوزماجن ، ومدينته باركت أو أباركت ، وهي على أربعة فراسخ أو مرحلة يوم من سمرقند إلى شمالها الشرقي . وعلى أربعة فراسخ أخرى شمالا ، « كشتفغن » وهي قرية ذات شأن عرفت في الأزمنة الأخيرة برأس القنطرة . ويلها رستاق « برسمند » أو فورمند ، وهو يتأخم أشروسنة ، ويله رستاق ياركت وهو أعلى الرستاق الشمالية . وتكثر في هذين الرستاقين المراعى .

وعلى سبعة فراسخ من شمال سمرقند ، مدينة اشتينغن ، لها قنطرة وريش وأنهار تأخذ من نهر السغد ، وهي مشهورة بكثرة زروعها . ونعما الاسطخرى يلقب السغد لخصبها . وعلى سبعة فراسخ أخرى شمالا كانت الكشائية أو كشاني ، وهي أعمر مدن السغد ، وأهلها من ذوى اليسار والبراء ، وإلى شمالها أيضا ،

رستاق كبودنجكك ، وهو على ما ذكر ياقوت بعد فرسخين عن سمرقند ، ومدينته يقال لها لنجوغكك . وعلى ظهر هذا الرستاق ، رستاق وذار وأرضه جبلية ومدينته على اسمه ، وفيها يعمل الثياب الودارية القطنية . وأخيرا رستاق المرزبان ، وهو المرزبان بن تركسفي ، من دهاقين الصفد ، أى تبالته . ويتصل هذا الرستاق برستاق وذار^(٨) .

أما نهر السغد ، أو زرفشان (ناسر الذهب) على ما يسمى به اليوم ، فإن منابه في جبال يقال لها البشتم ، وهو يفصل بين أنهار إقليم الصفد من جهة وأنهار الصفانين ووخشاب من جهة أخرى وقد مر ذكرهما في الفصل الثاني والثلاثين ، وهما من روافد يمين نهر جيحون . وسفوح جبل البشتم وان كانت عالية شديدة الانحدار ، فإن القرى كانت تبت فوقها ، وفيها مادن الذهب والفضة وكذلك يستخرج منها الحديد والزئبق والنحاس والآتاك والنفط والقطر ، وبحمل من هذا الرستاق الزفت والفيروزج ، وحجارة تحرق عوضا عن الفحم ، والنواشذر . والنواشذر يجمع من غار يرتفع فيه بخار ، ذكر الاصطخري ان في الجبل « مثل النار ، يبنى عليه بيت ، ويستوفى من أبوابه وكواه ، فيرتفع من الغار بخار يشبه بالنهار الدخان وبالليل النار ، فإذا تلبد هذا البخار ، قلع منه وهو النواشذر . ولا يتهاى لاحد أن يدخله من شدة حرقه إلا ان يلبس لبودا ويدخل بها كالمختلس . وهذا البخار يتقل من مكان الى مكان فيحفر عليه حتى يظهر ، فإذا انقطع من مكان حفر عليه من مكان آخر فظهر منه »^(٩) .

ومبدأ نهر السغد في موضع يقال له آجن أو آجي ، وهو « مثل بحيرة حوالها قرى ، وتعرف الناحية ببرغر » أو ورغر ، فينصب النهر من البحيرة بين جبال حتى ينتهي الى بيجيكك ثم ينتهي الى مكان يعرف بورغسر « وتفسيره رأس السمك » في لقمته . لان عنده تنسحب من النهر أنهار تسقى سمرقند ورستاقها التي في شمال نهر السغد . ومن الانهار الآتية الى سمرقند اثنان يحملان السفن ، وقد

(٨) الاسطرى ٢٢١ - ٢٢٢ : ابن حوقل ٢٧١ - ٢٧٥ : المقدسي ٢٧٦ : ياقوت ١ : ٢٧٧ ؛ ٢ : ٤٤٧ و ٨٩٠ ؛ ٤ : ٢٢٤ و ٢٧٦ و ٩١٤ .
(٩) الاسطرى ٢١٢ و ٢٢٧ : ابن حوقل ٣٦٢ و ٣٨٢ .

سرد ابن حوقل أسماء هذه الانهار المختلفة والرساتيق التي تسقيها وما فيها من قرى •

وكان على النهر في سمرقند قطرة حجارة يقال لها قطرة حرّء، كانت مياه الفيضان أحيانا تنمرها كلها • يأخذ من النهر أسفل سمرقند أنهار أخرى تسقى الرساتيق التي حول الدبوسية وكرمينية • ومنصفهما الآن • ثم يصل نهر السند الى قرب بخارا • فيسقى النهر في هذا الموضع بنهر بخارا • وكان يأخذ منه في ظاهر سور بخارا الكثير أنهار تسقى المدينة وما يليها من أرضين • وقد سرد ابن حوقل أسماء هذه الانهار أيضا وما عليها من قرى وبعض هذه الانهار يؤلف شبكة للسقى تمود مياهها الى عمود النهر • بينما كان غيرها يفتى بعد السقى • وهو ما كان في الجنوب الغربي • والمعروف ان الانهار الكبيرة التي كانت تصل مدينة بخارا يصلح كلها لسير السفن^(١٠) •

وكان بين بخارا وسمرقند في شفة السند الجنوبية ثلاث مدن كبيرة في المئة الرابعة (العاشرة) • هي كرمينية (وما زالت قائمة) والدبوسية ودينجن • أما كرمينية فهي على مرحلة بريد شرق الطوايس في ظاهر السور الكبير • وهي أكبر من الطوايس وأعمر وأكثر عددا • ولها قرى كثيرة • وأراضيها خصبة وانهارها وافرة تأخذ مائها من نهر السند • وقد ذكر ياقوت كثرة أشجارها • وعلى مرحلة بريد من شرقها • مدينة الدبوسية وهي كذلك على نهر يأخذ من شفة السند الجنوبية ولكنها لا قرى كبيرة فيها ولا أعمال لها •

وبلدة خديمتكن • كانت تبعد فرسخا عن كرمينية وغلوة عن شمال الطريق العام • وعلى شفة السند الشمالية • على فرسخ فوق خديمتكن • بلدة مذيامشكت • وكانت أسفل منها بفرسخ قرية خرغانكت وهي على شفة النهر الشمالية بإزاء كرمينية ولا تبعد عنها غير فرسخ • وهذه القرى الثلاث • كانت من الكبر في المئة الرابعة (العاشرة) بحيث ان لكل منها مسجدا جامعا • وذكر ياقوت ان خديمتكن • تختص بأصحاب الحديث • • اما ادينجن • أو دينجن •

(١٠) الاسطرخى ٣١٠ - ٣١٢ و ٣١٩ - ٣٢١ : ابن حوقل ٣٥٩ - ٣٦١ و ٣٦٨ - ٣٧١ •

فعلی مرحلة بريد من شرق الدبوسية وأكبر منها • وإلى شرقها أيضا ، فی نصف الطريق بين ربنجن وسمرقند ، على سبعة فراسخ من هذه القصة ، كانت زرمان • هذا ، وقد سرد المقدسي أسماء عدد كبير من المدن الصغيرة الأخرى حول بخارا ، ووصفها • ولكن مما يؤسف عليه أنه لم يذكر المسافات بينها ليتسنى تأشير مواضعها^(١١) •

وفى الناحية الجنوبية من نهر السغد ، يجرى نهر موازل له ، وينتهي مثله فى منافع يد أنه أقصر منه ، يقال له اليوم كُشْكَه دريا ، وعليه تقوم شهر سبز وقرشى ، كانت شهر سبز (أى المدينة الخضراء) فى المصور الوسطى ، تعرف باسم كَشْ • قال فيها ابن حوقل : « مدينة لها قهندز وحصن وربض • ومدينة أخرى متصلة بالربض • لعلها هى المروقة اليوم بكتاب • وكان يقال لها قديما المصلى ، فيها الخانات ودار الامارة • وفى ربضها الاسواق • • والحبس والمسجد الجامع فى المدينة الداخلة ، ومقدارها نحو ثلث فرسخ فى مثله (أى ربع ميل مربع) » وبنائها من طين وخشب ، وهى مدينة خصبة جدا ، جرومية ، تدرك فيها الفواكه أسرع مما تدرك بسائر ما وراء النهر ، وتأتى بواكيرها الى بخارا • • وللمدينة كَشْ الداخلة أربعة أبواب هى : باب الحديد ، وباب عبد الله ، وباب القصابين ، والرابع باب المدينة الداخلة • وللمدينة الخارجة بابان ، أحدهما باب بركتان • وبركان قرية ينسب اليها الباب • ، وباب المدينة الخارجة^(١٢) •

والنهر المعروف اليوم بنهر كَشْكه كان يقال له فى المئة الرابعة (العاشرة) نهر الفصاين • ويخرج من جبل سَيَّام ويجرى فى جنوبى المدينة • أى مدينة كَشْ • ويجرى فى شمالها نهر أَسْرود • وفى ما على طريق سمرقند ، على فرسخ • كان يقطع هذا الطريق نهر يقال له جاي رود ، وإلى جنوبه ، على فرسخ من كَشْ فى طريق بلخ ، نهر كُشْكَه رود (أى النهر الجاف) • وفى ما على

(١١) الأسفلرى ٣١٤ و ٣١٦ و ٣٢٢ : ابن حوقل ٣٦٢ و ٣٦٥ و ٣٧٠ : المقدسي ٢٨٢ : ياقوت ٢ : ٤٠٦ و ٩٢٥ : ٤ : ٣٦٨ •

(١٢) ذكر المؤلف الباب الثانى بهذا الاسم مستندا الى المقدسي (ص ٢٨٢) • ولكن ابن حوقل (ص ٥٦١) يستند باب المدينة الداخلة (•) •

هذا النهر ، على ثمانية فراسخ منه ، نهر خُزار رود . وهذه الانهار ، بعد أن تسقى رسائيق كُش ، مجتمع فضلاتها فتصير نهرا واحدا يمر بمدينة نسف . وكان « طول عمل كُش نحو أربعة أيام في مثلها » . وهو معروف بوفرة خصبه . وفي الجبال المجاورة لكُش : الملح « وبها يسقط المِن المسمى الترتجين والمقايير الكثيرة » وكانت تحمل الى كثير من آفاق خراسان . واشتهرت كُش في الازمنة الاخيرة بأن فيها ولد تيمور الذي جدد في أواخر المئة الثامنة (الرابعة عشرة) المدينة وبني فيها القصر الأبيض - آق سراي - وكان يؤثر الإقامة فيه . وفي هذا الزمن عرفت كُش باسم شهر سبز (المدينة الخضراء) وما زالت تعرف به حتى اليوم (١٣) .

وعلى مئة ميل ونيف في منحدر النهر أسفل كُش من ناحيتها الغربية ، المدينة المعروفة اليوم باسم قَرْمُشي وكان يسميها عرب القرون الوسطى نسف والفرس نخشب . كان لنسف في المئة الرابعة (العاشرة) قهندز ، وريض عامر في ظاهر المدينة ، له سور وأربعة أبواب هي : باب التجارية وباب سمرقند وباب كُش وباب غوبذين . وتقوم تسع على النهر الذي يتألف ، على ما بينا ، من مجتمع فضلات أنهار عديدة تأتي من رسائيق كُش . وعلى ضفته : دار الامارة ، عند الموضع المعروف برأس القنطرة . وجسها عند دار الامارة ، والمسجد الجامع قرب باب غوبذين . وأسواقها في الرِيض مجتمعة ما بين دار الامارة ومسجد الجامع والمصلى بناحية باب التجارية داخل الباب . وقد أطرى المقدسى كثرة أعقاب نخشب الجيدة وتكلم على أسواقها الحصنة . وكانت مزارعها خصبة وبساتينها كثيرة . الا انها « ليست لها قرى كثيرة ولا نواح » مثلما كان لكُش .

وعرفت نسف أو نخشب في التاريخ بأنها موطن المقتنع - نبي خراسان - الذي نهض في النصف الاخير من المئة الثانية (الثامنة) وصنع المجائب . فقد كان يصعد من بئر في نخشب ليلة بعد ليلة القمر أو ما هو مثل القمر ، فكان الناس يستجيبون من ذلك . وكان الفرّس يلقبون المقتنع بـ « ماء سائرند » أي صائم

(١٣) الاسطرخى ٣٢٤ : ابن حوقل ٣٧٥ - ٣٧٧ : المقدسى ٢٨٢ : على البيهقي ٣٠٠ و ٣٠١ .

القصر • وتروى الأخبار التاريخية ان فتنة اتباع المتنع قد عانى منها كثيرا قادة جيش الخليفة المهدي مدى سنين • أما مدينة نخشب ، فقد ابنتى فيها كيك خان بعد الغزو المغولى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، قصرا له فى موضع على فرسخين من المدينة القديمة ، و « القصر » فى اللغة المغولية يسمى « قرشى » فسرى هذا الاسم على الربض الذى قام حوله وحل محل نصف القديمة أى نخشب • نزل ابن بطوطة هنا فى أوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، ووصف قرشى بانها بلدة صغيرة تحفّ بها البساتين • وفى ختام هذا القرن ، كان تيمور كثيرا ما يشتى فى قرشى ، ثم بنى قريبا حصارا أى قلعة^(١٤) •

وكان قرب نصف ، فى المئة الرابعة (العاشرة) وما بعدها ، مدينتان لكل منهما جامع ، صفراهما يزده أو يزده • لها قلعة قوية وهى على ستة فراسخ غرب نصف فى طريق بخارا • والأخرى ، وهى الكبيرة كسّبة ، كانت على أربعة فراسخ من نصف فى طريق بخارا • ولها أسواق عامرة على ما ذكر ياقوت • وكان الى ذلك ، بين نصف وكش ، على مرحلة بريد غرب المدينة الأخيرة ، المدينة أو القرية الكبيرة المسماة توفندقرش • وعلى مرحلة أخرى جنوب شرقى نصف ، فى الطريق الى باب الحديد (انظر صفحة ٤٨٥) ، كانت « سوتج » وهى قرية كبيرة • وفى جوارها على فرسخ منها : اسكيفن ، ويسقى هاتين القرئتين نهر خزار وقد سبق ذكره^(١٥) •

اما حاصلات اقليم الصفد وصناعاته ، فمديدة • فكان يرتفع من بخارا بطيخ فاتق يحمل الى الآفاق ، ويرتفع منها أيضا البسط والمصليات والياب الرخوة وثياب الفرش التى كانت تفرش فى حجرات الضيوف ، وكانت تسج فى محابسها « حُوم الخيل » وتدينغ فيها جلود الضأن ، ويرتفع منها الشحم ودهن الرأس وتحمل الى الآفاق • وأكثر ما اشتهرت به سمرقند : الكاغد • يعمل فيها ثياب

(١٤) الاسطخرى ٢٢٥ : ابن حوقل ٢٧٧ و ٢٧٨ : القندس ٢٨٢ : القزوينى ٢ : ٣١٢ :

ابن بطوطة ٣ : ٢٨ : عل اليزدى ١ : ١١١ •

(١٥) ابن حوقل ٢٧٦ - ٢٧٨ : القندس ٢٨٢ : ياقوت ١ : ٦٠٤ : ٣ : ١١٧ : ٤ : ٢٧٢ :

حمر ودياج وقر • وكان الصغارون يصنعون القدور الخفية من التحاس ، وغيرهم يعملون الركب والسيور وأحزمة السرج وكذلك أصناف التماثيل والقناني • ويحمل من رسائنها البندق والجوز • وكان يرتفع من كرمية بين بخارا وسمرقند : المناديل • ومن الدبوسية : ثياب ودياج • ومن ريشن : اللود الحمر ومصليات وطاسات والجلود وحبال القنب والكبيريت ويرتفع منها أيضا أزرد النساء^(١٦) •

ولقد يتنا في الفصل الثلاثين (ص ٤٧٣) ، ان طريق خراسان كان يقطع جيحون مما يلي أموية الى قرير ، ومنها يتابع الى بكند فيدخل باب السور الكبير الى بخارا • ومن هذه القصة يصعد الطريق في محاذة شفة نهر السند اليسرى الى سمرقند مارا بمدن هذه الناحية الكبيرة • وقد وصف هذا الجزء من الطريق جميع المصنفين القدماء باختلاف طفيف فيما بينهم • غير ان ابن حوقل والمقدسي ذكرا أيضا المسافات بين المدن الخارجة في رسائنها بخارا وسمرقند^(١٧) •

والطريق الذي يخترق خراسان الى بلخ (أنظر صفحة ٤٧٤) يمر جيحون الى ترمذ ، وعندها يتشعب الى طرق مختلفة : ففي الشمال طريق يتخلل الصغانيان وقباذيان الى واشجرد • ومنها يمر قنطرة الحجارة فيصل الى ناحيتي الوخش والختل • وفي الشمال الغربي ، يصعد طريق آخر من ترمذ الى باب الحديد • وفي ما يلي كندك بمرحلة ، يتشعب : فالى الشمال يذهب الطريق الايمن الى كتش ومنها يبلغ سمرقند وإلى الشمال الغربي ينتهي الطريق الايسر الى نخشب • وهناك ينطلف فرع منه يتجه شرقا فيعود الى كتش • أما الطريق الكبير نفسه ، فانه يقطع المغازة الى بخارا • وقد وصف هذه الطرق ، مع ذكر المسافات القصيرة في الغالب ، الاصطخرى وبعضها المقدسي^(١٨) •

(١٦) ابن حوقل ٣٦٤ : المقدسي ٣٢٤ و ٣٢٥ • قلنا : في المقدسي (ص ٣٢٤) : « ومن ديبين أزرد الشتاء » وفي الحاشية « النساء » • وقد رسم المؤلف عبارة لفظة « أزرد » ليجلبها في لثن الاكليري « أزرد الشتاء » • (م) •
(١٧) ابن خردادبه ٢٥ و ٢٦ : لعمامة ٢٠٣ : الاصطخرى ٣٢٤ و ٣٤٢ : ابن حوقل ٣٩٨ و ٤٠٢ : المقدسي ٣٤٢ و ٣٤٣ •
(١٨) الاصطخرى ٣٣٧ - ٣٤١ : ابن حوقل ٣٩٩ - ٤٠٣ : المقدسي ٣٤٢ - ٣٤٤ •

وكانت دلتا جيحون في إقليم خوارزم ، يصلها من آمل في جانب خراسان طريق يصد في محاذة ضفته اليسرى الى الطاهرية حيث يبدأ حد الزراعة ومنها يتابع الى هزاراسب . وهنا طريق يذهب يسارا مارا بخيوه الى الجرجانية (اركنج) . وطريق آخر يعطف الى كاث والمدن التي على يمين جيحون . وقد وصف الاصطخري والمقدسي هذه الطرق . وكذلك الطريق الذي يقطع المفازة نحو الجنوب الشرقي من كاث الى بخارا رأسا . والى ذلك ، فقد ذكر المستوفي في الملة الثامنة (الرابسة عشرة) طريقين يأتیان من الجنوب ويجمعان في اركنج ، فيذهب أحدهما شمالا من فراوة (هي الآن قزل اروات . أنظر صفحة ٤٢١) الى اركنج قاطعا المفازة . والآخر يذهب من مرو ويقطع المفازة أيضا ويجتاز في مواضع كثيرة الرمال المتحركة حتى يصل الى الطاهرية على جيحون . وقد ذكر هذا الطريق الاخير أيضا جهان نغا . ومن هزاراسب يكاد هذا الطريق يتابع الطريق نفسه ، الذي وصفه البلدانون العرب المنتهى بقصبة خوارزم في الجرجانية^{١٩٩} .

(١٩) الاصطخري ٣٣٨ و ٣٤١ و ٣٤٢ ؛ ابن حوقل ٤٠٠ و ٤٠٢ ؛ المقدسي ٣٤٣ و ٣٤٤ ؛ المستوفي ١٩٧ و ١٩٨ ؛ جهان نغا ٤٥٧ .

الفصل الرابع والثلاثون

اقليم نهر سيحون

القليم اشروسة - يونجكت وهي قصبة - زامين ولندن الاخرى - اقليم فرغالة - نهر جكسارلس
Jaxartes اى سيحون - الحسيكث وانديجان - اوشى واوزكند ولندن الاخرى - اقليم
السايش اى بنكت - بناكت اى شاه رخية ولندن الاخرى - ناحية الال ودينه
تولكت - ومغان الفضة فى غشت - ناحية اسيجاب - مدينة اسيجاب
اى سيعام - جيكند ولاراب اى انرا - يسى وميران - جند
وينفكت - طراى وميركى ومدن الترك النائية -
حاصلات اقليم سيحون - المسالك
التي فى شمال
سفرقند .

القليم اشروسة - وكتب أيضا : اشروشة وسروشة وستروشة - يقع فى
شرق سفرقند ، بين الرساتيق الممتدة فى معاذاة يمين نهر السند والرساتيق التى
فى يسار نهر سيحون ، ولا يدخل هذان النهران ضمن اقليم اشروسة . وأرض
الاقليم سهول وجبال ، ولا تخللها أنهار كبيرة . أما حده الشرقى على ما ذكر
البلدانيون العرب ، فكان يامير (الفامر) .

وكانت قصبة مدينة اشروسة ، ويقال لها أيضا يونجكت وينجكت

وبونجكت ، وموضعها يطابق مدينة أرائيه^(١) الحالية . كانت بونجكت في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة يحزر رجالها نحو عشرة آلاف رجل ، وبنائها طين وخشب ، ولها مدينة داخلية منها ، عليها سور بذاتها ، وسور على ربضها ، ولها سور آخر من وراء ذلك . وللمدينة الداخلة بابان : أحدهما يدعى باب الاعلى ، والآخر باب المدينة . وداخل المدينة القهندز والسجن ومسجد الجامع والأسواق . ويجرى بالمدينة الداخلة نهر كبير عليه رحى ، ويشتمل سورها المحيط بالربض ، أى المدينة الخارجة ، على الدور والبساتين ، ويبلغ دوره نحواً من ثلاثة فراسخ . وكان لهذا السور أربعة أبواب ، هى : باب زامين ، وباب صر مشندة ، وباب بونجكت ، وباب كهلباذ . وكان لهذه المدينة ستة أنهار صغيرة تسقى أراضيها سرد ابن حوقل اسمها . وجميع هذه الأنهار من منبع واحد وعين واحدة ، ويكون مقدار ما يدير عشر أرحية ، ومن المدينة الى منبع الماء أقل من نصف فرسخ . وكانت المدينة مشهورة بكثرة التره والبساتين .

وزامين ، وهى ما زالت قائمة الى الشرق من بونجكت . وهى على طريق خراسان الآتى من بخارا وسمرقند ، حيث يتشعب أخيراً الى طريقين : أحدهما يذهب شمالاً الى التاش (تاشكند) والآخر نحو الشمال الشرقى الى فرغانة وما وراءها . كانت زامين فى الملة الرابعة (العاشرة) تقارب القصبه بونجكت فى الكبر ، وهى مدينة قديمة جداً كانت تعرف باسم سوسنده أو سرسنده ، لها مسجد جامع وأسواق حسنة ، تحف بها البساتين والمزارع ، وليس عليها سور . وللمدينة نهر عليه جسور صفار . ومدينة ساباط ، ما زالت قائمة أيضاً وهى بين زامين وبونجكت فى طريق فرغانة . قال فيها المقدسى « عامرة ، وبها عين ماؤها جار ، يحقق بها بساتين »^(٢) .

(١) ينسب أن لا يلبس على القاري اسم بونجكت ، قصبة افراسنة بهديكت (بونجكت) التى غرشرق سمرقند . ولقد عرفت المسالك موضع قصبة اسروشمه (انظر : ابن خرداذبه ٢٦ : لدماء ٢٠٧ والاسطرخى ٢٤٢) هذا فيما عدا الروايات المحلية اليوم التى تؤيد ذلك (انظر : Schuyler في كتابه Turkistan ١ : ٣١٢) . الاسطرخى ٣٢٥ : ابن حوقل ٣٧٩ : المقدسى ٢٦٥ : ياقوت ١ : ٢٤٥ و ٢٧٨ و ٧٤٤ .

(٢) الاسطرخى ٣٢٦ و ٣٢٧ : ابن حوقل ٣٧٩ و ٢٨٠ : المقدسى ٢٧٧ .

أما مدن اسروشة الاخرى ، فقد انتهت اليها اسماؤها ، ولكن دون ما وصف ، ومواضع أغلبها غير معروفة . فما زال منها قائما ، أو ما يمكن تعيين مواضعه من وصف المسالك ، هو ما يأتي : ديزك ، ويقال لها أيضا جيزك في شمال غرب زامين . والى جنوبها ، في الطريق من سمرقند ، مدينة خرقاتة ، وخاوس ، أو خاوص ، في الطريق الذهاب شمالا من زامين الى الشاش . ومكركت على حدود فرغانة في نصف الطريق بين ساباط وخجندة . ولا يمكن تعيين موضعى المدينتين الصغيرتين منك ومرسندة تبعا صحيحا لان كتب المسالك لم تذكر ولا واحدة منهما . ولكن ينبغي ان تكون مرسندة مجاورة للقصبة ان استدلتنا باب مرسندة في بوتجكت على ذلك . كانت مرسندة في الجبال ، شديدة البرد ، لها ماء جار ، قليلة السكان لارتفاع سطحها . ذكرها المقدسي فقال « بها أسواق عامرة ، الجامع على ناحية من السوق » ، وهى مدينة جبلية . والظاهر ان مدينة منك كانت فى جوارها . واشتهرت بانها الموضع الذى قاتل فيه قتية [بن مسلم] وهو القائد العربى فى الفتح الاسلامى الاول لما وراء نهر سيحون . . وهناك حصن يعرف بالافشين الاكبر وهو صاحب المتصم ، وكان قد اخذته لنزخته . . وفى ناحية منك ومرسندة . تتخذ آلات الحديد التى تم خراسان ويجهز الى العراق ، وذلك لان الحديد بفرغانة لين ممكن لما يراد قتية فى أى صنعة تصد منه (٣) .

كان نهر جكسارنس العظيم يسميه العرب ، على ما قد بينا (ص ٤٧٧) ، سيحون . على ان اسمه الاكثر شيوعا كان نهر الشاش (والشاش القديمة هى تاشكند) . وانما سمى بذلك لوقوع المدينة المهمة التى بهذا الاسم فى القرب من ضفافه . وذكر المستوفى انه فى الملة الثامنة (الرابعة عشرة) كان المتول القاطنون فى هذه الارزاء يعرفونه باسم گل زريان . ومنذ ذلك الحين حتى يومنا هذا ، أطلق عليه الترك اسم سيردريا أو سيرسو (نهر سير) . وقد ذكره ابو الغازى بهذا الاسم .

(٣) الاسطرى ٢٣٦ و ٢٤٣ : ابن حوقل ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ : المقدسى ٢٧٨ : ياقوت ٢ : ٣٩٥

وذكر ابن حوقل ان نهر سيحون ، يخرج من بلد الترك ، وهو ، يعظم من أنهار تجتمع اليه ، تأتي من الجبال ويدخل وادى فرغانة العظيم من طرفه الشرقي فى حدود اوزكند . ويمتد اقليم فرغانة نحواً من مئتين ميل وتيف الى شمال وجنوب مجرى الاعلى^(٤) . فاذا ما جرى نهر سيحون شرقاً استقبل روافد عديدة وهو يتخلل فرغانة ، هي : نهر خرشان ونهرا اُورست وبقا وكذلك نهر جدغىل ولله هو نهر نرين الحالى ، وأنهاراً أخرى غيرها . فاذا جاوز أسوار أخسيك القصبه وصل سيحون الى خجندة وعندها يارح نهائياً اقليم فرغانة . ثم ينطف شمالاً فيستقبل فى يمينه نهرين يقال لهما نهر ايلاق ونهر ترك ، ويمر بغرب رستاق ايلاق والشاش . وفى ما على ذلك ، ينتهى سيحون الى رستاق اسيجاب ثم اذا اجتاز مفاوز الغز والرك ، توزعت مياهه على أنهار عديدة حتى يقع فى بحر آرال فى القسم الشمالى الشرقى منه . وقد ذكر اللدانيون العرب ان نهر سيحون صالح لسير السفن كنهري جيحون وان سيحون يجمد شتاء مدة أطول من جيحون فكانت القوافل تعبره . وكان يعد نهر ثلثي جيحون^(٥) .

أما اقليم فرغانة الذى كان الى وقت قريب يعرف بِمِئَانِيَّة خوقند ، وقد أعادت اليه الحكومة الروسية رسمياً اسمه القديم ، فكانت قصبته فى أوائل المصور الوسطى مدينة أخسيك ، وسماها ابن خرداذبه وغيره مدينة فرغانة . وهى تقوم على ضفة نهر سيحون الشمالية . وخرائب هذه المدينة شاخصة . وفى المئة العاشرة (السادسة عشرة) لما كان بابر حاكماً على فرغانة ، كانت مدينة الاقليم الثانية ، تعرف باسمها المختصر « أخسى » ، واندبجان كانت هى القصبه حينذاك . قال ابن حوقل فى مدينة أخسيك ، انها مدينة واسعة لها قهندز وفيها الجامع ودار الامارة والجس ولها ريف واسع . والمدينة الداخلة ميل فى مثله ، فيها مياه جارية وحياض كثيرة . وفيها وفى ريفها أسواق ، وعلى ريفها سور . وللمدينة الداخلة خمسة أبواب ، هى : باب كلسان ، وباب الجامع ، وباب

(٤) ومن ثمة ، فان نرين هو أطول منابع نهر سيحون . ولم يكن العرب يسمونه بحمد النهر .

(٥) ابن حوقل ٣٩٢ و ٣٩٣ : المقدسى ٢٢ : ياقوت : ٣ : ٢١٠ : المستوفى ٢١٥ : حالف إبره ١٣٣ : جهان ما ٣٦٠ : إير النازى ١٣ و ١٨١ و ٢٩٠ .

رهانة ، وباب لم يضبط اسمه ، ويمكن أن يقرأ بخر . وأخيرا باب الرديقة .
وكان يحض بالمدينة البسائين الملتفة مقدار فرسخين مما على أبواب ربهها .
وإذا عبرت جيحون وجدت في جابه الجنوبي المروج والمراعى الكثيرة . والظاهر
إن اخسيك قد استولى عليها الخراب كما استولى على مدن كثيرة في اقليم فرغانة
اثنا حروب محمد خوارزمشاه في مطلع المة السابعة (الثالثة عشرة) . وما لم
تله هذه الحروب بسوء قد دمرته غزوات المغول ، فانتقلت بعدها قبة الاقليم
الى انديجان . وفي زمن تيمور ، ذكر على اليزدى اسمها بصورة اخسيك أو
اخسيك ، فاختصر هذا الاسم على ما يتنا الى أخسى في أيام بابر^(١) .

أما انديگان (انديجان الحالية) ، فقد اتخذها ، على ما ذكر المستوفى ،
كيدوخان حفيد اغتاي بن جنكيز قبة لفرغانة في النصف الاخير من المة السابعة
(الثالثة عشرة) . وقد جاء الاسم انديگان أو انديكان بين اسماء المدن التي سردھا
ابن حوقل في المة الرابعة (الماشرة) ، وكذلك ذكره ياقوت ، ولكن دون أن
نجد وصفا لهذه المدينة في مرجع ما ، وإن أشار إليها علي اليزدى غير مرة في
كلامه على حروب تيمور . ويستبان من وصف المسالك أن مدينة قبا كانت في المة
الرابعة (الماشرة) ، على ما يظهر ، موضعا ذا شأن ، ينبغي أن يكون قريبا من
انديجان . وقبا على ما في الاسطخرى ، تقارب اخسيك في الكبر ، وهي من
أنزء تلك المدن . ولها قلعة مكنة فيها الجامع في وسط ميدانها ، ولها رضى
فيه دار الامارة والحبس . وكان على الرضى سور محيط به . وفيها أسواق

(١) ابن خردادبه ٣٠ : الاسطخرى ٣٣٣ : ابن حوقل ٣٦٣ و ٣٦٤ : المقدسى ٢٧١ : القزوينى ٣ : ١٥٦ : على اليزدى ١ : ٤٤١ : ٢ : ٦٣٣ .
أشارت الى انشى ، الخارطة الروسية الى طيغها Schuyler من كتابه « تركستان »
١ : ٣٣٦ ، وعينتها على مسالة قصيرة من جنوب غربى تسمى الحديثة - اما « ك » أو « كات »
التي تنتهى بها بعض الاسماء ، فتترافق « قند » أو « كند » . وكلفاها قريان في كثير من اسماء
الاسكنة في آسيا الوسطى ومناسمها في اللغات التركية « مدينة » - وقد أصاب ياقوت (١ : ٤١٤)
في التتوية بذلك - انظر مثلا نوزكات « أى العاطف الجديد » في خوارزم المذكورة في سلفه ٤٩٧ .
كلنا : سر ياقوت معنى مدينة اوزكند بقوله « إن كند بلدة أهل تلك البلاد معناه القرية »
كما يقول أهل الشام الكفر « وقال في نوزكات « ونوز معناه بلدة الخوارزمية الجديد ، وكان معناه
العاطف الجديد . وهناك مدينة اسمها كات ، فكانهم قالوا كات الجديد » ٤ : ٨٢٢ (م) .

كثيرة عامرة (٧) .

وفي نصف الطريق بين اخسيك و قبا : مدينة اشيتقان ، لها جامع في الاسواق . والى شرق قبا مدينة أوش ، وقد كانت في المئة الرابعة (العاشرة) موعضا عظيم الشأن . وفي قلعة أوش دار الامارة والجس ، حسب المعتاد . وحول المدينة ريش وعلى الريش سور ، وهي ملاصقة للجبل . ولها ثلاثة أبواب ، هي : باب الجبل ، وباب الماء وباب مُنكذة . وكان جامعا في رحبة واسعة وسط الاسواق . والمدينة كثيرة الانهار التي تسقى أراضيها . وبالتقرب منها جبل عليه « مرقب الاحراس على الترك » . وكان في ما على أوش . مدينة اوزكند ، وهي آخر مدن فرغانة شرقا . وهي نحو ثلثي أوش ، ولها قهندز وبساتين ومياه جارية . ولها ريش والاسواق فيه ، وهي متجر على باب الاتراك . و على بابها نهر . . . يحيط بريضها حائط له أربعة أبواب . وجامعا في الاسواق .

وما هو في جنوب نهر سيحون من اقليم فرغانة ، يقال له كورة نسيا أو نسائية . وهي اثنان : عليا وسفلى بالنظر الى اختلاف مستوى سطحيهما . فالعليا في الجبل . وكان في نسائية السفلى مدينة مرغينان (مرغيلان الحديثة) وقد كانت في المئة الرابعة (العاشرة) صغيرة وجامعها ناء عن الاسواق . وفي القرب منها رشتان وكانت في ذلك الزمن كبيرة ولها جامع حسن . أما خوقند التي صارت في الازمنة الحديثة قسبة فرغانة ونسبت اليها خانيته ، فلم يرد ذكرها الا عرضا بين مدن نسائية العليا باسم خواكند أو خوافند .

أما خجندة ، فانها أول مدن فرغانة من الغرب ، اذا جئت من سمرقند تقوم على ضفة سيحون اليسرى . وعلى فرسخ من جنوبها : كند وهي ريشها . وخجندة مدينة طولها أكثر من عرضها ، ولها قلعة قوية فيها السجن ، وجامعها في المدينة . ودار الامارة في الميدان بالريش . قال فيها ابن حوقل « هي مدينة نزهة » . وأهلها لهم سفن يسافرون فيها في سيحون . وكان ريش كند الخارج

(٧) الاسطخرى ٢٢٢ : ابن حوقل ٣٩٤ ر ٣٩٥ : المقدسي ٢٧٢ : المسعودي ٢٢٨ : ياقوت ١ : ٢٧٥ : ٤ : ٢٤ : على اليزدي ٢ : ٦٢٣ .

يقال له كند بازام (أى كند اللوز) على ما ذكر القزوينى لأن بها لوزا كثيرا
 * وهو لوز عجيب يتقشر اذا فرك باليد ، (٨) .

أما مدن شمالى فرغانة ، أى ما كان منها فى يمين سيحون ، فلا يعرف من
 أمرها فى الازمنة الاولى الا الشيء القليل . فقد ذكر المقدسى مدينة واشككت
 فقال : لها جامع وأسواق حسنة . ويتبين من وصف المسالك ، ان وانكت كانت على
 سبعة فراسخ من غرب اخسيكت وعلى فرسخ من شفة سيحون ، لا تبعد كثيرا عن
 حد ايلاق . وإلى شمال وانكت ، فى وسط الجبال ، كانت خنيرم أو خيلام ، وهى
 مدينة فى رستاق بيان روذان (أى ما بين الأنهار) لها جامع حسن فى وسط
 الاسواق . وإلى شمال هذه أيضا كانت شكيت أو سيكت ، وهى على قول المقدسى
 كثيرة الجوز حتى ربما وجدت ألف جوزة بدرهم ، والجامع فى السوق ، .
 أما مدينة قاسان فما زالت قائمة . وصفها البلدانون الاولون بانها تقوم فى ناحية
 مسماة باسمها ، وزاد ياقوت على ذلك ان لها قلعة حصينة ، وعلى بابها نهر يلتقى
 هو وسيحون عند اخسيكت . وأبعد منها شمالا ، ناحية جدغل وكانت مدينتها
 أردلانكت . وإلى شرق هذه ، ناحية كروان ، واسم مدينتها نجم . ونوه المقدسى
 أيضا بجملة مدن أخرى ولكن مما يؤسف عليه انه لا يعلم شيء عن مواضعها (٩) .
 وإلى غرب فرغانة ناحية الشاش . وهى على ما يتنا ، على شفة نهر سيحون
 اليسى أى الشمالية الشرقية . والخراب المعروفة اليوم بتاشكند القديمة هى موضع
 المدينة التى سماها العرب الشاش ، والفرس جاج . كانت فى الصور الوسطى
 أعظم المدن العربية فى ما وراء سيحون . وكان يقال لمدينة الشاش أيضا بنكت (١٠)
 وذلك على غرار كثير من أسماء المدن فى بلاد ما وراء النهر ، فان لها تسميتين
 ايرانية وتورانية .

وكان على مدينة الشاش فى المئة الرابعة (العاشرة) أسوار كثيرة ، فقد كان

(٨) الاسطخرى ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٢٤٧ ؛ ابن حوقل ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٤ و ٣٩٥ ؛ المقدسى ٢٦٢
 و ٢٧٢ و ٢٤٥ ؛ ياقوت ١ و ٤٠٤ ؛ ابر الفداء ٤٩٨ ؛ القزوينى ٣ و ٣٧٢ .
 (٩) الاسطخرى ٣٣٤ و ٢٤٧ ؛ ابن حوقل ٣٩٦ ؛ المقدسى ٢٧١ و ٢٧٢ ؛ ياقوت ٤ : ٢٢٧ -
 (١٠) لعل ذلك من تصحيح اسم بيكت وقد ذكر ياقوت هذا الاسم (١ : ٧٤٦) .

لها مدينة داخلية ، لها قهندل أى قلعة تلاصقها • عليها سور ، وفى خارج المدينة الداخلية ، الرىض الداخل ، وعلى هذا الرىض سور • ويلىه أيضا الرىض الخارج وفيه بساتين وحقول كثيرة ، حوله سور ثالث • وأخيرا السور الكبير على غرار ما كان ليخارا ، يحمى الناحية كلها فيكون حول الشاش من ناحية الشمال بهيئة نصف دائرة يصل ما بين ضفة نهر الترك فى الشرق وسيحون فى الغرب •

فإذا عدنا الى المدينة الداخلية والقلعة ، وجدنا ان فى القلعة دار الامارة والحبس ، ولها بابان أحدهما يقضى الى المدينة الداخلية والآخر الى الرىض • وكان المسجد الجامع على سور القلعة • والمدينة الداخلية فرسخ فى مثله ، وفيها بعض الأسواق ، ولها ثلاثة أبواب : باب أبى العباس ، وباب كئس ، ولا شك انه كان يقضى الى الجنوب حيث يصل الطريق الآتى من سمرقند • وأخيرا باب الجند • وكان لسور الرىض الداخل عشرة أبواب (ذكر المقدسى ثمانية فقط) • وللرىض الخارج سبعة أبواب سرد ابن حوقل اسماعها • وكان فى الرىض الداخل أسواق مدينة الشاش • ويشق البلد أنهار وفى كثيرة تسقى البساتين والأشجار التى فى داخل الأسوار •

أما السور الكبير ، فانه فى أقرب نقطة منه الى البلد ، كان يبعد فرسخا واحدا عن باب الرىض الخارج • وهذا السور يبدأ فى الشرق من جبل على نهر الترك يقال له جبل سابلغ • كان يكتنف السهل الواسع المعروف بالقيلاص • وقد بنى هذا السور عبدالله بن حميد لحماية الشاش من غارات الترك فى الشمال • وكان هناك على فرسخ مما يليه ، خندق عميق يمتد من الجبل على نهر الترك الى حافة سيحون فى الغرب • وكان الطريق من شمال الشاش الى اسبجياب يعترق هذا السور عند باب الحديد •

وفى أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، لحق الدمار بعض الشاش فى غضون فتوحات محمد خوارزمشاه ، ثم كان للفرز المولى الذى أعقبها ما أضاف الى يؤس أهلها يؤسا على نحو ما حل بشيرها من البلدان • والظاهر ، ان المدينة سرعان ما صلت حالها مما ألم بها من بلايا ، فأصبحت موضعا ذا شأن فى المئة الثامنة

(الرابعة عشرة) حين وقف عندها تيمور بساكره • وعلى اليزدى الذى ذكرها غير مرة فى وصفه حروب تيمور ، تطرق الى ذكرها بأسماء مختلفة مثل الشاش والباج و تاشكنت ، ويظهر ان الاسم الاخير قد حفره السكان الناطقون بالتركية من الشاش الى تاش • وتاشكنت معناه مدينة الحجر • وباسمها هذا قد أصبحت اليوم عاصمة تركستان الروسية^(١١) .

ونهر الترك المعروف اليوم بنهر چرچك المار بجنوب شرقى الشاش ، يخرج ، على ما ذكر ابن حوقل ، من جبال جدغل فى شمال نهر نرين ومن بلد الترك الخرقية الذى يقال له يسكام • وفى جنوبى هذا النهر كان يجرى نهر آخر بحدائه يسمى نهر ايلاق ، ويعرف اليوم بنهر انكرن • وأسفل من التقائه بنهر سيحون مباشرة ، تقوم مدينة بناكت ، تانى مدن ناحية الشاش • ويقال لبناكت أيضا بناكت ، ويسمىها الفرس فناكت • ولم يكن لهذه البلدة فى المئة الرابعة (العاشر) حصن • والجامع فى سوقها • وكانت تقوم على ضفة سيحون اليسى حيث كان طريق خراسان الآتى من سمرقند يعبر النهر الى الشاش • وقد بقيت موضعا كبير الشأن حتى المئة السابعة (الثالثة عشرة) لما خر بها جنكيزخان • وبعد مضي قرن ونيف ، أى فى سنة ٨١٨ (١٤١٥) ، جدد شاهرخ حفيد تيمور مدينة فناكت ، فنسبت اليه وعرفت به • شاه رخية • ، وبهذا الاسم ذكرها علي اليزدى غير مرة •

وكان الطريق من بناكت شمالا الى الشاش ، يخترق مدينة جيتانچك ، وهى على ضفة نهر الترك الجنوبية أى اليسرى على فرسخين فوق ملتقاء هو وسيحون • كانت هذه المدينة فى المئة الرابعة (العاشر) كبيرة ليس عليها حصن • بنيانهم خشب ولبن • وكان فى الجانب الاخر من نهر سيحون الى غربه ، على مرحلة من جيتانچك فى طريق جزك ، بلدة وينكرد • قال فيها ابن حوقل ، وينكرد قرية للتصارى • (من النساطرة) وفى الجانب الآخر من نهر الترك على شىء قليل من غربه ، فى الزاوية التى أسفل من التقائه هو وسيحون ، مدينة أشتوركت أو

(١١) لقادة ٢٧ : ابن حوقل ٣٨٤ و ٣٨٦ - ٣٨٨ : المقدسى ٢٧٦ : القزوينى ٢ : ٦٦٢ : على اليزدى ١ : ١٤ و ١٠١ و ١٦٦ •

مُتْرَكَت (أى مدينة الجبل) • وكان عليها حصن • وينبغى أن يكون المقول قد خربوا هذه البلدة ، اذ نجد في النصف الأخير من المثة الثامنة (الرابعة عشرة) قد نشأ في مكانها بلدة جيناس (وما زالت قائمة) وقد ذكرها علي اليزدى كثيرا بهذا الاسم • وذكر ابن حوقل والمقدسى أكثر من عشرين مدينة أخرى في ناحية الشاش ، ولكنهما لم يصفاهما • ولهذا لا نعرف مواضع هذه الامكنة اليوم • وإن كان من الواضح أن هذه الناحية ، وكذلك ناحية ايلاق في جنوبها واسيحاب في شمالها ، كانت في المثة الرابعة (العاشرة) مكتظة بالسكان وافرة القرى التي تقارب المدن كبر^(١٢) •

اما ناحية ايلاق ، فكانت في جنوب نهر ايلاق وشمال المنطف الكبير لنهر سيحون أسفل خجندة ، وقصبتها تونكت • كانت هذه الناحية منصلة بالشاش ، وتشتمل على ما يقرب من عشرين مدينة مهمة ذكرها ابن حوقل وغيره • ومواقع هذه المدن ما زالت غير معينة حتى انه لا يمكن ، وبالأأسف ، معرفة موضع تونكت قصبتها • وكانت تونكت ، على ما ذكر ابن حوقل ، تقوم على نهر ايلاق ، على نحو من ثمانية فراسخ من الشاش وهي نحو نصف الشاش^(١٣) • كان لها قهندز ومدينة داخلية حولها ريش يحيط به سور • وفي القهندز دار الامارة والجس. والمسجد الجامع ، والاخيران عند باب القهندز • وأسواقها داخل المدينة وفي الریش • وفيها ماء جار • وكانت البلاد من الشاش الى ايلاق متصلة السامرة مختلطة العمل • وقد سرد ابن حوقل اسماء هذه المدن • ولكن مما يؤسف عليه قد ضاعت علينا جميع مواضعها • ومن أهم المدن التي انتهى اليها أمرها ، مدينة خاشت الآله (ويكتب اسمها أيضا بصورة خاش وخاش أو خاص) قرب معادن الفضة في جبال ايلاق على حد فرغانة • وفي المثة الرابعة (العاشرة) ، على ما ذكر ابن حوقل ، « بايلاق دار ضرب للصين والورق » • وتحف بالبلدية قرى

(١٢) الاصطخرى ٣٢٨ - ٣٣٠ و ٣٣٦ و ٣٤٥ ؛ ابن حوقل ٣٨٤ ر ٣٨٥ و ٣٨٨ و ٤٠٠ ؛
المقدسى ٣٦٤ و ٣٦٦ و ٣٧٧ ؛ علي اليزدى ١ : ١٠٦ ؛ ٢ : ٦٣٦ •

(١٣) جاء اسم تونكت احيانا بصورة تونكت ، وذلك من وهم النساخ • انظر : الاصطخرى ٣٣١
العاشية ص • ولمعرفة المسافة بين الشاش وتونكت ، انظر : الاصطخرى ٣٤٤ ؛ ابن حوقل ٤٠٤ •

عديدة (١٤) .

وفي شمال الشاش من يمين سيحون فشرقاً ناحية أو اقليم إسيجاب أو
أسيجاب ، وقصته باسمه . ذكر المقدس في المثة الرابعة (العاشرة) ، نحواً من
خمس مئة مدينة مشهورة في هذا الاقليم لا يمكننا الآن ان نعين غير عدد قليل منها .
فمدينة اسيجاب تتفق هي وموضع سرام التي على نحو من ثمانية أميال
شرق چمكت على نهر اريس أو يدم ، وهو رافدين روافد سيحون اليمنى (١٥) .
كانت على ما ذكر ابن حوقل ، نحو الثلث من بكت ، أي الشاش ، وتشتمل على
مدينة وقهندز وريش . وعلى المدينة الداخلة سور ، وعلى الريش أيضاً سور يحيط
به مقداره فرسخ . وهي في مستواة وبينها وبين أقرب الجبال إليها نحو ثلاثة
فراسخ . . وفي خارجها مياه وبساتين . وكان للمدينة أربعة أبواب ، على كل
باب رباط . وفي المدينة وريشها أسواق . وفي المدينة الداخلة دار الامارة
والحبس والجامع . وأشار المقدس الى سوق الكرايس (أي سوق القطاين) .
وغلة دكاكين السوق في كل شهر سبعة آلاف درهم (نحو من ٣٠٠ باون)
يجرى على الضمفاء الخبز والادام . . والظاهر ان مدينة اسيجاب قد تغير اسمها
بعد النزو الموقل الى سرام ، وبهذا الاسم ذكرها على اليزدي كثيراً في أخبار
فوحات تيمور .

وكذلك فان علي الزدي كثيراً ما ذكر چمكت وكبت چمكت ، ويبدو انها
توافق المدينة التي كتبها المقدس بصورة جموكت وقال فيها « كبيرة عليها حصن ،
والجامع فيه ، والاسواق بالريش » (١٦) .

(١٤) الاسطرى ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٤٥ : ابن حوقل ٣٨٦ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٤٠٤ : المقدس ٢٧٧ و ٢٧٨ .

(١٥) المقدس ٢٦٢ - ٢٦٤ . لقد ذهب شويلى Schuyler (في كتابه Turkistan ١ : ٧٥) الى ان مدينة اسيجاب هي چمكت ، الا ان ذلك ليس الا وهماً ، لان « تاريخ وشيخي » (ترجمة ن - الياس ، و ١ - د - روس ، ص ١٧١) ذكر : « سرام هي التي سمعها الكتب القديمة اسيجاب » - ويرى النص العارسي لهذه العبارة في الورقة ١٠٥ ب من مخطوطة المتحف البريطاني رقم Add. 24090 .

(١٦) الاسطرى ٣٣٣ : ابن حوقل ٣٨٩ : المقدس ٢٦٣ و ٢٧٢ و ٢٧٥ : هل البردي ١ : ١٦٦ : ٢ : ٦٢٣ و ٦٢٦ .

وعلى ضفة سيحون الشرقية ، أسفل انصباب نهر جسكت فيه مباشرة ،
المدينة التي عند مبر سيحون ، المعروفة قديما بإرأب أو فارأب وفي الأزمنة
الحديثة باسم أترار ، وفيها لقى تيمور حفته في سنة ٨٠٧ (١٤٠٥) وهو على أهبة
السير لفتح الصين . وكان الاسم فارأب أو إرأب يطلق على الناحية والمدينة .
وقد حسبت فارأب أحيانا قصة ناحية اسيجاب . وكان يقال أيضا لأرباض المدينة
في المئة الرابعة (العاشرة) كدر . قال المقدسي في إرأب : هي كبيرة ، تخرج
نحو سبعين ألف رجل ، عليها حصن فيه الجامع ، وأسواق وقهندز . . وكان
لكدر أيضا جامعها وكانت هي المدينة الجديدة . وعلى ما في القزويني ، ان
فارأب في أرض سبخة ذات غياض . وينسب إليها أبو نصر الفارابي التوفي
سنة ٣٣٩ (٩٥٠) وهو أشهر فلاسفة المسلمين قبل ابن سينا . على ان ابن حوقل
قد نسب مولد الفارابي الى وسج لا الى فارأب (١٧) . ووسج بلدة صغيرة محصنة
على فرسخين من فارأب ، وفي سوقها المسجد الجامع . ثم بعد هذا الزمن ، عرفت
فارأب باسم أترار أو أطرار وقد نهىها المول في أوائل المئة السابعة (الثالثة
عشرة) ولكنها سرعان ما جدد بناؤها ، ففي سرائ المدينة توفي تيمور على
ما بين (١٨) .

وفي نحو من نصف الطريق بين سرام وأطرار ، مدينة اربانايك أو
سبانايك . قال فيها المقدسي : تبيلة ، نظيفة ، محصنة . الجامع بها ، والصارات
في الرض . . وكان يقال لربطها كنجيدة . وعلى مرحلة يوم شمال أطرار ،
على ضفة سيحون اليمنى ، مدينة شاور . قال فيها المقدسي : كبيرة ، واسعة
الرباط ، عليها حصن ، والجامع على طرف السوق ، وهي من الجادة بمنزل . .
ولم يرد اسم شاور لدى البلدانين المحدثين ، ولكن يبدو من موضعها انها توافق

(١٧) قلنا ما في ابن حوقل (ص ٥١٠ من الطبعة الجديدة) : . . . ولما كدر ، فانها تعصب
إرأب ، ووسج أيضا من مدن إرأب . ومنها أبو نصر الباري ، صاحب كتب المطلق ، القدر لكتب
الغمام ، والمقدم في ذلك على كل من كان في زماننا وصرفنا وإياسا . (م) .
(١٨) ابن حوقل ٣٩٠ و ٣٩١ : المقدسي ٢٦٢ و ٢٦٣ : القزويني ٢ : ٤٠٥ : أبو القداء ٤٩٢ :
ابن بطوطة ٣ : ٢٣ : علي الهزدي ١ : ١٦٦ و ٢٧٥ : ٢ : ٦٤٦ : ابن خلكان : الرقم ٧١٦ ص ٦٢ .
وكثيرا ما يقع الالتباس بين فارأب أو إرأب (أطرار) التي على سيحون ، وإرأب (انظر ص ٤٦٧
أعلى) التي في الجوزجان ، وكان يقال لها إرأب أيضا .

هى ويسىء ، الموضع الذى غالباً ما ذكره علي اليزدى ، وما زالت قائمة الى هذا اليوم باسم حضرة تركستان ، وهو الولى الحامى لبلاد القرغيز المدفون فيها . وعلى ما ذكر علي اليزدى ، انه هو الشيخ احمد اليسى من أحفاد محمد بن الحنفية ابن الخليفة علي ، وقد توفى هذا الشيخ هنا فى أوائل المئة السادسة (الثانية عشرة) . وابتنى تيمور فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) الجامع على قبره ، وما زالت بقايا العظيمة شاحسة ، ويؤوده الناس من سائر الجهات .

وعلى مرحلة يوم من شمال يسىء أو شاوغر ، كانت سوران أو صبران . وهى ما زالت قائمة الى هذا اليوم ، وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) نثراً أمام الغز ، و « يجتمع بها الغزية للصلح والهدنة والتجارات اذا كان صلح » . قال فيها المقدسى « كبيرة » عليها حصون سبعة بعضها خلف بعض ، والرىض فيها ، والجامع فى المدينة الداخلة « وكثيراً ما ذكر علي اليزدى صبران حين كلامه على حروب تيمور . ووصف ياقوت قلعتها العالية المشرفة على حد البلد^(١٩) .

ومن جملة المواضع الاخرى على سيحون ، التى أكثر من ذكرها علي اليزدى ولم يشر اليها البلدانون العرب الاولون : سفاق . قال فيها انها قعبة قبيجاق وهى على ٢٤ فرسخاً من شمال آترار . وأبعد منها شمالاً كانت جند ، وقد ذكرها البلدانون الاولون وياقوت ، وقالوا فيها انها من مدن الاسلام الكبرى فى تركستان فى ما وراء سيحون . وفى أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، دمرها المغول . وكان آزال كثيراً ما يسمى ببحر جند ، وعنده على نحو من مرحلتين من ثم سيحون ، قعبة الغز التى سماها العرب : القرية الجديدة (أو الحديثة) وعرفت فى الازمنة الاخيرة باسم ينفكت ، أو ينكى شهر ، أى المدينة الجديدة بالتركية^(٢٠) .

(١٩) ابن حوقل ٣٩٠ و ٣٩١ : المقدسى ٣٦٢ و ٣٧٢ و ٣٧٤ : ياقوت ٣ : ٣٦٦ . هل اليزدى ١ : ٤٦٦ و ٥٥٧ : ٢ : ٩ و ٦٣٦ و ٦٤٢ : Schuyler من Turkistan ١ : ٧٠ . والاسم الذى ينبغي ان يكتب سوران أو صبران ، كثيراً ما طبع خطأ بصورة صبران من كتاب نظرائه لعل اليزدى .

(٢٠) ابن حوقل ٣٩٣ : ابن اللعاء ٤٨٩ : ياقوت ٢ : ١٢٧ : هل اليزدى ١ : ٢٧٥ و ٢٧٩ . ومن غرائب جند انظر Schuyler فى تركستان ١ : ٦٢ .

وعلى نحو من ثمانين ميلا من شمال شرقي سيرام (أى اسبيجاب) خرائب طراز بالقرب من المدينة الحالية أوليه - اتا . وكانت طراز أو الطراز ، مدينة ذات شأن فى المئة الرابعة (العاشرة) . قال فيها ابن حوقل : والطراز متجر للمسلمين من الأتراك الخولجية . . وزاد المقدسى على ذلك انها « مدينة جبلية حصينة كثيرة البساتين مشبكة العمارة ، لها خندق وأدنة أبواب ، ولها رضى عامر ، على باب المدينة نهر كبير . والجامع فى الاسواق » . وعلى ما فى القزوينى ان أهل طراز « فى غاية حسن الصورة ، ليس فى تلك النواحي أحسن منهم صورة رجالهم ونسأؤهم الى حد يضرب بحسن صورتهم المثل » . وهى مدينة طيبة التربة لطيفة الهواء ، . ومن مدن بلاد الترك أيضا ، على نحو من مئة ميل من شرق طراز ، مدينة بركى أو ميركى (وهى مركه) الحديثة . قال فيها المقدسى : « متوسطة الرقعة ، محصنة ، ولها قهندز وكان الجامع فى القديم كنيسة (للنصارى الساطرة) ، وقد بنى الأمير عميد الدولة قاتق (من البويهيين) خارج الحصن رباطا ، فى المئة الرابعة (العاشرة) . وذكر المقدسى أيضا كولان ، وهى على مرحلة واحدة غرب ميركى باتجاه طراز . وكانت قرية كبيرة محصنة ولها جامع ، تعد موحدا ذا شأن كبير (٢١) .

وفى الختام ، يحسن بنا ان نلاحظ ، ان ابا الفداء ذكر جملة قصبات للترك يصب اليوم تعيين مواضعها الصحيحة . منها بلاسأغن وكانت قصبة خانات تركستان فى غضون المئين الرابعة والخامسة (العاشرة والحادية عشرة) . وذكرها أيضا ابن الاثير فى تاريخه ، ولا يعرف موضعها الصحيح . ولمح ابو الفداء الى انها كانت قرب كاشغار ولكن فى ما وراء سيحون . وقد عثر على خرائب أمانغ التى اتخذها المغول عاصمة لهم فى عهد جغتاي بن جنكيزخان بالقرب من موضع كلقجه القديمة على نهر ايله ، وقد أشار الى موضعها علي الزيدى الذى ذكر أيضا نهر اريغن وتلاس . ولكن لم يتة البناء عن جميع هذه المدن . وكلها مثل كاشغار وخقن وياركند وغيرها من المدن التى على حدود الصين ، لم تذكرها

(٢١) ابن حوقل ٣٩٠ و ٣٩١ : المقدسى ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٢٧٥ : القزوينى ٢ : ٣٦٥ : ابر الفداء ٤٩٧ : Schuyler فى تركستان ٢ : ١٢٠ .

مراجعتنا الألسا ودون ان تطوى على فائدة جغرافية ذات بال (٢٢) .

ليس فى اقاليم سيحون صناعات متنوعة كبيرة ، وكان جلب الرقيق أهم عمل لمن يقصدها من التجار . ذكر المقدسى انه كان يرتفع من ديزك (جيسك) فى اشروسة اللود الجباد والاقية . ويرتفع من فرغانة الذهب والفضة والفروذج والزئبق والحديد والنحاس وكذلك النشادر والنفط والزفت . واشتهرت فرغانة بحجر الارحاء والفحم الحجرى للوقود . وكان يرتفع من بساتينها ويحمل الى الافاق : الاعناب والتفاح والجوز . ومن الرياحين : الورد والتفسيح . ويرتفع من الشاش ثياب بيض رفيقة ، وسيوف وغيرها من السلاح ، وآلات النحاس والحديد كالابر والمقاريض والقصور . ويرتفع منها أيضا : سروج الكيسخت (جلود الحمر الوحشية) الرفعة والجباب والقسي الجيدة وجلود تجلب من الترك وتدبغ والمصليات والاخية . . ويرتفع من رستاقها الرز والكتان والقطن . ويرتفع من طراز فى بلاد الترك جلود الممز واشتهرت فى كل وقت بالخيل والبغال التركستانية (٢٣) .

أما مسالك هذه الاقاليم ، فان طريق خراسان كان يواصل اتجاهه شمالا من سمرقند فيمر نهر السند ، ومنه يصل الى زامين فى اشروسة حيث يتشعب ، فكان الطريق الايسر يذهب الى الشاش وسيحون الاسفل . والايمين الى أعلى سيحون وفرغانة . وكان الطريق من زامين الى الشاش رأسا ، يعبر سيحون عند بتاك . وهناك طريق آخر من سمرقند يمر بديزك ويقطع المفازة الى ويتكرد ، فاذا تجاوزها كان يعبر سيحون الى مُشُورَكَّت فيلتقى بعدها هو والطريق من بتاك الى الشاش . وكان يشرق من الشاش طريق الى تونكت قصبة إقليم ايلاق . وطريق آخر يتجه شمالا الى اسيجاب ، وعندها يتشعب . فكان يذهب من اسيجاب غربا طريق الى فاداب (أنترار) لمبور سيحون ، ومنها نحو الشمال أيضا بجلاء خفته اليمنى الى صبران . والى اليمين من اسيجاب شرقا كان يذهب طريق آخر الى طراز ، ومنها الى بركى أو ميركى آخر مدينة اسلامية فى بلاد الترك فى الة

(٢٢) ابر الفداء ٥٥٥ : على اليزدى ١ : ٤٨٥ و ٤٩٤ : ٢ : ٢١٨ و ٢١٩ .

(٢٣) ابن حوقل ٣٩٧ و ٣٩٨ : المقدسى ٣٢٥ : التزوينى ٢ : ٤٥٥ .

الرابعة (العاشرة) • ومن هذه المدينة أورد ابن خرداذبه وقدامة المراحل التي
في المغازة الى نوشجان العليا على حدود الصين ، وربما كان هذا الموضع يتفق
هو وختن^(٢٤) .

وكان الطريق الى فرغانة الذي ينشطر من طريق خراسان عند زامين على
ما يتنا ، يمر بساياب (حيث ينطف الطريق الى بونجكت قسبة اشروسة) الى
خجندة على سيحون • ومنها ياتي بحاذيا ضفة النهر الجنوبية صاعدا معها حتى يصل الى
اخسيك قسبة فرغانة عند معبر نهر سيحون • وقد أورد الاصطخري وابن حوقل
المسافات من اخسيك الى المدن المختلفة التي في شمال أعالي سيحون ، كما ذكر
ابن خرداذبه وقدامة الطريق من قسبة فرغانة فشرقا مارا بأوش الى اوزكند •
والى ذلك فقد لمح المقدسي الى الطريق من اوزكند الى داخل بلاد الترك ثم الى
حدود الصين • ويصعب تتبع ما ذكره بهذا الصدد ، ولكنه ، كابن خرداذبه
وقدامة ، جعل المرحلة الأخيرة فيه نوشجان أو برسخان العليا ، التي يحزر انها
ختن^(٢٥) .

(٢٤) ابن خرداذبه ٢٦ - ٢٩ : قدامة ٢٠٣ - ٢٠٦ : الاصطخري ٣٣٥ - ٣٣٧ و ٣٤٢ - ٣٤٦ :
ابن حوقل ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٣ - ٤٠٥ : المقدسي ٣٤٦ - ٣٤٣ • ربما يؤسف عليه ان المستوفى
لم يذكر المسالك في ما وراء جيحون • ومن الطريق الى ختن والصين انظر مادة سد يابوج وماجوج
للبروكلسون في فويه ل: Mededeeling der Koninklijke Academie Amsterdam
للسنة ١٨٨٨ ص ١٢٢ • ومن الطريق الذي سلكه عبد الرزاق سفير شادوخ ، وقد رحل الى الصين
وعاد منها بين سنتي ٨٢٢ و ٨٢٥ (١٤١٩ و ١٤٢٢) ، انظر النص الفارسي وترجمته بقلم كترينج في
Notices et Extraits للمجلد ١٤ الجزء ١ ص ٣٨٧ وكذلك تعليقات سر ه • يول Sir H. Yule
في كتاب Cathay and the Way thither ص ١٩٩ - ٢٠٩ •
قلنا : واجبع البحث النفيس لولانا اير الكلام آزاد ، وزير معارف الهند ، في مجلة « ثقافة الهند »
وعنوانه : سد يابوج وماجوج (للمجلد ١ العدد ٣ سبتمبر ١٩٥٠ ص ٢٥ - ٤٠) وهو قسم من بحث
واسع عنوانه : شخصية ذي القرنين المذكور في القرآن • (م)
(٢٥) ابن خرداذبه ٢٩ و ٣٠ : قدامة ٢٠٧ - ٢٠٩ : الاصطخري ٣٣٥ و ٣٤٢ - ٣٤٧ :
ابن حوقل ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٣ - ٤٠٦ : المقدسي ٣٤١ و ٣٤٢ •

فهرس الكتاب

١ - الفهرست الجبلانى

ويشتمل على أسماء الأقاليم والمدن والقرى والجبال والأنهار
والوديان والمفاوز والبحار والبحيرات وغير ذلك

٢ - فهرست الاشخاص والاقوام

٣ - الفهرست العمرانى

ويشتمل على مصطلحات الحضارة العمران ، وعلى
الألفاظ الدخيلة والمعربة

١- الفهرست البيراني

۱۸۸	۱۸۷	۱۷۶	آیدین				
۳۱۹	۳۱۸	۳۱۵	ایاده				
۳۰۱			ابارک	۳۰۵			آب ایلون
۵۰۹			ابارکت	۲۴۳			آب پنه
۳۲۲			امان	۴۱۷			آب حیرجان
۲۱۶	۲۱۳		(ابغازی)	۳۷۷			آب دوه
۲۱۶			ابغاس	۳۶۵			آب شتران
۱۶۸			ابدوس	۲۷۲	۲۷۰		آب کرکر
۳۱۸	۳۱۷		ابرچ	۳۰۹			آب کلنه
۲۸۹			ايرل				(آتظر : آره)
۲۲۴	۲۱۰		ايرشهر	۳۹۵			آتشگاه
۳۷۸			اير شهریار	۴۲۰			آخسر
۳۳۱	۳۲۰		(ايرقوہ)	۴۷۷	۳۸	۲۲	آزال (پس)
۲۹۷			(ایرکاکان جزیره)	۵۰۲	۴۹۹	۴۸۷	
۳۶۷			ايرکسان (جزيره)	۴۷۸			آرمن
۱۵۲			ايزوق	۴۲۲	۲۷۹		آسک
			ايزوستانه	۱۶۰	۲۶		آسیه الصفری
۲۹۷			ايرون (جزيره)	۱۲۲			آشب
۱۵۱			ایریق	۱۸۲			آسترا
۱۵۰			آيسفور	۵۱۳			آلسرای
۵۰۰	۴۲۰	۴۱۶	آيسگون	۱۸۵			آلتشور (بيجیه)
۱۸۸			آيسوسي	۱۸۴			آلتشور (مدینه)
۴۵۸			آيشين	۱۸۰			آق شهر قره‌حصان
۵۰۹			ايفر				(آفصرا : انظر : آفسرا)
			(ایلمستيق : انظر : البستان)	۴۷۸	۱۵۵		آق سو
۶۰	۴۳	۳۷	الایله	۱۰۸	۸۹		آلوره
۶۸				۱۴۲ - ۱۶۰	۱۳۶	۱۱۴	آمد ۲۵
۳۰۷	۲۵۶		آيهر	۴۴۵	۴۱۴	۴۱۰	آمل (م)
۸۳			ایو حسرا	۴۷۷	۴۴۶		
۴۹۹			ایو الخان	۲۱۷	۱۷۲		آلی
۱۹۴			ایو لفته	۲۰۳	۲۰۲		آهر
۴۷۱	۴۳۶		ایپورد	۲۴۶			آوه الری
۵۲۸			اتوار	۴۲۶			آوه ساره
۴۱۸	۴۱۷	۲۵۵	(اتوک : نهز)	۳۲۱			آزه (آب) سفان

الفهرست الجبلانی

۴۵۱	اودسکر	۱۹۳	آروماتجی
۴۲۳	اوه لاکت	۴۲۲	آجی
۲۰۲	اردیاد	۱۵۴	الاحیدب (جبل)
۴۰۸	اردون	۵۲۱	آشی
۴۵۵	ارذخویره	۴۸۶	احسینک
۱۴۹	ارذ روم	۵۲۱	۲۲ احسینک
۱۴۴	ارژن	۳۰۴	انضین (نور)
۱۴۹	ارژن الروم	۴۸۱	انضور (انض)
۱۵۰	ارژنیان (ارژنگان)	۲۱۸	انلاط
۲۱۶	۲۰۰ - ۲۰۲	۳۵۱	الانوات (حصون)
۵۲۸	ارسیانیکت	۴۶۸	انود
۱۵۰	ارشروم	۴۵۴	اوسکر
۴۲۳	ارغیان	۴۵۴	اوسکر
۴۹۱	۲۲ ارکنج	۱۳۴	اوسا
۴۹۳	۴۹۲	۱۹۳	اوشیجان
۳۵۸	۳۵۳	۲۵۹	اوشیشس
۳۶۹	۳۶۸	۱۳۱	افرمه
۴۱۳	ارم خاست (خاسته)	۳۲۲	اژکان
۱۸۰	ارمناک	۱۶۳	اژله
۳۵۷	ارموز (ارموس)	۳۶۳	اژابه
۲۳۶	ارمیان	۵۱۷	اژاتیة
۳۰۸	ارو (قلعة)		اژاکلیه (اطر : حرفلة)
۲۱۶	۲۱۱	۲۱۷	اژاراط (جبل)
۱۴۴	۲۸	۲۱۱	اژان
۲۰۰	۱۶۴	۱۲۱	اژینا (اژانا)
۵۲۷	اژیس (نور)	۱۲۲	اژیل (اژیل)
۲۱۶	اژیلان (اژیلان)	۵۱۱	اژینج
۴۲۳	اژاوار	۵۳۰	اژنق (نور)
۳۱۶	اژار ساپور	۴۹۷	اژنقین
۳۱۷	اژحان	۱۸۳	اژجاست (جبل)
۴۳۶	اژجاه	۳۲۱	۳۰۴ ۳-۷ ۲۸۴
۳۱۹	اژکاس	۳۲۲	
۳۳۰	اژمنین	۲۱۷	اژجیش (بحیرة)
۱۶۰	اژمید	۲۱۷	۱۸۰ ۲۸
۱۸۸	اژمیر	۲۱۸	
۱۶۰	اژنگین	۳۱۸	اژد
۱۹۰	اژنق	۲۰۳ - ۲۰۲	۱۹۴
۲۴۳	اژواره	۲۲۹	اژدش (اژوش)
۱۸۷	اژارلک	۱۰۸	اژدخیر (استان)
۱۸۵	اژسارطه	۲۹۱	۲۸۴ ۲۸۳
۵۲	اژسائیر	۲۴۲	اژدستان

الفهرست الجغرافی

۴۲۲	اشک	۳۶۴	امین (اسکی)
۳۱۸	اشکونان	۵۲۷	۲۲ ۵۲۰ امینچاب
۲۴۲	اشکوران	۳۶۴	امیند
۲۰۰ - ۱۹۹	اشنه	۱۷۰	استالیرول
	اسپهان (النظر : اسفهان)	۱۰۸	استان المال
۲۰۹	اسپهیدان	۱۸۴	استانوس
۳۱۱ ۲۸۹ ۲۸۴	اسطخر	۴۱۹	استرایاد
۳۳۱ ۳۱۲		۴۵۳	استرپیان
۳۱۸	اسطخران	۴۱۲	استناباد
۳۱۲	اسطخریار (قلعه)	۳۹۸	استند
۳۲۷	اسطهبالات (اسطهبان)	۴۳۵	استورا
۳۲۷	اسطهبانان	۴۱۲	استولاند
۲۲۸ - ۲۲۱ - ۱۶۴	اسفهان	۲۸۰ ۲۳۱	اسید اباد
۳۶۲ ۲۴۱ ۲۳۹		۵۱۲	اسرود
۲۰۹	اسفهد	۵۱۷	اسرودخانه
	اطرازیلند (النظر : طرازیون)		اسمرت (انظر : سمرت)
۵۲۸	اطراد	۳۹۸	اسفند
۵۱	الاصطیبة	۴۳۵ ۴۳۴ ۴۳۳	اسفراپین
۲۳۱ ۲۳۰	اطلم	۴۵۴	اسفزار (حدیقه)
۴۲۱	افراوه	۳۷۳	اسفزار (نهر)
۴۰۰	افریدون	۴۳۴	اسطخ
۱۸۸ ۱۶۸	افسس (الموسس)	۲۸۶	اسفنجای
۴۵۸	افشین	۴۲۹	اسفند (اسفند)
۳۷۷ ۲۲ ۲۱	افغانستان	۳۱۷ ۱۷۶	اسفندیار
۴۶۴ ۴۴۹ ۴۳۳		۳۱۷	اسفندیان
۱۸۵	افیون ترحصار	۳۱۷	اسفندیاز (قلعه)
۱۶۵	الافرح (بیل)	۳۰۲	اسفید دز
۵۰۰	الفرجه	۲۳۲	اسفندان
۳۱۸	اللیلید	۱۰۷ ۸۴	اسکاف بنی الجنید
۱۹۳ ۱۱۴	الور	۱۸۶	اسکی حصار
۲۵۹ ۲۲۹	اکینان	۱۵۳	اسکی شهر
۱۴۵ ۱۷۴	اکریدور	۵۱۴	اسکیفن
۲۱۸	الاماق	۳۸۹	اسکیشت
۲۴۸	الانی	۱۲۹	اسکی موصل
۳۱۶ ۲۸ ۲۱	البرز	۴۲۹	اشبند
۴۰۶ ۴۰۴		۴۶۸	اشیورقان
۳۶۱ ۲۵۶	المرت	۵۲۵	اشیورگت
۲۰۱	النیق (قلعه)	۵۰۹	اشیون
۱۸۴ ۱۷۴	الویرلر	۵۲۲	اشتیقان
۳۳۱ ۲۸	الوند	۴۱۶	اشفاد
۲۲۹ ۲۲۸	الیشتر	۵۱۷	اشروسه

الفهرست البلدان

۲۱۸	آورد	۱۲۲	امات
۱۳۵	آورله	۱۷۹ ۱۷۴	اماسية (امامية)
۱۸۲	ارزج	۵۲۰	امالغ
۵۲۲	اوزكند	۴۵۱	امكلجة
۵۲۲	اوش	۴۷۸ ۴۷۷	امو (نهر)
۵۰۹	اوش	۴۷۷	امودريا
۴۵۲	اورله	۴۴۶ ۴۴۵	امويه (امو)
۲۷۸ ۴۷۷	ارگسس	۴۷۷	امويه (نهر بيجون)
۵۳۰	اولية - انا	۳۲۳ ۳۲۲ ۲۸۴	انار
۱۵۰	ارليك	۳۲۳ ۳۲۲	اناس
	اوسر (انظر : اهر)	۱۰۸ ۹۱ ۴۱	الانبار
۱۸۸	ايسلوق	۴۶۸	اتبار (خراسان)
۸۲	الايتاشية	۳۰۱ ۳۰۰	اليزران
	ايچ (انظر : ايك)	۴۶۸	البير
۱۸۱	ايچ ايل	۲۵۹ ۲۵۸	الچورد
۲۵۸	ايجورد	۳۲۲	الچيره
۷۸۰	اينج	۴۶۸	الخد
۲۷۶ ۷۸۳	ايران	۲۷۳	الفاش (قنطرة)
۴۲۴ ۴۰	ايرانشهر	۴۶۸	اندك (اندكوي)
۲۶۳ ۲۶۰	ايراهستان	۲۶۱	آندر
۴۲	ايرازه	۲۱۱ ۲۰۲	الدراب
۳۱۸	ايرج	۴۶۹ ۴۴۳	الدرابه
۱۷۶	ايزورد	۳۸۹ ۳۶۹	الانلس (نهر)
۳۲۷ ۲۳۶	ايلك (اويك)	۱۵	الانلس
۵۳۶ ۵۲۰	ايلق	۴۸۱	الديجاراغ (مدينة)
۵۳۰	ايله	۴۷۸	الديجاراغ (نهر)
۱۳۴	ايلياء	۵۲۱ ۵۲۰	الديجان (انديكان)
۵۳	ايوان كسرى	۱۶۷	النسا قلعهسى
۴۸۲	ايوح	۱۶۸ ۱۴۰ ۵۲	انطاكية
		۱۸۶ ۱۸۴	
		۱۸۴ ۱۸۳ ۱۷۴	انطالية
		۱۸۲ ۱۶۸	انقرة
		۲۵۸	انكودان
۲۱۴	باب الابواب	۱۷۴	انكورية
۵۲۴	باب ابي المياس (الشاش)	۴۹۱	اهلم
۴۲۵	باب اهرى اياذ (نيسابور)	۲۸۱ ۳۶۸ ۳۶۷	الاصواز
۲۹۱	باب ارغشير (چور)	۴۰۷	اهوان
۱۴۱	باب الارمن (آمد)	۳۵۱	آوارك
۳۵۰	باب اسبيكان (يم)	۲۹۷	اوال (جزيرة)
۲۳۸	باب اسفلج (جى)	۷۲	اوانا
۵۰۷	باب اشيسك (سمرقند)	۳۱۷ ۱۹۸	اوجان (اچان)

ب

الفهرست البلدانى

۵۰۴	باب الحديد (بخارا)	۲۸۶	باب امسخر (شيراز)
۴۶۳	باب الحديد (بلخ)	۵۱۸	باب الامل (بروجكت)
۵۱۲	باب الحديد (كفس)	۵۰۷	باب القشنة (سمرقند)
۲۸۶	باب حسن (شيراز)	۲۱۲	باب الاكراد (برزقه)
۵۰۴	باب طره (بخارا)	۳۲۱	باب اندور (يزى)
۳۳۹	باب سكيم (السيرجان)	۳۰۵	باب الاموار (ارجان)
۳۰	باب الحلبة (بغداد)	۳۲۱	باب ايزد (يزى)
۳۴۲	باب خبيص (برقصير)	۶۵	باب الياوية (البصرة)
۱۱۳	باب خراسان (شاد) ۲۳	۱۰۲	باب الياوية (الكوفة)
۴۰۵	باب خراسان (الدامغان)	۲۵۰	باب باطلق (الرى)
۴۰۲	باب شنى (هراة)	۴۴۱	باب يالغى (مرو)
۴۵۰	باب خشك (هراة)	۵۰۷	باب بخارا (سمرقند)
۲۳۸	باب خور (جى)	۵۱۲	باب البخارية (نسف)
۲۸۶	باب دارك (شيراز)	۵۲۱	باب بختى (اخسيكت)
۱۴۱	باب دجلة (آمد)	۵۰	باب البرقان (بغداد)
۴۴۲	باب درنساكن (مرو)	۵۱۲	باب بركان (كفس)
۴۵۱	باب دروازى ملك (هراة)	۴۸	باب البصرة (بغداد)
۲۷۰	باب دميول (تستر)	۵۰	باب البصلية (بغداد)
۲۸۶	باب الدولة (شيراز)	۱۹۷	باب بغداد (تبريز)
۴۶۳	باب رمية (بلخ)	۱۰۳	باب بغداد (الكوفة)
۳۰۵	باب الرسالة (ارجان)	۲۵۰	باب بليسان (الرى)
۵۲۱	باب رحانة (اخسيكت)	۳۵۳	باب عم (جيرفت)
۱۴۱	باب الروم (آمد)	۳۵۱	باب سم (فرماسير)
۳۰۵	باب رقصير (ارجان)	۲۸۵	باب بنهاسناله (شيراز)
۵۰۴	باب الريكستان (بخارا)	۵۰۴	باب بنى آمد (بخارا)
۴۰۵	باب الرى (الدامغان)	۵۰۴	باب بنى سم (بخارا)
۵۰۷	باب ريود (سمرقند)	۲۹۱	باب بهرام (جور)
۵۱۸	باب زامى (بروجكت)	۲۹۹	باب بهرام (سامور)
۳۴۲	باب زوند (برقصير)	۲۸۶	باب البهفاء (شيراز)
۳۳۸	باب زوين رود (جى)	۲۸۵	باب تستر (شيراز)
۴۰	باب زياد (هراة)	۱۴۱	باب القل (آمد)
۱۴۰	باب السر (آمد)	۳۶۷	باب القير (پنجبور)
۴۵۰	باب سراى (هراة)	۵۲۰	باب الجامع (اخسيكت)
۲۸۶	باب المسند (شيراز)	۵۰۴	باب الجامع (بخارا)
۴۲۵	باب سكة مقل (نيسابور)	۱۴۰	باب الجبل (آمد)
۵۰	باب السلطان (بغداد)	۵۲۲	باب الجبل (اوش)
۲۸۶	باب سلم (شيراز)	۴۲۵	باب جيك (نيسابور)
۵۱۳	باب سمرقند (نسف)	۵۲۴	باب الجويد (الشاش)
۴۴۲	باب سمنجان (مرو)	۱۶۵	باب الجهاد (طرسوس)
۵۰۷	باب سوشين (سمرقند)	۴۹۱	باب الجياج (كات)
۳۵۳	باب السيرجان (جيرفت)	۴۸۵	باب الحديد

الفهرست البلدان

۲۸۵	باب کوارد (شیراز)	۲۵۰	باب سنن (الری)
۲۵۰	باب کورجن (یم)	۲۵۳	باب شاپور (سایور : جیرفت)
۳۵۰	باب کوسکان (یم)	۴۸	باب القام (یفداد)
۳۵۱	باب کوشک (ترماسیر)	۵۰۷	باب شداد (سمرقند)
۴۸	باب الکول (یفداد)	۱۴۱	باب الشرقی (آمد)
۲۵۰	باب کوهک (الری)	۵۱	باب الشرقی (یفداد)
۵۰۷	باب کوهک (سمرقند)	۴۶۳	باب شمس بند (بلخ)
۳۰۵	باب الکلیان (اوسان)	۲۹۹	باب شهر (سایور)
۱۴۰	باب الماء (آمد)	۳۰۵	باب شیراز (ارجان)
۵۲۲	باب الماء (اوش)	۳۵۱	باب سوزگون (ترماسیر)
۴۴۱	باب ماجان (مرو)	۵۰۷	باب الصحن (سمرقند)
۳۴۲	باب ماهان (بردسیر)	۳۷۴	باب الطام (زرنگ)
۳۱۲	باب میارک (بردسیر)	۵۰	باب الخلسم (یفداد)
۴۹	باب المحول (یفداد)	۳۶۷	باب طوران (پنجبور)
۵۰۴	باب المذنبه (بخارا)	۲۳۸	باب طبره (جی)
۵۱۸	باب المذنبه (بولجکت)	۵۱	باب الظفریه (یفداد)
۴۴۱	باب المذنبه (مرو)	۵۱۲	باب عیدالله (کش)
۵۱۲	باب المذنبه المغاربه (کش)	۴۵۱	باب هراق (هراة)
۵۱۲	باب المذنبه الفاضله (کش)	۴۵۳	باب علی (بوشنج)
۵۲۱	باب المردسة (اخسیکت)	۲۸۵	باب غسان (شیراز)
۵۱۸	باب مرستند (بروجکت)	۵۱۳	باب غولبدین (نسف)
۳۲۱	باب المسجد (یرد)	۳۷۵	باب فارس (زرنگ)
۲۵۳	باب المصل (جیرفت)	۵۰۷	باب فروشیه (سمرقند)
۳۵۱	باب المصل (ترماسیر)	۲۸۶	باب لغا (شیراز)
۵۱	باب المظم (یفداد)	۴۵۱	باب فیروز آباد (هراة)
۵۲۲	باب مشکة (اخسیکت)	۴۲۵	باب القاب (نیسایور)
۲۸۵	باب مندر (شیراز)	۵۱۲	باب العصایین (کش)
۵۰۴	باب مهر (بخارا)	۴۲۵	باب القنطرة (نیسایور)
۲۹۱	باب مهر (جور)	۴۲۵	باب قنطرة تکین (نیسایور)
۲۹۱	باب مهر (سایور)	۵۰۹	باب القهندز (بخارا)
۲۸۵	باب مهند (شیراز)	۴۲۵	باب القهندز (نیسایور)
۳۰۵	باب المذان (ارجان)	۴۵۳	باب قوستان (بوشنج)
۳۵۰	باب ترماسیر (یم)	۲۸۶	باب کازرون (شیراز)
۲۸۶	باب نو (شیراز)	۵۲۰	باب کاسان (اخسیکت)
۴۶۳	باب النوبهار (بلخ)	۴۵۲	باب کجانی (هراة)
۵۰۷	باب النوبهار (سمرقند)	۳۷۴	باب کرکویه (زرنگ)
۵۱۸	باب نوبخت (بولجکت)	۵۰۷	باب کش (سمرقند)
۵۰۴	باب نور : نو (بخارا)	۵۲۱	باب کش (الشاش)
۳۷۴	باب نیشک (زرنگ)	۵۱۳	باب کش (نسف)
۴۵۳	باب هراة (بوشنج)	۵۰	باب کلوازی (یفداد)
۲۹۱	باب هرز (جور)	۵۱۸	باب گلهیاد (بولجکت)

الفهرست البلدان

۱۱۷	باصطایه (الموصل)	۲۹۹	باب حرمز (ساپور)
۴۵۲	باضریان	۲۵۰	باب هشام (الری)
۸۲	باصطوره	۴۶۳	باب الهندران (بلخ)
۱۱۹ - ۱۱۸	باضریقا	۵۰۷	باب ورستین (مسرگند)
۸۶ - ۸۳	باصقویا	۵۱	الباب الوسطانی (بمتاد)
۱۳۰ ۱۲۴	باضینا	۴۶۳	باب یسین (بلخ)
۳۴۳	باغ سیرجانی	۴۶۳	باب الیهود (بلخ)
۳۴۸	بالت (بالند)	۲۳۸	باب الیهودیه (جی)
۳۴۸	بالق	۱۵۰	بایرت
۱۲۳	باقردا	۱۰۸ ۹۸ ۹۷ ۴۱	بایمل
۱۰۷ ۸۸	باکسایا	۱۱۹	بایعیش
۲۱۵	باکوه (باکو ، باکویه)	۲۵۸	باتورخان
۴۴۷	بالاخراب	۱۶	باتی اعلی
۱۳۹	بالس	۱۳۶	باجدا
۳۸۶ ۳۷۰	بالس (سجستان)	۲۰۹ ۱۳۶	باجروان
۳۸۶	بالس	۸۳ ۳۴	باجسرا
۱۴۹	بالو	۴۵۲ ۳۹۷	باهرز
۱۲۴	بالوسا	۱۰۷ ۸۸	بافرایا
۱۴۹	بالویه	۱۰۸	بادوریا
۴۵۵	بامنج	۱۱۰	بازین
۴۶۱ ۴۶۰ ۴۵۵	البامیان	۴۵۶ ۴۴۵	بازقیس
۵۱۷ ۴۷۸ ۴۲۳	البامیر	۴۶۱	بازن
۴۳۴	بان	۵۲۸ ۴۶۸	باران
۳۵۲	باهر	۴۱۶ ۴۱۵	بارفروش
۴۳۶	بارود	۵۰۹	بارکت
۴۵۵	بین (بینه)	۲۱۸	بارکیهی
۱۲۰	البت	۱۲۰	بارما
۵۱۰ ۴۷۹	البت (جبال)	۱۰۸ ۹۶	باروسا
۶۹	بتق شهرین	۱۲۳	بارمدا
۳۹۹	بجستان	۳۲۰ ۳۱۲	بارارکد
۴۳۵	بجفرد	۱۰۷	بارجان خسرو
۳۱۸	بجه	۳۰۸ ۳۰۷	بارلج (بارونک)
۵۰۲ ۴۲۰	بهر آزال (انظر : آزال)	۳۵۶	باس
۳۸	بهر ایسگون	۳۱۳	الباسطویه (بحیره)
۱۶۸	بهر باکو	۱۸۵ ۱۶۷	الباسیرن (بحیره)
۵۰۲	بهر بنطس (بنطس)	۴۸۳	باصند
۱۱۵ ۳۸	بهر جرسان	۲۷۷	باسیان
۲۱۵	بهر الفز	۱۵۰	باسین
۴۴۲	بهر الروم	۴۴۲	باشان
۴۹۶	بهر طبرستان	۳۰۱	باشت
۱۶۸	بهر طرایزکده	۳۰۱	باشت توغا

الفهرست البلدان

۱۸۵	۱۸۴	بردرود	۳۸	بحر فارس
۴۳۰	۲۱۹	برذغة (برده)	۲۲	بحر قزوين
۲۱۲		برذنج	۴۹۹	
۲۱۰		برذند	۵۰۲	بحر خازندران
۱۹۹		برذله	۱۰۳	بحر النجف
۳۱۱	۲۸۴	برسبوليس	۱۶۶	بحر تيطس (تيطس)
۲۸۲		برسمس	۲۹۷	البحرين
۱۸۹		برسى	۳۱۴	۱۹
۱۹۹	۱۱۸	برطلى	۵۰۲	بحيرة الجرجانية
۵۱۰		برش	۵۰۲	بحيرة خوارزم
۱۸۴	۱۷۴	برفلو	۱۹۴	بحيرة الشراة
۱۸۹		برمعة	۳۰۳	بحيرة كازرون
۱۳۰		برميد	۳۰۳	بحيرة سوز
۳۲۰		برنوية	۵۰۴	۲۲
۳۲۱		برك	۵۰۶	بنغازى
۵۱۲		بركنان	۷۱	بندران
۷۱		بركوار (بلكوار ، بركوار)	۲۱۸	بنديس (بنطس)
۵۳۰	۱۸۷	بركى	۵۲۷	بسم
۲۱۳		برلاسى (لهر)	۳۱۵	البلدجان
۳۱۵		برم	۳۷۰	البلدة
۵۰۹		برسله	۴۸۰	بنغشان
۲۳۰		برهنه رود	۴۰۸	بنفس
		برواب (انظر : بلواد)	۱۶۶	البلندون
۲۰۸	۲۰۷	بروان	۲۴۱	برآن
۲۳۵		برودجرد	۴۹۸	برالتكين
۱۸۹		بروسه	۵۰	برالا
۳۵۵		برغاب	۸۶	براز الروز (بلدروز)
۱۴۸		برى جاي	۴۷۸	بربان
۵۱۴		برده (بزده)	۳۶۸	بربور
۴۵۶		بزركتزين	۳۰۷	بربيان
۱۶۶		بزطلى	۱۰۸	بريسما
۴۳۵		بزهان	۴۷۸	برتشك
۷۱		بزدهى	۲۳۴	البرج
۲۸۴	۲۸۳	بست	۲۷۲	برج شاپور
۱۷۹	۱۷۸	البيستان	۴۰۲	برچند
۳۱۶		بستان جشميد	۴۱۵	برسى
۲۸۶		بستان سمعى	۱۸۷	برچنه
۴۶۰		پسنورلند	۲۴۱	برخوار
۵۲۵		پسگام	۹۱	البيردان
۱۹۹		پسوى	۳۲۸	برديس
			۳۲۷	
			۳۴۵ - ۳۴۱	

الفهرست البلدانى

۲۰۲	بل خدا آفرین	۱۷۶	بسیدی
۳۰۶	بل دشتر	۲۹۸	بشایر
۳۷۹	بل قره	۴۰۲	بشان
۴۶۲	بلخ	۲۰۱	بشایره
۴۷۲	۲۱ ۴۷۴ ۴۶۳	۱۵۶ ۳۱۳	بشت
۷۴	بله	۳۵۸	بشت شم
	بله روز (انظر : براز الرود)	۴۲۸ ۴۲۵	بشغرفوش
۱۳۰ ۱۲۹	بلط (بله)	۴۲۸ ۴۲۶ ۴۲۵	بشغمان (بشغمان)
۵۰۲	البلمار	۲۶۰	بشگل دره
۳۱۲ ۳۱۱	بلوار (لهر)	۴۱۱	بشیان
۳۷۰ ۲۰	بلوچستان	۴۵۸	بشین
۴۸۰ ۴۲۲	بلور	۴۳	البصره
۱۳۴ ۱۳۲ ۱۱۵	البلخ	۴۲ ۲۹۴ ۲۷ - ۶۴	
۴۵۸	بلکیان (بلکیان)	۷۲	بصری
۱۸۹	بل کسری	۴۸۱ ۳۷۵	بصنا
۳۵۰ ۳۷۷ ۳۶	بم	۱۴۳	بطن سو
۱۰۰	بسیارینا	۶۲ ۴۴ ۴۳	الطیحة (البطائح)
۳۶۸ ۳۵۲	بم یزد	۴۲ ۳۴ ۲۹	بلساداد
۵۰۵	بمبکت (بمبکت)	۵۱ - ۴۸	
۱۷۶	بمبلیه	۴۵۵	بمنسور
۴۰۰	بسن	۴۶۹	بغلان
۳۶۴	بن الوندون	۳۸۴	بغنی
۵۲۵	بناکت (بناکت)	۵۶	البنیلة
۲۰۴	بنج انکست (جبل)	۳۴۵	بجی
۳۶۷	بنجیور	۱۷۶	بنطویة
۴۴۸	بنج دیه	۱۸۴	بنشهر
۵۱۷	بنجکت (بنوکت)	۴۶۹	بنقلار
۵۰۹	بنجکند	۴۱۸	بنکرایاد
۳۶۷	بنج کر	۲۸۶	بنکراوات
۴۶۹ ۳۸۹	بنجیر	۲۶۶	بنکراوه (قل)
۳۸۵	بنجواى	۴۷۰	بلاد النخل
۲۸۹	بنجیر	۳۴ ۱۷	بلاد الروم
۵۰۹	بنجیکت	۵۲	بناس اباد
۳۸۴	بنه رستم	۳۰۶	بناسایور
۳۶۶	بنه رنج	۵۳۰	بناسافن
۳۱۵ ۳۱۳	البناء (السكر) الطمعى	۴۷۸	بنیان (لهر)
۱۲۱	بنه الطیم	۳۰۶	بن یکم
۳۱۳	بنه قصار	۴۸۲	بنجوران
۲۷۲ ۲۷۱	بندهیر	۲۱۰	بنشاب
۲۱۸	بنه سامی	۲۵۳	بنل خاتون
۳۱۷ ۳۱۳	بنه مجرد	۴۹۹	بنخان

الفهرست البلدان

۴۰۶	بیاد	۳۰۹	بندر دیلم
۴۰۶	بیاد چند	۳۵۷ ۲۳۳	بندر عباس
۶۹	بیان	۸۸	الهند لیجین
۱۴۴	بیت القس	۴۴۸	بندوف
۱۷۷	بیضیه	۵۲۳	بنکت
۴۷۷	برامس	۲۴۷	بهاپاد
۳۰۵	بش صاهک	۳۵۰ ۲۲۸	بهار
۳۶۵	بیره	۳۴۷	بهارد
۲۷۵	بیرت (بیروز)	۳۰۵ ۳۰۴	بیدیان
۴۵۹	بیروز کوه	۳۲۲ ۲۸۴	بهرام آباد
۲۸۰	بیشاوران	۲۴۱ ۱۰۸ ۵۴ ۵۲	بهرسیر
۲۰۴	بیش برماق	۲۱۸	بهر کرگی
۲۹۶	بیشک	۳۶۹	بهرمدیاد
۲۰۳	بیشکین	۳۶۸	بهره
۳۱۶ ۳۵	البيضاء (بیزا)	۲۲۳ ۲۲۲	بیمستان (جبل)
۱۴۴	بیضه القیامة	۲۲۳ ۲۲۲	بیمستون (بیمتون)
۵۲۳	بیگت	۱۰۸	بهقباد الاسفل
۵۰۶	بیگند	۱۰۸	بهقباد الاعلی
۲۱۰	بیلسوار	۱۰۸ ۹۶	بهقباد الارسل
۲۱۲	البیلقان	۱۲۰	البرازنج (بوارنج الملک)
۲۰۸	بیلمان	۳۹۶	برجکان
۲۸۶	بیمارستان عهد النולה (شغاز)	۱۱۵	یرد اردشیر
۲۴۹	بیسند	۳۹۶	پوزچان
۴۲۲	بیوق	۵۰۶	پوزچاجن
۴۵۸	بیوار	۱۶۶ ۱۶۷	الپورسفور
		۳۹۳	پورشه
	ت	۲۹۶ ۲۹۱	پورشکانان
		۴۵۴ ۴۵۳	پورشنج (پورشک)
۵۳	التاج (یفساد)	۲۹۷	پوشهر (پوشیر)
	تارم (انظر نظام)	۴۹۴	پوقله
۳۵۷	تازیان	۳۰۸	بول بولو
۴۸۲	تاش کوبریک	۴۸۲	بول سکیک
۵۱۶ ۵۱۸ ۴۷۷	تاشکند	۱۱۰	بول
۵۲۳ ۵۲۵		۴۵۵	بون
۸۴ ۸۳	تامرا	۵۱۸ ۵۱۷	بوتیکت
۴۸۰ ۴۷۸	التبت	۲۵۵	پوه رود
۱۱۷ - ۱۱۴	تبریز	۱۲۴	الہویان (لهر)
۴۳۷	تجند	۳۶۲	تیبیان
۳۸۰	تخت بول	۳۶۴ ۳۶۳	تیبایانک
۲۵۹	تخت سلیمان	۸۹ ۸۸	تیبان
۲۸۷	تخت قراجه	۳۶۳	تیاروق (تیارو)

الفهرست البلدانى

٤٦٦	الجزرآن	١٠٢	١٠١	جامع الكوفة
٣٠٤	جرشيق	١١٧		جامع المصطفى (الموصل)
٣٠١	جرگن	١١٧		الجامع النورى (الموصل)
٤٨٠	جرم	٩٧		الجامع
٤٠١	الجرمق	٣١٤	٣٦	جامعك
١٧٦	جرمیان	٢٥٣		جامع
٣٠٤	جره	٢٥٣		جايپورود
٤١٢	جرمد	٥١٢		جاي رود
٢٥٨	جرود	٢٧٨		جيا
٢٨٨	جرود	٢٤٩	٢٣٥	الجبيل (اقليم)
٣٥٧	جرود (جزيرة)		٢٦٢	
٤٧٨	جرباب	٤٠٩		جبيل باب الابواب
٢٤١	جرب (كز)	٤٠٩		جبيل القاف
٣٨٢	جزه	٥٧	٥٦	جبيل (بنشدريد الياء)
٤١	الجزيرة (اقليم)	١٧	٤٠	جبيل آردخس
		١١٤		جبيل بادوسيان
١٥٧	جزيرة ابن عمر	١٢٣		جبيل البارز
٢٩٧	جزيرة بنى (ابن) كوان		١٢٠	جبيل يارما
٢٩٧	جزيرة الشيخ شبيب			جبيل طرافز
٢٩٧	الجزيرة الطويلة			جبيل الحارث
١٩	جزيرة تيس			جبيل الرويتج
٣٠٢	جسر ابي طالب			جبيل الزود
٨٤	جسر يوروان			جبيل سنجار
٩٦	جسر سورا			جبيل فاذوسيان
١٣٩	جسر منج			جبيل الفضة
٨٥	جسر النهوران (مدينة)	٨٣	٥٠	جبيل قارن
١٦٣	جسر الوليد			جبيل كوه
١٤٩	جسر يثرا			جبيل مرود (مرود)
٤٢٩	جشمه سبز	١٢٨		جبيلنا
٧٨	الجسرى (سامراء)			جبيلنا
٤٣٤	جشان رود			جبيلنا (مدينة)
٢٣٤	جشان نادور			جبيلنا (نهر)
٨٨٢	جشانيان	٣٦		جبيلنا
١٢٨	جشنيغ (نهر)			جبراحية (جراحى)
٣١٤	جلور	٣١٣		جرباذقان
٤٩٥	جنگر بند			جرجان
٤٧٧	جنگرسي (جنگسارسي)			
٣٥١	جنگك اباد			الجرجانية
٣٥٦	جنگين			جرجايبا
٣-٧	الجلادكان (الجلادكان)			جرجوب
٢٤٠	جليلاره			جرجود
				جرجوس

الفهرست البلدان

٢٣٠	جوهسته	٢٤١	٢٠١	جلفا
٢٤٢	جوى سرد	٨٧		چاولا
٣٥٦	جوى سليجان	٢٩٤		جى (بيل)
٢٨٨	حريم	٢٨٧		الجبكان
٢٢٨	جويم ابي احمد	٥٢٧		جنگست (چيوكت)
٤٣٣	جوين	٥١٠		جون (جى)
٢٣٨	جوى	٣٩٨		جياياد
٤٩٧	جييت	٥٢٩	٣٣١ ٣٠٩ ٢٩٥	جنايه
١٩٤	جيجيست	١٩٩		جندلق
٤٧٧	جيجيان	٥٢٩		جند
٤٧٧	جيجون	٣٦٤	٣٦٣	جندك
٤٨٧	٤٨٦ ٤٨١ ٤٧٨	٤٦٦		جندفريه
٤٩٨	٤٩٤ ٤٩٠ ٤٨٩	٢٧٣		جنديسايور
	٥٢٠ ٥٠١ ٤٩٩	٣٤٦		جنز رود
٣٥٦	الجير (سليج)	٢١٣		جنزه
٣٥٢	جيردت	٢٨٧		الجبكان
٤٤٢	جيريغ	٤٧٧	٤٤٦ ٤٤٥	جهار جوى
٥١٩	جيزك	٢٧١		جهار دالكة
٥٢٩	جيس	٣٨٣		الجهالكان
٢٠٦	الجيل	٣٨٧		جهان سوز
٢٠٧	جيلان	٣٣١	٢٩٠	جهرم
٢٠٧	جبلانات	٢٣٢		جهوى
٢٥٠	الجيلانى (نهر)	٤٢٢		جهينه (جرجان)
٣٠٢	جياريه (جبل)	٦١		الجوامد
٢٩٧	جى	٢٤٠		جوياره
٥٢٦	جيناس	٢١٣		جويالان
٥٤٥	جينايجكشت	٦٣ ٤٥		جوشى
		٢١٧ ١٢٣		الجرويت
		٢٩٧		جوزلال
		٣٣٠	٢٦١	جوز
٥١	الحارثية	٤٥٨	٢١٦ ٢١١	جوزجيا
٦٣	الحالة	١٥٥		جوزيت
١٤٢	حالى	١٦٦		الجوزات
١٠٦	الحائر (كر بلاه)	٤٦٥	٤٦٢	الجوزجان
٣١٥	حيرك	٤٦٥		الجوزجانان
٣٠٧	حيس	٤٠١		جوسف
٩٥	حيل ابراهيم	٢٥١		الجوسق (الرى)
٤٠٨	الحمداه	٧٨		الجوسق (سامراء)
٤١	مدائل	٢٠١		جولاه
١١٨	الحدياء (الموصلى)	٣٠٦		جومه
١٦٦	الحلت (لقة)	٣٢١		حومة بزد

الفهرست البلدانى

٤٤٤	خزانة القسرية (مرو)	٤٣٦	خاوران
٤٤٤	الخزانة العزيمية (مرو)	٥١٩	خاوس (خارس)
٤٤٤	الخزانة الكسالية (مرو)	٢٨٩	خبر
٤٤٤	خزانة مجد الملك (مرو)	٤٣٥	خبرستان
٤٤٤	خزانة المدرسة المالوية (مرو)	٣٤٦ ٣٣٧	خبيص
٤٤٤	خزانة نظام الملك (مرو)	٤٨١ ٤٧٨ ٤٧٦	الخلل
٤٦٠	خستار	٤٧٩ ٤٧٠	ختلاب
٥٠١	خست ملاره سى	٤٨١	ختلان (بسم اوله وسكون ثانيه)
٤٢٢	خسر جرد	٤٨١	ختلان (بسم اوله وتشديد ثانيه مع الفتح)
٣٢٨	خسور	٥٣٢ ٥٣٠	ختن
٤٦٠	٤٥٣ ٣٠٣	٤٥٠	خجابران
٥١٢	٤٢٨	٥٠٥	خجده (خجاده)
٢٠٨	خشم	٥٢٢	خجند
١٦٣	المصوس	٤٣٣	خجندة
٢٢٩	٢٢٨	٥١١	خديمتكن
٤٨١	خلاب	٤٢٤ ٤٢٣ ٢١	خراسان (الخليم)
٢٨٨	خاير	٤٦٢ ٤٤٩	٤٣٦
٢١٨	خاير	٤٥٠	خراسان اياز
٥٠٠	٢٠٥	١٤٩	خربوط
٤٦٩	خلم	١٤٩	خربوت
١٦١	خلمج اسكندرون	٤٢١	خربوت
١٦٤	خلمج اياس	٤٥٤ ٣٩٧	خربوت
٢٨	خلمج فارس	٤٥٩	خربوت
٣٥٢	خلمج رود	٣٨٣	خردوى (لهر)
٣٠٠	خمايجان (خمايگان)	٢٩٠	خرفند (خرفه ، خرفه)
٣٥٠	خماي	٥١١	خرفانكث
٢٩٢	خمايگان	٤٤٢	خرق (خرقه)
١٩١	خمجيرة	٤٠٧ ٤٠٦	خرقان (بسكون الراء)
٦٠	خمدى صايور	٢٣١ ٣٦	خرقان (بتشديد الراء)
١٨٠	خمس (خموس)	٥١٩	خرقانه
٣٠٨	خمشك	٣٣١	خرقاني
٢٩٢	خمينقان (خمينقان)	٣٩٧	خرکرد
٤٦٥	خواميا خيران (قرية)	٢٣٦ ٢٣٥	خرماباد
٢٢٨	خوادان (قلعة)	٣١٤ ٣١٢	خرمه
٤٠٨	٤٠٧ ٣١٥ ٣٨	٣١٨	الخروج (ناسية)
٤٨١	٤٧٦ ٢٢	٤٣٦	خرد الجبل
٥٠٢	٤٦١	٢٥٥	خردود
٤٦٢	٤٩١	٢٩٠	خرفشه
٢٨١	٣١٨ ٣٥٠	٥١٣	خزاري
٢٨١	٣٧٣	٣٢٢	مزانة
٤٥٤	خولستان	٤٤٤	مزانة شرف الملك (مرو)

الفهرست الجبلانی

۱۳۶	دارا	۳۹۹	نواشر
۳۳۱	داد ایچرد	۳۹۷	نواف
۲۸۴	۲۲۲	۵۲۲	نواکد (خواقند)
۲۹۸	دارجان سیاه	۳۰۸	۳۰۱
۳۵۱	دارجین	۴۳۵	نواحدان
۴۸۳	دارالکلی	۴۰۱	نواحدان
۳۵۱	دارلین	۳۰۱	نور
۱۸۰	دار السیاده (میزاس)	۳۰۹	نور اداکان
۱۰۴	دار السیاده (النیف)	۳۸۷	نور چنایه
۳۷۸	دارک	۲۹۰	نورستان
۳۲۶	دارکان	۲۹۰	نورده (لمة)
۱۳۷	الدالیه	۲۹۴	نورده
۴۰۸	الدانمان	۱۰۲	نورتابند
۷۱	الدزبده	۳۶۷	۱۹
۲۸۴	الدور	۴۰۱	نورستان
۱۶۸	دیاسه	۴۶۰	نورست
۵۱۵	الدیوسیه	۱۱۶	نورست (الفور)
۲۱۶	دیل	۴۰۱	نورست (خوسب)
۴۱	دجله	۴۳۵	۲۲۷
۴۷۷	دجله الفوراء	۵۲۲	۵۲۰
۶۴	دجله الفتح	۱۱۶	نورلان
۶۹	دجیل (آغل پنداد)	۳۶۰	نورلجان (انظر خان لنجان)
۹۱	دجیل الامواز	۲۵۹	نورلا
۳۶۸	دجیل یسنا	۲۰۱ - ۲۰۰	نورلاس (انظر شغوس)
۳۷۵	دجیل تسنر	۳۲۷	نورلج
۳۶۸	الدیسیله	۳۲۷	نورلی
۴۳	دراحنین	۴۶۷	۳۰۸
۴۸۵	درب الابواب الکلیلیه	۵۲۳	نورباد
۱۶۶	درب یرادجان	۳۱۴	نورپام
۴۴۱	درب تغاران به	۳۶۹	نورپه
۱۶۵	درب المحدث	۴۵۳	نورگود
۳۲۷	درب حلوان	۵۲۳	نورسار
۵۰۴	درب الرامیقه (بشارا)	۲۹۷	نورپام
۱۶۶	درب السلامه	۴۹۳	نورپه
۵۰۴	درب مسرقند (بشارا)	۵۰۱	۴۹۳ ۴۹۶
۵۰۴	درب التوبهار (بشارا)		۵
۲۵۴	دربانی		
۳۰۳	دریست		
۲۱۱	درند	۱۹۸	دازرکان
۴۸۵	درینه آهنین	۳۰۱	دازین

الفهرست الجغائی

۱۰۸	۶۳	دستچیان	۲۲۸	دریغ تاج خاتون
۲۵۵		دسترا	۱۲۰	دریغ خلیفه
۶۹		المسکرة	۲۲۸	دریغ زلکی
۸۶		دسترة الملك	۲۲۹	دریغ
۳۱۸		دشت ارد	۲۸۴	درتلی
۲۸۸		دشت ارزن	۲۵۵	درج (واد)
۲۶۶		دشت باورین	۳۹۹	درجان
۳۹۸		دشت بیاض (بیاز)	۳۰۱	درجید
۳۶۱		دشت کویس	۲۴۰	درجشت
۳۶۱		دشت لوط	۳۸۴	درغش
۲۷۱		دشایاد (نهر)	۵۰۶	الدریم
۳۱۸		دشتروم (دشترورن)	۲۵۴	دوغازد
۱۲۰	۸۲	دقوتا (دافوق ، دقوق)	۳۵۴	دوقانی
۳۵۴		دلفرید	۲۳۱	دوگزین
۴۴۶		دلیجان (دلیکان)	۴۹۵	دوتمان
۴۱۱	۴۰۷	دمارند	۴۰۳	دوه
۴۴۲		الدمعاطان	۳۵۵	دوهران
۲۶۶		دمفوان	۴۳۶	دوهکز
۲۷		دمشق	۱۸۱	دورازر اسب باراز (قولیة)
۹۲		دما	۱۸۱	دورازر بزل اسب (قولیة)
۴۱۱	۴۰۷	دیبانوه	۱۸۱	دورازر جاشنی کبر (قولیة)
۲۹۹		دنیلا	۱۶۷	دورلیة
۱۸۶		دزلیز	۲۰۳	دریاج شور
۱۴۱	۱۲۵	دنسر	۵۰۲	دریا شرق
۳۵		ده اختران	۱۹۵	دریا شور
۴۴۹		ده باد	۵۰۲	دریا فلزم
۴۶۸		ده باویاب	۳۰۷	دریان
۳۵		ده مرد	۳۳۱	دیز
۴۰۰		ده نایند	۳۱۷	دل ابرج
۴۰۸	۳۵	ده سک	۴۴۹	دزیاد
۴۶۳		دهاس (نهر)	۲۳۶	دزین
۳۵۱		دهرلین	۲۷۴	دزفول (دزلی)
۴۶۶	۴۲۰	دهستان	۳۶۸	دزک
۳۰۵		دهتران	۳۰۷	دزکلات
۴۵۹		دهل	۴۰۵	دزکندان
۱۸۳	۱۷۸	درابو	۳۰۱	دزک نساك
۸۲	۷۴	الدور	۲۰۲	دزعار
۸۲		دور الصارت	۴۴۸	دز
۲۷۱		دور الراسی	۲۵۵	دستی
۸۲		دور عربایا	۸۶	دستجرد
۲۷۷	۲۷۱	الدورق	۲۹۵	دستقان

الفهرست الجبلانی

٤٩٤	دیوه بیرون	٢٧٧	دورکستان
		١٥١	دوریک
	ذ	١٢٢	دوسر
		١٢٤	دوشا (نه)
١١٢	ذات عرق		دوقاط (انظر : قوتات)
١٧١	ذر الکلاج (القلاج)	٣٠٨	دوکیندان
	د	٢٠٨	دولاب
		٢٣٤	دولة آباد
		١٨٧	دولاس
٤٩٧	راحسین	٢٧١	دولدانکه
١٠٧	الرافان (الاعل والاسفل) ٥٤	٢١٦	دوین
٤٣٥	راذکان	١٤٠ ١١٤	دیار بکر
١٢٥	راس المین	١١٤	دیار ربیمة
٥٠٩	راس المسطرة	١٣٢ ١١٤	دیار مصر
٤٠٨	راس الکلب	٨٥ ٨٣	خیال
٢٧٨	راسک	٣٧٠ ٣٦٩	الدبیل
٢٢٤	راسند	٨٢	دیر ابی سفرة
٤٨٢	الراست	١٥٢	دیر ارغومما
٧١	الراشدة	٢٤٤	دیر الجس
٣٥٦	راغان	٥٥ - ٥٤	دیر الماقول
١٣٣ ١٣٢	الرافقة	٦١	دیر الصال
٢١٦	راصجرة	٥٥	دیر قس
٢٧١	راسرود	٥٥	دیر مرماری (السلیح)
٢٧٩	رامز	٥٦	دیر حزم
٢٧٩ ٢٧٨	رام شهرستان	٣٠٧	دیرجان
٢٣٤	رامن	٥٣١ ٥١٩	دیزک
٢٣٤	رامی	٢٥١	دیزه
٢٧٩ ٢٧٨	رامهرمز	٢٥١	دیزه الصرین
٢١١	الران	٢٥١	دیزه ورامین
٣٠٣	راعتان	٢٦٢	الدیکبایة
٣٦٦ ٢٤٧	رازد	٢٠٧	الدیلم (بلاد)
٤٣٤	راولسر	٢٠٧	الدیلمان
٤٣٤	راولیر	٣٠٨ ٣٠٧	دینار (جبل)
٢٥١	رایجی	٢٩٩	دین دار
٩١	الرب	٢٦٢ ٢٢٦ ٢٢٤	الدینور
٤٢٠	الرباط (جریجان)	٢٢٢	دیه اشتراک
٤٨٥	رباط قی القرین	٣٢٠	دیه بیه
٤٨٥	رباط دی الکفل	٣٠٠	دیه علی
٤٣٤	رباط سولج	٣١٨	دیه کرد
٤٨٦	رباط طاهر بن علی	٣١٥	دیه مورد
٤٧٠	رباط میله	٣٥٣ ٣٥٢	خیزورد

الفهرست البلدان

٥٢	رومية المقدان	٤٩	ريش باب المحول (بغداد)
٣٢٨	رونيچ (رونيچ)	٤٤١	ريش نى ماهان
٣٢٨	رونيچ	٤٤١	ريش ماهان
٤١٤	رويان	٥١٥ ٥١١	ريجين
٢٨٨	الرويسان	١٥٧ ١٣٦	الرجبة
١٩٩	روين دل	٣٦٦	رغ
٢٥٠	الرى	٣٨٥ ٣٨٣ ٣٧٧	رجج
	٣٦٢	٢١٣ ٢١١	الرس (نهر)
٢٥٢	رى شهريار	٣٢٩ ٣٢٨	رستاق الرستاق
٥٠٥	ريامين	٥١٠	رستاق المرزيان
٣٠٧ ٣٠٦	ريشهر	٢٧٢	رستاق
٢١٧	ريشهر توج	٤١٥ ٤١٤	رستمندان
٣٠٧	ريشهر	٢٧٢	رستم كواد
٣٥٢	ريسان	٢٠٩	رشت
٣٥١	ريقان	٥٢٢	رشتان
٣٥١	ريكان	٥١ ٤٩	الرسافة (بغداد)
٥٠٤	الريكستان	١٥٨ ١٣٧	الرسافة (القسام)
٣٥٣	ريز بارلس	٦١	الرسافة (واسط)
٥٠٦	ريودد	١٥٧ ١٣٢ ١١٤ ٢٥	الرقعة
٤٧١ ٤٢٨	ريوند	٤٠١	الرقعة (طيس)
		١٣٣	الرقعة المحترقة
	٣	٢٩٦	ريزوان (قلعة)
		١٥٥	الرمش (جبل)
١٠٨	الزاب الاسفل (جنوب العراق) ٩٩	٤٨٣	الرملة
١١٩	الزاب الاسفل (شمال العراق)	١٣٥ - ١٣٤	الرها
١٠٨	الزاب الاعلى (جنوب العراق) ٩٩	١٦٦	الرهوة
١١٩	الزاب الاعلى (شمال العراق)	٤٦٩	ريج
٢٨٣ ٢٧٢ ٢٧٢	زابلسان	٢٠٧	ريج (جبل)
١٢٣	زاشو	٣٥٦	ريوخانة مذيق
١٨٠	زاره	١٦٠	ريوس
٢٧٤	زال (نهر)	٢٤١	ريوشست
٣٨٢	زالق	٣١٣	ريود عاصى
٣٨٣	الزاققان	٣٣١ ٣٢٣ ٣٢٢ ٢٨٤	الزوان
٢٩٦	زام	٢٨٣ ٣٥٣ ٢٠٧	الزويار
٣٥٥	زاسان	٢٢٢	الزود دار
٤٨٢ ٤٧٩	زامل (نهر)	٣٥٦	زولكان
٥١٨	زامي	٢٥١ ٢٥٠	زوت
٢٨٢	زاليهون	٤٩٧	زوز وند
٢٧٣	زاهندان	١٠٥	الزوسة الميديرية
٢٦٦	زاره	٤١٦	زودد (ريود)
	زاينده ريود (انظر : زلديود)	١٠٨ ٥٤	الزريقان

الفهرست البلدانى

۴۲۲	ساينزوار	۱۵۳	زېلر (حصن)	
۵۲۴	ساينچ (جبل)	۲۵۰	الزبيدية	۲۲۷
۲۳۱	ساينور	۶۶	الزير	
۲۹۸	ساينور شره	۲۴۲	زده كوه	
۲۳۶	ساينور خواست	۵۱۰	زرفشان	۴۷۹
۲۵۰	ساينامان	۴۴۳	زوق	
۴۷۷	سايس		زركان (انظر : داركان)	
۲۳۸	ساينور (جى)	۵۱۲	زومان	
۲۳۴	ساينورق (هلفان)	۳۷۳	زولج (زونك)	۲۰
۲۳۰	ساينورفا	۳۷۸		۳۷۶
۴۱۱	ساينور	۳۴۶	زوند	۳۴۳
۴۱۵	ساينورق	۳۶۷	زوره (بحيرة)	۲۸
۲۲۲	ساينان	۳۷۶		۳۷۳
۲۲۲	سايند	۹۳	زديران	۵۴
۴۱۴	ساينورس (سالتورق)	۲۷۹	الزيت	
۲۴۷	سامان	۲۸۸	زكان	
۵۰۵	سامخاش (نهر)	۲۳۶	الزلم (جبل)	
۸۱ - ۷۶	سامراء	۴۸۶	زم	۴۴۵
۴۶۷	سان	۴۹۷	زمنقور	
۲۵۳	سارج بلاغ	۲۸۲	زمن عاور	۳۷۷
۵۰۹	الساوداد	۲۳۰	زمن ديه	
۲۴۷	ساره	۲۵۷	زمنجان (زونكان)	۲۵۶
۲۹۳	ساريز	۲۹۴	زنجبار (زلزار)	
۴۱	سبار (ابو حية)	۴۵۴	زلدان	
۵۲۸	سانايكت	۲۶۸	زندود	۲۳۸
۱۸۵	سبيرتا	۵۰۹	زندلدا	
۵۳۲	سوزوار (ليسايور)	۳۵۶	الزونكان (نهر)	
۴۵۴	سبروار هرات	۴۰۲	زونكان	
۲۰۹	بمفلان كوه	۳۰۸	دوره (نهر)	
۴۳۴	سپلج	۱۰۸	الزداين	
۴۶۸	سپورغان	۲۴۳	زواره	
۴۵۴	سپيدان (كروخ)	۱۲۴	الزندان	۱۲۲
۲۸۸	ستجان	۳۹۸	زوزن	
۲۵۹	ستريزق	۲۰۱	زول	
۲۵۸	سجاس	۵۱	الروية (بغداد)	
۳۷۳	سجستان (الاقليم)	۳۹۸	زيركوه	
۳۷۲		۱۷۹	زيله	
۳۷۲	سجستان (المدينة)	۳۵۰	الزيتيدى	
۲۲۵	سحفة			
۵۷	سند الكوت		س	
۴۹۵	سندور	۵۳۲	ساياط	۵۱۸

الفهرست البلدانى

٢٨٩	٢٨٨	سكان (لهر)	٥٢٢	سند ياچوج وماچوج
٥٢٢		سكت	١٠٢	السفير
٤٥٦		سكردان	٤٨٢	سر آسيا
٣١٢		سکر فاشيرو شره	٢٠٢	سرهعد
٢٥٥		سکراياد	٢٠٢ ١١٧	سراو
٣٧٢		سکستان	١١٧	سراو رود
١٢٧	١١٥	سکر الياص	٣٩٨	سراولده
٤٦٠		سکيويد	١٤٤	سربط
٢٦١		سلارولده	٢٢٧	سربل
٣٩٨	٣٩٧	سلام	٤٦٨	سربول
		سلمک (انظر : سلوقية)	٢٥٨	سرجهان
١٤٨		السلط	٤٧٩	سرخاب
٣٩٤		سلطاناباد	١١٧	سرخان (لهر)
٢٣٤	٢٢٨	سلطان اباد حيممال	٤٢٨ ٤٣٧	سرخس
٤١٧		سلطان دوين	٨٠	سرخاب التيبية (سامراء)
١٥٢		سلطان حمو	٢٨١	سرخان (السردن)
٢٦٣	٢٥٨ ٢٥٧ ٢٤	السلطانية	٢٣٠ ١٩٧	سردود
٢٠٠		سلناس	٥١٨	سرسفده
٥٣		سلمان ياک	٤٥٠ ٤٥١	سرسک (بيت نار)
١٨١	١٦٥ ٢٤	سلوقية (الروم)	٢٧٦	سرق
٥٢		سلوقية (العراق)	٢٣٢	سراکان
٣٩٧		سلوک	٢٢٤	سرماع (قلعة)
٢٧٨	٧١ ٧٠ ٦٤	سلميانان	٣١٨	سريق
٤٢٦		السلیمانية	٣٥٥	سرمد
٥٠٢	٤٨٥ ٤٧٦ ٥٠٧ ٥٠٦	سیرفند	٣٨٥	سروان
١٧٦		سمسرن	١٤٠ ١٥٨	سروج
٤٢٢		سملقان (سملقان)	٣٨٢	سروژن
٤٠٨	٤٠٧ ٣٦	سمنان	٣١٨ ٢٨٨	سروستان
٤٦٦		سممجان (سمنکان)	٥١٧	سروشنة
٣٩٤	٢٩٠	سميران	٨٧	السمرية
٣١٩	٢٦١	سميرم (سميرم)	١٤٥	سميرت (سميرد)
١٤٩	١٤٠ ١٢٩	سميساط	٤١٤ ٣٢٨ ٣١٧	سميد اباد
١٢٠	١١٩	السن	٥٢٩	سنتاق
٢٦٢	٢٢٢	سن سيرة	٤٥٢	السلفقات
٤٣١	٤٢٠	سناياد	٣٨٦	سلفجاری
٣٧٨	٣٧٥ ٣٧٤	سنارود	٨٥	سلفة
٢٧٦		سنفيل	٣٠٠	سفيد (قلعة)
٤٤٢		سنج	٢٠٢ ٢٠٣	سفيد رود (سميد رود)
١٥٧	١٢٩ ١٢٨	سنجار	٤٨٠	سغری
٢٦٨	٣٩٧	سنجان (سمنکان)	٢٨٨	السفينة
				سک

الفهرست الجغائی

۱۷۹	مولوی	۵۰۱	ستخر لکن
۵۱۲	میام (جبل)	۴۵۸ ۱۵۶	منجیه
۴۶۳	میاه جرد	۴۰۵ ۲۰۴	منجیه
۳۶۱	میاه رود	۱۶۷	السنه (الروم)
۲۴۳ ۲۰۲	میاه کوه	۳۷۰ ۳۶۹	السنه (نهر)
۵۵	سیب بی فرما	۱۶۷	ستلاری
۳۸۶ ۲۷۰	سیبی	۳۷۰ ۳۶۹	السمروذ
۴۷۷ ۱۶۴ ۱۶۳	سمعان	۲۵۳	ستلاریاد
۴۸۷ ۴۷۷ ۱۶۴ ۲۲	سمجرون	۳۴۲ ۳۴۰ ۳۳۸	سک
۵۳۱ ۵۲۰ ۵۱۹ ۵۱۷	سیراف	۳۴۵	سنگاره
۲۹۵ ۲۹۴ ۲۹۳ ۲۵	سیراف	۴۴۸	سموان
۳۳۰			ستوب (انظر سینوب)
۵۲۷	سیرام	۳۶۴ ۳۶۳	صنوج (سفیک)
۳۳۸ ۳۳۷ ۳۸ ۳۷	السیرحان	۴۰۳	سشی حاة
۳۴۹ ۳۴۰ ۳۳۶		۲۹۲	سباهه (غلمه)
۵۱۹ ۴۷۷	سجدریا	۳۹۵	سبهه
۵۱۹	سجسر	۲۵۸	سجورود
۳۳۷	السیروان	۴۱۳	سهبان (شهبان)
۱۷۳	سینس (سیمیه)	۱۹۶	سهند (جبل)
۲۴۵	سینسر	۸۹ ۴۱	السواد
	سینستان (انظر سجنستان)	۱۲۰	السوداقیه
۲۹۵ ۲۹۳	سینف بی الصلار	۵۱	سور بنفاد (الشرقیه)
۴۸۷	سینف الخلیجان	۱۱۸ ۱۱۷	سور الموصل
۲۹۳ ۲۹۲	سینف رهبر	۱۱۱ ۱۰۸	سورا
۲۹۲	سینف عماره	۵۲۹	سوزان
۲۹۵ ۲۹۲	سینف المظفر	۲۵۰	سوز قبی
۲۸۸	سیکان	۴۵۸	سوزمچ
۲۱۲	سی گنبدان	۳۵۷ ۳۳۰	سوزو
۲۸۱	سینماکون	۲۸۱ ۲۷۴	السوس
۳۳۱ ۳۰۹	سینیلز	۴۴۲	السوسغان (السوسقان)
۱۹۱ ۱۷۵	سینوب	۲۸۰	سوسمن
۱۸۰ ۱۷۹ ۱۷۴	سینواس	۵۱۸	سوسمند
۱۸۶	سینوری حصار	۲۷۷	سوق الارنباه (مدینه)
	سینوری (انظر : سینبی)	۱۱۶	سوق الارنباه (الموصل)
	ش	۲۸۵	سوق الامیر
		۳۶۷	سوق الامراز
		۲۷۷	سوق بصر
۲۱۴	شایران	۳۵۰	سوق جسر جرجان (یم)
۲۹۹ ۲۹۸ ۲۸۴	شاپور	۵۱	سوق الطنس
	شاپور خراسه (انظر : شاپور خراسه)	۳۶۴	سوسقان
۴۰۲	شاخون	۵۱۴	سونه

الفهرست الجبلانی

۲۷۱	القطیف	۲۵۴	شادشاپور
۷۲	القطیفة	۱۰۸	شادپهن
۳۱۳	شمص بوان	۱۰۷	شاد ساپور
۲۲۶	شمران (جبل)	۱۰۷	شاذ لیروز
۶۰	شفاثا	۱۰۷	شاذ میاد
۲۰۶	شفت (شفتة)	۱۰۷	شاذ هرمز
۳۲۸	شق رودبال (رودبار)	۸۴	الشاذروان (الاعلی والاسفل)
۶۸	شق عشان	۲۷۰	شاذروان تشر
۲۲۸	شق مسکاهان	۳۰۹ ۳۱۰	الشاذکان
۵۲۳	شکت	۴۲۶ ۴۲۷	شاذپنج
۳۱۲	شکسته (قلعة)	۳۹۸	شارحسن
۴۱۲	شکلبه	۴۱۴	شاورستان
۳۷۹	شله	۷۷	الشارح الاعظم (سامرا)
۲۱۴	الشاحبة (شاسی)	۴۱۹	شاسس
۵۱	الشماسية	۵۱۹ ۴۷۷	الشاسی
۱۴۶	شمشاط	۵۳۱ ۵۲۴	
۲۱۳	شسکور	۲۰۵	شال (جبل)
۴۰۱	شسیران	۲۰۵	شال (مدینة)
۳۱۲	شسکوران (قلعة)	۲۰۵ ۲۰۴	شال (نهر)
۱۲۶	الشهباء (قلعة ماردين)	۴۱۴	شالوس
۴۱۶	شهر آباد	۴۲۸ ۳۴۹	الشامات
۱۶۸	شهر اسلام	۱۹۵	شاما (جزيرة)
۳۲۸	شهر بابک	۲۷۳	شام امام
۸۷	شهریان	۴۴۱	الشاهیمان
۴۳۵	شهر نقیسی	۲۴۰	شاه ده
۳۵۲	شهر دبیانوس	۵۲۵	شاه رشیا
۳۷۹	شهر رستم	۴۱۵ ۲۰۶	شاهرود
۲۵۸	شهرزور	۲۵۷	شاهین
۵۱۳	شهر سبز	۵۲۸	شاهغر
۳۲۰	شهر ستان (قلعة)	۳۲۸ ۳۲۶	شیانکاره
۲۲۸	شهرستانة	۴۶۸	شیرمان (شیورکان)
۳۷۶	شهرسیستان	۵۲۶	شترک
۴۱۷	شهرار	۶۱	الشهدیدة
۳۵۷	شهر	۲۳۰	شهراین
۴۹۸	شهرزیز	۳۸۵ ۲۱۴ ۲۱۱	شهران
۲۰۲	شهریار	۴۳	شط الحلة
۲۹۹	شهریار رود	۴۳	شط الحی
۳۲۶	شوانکاره	۶۴ ۴۴ ۴۲	شط العرب
۶۳۵	شور	۴۳	شط التوتة
۳۱۹	شورستان	۹۸	شط النيل
۴۵۸	شورمین	۶۱	الشطرة

الفهرست البلدانى

١٢٣	صليخ	٤٢٨	خورد رود
٨٣	صلى	٢٦٦	خوستر (خوستر)
٥١	الصليخ (بنداد)	٢٨٠	خوشن القصر
٦١	الصليخ	٤٣٦	خوكان
٣٧٨	الصنط	٢٠٣ ٢٧٩	خولستان
	صوب (انظر : سيوب)	٤٨٣	القومان (قلعة)
٨٣	سولى	٣٨٩	خيان
٢٢٨ ٢٣٧	الصيمرة	٣٦٧	خيش جام
٢٨٦	الصيكان	٢٨٤ ٢٨٣ ٣٦ ٢٥	خيار
٥٢٢ ٥٢٨ ٥٠٨	الصين	٣٣١ ٢٨٦ ٢٨٥	
	ص	٣٣٨	الخيرجان
		٢٥٩ ٢٢٦	خيز
		٢٩٤	خيلار
٤٧٩	الضرفام (نور)		خيشيز (انظر : سيليز)
١١١	خرية		
	ط		ص
٣٠٤ ٢٩٠ ٢٧٨	طاب (نهر)	١٧٦	صاوشان
٣٠٨ ٣٠٦		١٧٥	صارى بول
٣٨٨	طايان	١٥٢	صاوى جيبيك (نور)
٤٣٠	الطايوان	١٦٧	صاغرى (نهر)
٣٢٨ ٢٦٠	طادم	١٩٩ ١٩٨	صاوى (نهر)
٢٦٠ ٢٠٤	طازم (نهر)	٥٥	الصاوية
٢٦٠	الطازمين	٣٨٣	الصالقان
٧١	الطازمية		صايمون (انظر : سيمون)
٤١٤ ٣٨٢	الطاق	٢٢٣ ٢١٤ ٣٦	صاهك
٢٢٢	طاق پستان	٢٥٨	ساين لفة
٢٤٧ ٥٢	طاق كبرى	٥٢٩	صيران
٢٠٧	طالتن	٢٧٤	صعراء اللر
٢٠٧	طالغان (طلفان)	٢٢٣	صمنه
٤٧٠ ٤٦٥ ٢٦٠	الطالقان	٢٢٥	صمنانية
٤١٦ ٤٩٤	الطازمية	٣٠٨	صرام
	طازرى (انظر : دقولا)	٩٣	صرمصر
٤٧٠	الطالقان	٤٨٤	صرمينجان
٤٠٩ ٤٠٤	طيرستان	٤٨٣	صرمينج
٢٥٢ ٢٤٠	طيرك	٤٨٣ ٤٧٦ ٣٦	الصغانيان (بلدة)
٤٠٠ ٣٩٩ ٣٦٢ ٣٦٢	طيس	٤٨٣ ٤٧٩	الصغانيان (نهر)
٤٠١ ٤٠٠ ٣٦٦	طيس النهر	٤٨٣ ٤٧٦ ٢٢	الصغد
٤٠٢ ٣٩٩	طيس الصواب	٢٩٥	صقارة
		١٧١ ١٦٦	الصغانيان (صحن)

الفهرست البلدانى

٨٩	الطيب	٤٠٠	طيس كيكلى
٧٧	الطيرمان	٤٠٣ ٤٠٢	طيس مسيفان
٥٢ ٤٢	طيسلون	٤٠١ ٣٩٩	طيسين
٣٠٥	طيفور (قلعة)	٤٦٩ ٤٦٢	طغارسنان
٤٦٧	طيفورى (لور)	١٦٨	طرايون (طراينده)
٢١٨	طيسجان	٥٣٠	طرايرال
		٣٩١	الطريال
		٣٩٤	طريث
	ع	٣٢٨	الطرحان
١١٣	الماشق (سامراء)	١٦٦ ١٦٤ ١٦٢	طرسوس
١٢٨	عانة	٤٩٢ ٢٤٤	طروق
٧٠	ميدان	١١٥	طروح (بغيره)
٣٩٤	ميد الاياد	٢٠٠	طروح (مدينة)
٦٣ ٤٥	ميدس	١٤٨	طرون
٨٤ ٣٤	ميرتا	٣٦ ٣٩٤	طريث
٤٥٢	ميسقان	٤٩ ٢٧ ٣٣	طريق حراسان
١٠٩	المنابيه (بغداد)	٤٠٨ ٢٦٢ ١١٢	
٧٦ ٥٩ ٤٠	المراق	٥١٥ ٤٧٣ ٤٧٢	
	٢٢١ ٩٦	١٦٦	طريق التسطينية
٢٢١ ٢٢٠	مراق الميم	٢٧٧	طرد
٢٢٠	مراق العرب		طسوج (انظر : طروح)
١٢٧	مريان (مريان)	٥١ ٤٩	طسوج يادوريا
٢٦٧	مريستان	٩٦	طسوج سورا
١٥٢	عرب كير	٨٦	طسوج طريق خراسان
١٥٥	المريسان (لور)	١٠١	طسوج الفلوجة (العليا والسفل)
٣٥٦	المريسة	٥١ ٤٩	طسوج لطريل
٢٨٠	مريج	٥١ ٤٩	طسوج كلواذى
٦٤ - ٦٣	المريز	٤٩	طسوج لور بوق
٢٨٤	المسكر	٩٤	طسوج لور جوير
٢٨١ ٦٨	عسكر ابي جملر		مشقند (انظر : تفكند)
٨٠	عسكر المتصم	٨٣	مطر
٢٨١ ٢٧٢ ٢٧١	عسكر مكرم	٤١٦	طيس (طميسه)
٤٨	عسكر المهدي	٤٠٤ ٣٥٢ ٢٥١	طهران
٦٨	المشار	١٨٧	طراس (حصن)
٤٢٩	مطشباباد	١٨٣ ١٧١ ١٦٨	طوانة
١٢١	المظير (لور)	٥١١ ٥٠٦ ٥٠٥	الطراويس
٥٠٠	مقبة سلم	١٥٢	طوخنه صو
٢٢٢	مقلدة	٣٧٠ ٣٦٧	طوران
٦١	المقر (البيطية)	١٧٤	طور ميهين
٩٢	مقرقوف	١٦٠ ٢٨	طورروس
٧٢	مكير	٤٧١ ٤٣١ ٤٣٠	طورس

الفهرست البيلاني

ف					۱۸۳	۱۷۰	السلايا
۵۲۸				فأراب	۷۲		الطفت
۳۱۱	۲۹۸	۲۸۳	۱۹	فارس	۱۶۷		الطبخ
		۲۳۲	۲۲۰		۱۶۷		الطبخ (الروم)
۲۵۰				فارسيه	۱۶۶		الطبخ
۴۸۱	۴۷۸			فارص (فرغار)	۱۲۲		الصادية
۲۴۱				فارغان	۱۸۶	۱۷۰	عمورية
۶۱				الفاووث	۳۰۱	۳۰۰	هيان
۴۶۸	۴۶۷			الفازياب	۱۲۱		اليث
۱۵۸				فاس	۱۶۶		عين برعوث
۵۱۷	۴۷۸			القاس	۱۰۸	۶۰	عين الشعر
۵۰۶				فتح اباد	۱۳۴		عين النيبانية
۲۵۱				فخر امان	۱۶۶		عين رقة
۳۱۳				فخرسان	۱۲۵		عين الزاهرة
۴۲	۴۱	۳۷	۱۵	الفرات	۱۶۱		عين لذي
۴۷۷	۱۴۹	۱۴۷	۹۶		۱۵۵		عين رتيثا
۴۵۸				لراتكين	۱۱۷		عين كريت (الموصل)
۴۲۹				لراجرود	۲۳۳		عين الملك كيشرو
۹۵				لراشا	۴۱۰		عين الهم
۲۳۴				لراشان	۱۱۸		عين يونس
۴۲۱				لراوه			
۴۸۶	۴۴۶			لرير			غ
۳۳۲	۳۲۹	۳۲۸		لريرج			
۴۵۴	۳۶۷			لريرج (فرکرد)	۴۳	۱۶	الفراف
۲۵۱				الفرخان	۱۶۷		الفرهراء
۳۰۷				فرزك	۳۴۶		فهيما
۲۳۳				فرزين	۴۵۸	۴۵۵	فرجستان
۲۳۳				فرعا	۴۷۱	۴۵۸	فرج الشار
۴۸۱				لرفان	۴۹۵		فرجمان
۵۲۰	۵۱۸	۴۷۷	۲۲	لرفانة	۴۵۸		فرجستان (فرجستان)
			۵۳۱		۱۲۱		الفرقة
۴۲۱				فرغول	۳۵	۲۹	فرلانة
۳۲۹				فرگ	۴۵۴	۴۵۳	فرمان
۴۱۳				فرم (فرم)	۳۸۸	۳۸۷	موزة
۳۷۹				فره	۳۸۷		موزين
۴۲۹				فرهافان	۱۹۱		مغيرة
۴۲۹				فرهافيرود	۳۳۱	۲۹۶	الغندبيان
۳۱۲				فرداب	۳۷۹	۳۷۷	الغور
۳۸۹				فرداب	۴۵۹	۴۵۸	غورستان
۳۵۵				فرياب	۶۷		عولة دمشق

الفهرست الבלغاني

١٠٣	١٠٢	القادسية (الكولة)	١٧٦	فريجية
٥٢٣		قاسان	١٧٧	فريجية ابيكتنس
٢٦٢	٢٤٤	٣٦ قاهان	٢٣٠	فريواد
٨٢		فاطول ابو الجند	٤٣٣	فريومد
٨١	٧٤	٤٧ القاطول الكسروي	٤٨٢	لر
٨٢		القاطول الماموني	٣٣٢	مسا (بسا)
٨٢		القاطول اليهودي	٤٠٢	مشارود
٢١٥		قال		مشارويه (انظر : بشاويه)
١٤٩	١٤٨	قاليللا	١٦٧	فلاص الثانية
٢٩٣	٢٩٢	فاين	٦٤	٩١ الفلوجة
٥٢١		قبا	١٠٠	قم اليماء
٣٠٦	٢٨٩	قباد حمر	٢٨٠	قم الزواب
١٧١		العباق	٤٥	٥٧ - ٥٨ قم الصلح
٤٨٢		العباذبان (مدينة)	٥٢٥	فعاكفت
٤٨٣		العباديان (نهر)	٣٦٧	قنز برد
٥٢٩		قيجان	٣٥١	٣٢٢ الفهرج
٢١٦		القين (القلقاس)	٣٦٨	لهرج (مكران)
٢١٥		قبلة (قلعة)	٣٦٨	لوم مهر
٥٩		القلعة الخضراء (واسط)	١٨٨	فوجه
٣٤٥	٣٤٤	قبة سبل (بردسير)	٥٠٩	فور لمت
٢٨٨		قرا الحاج	٤٥٣	٤٤٦ درصنج
٤٥٦	٢١٢	قرايانا	٥٠٢	الغولجا (نهر)
٢٤٨		قراصو	٢٠٨	موسن
١٨٩	١٧٦	قراصى	٩١	القياض
١٨٠	١٧٦	قرامان (فرمان)	٢٩٢	٢٩١ ٢٦١ ٢٠٥
٢١٣		قردفاس		٢٣٠
٢١٦		قروص	٢٤٢	٢٤١ ليرزان
٦٥		قرصة	١٠٨	٩١ ليرز سايور
٥١٤	٥١٣	٥١٢ قرشى	٣٨٥	٣٨٣ ليرز قند
٢٦٨		قرعة (ثوعة)	٤٥٩	٤١٢ ليرز كوه
٥٢٩		القرغز	٤٦٧	ليرياب
١٥٣		قرق كز (جسر)	١٢٢	نيسابور (نيشابور)
٢٨١	٢٧٥	قروغوب	٤٧٩	٦٤ نيشاباد (مير آباد)
١٢٦	١٢٧	٢٥ قرتقيسياء	٦٤	٦٣ فيض البصرة
١٩١		القرم	٢٧٧	٦٤ ليش دجيل
٢٢٢	٢٢١	٢٦ فرميسين (فرميسين)	٤٩١	الليل
٦٣	٤٦	٤٢ القرلة	٤٥٩	ليواد
٢٨٢		القرين		
١٨٥	١٨٧	قره حصار		ق
١٨٠		قره حصار دولة		
١١٧		قره سراي (الموصل)	١٠٣	٧٣ ٧١
				اقتصادية (سامراء)

الفهرست البلداني

٢٦١	للاط	١٤٩	لره مدو
١٨٧	مل حصار	٤٤٨	الفرينين
١٢٢	قلعة اربيل	٣١٥ ٣٥	قرية الانس
٢٤٤	قلعة اردشير	٣٢٠	قرية البيلد
٣٥	قلعة ايوب	٥٢٩	القرية الجديدة
١٢٥	قلعة البار	٢٢٢ ٣٥	قرية الجبال
٣٦٥	قلعة بردارود	٣٥٤ ٢١٨	قرية الحور
١٥٦ ١٥٥	قلعة بهمن	٣١٥	قرية عبدالرحمن
١٢٠	قلعة تل اعفر	٤٨٦	قرية علي
٢٨٧	قلعة تيز	٤٠٨ ٣٥	قرية الملح
١٢٢	قلعة سبهر	٤١٣	قرية مصور
٢٤٤	قلعة دشن	٢١٦	قرية يونس
٦١	قلعة سكر	٣٦٨	قزاق
٢٩٢	قلعة الدكنان	١٧٦	قزل احمدل
٤٢٤	قلعة در	٥١٦ ٤٢١	قزل ادرات
٢٩٠	قلعة كازدين	٢٠٣	قزل اوزن
٢٨٠	قلعة كاد	١٧٩	قزل ارمغان
٢٣٠	قلعة كمرت	٨٧	قزلارباب
١٥٠	قلعة كنج	٢٦٢ ٢٥٤ ٢٥٣ ٢٨	قزوين
٢٨٥	قلعة كوهك	١٧٠ ١٦٦	الغسطنية
٢٢٠	قلعة ماكين	٣٧٠ ٣٦٨	تضار
٤٥٦ ٤٥٥	قلعة مور	١١١ ٦٦	قصر ابن حمزة
٣٩٥	قلعة بيكال (ميكال)	٥٣	(قصر الابيض) (المائل)
٤٦٤	قلعة الهندوان	٤٤٧	قصر الاحف
٤٦٦	قلعة وال	٣١٨	قصر اعين
٢٨٦	القلية	٧٩	قصر الجس
١٨١	القلية	٢٧٢	قصر روناش
٢٦٢ ٢٤٥ ٣٦	قصر	٤٢٩	قصر الربيع
٢٥٣	قصادين	٨٨ ٨٥	قصر شيرين
٢٦٩ ٣٦٨	قصر	٢٤٤	قصر فين
٢١٧	قسنان	٣٦٨	قصر قند
٨٢	القناطر (قرية)	٢٢٣ ٣٦	قصر المصور
١٠٠	القناطر	٢٢٩	القصران
٣٧٠	قندابيل	١٩١	قصبونية (قصبوني)
٤٧٠	قندز	٤٣	القطر
٢٨٦ ٢٨٥ ٢٧٢ ٢٠	قندمار	١٠٨	قنبرل
٢٧٠	قندور	٢٢٤	قنره
١٣٠	قنطرة اسكي مورسل	١٨٦ ١٦٨	قنطية
٢٧٣	قنطرة انديشك	٢٦٢ ٢٥٤	القنص (جبل)
٣٠٥	قنطرة لكان	٤٠٩ ٢١٦ ٢١٥	القنصان
٥٦١	قنطرة جرد	٥٢٤	القنصان

٤٨٢	٤٨١	قطرة الحجازة
٧٣		قطرة حربي
٣١٢		قطرة خراسان
٢٨٠		قطرة خرداد
١٢		قطرة دما
٨٢		قطرة الرصاص
٣٠٦		قطرة وکان (تکان)
٢٧٣		قطرة الرود
٢٧٣		قطرة الروم
٢٧٣		قطرة الزاب
٣٠٤		قطرة سوسه
١٥٦		قطرة سنجة
٣١٣		قطرة شهریار
١٠٠		قطرة القاصان
٣٦٧		قطرة کرمان (رباط)
١٠٠		قطرة الکوفة (بلد)
٩٦		قطرة الماس
٨٢		قطرة وصيف
٢٥٧		قطرولان
٢٤١		قهاب
٢٤٥		قهررد
٤٨٥		قهلقة
٢٥٨		قهود
٣٤٧		قزاق
١٢٦		قوج حصار
٢٥١		قوسين
١٩١	١٨٢	قوتخصار
٣٦٦		قوتلجان (قلعة)
٤٠٤	٣٩	قوس
٤٠٨	٤٠٥	قوس بسطام
٣١٩		قوسه (قوشه)
١٨١	١٧٤	قوتية
٤٠٢	٣٩٢	قوسستان
١١٩		القيازة
٢٨٩		قير
١٦٠		قيرس
١٧٩		قيرشهر
٢٩٣	٢٩٠	قيس (جزيرة)
١٧٨	١٧٤	قيساربه (قيصريه)
٤٨٦		قارون
٣٨١	٣٨٧	قابل
٣٨٨	٣٨٧	قابلستان
٩٢١	٤٩١	قالت
٢٨٢		قاج
٢٩٠	٢٨٩	قاردين
٢٦٨	٢٦٧	قارود
	٣٠٧	
٢٩٠		القاريان
٤٥٧		قادر (گاريزه)
١٧٦		قاربه
٣٣١	٣٠٢	قازرون
٣١٣		قاسكان
٢٦		قلاشان
٥٣٠		قلاشوار
٤٥٤		قلاشكان
٥١	٤٩	القلاطين (القلاطين)
٢٦٠		قاعد كنان
٤٨٦	٤٨٥	قالت
٤٥٦		قالورن
٣١٦		قام غيرز
١٩١		قانقري
٢٠٩		قاوباري
٢٤٣	٢٤٢	قاوشاني
٤٩٥		قار خواريه
٢٤٧	٢٤٦	قاروماها (قاروماها)
٣٦٧	٣٦٦	قارويشك
٤١٦		قاپود جامه
١٩٤		قاپودان
٥١٠		قاپودنيكيت
٤١٤		القنبره (مدينة)
٥١٣		كتاب (مدينة)
٣٠٣		كتاب بيرز
٣٠٣		كتاب دختر
٣٤٦		كشرو
٣٢١		كته
٣٦٨		كج
٤١٤		كجه
٥٨٨		كجهر

الفهرست البلدان

۲۴۲	۲۴۱	۲۴۰	۲۳۸	کرمان (مدینه)	۲۳۴	کدرو
۲۲۱	۲۶			کرمانشاه (کرمانشاهان)	۲۰۵	کدیو
	۲۲۲				۲۱۳	الکر (نهر)
۲۵۳	۲۰۴			کرمرو	۲۷۰	کرایبی
۱۱۱	۱۱۸			کرمانی	۵۱	کرانه مریم (بغداد)
۳۶۳				کرمان	۲۴۱	کراچ
۱۷۶				کرمانی	۴۵۲	کراخ (نهر)
۵۱۵	۵۱۱			کرمانیه	۲۹۳	کران
۲۲۷				کرند	۴۸۰	کوان (کرمان ، بتشید الراد)
۳۸۰				کرک	۳۱۳	کریال
				کره (انظر : جبره)	۱۰۶ - ۱۰۵	کریلا
۲۲۳				کره رود	۲۳۳	کرج این دلف
۵۴۳	۲۱۳			کروان	۴۵۸	کرچستان
۴۵۲				کروخ (کاروخ)	۳۰۱	کرین
۳۸۰				کردم	۵۱	الکرخ (بغداد)
۴۰۱	۳۶۵			کری	۷۹	کرخ لیروز (سامراء)
۴۰۱				کرین	۲۷۵	کرخا (کرخه)
۴۹۵				کرین (نهر)	۲۴۶	کرشی
۲۶۸				کرکی	۲۵۵	کردان رود
۱۸۷				کرل حصار	۴۹۸	کردو
۲۵۹				کرل	۴۶۹	کردو انقاس
۳۸۲				کره	۴۹۶	کردوان خواش
۵۱۴				کسبه	۲۲۸	کردستان ۱۸ ۲۲۷ ۲۲۱
۵۲				کسیبا (کسباناام)	۲۸۵	کردلنا خسرو
۵۲				کسبیا	۴۰۵	کردکوه
۲۰۸				کسکر (دولاب)	۲۳۰	کردلانخ
۱۰۷	۶۲	۵۹		کسکر (راسط)	۱۹۰	کردی بول
۵۱۲	۵۰۳	۲۸۲		کس	۴۶۶	کرزدوان
۵۰۹				الکشیابیه (کشفانی)	۳۵۲	کرک
۲۱۵	۲۱۳			کشانی	۴۸۱	کرکان تبه
۵۰۹				کشمن	۴۹۱	کرکانج
۳۵۷				کشک	۴۹۲	کرکانجک
۴۸۰	۲۹۷			کشم	۵۱۹	کرکت
۴۴۲				کشامن (کشمپون)	۲۰۱	کرک
۵۱۲				کشک دریا	۲۴۴	کرکس کوه
۳۵۵				کشسر	۱۴۱	کرکوک
۴۸۰				کشیر	۲۸۰	کرکوبه
۳۴۶				کشید	۲۱۲	الکرکی (سوق)
۱۵۰				الکبه	۵۰۰	کرلای (کرلایه کرلایه)
۱۶۳				کفریبا	۳۲۸	کرم
۱۶۶				کفریبا	۳۴۹	کرمان (القمین) ۳۷ ۱۹ ۳۳۷

الفهرست البيلغاني

٢٩٩	كهف ساپور	٤٧٦	كهجه
١٤٢	كهف الظلمات	٣٧٠	كلات
٣٧٩	كهف	٤٣٧	كلات نادر
٤٩٣	كهنة اركنج	٤١٥	كلار
٣٨٣	كهنج	٣٥٥	كلانشگرد
٣٩٧	كواشور	٣٥٥	كلان
٢٨٩	كواد	٤٨٠	كلرافان
٤٥٤	كوانشان		كلپاكان (انظر : جريافان)
	كواشير (انظر : برفسير)	٥٣٠	كلجه
٦٣	الكوانير	٤٥٦	كلراي
٣٤٧	كوبدان	٣٢٢	كلناباز
٢٨٨	كوبنجان	٢٠٢	كلنتي
١٨٦	كوتاهية	٨٢	كلرافان
٥٧	كوت العمارة	٢٠٥	كلور
٢٠٨	كوتم	٤٥٩	كلون
١٠٨	كوتى	٣٥٣	كسادى
٩٤	كوتى ربا	٣٠٣	كسارج
٩٤	كوتى الطريق	٣٥٧	كسرون
٤٣٥	كوجان	١٥١	كسج
	كوج حصار (انظر : قوشحصار)	٢٤٤	كمرت
٣٥٠	كود (جبل)	٣٥٧	كمر
٣٧٧	كود زره	٢٤٥	كندان
٤٥٤	كوران	٤٨٢	الكبيد
٣١٦	كورد	٣٢٠	كج
٤١٩	كور سرج (لشهد)	٣٩٨	كتاباد
٣٢٠	كوروست	٣٩٩	كابت
٤٢١	كورلداغ	١٠٢	الكاسه
٣٩٧	كوسوى (كوسويه)	١٦٧	كائس الملك
٣٦٨	كوشك	٤١٩	كلمه فاروس
٤٥٤	كوشك	٣٠٨	كيد ملقان
٣١٨	كوشك زرد (زرد)	٤٥٥	كج رستاق
٣٥٥	كوشه	٣١٣	كجه
٣٥١	كوش ويران	٥٢٨	كنچيله
٤٥٦	كوعا لاپاز	٥٢٢	كند
٤٢٦	كوهون	٥٢٣	كندالام
٤٥٦	كولغا	٣٩٤	كندر
٤٢٦	كولن	٤٦٧	كندرم (كندرم)
١٠١	الكولفة	٣٠٩	كنله
	كولك	٢٢٤	كنكوار
٢٤٦	كوكجه (بحيرة)	١٦٢	الكنيسة
٢١٧		٢٨٧	الكورجان

الفهرست البلدانى

٤٤٤	مدرسة شرف الملك (مرو)	٣٠٣	مالان (درب)
٤٤٤	مدرسة نظام الملك (مرو)	٢٨٠	مال الامير (مال امير)
٤٣١	المدرسة النظامية (بغداد)	٣٩٧	مالى (مالان)
١٩٠	مدرو	٤٥٢	مالن هراة (مالان)
٢٥	المدينة	٨٢	الماورنية (سامراء)
٥٢	المدينة الصبية (طيسلون)	٢٩٩ ٢٩١	ماندستان
١٦٦	مدينة اللين	٣٨	ماهار (بحيرة)
٤٨	المدينة المدورة	٣٤٦ ٣٤٥	ماهان
٢٥٤	مدينة موسى	٤١١	ماهان سر (نلاع)
٦٣ ٤٥	المار	٢٣٢	ماء البصرة
٤٩٨ ٤٩٧	علمية	٢٢٥ ٢٢٤	ماء الكوفة
٥١١	مديامشكت	٢٨٧ ٢٨٦	ماطوبه (ماطو)
١٤٨ ١٤٧	مراد صو	٣٠٩	ماهى ريان
١٩٩ - ١٩٨ ١٩٤ ٣٥	المراغة	٤٤٠	ماياب
٣٢١	مراغة (قرية)	٢٢٧	مايدشت (ماهدشت)
٦٥	المربد	٥٠٦	مايزرخ
٢٤١	مربين	٣١٦	مايتق
١١٦	المربنة (الموصل)	٥٧	المبارك
١٧١	مرج الاسقف	٢٥٤	مبارك اباد
٢٢٧	مرج القلعة	٢٥٤	المباركية
١١٩	مرجهية (مرج جبين)	٥١ ٥٠	منتخب الاسلحة (بغداد)
٣٠٢	مردان لعيم	٢٧٥	مغوت (مغوت)
٤٦٧	مرسان	٢١٢	الموكلية (اوان)
٥١٩	مرسمة	٨٢ ٧٨	الموكلية (سامراء)
١٦١	مرعش	٤٣٠	الملقب (سناناد)
٤٥٢ ٤٤٤ ٤٣٩	مرغاب	١٦٢	الملقب (المصيبة)
٤٣١	مرغزار تكان	٢٩٥	مجامد اباد
٢٢٠	مرغزار كالان	١٤٣	المعدلة
٢٢٣	مرغزار كيتو	١٣٠	المصيبة
٣٠٣	مرغزار مركس	٤٣٦	مجدد اباد
٥٢٢	مرغينان (مرقيلان)	٢٤٦	المصدية (الرى)
٥٣٠	مركه	٨٢	المصدية (سامراء)
٢٠١	مركه	٦٩	المصدرة
٤٣٩ ٤٢٤ ٢١	مرو (الكبرى)	٢٦٥ ٢١٠	مضود اباد
٤٤٤ ٤٤٣ ٤٤٠		٦٢ ٤٩	المحول
٤٧٢ ٤٧١		٦٩	المطارة
٤٣٩	مرو آب	٥١ ٤٩	المغرم (بغداد)
٣١٥ ٣١٣	مرويشنت	٥٤ - ٥١ ٤٢	المندان
	مرو الرود (مرويكه ، مرو الصغرى)	٩٩	المندية
٤٤٨ ٤٤٧ ٤٤٠		٤٩٦	مدرا
٤٤٧	مرويه	٢٤٠	مدرسة السلطان محمد السيلجولى

الفهرست البلدان

٤٩	مقبرة نريش	٤٤٠	مرد الشاهجان
١١١	القلوب (لهر)	٤٣٧	مردنان
٣٦٠	٣- مكران	٣٥	المربة
٢٩٠	مكرجان	٤٩٨	مزدانيكان (مرداخكان)
٢٥	مكة	٢٤٧	مزدغان
١٦٧	ملاچية	٧٩	المزقة
١٨٠	ملاسكرود (ملازكروء، ملسجود) ١٤٨	٣٧٠ ٢٨٦	مسجج (مستلك)
٢٢٢	ملاير	١٣٥	المسجد الاتص
٣٦٩	المتان	٧٩	المسجد الجامع (سامراء)
١٧٤	١٥٢ ١٥٣ مطية	٢٧١ ٢٧٢	المسرقان (المسرقان) ٢٧٠
١٨٢	١٦٨ مغربية (ملتقوية)	٤٢١	مسران
١٦٤	الملون	١٠٨ ٧٣	مسكن
٨٠ - ٧٩	المقوة (سامراء)	١٦٦	المسكنين
٤١٥	مطير (ماطير)	١١١	المسيب
٣٥٦	ماب (مابو)	٣٠٦	مسين
٢٧٤	متاخذ	١١٩	مشتكوس
٦٢	منارة حسان	٤٢٦ ٤٣٠ ٤٣٢	المشهد
	منابرد (منركرت) النظر : ملاسكرود	١٠٦ ١٠٥	مشهد الحسين
١٣٩	منبج	٦٤ ٦٣	مشهد عبادته بن علي
١٧٦	منتشا	١٠٥ - ١٠٣	مشهد علي
١٢٧	المنغرى (بيجرة)		مصدقان (النظر : مزدقان)
٨٨	منديل	٥١٢	المصل (مدينة)
٤٠٥	٣١٧ منصور اباد	٤٣٠ ١٦٣ ١٦٢	المصيبة
٤٩١	٢٧٠ ٣٦٩ المنصورة	١٩٠	مطرم (منزلى)
٤٩٩	منقشلاغ	١٧١	المطوية
٤٨١	بنك	٧٤	المطيرة
٤١٨	من كركان	٤٢٥	المسكر (نيسابور)
٣٥٧	٣٥٥ موقان (منوجان)	١٦٦	ممسكر الملك
١٦٦	على	٧٨	المضوق (سامراء)
٢٨١	٣٦٩ مهران (نهر)	١٥٧ ١٢٣	مسلانبا
١١٧	١٦٦ مهران رود	٥٠٥ ٢٠٩	مكفان (موقان ، موقان)
٤٣٤	مهرجان	١٦٧	مخل
٢٣٧	مهرجان قلق	١٨٧	مخلة
٣١٩	مهرجانباذ (مهرجاناواد)	١٨٨	مختبسية
٣٥١	مهر كرد	٣٦٠	المقوية
٤١٥	مهرقان	٣٥٥	محمون
٣٢١	٣٠٩ ٣٠٦ مهرديان	٦٩	المتنج
٤٠٨	مهبان دوست	٤٨٧ ٤٣٩	مقااة التركان الخز
٤٣٦	مهدة (ميهدة)	٣٦٠ ٣٣٧ ٣١١	المقااة الكبرى ٢٠
٤٦١	مويلق	٣٩١ ٣٦٧ ٣٦١	مقااة مرو
٣٠٢	مورك	٤٨٧	

الفهرست البلدان

[illegible]

الفهرست البلدانى

٢٨١	٢٧٨	٦٩	النهر المصبى	٦١	نهر ابرقوى
١٠٦			نهر السفلى	٦٩	نهر بسان
٩٢	٤٨		نهر عيسى	١٠٧	نهر بيتا
٦١			نهر الفراف	٢٨١	نهر توى
١٥٢			نهر الفياض	٦١	نهر جعفر
١٥٢			نهر فرانيز	١٥١	نهر جلته ايرمق
٦١			نهر فريش	١٠٨	نهر جوبير
٥١٢	٥٠٨		نهر الفسارين	٦٩	نهر الحفار
٦٩			نهر النسل	٨٥	نهر حلوان
١٤٢			نهر الكلاب	٨٥	نهر الخالص
٩٤	١٦		نهر كوكى	٥١	نهر الشتر
٩٦			نهر الكوفة	٨٦	نهر خريسان
٦٣			نهر اللدار	١٠٨	نهر درقيط
٦١			نهر الحارة	٦١	نهر دقله
٤٣			نهر الحرة (البطائح)	١٢٠	نهر فخور
١٤٣			نهر المسويات	٢٧٦	نهر المدوق
٦١	٦٧	٦٥	نهر مقل	٦٩	نهر القدير
٦٠٨	٩٤	٩٣	نهر الملك	١٤٨	نهر الدليب
٦١			نهر ميسان	١٤٦	نهر الرزم
١٠٠			نهر الفوس	١٥٠	نهر الرس
١٦			نهر النيل (العراق)	٩٥	نهر الرضوانية
٤٤٩	٤٣٧		نهر هراء	١٤٣	نهر الرصص
٦٠١			نهر الهندية	٨٦	نهر الروز
٦٩			نهر اليهودى	٦٩	نهر الريان
٨٥ -	٨١	٧٤	النهر روان	١١٦	نهر ربيدة (الموصل)
		١٢١		٩٩	نهر سابيس
٣٠٠			الدونيجان	١٤٣	نهر سائيدما
٣٠٠	٢٩٦		الدونيجان	٦١	نهر ساسى
٤٦٤	٤٦٣	٤٦٢	الدوبهار	٢٧٨	نهر السندرة
٣٦٤			توحاسى (توحاسى)	٥١٠	نهر السندف
٣٠٣			توزد	١٥٦	نهر سفجة
٤٩٧			توزكات	٩٨	نهر سورا
٤٩٧			توزواو	٦١	نهر السيمب
٤٣٠			تومان	٨٥	نهر شروان
٥١٤			توفد فرش	١٤٩	نهر ششنامك
١٢٠			توكركه	٩٢	نهر الصراة
٤٩٥			توكفاغ	٩٩	نهر صراة جاماسب
٤٨١			توفدة	٩٩	نهر الصراة الكبيرة
٣٢٧	٣١٤		تيريز	٩٣	نهر صرصر
٤٢٥	٤٢٤	٢١	تيسابور (تيشابور)	٩٥	نهر الصفلاوة
٤٧١	٤٢٧	٤٢٦		١٤٣	نهر الصليب

الفهرست البلدانى

٢٩٧	هندرابى	٣٨١	نيسك
٣٧٧	هند مند	١٦٠ ١٧٢ ١٦٧	نابيه
٢٠٧ ٢٦٦	هندوان	٩٩ ٩٨	النبل (مدينة)
٣٨٩ ٣٨٤	هندوكش (هندكوش)	٩٩	النيليات (النيلية)
٤٢٢		٢٢٥	ميراه
٣٠٨	هنديان	٢٢٢	نيم رور
٣٠٧	هنديجان	٤١٧ ٤١٦	نيم مردان
٤٥٩	هندكران	١١٨ ١١٦ ١١٥	ليوتى
٦٢	مور بصى		
٦٢	مور بىرانا		
٦٢	مور بكصى	٣٧٩ ٣٧٣	هارود
٦٢	مور المصديه	٤٥٤	هارود سينتان
٣٠٣	موشك (دوب)	٧٨	الهادوتى (سامرا)
٩٩	الوول	١٦١ ٨٧	الهاروبية
٢٠٣	مروان مولان	٤٨٤	حاشم جرد
٤٦٦	هيبك	٩٧ ٩١	الهاشمية
٩٠	هيت	٣٥٢	الهاون
٢٨٩	هيرك	٤٢١	ميرانان
٤٨١ ١٧٦	الهيتل	٤٤٩ ٤٢٤ ٣٣٣ ٢١	مراه
٣٧٧ ٣٧٢ ٢١	هيلمند (نهر)	٤٧١ ٤٥١ ٤٥٠	
٣٨٣		٢٢٧	هرمين (قلعة)
		١٧٥ ١٦٨ ١٦٦ ٣٤	هرقله
		١٨٢	
٣٥٠	واجب	١٢٧ ١٢٤ ١١٥	الهرماس
١٦٧	وادي الجوز	٣٥٨ ٢٩٧	هرمز (جزيرة)
١٤٥	وادي الروم	٢٦٨	هرمز شهر
١٤٣	وادي الزور	٣٥٧ ٣٥٦ ٣٥٤	هرمز الملك
٤٢٥	وادي سفاور	٢٢٧	هرمز اباد
٢٥٤	وادي سيم	٣٦٦	هزار
٦٧	وادي الصفه	٤٩٤	هراراسب
١٦٦	وادي الطرأ	٢٩٣	هزر
٢٥٤	الوادي الكبير (مززين)	٢٠٤	عشتود
٤٢ ٣٧ ٣٤ ٢٥	واسط	٢٤٨	عشاد بولان
٤٢ ٦١ ٥٩ ٤٣		٤٨١	خلارود
٤٨٣	واشجرد	٤٨١ ٤٧٨	عليك
٣٨٦ ٣٧٠	والنسان	١٤٢	خلورس
٢١٦ ١٨٠ ١٤٥	وان (بيرة)	٥٦ ٥٥	صانبة (صنيا)
٢١٧		٣٦٢ ٢٢٩ ٢٢١ ٣٦	هسلان
٢١٨ ٢١٧ ٣٨	وان (مدينة)	٢١٠	هشتره
٥٢٣	واكت	٤٨٤ ٤٠٩ ٣٨٧ ٣٦٩	الهند
٤٦٥	وايشان	٥٠٨	

٢- فهرست الأشخاص والاوقام

٢٢٢	٢٠	ابن مهلهل (مسعر)	١		
٢٧٠	٢٦١				
٩٦		ابن هبيرة (يزيد بن صر)	٤١٣		آل قارن
٦٣		ابو الامد	٢٨٧		آل مظفر
٤٨٤		ابو الحسن بن عمن ماء	٢٥٩		الكائن خان المغول
٢٢٣		ابو دلف	٣٢		ابراهيم منفرة
٢٢١		ابو سعيد الابلخاني	٢٢٤	٤٤	ابروين
٣٠٩		ابو طالب القرطبي	٣٣		ابن ابراهيم
٣٠١		ابو طالب اللوندجاني	٤٩٢	٣٣	ابن الاثير
٤٠٧		ابو الطيب الشوا (خال القلمس)	٢٤٢	٣٣٨	ابن الياس (ابو علي)
٥٠١	٤٩٣	ابو الخازي	٣٥١	٢٤٦	
٢٦		ابو الفداء	١٣٧		ابن بطلان الطيب
٥٣٢		ابو الكلام ازاد	٣١		ابن بطرقة
٤٤٤	٤٤١	ابو مسلم الفراساني	١٧٣	٢٣	ابن بتي
١٠٤		ابو الهجاء الحمدي	٣٨٨		ابن البيطار
٦٦		احمد امين	٣٠	٢٩	ابن جبر
٤٦٤	٤٤٧	الاحناف بن قيس	٣٣		ابن الجوزي
٣٥٥		الانوارى (ميائل)	٢٨		ابن حوقل
١٧٥	٣٠	الاندرسي (الشريف)	٦٦		ابن خرداذبه
٢٤١	٢٨٤	اردشير بابكان	١٧٢	٣٢	ابن خلدون
	٣٧٨		٣٣		ابن حلكان
٤٣٥	٢٥٨	ازغرن	٢٧	٢٦	ابن رسته
٤٩٣		الازبلك	٢٧	٢٦	ابن سراييون
٤١٣		استرايون	٢٩١	٢٧٨	ابن سوار
		اسحق بن ابراهيم (صاحب شرطة المعتصم)	٤٣٦		ابن سينا
	٧٨		٢٣		ابن الطائفي
٤٥٢		الاسفرايى (ميمى الدين)	٣٠		ابن عبد الحق (صفي الدين)
٤٨٥	٢٩٦	الاسكندر الكبير	٢٣		ابن البرقي
	٤٩٨		٣٣		ابن الصادق الحنبل
٢٤٠		اسماعيل الصفوري	٢٧		ابن اللقيط
٣٢٥	٣٠٥	الاسماعيلية	٣٣		ابن المقري
٤١٥	٤٠٠	٣٦٤	٣٣		ابن كثير

فهرست الاشخاص والاقوام

١٠٢	البراقى	١٨٧	اصحاب الكعب	١٧٥	١٥٢
٤٦٣	البرامكة	٣٥٢	١٨٩		
٣١	براون (المستشرق)	٢٨	الاسكندرى		
٢١٣	برلاس (قبيلة)	١٠٥	أغا اوغلو (محمد)		
٤٣٣	برلاس (عم تيمور)	٣٩٥	أغا خان		
٤٦٤	برمك	٤٨١	الانفلاطيون	٤٧٦	
٤١٢	البرمكى (خالد)	٥١٩	الانسين		
٤١٢	البرمكى (يحيى)	٣٦٨	أفضل كرماسى		
١٣٨	البياسيرى	٤٠٣	الانسان	٣٨٩	
٤٠٦	البيسطامى (أبو يزيد)	٣٠٢	الاكراذ	٢٥٧	٢٣٦
٣٨٤	البيشكنك (مبالى)		٤٦٨		
٩	شهر لرمسيس	٢١٧	ألب ارسلان السلجوقى	١٧٢	
١٨٥	البيكالى (عبدالله)	٢٥٧	الجابتر	٢٢٨	
١٣٣	بل (جرترود)	٤٦	الغرد (جون)		
٤٤	البلادى	٢٥٣	أمام زاده (عبد العظيم)		
١١١	بلال ابن ابي بردة	٣٣	امروز (المستشرق)		
١٩١	بلال السعوى	٤٤٢	الامين (الخليفة)	٢٣٥	٥٥
٤٠٨	بلز (ح و)	٢٧٦	الستاس الكرمل	١٠٩	
٣٦٢	البلوخ (البلوس)	٤٣٦	انورى (الصامر)		
٤٦٩	بنو تميم	٢٤٣	الوخردان بن قباد	٢١٥	٤٤
٤١٩	بنو زيار		٤١٦		
٣٨٢	بنو الصغار	٢٧٣	إهل الكعب (أنظر : اصحاب الكعب)		
٤٤٥	٣٨٩	٢٣	اسلورد (المستشرق)		
٤١٢	بنو ماهان (سرحان)	٢٥٨	اولجاي ساتون		
١٠٠	بنيامين التليل	١٨٩	اورخان الشافى		
١٠٤	بهاء الدولة البوسى	٣٤٢	ايرانشاه السلجوقى		
٢٣٠	بهرام حور				
٢٨٧	بهرام شاه				
٢٧٦	بهمن بن اسفنديار				
٢٨٦	بوردا	٥٣٠٠	باير		
٨٤	بوران	٢٥٨	باتوشان القبول		
١٧٠	بورى (الروفسود)	٤١٤	البادوسيان		
١٥١	بولس الششاملى	٤٥٢	ماريه ديمتار (المستشرق)	٢٩	
٥٢	بولسوس	٢٦٤			
٢٠٧	البوهيون	٢٩	يافه دى كورنى (المستشرق)		
١٥١	البيلقة	١٨٥	يايزيد المندرم الشافى	١٨٢	
٣٨٠	البيرولى	٤١٢	الحربة ابنة الاسيهيد		
٤٦٥	بيكرا (ميرزا)	٢٧٤	يكتيشور	٢٧٣	
١٥١	البيلقانى	٢٣٦	مدر بن حسنويه		
٢١٠	بيشه سواد (الامير)	١١٧	مدر الدين لؤلؤ		
		٢٩٢	برازة الحكيم		

[illegible]

فهرست الاشخاص والاقوام

[illegible]

فهرست الاشخاص والاقوام

٢٨٦	السفري (محمد بن زكي)	٢٨٦	شيخ الجبل (الطر : حسن الصباح)
٥٣	سليمان الفارسي	٥٣	
٥٢	سلفوس ليخاطور	٥٢	
٧١	سليمان بن جابر	٧١	
٢٢٧	سليمان شاه الملقب أبوه	٢٢٧	
٢٥٦	سليمان الصفوري	٢٥٦	
١٧٠	سليمان بن عبدالمك	١٦٩	
١٧٢	سليمان فغلمش	١٧٢	
٢٤٤	السماني (ابو سعد)	٢٤٤	
٤٠٠	سنتجر السنجوقي	١٢٨	
٤٤٣	٤٣٦	٢٢٧	
٤٤٤	٤٤٣	٤٣٦	
٤٤٤	٤٤٤	٤٤٤	
٣١	سنتويني (المستنير)	٣١	
١٦	سهراب	١٦	
٨٥	سوسة (الدكتور احمد)	٨١	
٤٦	سيار فرودك	٤٦	
١٦١	سيث الدولة الحمداني	١٥٤	
١٦٢	١٦٢	١٦٢	
٩٧	سيث الدولة (رئيس بني مزيد)	٩٧	
	ش		
٥٥	الشابنسي	٥٥	
٢٤١	شاردان (الرحالة)	٢٤٠	
٥٢٥	شاهدخ	٥٠٠	
٢٤٤	شاه شجاع الكرمانى	٢٤٤	
٣٢٩	شاه شجاع الخفاري	٣٢٩	
٤٦٥	شاه مردان	٤٦٥	
٢٢٥	شبالكاره (قبيلة)	٢٢٥	
٢٩٥	شداين (السر اوديل)	٢٩٥	
٤٨	شدرك (البرومسور)	٤٨	
١٩٥	الضراء	١٩٤	
٤٣٦	شرف (الدكتور محمد)	٤٣٦	
١٠٤	شرف الدولة النوبهي	١٠٤	
٦٢	الشرفي (عل)	٦٢	
٣٠	شفر (المستشرق)	٣٠	
٤٢	شلتنصر الثالث	٤٢	
٣١٨	شندلر (هنم)	٣١٧	
٣٦٨	٣٦٨	٣٦٨	
٥٢٩	شويلر	٥٢٩	
	ص		
٢٧٦	صاحب الزنج	٢٧٦	
٦٦	صالح احمد المي (الدكتور)	٦٦	
٢٥٧	صدر الدين وزير ايرسلان الثاني	٢٥٧	
٤٥٢	الصدباني (محمد زبير)	٤٥٢	
٣٢٩	الصفار (طاهر بن الليث)	٣٢٩	
٢٨٦	الصفار (عمرو بن الليث)	٢٨٦	
٣٦٧	٣٦٧	٣٦٧	
٤٢٥	٤٢٥	٤٢٥	
٣٠٦	الصفار (يعقوب بن الليث)	٣٠٦	
٣١٧	٣١٧	٣١٧	
١١٧	صلاح الدين الايوبي	١١٧	
٢٨٥	صمصام الدولة البويهي	٢٨٥	
٣٠٦	صنيج الدولة	٣٠٦	
١٨٧	صوب (الصحابي)	١٨٧	
٤٦٢	الصبروس (الطبيب)	٤٦٢	
	ض		
٤١١	الضحاك (زهاد)	٤١١	
٢٠١	ضياء الملك بن نظام الملك	٢٠١	
	ط		
٤١٠	الطاهريون	٤١٠	
٣٢١	طاروس الحرمين (دل)	٣٢١	
٣٢	الطبري (محمد بن جبريل)	٣٢	
٢٢٤	طغريلك	٢٢٤	
٢٥٢	طغرل الثالث	٢٥٢	
١٦	طه بالز	١٦	
٢٩١	طهرورت	٢٩١	
١٩١	الطوسي (نصير الدين)	١٩١	
	ع		
٢٧٦	عبادة (عبدالسيد)	٢٧٦	

[illegible]

[illegible]

فهرست الاشخاص والاقوام

١٦٢	٣٠	٢٩	ناصر شمس	٢٠٢	المسلمي (تقي الدين)
١١٨			ناصر الدولة الحماني	٧٤	الشيبياني
٣٦٥			ناصر الدولة بن سيجور	٢٩٢	الطغر (تيسل)
٤٩٢			نجم الدين الكبرى	٣٣٩	الطغرانيون
٣٢			نرجس (المستشرق)	١٦٦	١٦٦ ١٦٠
١٠٠			نرسى (الملك الساساني)	٢٥٥	المنز
٥٢٠	٥٢٥	٥٠٩	السلطانية	١٧٠	٧٦
٣٤٥			سخرادس	٨٦	المستند
٤٨٦			نهر بن احمد	٧٨	المستند
١٦٧			نعم الاورخاني	٦٧	مفلين بن بسار
٤٣٥			نعم الملك (الوزير)		المول (اطر التتر)
٢٢٢			نظامي (الشاعر)	٢٧٧	المقدر
١٠٢			القصان بن الحذر	٢٣٩	الغني
٣٤٥			نعمه الله الولي الصوفي	٤٠٦	٢٨
١٦٥			نعمور	٥١٢	٤٥٧
٤٢٤	١١٢		نملكه (المستشرق)	٥٣	
٣٦٩	٢٧٩		النور (يصف النور والوارث)	٢٧١	مكرم (القائد العربي)
١٢٩	١١٧		نور الدين ركني	٣٠	مطر (كتراد)
٢٨٨	٦٨		نيارشي	٢٤٠	١٠٦ ٨٧
٣١	٣٠		نكلنس (المستشرق)	٤٤٧	٤٤٥
٤٦			نيوزيري (جون)	٤١٤	مكوكوف
				٦	ملوان (البرونسور)
				٨٢	٧٨
				١٣٢	٥٣ ٤٨
					٤١٢ ١٥٢
٢٥٤			الهاني (موسى)	١٥٥	منصور العيسى
٨١	٤٦	٣٤	هرسلط (الاستاذ)	٢٣٦	متكوريس
١٣٢	١٠٢	٨٢	هرول الرشيد ٥٠	٢٥٢	موجر الزيارى
	٢٥٤	٢٤٩	١٦١	٢٧٨	٢٤٩ ٤٨
١٥١			الهرولي (السانج)	٥١٤	٤١٢ ٤٥٧
١٩١	١٦٢	١٣٧	حسام بن عيبدالله	٤٦١	موتوكزن بن حساي
١٧			عابريخت (الاستاذ)	٢٥٥	موسى بن نفا
١٧٢	٣٣	٢٧	حوتسا (للمستشرق)	٤٩	موسى بن جعفر الكاظم
٢١٧			الهرول	١٣٨	٩٥
٤٣٥	٣٩٤	١٩٥	حولانو	٢٢٤	مؤسس المظفر
٣٦٩	٣١٧		حولنج	٦	موجل (المستشرق)
٤٨١	٤٧٦		الهرول البيشي	٣٣	ميرحواند
٤٨٤			مورن كسانك (الرسالة الصيني)		
٤٧٦			المهاطة		

فهرست الاشخاص والاقيام

٤٤٤	٣٤	٣٠	ياقوت الحموي	١٧			وارد (الاستاذ)
		٤٨٨		٣٣	٣١		وسعتلند (المستشرق)
١٦٩			يحيى بن سارية	١٦٣			الوليد الاموي
٢٥٣			يحيى (حفيد علي زين العابدين)	٣٦١			وهسولقان (امرة)
٤٤٢	٨٧	١٤	يرنجيره	٤٧٧			وود (الكاين)
٥٢٩			اليسي (الشيخ احمد)				
	٣٢	٢٧	اليقوي (ابن واضح)				ف
٢٢٥			بنال (ابراهيم)	٤٢٩	٤١٩	٣٤٦	ياند (سي . اي)
١٩٠			الينيجيرة	٤٥٦	٤٣٥	٤٣٠	
٥٢٢	٤٦٠	٣٨٨	بول (السر هـ)	٥٢٢	٥٠٠		ياجوج وماجوج

الفهرست العمراني

ج					٢٤١	٢٢٨	٢٢٦ (لدى الجوس)
٥٠٢				الجين	٢٥٦	٢٥٤	٢٤٣
٢٥٤	٢٢٧	٢٨٤	٢٢٧	الجرود	٢٩٠	٢٨٠	٢٧٧
٩٧	٩٤	٩٣	٨٢	الجسور	٢٢٤	٣٠٧	٢٩٢
٢٨١	٢٧٢	٢٣٩	١٠٠		٤٥٠	٣٩٨	٣٨٠
٤٤٩	٢٨٢	٣٠٦	٣٠٢			٤٦٣	٤٥١
			٤٩٧		البيارات (النظر : المارساتات)		
٤٣٤				الجنار (شجر)	ت		
٥١٤	٥٠٢	٤٦٥		الجلود المدبرغة			
			٥٣١				
٣٦٢	١١١			العمارات			
٢٦٢				جواب الادم			
٤٨٠	٣٣٠	١٩٧		الجوامس			
٣٠٣				جبلان (صنف من الصر)			
ح					٤٧١		التاشخ
٢٢٦				حب الزلم	٥١٣		الترابطين
٥٣١	٢٨٨			سجر الارحاء	٤٩٥		التزود
٤٨٠				سحر المشلا	٤٩٢		الطران
٣٢٢	٣٢٤	٣١٤	١٤٢	الحديد	٣٩٠	٣٨٩	التعدين
٥١٠	٤٧١	٤٣٠	٣٥٤		٢١٨		تلاح بنليس
			٥٣١		٢١١		الكلك الارمنية
٣٩٨	٣٦٦	٣٦٢	٣٢١	الحريز	١٠٩		السور
	٤٢٠	٤١٦	٤١١		٤٧٢	٣٣٠	الوابل
٢١٨				الحريز الرمزي	٣٤٧		الوتيا (التوتيا المرائي)
٤٧١	٣٢٢	١٠٤		الحصر	٥٠٢		الفر (خشب)
٤٧١				الحقائب	ث		
٤٧٢	٣٧٢	٣٧٢		الحلنيت			
٢١٦	١٢٨	١٢٦	١٢٤	الحمامات			
٤٤٢	٤٠٠	٣٥٠	٢٧٧				
	٥٠٧	٥١٥	٤٩٧				
٣٦٥	٣٦٤	٣٦٢	٣٦١	الحامس			
٤٠٠	٣٦٤	٣٦٦					
		٤٤١	٤٠٧				
خ					١٦٠		الغور
٢١٤				الخافان (ج : الخوافين)	٢٨٦	٢٨٠	٢٤٦
١١٧				الخمر			٢٤٥
							٣٥٢
					٤٧١		ثياب الامريس
					٥٣١		الثياب البيض
					٤٧١	٣٣٢	ثياب الصخر
					٥١٤		ثياب الفرس
					٤٧١	٣٥٠	٣٠٢
							٥٠٦
					١٨٧		ثياب القطن المصنوعة بالذهب
					٣٠٧	٣٠٢	٢٩٥
					٢٧٦		الثياب المدلصة
					٤٤٣		الثياب المرصدة
					٣٣١		الثياب المرصدة
					٥١٠		الثياب الوادية

الفهرست العمراني

٣٣٢	الرازي (دهن)	٣٣٢	الفركاكات
١٠٩	الراست	٣٣١	الفر
٤٤٥	الرشقة		خزائن الكتب (انظر : دور الكتب)
٢٧٢	الرصاس	٧٠	الغشابات (الغشبات)
١١٩	الرصمد (مرافعة)	٤١٦ - ٢٦٢	الفلنج (غشب)
٥٣١	الريثق	٥٠٢	
١٥٩	الروم (مفلول اللقطة عند العرب)	٤٣٠	الغصان
٣٧٥	الرمال المتحركة (المتقلبة)	٤٦٨ ٢٨٩	الصور
٥١٦	٤٤٥ ٣٧٩ ٣٧٦	٤٦١	خنكيد (ستم يوش)
٣٨١	الرمال المصورة (المرسقية)	٤١٦	الغيش
٤٢٨	الرياس (الرواس)	٤٨١ ٤٧١ ٢٥٩	الجيل
		٥٣١	
ذ		د	
٤٧٢	الراج	٢٢٢ ٢٣١	الديس
٤٤٢	الزيب الكساسى	٣٣١	الديني
٧٣	الزجاج	٥٠٢	الدورج
٥٣١ ٥١٠	الزفت	٢٨١ ٢٣٧	الدمستورية (المستورى)
٢٩٤	الزلازل	٤٥	الدهقان (ج : الدهاقين)
٣٣٢	الزلال	٤٣٠	الدهنج
١٠٩	الزليجار	٢٥٥ ٢٤٩ ١٢٠	دور العرب
١٠٩	الزليش	٤٦٦ ٣٨٩	٢٨٥ ٢٢٩
٥٠٦	الزندانى (ثياب)	٥٢٦	٤٩١
٥٣١ ٥١٠	الزليق	٢٧٨ ٢٥٠ ٢٤٧	دور الكتب
		٤٤٤	٢٨٥
س		٣٥٢ ٣٣٢ ٢٣١	الدوشاب
٢٨١ ٢٧٧ ٢٧٥ ٢١٦	السدور	٤٧٢ ٤٧١	٢٧٩ ٢٠١
٤١٠ ٣٩٣ ١٠٥	السجايد	٢٨٥ ٢٨١ ٢٦٦	الديباج
٣١٣ ٣١٢ ٢٨٩ ٢٤٨	السدود	٤٧١ ٤٦٣ ٤٢١	٢٣١ ٥٠٢
٤٤٤ ٤٤٠ ٣٩٣ ٣٧٧		٥١٥	
٤٦١ ٤٩٦ ٤٩١		ذ	
٤٦٠	سرخ بد (ستم يوش)	٤٣٠ ٤٠٥ ٣٣٢	الذهب
٢٨٤	سردس	٥١٠ ٤٨٠ ٤٧١	٤٥٩ ٥٣١
٢١١	السماسى (سمك)	د	
٣٩٦ ٣٩٥	سروت زرافشت		
٤٧١	السميدى (لسمج)		
٥٠٢	السنن	٤٧١	الراشخ

[illegible]

[illegible]

الفهرست العمرائی

ن				م			
٤٧١	٢١٢		الناخل	٢٠٧	٢١٤	٦٢	٥٤
٥٢١	٥١٠	٤٢٠	النحاس	٢٨٦	٢٨٥	٢٤٧	١٢٤
٤٢٧	٢٢١		النخاع		٤٩٢	٤١٠	٣٧٥
٢٩٤	٢١٢	٢٣٧	النخيل	٢٣٠			ماء الطلع
٣٠٨	٣٠٤	٣٠٠		٢٣٠			ماء القيصوم
٣٥٢	٣٥١	٣٥٠		٢٣٠			ماء الورد
٣٦٢	٣٦١	٣٥٧		٣٦٦			المحجرات
٣٨٢	٣٧١	٣٧٥		٢١٩			المحجرات
٤١٧	٤٠٠	٣٩٩		٤٧٢	٤٧١		المنداس
١٢١	٨٨	٨٧	النفط	١٠٩			المرداسنج
٥١٠	٣٢٢	٢٧٩		٢١٤			مرس السمن (دريبد)
		٥٢١		٢١٧	١٢٦		الفرع
٤١٠	٢٤٦	٢٣١	النفود	٤٨٠			المسك
		٤٩١		٢٢٢			المساربة (كتابة)
٢٦٢	١٥٧		النكسود	٥٠٧			المسنيات
٥٠٧			نهر زمام	٥١٥	٥٠٤	٤٠٣	المصليات
٥٠٨	٢٧٣	٢٦٦	النوامي				٥٣١
٥٢١	٥١٠		الفرشاد	٤٧١			المصمت (نسج)
٤٠٣			النيسابرية (لياب)	٤١٢			المصان
٣٥٨	٣٥٦	٣٥٥	النيل	١٣٦	٦٣		المصنة
		٣٨٨		٥٢١			المقاريس
				٥٠٢	٤٣٨	٤٢١	المقاع
				٤٤٤	٤٤٣	٤٤٠	مقسم المياه
				٢٧٧			المكوس
				٤٧١			الملاح بالقرن
٦٢			الورد	٥١٢	٣٨٢	٣٢٦	النج
٦٢			الورد	٥١٣	٤٧٢		دان
				٣٥١	٣٢٢	٣٢١	المناديل
					٤١٥	٤١٠	٤٠٧
٢٩٢			الورد الجردى	٢٥٦	٢١٢		المصنجات
٤٢٤			وعاء عظيم من النحاس (اسفراين)	٣٢١	٢٦٢		المنجات
				٩٩			الفرقة (ج : المرافلة)
				٣٨١	٣٧٩		موسيقى الرمال
				٣٢٢	٣٢٦	٣٠٥	المرياء
٤٨٠			الياقوت	٤١٠			اليازار

Fig. 1 The location of the study area in the north of Iran (the black dot shows the location of the study area in the north of Iran)